



مركز
للبحوث والتحريات الكمبيوترية

اصبحان

للغافل



عليه
صباح
الرمضان

www.

www.

www.

www.

Ghaemiyeh

.com

.org

.net

.ir

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

بهج الصباغه فى شرح نهج البلاغه على بن ابى طالب (عليه السلام)

كاتب:

محمد تقى شوشترى (تسترى)

نشرت فى الطباعة:

دار بيروت

رقمى الناشر:

مركز القائمية باصفهان للتحريات الكمبيوترية

الفهرس

٥	الفهرس
٨	بهج الصباغه فى شرح نهج البلاغه على بن ابى طالب (ع): المجلد ٩
٨	اشاره
٨	تتمه الفصل الثامن و العشرون: فى كلامه عليه السلام الجامع لمصالح الدين و الدنيا
٨	٤
٣٦	٥
٣٧	٦
٣٩	٧
٦٠	٨
٦٠	اشاره
٩٣	[تتمه فى خرافات العرب]
١٥٧	الفصل التاسع و العشرون: فى ما يتعلق بعثمان و عمر
١٥٧	اشاره
١٥٩	١
١٧٢	٢
١٧٨	٣
١٨٣	٤
٢٠٥	٥
٢٣٠	٦
٢٣٦	٧
٢٦١	٨
٢٧٢	٩
٢٨٠	١٠
٢٨٩	١١

٣٢١	١٢
٣٥٢	١٣
٣٦٥	١٤
٣٧٩	١٥
٤٠٦	١٦
٤١٤	١٧
٤٢٠	١٨
٤٢٣	١٩
٤٢٦	٢٠
٤٤٠	٢١
٤٤٣	٢٢
٤٦٥	٢٣
٤٦٩	٢٤
٤٨٧	٢٥
٥٠١	٢٦
٥٣٠	٢٧
٥٣٢	الفصل الثلاثون: في بيعته عليه السلام
٥٣٢	اشاره
٥٣٤	١
٥٤١	٢
٥٤٩	٣
٥٥٨	٤
٥٦٠	٥
٥٦٣	٦
٥٧١	٧
٥٨٥	٨

٥٩٤	٩
٥٩٨	١٠
٦٠٤	١١
٦١١	١٢
٦١٣	١٣
٦٢٧	فهرست المطالب
٦٢٨	تعريف مركز

سرشناسه: شوشترى ، محمدتقى ، ١٣٧٤ - ١٢٨٢

عنوان و نام پديدآور: بهبج الصباغه فى شرح نهج البلاغه [على بن ابى طالب (ع)] / المصنف محمدتقى التستري

مشخصات نشر: دار امير كبير للنشر - بيروت - لبنان - ١٣٧٤.

وضعيت فهرست نویسی: فهرست نویسی قبلى

عنوان ديگر: نهج البلاغه

موضوع: على بن ابى طالب (ع)، امام اول، ٢٣ قبل از هجرت - ٤٠ ق. نهج البلاغه -- نقد و تفسير

شناسه افزوده: على بن ابى طالب (ع)، امام اول، ٢٣ قبل از هجرت - ٤٠ ق. نهج البلاغه . شرح

رده بندى كنگره: BP٣٨/٠٢ / ش ٩

رده بندى ديويى: ٢٩٧/٩٥١٥

شماره كتابشناسى ملي: م ٧٢-٨٠٩

ص: ١

تمه الفصل الثامن والعشرون: فى كلامه عليه السلام الجامع لمصالح الدين و الدنيا

٤

الكتاب (٢٧)

و من عهد له عليه السلام إلى محمد بن أبى بكر حين قلده مصر: فَاخْفِضْ لَهُمْ جَنَاحَكَ وَ أَلِنْ لَهُمْ جَانِبَكَ - وَ ابْسُطْ لَهُمْ وَجْهَكَ وَ آسَ بَيْنَهُمْ فِى اللَّحْظَةِ وَ النَّظَرَةِ - حَتَّى لَا يَطْمَعَ الْعُظَمَاءُ فِى حَيْفِكَ لَهُمْ - وَ لَا يِنْيَاسَ الضُّعَفَاءُ مِنْ عَدْلِكَ عَلَيْهِمْ - فَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى يُسَائِلُكُمْ مَعَشَرَ عِبَادِهِ - عَنِ الصَّغِيرَةِ مِنْ أَعْمَالِكُمْ وَ الْكَبِيرَةِ وَ الظَّاهِرَةِ وَ الْمُسْتَوْرَةِ - فَإِنْ يُعَدِّبْ فَانْتُمْ أَظْلَمُ وَ إِنْ يَعْفُ فَهُوَ أَكْرَمُ - وَ اعْلَمُوا عِبَادَ اللَّهِ - أَنَّ الْمُتَّقِينَ ذَهَبُوا بِعَاجِلِ الدُّنْيَا وَ آجِلِ الْآخِرَةِ - فَشَارَكُوا أَهْلَ الدُّنْيَا فِى دُنْيَاهُمْ - وَ لَمْ يُشَارِكُهُمْ أَهْلُ الدُّنْيَا فِى آخِرَتِهِمْ - سَيَكُونُوا الدُّنْيَا بِأَفْضَلِ مَا سَيَكُنْتُمْ وَ أَكَلُوهَا بِأَفْضَلِ مَا أَكَلْتُمْ - فَحَظُّوا مِنَ الدُّنْيَا بِمَا حَظَى بِهِ الْمُتْرَفُونَ - وَ أَخَذُوا مِنْهَا مَا أَخَذَهُ الْعَبَابِرَةُ الْمُتَكَبِّرُونَ - ثُمَّ انْقَلَبُوا عَنْهَا بِالزَّادِ الْمُبْلَغِ وَ الْمَشْجَرِ الرَّابِحِ - أَصَابُوا لَدَّهُ

زُهِدِ الدُّنْيَا فِي دُنْيَاهُمْ - وَ تَيَقَّنُوا أَنَّهُمْ جِيرَانُ اللَّهِ عَدَا فِي آخِرَتِهِمْ - لَا تُرَدُّ لَهُمْ دَعْوَةٌ وَلَا يَنْقُصُ لَهُمْ نَصِيبٌ مِنْ لَدَيْهِ - فَاحْذَرُوا عِبَادَ اللَّهِ الْمَوْتَ وَ قُرْبَهُ - وَ أَعِدُّوا لَهُ عُدَّتَهُ - فَإِنَّهُ يَأْتِي بِأَمْرٍ عَظِيمٍ وَ خَطْبٍ جَلِيلٍ - بِخَيْرٍ لَا يَكُونُ مَعَهُ شَرٌّ أَبَدًا - أَوْ شَرٍّ لَا يَكُونُ مَعَهُ خَيْرٌ أَبَدًا - فَمَنْ أَقْرَبُ إِلَى الْجَنَّةِ مِنْ عَامِلِيهَا - وَ مَنْ أَقْرَبُ إِلَى النَّارِ مِنْ عَامِلِيهَا - وَ أَنْتُمْ طُرْدَاءُ الْمَوْتِ - إِنْ أَقَمْتُمْ لَهُ أَخَذَكُمْ وَ إِنْ فَرَرْتُمْ مِنْهُ أَذْرَكَكُمْ - وَ هُوَ أَلْزَمُ لَكُمْ مِنْ ظِلِّكُمْ - الْمَوْتُ مَعْقُودٌ بِنَوَاصِيكُمْ وَ الدُّنْيَا تُطَوَّى مِنْ خَلْفِكُمْ - فَاحْذَرُوا نَارًا قَعْرَهَا بَعِيدٌ وَ حَرُّهَا شَدِيدٌ وَ عِيَادِبُهَا جَدِيدٌ - دَارٌ لَيْسَ فِيهَا رَحْمَةٌ - وَ لَا تَسْمَعُ فِيهَا دَعْوَةَ وَ لَا تَفْرَجُ فِيهَا كُرْبَةً - وَ إِنْ اسْتِطَعْتُمْ أَنْ يَشْتَدَّ خَوْفُكُمْ مِنَ اللَّهِ - وَ أَنْ يَحْسُنَ ظَنُّكُمْ بِهِ فَاجْمَعُوا بَيْنَهُمَا - فَإِنَّ الْعَبِيدَ إِنْ مَا يَكُونُ حُسْنُ ظَنِّهِ بِرَبِّهِ - عَلَى قَدَرِ خَوْفِهِ مِنْهُ - وَ إِنْ أَحْسَنَ النَّاسُ ظَنًّا بِاللَّهِ أَشَدَّهُمْ خَوْفًا لِلَّهِ - وَ اعْلَمْ يَا مُحَمَّدُ بْنُ أَبِي بَكْرٍ؟ - أَنِّي قَدْ وَلَّيْتُكَ أَعْظَمَ أَجْنَادِي فِي نَفْسِي أَهْلٌ؟ مِصْرٌ؟ - فَأَنْتَ مَحْقُوقٌ أَنْ تُخَالِفَ عَلَى نَفْسِكَ - وَ أَنْ تُتَفَوِّحَ عَنْ دِينِكَ - وَ لَوْ لَمْ يَكُنْ لَكَ إِلَّا سَاعَةٌ مِنَ الدَّهْرِ - وَ لَا تُسِيخِطِ اللَّهَ بِرِضَا أَحَدٍ مِنْ خَلْقِهِ - فَإِنَّ فِي اللَّهِ خَلْفًا مِنْ غَيْرِهِ - وَ لَيْسَ مِنَ اللَّهِ خَلْفٌ فِي غَيْرِهِ أَقُولُ: رواه الشيخان في (أماليهما)، و رواه الثقفى في (غاراته الثقفى - الغارات - ج ١ ص ٢٢٨ تا ٢٤٤)، و رواه ابن أبي شعبة الحلبي في (تحفه ابن أبي شعبة الحلبي - تحف العقول - ص ١٧٦ تا ١٨٠) و رواه الطبري في (تاريخه الطبرى - تاريخ الطبرى - ج ٤ ص ٥٥٦).

أما الشيخان فرويا بإسنادهما إلى كتاب إبراهيم الثقفى عن عبد الله بن محمد ابن عثمان عن على بن محمد بن أبي سعيد عن فضيل بن الجعد عن أبي إسحاق الهمداني قال: ولى على عليه السلام محمد بن أبي بكر مصر و أعمالها و كتب له كتابا و أمره أن يقرأه على أهل مصر و ليعمل بما أوصاه به، فكان الكتاب:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، من عبد الله على أمير المؤمنين إلى أهل مصر و محمد بن أبي بكر، سلام عليكم فإني أحمد إليكم الله الذي لا إله إلا هو.

أما بعد: فإني أوصيكم بتقوى الله فيما أنتم عنه مسؤولون و إليه تصيرون، فإن الله تعالى يقول: «كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ» (١) و يقول:

«وَيُحَدِّثُكُمْ اللَّهُ نَفْسَهُ وَ إِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ» (٢) و يقول: «فَوَرَبُّكَ لَنَسْئَلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ» (٣).

و اعلموا عباد الله! أن الله عز و جل سائلكم عن الصغير من عملكم و الكبير فإن يعذب فنحن أظلم و إن يعف فهو أرحم الراحمين، يا عباد الله! إن أقرب ما يكون العبد من المغفرة و الرحمة حين يعمل لله بطاعته و ينصحه في التوبة، عليكم بتقوى الله فإنها تجمع الخير- و لا خير غيرها- و يدرك بها من الخير ما لا يدرك غيرها من خير الدنيا و خير الآخرة، قال الله عز و جل: «وَقِيلَ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا مَاذَا أَنْزَلَ رَبُّكُمْ قَالُوا خَيْرًا لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةٌ وَ لَدَارُ الْآخِرَةِ خَيْرٌ وَ لَنِعَمَ دَارُ الْمُتَّقِينَ» (٤).

اعلموا يا عباد الله! أن المؤمن من يعمل لثلاث: إما لخير فإن الله يشبهه بعمله في دنياه. قال سبحانه لبراهيم: «وَ آتَيْنَاهُ أَجْرَهُ فِي الدُّنْيَا وَ إِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ» (٥) فمن عمل لله تعالى أعطاه أجره في الدنيا و الآخرة و كفاه المهم فيهما و قد قال تعالى «يا عبادِ الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا رَبَّكُمْ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةٌ وَ أَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةٌ إِنَّمَا يُوفِّي الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ»

ص: ٣

[١-١] المدثر: ٣٨. [١]

[٢-٢] آل عمران: ٢٨. [٢]

[٣-٣] الحجر: ٩٢-٩٣. [٣]

[٤-٤] النحل: ٣٠. [٤]

[٥-٥] العنكبوت: ٢٧. [٥]

«بِغَيْرِ حِسَابٍ» (١)، و ما أعطاهم لم يحاسبهم به في الآخرة قال تعالى: «لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَ زِيَادَةٌ» (٢) و الحسنى هي الجنة و الزيادة في الدنيا، و إن الله تعالى يكفر بكلّ حسنه سيئه، قال عز و جل «إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ ذَلِكَ ذِكْرَى لِلذَّاكِرِينَ» (٣) حتى إذا كان يوم القيامة حسبت لهم حسناتهم ثم أعطاهم بكلّ واحد عشر أمثالها إلى سبعمائه ضعف، قال عز و جل: «جَزَاءٌ مِّن رَّبِّكَ عَطَاءٌ حِسَابًا» (٤) و قال: أولئك «لَهُمْ جَزَاءُ الضَّعْفِ بِمَا عَمِلُوا وَ هُمْ فِي العُرْفَاتِ آمِنُونَ» (٥) فارغبوا في هذا رحمكم الله و اعملوا له و حاضوا عليه.

و اعلموا يا عباد الله! أنّ المتقين حازوا عاجل الخير و آجله، شاركوا أهل الدنيا في دنياهم و لم يشاركهم أهل الدنيا في آخرتهم، أباحهم الله ما كفاهم و أغناهم، قال عز اسمه: «قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَ الطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ» (٦)، سكنوا الدنيا بأفضل ما سكنت و أكلوها بأفضل ما أكلت، شاركوا أهل الدنيا في دنياهم فأكلوا معهم من طيبات ما يأكلون و شربوا من طيبات ما يشربون، و لبسوا من أفضل ما يلبسون و سكنوا من أفضل ما يسكنون و تزوجوا من أفضل ما يتزوجون و ركبوا من أفضل ما يركبون، أصابوا لذّة الدنيا مع أهل الدنيا و هم غدا جيران الله، يتمنون عليه فيعطيهما ما تمنّوه و لا يردّ لهم دعوه و لا ينقص لهم نصيبا من اللذّة، فإلى هذا

ص: ٤

-
- ١-١ (١) الزمر: ١٠. [١]
٢-٢ (٢) يونس: ٢٦. [٢]
٣-٣ (٣) هود: ١١٤. [٣]
٤-٤ (٤) النبأ: ٣٦. [٤]
٥-٥ (٥) سبأ: ٣٧. [٥]
٦-٦ (٦) الأعراف: ٣٢. [٦]

يا عباد الله يشتاق من كان له عقل و يعمل له بتقوى الله، و لا حول و لا قوة إلا بالله.

يا عباد الله! إن اتقيتم الله و حفظتم نبيكم في أهل بيته فقد عبدتموه بأفضل ما عبد، و ذكرتموه بأفضل ما ذكر و شكرتموه بأفضل ما شكر، و أخذتم بأفضل الصبر و الشكر، و اجتهدتم بأفضل الاجتهاد، و ان كان غيركم أطول منكم صلاه و أكثر منكم صياما فأنتم أتقى لله عزّ و جلّ منهم و أنصح لأولى الأمر.

احذروا عباد الله! الموت و سكرته، فإنه يفجأكم بأمر عظيم بخير لا يكون معه شرّ أبدا أو بشرّ لا يكون معه خير أبدا، فمن أقرب إلى الجنّة من عاملها و من أقرب إلى النار من عاملها، إنه ليس أحد من الناس تفارق روحه جسده حتى يعلم إلى أيّ المنزلتين يصير إلى الجنّة أم النار و عدوّ لله أم وليّ، فان كان وليا فتحت له أبواب الجنه و شرع له طرقها و نظر إلى ما أعد الله له فيها، ففرغ من كلّ شغل و وضع عنه كلّ ثقل، و إن كان عدوا لله فتحت له أبواب النار و شرع له طرقها و نظر إلى ما أعد الله فيها فاستقبل كلّ مكروه و ترك كلّ سرور، كلّ هذا يكون عند الموت و عنده يكون اليقين، قال الله تعالى: «الَّذِينَ تَتَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ فَأَلْقَوْا السَّلَمَ مَا كُنَّا نَعْمَلُ مِنْ سُوءٍ بَلَى إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ فادْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا فَبئسَ مَثْوًى الْمُتَكَبِّرِينَ» (١).

عباد الله! إن الموت ليس منه فوت فاحذروه قبل وقوعه و أعدوا له عدّته، فإنكم طرد الموت، إن أقمتم له أخذكم و إن فررتم منه أدر ككم، و هو أزم لكم من ظلكم، الموت معقود بنواصيكم و الدنيا تطوى خلفكم عند ما تنازعكم إليه

ص: ٥

أنفسكم من الشهوات، فكفى بالموت واعظاً، و كان رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ كثيراً ما يوصي أصحابه بذكر الموت فيقول: «أكثرُوا ذكر الموت فإنه هادم اللذات حائل بينكم وبين الشهوات».

يا عباد الله! ما بعد الموت لمن لا يغفر له أشد من الموت، القبر، فاحذروا ضيقه و ضنكه و ظلمته و غربته، إنَّ القبر يقول كل يوم: أنا بيت الغربه، أنا بيت التراب، أنا بيت الوحشه، أنا بيت الدود و الهوام، و القبر روضه من رياض الجنه أو حفره من حفر النيران، إنَّ العبد المؤمن إذا دفن قالت الأرض مرحبا و أهلا قد كنت ممّن أحبّ أن يمشى على ظهري، فإذا وليتك فستعلم كيف صنيعي بك فتسّع له مدّ البصر، و إن الكافر إذا دفن قالت له الأرض: لا- مرحبا بك و لا أهلا، لقد كنت من أبغض من يمشى على ظهري، فإذا وليتك فستعلم كيف صنيعي بك، فتضمّمه حتى تلقى أضلاعه، و إن المعيشه الضنك التي حذر الله منها عدوّه، عذاب القبر، إنّه يسلط على الكافر في قبره تسعه و تسعين تيناً فينهشن لحمه و يكسرن عظمه يتردّدن عليه كذلك إلى يوم يبعث، لو أن تيناً منها تنفخ في الأرض لم تنبت زرعاً.

يا عباد الله! إن أنفسكم الضعيفه و أجسادكم الناعمه الرقيقه التي يكفيها اليسير تضعف عن هذا، فإن استطعتم أن تنزعوا أجسادكم و أنفسكم ممّا لا طاقه لكم به و لا صبر لكم عليه فاعملوا بما أحبّ الله و أتركوا ما كره الله.

يا عباد الله! إنَّ بعد البعث ما هو أشد من القبر، يوم يشيب فيه الصغير و يسكر فيه الكبير و يسقط فيه الجنين و تذهل كلّ مرضعه عمّا أَرْضعت، يوم عبوس قمطير، يوم كان شرّه مستطيراً، إنَّ فزع ذلك اليوم ليرهب الملائكه الذين لا ذنب لهم، و ترعد منه السبع الشداد و الجبال الأوتاد و الأرض المهّاد، و تنشق السماء فهي يومئذ واهيه و تتغير فكأنها كالدّهان، و تكون الجبال

كثيلا مهيلا بعد ما كانت صمًا صلابا، و ينفخ فى الصور فيفزع من فى السماوات و الأرض إلا ما شاء الله، فكيف من عصى بالسمع و البصر و اللسان و اليد و الرجل و الفرج و البطن، إن لم يغفر الله له و يرحمه من ذلك اليوم لأنه يصير إلى غيره، إلى نار قعرها بعيد و حرّها شديد و شرابها شديد و عذابها شديد و مقامها حديد لا يفتّر عذابها و لا يموت ساكنها، دار ليس فيها رحمه و لا تسمع لأهلها دعوه.

و اعلموا يا عباد الله! ان مع هذا رحمه الله التى لا تقصر عن العباد، جنة عرضها كعرض السماء و الأرض اعدت للمتقين، لا يكون معها شرّ أبدا، لذاتها لا تملّ و مجتمعها لا يتفرق، سكّانها قد جاوروا الرحمن و قام بين أيديهم الغلمان بصحاف من ذهب فيها الفاكهه و الريحان.

ثم اعلم يا محمد بن أبى بكر! أنى قد وليتكم أعظم أجنادى فى نفسى، أهل مصر، فإذ وليتكم ما وليتكم من أمر الناس فأنت حقيق أن تخاف منه على نفسك و ان تحذر منه على دينك، فإن استطعت ألاّ تسخط ربك برضا أحد من خلقه فافعل، فإنّ فى الله عز و جل خلفا من غيره و ليس فى شىء سواه خلف منه، إشتدّ على الظالم و خذ عليه، و لن لأهل الخير و قرّبهم و اجعلهم بطانتك و أقرانك- إلى أن قال:-

يا محمّد بن أبى بكر! اعلم أن أفضل العفّه الورع فى دين الله و العمل بطاعته، و إنى أوصيك بتقوى الله فى أمر سرّك و علانيتك و على أىّ حال كنت عليه، و الدّنيا دار بلاء و دار فناء و الآخرة دار الجزاء و دار البقاء، و اعمل لما بقى و اعدل عمّا يفنى و لا تنس نصيبك من الدنيا.

أوصيك بسبع هن جوامع الاسلام: تخشى الله عز و جل فى النّاس و لا تخش الناس فى الله، و خير القول ما صدّقه العمل، و لا تقض فى أمر واحد

بقضاء بين مختلفين فيختلف أمرك و تزيف عن الحق، و أحب لعامة رعيتهك ما تحب لنفسك و أهل بيتك و اكره لهم ما تكره لنفسك و أهل بيتك فإن ذلك أوجب للحجّه و أصلح للرعيه، و خض الغمرات إلى الحقّ و لا تخف في الله لومه لائم، و انصح المرء إذا استشارك و اجعل نفسك اسوه لقريب المسلمين و بعيدهم.

جعل الله مودتنا في الدين، و حلانا و إياكم حليه المتقين، و أبقى لكم طاعتكم حتى يجعلنا و إياكم بها اخوانا على سرر متقابلين. أحسنوا أهل مصر! مؤازره محمّد أميركم و اثبتوا على طاعته تردوا حوض نبيكم، أعاننا الله على ما يرضيه و السلام و رحمه الله و بركاته (١)(٢).

و أمّا ما رواه الثقفى، فروى عن يحيى بن صالح عن مالك بن خالد الأسدى عن الحسن بن إبراهيم عن عبد الله بن الحسن قال: كتب علىّ عليه السلام إلى أهل مصر لما بعث محمد بن أبى بكر إليهم يخاطبهم فيه و يخاطب محمدا أيضا فيه:

أمّا بعد، فإنّى أوصيكم بتقوى الله فى سرائركم و علانيتكم و على أىّ حال كنتم عليها، و ليعلم المرء منكم أنّ الدنيا دار بلاء و فناء و الآخرة دار جزاء و بقاء فمن استطاع أن يؤثر ما بقى على ما يفنى فليفعل فإنّ الآخرة تبقى و الدنيا تفنى، رزقنا الله و إياكم بصرا لما بصرنا و فهما لما فهمنا حتى لا نقصر عمّا أمرنا و لا نتعدى إلى ما نهانا.

و اعلم يا محمد! أنّك إلى نصيبك من الآخرة أحوج، فان عرض لك أمران أحدهما للآخرة و الآخر للدنيا فابدأ بأمر الآخرة، و لتعظم رغبتك فى الخير و لتحسن فيه نيتك، فإنّ الله عز و جل يعطى العبد على قدر نيته، و إذا أحبّ الخير

ص: ٨

١- ١) أمالى [١] الشيخ المفيد- الأمالى- ص ٢٦٠ ح ٣ المجلس ٣١ المفيد: ٢٦٠ ح ٣ المجلس ٣١.

٢- ٢) أمالى [٢] الشيخ الطوسى- الأمالى- ج ١ ص ٢٤ الجزء ١ [٣] الطوسى ٢٤: ١ الجزء ١. [٤]

و أهله و لم يعمله كان إن شاء الله كمن عمله، فإن رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ قال حين رجع من تبوك «إِنَّ بِالْمَدِينَةِ لَأَقْوَامًا مَا سَرْتُمْ مِنْ مَسِيرٍ وَ لَا هَبِطْتُمْ مِنْ دَارٍ إِلَّا كَانُوا مَعَكُمْ مَا حَبَسَهُمْ إِلَّا الْمَرَضُ» -يقول كانت لهم نية- ثم اعلم يا محمد! أني وليتك أعظم أجنادي، أهل مصر، و وليتك ما وليتك من أمر الناس فأنت محقوق أن تخاف على نفسك و تحذر فيه على دينك و لو كان ساعه من نهار فإن استطعت أن لا تسخط ربك لرضى أحد من خلقه فافعل، فإن في الله خلفا من غيره و ليس في شيء خلف منه، فاشتد على الظالم و لن لأهل الخير و قربهم إليك و اجعلهم بطانتك و اخوانك (١).

و عن يحيى بن صالح أيضا بالإسناد قال: كتب علي عليه السلام إلى محمد و أهل مصر: أما بعد فإني أوصيكم بتقوى الله و العمل بما أنتم عنه مسئولون و أنتم به رهن و إليه صائرون، فإن الله عز و جل يقول: «كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ» (٢) و قال: «و يُحَذِّرُكُمْ اللَّهُ نَفْسَهُ وَ إِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ» (٣) و قال «فَو رَبِّكَ لَنَسْتَلَنَّهٗمْ أَجْمَعِينَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ» (٤).

فاعلموا عباد الله! أن الله سائلكم عن الصغير من أعمالكم و الكبير، فإن يعذب فنحن الظالمون و إن يغفر و يرحم فهو أرحم الراحمين.

و اعلموا أن أقرب ما يكون العبد إلى الرّحمة و المغفرة حين ما يعمل بطاعه الله و مناصحته في التوبة، فعليكم بتقوى الله تعالى فإنها تجمع من الخير ما لا يجمع غيرها و يدرك بها من الخير ما لا يدرك غيرها، خير الدنيا و خير الآخرة، يقول سبحانه: «وَقِيلَ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا مَاذَا أَنْزَلَ رَبُّكُمْ قَالُوا خَيْرًا»

ص: ٩

١-١ (١) الغارات ٢٢٨:١-٢٣٠. [١]

٢-٢ (٢) المدثر: ٣٨. [٢]

٣-٣ (٣) آل عمران: ٢٨. [٣]

٤-٤ (٤) الحجر: ٩٢-٩٣. [٤]

«لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةٌ وَ لِدَارِ الْآخِرَةِ خَيْرٌ وَ لِنِعْمِ دَارِ الْمُتَّقِينَ» (١).

و اعلموا عباد الله! أن المؤمنين المتقين قد ذهبوا بعاجل الخير و آجله، شاركوا أهل الدنيا في دنياهم و لم يشاركهم أهل الدنيا في آخرتهم، يقول الله عز و جل «قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَ الطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا خَالِصَةٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ» (٢)، سكنوا الدنيا بأفضل ما سكنت و أكلوها بأفضل ما أكلت، شاركوا أهل الدنيا في دنياهم فأكلوا من أفضل ما يأكلون و شربوا من أفضل ما يشربون و لبسوا من أفضل ما يلبسون، أصابوا لذّة أهل الدّنيا مع أهل الدنيا مع أنّهم غدا جيران الله يتمنون عليه لا- يردّ لهم دعوه و لا- ينقص لهم لذّة أما في هذا ما يشتاق إليه من كان له عقل؟ و اعلموا عباد الله! أنّكم إن اتّقيتم ربّكم و حفظتم نبيّكم في أهل بيته، فقد عبدتموه بأفضل ما عبد و ذكرتموه بأفضل ما ذكر و شكرتموه بأفضل ما شكر و أخذتم بأفضل الصبر و جاهدتم بأفضل الجهاد، و إن كان غيركم أطول صلاه منكم و أكثر صياما إذ كنتم اتقى لله و أنصح لأولياء الله من آل محمّد صلّى الله عليه و آله و سلّم و أخشع.

و احذروا عباد الله الموت و نزوله و خذوا له فإنّه يدخل بأمر عظيم، خير لا يكون معه شرّ أبدا و شرّ لا يكون معه خير أبدا، ليس أحد من الناس يفارق روحه جسده حتّى يعلم إلى أيّ المنزلين يصير، إلى الجنه أم إلى النار، أعدوّ هو لله أم وليّ، فإن كان وليّا فتحت له أبواب الجنّه و شرع له طريقها و نظر إلى ما أعدّ الله عزّ و جلّ لأوليائه فيها، فرغ من كلّ شغل و وضع من كلّ ثقل، و إن

ص: ١٠

١- (١) النحل الأعراف: ٣٠. [١]

٢- (٢) ٣٢.

كان عدوًا فتحت له أبواب النار و سهّل له طريقها و نظر إلى ما أعدّ الله لأهلها و استقبل كلّ مكروه و فارق كلّ سرور، قال تعالى: «خَالِدِينَ فِيهَا فَبِئْسَ مَثْوَى الْمُتَكَبِّرِينَ» (١).

و اعلموا عباد الله! أنّ الموت ليس منه فوت فاحذروه و أعدّوا له عدّته، فانكم طرداء الموت، إن أقمتم أخذكم و إن هربتم أدر ككم و هو ألزم لكم من ظلكم معقود بنواصيكم و الدنيا تطوى من خلفكم. إلى آخر ما مر عن الاماليين مع أدنى اختلاف، ففيه بدل قوله «من ذلك اليوم...» (و اعلموا عباد الله! أنّ ما بعد ذلك اليوم أشدّ و أدهى) (٢).

و أما الحلبي فقال في (تحفه): «و منه إلى محمد بن أبي بكر و أهل مصر:

أمّا بعد فقد وصل كتابك و فهمت ما سألت عنه و أعجبنى اهتمامك بما لا بدّ لك منه و ما لا يصلح المسلمين غيره، و ظننت أنّ الذى أخرج ذلك منك تبه صالحه و رأى غير مدخول، أمّا بعد فعليك بتقوى الله فى مقامك و مقعدك و سرّك و علانيتك، و إذا أنت قضيت بين الناس فاخفض لهم جناحك و لئى لهم جانبك، و ابسط لهم وجهك و آس بينهم فى اللحظ و النظر، حتى لا يطمع العظماء فى حيفك لهم و لا يياس الضعفاء من عدلك عليهم، و أن تسأل المدعى البيّنه و على المدعى عليه اليمين، و من صالح أخاه على صلح فأجز صلحه إلا أن يكون صلحا يحرم حلالا أو يحلل حراما، و آثر الفقهاء و أهل الصدق و الوفاء و الحياء و الورع على أهل الفجور و الكذب و الغدر، و ليكن الصالحون الأبرار إخوانك و الفاجرون الغادرون أعداؤك، و ان أحبّ إخوانى الى أكثرهم لله ذكرا و أشدهم منه خوفا، و أرجو أن تكون منهم إن شاء الله. و إننى أوصيكم بتقوى الله فيما

ص: ١١

[١-١] الزمر: ٧٢. [١]

[٢-٢] الغارات ٢٣١: ١-٢٤٤. [٢]

أنتم عنه مسئولون و عما أنتم إليه صائرون، فإن الله تعالى قال في كتابه:

«كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ» (١) وقال «وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ» (٢). مثل ما مر مع أدنى اختلاف و الأصل في الجميع واحد.

و أميا الطبرى فروى عن أبي مخنف عن الحارث بن كعب الوالى عن أبيه قال: كنت مع محمد بن أبى بكر حين قدم مصر فقرا عليهم عهده «هذا ما عهد عليه عبد الله على أمير المؤمنين إلى محمد بن أبى بكر حين ولّاه مصر، أمره بتقوى الله فى السرّ و العلانية و خوف الله عز و جل فى المغيب و المشهد، و باللين على المسلمين و بالغلظة على الفاجرين، و بالعدل على أهل الذمه و بانصاف المظلوم و بالشده على الظالم، و بالعفو عن الناس و بالاحسان ما استطاع، و الله يجزى المحسنين و يعدّب المجرمين، و أمره أن يدعو من قبله أهل الطاعة و الجماعه، فإنّ لهم فى ذلك من العاقبه و عظيم المثوبه ما لا يقدرّون قدره و لا يعرفون كنهه، و أمره أن يجبى خراج الأرض على ما كانت تجبى عليه من قبل لا ينقص منه و لا يبتدع فيه، ثم يقسمه بين أهله على ما كانوا يقسمون عليه من قبل، و أن يلين لهم جناحه و أن يواسى بينهم فى مجلسه و وجهه، و ليكن القريب و البعيد فى الحق سواء، و أمره أن يحكم بين الناس بالحق و أن يقوم بالقسط و لا يتبع الهوى و لا يخاف فى الله عزّ و جلّ لومه لائم، فإنّ الله جلّ ثناؤه مع من اتقى و أثر طاعته و أمره على ما سواه (٣).

و رواه الثقفى فى (غاراته) كما مرّ فى سابقه، و مرّ خبر أنّ أن محمدا لما قتل أخذ كتبه أجمع فبعث بها إلى معاويه و فيها كتاب كتبه عليه السلام له فيه أدب

ص: ١٢

١- ١) المدثر: ٣٨. [١]

٢- ٢) تحف العقول: ١٧٦-١٨٠. و الآية ٢٨ [٢] من آل عمران.

٣- ٣) تاريخ الطبرى ٤: ٥٥٦. [٣]

و سنّه و أن معاويه كان ينظر فيه و يتعجب منه و قال لجلسائه: نقول للناس: إنه كان من كتب أبي بكر، و أنه عليه السّلام تأسف على وصول ذلك الكتاب إلى معاويه.

و الظاهر عدم نقل ذلك الكتاب لنا لأن المفهوم من الخبر الثاني أنّه كان مشحونا من سنن لا يعرفها الناس، و الكتاب الواصل ليس فيه إلا مختصر من الوضوء و الصلاة.

قول المصنف (و من عهد له عليه السّلام إلى محمد بن أبي بكر) زادهم (ابن ميثم) (١) و (الخطيه) «رحمه الله» و (ابن أبي الحديد) (٢) «رضى الله عنه».

(حين قلّده مصر) جميع ما نقله المصنف لم يكن حين التقليد بل حينه و بعده كما عرفت من روايات غارات الثقفى، قلّده بعد قيس بن سعد بن عباده.

قوله عليه السّلام «و اخفض لهم جناحك» خفض الجناح كناية عن التواضع و يعبر عنه بالفارسيه «بشكسته بالي» و الأصل فيه قوله تعالى لنبيه: «وَ اخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ» (٣).

في (تاريخ بغداد): كان موسى بن إسحاق القاضي لا يرى متبسيما قط، فقالت له امرأه: أيها القاضي! لا يحل لك أن تحكم بين الناس، فإنّ النبي صلّى الله عليه و آله و سلّم قال: «لا يحل للقاضي أن يحكم بين اثنين و هو غضبان» فتبسّم (٤).

«و ألن لهم جانبك» قال تعالى لنبيه: «فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَ لَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ» (٥).

«و ابسط لهم وجهك» قال لقمان لابنه: «وَ لَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ» «وَ لَا تَمْشِ»

ص: ١٣

١-١ شرح ابن ميثم ٤:٤١٩.

٢-٢ شرح ابن أبي الحديد ١٥:١٦٣. [١]

٣-٣ الشعراء: ٢١٥. [٢]

٤-٤ تاريخ بغداد ١٣:٥٣. [٣]

٥-٥ آل عمران: ١٥٩. [٤]

«فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّكَ لَن تَخْرِقَ الْأَرْضَ وَلَن تَبْلُغَ الْجِبَالَ طُولًا كُلِّ ذَلِكَ كَانَ سَيِّئُهُ عِنْدَ رَبِّكَ مَكْرُوهًا» (١).

«و آس» أى: ساو، و فى النهايه أى: اجعل كل واحد منهم اسوه خصمه.

«بينهم فى اللحظه» أى: النظر بمؤخر العين.

«و النظره» أى: تأمل الشئ بالعين.

فى الخبر كان النبى صلى الله عليه و آله و سلم يقسم لحظاته بين جلسائه (٢)، و قال خالد بن صفوان لوال دخل عليه: قدمت فأعطيت كلاً بقسطه من نظرك و مجلسك و صلاتك و عدلك حتى كأنك من كل أحد أو كأنك لست من أحد.

«حتى لا يطمع العظماء فى حيفك» أى: جورك.

«لهم و لا يياس الضعفاء من عدلك عليهم» و قال عليه السلام لشريح: ثم و اس بين المسلمين بوجهك و منطقك و مجلسك حتى لا يطمع قريبك فى حيفك و لا يياس عدوك من عدلك (٣).

روت العامه عن زيد بن اسلم عن أبيه قال: خلا عمر لبعض شأنه و قال:

أمسك على الباب، فطلع الزبير، فكرهته حين رأته، فأراد أن يدخل، فقلت: هو على حاجه، فلم يلتفت إلى و أهوى ليدخل، فوضعت يدي فى صدره، فضرب أنفى فأدماه، ثم رجع، فدخلت على عمر فقال: ما بك؟ قلت: الزبير، فأرسل إليه، ثم دخل الزبير، فجئت لأنظر ما يقول له، فقال له: ما حملك على ما صنعت أدميتنى للناس. فقال الزبير- يحكيه و يمطط فى كلامه- «أدميتنى»، أتحجب عنّا يا ابن الخطاب، فو الله ما احتجب عنى النبى صلى الله عليه و آله و سلم و لا أبو بكر. فقال عمر

ص: ١٤

١- ١) الاسراء: ٣٧-٣٨. [١]

٢- ٢) معانى الاخبار: ٨٢.

٣- ٣) الكافى ٢: ٤١٣ ح ١: [٢] الفقيه ٨: ٣ ح ١٠: التهذيب ٢٦: ٢٦٦ ح ١.

كالمعتذر: إنني كنت في بعض شأني، فلما سمعته يعتذر إليه يئست من أن يأخذ لي بحقي منه، وخرج الزبير، فقال عمر: إنه الزبير و آثاره ما تعلم (١).

«فان الله تعالى يسألكم معشر عباده عن الصغيره من أعمالكم و الكبيره» «و كُلُّ صَغِيرٍ وَ كَبِيرٍ مُسْتَطَرٌّ» (٢)، «و يَقُولُونَ يَا وَيْلَتَنَا مَا لِهَذَا الْكِتَابِ لَا يُغَادِرُ صَيْغِرَةً وَ لَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا وَ وَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا» (٣)، «يَوْمَئِذٍ يَصُدُّرُ النَّاسُ أَشْتَاتًا لِيُرَوْا أَعْمَالَهُمْ فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ وَ مَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ» (٤).

«و الظاهره و المستوره» قال لقمان لابنه: «يا بَنِيَّ إِنَّهَا إِنْ تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ حَرْدَلٍ فَتَكُنْ فِي صَيْخِرَةٍ أَوْ فِي السَّمَاوَاتِ أَوْ فِي الْأَرْضِ يَأْتِ بِهَا اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ» (٥)، «يَعْلَمُ خَائِنَةَ الْأَعْيُنِ وَ مَا تُخْفِي الصُّدُورُ» (٦) «و لَا تَكْتُمُوا الشَّهَادَةَ وَ مَنْ يَكْتُمْهَا فَإِنَّهُ آثِمٌ قَلْبُهُ» (٧)، «إِنَّ السَّمْعَ وَ الْبَصَرَ وَ الْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا» (٨).

و عن أبي جعفر عليه السلام: كان في بنى إسرائيل قاض كان يقضى بالحق فيهم، فلما حضره الموت قال لامرأته: إذا أنا مت فاغسليني و كفيني و ضعيني على سريري و غطي وجهي، فإنك لا ترين سوء، فلما مات فعلت ذلك، ثم مكثت بذلك حيناً، ثم إنَّها كشفت عن وجهه لتنظر إليه، فإذا هي بدوده

ص: ١٥

١- ١) رواه ابن أبي الحديد في شرح نهج البلاغه ٤٥: ١٢١-٤٦، [١] بتصرف.

٢- ٢) القمر: ٥٣. [٢]

٣- ٣) الكهف: ٤٩. [٣]

٤- ٤) الزلزله: ٦. [٤]

٥- ٥) لقمان: ١٦. [٥]

٦- ٦) غافر: ١٩. [٦]

٧- ٧) البقره: ٢٨٣. [٧]

٨- ٨) الاسراء: ٣٦. [٨]

تقرض منخره، ففزعت من ذلك، فلما كان الليل أتاها في منامها فقال لها:

أفرعك ما رأيت؟ قالت: أجل لقد فزعت. فقال لها: أما لئن كنت فزعت ما كان الذي رأيت إلا في أخيك فلان، أتاني و معه خصم له، فلما جلسا إليّ قلت: اللهم اجعل الحق له و وجه القضاء على صاحبه، فلما اختصما كان الحق له و رأيت ذلك بينا في القضاء، فوجهت القضاء له على صاحبه، فأصابني ما رأيت لموضع هواي مع موافقه الحق (١).

«فإن يعذب» قال النبي صلى الله عليه و آله و سلم لا ينقضى كلام شاهد الزور بين يدي الحاكم حتى يتبوا مقعده من النار (٢).

«فأنتم أظلم» قال ابن أبي الحديد: أفعالها هنا بمعنى فاعل (٣).

قلت: يمكن أن يكون من باب «و جزاء سيئه سيئه مثلها» (٤) و يمكن أن يكون المراد: إنكم أظلم من كل عبد عصي سيده.

«و إن يعف فهو أكرم» من كل سلطان يعفو عن رعيته: «و ما أصابكم من مصيبه فيما كسبت أيديكم و يعفوا عن كثير» (٥).

«و اعلموا عباد الله! أن المتقين ذهبوا بعاجل الدنيا و آجل الآخرة فشاركوا أهل الدنيا في دنياهم و لم يشاركهم أهل الدنيا في آخرتهم» قد عرفت في أسانيده أنه عليه السلام استشهد لكلامه بقوله تعالى: «قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَ الطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ»

ص: ١٦

١- ١) الكافي ٧: ٤١٠ ح ٢، [١] التهذيب ٦: ٢٢٢ ح ٢١، أمالي الطوسي ١: ١٢٦-١٢٧ الجزء ٥. [٢]

٢- ٢) الكافي ٧: ٣٨٣ ح ٣. [٣]

٣- ٣) شرح ابن أبي الحديد ١٥: ١٦٥. [٤]

٤- ٤) الشورى: ٤٠. [٥]

٥- ٥) الشورى: ٣٠. [٦]

«كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ» (١).

«سكنوا من الدنيا بأفضل ما سكنت و أكلوها بأفضل ما اكلت فحظوا» يقال:

حظى فلان عند السلطان، و حظيت المرأة عند الزوج.

«من الدنيا بما حظى به المترفون» قال ابن دريد: رجل مترف: منعم (٢).

«و أخذوا منها ما أخذه الجبابرة المتكبرون» قد عرفت من روايات التقوى أنه بدّل قوله «فحظوا-إلى-المتكبرون» بقوله «فأكلوا معهم من طيبات ما يأكلون، و شربوا من طيبات ما يشربون، و لبسوا من أفضل ما يلبسون، و سكنوا من أفضل ما يسكنون، و تزوّجوا من أفضل ما يتزوّجون، و ركبوا من أفضل ما يركبون» (٣)، و ما هنا إجمال و ثمه تفصيل، فاللذات الدنيوية منحصره فى هذه الستة من المآكل و المشارب و الملابس و المساكن و المناكح و المراكب .

«ثم انقلبوا عنها بالزاد المبلّغ» أى: زاد التقوى الذى وصفه تعالى بكونه خير زاد.

«و المتجر الراجح» و هو الايمان و عمل الصالحات.

«أصابوا لذّة زهد الدنيا فى دنياهم» لأن الزهد فيها ليس بترك نعيمها بل بعدم العلقه بها كما قال تعالى «لِكَيْلَا تَأْسَوْا عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ» (٤)، و أما الحريص فدائما متألم بفوت ما فات من دنياه و عدم حصول زياده له.

ص: ١٧

١-١ (١) الاعراف: ٣٢. [١]

٢-٢ (٢) جمهره اللغه ١: ٣٩٣. [٢]

٣-٣ (٣) الغارات باختلاف يسير [٣] ١: ٢٣٦، و أمالى المفيد: ٢٦٣، أمالى الطوسى ١: ٢٦. [٤]

٤-٤ (٤) الحديد: ٢٣. [٥]

«و تيقنوا أنهم جيران الله غدا في آخرتهم» «سَلَامٌ قَوْلًا مِنْ رَبِّ رَحِيمٍ» (١)، «و الملائكة يدخلون عليهم من كل باب سلام عليكم بما صبرتم فنعم عقبى الدار» (٢)، «و جوه يومئذ ناضرة إلى ربها ناظرة» (٣).

«لا ترد لهم دعوه» «و لهم ما يدعون» (٤).

«و لا ينقص لهم نصيب من لذه» «و إذا رأيت ثم رأيت نعيماً و ملكاً كبيراً عليهم ثياب سندس خضر و اشتبرق و حلوا أساور من فضه و سقاهم ربهم شراباً طهوراً إن هذا كان لكم جزاء و كان سعيكم مشكوراً» (٥).

«فاحذروا عباد الله الموت و قربه» «فإذا جاء أجلهم لا يستأخرون ساعة و لا يستقدمون» (٦).

«و أعدوا له عدته» «و أنفقوا من ما رزقناكم من قبل أن يأتي أحدكم الموت فيقول رب لولا أخرتني إلى أجل قريب فأصدق و أكن من الصالحين و لن يؤخر الله نفساً إذا جاء أجلها و الله خبير بما تعملون» (٧).

«فإنه يأتي بأمر عظيم و خطب» أى: شأن.

«جليل، بخير لا يكون معه شر أبداً أو شر لا يكون معه خير أبداً» قال ابن أبي الحديد: نص في مذهب أصحابنا في الوعيد، أن من دخل النار فليس بخارج منها، و لو كان خارجاً منها لكان الموت قد جاءه بشر معه خير... (٨).

ص: ١٨

١-١ (١) يس: ٥٨. [١]

٢-٢ (٢) الرعد: ٢٣-٢٤. [٢]

٣-٣ (٣) القيامة: ٢٢-٢٣. [٣]

٤-٤ (٤) يس: ٥٧. [٤]

٥-٥ (٥) الإنسان: ٢٠-٢٢. [٥]

٦-٦ (٦) الاعراف: ٣٤. [٦]

٧-٧ (٧) المنافقون: ١٠-١١. [٧]

٨-٨ (٨) شرح ابن أبي الحديد ١٦٦: ١٥. [٨]

قلت: يمكن حمل كلامه عليه السّلام على القرآن و أكثر الأخبار فى الاقتصار على ذكر المؤمنين المخلصين و الكافرين دون المؤمنين المسرفين.

و فى (اعتقادات الصدوق): قيل لأمر المؤمنين عليه السّلام: صف لنا الموت.

فقال: على الخير سقطتم، هو أحد ثلاثة أمور ترد عليه: إمّا بشاره بنعيم الأبد و إمّا بشاره بعذاب الأبد، و إمّا تحزين و تهويل و أمر مبهم لا يدري من أى الفرق هو، فأما ولينا المطيع لأمرنا فهو المبشّر بنعيم الأبد، و أمّا عدونا المخالف علينا فهو المبشّر بعذاب الأبد، و أمّا المبهم أمره الذى لا يدري ما حاله فهو المؤمن من المسرف على نفسه يأتيه الخير مبهما محزنا ثم لن يسويه الله تعالى بأعدائنا و لكن يخرج من النار بشفاعتنا، فاعملوا و أطيعوا و لا تتكلموا و لا تستصغروا عقوبه الله عزّ و جلّ، فإنّ من المسرفين ما لا يلحقه شفاعتنا إلاّ بعذاب ثلاثئه ألف سنه.

و سئل الحسن عليه السّلام عن الموت فقال: أعظم سرور يرد على المؤمنين إذا انقلبوا عن دار النكد إلى نعيم الأبد، و أعظم ثبور يرد على الكافرين إذا نقلوا عن جنتهم إلى نار لا تبيد و لا تنفذ.

و لما أشتدّ الأمر بالحسين عليه السّلام نظر إليه من كان معه فإذا هو بخلافهم لأنهم كلّما اشتدّ الأمر بهم تغيرت ألوانهم و ارتعدت فرائصهم و وجلت قلوبهم و وجبت جنوبهم، و كان الحسين و بعض خصائصه تشرق ألوانهم و تهدأ جوارحهم و تسكن نفوسهم، و قال بعضهم لبعض: انظروا إليه ما يبالي الموت، فقال عليه السّلام لهم: صبرا بنى الكرام فما الموت إلاّ قنطره تعبر بكم من البؤس و الضراء إلى الجنان الواسعه و النعيم الدائم، فأيتكم يكره أن ينقل من سجن إلى قصر و ما هو لأعدائكم إلاّ كمن ينقل من قصر إلى سجن و عذاب أليم .

وقيل لعلى بن الحسين عليه السّلام: ما الموت؟ فقال: للمؤمن كنز ثياب و سخره قمله أو فك قيود ثقيله و الاستبدال بأفخر الثياب و أطيبها روائح و أوطأ المراكب و آنس المنازل، و للكافر كخلع ثياب فاخره و النقل عن منازل أنيسه و الاستبدال بأوسخ الثياب و أخشنها و أوحش المنازل و أعظم العذاب.

وقيل لمحمد الباقر عليه السّلام: ما الموت؟ قال: هو النوم الذى يأتيكم كلّ ليله إلاّ أنّه طويل لا ينبه منه إلاّ يوم القيامة، فمن رأى فى نومه من أصناف الفرح ما لا يقادر قدره و رأى فى منامه من أصناف الأهوال ما لا يقادر قدره فكيف حال فرحه فى النوم و وجله فيه، هذا هو الموت فاستعدوا له.

وقيل للصادق عليه السّلام: صنف لنا الموت. فقال: هو للمؤمن كأطيب ريح يشم فينعس لطيبه و ينقطع التعب و الألم كلّ عنه، و للكافر كلسع الأفاعى و لذع العقارب و أشد. قيل له: فإنّ قوما يقولون: إنّّه أشدّ من نشر بالمناشير و قرض بالمقاريض و رضخ بالحجارة و تدوير قطب الأرحيه فى الأحداق. فقال عليه السّلام:

كذلك هو على بعض الكافرين و الفاجرين، ألا- ترون منهم من يعاين تلك الشدائد؟ قيل: فما بالنار نرى كافرا يسهل عليه النزاع فينطفئ و هو يضحك و يتحدّث و يتكلّم، و فى المؤمنين من يكون كذلك، و فى المؤمنين و الكافرين من يقاسى عند سكرات الموت هذه الشدائد؟ فقال عليه السّلام: ما كان من راحه للمؤمن هناك فهو عاجل ثوابه، و ما كان من شدّه فتمحيصه من ذنوبه ليرد الآخرة نفيضا نظيفا مستحقا لثواب الأبد لا مانع له دونه، و ما كان من سهوله هناك على الكافر فليتوفّى أجر حسناته ليرد الآخرة و ليس له إلاّ ما يوجب العذاب، و ما كان من شدة على الكافر هناك فهو ابتداء عقاب الله عند نفاذ حسناته، ذلكم بأن الله عدل لا يجور.

و دخل موسى بن جعفر عليه السّلام على رجل فى سكرات الموت لا يجيب

داعيا. فقالوا: يا ابن رسول الله وددنا لو عرفنا كيف الموت و كيف حال صاحبنا فقال: الموت هو المصفاة يصفى المؤمنين من ذنوبهم فيكون آخر ألم يصيبهم و كفاره آخر و زر عليهم، و يصفى الكافرين من حسناتهم فيكون آخر لذه أو نعمه أو رحمه تلحقهم و هو آخر ثواب حسنه تكون لهم، و أما صاحبكم هذا فقد نخل من الذنوب نخلا و صفى من الآثام تصفيه، و خلص حتى نقى كما ينقى الثوب و صلح لمعاشرتنا فى دار الأبد.

و مرض رجل من أصحاب الرضا عليه السلام فعاده فقال له: كيف تجدك؟ فقال: لقيت الموت بعدك - يريد شدّه المرض - فقال: إنّما الناس رجلان:

مستريح بالموت و مستراح به منه، فجدد الإيمان بالله و بالنبوّه و بالولاية تكن مستريحا ففعل الرجل ذلك.

و قيل للجواد عليه السلام: ما بال هؤلاء المسلمين يكرهون الموت؟ قال: لأنهم جهلوه فكرهوه و لو عرفوه - و كانوا من أولياء الله حقًا - لأحبّوه و لعلموا ان الآخره خير لهم من الدنيا. ثم قال عليه السلام: ما بال الصبى أو المجنون يمتنع من الدواء المنقى لبدنه و النافى الألم عنه. فقالوا، لجهلهم بنفع الدواء. فقال: و الذى بعث محمداً بالحق إنّ من قد استعدّ للموت حق الاستعداد هو أنفع له من هذا الدواء لهذا المتعالج، أما لو عرفوا ما يؤدى إليه الموت من النعيم لاستدعوه أشدّ مما يستدعى العاقل الحازم الدواء لرفع الآفات و اجتلاب السلامة.

و دخل الهادى عليه السلام على مريض من أصحابه و هو يبكى من الموت فقال له: تخاف من الموت لأنك لا تعرفه، أ رأيتك لو تقدّرت و اتّسخت من كثره الوسخ و القذر عليك و أصابك قروح و جرب و علمت أن الغسل فى الحمام يزيل ذلك عنك أما تريد أن تدخله فتزيل ذلك كلّه عنه؟ قال: بلى. قال: فذلك الموت هو ذلك الحمام و هو آخر ما بقى عليك من تمحيص ذنوبك، فإذا أنت وردت عليه

فقد نجوت من كل هم و غم و أذى و وصلت إلى كل فرح و سرور، فسكن الرجل و نشط و استسلم و غمض عين نفسه و مضى لسييله.

و سئل الحسن العسكري عليه السلام عن الموت ما هو، فقال: التصديق بما يكون، ان أبى حدثنى عن أبيه عن جدّه عن الصادق عليه السلام قال: ان المؤمن إذا مات لم يكن ميتا و ان الكافر هو الميت، ان الله عز و جل يقول «يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَ يُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ» (١) يعنى المؤمن من الكافر و الكافر من المؤمن.

و جاء رجل إلى النبى صلّى الله عليه و آله و سلّم فقال: ما لى لا أحب الموت. فقال: أ لك مال؟ قال: نعم. قال: قد قدمته؟ قال: لا. قال: فمن ثم لا تحب الموت.

و قال رجل لأبى ذر: ما بالننا نكره الموت، فقال: لأنكم عمّرتم الدنيا و خزّبتم الآخرة فتكروهون أن تنتقلوا من العمران إلى الخراب. فقيل له: فكيف ترى قدومنا على الله؟ قال: أمّا المحسن فكالغائب يقدم على أهله، و أمّا المسىء فكالآبق يقدم على مولاه. قيل: فكيف حالنا عند الله؟ فقال: أعرضوا أعمالكم على كتاب الله، إن الله عز و جل يقول: «إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ وَإِنَّ الْفُجَّارَ لَفِي جَحِيمٍ» (٢) قال الرجل: فأين رحمه الله؟ قال: «إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِنَ الْمُحْسِنِينَ» (٣).

«فمن أقرب إلى الجنة من عاملها» «و أمّا من خاف مقام ربه و نهى النفس عن الهوى فإن الجنة هي المأوى» (٤)، «تلك الجنة التي نُورثُ من عبادنا من»

ص: ٢٢

[١-١] يونس: ٣١. [١]

[٢-٢] الانفطار: ١٤. [٢]

[٣-٣] الاعتقادات: ١٤-١٨. و [٣] الآية ٥٦ من سورة الأعراف. [٤]

[٤-٤] النازعات: ٤٠-٤١. [٥]

«كَانَ تَقِيًّا» (١)، «ادْخُلُوا الْجَنَّةَ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ» (٢).

و مَرَّ فِي رِوَايَةِ الثَّقَفِيِّ ذَكَرَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ لِقَوْلِهِ تَعَالَى: «الَّذِينَ تَتَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ طَيِّبِينَ يَقُولُونَ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ ادْخُلُوا الْجَنَّةَ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ» (٣).

«وَمَنْ أَقْرَبَ إِلَى النَّارِ مِنْ عَامِلِهَا» «فَأَمَّا مَنْ طَغَى وَآثَرَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا فَإِنَّ الْجَحِيمَ هِيَ الْمَأْوَى» (٤)، «وَمَنْ يَعِصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَأِنَّ لَهُ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا» (٥).

و مَرَّ فِي رِوَايَةِ الثَّقَفِيِّ ذَكَرَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ لِقَوْلِهِ تَعَالَى «الَّذِينَ تَتَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ فَأَلْقَوْا السَّلَامَ مَا كُنَّا نَعْمَلُ مِنْ سُوءٍ بَلَى إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ فَاذْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا فَلَبِئْسَ مَثْوَى الْمُتَكَبِّرِينَ» (٦).

«وَأَنْتُمْ طُرْدَاءٌ» جَمَعَ طَرِيدًا، قَالَ الْجَوْهَرِيُّ الطَّرْدُ الْإِبْعَادُ، تَقُولُ طَرَدْتَهُ فَذَهَبَ، وَ لَا يُقَالُ مِنْهُ انْفَعَلَ وَ افْتَعَلَ إِلَّا فِي لُغَةِ رَدِيئِهِ، وَ الرَّجُلُ مَطْرُودٌ وَ طَرِيدٌ (٧).

(الموت ان أقمتم له أخذكم و ان فررتم منه أدرككم) قال تعالى «أَيْنَمَا تَكُونُوا يُدْرِكُكُمُ الْمَوْتُ وَ لَوْ كُنتُمْ فِي بُرُوجٍ مُشِيدَةٍ» (٨)، «قُلْ إِنَّ الْمَوْتَ الَّذِي تَتَّقُونَ مِنْهُ فَإِنَّهُ مُلَاقِيكُمْ ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَى عَالِمِ الْغَيْبِ وَ الشَّهَادَةِ فَيُبَيِّنُكُمْ»

ص: ٢٣

[١- ١] مريم: ٦٣. [١]

[٢- ٢] النحل: ٣٢. [٢]

[٣- ٣] النحل: ٣٢. [٣]

[٤- ٤] النازعات: ٣٩. [٤]

[٥- ٥] الجن: ٢٣. [٥]

[٦- ٦] الغارات ٢٣٧: ١. و [٦] الآيات ٢٨-٢٩ من سورة النحل. [٧]

[٧- ٧] جوهرى ٥٠١: ٢. [٨]

[٨- ٨] النساء: ٧٨. [٩]

«بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ» (١).

«و هو أُلزم لكم من ظلكم» في (الكافي): ان ملكا كان له عند الله منزله عظيمه فتعبت عليه فأهبطه من السماء إلى الأرض فأتى إدریس عليه السلام فقال: ان لك من الله منزله فاشفع لی عند ربك. فصلی ثلاث لیل لا یفتر و صام أيامها لا یفطر، ثم طلب إلى الله تعالى فی السحر فی الملك، فقال له الملك: إئتک قد أعطیت سؤلک و قد أطلق جناحی و أنا أحب أن أكافئک فاطلب إلى حاجه. فقال: ترینی ملک الموت لعلی آنس به فإنه لیس یهنا مع ذکره شیء، فبسط جناحه ثم قال:

اركب! فصعد به يطلب ملك الموت في السماء الدنيا فقليل له: اصعد، فاستقبله بين السماء الرابعة و الخامسة، فقال الملك يا ملك الموت ما لي أراك قاطبا. قال:

العجب أني تحت ظل العرش فأمرت أن أقبض روح آدمي في السماء الرابعة و الخامسة، فسمع إدریس عليه السلام ذلك فامتعض فخرّ من جناح الملك فقبض روحه مكانه، و قال عز و جل: «و رَفَعْنَاهُ مَكَانًا عَلِيًّا» (٢).

«الموت معقود بنواصيكم» في (اللّهوف): لما عزم الحسين عليه السلام على الشخصوص إلى العراق من مكّه قام خطيبا فقال: خطّ الموت على ولد آدم مخطّ القلاده على جيد الفتاه (٣).

«و الدنيا تطوى من خلفكم» «مَثَلُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَا أَنْزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ فَأَصْبَحَ هَشِيمًا تَذْرُوهُ الرِّيحُ» (٤).

«فاحذروا ناراً قعرها بعيد و حرّها شديد» و زاد في روايه الثقفي

ص: ٢٤

[١- ١] الجمعة: ٨. [١]

[٢- ٢] الكافي ٣: ٢٥٧ ح ٢٦. و [٢] الآية ٥٧ من سورة مريم. [٣]

[٣- ٣] اللّهوف: ٢٦. [٤]

[٤- ٤] الكهف: ٤٥. [٥]

«و شراها صديد» (١).

«و عذابها جديد» «كَلِمًا نَضَّ جَثَّ جُلُودَهُمْ بَدَلْنَاَهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا الْعَذَابَ» (٢)، «و نَحْشُرُهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَى وُجُوهِهِمْ عُمِيًّا وَ بُكْمًا وَ صُمًّا مَا وَهَمُ جَهَنَّمَ كَلِمًا حَبَّتْ زِدْنَاهُمْ سَعِيرًا» (٣).

و زاد في روايه الثقفي «و مقامها حديد» (٤).

«دار ليس فيها رحمه» «وَ أَعْتَدْنَا لِمَنْ كَذَّبَ بِالسَّاعَةِ سَعِيرًا إِذَا رَأَتْهُمْ مِنْ مَكَانٍ بَعِيدٍ سَمِعُوا لَهَا تَغَيُّظًا وَ زَفِيرًا وَ إِذَا أَلْقُوا مِنْهَا مَكَانًا ضَيِّقًا مُقَرَّنِينَ دَعَوْا هُنَالِكَ ثُبُورًا لَا تَدْعُوا الْيَوْمَ ثُبُورًا وَاحِدًا وَ ادْعُوا ثُبُورًا كَثِيرًا» (٥).

«و لا تسمع فيها دعوه» «وَ نَادَوْا يَا مَالِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ قَالَ إِنَّكُمْ مَا كُنْتُمْ» (٦).

«و لا- تفرج فيها كربه» «وَ قَالَ الَّذِينَ فِي النَّارِ لِخَزَنَتِهِ جَهَنَّمَ ادْعُوا رَبَّكُمْ يُخَفِّفْ عَلَيْنَا يَوْمًا مِنَ الْعَذَابِ قَالُوا أَوْ لَمْ تَكُ تَأْتِيكُمْ رُسُلُكُمْ بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا بَلَى قَالُوا فَادْعُوا وَ مَا دُعَاءُ الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ» (٧)، «رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْهَا فَإِنْ عُدْنَا فَإِنَّا ظَالِمُونَ قَالَ اخْسَوْا فِيهَا وَ لَا تَكَلِّمُونِ» (٨).

«و إن استطعتم أن يشتد خوفكم من الله و أن يحسن ظنكم به فاجمعوا بينهما، فإن العبد إنما يكون حسن ظنه بربه على قدر خوفه من ربه، و إن أحسن الناس ظنا

ص: ٢٥

١-١ (١) الغارات ١:٢٤١. [١]

٢-٢ (٢) النساء: ٥٦. [٢]

٣-٣ (٣) الاسراء: ٩٧. [٣]

٤-٤ (٤) الغارات ١:٢٤١. [٤]

٥-٥ (٥) الفرقان: ١١ و ١٤. [٥]

٦-٦ (٦) الزخرف: ٧٧. [٦]

٧-٧ (٧) غافر: ٤٩-٥٠. [٧]

٨-٨ (٨) المؤمنون: ١٠٧-١٠٨. [٨]

باللّه أشدّهم خوفاً لله .

فى (الكافى) عن الصادق عليه السّلام كان فى وصيه لقمان الأعاجيب، و كان أعجب ما فىها أن قال لابنه: خف الله خيفة لو جئته ببرّ الثّقيلين لعذبك، و ارج الله رجاء لو جئته بذنوب الثّقيلين لرحمك، ثم قال عليه السّلام كان أبى يقول: ليس من عبد مؤمن إلّا و فى قلبه نوران نور خيفه، و نور رجاء، لو وزن هذا لم يزد على هذا.

و عنه عليه السّلام: ارج الله رجاء لا يجزّئك على معاصيك، و خف الله خوفاً لا يؤيسك من رحمته» (١).

و قال ابن أبى الحديد: قال على بن الحسين عليه السّلام: لو أنزل الله تعالى كتاباً أنّه معذب رجلاً واحداً رجوت أن أكونه أو أنّه راحم رجلاً واحداً رجوت أن أكونه، أو أنّه معذبى لا محاله ما ازددت إلّا اجتهاداً لئلا أرجع إلى نفسى بلائمه (٢).

«و أعلم يا محمّد بن أبى بكر! أنّى قد وليتكم أعظم أجنادى» كلّ مدينة يحصل منها عسكر هى جند.

«فى نفسى أهل مصر» فكانت أعظم مدينة بيده عليه السّلام.

«فأنت محقوق» أى: خليق.

«أن تخالف على نفسك» قال يوسف الصديق: «إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّي» (٣).

«و أن تنافح» أى: تنافس عن دينك .

«و لو لم يكن لك إلّا ساعه من الدهر» فى الولاية، و لقد فعل رحمه الله

ص: ٢٦

١-١ (١) الكافى ٢:٦٧ ح ١. [١]

٢-٢ (٢) شرح ابن أبى الحديد ١٦٧:١٥. [٢]

٣-٣ (٣) يوسف: ٥٣. [٣]

ما أمره فجاهد حتى قتل.

و في (الطبرى) -بعد أسره بيد العدو- قال له معاوية بن حديج: أ تدرى ما أصنع بك؟ أدخلك في جوف حمار ثم أحرقه عليك بالنار. فقال له محمد: إن فعلتم بى ذلك فطال ما فعل ذلك بأولياء الله، و إنى لأرجو هذه النار التى تحرقنى بها أن يجعلها الله على بردا و سلا ما كما جعلها على خليله إبراهيم، و أن يجعلها عليك و على أوليائك كما جعلها على نمرود و أوليائه، ان الله يحرقك و من ذكرته قبل -يعنى عثمان- و امامك -يعنى معاوية- و هذا- و أشار إلى عمرو بن العاص -بنار تلظى عليكم كلما خبت زادها الله سعيرا. قال له معاوية بن حديج: انى انما اقتلك بعثمان. قال له محمد: و ما أنت و عثمان، ان عثمان عمل بالجور و نبذ حكم القرآن و قد قال تعالى «وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ» فنقمنا ذلك عليه فقتلناه، و حسنت أنت له ذلك و نظراؤك فقد برأنا الله من ذنبه و أنت شريكه فى إثمه و عظم ذنبه و جاعلك على مثاله، فغضب معاوية ابن حديج فقدمه فقتله ثم ألقاه فى جيفه حمار ثم أحرقه بالنار (1).

«و لا تسخط الله برضا أحد من خلقه فان فى الله خلفا من غيره و ليس من الله خلف فى غيره» فى (العقد): قال ابن هبيرة للحسن البصرى -و عنده الشعبى -:

ما ترى فى كتب تأتينا من عند يزيد بن عبد الملك فيها بعض ما فيها فان أنفذتها وافقت سخط الله و ان لم أنفذها خشيت على دمي؟ فقال له: هذا الشعبى فقيه الحجاز عندك، فسأله فقال: قارب و سدد فانما أنت عبد مأمور. فالتفت ابن هبيرة إلى الحسن و قال له: أنت ما تقول. قال: ابن هبيرة خف الله فى يزيد و لا - تخف يزيد فى الله، يا ابن هبيرة ان الله مانعك من يزيد و ان يزيد لا يمنعك من

ص: ٢٧

اللّه، يا ابن هيبه لا طاعه لمخلوق فى معصيه الخالق، فانظر ما كتب اليك يزيد فاعرضه على كتاب الله فما وافقه فأنفذه و ما خالفه فلا تنفذه، فان الله أولى بك من يزيد و كتاب الله أولى بك من كتابه. فضرب ابن هيبه يده على كتف الحسن و قال: هذا الشيخ صدقنى و ربّ الكعبه (١).

٥

الكتاب (٧٢)

و من كتاب له عليه السلام إلى عبد الله بن العباس:

أَمَّا بَعْدُ فَإِنَّكَ لَسْتَ بِسَابِقِ أَجْلِكَ - وَ لَا مَرْزُوقٍ مَا لَيْسَ لَكَ - وَ اعْلَمْ بِأَنَّ الدَّهْرَ يَوْمَانِ - يَوْمٌ لَكَ وَ يَوْمٌ عَلَيْكَ - وَ أَنَّ الدُّنْيَا دَارٌ دُولٌ - فَمَا كَانَ مِنْهَا لَكَ أَتَاكَ عَلَى ضَعْفِكَ - وَ مَا كَانَ مِنْهَا عَلَيْكَ لَمْ تَدْفَعْهُ بِقُوَّتِكَ «أما بعد فإنك لست بسابق أجلك» حتى يتخلف عنك، قال تعالى: «وَلِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ فَإِذَا جَاءَ أَجْلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَ لَا يَسْتَقْدِمُونَ» (٢).

«و لا مرزوق ما ليس لك» «أ هم يقسمون رحمت ربك نحن قسمنا بينهم معيشتهم فى الحياة الدنيا و رفعنا بعضهم فوق بعض درجات ليأخذ بعضهم بعضاً سُخْرِيًّا» (٣).

«و اعلم بأن الدهر يومان: يوم لك و يوم عليك» ملكا كنت أم سوقه.

«و ان الدنيا دار دول» «و تلك الأيام نداولها بين الناس» (٤).

«فما كان منها لك أتاكَ على ضعفك» لأنه لا مانع لما أعطى.

«و ما كان منها عليك لم تدفعه بقوتك» «وَ إِنْ يَمْسَسْكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ»

ص: ٢٨

١-١ (١) العقد الفريد: [١]

٢-٢ (٢) الاعراف: ٣٤. [٢]

٣-٣ (٣) الزخرف: ٣٢. [٣]

٤-٤ (٤) آل عمران: ١٤٠. [٤]

«لَهُ إِلَّا هُوَ وَإِنْ يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَادَّ لِفَضْلِهِ يُصِيبُ بِهِ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَهُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ» (١).

و في (اليتيمه) قال الميكالي:

تق الله لا الأعداء و اعلم يقينا بأن الذي لم يقضه لن يصيبكا

و حظك لا يعدوك ان كان قاعدا و إنك تعدوا حين تعدو نصيبكا

٦

الكتاب (٧٦)

و من وصيه له عليه السلام لعبد الله بن العباس عند استخلافه إياه على البصره:

سَعِ النَّاسَ بِوَجْهِكَ وَ مَجْلِسِكَ وَ حُكْمِكَ - وَ إِيَّاكَ وَ الْغَضَبَ فَإِنَّهُ طَيْرَةٌ مِنَ الشَّيْطَانِ - وَ اعْلَمْ أَنَّ مَا قَرَّبَكَ مِنَ اللَّهِ يُبَاعِدُكَ مِنَ النَّارِ - وَ مَا بَاعَدَكَ مِنَ اللَّهِ يُقَرِّبُكَ مِنَ النَّارِ أَقُولُ: رواها ابن قتيبه في (خلفائه ابن قتيبه - الإمامه و السياسه - ج ١ ص ٨٥) فقال: ذكروا أَنَّ عَلِيًّا عَلَيْهِ السَّلَامُ لما سار من البصره بعد فراغه من الجمل استعمل عليها ابن عباس و قال له: أوصيك بتقوى الله عزّ و جل و العدل على من ولاك الله أمره. سع الناس بوجهك و علمك و حلمك، و إِيَّاكَ و الإِحْنَ فَإِنَّهَا تَمِيتُ الْقَلْبَ وَ الْحَقَّ، وَ اعْلَمْ أَنَّ مَا قَرَّبَكَ مِنَ اللَّهِ بَعَدَكَ مِنَ النَّارِ، وَ مَا قَرَّبَكَ مِنَ النَّارِ بَعَدَكَ مِنَ الْجَنَّةِ، اذْكَرَ اللَّهُ كَثِيرًا وَ لَا تَكُنْ مِنَ الْغَافِلِينَ (٢).

قول المصنّف: (و من وصيه له عليه السلام لعبد الله بن العباس عند استخلافه إياه على البصره) قد عرفت أنه كان بعد الجمل عند شخوصه إلى الكوفه.

ص: ٢٩

[١-١] يونس: ١٠٧. [١]

[٢-٢] الامامه و السياسه ٨٥: ١. [٢]

قوله عليه السّلام: «سع الناس بوجهك و مجلسك و حكمك» لأنّه من عدل الواليّ الواجب عليه أو من كرائم أخلاقه المندوب إليها.

و قال النبي صلّى الله عليه و آله و سلّم لبني عبد المطلب: إنكم لن تسعوا الناس بأموالكم، فسعوهم بأخلاقكم (١).

و كان النبي صلّى الله عليه و آله و سلّم يساوي بين أهل مجلسه في النظر إليهم.

«و إياك و الغضب فإنّه طيره» أي: خفّه يريد أن يطير بها، قال العماني:

و أحلم عن طيراته كلّ ساعه إذا ما أتاني مغضبا يتهدّم

و الطيره في مقابل الحلم، قال الكمي:

و حلمك عزّ إذا ما حلمت و طيرتك الصّاب و الحنظل

«من الشيطان» في (الكافي) عن الباقر عليه السّلام: إنّ هذا الغضب جمره من الشيطان توقد في قلب ابن آدم، و إنّ أحدكم إذا غضب احمرّت عيناه و انتفخت أوداجه و دخل الشيطان فيه، فإذا خاف أحدكم ذلك من نفسه فليزّم الأرض فإنّ رجس الشيطان يذهب عند ذلك.

و عن الصادق عليه السّلام في (التوراه): يا ابن آدم! اذكرني حين تغضب أذكرك حين غضبي فلا- أمحكك فيمن أمحق، و إذا ظلمت بمظلمه فارض بانتصاري لك فإنّ انتصاري لك خير من انتصارك لنفسك.

و عنه عليه السّلام قال رجل للنبي صلّى الله عليه و آله و سلّم: علمني. قال: اذهب و لا- تغضب. فقال الرجل قد اكتفيت بذلك، فمضى إلى أهله فإذا بين قومه حرب قاموا صفوفًا لابسي السّلاح، فلمّا رأى ذلك لبس سلاحه و قام معهم ثم ذكر قول النبي صلّى الله عليه و آله و سلّم لا تغضب، فرمى السلاح ثم مشى إلى قوم عدوّ قومه فقال: يا هؤلاء! ما كانت لكم من جراحه أو قتل أو ضرب فعلى في مالي. فقالوا: نحن أولى بذلك فما

ص: ٣٠

(١-١) اخرجه الحاكم في المستدرک، و أبو نعيم في حليه الأولياء، عن الجامع الصغير ١:١٠١، و النقل بتصرّف في اللفظ.

كان فهو لك، فاصطلحوا فذهب العصب (١).

«و اعلم أنّ ما قرّبك إلى الله» و هو طاعته و طاعه رسوله.

«يباعدك من النار» و يدخلك الجنة قال تعالى: «وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ» (٢).

«و ما باعدك من الله» و هو عصيانه و عصيان رسوله.

«يقربك من النار» «وَمَنْ يَعِصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُ يُدْخِلْهُ نَارًا خَالِدًا فِيهَا وَلَهُ عَذَابٌ مُهِينٌ» (٣).



الكتاب (٦٩)

و من كتاب له عليه السلام إلى الحارث الهمداني:

و تَمَسِّكَ بِحَبْلِ؟ الْقُرْآنِ؟ وَ اسْتَنْصَحُهُ- وَ أَجَلَ حَلَالَهُ وَ حَرَّمَ حَرَامَهُ- وَ صَدَّقَ بِمَا سَلَفَ مِنَ الْحَقِّ- وَ اعْتَبَرَ بِمَا مَضَى مِنَ الدُّنْيَا لِمَا بَقِيَ مِنْهَا- فَإِنَّ بَعْضَهَا يُشَبِّهُ بَعْضًا- وَ آخِرَهَا لِأَحَقِّ بِأَوْلِهَا- وَ كُلُّهَا حَائِلٌ مُفَارِقٌ- وَ عَظُمَ اسْمُ اللَّهِ أَنْ تَذْكُرَهُ إِلَّا عَلَى حَقٍّ- وَ أَكْثَرُ ذِكْرِ الْمَيُوتِ وَ مَا بَعِيدِ الْمَيُوتِ- وَ لَا- تَتَمَنَّ الْمَيُوتَ إِلَّا بِشَرْطٍ وَثِيقٍ- وَ اخْتِذْ كُلَّ عَمَلٍ يَرْضَاهُ صَاحِبُهُ لِنَفْسِهِ- وَ يُكْرَهُ لِعِيَامِهِ الْمُسْلِمِينَ- وَ اخْتِذْ كُلَّ عَمَلٍ يُعْمَلُ بِهِ فِي السِّرِّ- وَ يُسْتَحَى مِنْهُ فِي الْعَلَانِيَةِ- وَ اخْتِذْ كُلَّ عَمَلٍ إِذَا سُئِلَ عَنْهُ صَاحِبُهُ أَنْكَرَهُ وَ اعْتَدَرَ مِنْهُ- وَ لَا تَجْعَلْ عِرْضَكَ غَرَضًا لِبَيَالِ الْقَوْلِ- وَ لَا تُحَدِّثِ النَّاسَ بِكُلِّ مَا سَمِعْتَ بِهِ- فَكَفَى بِذَلِكَ كَذِبًا- وَ لَا تَتَرَدَّدْ عَلَى النَّاسِ كُلِّ مَا حَدَّثُوكَ بِهِ- فَكَفَى بِذَلِكَ

ص: ٣١

١- (١) الكافي ٣: ٣٠٤ ح ١٠-١٢. [١]

٢- (٢) النساء: ١٣. [٢]

٣- (٣) النساء: ١٤. [٣]

جَهْلًا- وَ اكْظِمِ الْغَيْظَ وَ تَجَاوَزْ عِنْدَ الْمَقْدَرِ وَ احْلَمْ عِنْدَ الْغَضَبِ- وَ اضْفَحْ مَعَ الدَّوْلَةِ تَكُنْ لَكَ الْعَاقِبَةُ- وَ اسْتَضِيحْ كُلَّ نِعْمَةٍ أَنْعَمَهَا اللَّهُ عَلَيْكَ- وَ لَا- تُضَيِّعَنَّ نِعْمَةً مِنْ نِعَمِ اللَّهِ عِنْدَكَ- وَ لِيُرِّ عَلَيْكَ أَثْرٌ مَا أَنْعَمَ اللَّهُ بِهِ عَلَيْكَ- وَ اعْلَمْ أَنَّ أَفْضَلَ الْمُؤْمِنِينَ- أَفْضَلُهُمْ تَقْدِمَةً مِنْ نَفْسِهِ وَ أَهْلِهِ وَ مَالِهِ- فَإِنَّكَ مَا تَقْدِمُ مِنْ خَيْرٍ يَبْقَى لَكَ ذُخْرُهُ- وَ مَا تُوَخَّرُهُ يَكُنْ لِغَيْرِكَ خَيْرُهُ- وَ اخْذِرْ صَاحِبَهُ مَنْ يَفِيلُ رَأْيَهُ- وَ يُنْكَرُ عَمَلَهُ فَإِنَّ الصَّاحِبَ مُعْتَبَرٌ بِصَاحِبِهِ- وَ اسْتَكِنِ الْأَمْصَارَ الْعِظَامَ فَإِنَّهَا جَمَاعُ الْمُسْلِمِينَ- وَ اخْذِرْ مَنَازِلَ الْغَفْلَةِ وَ الْجَفَاءِ- وَ قَلَّ الْمَاعُونَ عَلَى طَاعَةِ اللَّهِ- وَ اقْصِرْ رَأْيَكَ عَلَى مَا يَغْنِيكَ- وَ إِيَّاكَ وَ مَقَاعِدَ الْمَسَاقِ- فَإِنَّهَا مَحَاضِرُ الشَّيْطَانِ وَ مَعَارِيضُ الْفِتَنِ- وَ أَكْثَرُ أَنْ تَنْظُرَ إِلَى مَنٍ فَضَلْتَ عَلَيْهِ- فَإِنَّ ذَلِكَ مِنْ أَبْوَابِ الشُّكْرِ- وَ لَا- تُسَيِّفْ فِي يَوْمِ جُمُعَةٍ حَتَّى تَشْهَدَ الصَّلَاةَ- إِلَّا فَاصَةً لَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَوْ فِي أَمْرٍ تُعْذِرُ بِهِ- وَ أَطِعِ اللَّهَ فِي جَمِيعِ أُمُورِكَ- فَإِنَّ طَاعَةَ اللَّهِ فَاضِلَةٌ عَلَى مَا سِوَاهَا- وَ خَادِعٌ نَفْسَكَ وَ ارْتُقَى بِهَا وَ لَا تَقْهَرُهَا- وَ خُذْ عَفْوَهَا وَ نَشَاطَهَا- إِلَّا مَا كَانَ مَكْتُوبًا عَلَيْكَ مِنَ الْفَرِيضَةِ- فَإِنَّهُ لَا بُدَّ مِنْ قَضَائِهَا وَ تَعَاهُدِهَا عِنْدَ مَحَلِّهَا- وَ إِيَّاكَ أَنْ يَنْزِلَ بِحُكِّ الْمَوْتِ- وَ أَنْتَ آبِقٌ مِنْ رَبِّكَ فِي طَلَبِ الدُّنْيَا- وَ إِيَّاكَ وَ مُصِيبَةَ الْفُسَاقِ- فَإِنَّ الشَّرَّ بِالشَّرِّ مُلْحَقٌ- وَ وَقِّرِ اللَّهَ وَ أَحْبِبْ أَحْبَابَهُ- وَ اخْذِرِ الْغَضَبَ فَإِنَّهُ جُنْدٌ عَظِيمٌ مِنْ جُنُودِ إِبْلِيسَ؟- وَ السَّلَامُ أَقُولُ: وَ نَقَلَ رِوَايَتَهُ عَنِ الْأَمْدِيِّ فِي (غُرَرِ الْأَمْدِيِّ- غُرَرِ الْحِكْمِ- الْغُرَرُ لِلْخَوَانَسَارِيِّ ج ٣ ص ٣١٣) مَعَ اخْتِلَافٍ يَسِيرٍ فِي بَعْضِ الْفِقَرَاتِ (١).

قول المصنّف: (إلى الحارث الهمداني) فإنه- كما في (ذيل الطبري)-

ص: ٣٢

الحارث بن عبد الله بن كعب بن أسد بن يخلد بن حوث بن سيع بن صعب بن معاوية بن كثير بن مالك بن جشم بن حاشد بن جشم بن خيوان بن نوف بن همدان.

قال الطبري: كان من متقدمي أصحاب علي عليه السلام في الفقه و العلم بالفرائض و الحساب، قال الشعبي: تعلمت منه الفرائض و الحساب، مات أيام ابن الزبير (١).

و روى (أمالى المفيد): مسندا عن الأصمغ قال: دخل الحارث الهمداني في نفر من الشيعة و كنت فيهم، فجعل الحارث يتأود في مشيته و يخبط الأرض بمحجنه- و كان مريضا- فأقبل عليه أمير المؤمنين عليه السلام- و كانت له منه منزلة- فقال: كيف تجدك يا حارث؟ فقال: نال الدهر مني- إلى أن قال- فقال عليه السلام له: أبشرك يا حارث! تعرفني عند الممات و عند الصراط و عند الحوض و عند المقاسمه. قال الحارث: و ما المقاسمه؟ قال: مقاسمه النار، أقاسمها قسمه صحيحه، أقول هذا وليي فاتركيه و هذا عدوي فخذيه (٢).

و روى الكشي عن الشعبي قال: سمعت الحرث الأعور و هو يقول: أتيت أمير المؤمنين عليه السلام ذات ليله فقال: يا أعور! ما جاء بك؟ قلت: جاء بي و الله حبك.

فقال: أما إنني سأحدثك لتشكرها، أما إنه لا يموت عبد يحبني فتخرج نفسه حتى يراني حيث يحب، و لا يموت عبد يبغضني فتخرج نفسه حتى يراني حيث يكره. ثم قال الشعبي بعد روايته: أما إن حبه لا ينفعه و بغضه لا يضره (٣).

ص: ٣٣

١-١ (١) ذيل المذيل: ١٤٦.

١-٢ (٢) أمالي المفيد: ٣ ح ٣ المجلس ١.

١-٣ (٣) رجال الكشي: ٨٨ ح ١٤٢. [١]

قوله عليه السّلام «و تمسك بحبل القرآن» فالقرآن أحد الحبلين اللّذين أمر الناس التمسك بهما حتى لا يضلّوا و الآخر هو أهل بيته عليهم السّلام.

روى أحمد بن حنبل في (مسنده) عن أبي سعيد الخدري قال: قال النبي صلّى الله عليه و آله و سلّم إنّي قد تركت فيكم الثقلين، أحدهما أكبر من الآخر: كتاب الله جبل ممدود ما بين السماء إلى الأرض، و عترتي أهل بيتي، ألا و إنهما لن يفترقا حتى يردا عليّ الحوض (١).

و عن زيد بن ثابت عن النبي صلّى الله عليه و آله و سلّم قال: إنّي تارك فيكم خليفتين: كتاب الله جبل ممدود ما بين السماء إلى الأرض، و عترتي أهل بيتي، و إنهما لن يفترقا حتى يردا عليّ الحوض (٢).

و رواه الثعلبي في (تفسيره) في قوله تعالى: «وَ اعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعاً وَ لَا تَفَرَّقُوا» (٣) و فيه: انى تارك فيكم الثقلين خليفتين ان أخذتم بهما لن تضلوا بعدى أحدهما أكبر من الآخر... (٤).

و روى الحميدى في (الجمع بين الصحيحين) من مسند زيد بن أرقم من عده طرق قال زيد: قام النبي صلّى الله عليه و آله و سلّم فينا خطيباً بماء يدعى خمّا بين مكّه و المدينه فقال: أيّها الناس! إنّما أنا بشر يوشك أن يأتيني رسول ربّي فأجيب، و أنا تارك فيكم الثقلين أولهما كتاب الله فيه الهدى و النور فخذوا بكتاب الله و استمسكوا به، فحثّ على كتاب الله و رغب فيه ثم قال: و أهل بيتي، أذكركم الله في أهل بيتي. و رواه مسلم في (صحيحه) مع زيادات (٥).

ص: ٣٤

١-١) حديث أبي سعيد أخرجه أحمد في مسنده ٥٩، ٢٦، ١٧، ١٤، ٣، [١]

٢-٢) و حديث زيد بن ثابت أخرجه في مسنده ١٨٧-٥: ١٨٩.

٣-٣) آل عمران: ١٠٣. [٢]

٤-٤) الطرائف ١٢٢: ١٦٠، [٣] عن الثعلبي.

٥-٥) صحيح مسلم ١٨٧٣: ٤-١٨٧٤ ح ٣٦-٣٧، الطرائف ١٢٢: ١ ح ١٨٦. [٤]

ثم معنى قول النبي: «إن أهل بيته والقرآن لن يفترقا» أن غيرهم يفترقون عن القرآن و يقطعون حبله كما فصلوا وصله عترته.

وقال أبو عبد الله عليه السلام فيما أخبر عن الملاحم: لا والله لا يرجع الأمر والخلافه إلى آل أبي بكر وعمر أبدا ولا إلى بنى أمية أبدا ولا في ولد طلحه والزبير أبدا، وذلك انهم نبذوا القرآن و أبطلوا السنن و عطلوا الأحكام.

«و استنصحه» هكذا في (المصريه) و الصواب: «و انتصحه» كما في (ابن أبي الحديد و ابن ميثم) (1) (و الخطيه)، أي: عده و اعتقده نصيحا لك.

قال الزهري قال علي بن الحسين عليه السلام: لو مت بين المشرق و المغرب لما استوحشت بعد أن يكون القرآن معي. كان عليه السلام إذا قرأ «مالِكِ يَوْمِ الدِّينِ» (2) يكررها حتى كاد أن يموت.

«و أحل حلاله و حرّم حرامه» و لا تحلل حرامه و لا تحرم حلاله، قال تعالى «وَلَا تَقُولُوا لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ الْكَذِبَ هَذَا حَلَالٌ وَ هَذَا حَرَامٌ لَتَفْتَرُوا عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ» (3).

«و صدق بما سلف من الحق» من كتبه و رسله، قال تعالى في كتابه في موضعين «و لَكِنْ تَصَدِّقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ» (4) و في موضع «مُصَدِّقُ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ» (5) و في رسوله «ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَكُمْ» (6)، و قال تعالى في قوم «و يُرِيدُونَ أَنْ يُفَرِّقُوا بَيْنَ اللَّهِ وَ رُسُلِهِ وَ يَقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَ نَكْفُرُ بِبَعْضٍ»

ص: ٣٥

١-١) شرح ابن أبي الحديد ٤٣: ١٨، [١] شرح ابن ميثم ٢١٩: ٥.

٢-٢) الفاتحه: ٤. [٢]

٣-٣) النحل: ١١٦. [٣]

٤-٤) يوسف: ١١١. [٤]

٥-٥) الانعام: ٩٢. [٥]

٦-٦) آل عمران: ٨١. [٦]

«بِعِضٍ وَ يُرِيدُونَ أَنْ يَتَّخِذُوا بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلًا أُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ حَقًّا» (١).

وقال ابن أبي الحديد أى: صدق بما فى القرآن من أيام الله فى الامم السالفه... (٢) وهو كما ترى.

«و اعتبر بما مضى من الدنيا لما بقى منها» فى (وزراء الجهشياري): وجد فى ثنى مصلى الفضل بن يحيى لما نقل من محبس إلى آخر رقعته فيها:

لو لم تكن هذه الدنيا لها دول بين البريه بالآفات و العطب

إذن صفت لاناس قبلنا و بهم كانت تليق ذوى الأخطار و الحسب

و لم ننلها و فيما قد ذكرت أسى و عبره لذوى الألباب و الأدب

«فإن بعضها يشبه بعضا و آخرها لاحق بأولها و كلها حائل مفارق» فى الخبر عن أبى جعفر عليه السلام: ينادى مناد كل يوم: يا ابن آدم لد للموت و اجمع للفناء و ابن للخراب (٣).

و عن أبى عبد الله عليه السلام: جاء جبرئيل إلى النبى صلى الله عليه و آله و سلم فقال: عش يا محمّد ما شئت فإنك ميت، و أحبب من شئت فإنك مفارقه، و اعمل ما شئت فإنك لاقيه.

وقال ابن أبي الحديد: قال عليه السلام فى غير هذا الفصل: الماضى للمقيم عبره، و الميّت للحى عظه، و ليس لأمس عوده، و لا المرء من غد على ثقته، الأوّل للأوسط رائد، و الأوسط للأخير قائد، و كلّ بكلّ لاحق، و الكلّ للكلّ مفارق (٤).

«و عظم اسم الله أن تذكره إلا على حق» عن أبى عبد الله عليه السلام: من أجلّ الله أن يحلف به أعطاه خيرا ممّا ذهب عنه.

و عنه عليه السلام اجتمع الحواريون إلى عيسى فقالوا: يا معلّم الخير! أرشدنا.

ص: ٣٦

[١-١] (١) النساء: ١٥٠-١٥١. [١]

[٢-٢] (٢) شرح ابن أبى الحديد ١٨:٤٣. [٢]

[٣-٣] (٣) الكافى ٢:١٣١ ح ١٤. [٣]

[٤-٤] (٤) شرح ابن أبى الحديد ١٨:٤٤. [٤]

فقال لهم: إن موسى نبي الله أمركم ألا تحلفوا بالله كاذبين و أنا أمركم ألا تحلفوا بالله كاذبين و لا صادقين.

و عنه عليه السلام: من حلف بالله كاذبا فقد كفر، و من حلف بالله صادقا أثم، إن الله عزّ و جلّ يقول: «و لا تَجْعَلُوا اللَّهَ عُرْضَةً لِأَيْمَانِكُمْ» .

و عنه عليه السلام: من حلف على يمين و هو يعلم أنه كاذب فقد بارز الله، و من قال «علم الله ما لم يعلم» اهتزّ العرش إعظاما له.

و عنه عليه السلام قال النبي صلّى الله عليه و آله و سلّم إنّ لله ملكا رجلاه في الأرض السفلى مسيره خمسمائة عام و رأسه في السماء العليا مسيره ألف سنة يقول: «سبحانك سبحانك حيث كنت فما أعظمك» فيوحى تعالى إليه: ما يعلم ذلك من يحلف بي كاذبا.

و في كتاب علي عليه السلام: اليمين الكاذبه و قطيعه الرحم تذران الديار بلائع من أهلها و تنغل في الرحم -يعنى انقطاع النسل.

و عنه عليه السلام: إذا ادعى عليك مال و لم يكن له بينه فأراد أن يحلفك فإنّ بلغ مقداره ثلاثين درهما فأعطه و لا تحلف، و إن كان أكثر فاحلف و لا تعطه.

«و أكثر ذكر الموت و ما بعد الموت» حتّى تكون أظن الناس، و قال أبو عبيده الحذاء لأبي جعفر عليه السلام: حدثني بما انتفع به. فقال له: أكثر ذكر الموت فإنّه لم يكثر انسان ذكر الموت إلاّ زهد في الدنيا.

«و لا- تتمنّ الموت إلاّ- بشرط و ثيق» روى أنّ رجلا- جاء إلى الصادق عليه السلام فقال: قد سئمت الدنيا فأتمنّى على الله الموت. قال: تمنّ الحياه لتطيع لا لتعصى، فلئن تعيش فتطيع خير لك من أن تموت.

و الشرط الوثيق معلوميه كونه من الأبرار و من أولياء الله تعالى، قال

عَزَّ وَجَلَّ «وَمَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ لِلْأَبْرَارِ» (١) وقال لليهود المدَّعين كونهم من أولياء الله «فَتَمَنَّوْا الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ» (٢) وقد حكى تمنى كثير من أوليائه تعالى و موتهم عقيب تمنىهم .

«و احذر كلَّ عمل يرضاه صاحبه لنفسه و يكرهه» هكذا فى النسخ (٣) و الظاهر كونه محرف «و يكرهه».

«لعامة المسلمين، و احذر كلَّ عمل يعمل به فى السر و يستحى منه فى العلانية» من القبائح لا ما ورد أصله سراً كالمناكح (٤).

«و احذر كلَّ عمل إذا سئل عنه صاحبه أنكره و اعتذر منه» قال ابن أبى الحديد: الثلاثة التى أمر عليه السلام بالحذر منها متقاربه فى المعنى، و يشملها معنى قول الشاعر:

لا تنه عن خلق و تأتى مثله عار عليك إذا فعلت عظيم

و قال تعالى حاكيا عن أحد أنبيائه: «وَمَا أُرِيدُ أَنْ أُخَالِفَكُمْ إِلَىٰ مَا أَنْهَاكُمْ عَنْهُ» (٥)، و من كلام الجنيد: ليكن عملك من وراء سترك كعملك من وراء الزجاج الصافى. و فى المثل «إِيَّاكَ و ما يعتذر منه» (٦).

قلت: بل البيت و الآية فى معنى الأول، و كلام الجنيد فى معنى الثانى، و المثل فى معنى الثالث، لا أن كلاً منها يشمل الجميع.

«و لا تجعل عرضك غرضاً» أى: هدفاً.

ص: ٣٨

١- ١) آل عمران: ١٩٨. [١]

٢- ٢) البقرة: ٩٤. [٢]

٣- ٣) شرح ابن ميثم ٥: ٢١٩. [٣]

٤- ٤) شرح ابن أبى الحديد ١٨: ٤١. [٤]

٥- ٥) هود: ٨٨. [٥]

٦- ٦) شرح ابن أبى الحديد ١٨: ٤٤-٤٥. [٦]

«لنبال القول» أى: سهام أقوالهم، قال الشاعر:

مقاله السوء إلى أهلها أسرع من منحدر سائل

و من دعا الناس إلى ذمّه ذمّوه بالحقّ و بالباطل

أيضا:

لا تستثر أبدا ما لا تقوم له و لا تهيجنّ من عرينه الأسدا

إن الزنابير إذا حرّكتها سفها عن كورها أوجعت من لسعها الجسدا

فى (سنن أبى داود) عن السجّاد عليه السّلام قالت صفيه: كان النبى صلّى الله عليه و آله معتكفا فأتيته أزوره ليلا فحدثته ثم قمت فانقلبت فقام معى ليقبني- و كان مسكنها فى دار اسامه-فمر رجلا من الأنصار فلما رأى النبى صلّى الله عليه و آله و سلّم أسرعا فقال: على رسلكما أنّها صفيه بنت حى. قال: سبحان الله يا رسول الله! قال: إنّ الشيطان يجرى من الإنسان مجرى الدّم فخشيت أن يقذف فى قلوبكما شيئا.

«و لا تحدّث الناس بكل ما سمعت به» بأن تقول لهم الأمر الفلانى كذا و كذا استنادا إلى سماعك.

«فكفى بذلك كذبا» لأنّ أكثر ما يسمع الإنسان كذب و حينئذ فالواجب ألاّ يحدّث إلاّ بما رأى بعينه أو كرؤيه العين من السماع عن الثقه.

و هذا نظير قوله عليه السّلام فى موضع آخر: «بين الحق و الباطل أربع أصابع» و أراد بالحق ما رآه بعينه و بالباطل ما سمعه باذنه.

و قال ابن أبى الحديد: قد نهى عليه السّلام أن يحدّث الإنسان بكلّ ما رأى من العجائب، فضلا عمّا سمع، لأنّ الحديث الغريب المعجب تسارع النفس إلى تكذيبه، و إلى أن تقوم الدلالة على صدقه قد فرط من سوء الظن فيه ما فرط،

ص: ٣٩

و يقال إنّ بعض العلويّ قال في حضره عضد الدوله بيغداد: عندنا في الكوفه نبق، وزن كلّ نبقه مثقالان، فاستظرف الملك ذلك و كاد يكذّبه الحاضرون، فلمّا قام ذكر ذلك لأبيه، فأرسل حماما كان عنده في الحال إلى الكوفه يأمر و كلاءه بإرسال مئه حمام في رجلى كلّ واحد نبتان من ذلك النبق، فجاء النبق في بكره الغد و حمل إلى عضد الدوله، فاستحسنه و صدّقه، ثم قال له:

لعمرى لقد صدقت، و لكن لا تحدّث فيما بعد بكل ما رأيت من الغرائب، فليس كلّ وقت يتهيأ لك إرسال الحمام (١).

قلت: هو كما ترى، فكلامه عليه السّلام أنّه لا يجوز للإنسان أن يحدث بجميع مسموعاته ممّا لا شاهد لصدقه لأن أكثرها كذب فإذا حدث كذب، و ما قاله شيء آخر و هو أنّه لا ينبغي للعاقل أن يحدث بكل ما رأى من الغرائب مخافه أن يكذّبه الناس مع صدقه فيحصل له استصغار كما هو مفاد تحديث العلوى.

«و لا تردّ على الناس كلّ ما حدّثوك به» و لو كان غريبا ففي مخلوقاته تعالى عجائب.

«فكفى بذلك جهلا» ففي العالم أشياء لم ترها أصلا فكيف تنكر وجودها بعدم رؤيتك، و إنّما قال عليه السّلام لا تردّ كلّ ما حدّثوك لأنّ من الأمور أمورا ممكنه و منها أمورا ممتنعه قد قام البرهان على استحالتها، فيجوز لك ردّ الممتنع دون الممكن كما في ردّ حضار مجلس العضد لكلام العلوى الممكن .

«و اكظم الغيظ» قال ابن أبي الحديد: روى أنّ عبدا لموسى بن جعفر عليه السّلام قدّم إليه صحفه فيها طعام حارّ، فعجل فصّبها على رأسه و وجهه، فغضب، فقال العبد: «وَ الْكَاطِمِينَ الْغَيْظَ» (٢) قال: قد كظمت، قال «وَ الْعَافِينَ عَنِ»

ص: ٤٠

١-١) شرح ابن أبي الحديد ٤٥:٤٥-٤٦. [١]

٢-٢) آل عمران: ١٣٤. [٢]

«الناس» (١). قال: قد عفوت. قال: «وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ» (٢). قال: أنت حرّ لوجه الله، وقد نحلّتك ضيعتي الفلانيه (٣).

قلت: وروى المفيد في (إرشاده): أنّ رجلا من أهل بيت علي بن الحسين عليه السّلام وقف عليه فأسمعه و شتمه فلم يكلمه، فلما انصرف قال لجلسائه: لقد سمعتم ما قال هذا الرجل و أنا أحبّ أن تبلغوا معي إليه حتّى تسمعوا منّي ردّي عليه. فقالوا له: نفعل، و لقد كنّا نحبّ أن تقول له و نقول، فأخذ نعليه و مشى و هو يقول: «وَالْكَاطِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ» (٤)، فعلموا انه لا يقول له شيئا، فلما أتى بابه قال: قولوا: له هذا علي بن الحسين، فخرج متوثبا للشرّ و هو لا يشكّ أنّه إنّما جاء مكافئا له على بعض ما كان له، فقال عليه السّلام له: يا أخي! كنت قد وقفت على آنفا و قلت و قلت، فإن كنت قلت ما فيّ، فأستغفر الله منه، و إن كنت قلت ما ليس فيّ فغفر الله لك. فقبل الرجل بين عينيه و قال: بل قلت فيك ما ليس فيك و أنا أحقّ به. قال الراوى: و الرجل هو الحسن بن الحسن (٥).

«و تجاوز عند المقدره، و احلم عند الغضب» هكذا في (المصريه) و الصواب:

(و احلم عند الغضب و تجاوز عند المقدره) كما في (ابن أبي الحديد) (٦) و (ابن ميثم) (٧) و (الخطيه).

في (تاريخ يعقوبى): قال رجل لأمير المؤمنين عليه السّلام: أوصنى. فقال له:

ص: ٤١

١-١ (١) آل عمران: ١٣٤. [١]

٢-٢ (٢) آل عمران: ١٣٤. [٢]

٣-٣ (٣) شرح ابن أبي الحديد ١٨:٤٦. [٣]

٤-٤ (٤) آل عمران: ١٣٤. [٤]

٥-٥ (٥) الإرشاد: ٢٥٧. [٥]

٦-٦ (٦) شرح ابن أبي الحديد ١٨:٤٦. [٦]

٧-٧ (٧) شرح ابن ميثم ٥:٢٢٠. [٧]

أوصيك بتقوى الله و اجتناب الغضب و ترك الأمانى،و أن تحافظ على ساعتين من نهار من طلوع الفجر إلى طلوع الشمس و من العصر إلى غروبها،و لا تفرح بما علمت و لكن بما عملت فيهما (١).

«و اصفح مع الدوله» أى:الغلبه،قال تعالى: «وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ» (٢)أى:مرّه لهؤلاء و مرّه لهؤلاء،و قال الشاعر:

استدل الايام و الدهر دول

«تكن لك العاقبه» فى (ذيل الطبرى):قال سالم مولى أبى جعفر:كان هشام بن اسماعيل يؤذى على بن الحسين عليه السلام و أهل بيته،يخطب على المنبر و ينال من على،فلما ولى الوليد بن عبد الملك عزله،و أمر به أن يوقف للناس - كان هشام يقول لا و الله ما كان أحد من الناس أهمّ إلى من على بن الحسين، كنت أقول رجل صالح يسمع قوله -فوقف للناس،فجمع على بن الحسين ولده و حامته،و نهاهم عن التعرّض له،و غدا عليه السلام ما را لحاجه،فما عرض له،فناداه هشام «اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ» (٣).

و قال ابن أبى الحديد:قوله:«اصفح مع الدوله»هذه كانت شيمه النبى صلّى الله عليه و آله و سلّم و شيمه على،أما النبى فظفر بمشركى قريش و عفا عنهم،و أما على فظفر بأصحاب الجمل و قد شقّوا عصا الاسلام عليه،و طعنوا فيه و فى خلافته،فعفا عنهم مع علمه بأنهم يفسدون عليه أمره فيما بعد، و يصيرون إلى معاويه إمّا بأنفسهم أو بآرائهم و مكتوباتهم،و هذا أعظم من الصفح عن أهل مكه لأنّ أهل مكّه لم يبق لهم لمّا فتحت فنه يتحيزون

ص:٤٢

١-١ (١) تاريخ يعقوبى ٢:٢٠٩. [١]

٢-٢ (٢) آل عمران:١٤٠. [٢]

٣-٣ (٣) ذيل المذيل:١٢٠.و الآيه ١٢٤ من سوره الأنعام. [٣]

إليها، و يفسدون الدين عندها (١).

«و استصلح كل نعمه أنعمها الله عليك» لأنه تعالى يسلب نعمته إذا أفسدها العبد «إِنَّ اللَّهَ لَا يُعَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُعَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ» (٢).

«و لا تضيعن نعمه من نعم الله عندك» فمن ضيع نعمته تعالى فسلبت عنه ثم دعا لعودها كان من طوائف لا يستجيب دعاءهم. و يمكن أن يراد بتضييع النعمة أن لا يتمتع هو منها و لا يمتع الناس منها، كمن عنده فاكهه فلا يأكلها و لا يعطيها غيره حتى تفسد فيكون من المفسدين.

«و لير عليك أثر ما أنعم الله به عليك» فإن كتمانها كفران يوجب السلب، و لا يرتضى هذه الخلة المخلوق فكيف الخالق.

قال أبو هلال العسكري في (ديوان معانيه): قال ابن قتيبة: أراد جعفر حاجه كان طريقه إليها على باب الأصمعي، فدفع إلى خادم له ألف دينار و قال:

إني سأنزل في رجعتي إلى الأصمعي ثم يحدثني و يضحكني فإذا ضحكت فضع الكيس بين يديه فلما رجع دخل عليه فرأى حبا مكسور الرأس و جره مكسوره العنق و قصعه مشعبه و جفنه أعشار، و رآه على مصلى بال و عليه بركان أجرد، فغمز غلامه ألا يضع الكيس بين يديه، فلم يدع الأصمعي شيئا مما يضحك الثكلان و الغضبان إلا أوردته عليه فما تبسم، ثم خرج فقال لرجل يسايره: من استرعى الذئب ظلم، و من زرع سبখে حصد الفقر، إني و الله لو علمت أن هذا يكتم المعروف بالفعل ما حفلت له بنشره له باللسان، و أين يقع مديح اللسان من آثار الإنسان، إن اللسان قد يكذب و الحال لا يكذب،

ص: ٤٣

١-١ (١) شرح ابن أبي الحديد ٤٧: ١٨. [١]

٢-٢ (٢) الرعد: ١١. [٢]

و لله در نصيب حيث يقول:

فعاوجوا فأثنوا بالذى أنت أهله و لو سكتوا أثنت عليك الحقائق

ثم قال: أما علمت ان طاق أبرويز أمدح لأبرويز من شعر زهير لآل سنان (١).

«و اعلم أن أفضل المؤمنين أفضلهم تقدمه من نفسه و أهله و ماله» قال تعالى:

«وَقَدَّمُوا لِنَفْسِكُمْ وَ اتَّقُوا اللَّهَ وَ اعْلَمُوا أَنَّكُمْ مُلَاقُوهُ وَ بَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ» (٢)، «و لَتَنْظُرَ نَفْسٌ مَا قَدَّمَتْ لِغَدٍ» (٣)، «إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَ أَمْوَالَهُمْ بِأَنْ لَهُمُ الْجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَ يُقْتَلُونَ وَ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْرَةِ وَ الْإِنْجِيلِ وَ الْقُرْآنِ وَ مَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ فَاسْتَبْشِرُوا بِنَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُمْ بِهِ وَ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ» (٤).

و في (مقاتل أبي الفرج): قال العباس بن علي يوم الطف لأخيه من أبيه و امه عبد الله بن علي: تقدم بين يدي حتى أراك قتيلا و أحسبك (٥).

و في (الطبري): قال عابس بن شبيب الشاكري لشوذب مولى شاكر يوم الطف: ما في نفسك أن تصنع؟ قال: اقاتل معك دون ابن بنت رسول الله حتى اقتل. قال: ذلك الظن بك، فتقدم بين يدي أبي عبد الله عليه السلام حتى يحسبك كما احتسب غيرك من أصحابه و حتى أحسبك أنا، فإنه لو كان معي الساعه أحد أنا أولى به مني بك لسرني أن يتقدم بين يدي حتى أحسبه، فإن هذا يوم ينبغي أن نطلب الأجر فيه بكل ما قدرنا عليه، فإنه لا عمل

ص: ٤٤

١- ١) ديوان المعاني [١] لأبي هلال العسكري

٢- ٢) البقره: ٢٢٣. [٢]

٣- ٣) الحشر: ١٨. [٣]

٤- ٤) التوبه: ١١١. [٤]

٥- ٥) مقاتل الطالبين: ٥٤. [٥]

بعد اليوم و إنما هو الحساب (١).

«فإنك» هكذا في (المصريه) و الصواب: (و إنك) كما في (ابن أبي الحديد) (٢) و (ابن ميثم) (٣) و (الخطيه).

«ما تقدّم من خير يبقى لك ذخره» «و ما تُقدّموا لأنفسِكُم من خيرٍ تجدوه عند الله هو خيراً و أعظم أجراً» (٤).

«و ما تؤخره يكن لغيرك خيره» و لذا قيل: إن الناس مال غيرهم أحب إليهم من مالهم لأنه ليس مالهم إلا ما قدّموه و أنفقوه في سبيله تعالى، و أمّا ما ادّخروه فهو مال ورثتهم.

«و احذر صحابه من يفيل» أى: يضعف.

«رأيه» قال جرير:

رأيتك يا أخيطل إذ جرينا و جرّبت الفراسه كنت فالاً

«و ينكر عمله فإنّ الصاحب معتبر بصاحبه» قال الصادق عليه السّلام: لا تصحبوا أهل البدع و لا تجالسوهم فتصيروا عند الناس كواحد منهم.

قال النبي صلّى الله عليه و آله و سلّم: المرء على دين خليله و قرينه، و قال ابن أبي الحديد (٥):

قال طرفه:

عن المرء لا تسأل و سل عن قرينه فكلّ قرين بالمقارن يقتدى

«و اسكن الأمصار العظام فإنّها جماع» بالضم و التشديد، أى: الاخلاط و الإشابه، قال أبو قبيس بن الأسلت:

ص: ٤٥

١-١ (١) تاريخ الطبرى ٤٤٣:٥. [١]

٢-٢ (٢) شرح ابن أبي الحديد ١٨:٤١. [٢]

٣-٣ (٣) شرح ابن ميثم ٥:٢٢٠. [٣]

٤-٤ (٤) المزمّل: ٢٠. [٤]

٥-٥ (٥) شرح ابن أبي الحديد ١٨:٤٨. [٥]

ثم تجلّت و لنا غايه من بين جمع غير جماع

و جماع الثريا كواكبها المجتمعه، قال ذو الرّمه:

و نهب كجماع الثريا حويته بأجرد محتوت الصفاقين خيفق

«المسلمين» و لأنّ فيها كلّ ما يحتاج إليه.

«و احذر منازل الغفله و الجفاء و قلّه الأعوان على طاعه الله» و لذا يكون التعرّب بعد الهجره كبيره، و كانت الهجره قبل الفتح فريضه .

«و اقصر» أى:أحصر.

«رأيك على ما يعينك» أى:يهتمك و إلا فمن تابع الفضول فاتته الاصول.

«و إياك و مقاعد الأسواق فإنّها محاضر» أى:أمكنه حضور.

«الشیطان و معارض» أى:مواضع عروض.

«الفتن» عن أبى جعفر عليه السّلام:جاء أعرابى من بنى عامر إلى النّبىّ صلّى الله عليه و آله و سلّم فسأله عن خير بقاع الأرض و شرّ بقاع الأرض.فقال صلّى الله عليه و آله و سلّم:إنّ خير بقاع الأرض المساجد و أحبّ أهلها إلى الله أوّلهم دخولا و آخرهم خروجاً،و إنّ شرّ بقاع الأرض الأسواق و هى ميدان ابليس يغدو برايته و يضع كرسيه و بيتّ ذرّيته فيبين مطّفّ فى قفيز أو طائش فى ميزان، أو سارق فى ذرع أو كاذب فى سلعه،فلا يزال مع أوّل من يدخل و آخر من يخرج.

«و أكثر أن تنظر إلى من فضّلت عليه فإنّ ذلك من أبواب الشّكر» يمكن أن يراد بإكثار النظر إلى المفضّل عليه التفكّر فى نعمه الله عليك بتفضيلك فتشكره تعالى على ذلك،و يمكن أن يراد به إكثار مساعدته ليكون شكرا لنعمته تعالى عليه.

و فى (وزراء الجهشياري):قال ابن المعتمر:كنت أسير مع يحيى

البرمكى و هو بين ابنيه الفضل و جعفر، فإذا ابن طرخان واقف على الطريق، فنادانى فاستشرفت له فقال:

صحبت البرامك عشرا ولاء و بيتى كراء و خبزى شراء

فسمعه يحيى فالتفت إلى ابنيه فقال: أف لهذا العقل فلان ممن يحاسب، فلما كان من الغد جاء ابن طرخان فقلت له: ويحك ما هذا الذى عرضت له نفسك بالأمس. فقال: اسكت ما هو إلا أن انصرفت إلى منزلى حتى جاءنى من قبل الفضل بدره و من قبل جعفر بدره، و وهب لى كل واحد منهما دارا و أجرى لى من مطبخه ما يكفينى.

و كان يحيى يقول: ما وقع غبار مركبى على لحيه رجل قط إلا أوجبت له على نفسى حفظه و ألزمتها حقه .

«و لا تسافر فى يوم جمعه حتى تشهد الصلاة» «إذا نُودِيَ لِلصَّلَاةِ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ» (١) و قبل النداء إذا سافر فوّت على نفسه فضلا كثيرا.

«إلا فاصلا فى سبيل الله» فى الجهاد الواجب.

«أو فى أمر تعذر به» من السفر الاضطرارى .

«و اطع الله فى جميع» هكذا فى (المصريه) و الصواب: (فى جمل) كما فى (ابن أبى الحديد) (٢) و (ابن ميثم) (٣) و (الخطيه).

«أمورك فإن طاعه الله فاضله على ما سواها» «و من يطع الله و رسوله فقد فاز فوزا عظيما» (٤)، «و من يطع الله و الرسول فأولئك مع الذين أنعم الله عليهم»

ص: ٤٧

١- ١) الجمعة: ١٠. [١]

٢- ٢) شرح ابن أبى الحديد ٤٢: ١٨. [٢]

٣- ٣) شرح ابن ميثم الاحزاب ٢٢٠: ٥.

٤- ٤) (٤): ٧١.

«مِنَ النَّبِيِّينَ وَ الصَّادِقِينَ وَ الشَّهِيدَاءِ وَ الصَّالِحِينَ وَ حَسَنَ أَوْلِيكَ رَفِيقًا» (١)، «وَ مَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَ رَسُولَهُ وَ يَخْشَى اللَّهَ وَ يَتَّقِهِ فَأَوْلِيكَ هُمُ الْفَائِزُونَ» (٢)، «وَ مَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَ رَسُولَهُ يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ» (٣).

«و خادع نفسك فى العباده» روى (إرشاد المفيد) عن سعد بن كلثوم قال:

كنت عند جعفر بن محمد عليه السّلام فذكر علينا فقال: و الله ما أكل من الدنيا حراما قطّ حتّى مضى لسبيله، و ما عرض له أمران قطّ هما لله رضى إلا أخذ بأشدهما عليه فى دينه، و ما نزلت بالنبي صلّى الله عليه و آله نازله قطّ إلا دعاه ثقة به، و ما أطاق عمل النبي من هذه الأئمه غيره، و إن كان ليعمل عمل رجل كأنّ وجهه بين الجنّه و النار يرجو ثواب هذه و يخاف من عقاب هذه، و لقد أعتق من ماله مئه ألف مملوك فى طلب وجه الله و النجاه من النار ممّا كدّ بيده و رشح منه جبينه، و إن كان ليقوت أهله بالزيت و الخلّ و العجوه، و ما كان لباسه إلا الكرايس، إذا فضل شىء عن يده من كمه دعا بالجلم فقصّه.

و ما من أهل بيته أحد أقرب شبها به فى لباسه و فقهه من على بن الحسين عليه السّلام، و لقد دخل أبو جعفر ابنه عليه فإذا هو قد بلغ من العباده ما لم يبلغه، فرآه قد اصفرّ لونه من السهر و رمضت عيناه من البكاء، و دبرت جبهته و انخرم أنفه من السجود، و رمت ساقاه و قدماه من القيام فى الصلاه، فلم يملك نفسه من البكاء حين رآه بتلك الحال فبكى رحمه له و إذا هو يفكر، فالتفت إليه بعد هنيهه و قال له: يا بنى! اعطنى بعض تلك الصحف التى فيها عباده على

ص: ٤٨

١-١ (١) النساء: ٦٩. [١]

٢-٢ (٢) النور: ٥٢. [٢]

٣-٣ (٣) النساء: ١٣. [٣]

بن ابى طالب، فأعطاه فقرأ فيها شيئاً يسيراً ثم تركها من يده تضرّجاً و قال:

من يقوى على عباده على عليه السّلام (١).

و روى (أمالى الشيخ): أن فاطمه بنت على عليه السّلام لما نظرت إلى ما يفعل ابن أخيها على بن الحسين بنفسه من الدأب فى العباده أتت جابر الأنصارى فقالت له: يا صاحب النبى! إن لنا عليكم حقوقاً. و منها إذا رأيتم أحدنا يهلك نفسه اجتهداً أن تذكروه الله و تدعوه إلى البقى على نفسه— و هذا على بن الحسين بقيه أخى الحسين قد انخرم أنفه و ثفنت جبهته و ركبتاه و راحتاه إذا با منه لنفسه فى العباده. فأتى جابر إليه عليه السّلام و قال له: أما علمت يا ابن رسول الله أن الله تعالى إنمّا خلق الجنه لكم و لمن أحبكم و خلق النار لمن أبغضكم و عاداكم، فما هذا الجهد الذى كلفته نفسك؟ فقال عليه السّلام: أما علمت يا صاحب النبى أن جدّى رسول الله قد غفر له ما تقدّم من ذنبه و ما تأخّر فلم يدع الاجتهاد له و تعيّد- بأبى هو و امى - حتى انتفخ الشاق و ورم القدم؟ و قيل له:

أ تفعل هذا و قد غفر الله لك ما تقدّم من ذنبك و ما تأخّر؟ قال: أ فلا أكون عبداً شكوراً؟ فلمّا رأى جابر أنه ليس يغنى فيه قوله قال له: يا ابن رسول الله! البقيا على نفسك فإنك من اسره بهم يستدفع البلاء و يستكشف اللأواء و بهم يستمطر السماء. فقال عليه السّلام له: يا جابر! لا أزال على منهاج أبوى صلوات الله عليهما مؤتسيا بهما حتى ألقاهما. فأقبل جابر على من حضر فقال لهم: و الله ما أرى فى أولاد الأنبياء بمثل على بن الحسين إلا يوسف بن يعقوب، و الله لذريّه على بن الحسين أفضل من ذريه يوسف بن يعقوب إذ منهم لمن يملأ الأرض عدلاً كما ملئت جوراً» (٢).

ص: ٤٩

١- (١) الإرشاد للمفيد: ٢٥٥-٢٥٦. [١]

٢- (٢) أمالى الطوسى ٢: ٢٤٩، المجلس ١٣. [٢]

«و ارفق بها و لا تقهرها، و خذ عفوها و نشاطها» فى (الكافى) عن النبى صلى الله عليه و آله و سلم:

إن هذا الدين متين فأوغلوا فيه برفق، و لا تكزوها عبادة الله إلى عباد الله فتكونوا كالراكب الممتب الذى لا سفرا قطع و لا ظهرا أبقى (١).

«إلا ما كان مكتوبا عليك من الفريضة فإنه لا بد من قضائها» أى: أدائها كقوله تعالى: «فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ» (٢).

«و تعاهدها عند محلها» أى: عند وقتها سواء كان لك نشاط أم لا بخلاف النافله.

وفى (الكافى) عن النبى صلى الله عليه و آله و سلم: إن للقلوب إقبالا و إدبارا، فإذا أقبلت فتنقلوا و إذا أدبرت فعليكم بالفريضة.

و روى أن أبا الحسن موسى عليه السلام كان إذا همّ ترك النافله (٣).

«و إياك أن ينزل بك الموت و أنت آبق من ربك فى طلب الدنيا» قيل لأبى ذر:

كيف ترى قدومنا على الله؟ قال: أما المحسن فكالغائب يقدم على أهله و أما المسىء فكالآبق يقدم على مولاه. قيل له: فكيف حالنا عند الله؟ قال: اعرضوا أعمالكم على كتاب الله إنه تعالى يقول: «إِنَّ الْأَثْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ وَ إِنَّ الْفُجَارَ لَفِي جَحِيمٍ» (٤). قيل له: فأين رحمه الله؟ قال: «إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِنَ الْمُحْسِنِينَ» (٥).

«و إياك و مصاحبه الفسّاق فإن الشرّ بالشرّ ملحق» روى (الكافى): أن الهادى عليه السلام قال للجعفرى: مالى رأيتك عند عبد الرحمن بن أبى يعقوب؟ فقال

ص: ٥٠

١- ١) الكافى ٢: ٨٦ ح ١. [١]

٢- ٢) الجمعة: ١٠. [٢]

٣- ٣) الكافى ٣: ٤٥٤ ح ١٥ و ١٦. [٣]

٤- ٤) الانفطار: ١٣-١٤. [٤]

٥- ٥) الاعراف: ٥٦. [٥]

له: إِنَّه خَالِي. فقال عليه السّلام: إِنَّه يقول في الله تعالى قولاً- عظيماً يصف الله تعالى و لا يوصف فأما جلست معه و تركتنا و إمّا جلست معنا و تركته. فقال الجعفرى:

هو يقول ما شاء، أى شىء علىّ منه إذا لم أقل بقوله؟ فقال: أما تخاف أن تنزل به نقمه فتصيبكم جميعاً؟ أما علمت الذى كان من أصحاب موسى عليه السّلام و كان أبوه من أصحاب فرعون، فلمّا لحق خيل فرعون موسى تخلف عنه ليعظ أباه فيلحقه بموسى، فمضى أبوه و هو يراغمه حتّى بلغا طرفاً من البحر فغرقا جميعاً و أتى موسى الخبر فقال: هو فى رحمته الله و لكنّ النّقمه إذا نزلت لم يكن لها عمّن قارب المذنب دفاع.

و روى عن محمّد بن مسلم قال: مرّ بى أبو جعفر عليه السّلام و أنا جالس عند قاض بالمدينه، فدخلت عليه من الغد فقال لى: ما مجلس رأيتك فيه أمس؟ قلت له: جعلت فداك! إنّ هذا القاضى لى مكرم فربّما جلست إليه. فقال لى: و ما يؤمنك أن تنزل اللعنه عليه فتعمّ من فى المجلس (١).

«و قر الله» فإنّه لازم الإيمان به و لازم المعرفه بعظمته و قدرته، قال نوح لقومه: «ما لكم لا تزجون لله وقاراً و قد خلقكم أطواراً» (٢).

«و أحب أحبائه» فى (الكافى) عن النبى صلّى الله عليه و آله و سلّم قال لأصحابه: أى عرى الإيمان أوثق؟ فقال بعضهم: الصلاه، و قال بعضهم: الزكاه، و قال بعضهم:

الصيام، و قال بعضهم: الحج و العمره، و قال بعضهم: الجهاد، فقال صلّى الله عليه و آله و سلّم: لكلّ ما قلتم فضل، و لكنّ أوثق عرى الإيمان بالله الحبّ فى الله، و البغض فى الله و توالى أوليائه و التبرّى من أعدائه.

و عنه صلّى الله عليه و آله و سلّم قال: ودّ المؤمن للمؤمن من أعظم شعب الإيمان، ألا و من

ص: ٥١

١- ١) الكافى ٣٧٤: ٢ ح ٢. [١]

٢- ٢) نوح: ١٣-١٤. [٢]

أحبّ في الله و أبغض في الله و أعطى في الله و منع في الله فهو من أصفياء الله.

و عن السجاد عليه السلام قال: إذا جمع الله الأولين و الآخرين قام مناد يسمع الناس فيقول: أين المتحابّون في الله؟ فيقوم عنق من الناس فيقال لهم: اذهبوا إلى الجنّة بغير حساب، فتلقّاهم الملائكة فتقول لهم: فأىّ ضرب أنتم من الناس؟ فيقولون: نحن المتحابّون في الله، فيقولون: أىّ شيء كانت أعمالكم؟ قالوا: كنّا نحبّ في الله و نبغض في الله، فيقولون لهم: نعم أجر العاملين (١).

«و احذر الغضب فإنّه جند عظيم من جنود إبليس» روى (الكافي): أنّ رجلاً بدويّاً أتى النبي صلّى الله عليه و آله و سلّم فقال: إنّي أسكن البادية فعلمنى جوامع الكلم. فقال: آمرك بالألّاّ تغضب، فأعاد عليه المسأله ثلاث مرّات حتّى رجع الرجل إلى نفسه فقال: لا أسأل عن شيء بعد هذا، ما أمرنى النبيّ إلاّ بالخير.

و كان أبى يقول: أىّ شيء أشدّ من الغضب؟! إنّ الرجل ليغضب فيقتل النفس التى حرّم الله و يقذف المحصنه.

و عن أبى جعفر عليه السلام: إنّ الرجل ليغضب فما يرضى أبدا حتّى يدخل النار، فأیما رجل غضب على قوم و هو قائم فليجلس من فوره ذلك فإنّه سيذهب عنه رجز الشيطان، و أيما رجل غضب على ذى رحم فليدن منه و ليمسه فإنّ الرّحم إذا مسّت سكنت (٢).

٨

أشاره

الخطبه (٢٢)

و من خطبه له ع أمّا بعدُ فإنّ الأمر ينزل من السماء إلى الأرض - كقطرات المطر إلى كلّ

ص: ٥٢

١- ١) الكافي ١٢٥: ٢- ١٢٦ ح ٣ و ٦ و [١] ٨ بتصرف فى بعض الألفاظ.

٢- ٢) الكافي ٣٠٢: ٢- ٣٠٣ ح ٢ و [٢]. ٤

نَفْسٍ بِمَا قَسَمَ لَهَا - مِنْ زِيَادِهِ أَوْ نُقْصَانٍ - فَإِذَا رَأَى أَحَدَكُمْ لِأَخِيهِ غَفِيرَةً - فِي أَهْلِ أَوْ مَالٍ أَوْ نَفْسٍ - فَلَا يَكُونَنَّ لَهُ فِتْنَةٌ - فَإِنَّ الْمَرْءَ الْمُسْلِمَ مَا لَمْ يَغْشَ دَنَاءَةً تَظْهَرُ - فَيَخْشَعُ لَهَا إِذَا ذُكِرَتْ وَ تُغْرَى بِهَا لِئَامُ النَّاسِ - كَانَ كَالْفَالِاحِ الْيَاسِرِ الَّذِي يَنْتَظِرُ أَوَّلَ فَوْزِهِ - مِنْ قِتَادِهِ تَوَجُّبٌ لَهُ الْمَغْنَمَ وَ يُرْفَعُ بِهَا عَنْهُ الْمَغْرَمُ - وَ كَذَلِكَ الْمَرْءُ الْمُسْلِمُ الْبَرِيُّ مِنَ الْخِيَانَةِ - يَنْتَظِرُ مِنَ اللَّهِ إِحْدَى الْحُسَيْنَيْنِ - إِمَّا دَاعِيَ اللَّهِ فَمَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ لَهُ - وَ إِمَّا رِزْقَ اللَّهِ فَإِذَا هُوَ ذُو أَهْلٍ وَ مِرَالٍ - وَ مَعَهُ دِينُهُ وَ حَسْبُهُ - إِنَّ الْمَالَ وَ الْبَنِينَ حَرْثُ الدُّنْيَا - وَ الْعَمَلُ الصَّالِحُ حَرْثُ الْآخِرَةِ - وَ قَدْ يَجْمَعُهُمَا اللَّهُ تَعَالَى لِأَقْوَامٍ - فَاحْذَرُوا مِنَ اللَّهِ مَا حَذَرَكُمْ مِنْ نَفْسِهِ - وَ اخْشَوْهُ خَشْيَةً لَيْسَتْ بِتَعْيِيدٍ - وَ اعْمَلُوا فِي غَيْرِ رِيَاءٍ وَ لَا سُمْعَةٍ - فَإِنَّهُ مَنْ يَعْمَلْ لِغَيْرِ اللَّهِ يَكُلْهُ اللَّهُ لِمَنْ عَمِلَ لَهُ - نَسَأَلُ اللَّهَ مَنَازِلَ الشُّهُدَاءِ وَ مُعَايِشَةَ السُّعْدَاءِ - وَ مُرَافَقَةَ الْأَنْبِيَاءِ - أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّهُ لَا يَسْتَغْنَى الرَّجُلُ - وَ إِنْ كَانَ ذَا مَالٍ عَنْ عَشِيرَتِهِ - وَ دَفَاعِهِمْ عَنْهُ بِأَيْدِيهِمْ وَ أَلْسِنَتِهِمْ - وَ هُمُ أَعْظَمُ النَّاسِ حَيْطَةً مِنْ وَرَائِهِ وَ أَلْمُهُمْ لِشِعْبِهِ - وَ أَعْظَفُهُمْ عَلَيْهِ عِنْدَ نَازِلِهِ إِنْ نَزَلَتْ بِهِ - وَ لَسِيَانُ الصِّدْقِ يَجْعَلُهُ اللَّهُ لِلْمَرْءِ فِي النَّاسِ - خَيْرٌ لَهُ مِنَ الْمَالِ يُورِثُهُ غَيْرُهُ - وَ مِنْهَا أَلَا لَا يَعْدِلَنَّ عَنِ الْقَرَابَةِ يَرَى بِهَا الْخِصَاصَةَ - أَنْ يَسُدَّهَا بِالَّذِي لَا يَزِيدُهُ إِنْ أَمْسَكَهُ - وَ لَا يَنْقُصُهُ إِنْ أَهْلَكَهُ - وَ مَنْ يَقْبِضْ يَدَهُ عَنْ عَشِيرَتِهِ - فَإِنَّمَا تُقْبِضُ مِنْهُ عَنْهُمْ يَدٌ وَاحِدَةٌ - وَ يَقْبِضُ مِنْهُمْ عَنْهُ أَيْدٍ كَثِيرَةٌ - وَ مَنْ تَلَّنَ حَاشِيَتَيْهِ يَسْتَيْدِمُ مِنْ قَوْمِهِ الْمَوَدَّةَ قَالَ الشَّرِيفُ: أَقُولُ: الْغَفِيرَةُ هُنَا الزِّيَادَةُ وَ الْكَثْرَةُ مِنْ قَوْلِهِمْ لِلْجَمِّ الْكَثِيرِ «الْجَمُّ الْغَفِيرُ وَ الْجَمِيَاءُ الْغَفِيرُ»، وَ يَرَوِي «عَفْوُهُ مِنْ أَهْلِ أَوْ

مال» والعفوه الخيار من الشيء، يقال: أكلت عفوه الطعام، أى خياره، وما أحسن المعنى الذى أرادته عليه السّلام بقوله «و من يقبض يده عن عشيرته» إلى تمام الكلام- فإنّ الممسك خيره عن عشيرته إنّما يمسك نفع يد واحده فإذا احتاج إلى نصرتهم واضطرّ إلى مرافدتهم قعدوا عن نصره و تناقلوا عن صروته، فمنع ترافد الأيدي الكثره و تناهض الأقدام الجّمّه .

و قال فى فصل غريب حديثه عليه السّلام بعد (٢٦٠) فى الثامن: «و من حديثه كالياسر الفالج ينتظر أوّل فورزه من قداحه» الياسرون هم الذين يتضاربون بالقداح على الجزور، و الفالج القاهر و الغالب، يقال:

فلج عليهم و فلجهم، قال الرّاجز:

لما رأيت فالجا قد فلجا

أقول: الثانى كما ترى جزء الأوّل فهو من المواضع التى قال: «و ربّما بعد العهد» بما اختير أوّلاً فأعيد بعضه سهواً و نسياناً، و روى الأوّل نصر بن مزاحم فى (صفينه نصر بن مزاحم - وقعه صفين - ص ١٠) و الدينورى فى (طوالة الدينورى - الاخبار الطوال - ص ١٥٢ و ١٥٣) و ابن قتيبه فى (خلفائه ابن قتيبه - الإمامه و السياسه - ج ١ ص ١١٤) و يعقوبى فى (تاريخه يعقوبى - تاريخ يعقوبى - ج ٢ ص ٢٠٧) و محمّد بن يعقوب فى (كافيه الكليني - الكافى - ج ٢ ص ١٥٤) بزياده و نقصان و اختلاف، و كذا ابن عساكر ابن عساكر - تاريخ دمشق - ج ٣ ص ٢٦٩ تا ٢٧١ ح ١٢٩١ و ١٢٩٢ فى ترجمته عليه السّلام بطريقتين عن يحيى بن معمر، و فى طريق الثانى سفيان بن عيينه و قال قال من يحسن أن يتكلم بهذا الكلام إلاّ على (١)؟! و روى الأوّل عن على بن الحسين عليه السّلام قال: خطبه على بن أبى طالب فى الجمعة بالكوفه و المدينه، أن الحمد لله أحمده و أستعينه و أستهديه، و أعوذ بالله من الضّلاله، من يهد الله فلا مضلّ له، و من يضلّ فلا هادى له، و أشهد ألاّ إله إلاّ الله وحده لا شريك له، و أنّ محمّدا عبده و رسوله، انتخبه لأمره و اختصّه

ص: ٥٤

بالنبوّه أكرم خلقه عليه و أحبهم إليه، فبلغ رساله ربّه و نصح لأمته و أدى الذى عليه و أوصيكم بتقوى الله، فإنّ تقوى الله خير ما توأصى به عباد الله و أقرب له لرضوان الله و خيره فى عواقب الامور عند الله، و بتقوى الله أمرتم و للاحسان و الطاعه خلقتم، فاحذروا من الله ما حذركم من نفسه، فإنّه حذر بأسا شديدا، و اخشوا الله خشيه ليست بتعذير، و اعملوا بغير رياء و لا سمعه، فإنّه من عمل لغير الله و كله الله إلى ما عمل له، و من عمل الله مخلصا تولى الله أجره، و أشفقوا من عذاب الله فإنّه لم يخلقكم عبثا و لم يترك شيئا من أمركم سدى، قد سمى آثاركم و علم أعمالكم و كتب آجالكم، فلا تغتروا بالدنيا فإنّها عزاره بأهلها مغرور من اغترّبها و إلى فناء ما هى، إنّ الآخره هى دار الحيوان لو كانوا يعلمون، أسأل الله منازل الشهداء و مرافقه الأنبياء و معيشه السعداء فانما نحن له و به (١).

و مثله الثانى إلا أنّه قال: و إنّ أول جمعه صلى بالكوفه خطب فقال... (٢).

و قال الثالث: ذكروا أن عليا عليه السلام قام خطيبا فقال: أيها الناس! ألا إنّ هذا القدر ينزل من السماء كقطر المطر على كلّ نفس بما كتب من زياده أو نقصان فى أهل أو مال، فمن أصابه نقصان فى أهل أو مال فلا يغش نفسه، ألا و إنّما المال حرث الدنيا و العمل الصالح حرث الآخره و قد يجمعهما الله لأقوام. و قد دخل فى هذا العسكر طمع من معاويه فضعوا عنكم همّ الدنيا بفراقها و شدّه ما اشتدّ منها برجاء ما بعدها، فإنّ نازعتكم أنفسكم إلى غير ذلك فردّوها إلى الصبر و وطنوها على العزاء، فو الله إنّ أرجى ما أرجوه الرزق من الله من حيث

ص: ٥٥

١- (١) وقعه صفين لنصر بن مزاحم: ١٠٠. [١]

٢- (٢) الأخبار الطوال: ١٥٢-١٥٣. [٢]

لا يحتسب، و قد فارقكم مصقله بن هبيرة فأثر الدنيا على الآخرة، و فارقكم بسر ابن أرتاه فأصبح ثقیل الظهر من الدماء مفتضح البطن من المال، و فارقكم زيد ابن عدی بن حاتم فأصبح لیسأل الرجعه، و أیم الله لو دت رجال مع معاویه أنهم معی فباعوا الدنيا بالآخرة، و لو دت رجال معی أنهم مع معاویه فباعوا الآخرة بالدنيا (١).

و ما فيه من فراق بسر عنه كمصقله و زيد غریب، فلم يذكر أحد أنه كان معه عليه السلام أولاً.

و قال أيضا- بعد ذكر بيعته عليه السلام- و ذكروا أن البيعه له عليه السلام لما تمت بالمدينة خرج إلى المسجد فصعد المنبر فحمد الله و أثنى عليه و وعد الناس خيرا ثم قال: لا- يستغنى الرجل و ان كان ذا مال و ولد عن عشيرته و دفاعهم عنه بأيديهم و ألسنتهم، هم أعظم الناس حيطه من ورائه و ألمهم لشعته و أعطفهم عليه إن أصابته مصيبه أو نزل به بعض مكاره الامور، و من يقبض يده عن عشيرته فإنه يقبض عنهم يدا واحده و تقبض عنه أيد كثيره، و من بسط يده بالمعروف ابتغاء وجه الله تعالى يخلف الله ما أنفق في دنياه و يضاعف له في آخرته.

و اعلّموا أنّ لسان صدق يجعله الله للمرء في الناس، خير له من المال، فلا يزدادنّ أحدكم كبرياء و لا عظمه في نفسه، و لا يغفل أحدكم عن القرابه أن يصلها بالذى لا يزيده إن أمسكه و لا ينقصه إن أهلكه.

و اعلّموا أنّ الدنيا قد أدبرت و الآخرة قد أقبلت. ألا و إنّ المضممار اليوم و السبق غدا، ألا و إنّ السبق الجنّه و الغايه النار، ألا إنّ الأمل يسهى القلب و يكذب الوعد و يأتي بغفله و يورث حسره فهو غرور و صاحبه في عناء،

ص: ٥٦

فأفزعوا إلى قوام دينكم وإتمام صلاتكم وأداء زكاتكم والنصيحة لإمامكم، وتعلموا كتاب الله وأصدقوا الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وأوفوا بالعهد إذا عاهدتم وأدوا الأمانات إذا ائتمتم وارغبوا ثواب الله وارهبوا عذابه واعملوا بالخير تجزوا بالخير يوم يفوز بالخير من قدم الخير (١).

وقال الرابع: خطب عليه السلام فتلا قوله عز وجل: «إِنَّا نَحْنُ نُحْيِي الْمَوْتَى وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا وَآثَارَهُمْ وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُّبِينٍ» (٢) ثم قال: إن هذا الأمر ينزل من السماء كقطر المطر إلى كل نفس بما كتب الله لها من نقصان في نفس أو أهل أو مال، فمن أصابه نقص في أهله وماله ورأى عند أخيه عفو فلا يكون ذلك عليه فتنه، فإن المرء المسلم ما لم يأت دناءه يخشع لها وذل إذا ذكرت وتغرى به لئام الناس كالياسر الفالج الذي ينتظر أول فوزه من قداحه يوجب له المغنم ويدفع عنه المغرم، كذلك المرء البريء من الخيانة والكذب يترقب كل يوم وليله إحدى الحسنين إما داعى الله فما عند الله خير له وإما فتحا من الله فإذا هو ذو أهل ومال ومع حسبه ودينه، المال والبنون حرث الدنيا والعمل الصالح حرث الآخرة وقد يجمعهما الله لأقوام (٣).

وروى الخامس مسندا عن الحسن قال: خطب عليه السلام فحمد الله وأثنى عليه وقال: أما بعد فإنه إنما هلك من كان قبلكم حيث ما عملوا من المعاصي ولم ينههم الربانيون والأخبار عن ذلك، وإنهم لم يمتدوا في المعاصي ولم ينههم الربانيون والأخبار عن ذلك نزلت بهم العقوبات، فأمروا بالمعروف وانهوا عن المنكر. واعلموا أن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لن يقربا

ص: ٥٧

١-١ (١) الإمامه والسياسة ٥٠:١-٥١. [١]

٢-٢ (٢) يس: ١٢. [٢]

٣-٣ (٣) تاريخ يعقوبى ٢٠٧:٢. [٣]

أجلا- ولن يقطعوا رزقا، إن الأمر ينزل من السماء إلى الأرض كقطر المطر إلى كل نفس بما قدر الله لها من زياده أو نقصان، فإن أصاب أحدكم مصيبه في أهل أو مال أو نفس و رأى عند أخيه غفيره في أهل أو مال أو نفس فلا يكونن له فتنه، فإن المرء المسلم لبرئ من الخيانه ما لم يغش دناءه تظهر فيخشع لها إذا ذكرت و يغرى بها لثام الناس، كان كالفالج الياسر الذي ينتظر أول فوزه من قداحه حتى توجب له المغنم و يدفع عنه بها المغرم، و كذلك المرء المسلم البريء من الخيانه ينتظر من الله إحدى الحسنين إمّا داعى الله فما عند الله خير له، و إمّا رزق الله فإذا هو ذو أهل و مال و معه دينه و حسبه، إن المال و البنين حرث الدنيا و العمل الصالح حرث الآخره و قد يجمعهما الله لأقوام، فاحذروا من الله ما حذركم من نفسه و اخشوه خشيه ليست بتعذير و اعملوا في غير رياء و لا- سمعه، فإنه من يعمل لغير الله يكله الله إلى من عمل له، نسأل الله منازل الشهداء و معاشه السعداء و مرافقه الأنبياء.

و عن أبى عبد الله عليه السلام قال: قال أمير المؤمنين: لن يرغب المرء عن عشيرته و إن كان ذا مال و ولد عن مودتهم و كرامتهم و دفاعهم بأيديهم و ألسنتهم، هم أشد الناس حيطه من ورائه و أعطفهم عليه و ألمهم لشعته ان أصابته مصيبه أو نزل به بعض مكاره الأمور، و من يقبض يده عن عشيرته فإنما يقبض عنهم يدا واحده و يقبض عنه منهم أيد كثيره، و من يلن حاشيته يعرف صديقه منه المودّه و من بسط يده بالمعروف إذا وجده يخلف الله له ما أنفق في دنياه و يضاعف له في آخرته، و لسان الصدق للمرء يجعله الله في الناس خيرا من المال يأكله و يورثه، و لا- يزدادن أحدكم كبرا و عظما في نفسه و نأيا عن عشيرته إن كان موسرا في المال، و لا يزدادن أحدكم في أخيه زهدا و لا منه بعدا إذا لم ير منه مروّه و كان معوزا في المال، لا يغفل أحدكم عن

القرابه بها الخصاصه أن يسدّها بما لا ينفعه إن أمسكه و لا يضّرّه إن استهلكه (١).

و ظهر لك ممّا نقلنا من المدارك و الأسانيد مع اختلافهما أنّ ما عنوانه المصنف جمع بين روايتين كما أنّه جمع بين موضوعين، فمن أوّله إلى قوله:

«و مرافقه الأنبياء» روايه و كانت الخطبه بعد صفّين، و من قوله بعده: «أيها الناس! إنّ لا يستغنى الرجل...» خطبه اخرى خطب عليه السيّلام بها أوّل بيعه الناس له، و لا- وجه لجمع المصنّف بينهما سوى ربط يسير بين قوله في الأولى: «فإذا رأى أحدكم لأخيه غفيره...» و قوله في الثانيه: «لا يستغنى الرجل و إن كان ذا مال عن عشيره...»، لكنّه كما ترى فالأول دستور للمسلم في سيرته مع المسلمين، و الثاني حتّى على صله الارحام.

و ممّا ذكرنا يظهر لك ما فى تكلف الخوئى للربط بينهما لعدم تفضّنه لكونهما كلامين كغيره ممّن سبقه من الشّراح، فقال عند قوله عليه السيّلام «أيها الناس» لما أشار إلى تأديب الفقراء بالنهى عن التعرض للأغنياء بما يوجب لهم ملكات السوء من الحسد و نحوه، أردف ذلك بتأديب الأغنياء و استدراجهم فى حقّ الفقراء ذوى الأرحام ... (٢).

«أما بعد فإنّ الأمر ينزل من السماء كقطرات...» هكذا فى (المصريه) و الصواب: «كقطر» كما فى (ابن أبى الحديد) (٣) و (ابن ميثم) (٤) و (الخطيه) بل و فى مداركه.

«المطر إلى كلّ نفس بما قسم لها من زياده و» هكذا فى (المصريه)

ص: ٥٩

١-١ (١) الكافى ١٥٤:٢. [١]

٢-٢ (٢) شرح الخوئى ٢٨٨:١ و ٣٩٦.

٣-٣ (٣) شرح ابن أبى الحديد ٣١٢:١. [٢]

٤-٤ (٤) شرح ابن ميثم ٢:٣. [٣]

و الصواب: (أو) كما في (ابن أبي الحديد) (١) و (ابن ميثم) (٢) و (الخطيب) بل و في مداركه.

«نقصان» قال تعالى: «وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعَايِشَ وَ مَنْ لَسِيْتُمْ لَهُ بَرَازِقِينَ وَ إِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا عِنْدَنَا خَزَائِنُهُ وَ مَا نُنزِّلُهُ إِلَّا بِقَدَرٍ مَعْلُومٍ» (٣)، «يَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ إِنْثَاءً وَ يَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ الذُّكُورَ أَوْ يُزَوِّجُهُمْ ذُكْرَانًا وَ إِنْثَاءً وَ يَجْعَلُ مَنْ يَشَاءُ عَقِيمًا» (٤)، «قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ وَ تَنْزِعُ الْمُلْكَ مِمَّنْ تَشَاءُ وَ تُعِزُّ مَنْ تَشَاءُ وَ تُدَلُّ مَنْ تَشَاءُ بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ تُوَلِّجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَ تُوَلِّجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَ تُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَ تُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَ تَرْزُقُ مَنْ تَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ» (٥)، «اللَّهُ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَ يَقْدِرُ» (٦).

«فإذا رأى أحدكم لأخيه غفيره» أي: كثره و زياده.

«في أهل أو مال أو نفس فلا تكونن» تلك الغفيره أو رؤيتها له.

«فتنه» بأن يحسده عليها فيهلكه الحسد لأن الحسد يأكل الإيمان كما تأكل النار الحطب، كما كانت تلك الغفيره لمن هي عنده فتنه هل يشكرها أم لا، قال تعالى لنبية: «وَلَا تَمِدَّنْ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْهُمْ زَهْرَةَ الدُّنْيَا لِنَفِثْنَهُمْ فِيهِ وَ رِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَ أَبْقَىٰ» (٧).

ص: ٦٠

[١-١] شرح ابن أبي الحديد ٣١٢:١. [١]

[٢-٢] شرح ابن ميثم ٢:٣. [٢]

[٣-٣] الحجر: ٢٠-٢٢. [٣]

[٤-٤] الشورى: ٤٩-٥٠. [٤]

[٥-٥] آل عمران: ٢٦-٢٧. [٥]

[٦-٦] الرعد: ٢٦. [٦]

[٧-٧] طه: ١٣١. [٧]

«فإنَّ المرءَ المسلمَ ما لم يغشِ دناءه تظهر فيخشع لها إذا ذكرت» قالت ليلي الأَخيلية:

لعمرك ما بالموت عار على امرئ إذا لم تصبه في الحياه المعايير

في (الأغاني): مرَّ مالِك بن الرِّيب بليلى الأَخيلية فجلس إليها يحادثها طويلاً- و أنشدها، فأقبلت عليه و أعجبت به حتَّى طمع في وصلها ثم إذا هو بفتى قد جاء إليها كأنه نصل سيف فجلس إليها فأعرضت عن مالِك و تهاونت حتَّى كأنه عندها عصفور، و أقبلت على صاحبها ملياً من نهارها فغاظه ذلك من فعلها و أقبل على الرجل فقال: من أنت؟ فقال، توبه بن الحمير. فقال: هل لك في المصارعه؟ قال: و ما دعاك إلى ذلك و أنت ضيفنا و جارنا. قال: لا بدّ منه. فظنَّ أنّ ذلك يخوفه منه فازداد لجاجاً، فقام توبه فصارعه فصرعه، فلمّا سقط إلى الأرض صدرت منه ريح ذات صوت، فضحكت ليلي منه فاستحى مالِك فاكتمت بخراسان و قال: لا أقيم ببلد العرب أبداً و قد تحدثت عنى بهذا الحديث، فأقام ثمه حتَّى مات و قبره هناك معروف (١).

و كان المخبل السعدى خطب- كما في (الأغاني)- إلى الزبيرقان بن بدر أخته خليده فمنعه ثم زوّجها بآخر فقال المخبل:

فأنكحته زهوا كأنَّ عجانها مشقَّ إهاب أوسع السلخ ناجله

ثم مر المخبل بعد ما أسن و ضعف بصره بخليده فأنزله و قرّبه و أكرمه و وهبت له وليده قالت له: إنى آثرتك بها يا أبا يزيد فاحتفظ بها. فقال:

و من أنت حتَّى أعرفك و أشكرك. قالت: لا- عليك. قال: بلى و الله. قالت: أنا بعض من هتكت بشعرك ظلماً أنا خليده بنت بدر. فقال: و اسوأته منك فأنى استغفر الله و أستقيلك، ثم قال:

ص: ٦١

لقد ضلّ حلمى فى خليده إننى سأعتب نفسى بعدها و أتوب

فأقسم بالرحمن إننى ظلمتها و جرت عليها و الهجاء كذوب (١)

«و تغرى» من الإغراء أو التغريه أى: تولع.

«به لئام الناس» فى (المعجم): اجتاز القاضى التنوخى يوما فى بعض الدروب فسمع امرأه تقول لأخري: كم عمر بنتك يا اختى؟ فقالت لها: رزقتها يوم شهر بالقاضى التنوخى و ضرب بالسياط فرفع رأسه إليها و قال: يا بظراء! صار صفعى تاريخك ما وجدت تاريخا غيره.

و فى (العيون): دخل اعرابى على المساور الضبى و هو بندار الرى فسأله فلم يعطه فقال:

أتيت المساور فى حاجه فما زال يسعل حتى ضرب

و حكّ قفاه بكرسوعه و مسح عثونه و امتخط

فأمسك عن حاجتى خيفه لاخري تقطع شرح السفط

فأقسم لو عدت فى حاجتى للطح بالسلح و شى النمط

و قال غلطنا حساب الخراج فقلت من الضراط جاء الغلط

فكان مساور كلما ركب صاح به الصبيان: «من الضراط جاء الغلط» فهرب من غير عزل إلى بلاد أصبهان (٢).

«كان كالفالج الياسر» هكذا فى النهج بتقديم «الفالج» فى الاول و بتقديم الياسر بلفظ «كالياسر الفالج» فى الثانى، و الظاهر أنه أخذ الأول من روايه (الكافى) و أخذ الثانى من كتب عريب الحديث، بدليل أن النهايه أيضا نقله

ص: ٦٢

١- ١) الاغانى ١٩٦: ١٣. [١]

٢- ٢) عيون الأخبار لابن قتيبه ١٥٤: ٣. [٢]

كالثاني (١) وهو الصحيح لأن الفالغ صفه الياسر و الصفه لا تتقدم على الموصوف و كذلك نقله يعقوبى كما مر.

و أما قول ابن أبى الحديد-و لم يتفطن للاختلاف بين لموضعين كغيره-:إنه من باب تقديم الصفه على الموصوف كقوله تعالى: «و غرايبُ سُودٌ» (٢)... (٣)، ففى غير محله، فإنّ المواضع التى تتقدّم فيها الصفه تجعل مضافه لا موصوفه، كأن يقال فى «الليالى السود» «سود الليالى»، و أما «غرايب سود» فقال الجوهري «سود» بدل من «غرايب» لأن توكيد الألوان لا تتقدم (٤)، مع أنه بعد وجود الروايه الصحيحه لا نحتاج إلى تأويل.

ثم إنّ المصنّف فى الأوّل لم يتعرّض لتفسير الكلمتين، و إنّما فسّرهما فى الثانى بأنّ الياسرين هم الذين يتضاربون بالقداح على الجزور، و الفالغ القاهر الغالب، و اعترض عليه ابن أبى الحديد ثمّه فى تفسير الفالغ بأنّ الغالب لا ينتظر كما قد وصف به بعد و إنّما يعنى بالفالغ الميمون النقيبه الذى له عاده مطرده أن يغلب، و قلّ أن يكون مقهورا (٥)، مع أنه نفسه فى الأوّل فسره بما فسره المصنّف ثمّه فقال: الفالغ الظافر الفائز (٦)، فالاعتراض عليه نفسه، مع أنه لم يفسّر أحد الفالغ بالميمون النقيبه، و كان عليه أن يقول ليس المراد بالغالب، الغالب فعلا بل شأنًا، و هو الذى يغلب غالبًا، و فسره ابن ميثم (٧) بأن

ص: ٦٣

١-١ (١) النهايه ٢٩٦:٥. [١]

٢-٢ (٢) فاطر: ٢٧. [٢]

٣-٣ (٣) شرح ابن أبى الحديد ٣١٤:١٨. [٣]

٤-٤ (٤) شرح ابن ميثم ٣:٢.

٥-٥ (٥) شرح ابن أبى الحديد ١١٥:١٩. [٤]

٦-٦ (٦) شرح ابن أبى الحديد ٣١٤:١. [٥]

٧-٧ (٧) شرح ابن ميثم ٣:٢. [٦]

المراد الفائز الذى ينتظر قبل فوزه أول فوزه من قداحه .

«الذى ينتظر أول فوزه من قداحه» بالكسر جمع القدح بالكسر، و أما القدح بفتحين فجمعه أقداح للشرب، و القداح للميسر .

«توجب له المغنم» أى:الغنيمه .

«و يرفع بها عنه» هكذا فى (المصريه) و الصواب: (و يرفع عنه بها) كما فى (ابن أبى الحديد) (١) و (ابن ميثم) (٢) و (الخطيه).

«المغرم» أى:الغرامه، قال ابن دريد فى (جمهرته)، أسماء قداح الميسر ممّا اتَّفَقَ عليه الأصمعى و غيره من أهل العلم الفائزه منها سبعة و هى الفذ و التوأم و الضريب- و هو المصفح- و الحلس و النافس و المسبل و المعلى، فهذه سبعة و منها ما لا نصيب له الفسيح و المنيح و الرقيب و الوغد (٣).

و قال ابن ميثم:المنقول أنّ الخشبّات المسمّيات قداحا- و هى التى كانت لايسار الجزور-سبعة:أولها الفذ و فيه فرض واحد، و الثانى التوأم و فيه فرضان، و ثالثها الضريب و فيه ثلاثه فروض، و رابعها الحلس و فيه أربعة، و الخامس النافس و فيه خمسة، و السادس المسبل و فيه ستة، و السابع المعلى و له سبعة، و ليس بعده قدح فيه شىء من الفروض إلاّ أنّهم يدخلون مع هذه السبعة أربعة اخرى تسمى أو غادا لا فروض فيها و إنّما تنقل بها القداح و أسماءها:المصدر ثم المضعف ثم المنيح ثم السفيح، فإذا اجتمع أيسار الحى أخذ كلّ منهم قدحا و كتب عليه اسمه أو علّمه بعلامه ثم أتوا بجزور فينحرها صاحبها و يقسمها عشره أجزاء على الوركين و الفخذين و العجز

ص:٦٤

١-١) شرح ابن أبى الحديد ٣١٢:١. [١]

٢-٢) شرح ابن ميثم ٢:٣.

٣-٣) جمهره اللغه ٥٠٤:١. [٢]

و الكاهل و الزور و الملقأ و الكتفين، ثم يعمد إلى الطفاطف و خرز الرقبه فيقسمها على تلك الأجزاء بالسويته، فإذا استوت و بقي منها عظم أو بضعه لحم انتظر به الجازر من أراده ممن يفوز قدحه، فإذا أخذه عير به و إلا فهو للجازر. ثم يؤتى برجل معروف أنه لم يأكل لحماً قط بثمان إلا ان يصيبه عند غيره- و يسمى الحرصه- فيجعل على يديه ثوب و يعصب رءوس أصابعه بعصابه كيلاً يجد مس الفروض، ثم يدفع إليه القداح و يقوم خلفه رجل يقال له الرقيب فيدفع إليها قدحا منها من غير أن ينظر إليها، فمن خرج قدحه أخذ من أجزاء الجزور بعدد الفروض التي في قدحه، و من لم يخرج قدحه حتى استوفيت أجزاء الجزور غرم بعدد فروض قدحه كأجزاء تلك الجزور من جزور اخرى لصاحب الجزور الذي نحرها، فإن اتفق أن خرج المعلى أولاً فأخذ صاحبه سبعة أجزاء من أجزاء الجزور، ثم خرج المسبل فلم يجد صاحبه إلا ثلاثة أجزاء أخذها و غرم له من لم يفز قدحه ثلاثة أجزاء من جزور اخرى.

و أمّا القداح الأربعة الأوغاد فليس في خروج أحدها غنم و لا من عدم خروجه غرم، و المنقول عن الأيسار أنهم كانوا يحرمون ذلك اللحم على أنفسهم و يعدونه للأضياف (١).

«و كذلك المرء المسلم البريء من الخيانه ينتظر من الله إحدى الحسينين إماماً داعياً الله فما عند الله خير له) «الَّذِينَ تَتَوَفَّاهُمْ الْمَلَائِكَةُ طَيِّبِينَ يَقُولُونَ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ ادْخُلُوا الْجَنَّةَ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ» (٢)، «إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي»

ص: ٦٥

١- ١) شرح ابن ميثم ٢: ٦.

٢- ٢) النحل: ٣٢. [١]

«كُنْتُمْ تُوعِدُونَ نَحْنُ أَوْلِيَاؤُكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَ لَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِي أَنْفُسُكُمْ وَ لَكُمْ فِيهَا مَا تَدْعُونَ نُزُلًا مِّنْ غُفُورٍ رَّحِيمٍ» (١).

و عنهم عليهم السلام: ما بين أحدكم و بين الجنة إلا أن تبلغ نفسه حلقه.

و لما انتهى الحسين عليه السلام إلى عذيب الهجانات فإذا هم بأربعة قد أقبلوا من الكوفة على رواحلهم و معهم دليلهم الطرماح بن عدى على فرسه و هو يقول:

يا ناقتي لا تدعري من زجري و شمري قبل طلوع الفجر

بخير ركبان و خير سفر حتى تحلى بكريم النجر

أتى به الله لخير أمر ثمه أبقاه بقاء الدهر

فقال الحسين عليه السلام: و الله أرجو أن يكون ما أراد الله بنا خيرا قتلنا أم ظفرنا .

«و إما رزق الله فإذا هو ذو أهل و مال و معه دينه و حسبه» روى (الكافي): أن الصادق عليه السلام قال لسفيان الثوري و أصحابه الصوفية- لما رأى عليه ثيابا بيضا كأنها غرقى البيض و أنكره- فيما ردّ عليه: إن النبي صلى الله عليه و آله و سلم قال: ما عجبت من شيء كعجبي من المؤمن إنّه إن قرض جسده فى دار الدنيا بالمقاريض كان خيرا له، و ان ملك ما بين مشارق الأرض و مغاربها كان خيرا له، و كل ما يصنع الله عز و جل به فهو خير له. و أخبرونى أين أنتم عن سليمان بن داود عليه السلام حيث سأل الله ملكا لا ينبغي لأحد من بعده فأعطاه الله تعالى ذلك و كان يقول الحق و يعمل به، و داود النبي قبله فى ملكه و شدّه سلطانه، ثم يوسف النبي حيث قال لملك مصر فصلت «اجعلنى على خزائن الأرض إنى حفيظ»

ص: ٦٦

«عَلِيمٌ» (١)، ثم ذو القرنين عبد الله فأحبه و طوى له الأسباب و ملكه مشارق الأرض و مغاربها و كان يقول الحق و يعمل به ثم لم نجد أحدا عاب عليه ذلك... (٢).

و روى (روضه الكافي) عن أبي جعفر عليه السلام قال: كان عابد في بني اسرائيل -و كان محارفا لا يتوجه في شيء فيصيب فيه شيئا- فأنفقت عليه امرأته حتى لم يبق عندها شيء، فجاجعوا يوما من الأيام فدفعت إليه فضلا من غزل و قالت له بعه و اشتر شيئا نأكله، فانطلق به فوجد السوق قد أغلقت فقال لو أتيت هذا الماء فتوضأت منه و صببت عليّ منه و انصرفت، فجاء إلى البحر فإذا هو بصياد قد ألقى شبكته فأخرجها و ليس فيها إلا -سمكه رديه قد مكثت عنده حتى صارت رخوه منتنه، فقال له بعني هذه السمكه و أعطيك هذا الغزل تنتفع به في شبكتك. قال: نعم، فأخذ السمكه و دفع إليه الغزل و انصرف بالسمكه إلى منزله، فلما شقت امرأته السمكه بدت في جوفها لؤلؤه فأرتها زوجها فانطلق بها إلى السوق فباعها بعشرين ألف درهم و انصرف إلى منزله بالمال، فإذا سائل يدق الباب و يقول: يا أهل الدار تصدّقوا على المسكين. فقال له الرجل: ادخل فدخل، فقال له: خذ أحد الكيسين فأخذ أحدهما و انطلق، فقالت له امرأته: بينما نحن مياسير إذ ذهب بنصف يسارنا، فلم يكن ذلك بأسرع من أن دق السائل الباب و وضع الكيس مكانه ثم قال له: كل هنيئا مريئا إنما أنا ملك أراد ربك أن يلوك فوجدك شاكرا (٣).

«إن المال و البنين حرث الدنيا» في (العقد الفريد): من قبائل مذحج سعد

ص: ٤٧

١- ١) يوسف: ٥٤. [١]

٢- ٢) الكافي ٥: ٦٥-٧٠. [٢]

٣- ٣) الكافي ٨: ٣٨٥ و ٣٨٦ ح ٥٨٥. [٣]

العشيره بن مالك بن أدد،و إنما سَمِيَ سعد العشيره لأنه لم يمت حتى ركب معه من ولده و ولد ولده ثلاثمئة رجل (١).

«و العمل الصالح حرث الآخرة» قال تعالى: «مَنْ كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الْآخِرَةِ نَزِدْ لَهُ فِي حَرْثِهِ وَ مَنْ كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الدُّنْيَا نُؤْتِهِ مِنْهَا وَ مَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ نَصِيبٍ» (٢).

«و قد يجمعهما الله لأقوام» قال تعالى: «وَ مِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَ فِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً وَ قِنَا عَذَابَ النَّارِ أُولَئِكَ لَهُمْ نَصِيبٌ مِمَّا كَسَبُوا» (٣).

و روى الكشي: إن الصادق عليه السلام إذا رأى اسحاق بن عمار،و إسماعيل بن عمار قال: قد يجمعهما الله لأقوام-يعنى الدنيا و الآخرة- (٤).

هذا،و قالوا:دخل أبو ورق على هارون و بين يديه جاريه حسناء فقال له:صفها و إن اسمها دنيا،فقال:

ان دنيا هي التي تملك القلب قاهره

ظلموا شطر اسمها فهي دنيا و آخره

و لما قتل طاهر ذو اليمينين الأمين كتب إلى المأمون:ووجهت إليك بالدنيا و هو رأس المخلوع و بالآخرة و هي البرده و القضيبي

«فاحذروا ما حذركم الله من نفسه» «لا- يَتَّخِذِ الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ وَ مَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَلَيْسَ مِنَ اللَّهِ فِي شَيْءٍ إِلَّا أَنْ تَتَّقُوا مِنْهُمْ تُقَاءً»

ص:٦٨

١-١ (١) العقد الفريد ٣:٣٠٧. [١]

٢-٢ (٢) الشورى: ٢٠. [٢]

٣-٣ (٣) البقره: ٢٠٢. [٣]

٤-٤ (٤) رجال الكشي: ٤٠٢ ح ٧٥٢.

«وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ وَ إِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ» (١)، «يَوْمَ تَجِدُ كُلَّ نَفْسٍ مَا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُخَضَّرًا وَ مَا عَمِلَتْ مِنْ سُوءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَ بَيْنَهُ أَمَدًا بَعِيدًا وَ يُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ وَ اللَّهُ رَؤُفٌ بِالْعِبَادِ» (٢).

و في (الارشاد): لما عاد النبي صلى الله عليه و آله و سلم من تبوك قدم إليه عمرو بن معد يكرب فقال له النبي: أسلم يا عمرو! يؤمنك الله من الفزع الأكبر. قال: يا محمد! ما الفزع الأ-كبر؟ فإني لا- أفزع. فقال: يا عمرو! أنه ليس كما تظنّ و تحسب، إنّ الناس يصاح بهم صيحه واحده فلا يبقى ميت إلاّ نشر و لا حيّ إلاّ مات إلاّ ما شاء الله، ثم يصاح بهم صيحه اخرى فينشر من مات و يصفون جميعا و تشقّ السماء و تهدّ الأرض و تحرّ الجبال هدّا، و ترمى الثّار بمثل الجبال شرارا فلا يبقى ذو روح إلاّ انخلع قلبه و ذكر ذنبه و شغل بنفسه إلاّ ما شاء الله (٣).

«و اخشوه خشيه» عن الحقيقة.

«ليست بتعذير» أى: بإظهار العذر و ليس له عذر، و لكن قال الجوهرى:

كان ابن عباس يقرأ «وَ جَاءَ الْمُعَذِّرُونَ» (٤) من أعذر و يقول: و الله لهكذا أنزلت، و يقول لعن الله المعذرين- كان الأمر عنده أنّ المعذر هو المظهر للعذر اعتلالا من غير حقيقة له فى العذر، و المعذر من له عذر (٥).

فى الخبر: ان الله تعالى أنزل كتابا من كتبه على نبي من أنبيائه أنه يكون من خلقى لمحسّنون الدنيا بالدين يلبسون مسوك الضأن على قلوب كقلوب الذئاب أشدّ مراره من الصبر و ألسنتهم أحلى من العسل و أعمالهم الباطنه

ص: ٦٩

[١-١] آل عمران: ٢٨. [١]

[٢-٢] آل عمران: ٣٠. [٢]

[٣-٣] إرشاد المفيد: ٨٤. [٣]

[٤-٤] التوبه: ٩٠. [٤]

[٥-٥] الصحاح للجوهرى ٧٤١١: ٢. [٥]

أنتن من الجيف، بى يغتزون أم إِيَاى يخادعون أم على يجتروون؟ فبِعزّتى حلفت لأبعثن عليهم فتنة تطأ فى خطامها حتّى تبلغ أطراف الأرض، تترك الحليم منها حيران (١).

«و اعملوا فى غير رياء و لا سمعه فإنّه من يعمل لغير الله يكله الله» أى: يدعه.

«لمن» هكذا فى (المصريه) و الصواب: (إلى من) كما فى (ابن أبى الحديد) (٢) و (ابن ميثم) (٣) و (الخطيه).

«عمل له» روى (الكافى): «أنّ الصادق عليه السّلام قال لعباد البصرى: ويلك يا عباد! إيّاك و الرياء فإنّه من عمل لغير الله و كله الله إلى من عمل له.

و قال عليه السّلام: قال تعالى: «أنا خير شريك، من أشرك معى غيرى فى عمل عمله لم أقبله إلا ما كان لى خالصا».

و قال عليه السّلام فى قوله تعالى: «فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَ لَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا» (٤) هو الرجل يعمل شيئاً من الثواب لا يطلب به وجه الله إنّما يطلب تزكيه الناس يشتهى أن يسمع به الناس، فهذا الذى أشرك بعباده ربه. ثم قال عليه السّلام: ما من عبد ستر خيرا فذهبت الأيام أبدا حتّى يظهر الله له خيرا، و ما من عبد يستر شرا فذهبت الايام حتّى يظهر الله له شرا.

و قال عليه السّلام فى قوله تعالى: «بَلِ الْإِنْسَانُ عَلَى نَفْسِهِ بَصِيرَةٌ وَ لَوْ أَلْقَى مَعَاذِرَهُ» (٥) ما يصنع الإنسان أن يتقرب إلى الله تعالى بخلاف ما يعلمه الله، ان النبى صلّى الله عليه و آله و سلّم كان يقول: من أسر سريره رداه الله رداها ان خيرا

ص: ٧٠

١- (١) الجوهرى ٢: ٧٤١.

٢- (٢) شرح ابن أبى الحديد ١: ٣١٢. [١]

٣- (٣) شرح ابن ميثم ٢: ٣.

٤- (٤) الكهف: ١١٠. [٢]

٥- (٥) القيامة: ١٤-١٥. [٣]

فخير و ان شرا فشر (١).

و روى (عقاب الأعمال) عن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ آله وَ سَلَّمَ: إن الرياء الشرك بالله، و إن المرائى يدعى يوم القيامة بأربعة أسماء: يا كافر، يا فاجر، يا غادر، يا خاسر، حبط عملك، و بطل أجرك، فلا خلاص لك اليوم، فالتمس أجرك ممن كنت تعمل له (٢).

و قال ابن أبي الحديد: قال على عليه السلام: ليست الصلاة قيامك و قعودك، إنما الصلاة إخلاصك و أن تريد بها الله وحده.

و توضّيل ابن الزبير إلى امرأه ابن عمر - و هى أخت المختار - فى أن تكلم بعلمها أن يبایعه، فكلمته فى ذلك و ذكرت قيامه و صيامه، فقال لها: أما رأيت البغلات الشهب التى كنّا نراها تحت معاويه بالحجر إذا قدم مكة. قالت: بلى.

قال: فإياها يطلب ابن الزبير بصومه و صلاته (٣).

هذا، و ذكروا أن رجلا من قريش قال لأشعب الطمّاع: ما شكرت معروفى عندك. فقال له: إن معروفك كان من غير محتسب فوقع عند غير شاكر .

«نسأل الله منازل الشهداء و معاشه السعداء و مرافقه الأنبياء» إشاره إلى قوله تعالى: «وَ مَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَ الرَّسُولَ فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَ الصّٰدِقِينَ وَ الشّٰهِدِائِ وَ الصّٰلِحِينَ وَ حَسَنَ أَوْلِيَائِكَ رَفِيقًا» (٤).

«أيها الناس! إنّه لا يستغنى الرجل و إن كان ذا مال عن عشيرته» و فى (القاموس): قال على عليه السلام «من يطل هن أبيه ينتطق به» أى: من كثر بنو أبيه

ص: ٧١

[١ - ١] الكافي ٢: ٢٩٣ - ١، ٤، ٦، ٩، ٢٩٥. [١]

[٢ - ٢] عقاب الأعمال: ٣٠٣ ح ١. [٢]

[٣ - ٣] شرح ابن أبي الحديد ١: ٣١٥ - ٣١٦. [٣]

[٤ - ٤] النساء: ٦٩. [٤]

يتقوى بهم، وقال غيلان بن سلمه الثقفي:

وإن ابن عم المرء مثل سلاحه يقيه إذا لاقى الكمى المقنعا

وقال:

لم أر عزا لامرئ كعشيرته ولم أر ذلا مثل نأى عن الأهل (١)

«و دفاعهم عنه بأيديهم و ألسنتهم» فى (العقد الفريد): كان مهلهل صار إلى قبيله من اليمن يقال لهم جنب فخطبوا إليه فزوجهم و هو كاره لاغترابه عن قومه، و مهرها ابنته أدما، فقال:

أنكحها فقدتها الأراقم فى جنب و كان الحباء من آدم

لو بأبائين جاء يخطبها رمل ما أنف خاطب بدم (٢)

«و هم أعظم الناس حيطه» أى: رعايه.

«من ورائه» فى (كامل المبرد): قال ذو الرمة لهلال بن أحوز المازنى:

رفعت مجد تميم يا هلال لها رفع الطراف على العلياء بالعمد

حتى نساء تميم و هى نازحه بقله الحزن فالصمان فالعقد

لو يستطعن إذا ضافتك مجحفه و قينك الموت بالآباء و الولد (٣)

و فى (الأغانى): قال الشمردل فى أخيه حكم لما أتاه نعيه:

و كنت سنان رمحى من قناتى و ليس الرمح إلا بالسنان

و كنت بنان كفى من يمينى و كيف صلاحها بعد البنان

و كان يرى فيما يرى النائم كأن سنان رمحه سقط فأتاه نعى أخيه وائل، فقال:

ص: ٧٢

١-١ (١) القاموس ٣: ٣٨٥.

٢-٢ (٢) العقد الفريد ٦: ٧٧. [١]

٣-٣ (٣) الكامل للمبرد ١: ٥٠. [٢]

و تحقيق رؤيا في المنام رأيتها فكان أخى رمحا ترقص عامله (١)

«و ألمهم» أى: أجمعهم.

«لشعته» أى: نفرقه .

«و أعطفهم» أى: أشفقهم.

«عليه عند نازله» أى: شديده نازله.

«إذا» هكذا فى (المصريه و ابن أبى الحديد) و لكن فى (ابن ميثم) (٢) و (الخطيبه) (ان) (٣) و هو أحسن.

«نزلت به» فى (العقد): قال على عليه السلام: عشيره الرجل خير للرجل من غير العشيره فإنّ كفّ عنهم يدا واحده كفّوا عنه أيديا كثيره مع مودتهم و حفاظهم و نصرتهم، ان الرجل ليغضب للرجل لا يعرفه إلا بنسبه. و سأتلوا عليكم من ذلك آيات من كتاب الله قال عزّ و جلّ فيما حكاه عن لوط: «لَوْ أَنَّ لِي بِكُمْ قُوَّةٌ أَوْ آوَى إِلَيَّ رُكْنٌ شَدِيدٌ» (٤) يعنى العشيره و لم يكن للوط عشيره، فو العذى نفسى بيده ما بعث الله نبيا من بعده إلا فى ثروه من قومه و منعه من عشيرته، ثم ذكر شعيبا و قال له قومه «إِنَّا لَنَرَاكَ فِينَا ضَعِيفًا وَ لَوْ لَا رَهْطُكَ لَرَجَمْنَاكَ» (٥) و كان مكفوفًا و الله ما هابوا إلا عشيرته (٦).

فى (الطبرى) - بعد ذكر قتل أصحاب معاويه لحجر و سته من أصحابه - فقال عبد الرحمن بن حسان العنزى و كريم بن عفيف الخنعمى: إبعثوا بنا إلى

ص: ٧٣

١-١ (١) الأغاني ١٣:٣٥٣ و ٣٥٦. [١]

٢-٢ (٢) شرح ابن ميثم ٢:٤.

٣-٣ (٣) شرح ابن أبى الحديد ١:٣١٣.

٤-٤ (٤) هود: ٨٠. [٢]

٥-٥ (٥) هود: ٩١. [٣]

٦-٦ (٦) العقد ٢:٢٠٨.

معاويه فنحن نقول فى هذا الرجل مثل مقالته، فبعثوا إلى معاويه يخبرونهما بمقالتهما فأجاز، فأدخلا عليه فقال معاويه للخثعمى: ما تقول فى على؟ قال:

أقول فىه قولك، أتبرأ من دين على الذى كان يدين الله به، فسكت معاويه وكره أن يجيبه فقال شمر بن عبد الله من بنى قحافه: هب لى ابن عمى. فقال: هو لك.

قال: فخلى سبيله على أن لا يدخل الكوفه ما كان له سلطان. فقال له: تخير بلدا، فاختر الموصل، و كان يقول: لو قد مات معاويه قدمت المصر، فمات قبل معاويه بشهر، ثم أقبل معاويه على العنزى فقال له: يا أخا ربيعه! ما قولك فى على؟ قال: دعنى و لا تسألنى. قال: لا- أدعك. قال: أشهد أنه كان من الذاكرين الله كثيرا و من الأمرين بالحق و القائمين بالقسط. قال: فما قولك فى عثمان؟ قال:

هو أول من فتح باب الظلم و أرتج أبواب الحق. قال: قتلت نفسك. قال: بل إياك قتلت «و لا ربيعه بالوادى»، قال ذلك لأن شمر الخثعمى كلّم معاويه فى كريم الخثعمى و لم يكن له أحد من قومه يكلمه فيه، فبعث به إلى زياد و قال له: إن هذا شرهم فاقتله شر قتله، فدفنه زياد حيا بقسّ الناطف (١).

و فيه: كان عبد الله بن خليفه الطائى شهد مع حجر فطلبه زياد فتوارى، فبعث إليه الشرط فأخذوه فقالت أخته: يا معشر طى! أ تسلمون سنانكم و لسانكم عبد الله بن خليفه؟ فشد الطائيون عليهم و انتزعوه، فرجعوا إلى زياد فأخبروه فوثب على عدى بن حاتم و هو فى المسجد فقال: إئتنى بابن خليفه.

فقال: هذا شىء كان فى الحى لا علم لى به. قال: و الله لتأتينى به. قال: أجيئك بابن عمى تقتله، و الله لو كان تحت قدمى ما رفعتهما عنه، فأمر بعدى إلى السجن فلم يبق بالكوفه يمانى و لا ربيعى إلا آتاه و كلمه و قالوا تفعل هذا بعدى بن حاتم صاحب النبى صلى الله عليه و آله و سلم؟ قال: فإننى أخرج على أن يخرج ابن عمه عنى

ص: ٧٤

فلا يدخل الكوفه ما دام لى بها سلطان.فقال عدى لعبد الله: إن هذا لىج فى أمرك فالحق بالجبلىن (١).

و مرّ فى الفصل فى وصيته عليه السّلام إلى ابنه قوله:«و أكرم عشيرتك فإنهم جناحك الذى به تطير و يدك التى بها تصول...»مع شروح مفیده .

«و لسان الصدق يجعله الله للمرء فى الناس خیر له من المال یورثه غیره» قال إبراهيم عليه السّلام: «وَ اجْعَلْ لى لِسَانًا صِدْقٍ فى الْآخِرِينَ» (٢)أى:ثناء حسنا، و قال تعالى فى نوح و إبراهيم و موسى و هارون و إلیاس: «وَ تَرَكْنَا عَلَيْهِ فى الْآخِرِينَ سَلَامًا عَلَى نُوحٍ فى الْعَالَمِينَ» (٣)، «وَ تَرَكْنَا عَلَيْهِ فى الْمَآخِرِينَ سَلَامًا عَلَى إِبْرَاهِيمَ» (٤)«وَ تَرَكْنَا عَلَيْهِمَا فى الْآخِرِينَ سَلَامًا عَلَى مُوسَى وَ هَارُونَ» (٥)«وَ تَرَكْنَا عَلَيْهِ فى الْآخِرِينَ سَلَامًا عَلَى إِبْرَاهِيمَ» (٦)أى:تركنا قول«سلام عليهم»فى الآخِرین.

و فى (الكافى):قال الصادق عليه السّلام لأبى كهمس:اقرأ عبد الله بن أبى يعفور السلام و قل له:إنّ جعفر بن محمد یقول لك:أنظر ما بلغ به علىّ عند النبى فالزمه و إنّ علیا إنّما بلغ ما بلغ به بصدق الحدیث و أداء الامانه (٧).

و روى:أنّ الرجل لیصدق حتّى یكتبه الله صدیقا.و فى (كامل المبرد):

قال ابن حلزه الیشكرى:

ص:٧٥

١-١ (١) تاریخ الطبرى ٥:٢٦٧. [١]

٢-٢ (٢) الشعراء:٨٤. [٢]

٣-٣ (٣) الصافات:٧٨-٧٩. [٣]

٤-٤ (٤) الصافات:١٠٨-١٠٩. [٤]

٥-٥ (٥) الصافات:١١٩-١٢٠. [٥]

٦-٦ (٦) الصافات:١٢٩-١٣٠. [٦]

٧-٧ (٧) الكافى ح ١٠٤:٥٢. [٧]

قلت لعمرو حين ارسلته و قد خبا من دوننا عالج

لا تكسع الشول بأغبارها انك لا تدري من الناتج

و أصعب لأضيافك ألبانها فإن شر اللبن الوالج

و فيه: قال معاوية لابن الأشعث بن قيس: ما كان جدك قيس بن معد يكرب أعطى الأعشى؟ فقال: أعطاه مالا و ظهرا و رقيقا و أشياء أنسيتها. فقال معاوية: لكن ما أعطاكم الأعشى لا ينسى.

هذا، و في (نسب قريش مصعب الزبيري): أتى عمرو بن سعيد الأشدق فتى من قريش يذكر حقا له في كراع من أديم بعشرين ألف درهم على أبيه بخط مولى أبيه و شهاده أبيه بخطه على نفسه، فقال له: و ما سبب مالك؟ قال:

رأيته و هو معزول يمشى وحده، فقمتم فمشيت معه حتى بلغ إلى باب داره ثم وقفت فقال: هل لك من حاجة؟ فقلت: لا إلا أنني رأيتك تمشى وحدك فأحببت أن أصل جناحك. قال: وصلتك رحم يا ابن أخي، فكتب هذا الكتاب و قال: ليس اليوم عندنا شيء فإذا أتانا شيء فأتنا به، فمات قبل أن يصل إليه. فقال له عمرو: لا جرم، لا تأخذها إلا وافية.

قول المصتف: «و منها» هكذا في (المصريه) و نسخه (ابن أبي الحديد) و لكن في (ابن ميثم و الخطيه) «منها» (١) و هو الأحسن فلم تتقدمها اخرى.

قوله «ألا لا يعدلن» هكذا في (المصريه) و الصواب: «ألا لا يعدلن أحدكم» كما في (ابن أبي الحديد و ابن ميثم و الخطيه) (٢).

«عن القرابه يرى بها الخصاصه» أي: الفاقه .

«ان يسدها بالذى لا يزيده إن أمسكه و لا ينقصه إن أهلكه» .

روى (الكافي) عن البيهقي قال: قرأت في كتاب أبي الحسن الرضا عليه السلام

ص: ٧٦

[١-١] شرح ابن أبي الحديد ٣١٣: ١. [١]

[٢-٢] شرح ابن أبي الحديد ٣١٣: ١. [٢]

إلى ابنه أبي جعفر الجواد: بلغنى أنّ الموالى إذا ركبت أخرجوك من الباب الصغير، فإنّما ذلك من بخل منهم لثلاث. ينال منك أحد خيرا، وأسألك بحقى عليك لا يكن مدخلك و مخرجك إلا من الباب الكبير، فإذا ركبت فليكن معك ذهب و فضه ثم لا يسألك أحد شيئا إلا أعطيته، و من سألك من عمومك ان تبرّه فلا تعطه أقلّ من خمسين دينارا و الكثير إليك، و من سألك من عمّاتك فلا تعطها أقلّ من خمسة و عشرين دينارا و الكثير إليك، إنّما أنا اريد بذلك أن يرفعك الله، فأنفق و لا تخش من ذى العرش إقتارا.

و روى أنّ الباقر عليه السّلام قال للحسين بن أيمن: أنفق و أيقن بالخلف من الله، فإنّه لم يبخل عبد و لا أمه بنفقه فيما يرضى الله عزّ و جلّ إلا أنفق أضعافها فيما يسخط الله.

و روى أنّه عليه السّلام قال: ان الشمس لتطلع و معها أربعة أملاك ملك ينادى يا صاحب الخير أتمّ و أبشر، و ملك ينادى يا صاحب الشرّ انزع و أقصر، و ملك ينادى أعط منقفا خلفا و ممسكا تلفا، و ملك ينضحها بالماء و لو لا ذلك اشتعلت الأرض.

و روى عن الصادق عليه السّلام قال: من يضمن أربعة بأربعة أبيات فى الجنة:

انفق و لا تخف فقرا، و أنصف الناس من نفسك، و أفش السلام فى العالم، و اترك المرء و إن كنت محقّا (١).

«و من يقبض يده عن عشيرته فإنّما يقبض منه عنهم يد واحده و يقبض منهم عنه أيد كثيره» روى (أمالى المفيد) عن الشعبى قال: قال صعصعه: عادنى أمير المؤمنين عليه السّلام فى مرضى ثم قال: أنظر فلا تجعل عيادتى إياك فخرا على قومك، و إذا رأيتهم فى أمر فلا تخرج منه فإنّه ليس بالرجل غنى عن

ص: ٧٧

قومه، إذا خلع منهم يدا واحده يخلعون منه أيدي كثيره، فإذا رأيتهم فى خير فأعنهم عليه، و إذا رأيتهم فى شر فلا تخذلنهم، و ليكن تعاونكم على طاعه الله فإنكم لن تزالوا بخير ما تعاونتم على طاعه الله تعالى و تناهيتهم عن معاصيه (1). و من الشعر فى ذلك:

أخاك أخاك إن من لا أخا له كساع إلى الهيجا بغير سلاح

و إن ابن عم المرء فاعلم جناحه و هل ينهض البازى بغير جناح

أيضا:

إن كان ذا عضد يدرك ظلامته إن الدليل الذى ليست له عضد

تنبو يدها إذا ما قلّ ناصره و يأنف الضيم إن أثرى له عدد

أيضا:

تناس ذنوب الأقربين فإنه لكلّ حميم راكب هو راكبه

له هفوات فى الرخاء يشوبها بنصره يوم لا توارى كواكبه

تراه عدوًا ما أمنت و يتقى بجهته يوم الوغى من يحاربه

لكلّ امرئ اخوان بؤس و نعمه و أعظمهم فى النائبات أقاربه

أيضا:

ألم تر أنّ جمع القوم يخشى و ان حرّيم واحدهم مباح

و أنّ القدح حين يكون فردا فيهصر لا يكون له اقتداح

و إنك ان قبضت بها جميعا أبت ما سمت واحدها القداح

كذاك تفرّق الإخوان مما يدلهم و فى الذلّ افتضاح

و عن النبىّ صلّى الله عليه و آله و سلّم: حافتا الصّراط يوم القيامة الرحم و الأمانة، فإذا مرّ الوصول للرحم المؤدى للأمانة نفذ إلى

الجنّة، و إذا مرّ الخائن للأمانة القطوع

١-١) لم يوجد هذا الحديث في أمالي المفيد، بل رواه الطوسي في أماليه (١) [١-١٢٥٧ الجزء ١٢].

للرحم لم ينفعه معه عمل فتكفى به الصراط في النار.

هذا، وقال ابن أبي الحديد: قال عثمان: إنَّ عمر كان يمنع أقباءه ابتغاء وجه الله، وأنا أعطيتهم ابتغاء وجه الله (١).

قلت: ما قاله عثمان مغالطه، فأعطاء الأقباء إن كان من مال المعطى فلا يمكن أن يكون منعه كما فعل عمر ابتغاء وجه الله، لأنه قطع الرحم المذموم الذي فاعله ملوم، وإن كان من مال الله و كان المعطى غير مستحقه فأعطاؤه كما فعل عثمان و نهب بيت المال و وهبه لبني الشجرة الملعونه في القرآن كيف يكون ابتغاء وجه الله، لقد منى الناس لعمر الله من هؤلاء بخرط و شماس .

«و من تلن حاشيته يستدم من قومه المودّه» هو نظير قوله عليه السّلام: «من لان عوده كثفت أغصانه».

في (الكافي) عن أبي جعفر عليه السّلام: لما خرج أمير المؤمنين عليه السّلام يريد البصره نزل بالربذه فأتاه رجل من محارب فقال: إنّي تحمّلت في قومي حماله و إنّي سألت في طوائف منهم المواساه و المعونه فسبقت إلى ألسنتهم بالنكد فمرهم بمعوتى. فقال: أين هم؟ فقال: هؤلاء فريق منهم حيث ترى، فنصّ عليه السّلام راحلته فأدلفت كأنّها ظليم فدلف بعض أصحابه في طلبها فلاى بلاى ما لحقت، فانتهى إلى القوم فسلمّ عليهم و سألهم ما يمنعهم من مواساه صاحبهم، فشكوه و شكاهم فقال عليه السّلام «وصل امرؤ عشيرته فأنهم أولى ببه و ذات يده و وصلت العشيره أباها إن عثر به دهر و أدبرت عنه دنيا فإن المتواصلين المتبازلين مأجورون و ان المتقاطعين المتدابرين موزورون» ثم بعث راحلته (٢).

ص: ٧٩

١-١) شرح ابن أبي الحديد ١:٣٣٠. [١]

٢-٢) الكافي ٢:١٥٣، ١٨. [٢]

قول المصنف في الأول (قال الشريف أقول) هكذا في (المصريه) وإنما في (ابن أبي الحديد) قال الرضى، و في (ابن ميثم) (١) قال السيد (٢)، و هو دليل على أن أصله من كلام الشراح و أن «أقول» زائده (الغفير هاهنا) إنما قال ههنا لأن الغفيره تأتي في موضع آخر بمعنى آخر، قال الجوهري يقال «ما فيهم غفيره» أى: لا يغفرون ذنبا لأحد، قال الراجز:

يا قوم ليست فيهم غفيره فامشوا كما تمشى جمال الحيره (٣)

و قال ابن دريد: و كل شىء غطيته فقد غفرته، و منه المغفره و الغفيره (٤) (الزيادة و الكثره من قولهم للجمع الكثير، الجَمّ الغفير و الجماء الغفير) المفهوم من الجوهري انهما يأتيان بالوصفيه معرفه و نكره و بالاضافه، فقال و قولهم «جاءوا جماء غفيرا و الجماء الغفير و جم الغفير و جماء الغفير» أى: جاءوا بجماعتهم: الشريف و الوضيع (٥).

(و يروى: عفوه من أهل أو مال) هو روايه يعقوبى، فقد عرفت أن في خبره «فمن أصابه نقص في أهله و ماله و رأى عند أخيه عفوه فلا يكونن ذلك عليه فتنه» و الغفيره روايه (الكافى) كما مر و كذا (النهايه) (٦).

(و العفوه الخيار من الشىء، يقال عفوه الطعام أى: خياره) و قال الجوهري و قال بعضهم العفاوه بالكسر أول المرق و أجوده، و العفاوه بالضم آخره يردها مستعير القدر مع القدر يقال منه «عفوه

ص: ٨٠

١-١ شرح ابن ميثم ٢:١١.

٢-٢ شرح ابن أبي الحديد ١:٣١٣.

٣-٣ شرح ابن ميثم ٢:١١.

٤-٤ الصحاح للجوهري ٢:٧٧١. [١]

٥-٥ جمهره اللغه ٢:٧٧٨. [٢]

٦-٦ تاريخ يعقوبى ٢:٢٠٧، و [٣] النهايه ٣:٣٧٤. [٤]

القدر» إذا تركت ذلك في أسفلها (١).

(و ما أحسن المعنى الذى أرادَه عليه السّلام) إلى (و اضطر إلى مرافقتهم) أى:

معاونتهم (قعدوا عن نصره و تناقلوا عن صوته).

فى (الأغانى): كان عقيل بن علفه قد اطرَد بنيه فتفرقوا فى البلاد و بقى وحده، ثم إن رجلا من بنى صرمه يقال له بجيل - و كان كثير المال و الحاشيه - حطّم بيوت عقيل بماشيته و لم يكن قبل ذلك أحد يقرب من بيوت عقيل إلا لقى شرا، فطردت أمه له الماشيه فضربها بجيل بعصا كانت معه فشجها، فخرج إليه عقيل وحده و قد هرم يومئذ فزجر بجيلا فضربه بجيل بعصاه و احتقره فجعل عقيل يصيح يا علفه يا عملس يا فلان يا فلان - بأسماء أولاده - مستغيثا بهم و هو يحسب لهم أنهم معه، فقال له أرطأه بن سهيه:

أكلت بنيك أكل الضبّ حتى وجدت مراره الأكل الوبيل

و لو كان الأولى غابوا شهودا منعت فناء بيتك من بجيل

و بلغ خبر عقيل إلى ابنه العملس و هو بالشام، فأقبل حتى نزل عليه ثم عمد إلى بجيل فضربه ضربا مبرحا و عقر عدّه من أهله و أوثقه بحبل و جاء به يقوده حتى ألقاه بين يدي أبيه، ثم ركب راحلته و عاد من وقته لم يطعم لأبيه طعاما و لم يشرب شرابا (٢).

قول المصنّف فى الثانى (الياسرون هم الذين يتضاربون بالقдах على الجزور) أى: الأبل الذكر و الانثى، ثم لفظ الخبر «الياسر» و هو قال «الياسرون» و كأنّه أراد أن يقول: إنّ اللّام هنا للجنس.

(و الفالج القاهر و الغالب) هكذا فى (المصريه)، و الصواب: (القاهر

ص: ٨١

١- ١) الصحاح الجوهري ٢٤٣٢: ٦. [١]

٢- ٢) الاغانى ١٢: ٢٦٩. [٢]

الغالب) كما في (ابن أبي الحديد و ابن ميثم و الخطيبه) (١) (يقال فلج عليهم و فلجهم) لم أقف على من جوّز فلجهم، ففي (الجمهره): فلج الرجل على خصمه و أفلج إذا ظهر عليه (٢)، و في (الصحاح): فلج على خصمه و أفلجه الله عليه (٣)، و في (الأساس): فلجت على خصمك و فلجت حجتك (٤).

(و قال) هكذا في (المصريه) و الصواب: (قال) كما في (ابن أبي الحديد و ابن ميثم) (٥) و لأنه قال ذلك شاهدا (الراجز) في الصحاح الرجز داء يصيب الإبل في أعجازها فإذا ثارت الناقه ارتعشت فخذها ساعة ثم تشط و منه سمى الرجز من الشعر لتقارب أجزائه و قلّه حروفه.

(لما رأيت فالجا قد فلجا) ان ذكره شاهدا لكون معنى الفالج القاهر الغالب فصحيح و ان ذكره لصحّه (فلجهم) فهو أعم.

هذا، و لفظ خبرى ابن عساكر في العنوان «الأول» هكذا: خطب فقال: أيها الناس! إنما هلك من هلك ممّن كان قبلكم برّكوبهم المعاصي، و لم ينههم الربّانيون و الأحبار، فأنزل الله بهم العقوبات، ألا فمروا بالمعروف، و انهوا عن المنكر قبل أن ينزل بكم الذي نزل بهم، و اعلموا أنّ الأمر بالمعروف و النهي عن المنكر لا - يقطع رزقا، و لا يقرب أجلا، إنّ الأمر ينزل من السماء كقطر المطر إلى كلّ نفس بما قدر الله لها من زياده أو نقصان في أهل أو مال أو نفس، فإذا أصاب أحدكم النقصان في أهل أو مال أو نفس في الآخرة عقوبه فلا يكون ذلك له فتنه - إلى آخره «و قد يجمعهما الله لأقوام».

ص: ٨٢

١-١ (١) شرح ابن أبي الحديد ١٩:١١٥. [١]

٢-٢ (٢) جمهره اللغه ١:٤٨٧. [٢]

٣-٣ (٣) صحاح اللغه للجوهري ١:٣٣٥. [٣]

٤-٤ (٤) أساس البلاغه: ٢٤٦. [٤]

٥-٥ (٥) شرح ابن أبي الحديد ١٩:١١٥.

و الثاني قريب منه لكن أول من قوله «إنّ الأمر ينزل من السماء» وفيه أيضا «فمن رأى نقصا في أهله أو نفسه أو ماله و رأى لغيره عشره فلا يكون ذلك له فتنه» (١).

و ما فيه هو الصحيح و يصدقه نقل اليعقوبى و (الكافى) كما مرّ دون ما فى المتن و باقى الأسانيد، لكن «عشره» فى هذا مصحف عفوه أو غفيره.

و لله الحمد أولا و أخيرا.

ص: ٨٣

١- ١) ابن عساكر ٢٦٩:٣-٢٧١ ح ١٣٩١-١٣٩٢. [١]

بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله رب العالمين و الصلاة و السلام على محمد و آله الطاهرين.

و بعد: فقد ذكر ابن أبي الحديد في شرحه على نهج البلاغه مقداراً من خرافات العرب و الأصل فيه الخالغ في كتابه «آراء العرب و أديانها»، ذكر ذلك فيما تفرد به من نسبته إلى النهج أن فيه «و قال عليه السلام: العين حقّ، و الرقا حقّ، و السحر حقّ، و الفال حقّ، و الطيره ليست بحقّ، و العدوى ليست بحقّ، و الطيب نشره، و العسل نشره، و الركوب نشره، و النظر إلى الخضره نشره»، مع أنه لو كان ذلك من كلامه عليه السلام فرضاً فليس من النهج قطعاً، لأنّ موضوع النهج كلام كان في غايه البلاغه لا ما كان من الأحاديث المتعارفه.

و كيف كان فحيث كان فيها أشياء غريبه و أمور عجيبه أحببت افرادها في موضع، و قد أنقل من غيره في طيه و أنقل بعده كلام المروج.

قال في شرح فقره «و العدوى ليست بحقّ» قال النبي صلّى الله عليه و آله و سلّم «لا- عدوى و لا- هامه و لا- صفر» العدوى معروفه، أي: بأن المراد تعدى الداء من حى إلى حى.

و الهامه ما كانت العرب تزعمه في المقتول لا يؤخذ بثأره، و الصفر ما كانت

العرب تزعمه من الحيه فى البطن تعض عند الجوع.

قال: نذكر نكتا ممتعه من مذاهب العرب و تخيلاتها، أنشد ابن الكلبي لأميّه ابن أبى الصلت:

سنه أزمه تبرّح بالناس ترى للعضاه فيها صريرا

لا على كوكب تنوء و لا رى ح جنوب و لا ترى طحورا

و يسقون باقر السهل للطود مهازيل خشيه أن تبورا

عاقدين النيران فى ثكن الأذ ناب منها لكى تهيج البحورا

سلع ما و مثله عشر ما عامل ما وعالت البيقورا

يروى أن عيسى بن عمر قال: ما أدرى معنى هذا البيت - أى: البيت الأخير -.

و يقال: إن الأصمعى صحّف فيه فقال «و غالت» بالعين المعجمه و قال غيره «عالت» بمعنى أثقلت البقر بما حملتها من السلع و العشر. و البيقور البقر، و عائل أى: غالب أو مثقل.

قلت: و السلع بفتحيتين: شجر مرّ، و العشر بالضم فالفتح: شجر له صمغ من العضاه.

قال: و كانت العرب إذا أجذبت و أمسكت السماء عنهم و أرادوا أن يستمطروا عمدوا إلى السلع و الشعر فحزّموهما و عقدوهما فى أذنان البقر و أضرّموا فيهما النيران و أصدوها فى جبل وعر و أتبعوها يدعون الله و يستسقونه، و إنّما يضرّمون النيران فى أذنان البقر تفاؤلا للبرق بالنار، و كانوا يسوقونها نحو المغرب من دون الجهات، و قال اعرابى:

شفعنا بيقور إلى هائل الحيا فلم يغن عنا ذاك بل زادنا جدبا

فعدنا إلى ربّ الحيا فأجارنا و صيّر جدب الأرض من بعده خصبا

و قال آخر:

قل لبني نهشل أصحاب الحور أ تطلبون الغيث جهلا بالبقر

و سلع من بعد ذاك و عشر ليس بذا يجلل الأرض المطر

و قال آخر:

لما كسونا الأرض أذنا ب البقر بالسلع المعقود فيها و العشر

و قال آخر:

يا كحل قد أثقلت أذنا ب البقر بسلع يعقد فيها و عشر

فهل تجودين ببرق و مطر

و قال آخر يعيب العرب بفعالهم هذا:

لادر درّ رجال خاب سعيهم يستمطرون لدى الإعسار بالعشر

أ جاعل أنت بيقورا مسلّعه ذريعه لك بين الله و المطر

و قال بعض الأذكياء: كلّ أمه قد تحذو في مذاهبها مذاهب ملّه اخرى، و قد كانت الهند تزعم أنّ البقر ملائكة سخط الله عليها فجعلها في الأرض و أن لها عنده حرمه، و كانوا يلطخون الأبدان بأخثائها و يغسلون الوجوه ببولها و يجعلونها مهور نسائهم و يتبرّكون بها في جميع أحوالهم، فلعل أوائل العرب حذوا هذا الحذو و انتهجوا هذا المسلك.

و للعرب في البقر خيال آخر، و ذلك أنّهم إذا أوردوها فلم ترد ضربوا الثور ليقتم الماء فتقتم البقر بعده. و يقولون: إنّ الجنّ تصد البقر عن الماء و إنّ الشيطان يركب قرني الثور، قال قائلهم:

إني و قتلى سليك حين أعقله كالثور يضرب لما عافت البقر

و قال نهشل بن حرى:

كذاك الثور يضرب بالهراوى إذا ما عافت البقر الظماء

و قال آخر:

كالثور يضرب للورود إذا تمتعت البقر

فإن كان ليس إلا هذا فليس ذاك بعجيب من البقر و لا بمذهب من مذاهب العرب، لأنه قد يجوز أن تمتنع البقر من الورود حتى يرد الثور كما تمتنع الغنم من سلوكك الطرق أو دخول الدار و الأخيه حتى يتقدّمها الكبش أو التيس، و كالنحل تتبع اليعسوب، و الكراكي تتبع أميرها. و لكن الذى تدلّ عليه أشعارهم أن الثور يرد و يشرب و لكن البقر تعاف الماء و قد رأيت الثور يشرب فحينئذ يضرب الثور مع إجابته إلى الورود فتشرب البقر عند شربه، و هذا هو العجب، قال الشاعر:

فإنى إذن كالثور يضرب جنبه إذا لم يعف شربا و عافت صواجه

و قال آخر:

فلا تجعلوها كالبقير و فحلها يكسر ضربا و هو للورد طائع

و ما ذنبه إن لم يرد بقراته و قد فاجأتها عند ذاك الشرائع

و قال الأعشى:

لكالثور و الجنى يضرب وجهه و ما ذنبه إن عافت الماء مشربا

و ما ذنبه إن عافت الماء باقر و ما إن تعاف الماء إلا لتضربا

قال: و اللام فى «لتضربا» للعاقبه كقوله «لدوا للموت» (١).

(قلت: و فى (الأساس): تزعم العرب أن الجن تمتطى الوحش و تجتنب الأرناب لمكان حيضها و لذلك يستدفعون العين بتعليق كعابها). و فى (مجالس

ص: ٨٧

ثعلب)لامرىء القيس:

يا هند لا تنكحى بوهه عليه عقيته أحسبا

مرسعه بين أرباقه به عسم يبتغى أرنا

ليجعل فى ساقه كعبها حذار المنيه أن يعطبا

قال ثعلب:البوهه طائر يشبه البومه،وعقيته أى:شعره،والاحسب أى:

إلى السواد،يبتغى أرنا ليأخذ عظمها فيصيره عليه من خشيه الجنّ.

وقال الجوهري فى «هذذ»تزعم النساء أنه إذا شقّ عند البضاع شيئا من ثوب صاحبه دام الود بينهما وإلاّ تهاجرا (١).

قال:و من مذاهب العرب تعليق الحلّى و الجلاجل على اللّديغ،يرون أنه يفيق بذلك،و يقال:إنّهُ إنّما يعلّق عليه لأنّهم يرون أنّه إن نام يسرى السّم فيه فيهلك فشغلوه بالحلى و الجلاجل و أصواتها عن النوم.و هذا قول النّضر بن شميل،و بعضهم يقول:إنّهُ إذا علّق عليه حلى الذهب برأ و إن علّق الرصاص أو حلى الرصاص مات،وقال النابغه:

فبتّ كأنى ساورتنى ضئيله من الرقش فى أنيابها السم نافع

يسهّد من ليل التمام سليمها لحلى النساء فى يديها قعاقع

وقال بعض بنى عذره:

كأنى سليم ناله كلم حيه ترى حوله حلى النساء مرصعا

وقال آخر:

وقد علّوا بالبطل فى كلّ موضع و غرّوا كما غرّ السليم الجلاجل

وقال جميل-و ظرف فى قوله-و لو قاله العباس بن الأحنف لكان ظريفا:

إذا ما لديغ ابرأ الحلّى داءه فحليك أمسى يا بشينه دائيا

ص: ٨٨

و قال عويمر النبهاني-و هو يؤكد قول النضر بن شميل:

فبت معنّى بالهموم كأننى سليم نفى عنه الرقاد الجلاجل

و قال آخر:

كأننى سليم سهد الحلّى عينه فراقب من ليل التمام الكواكبا

و يشبه مذهبهم فى ضرب الثور، مذهبهم فى العزّ يصيب الإبل فيكوى الصحيح ليبراً السقيم، قال النابغه:

و كلفتنى ذنب امرىء و تركته كذى العزّ يكوى غيره و هو راتع

و قال بعض الأعراب:

كمن يكونى الصحاح يروم براء به من كلّ جرباء الإهاب

و قال آخر:

فألزمتنى ذنبا و غيرى جرّه حنانيك لا تكوى الصحيح بأجربا

و من تخيلات العرب و مذاهبهم أنّهم كانوا يفتقون عين الفحل من الإبل إذا بلغت ألفا كأنّهم يدفعون عنها العين، قال الشاعر:

فقأنا عيوننا من فحول بهاذر و أنتم برعى البهم أولى و أجدر

و قال آخر:

وهبتها و كنت ذا امتنان تفقأ فيها أعين البعران

و قال آخر:

أعطيتها ألفا و لم تبخل بها فقأت عين فحيلها معتافا

و قد ظنّ قوم أنّ بيت الفرزدق و هو:

غلبتك بالمفقىء و المعنى و بيت المختبى و الخافقات

من هذا القبيل و ليس الأمر على ذلك و انما أراد قوله لجريز:

و لست و لو فقأت عينك واجدا أخوا كلقيط أو أبا مثل دارم

و أراد ب«المعنى» قوله لجرير أيضا:

و أنك إذ تسعى لتدرك دارما لأنت المعنى يا جرير المكلف

و أراد بقوله «المختبى» قوله:

بيت زراره مختب بفنائيه و مجاشع و أبو الفوارس نهشل

و أراد بقوله «بيت الخافقات» قوله:

و معصّب بالتاج يخفق فوقه خرق الملوك له خميس جحفل

فأما مذهبهم فى البليه- و هى ناقة تعقل عند القبر حتى تموت- فمذهب مشهور، و «البليه» أنهم إذا مات كريم منهم بلوا ناقته أو بعيره فعكسوا عنقها و أداروا رأسها إلى مؤخرها و تركوها فى حفيره لا تطعم و لا تسقى حتى تموت، و ربّما أحرقت بعد موتها، و ربّما سلخت و ملئ جلدّها تماما. و كانوا يزعمون أنّ من مات و لم يبيل عليه، حشر ماشيا، و من كانت له بليته حشر راكبا على بليته. قال جريبه بن الأشيم الفقعى لابنه سعد:

يا سعد إنا أهلكنّ فإنى اوصيك إن أخا الوصاه الأقرب

لا أعرفنّ أباك يحشر خلفكم تعبا يجرّ على اليمين و ينكب

و احمل أباك على بعير صالح و تق الخطيئه إنّه هو أصوب

و لعلّ لى ممّا جمعت مطيه فى الحشر أركبها إذا قيل اركبوا

و قال جريبه أيضا:

إذا مت فادفننى بجداء ما بها سوى الأصرخين أو يفوز ركب

فإن أنت لم تعقر علىّ مطيتى فلا قام فى مال لك الدهر حالب

و لا تدفنى فى صوى و ادفنى بديمومه تنزو عليها الجنادب

قال: و قد ذكرت فى مجموعى المسمى ب«العبرى الحسان» أن الحسين بن محمد بن جعفر الخالع ذكر فى كتابه «آراء العرب و

أديانها» هذه الأبيات

و استشهد بها على ما كانوا يعتقدون في البليه. و قلت: إنه وهم في ذلك و إنه ليس في هذه الآيات دلالة على هذا المعنى و لا لها به تعلق، و إنما هي وصيه لولده أن يعقر مطيته بعد موته إمّا لكيلا- يركبها غيره بعده أو على هيئه القربان كالهدي المعقور بمكه، أو كما كانوا يعقرون عند القبور. و مذهبهم في العقر على القبور كقول زياد الأعجم في المغيرة بن المهلب:

ان السماحة و المروه ضمنا قبراً بمرور على الطريق الواضح

فإذا مررت بقبره فاعقر به كوم الهجان و كل طرف سابح

و قال آخر:

نفرت قلوصى عن حجاره حره بنيت على طلق اليدين وهوب

لا تنفري يا ناق منه فإنه شريب خمر مسعر لحروب

لولا السفار و بعد خرق مهمه لتركنتها تحبو على العرقوب

و مذهبهم في العقر على القبور مشهور، و ليس في هذا الشعر ما يدل على مذهبهم في البليه (١).

قلت: و في خبر، إن أمير المؤمنين عليه السلام استشهد من بعض الصحابة قول النبي صلى الله عليه و آله و سلم فيه: «من كنت مولاه فهذا على مولاه» فأنكر فقال له: ان كنت سمعت و لم تشهد لى فلا أماتك الله إلا ميتة الجاهليه، فلما مات جاء قومه بالخيول و الإبل فعقرتها على باب منزله.

و المراد به الأشعث بن قيس، و في لطائف معارف الثعالبي هو أول من دفن في داره، فإنه لما مات لم يقدر على إخراجة من كثره الزحام و كان الرجل ينزل عن دابته فيعقرها و الآخر يجيء براحلتة فينحرها، فخاف الحسن بن

ص: ٩١

(١-١) شرح ابن أبي الحديد ٣٨٥:١٩-٣٨٩. [١]

على أن يعقر الناس على قبره فأمر بدفنه في داره (١).

قال: فإن ظنَّ ظانٌّ أنَّ قوله «أو يفوّز راكب» فيه إيماء إلى ذلك، فليس الأمر كما ظنَّه، ومعنى البيت ادفتني بفلاة جداء مقطوعه عن الإنس ليس بها إلا الذئب والغراب أو أن يعتسف راكبها المفازة (٢).

و أخطأ الخالغ أيضا في هذا الباب إيراده قول مالك بن الرب:

و عطلّ قلوصى فى الركاب فإنها ستبرد أكبادا و تبكى بواكيا

فظنه من هذا الباب، وإنما أراد الشاعر لا تركبوا راحتى بعدى و عطّلوها بحيث لا يشاهدها أعادى و أصادقى ذاهبه جائيه تحت راكبها فيشمت العدو و يساء الصديق.

وقد أخطأ في مواضع آخر و أورد أشعارا في غير موضعها و ظنّها مناسبة و منها أنه ذكر مذهب العرب فى الحلّى و وضعه على اللديغ، و استشهد عليه بقول الشاعر:

يلاقى من تذكّر آل ليلى كما يلقى السليم من العداد

فالعداد معاوده السمّ الملسوغ فى كلّ سنه فى الوقت الذى لدغ فيه، و ليس هذا من باب الحلّى بسبيل.

و من ذلك إيراده قول الفرزدق «غلبتك بالمفقىء» فى باب فقاء عيون الفحول إذا بلغت الإبل ألفا، و سنذكر كثيرا من المواضع التى وهم فيها.

و ممّا ورد فى البليه قول بعضهم:

أبنى زودنى إذا فارقتنى فى القبر راحله برحل فاتر

للبعث أركبها إذا قيل اركبوا مستوسقين معا لحشر الحاشر

ص: ٩٢

١-١) لطائف المعارف للثعالبي.

٢-٢) شرح ابن أبى الحديد ٣٨٩: ١٩. [١]

و قال عويم النبھانی:

أبنی لا تنس البلیه إئھا لأبیک یوم نشوره مرکوب

و من تخیلات العرب و مذاھبھا ما حکاه ابن الأعرابی قال: كانت العرب إذا نفرت الناقه فسمیت لها أمھا سکنت من التفار، قال الراجز:

أقول-و الوجناء بی تقحم-ویلک اقل ما اسم أمھا یا علکم

«علکم» اسم عبده، و إنما سأل عبده ترفعا أن يعرف اسم أمھا، لأن العبيد بالإبل أعرف و هم رعاتها. و أنشد السکری:

فقلت له ما اسم أمھا هات فادعها تجبک و یسکن روعها و نفارها (١)

قلت: و فی أساس الزمخشري يقولون: الناقه الناده تسکن إذا سمیت أمھا، و كذلك یسکن الجمل الناد إذا سمی أبوه (٢). قلت: و لعل وجه سکونهما أنهما عند سماع اسمهما يتوجه خیالهما إلى الام و الأب فیسکنان عن النفور و الند.

و ممّا كانت العرب كالمجتمعه علیه (الهامه)، و ذلك أنهم كانوا يقولون ليس من میت يموت و لا قتيل یقتل إلا و یخرج من رأسه هامه، فإن كان قتل و لم یؤخذ بثاره نادت الهامه علی قبره: «اسقونی فإئی صديّه»، و عن هذا قال النبی صلی الله علیه و آله و سلم «لا هامه» (٣).

و حکى أن أبا زید قال «الهامه» مشدده المیم إحدى هوام الأرض، و إئھا هی المنادیه المذكوره. و قيل: إن أبا عبيد قال: ما أرى أبا زید حفظ هذا.

و قد یسمونها «الصدى» و الجمع أصداء، قال: «و کیف حیاه أصداء

ص: ٩٣

١-١) شرح ابن أبی الحدید ٣٨٩:١٩-٣٩١. [١]

٢-٢) أساس البلاغه: ٣٥٦، [٢] ماده: (قحم).

٣-٣) شرح ابن أبی الحدید ٣٩١:١٩. [٣]

و هام»، و قال أبو دواد الأيادي:

سلط الموت و المنون عليهم فلهم في صدى المقابر هام

و قال بعضهم لابنه:

و لا ترقون لي هامه فوق مرقب فإن زقاء الهام للمرء عائب

تنادي ألا اسقوني و كلّ صدى به و تلك التي تبيضّ منها الذوائب

يقول له لا- تترك ثاري إن قتلت فإنك إن تركته صاحب هامتي: اسقوني، فإنّ كلّ صدى- و هو ها هنا العطش- بأبيك، و تلك التي تبيض منها الذوائب لشدّتها، كما يقال: «أمر يشيب رأس الوليد»، و يحتمل أن يريد صعوبه الأمر عليه و هو مقبور إذا لم يثار به، و يحتمل أن يريد به صعوبه الأمر على ابنه، يعني أنّ ذلك عار عليك. و قال ذو الأصبع:

يا عمرو إلا تدع شمتي و منقصتي أضربك حيث تقول الهامه اسقوني (١)

قلت: و أنشد البيت عبد الملك بن مروان لعمر بن سعيد لما قتله. قال:

و قال آخر:

(فيا رب ان أهلك و لم ترو هامتي بليلى أمت لا قبر أعطش من قبري (٢))

و يحتمل هذا البيت أن يكون خارجا عن هذا المعنى الذي نحن فيه و أن يكون رىّ هامته الذي طلبه من ربه هو وصال ليلي في الدنيا، و هم يكتنون عمّا يشفيهم بأنّه يروى هامتهم. و قال معلىّ الفقعي:

و إنّ أخاكم قد علمت مكانه بسفح قبا تسفى عليه الأعاصر

له هامه تدعو إذا الليل جنّها بنى عامر هل للهلاليّ نائر

ص: ٩٤

١- (١) شرح ابن أبي الحديد ٣٩١: ١٩- ٣٩٢. [١]

٢- (٢) شرح ابن أبي الحديد ٣٩٥: ١٩ ح ٣٩٢. [٢]

و قال توبه بن الحمير:

و لو أنّ ليلي الأخيليه سلمت عليّ و دونى جندل و صفائح

لسلمت تسليم البشاشه أو زقا إليها صدى من جانب القبر صائح

و قال قيس بن الملوّح— هو المجنون:

و لو تلتقي أصدائنا بعد موتنا و من دوننا رمس من الأرض أنكب

لظلّ صدى رمسى و إن كنت رمّه لصوت صدى ليلي يهشّ و يطرب

و قال حميد بن ثور:

ألا هل صدى أمّ الوليد مكلمّ صداى إذا ما كنت رمسا و أعظما

و ممّا أبطله الإسلام قول العرب بالصّفر، زعموا أن فى البطن حيّه إذا جاع الإنسان عضّت على شر سوفه و كبده، و قيل: هو الجوع بعينه، ليس أنّها تعضّ بعد حصول الجوع.

فأما لفظ الحديث «لا عدوى و لا هامه و لا صفر» فإنّ أبا عبيده معمر بن المثنى قال: هو «صفر» الشهر الذى بعد المحرم. نهى عليه السيّلام عن تأخيرهم المحرم إلى صفر، يعنى ما كانوا يفعلونه من النسيء، و لم يوافق أحد من العلماء أبا عبيده على هذا التفسير. قال الشاعر:

لا يتأزى لَمّا فى القدر يرقبه و لا يعض على شرسوفه الصفر

و قال بعض شعراء بنى عبس يذكر قيس بن زهير لَمّا هجر الناس و سكن الفيافي و أنس بالوحش، ثم رأى ليله نارا فعشا إليها فشَمّ عندها قنار اللحم فنازعته شهوته فغلبها و قهرها و مال إلى شجره سلم فلم يزل يكدمها و يأكل من خبطها إلى أن مات:

إنّ قيسا كان ميته كرم و الحى منطلق

شام نارا بالهوى فهوى و شجاع البطن يختفق

فى دريس ليس يستره ربّ حرّ ثوبه خلق

و قوله: «بالهوى» اسم موضع بعينه. و قال أبو النجم العجلى:

إنّك يا خير فتى نستعدى على زمان مسنا بجهد

عضّا كعضّ صفر بكبد

و قال آخر:

أردّ شجاع البطن قد تعلمينه و أوثر غيرى من عيالك بالطعم

و من خرافات العرب أن الرجل منهم كان إذا أراد دخول قريه فخاف وباءها أو جنّها، وقف على بابها قبل أن يدخلها فنهق نهيق الحمار، ثم علّق عليه كعب أرنب، كأنّ ذلك عوده له و رقيه من الوباء و الجن، و يسمّون هذا النهيق: التعشير قال شاعرهم:

و لا ينفع التعشير إن حمّ واقع و لا زعزع يغنى و لا كعب أرنب

و قال الهيثم بن عدى: خرج عروه بن الورد إلى خبير فى رفقه ليمتاروا، فلما قربوا منها عشّروا و عاف عروه أن يفعل فعلهم و قال:

لعمرى لئن عشّرت من خيفه الردى نهاق حمير إننى لجزوع

فلا و ألت تلك النفوس و لا أتوا قفولا إلى الأوطان و هى جميع

و قالوا ألا انهق لا تضرك خبير و ذلك من فعل اليهود ولوع

أى: كذب. فيقال إن رفقته مرضوا و مات بعضهم و نجا عروه من الموت و المرض. و قال آخر:

لا ينجيتك من حمام واقع كعب تعلّقه و لا تعشير (١)

قلت: و الأصل فى وجه تسميتهم له بالتعشير ان الحمار يتابع فى نهيقه بين عشر نهقات.

ص: ٩٦

(١-١) شرح ابن أبى الحديد ٣٩٢:١٩-٣٩٥. [١]

(قال: و يشابه هذا أنّ الرجل منهم كان إذا ضلّ في فلاة قلب قميصه و صفّق يديه كأنه يوميّ بهما إلى إنسان فيهدى. قال أعرابي:

قلت ثيابي و الظنون تجول بي و ترمي برحلي نحو كلّ سبيل

فلأيا بلأى ما عرفت جليّتي و أبصرت قصدا لم يصب بدليل

و قال أبو العمّس الطائي:

فلو أبصرتني بلوى بطان اصفّق بالبنان على البنان

فأقلب تاره خوفا ردائي و أصرخ تاره بأبي فلان

لقلت أبو العمّس قد دهاه من الجنّان خالعه العنان

و الأصل في قلب الثياب التفاؤل بقلب الحال، و قد جاء في الشريعة الإسلاميّه نحو ذلك في الاستسقاء (١).

و من مذاهب العرب أنّ الرجل منهم كان إذا سافر عمد إلى خيط فعقده في غصن شجره أو في ساقها، فإذا عاد نظر إلى ذلك

الخيط، فإنّ وجده بحاله علم أنّ زوجته لم تخنه، و إن لم يجده أو وجده محلولا - قال: خاننتني، و ذلك العقد يسمّى «الرتم». و

يقال: بل كانوا يعقدون طرفا من غصن الشجر بطرف غصن آخر. قال الراجز:

هل ينفعنك اليوم إن همت بهم كثره ما توصى و تعقاد الرّتم

و قال آخر:

خانته لمّا رأت شيبا بمفرقه و غرّه حلفها و العقد للرّتم

و قال آخر:

لا تحسبنّ رثائما عقّدتها تنبيك عنها باليقين الصادق

و قال آخر:

ص: ٩٧

يعلل عمرو بالرتائم قلبه و في الحى ظبى قد احلت محارمه
فما نفعت تلك الوصايا و لا جنت عليه سوى ما لا يحب رتائمه
و قال آخر:

ما ذا الذى تنفعك الرتائم إذ أصبحت و عشقها ملازم
و هى على لذاتها تداوم يزورها طبّ الفؤاد عارم

بكل أدواء النساء عالم

و قد كانوا يعقدون الرتم للحمى و يرون أن من حلها انتقلت الحمى إليه، قال الشاعر:

و قد كانوا يعقدون الرتم للحمى و يرون أن من حلها انتقلت الحمى إليه، قال الشاعر:

حللت رتيمة فمكثت شهرا أكابد كل مكروه الدواء (١)

قلت: و تأتي «الرتيمة» أيضا لما يعقد فى اليد للتذكرة كما قال ثعلب فى مجالسه و أنشد:

إذا لم تكن حاجاتنا فى نفوسنا لإخواننا لم تغن عنا الرتائم (٢)

و قال ابن السكيت: إن العرب كانت تقول: إن المرأة المقلاط- و هى التى لا- يعيش لها ولد- إذا وطئت القليل الشريف عاش
ولدها، قال بشر بن أبى حازم:

قطل مقاليت النساء تطأنه يقلن ألا يلقى على المرء مئزر

و قال أبو عبيده: تتخطاه المقلاه سبع مرات فذلك وطاها له.

و قال ابن الأعرابى: يمرّون به و يطئون حوله. و قيل إنّما كانوا يفعلون ذلك بالشريف يقتل غدرا أو قودا، و قال الكميت:

و تطيل المرزّات المقاليت إليه القعود بعد القيام

ص: ٩٨

(١-١) شرح ابن أبى الحديد ٣٩٦: ١٩. [١]

(٢-٢) مجالس الثعلبى.

وقال آخر:

تركنا الشعثمين برمل خبت تزورهما مقاليت النساء

وقال آخر:

بنفسى الذى تمشى المقاليت حوله يطال له كشحا هضيما مهشما

وقال آخر:

تباشرت المقاليت حين قالوا ثوى عمرو بن مرّه بالحفير

و من تخيلات العرب و خرافاتها أن الغلام منهم كان إذا سقطت له سن أخذها بين السبابه و الابهام و استقبل الشمس إذا طلعت و قذف بها و قال: يا شمس، أبدليني بسن أحسن منها و ليجر في ظلمها «إياتك» أو «إياؤك»، و هما جميعا شعاع الشمس، قال طرفه «سقته إياه الشمس»، و إلى هذا الخيال أشار شاعرهم بقوله:

شادن يجلو إذا ما ابتسمت عن أفاح كأفاح الرمل غر

بدلته الشمس من منبته بردا أبيض مصقول الأثر

وقال آخر:

و أشنب واضح عذب الثنايا كأنّ رضا به صافى المدام

كسته الشمس لونا من سناها فلاح كأنه برق الغمام

وقال آخر:

بذى اشر عذب المذاق تفرّدت به الشمس حتى عاد أبيض ناصعا

و الناس اليوم فى صبيانهم على هذا المذهب.

و كانت العرب تعتقد أن دم الرئيس يشفى من عضه الكلب الكلب، قال الشاعر:

بناه مكارم و اساه جرح دماؤهم من الكلب الشفاء

و قال ابن الزبير الأسدي:

من خير بيت علمناه و أكرمه كانت دماؤهم تشفى من الكلب

و قال الكميت:

أحلامكم لسقام الجهل شافيه كما دماؤكم تشفى من الكلب

و من تخيلات العرب أنهم كانوا إذا خافوا على الرجل الجنون و تعرّض الأرواح الخبيثه له نجسوه بتعليق الأقدار عليه كخرقه
الحيض و عظام الموتى قالوا: و أنفع من ذلك أن تعلق عليه طامث عظام موتى ثم لا يراها يومه ذلك و أنشدوا للممزق العبدى:

فلو أن عندى جارتين و راقيا و علق انجاسا على المعلق

قالوا: و التنجيس يشفى إلا من العشق، قال أعرابي:

يقولون علق يا لك الخير رمه و هل ينفع التنجيس من كان عاشقا!

و قالت امرأه و قد نجست ولدها فلم ينفعه و مات:

نجسته لو ينفع التنجيس و الموت لا تفوته النفوس

و كان أبو مهدية يعلق فى عنقه العظام و الصوف حذر الموت، و أنشدوا:

أتونى بانجاس لهم و منجس فقلت لهم ما قدر الله كائن

و من مذاهبهم أن الرجل منهم كان إذا خدرت رجله ذكر من يحب أو دعاه فيذهب خدرها، قال:

على أن رجلى لا يزال امدلالها مقيما بها حتى أجيلك فى فكرى

و قال كثير:

إذا مذلت رجلى ذكرك أشتفى بدعواك من مذل بها فيهون

و قال جميل:

و أنت لعينى قره حين نلتقى و ذكرك يشفينى إذا خدرت رجلى

و قالت امرأه:

إذا خدرت رجلى دعوت ابن مصعب فإن قلت عبد الله أجلى فتورها

و قال آخر:

صَبَّ محبَّ إذا ما رجله خدرت نادى كيشه حتى يذهب الخدر

و قال المؤمل:

و الله ما خدرت رجلى و لا عثرت إلا ذكرتك حتى يذهب الخدر

و قال الوليد بن يزيد:

أثيبي هائما كلفا معني إذا خدرت له رجل دعاك

و نظير هذا الوهم، أن الرجل منهم كان إذا اختلجت عينه قال: أرى من احبّه فإن كان غائبا توقّع قدومه و إن كان بعيدا توقّع
قربه، قال بشر:

إذا اختلجت عيني أقول لعلها فتاه بنى عمرو بها العين تلمع

و قال آخر:

إذا اختلجت عيني تيقنت أنني أراك و إن كان المزار بعيدا

و قال آخر:

إذا اختلجت عيني أقول لعلها لرؤيتها تهتاج عيني و تطرف

و هذا الوهم باق في الناس إلى اليوم.

و من مذاهبهم، أن الرجل منهم كان إذا عشق و لم يسئل، و أفرط عليه العشق، حمّله رجل على ظهره كما يحمل الصبي و قام آخر
فأحمى حديده أو ميلا و كوى به بين أليته فيذهب عشقه فيما يزعمون، قال أعرابي:

كويتم بين رانفتي جهلا و نار القلب يضرمها الغرام

و قال آخر:

شكوت إلى رفيقي اشتياقي فجاءني و قد جمعا دواء

و جاء بالطيب ليكوياني و لا أبغى -عدمتهما-اكتواء

و لو أتيا بسلمى حين جاء لعاضاني من السقم الشفاء

و استشهد الخالع على هذا المعنى بقول كثير:

أغاضر لو شهدت غداه بنتم حنوّ العائدات على و سادى

أويت لعاشق لم ترحميه بواقده تلذع بالزناد

و هذا البيت ليس بصريح فى هذا الباب، و يحتمل أن يكون مراده فيه المعنى المشهور المطروق بين الشعراء من ذكر حراره الوجد و لذعه و تشبيهه بالنار، إلا أنه قد روى فى كتابه خيرا يؤكد المقصد الذى ادّعاه، و هو:

عن محمد ابن سليمان بن فليج عن جدّه قال: كنت عند عبد الله بن جعفر فدخل عليه كثير و عليه أثر عله، فقال عبد الله: ما هذا بك؟ قال: هذا ما فعلت بى أمّ الحويرث، ثم كشف عن ثوبه و هو مكوى و أنشد:

عفا الله عن أمّ الحويرث ذنبها على من تعنّينى و تكمى دوائيا

و لو آذونى قبل أن يرقموا بها لقلت لهم أمّ الحويرث دائيا

قلت: و الظاهر أنه حرّف شعره أيضا و إنه قال: «كويت لعاشق لم

ترحميه»

بقوله «أويت لعاشق لم ترحميه»

قال: و من أوهامهم و تخيلاتهم أنهم كانوا يزعمون أنّ الرجل إذا أحبّ امرأه و أحبّته فسقّ برقعها و شقّت رداءه صلح حبهما و دام، فإن لم يفعل ذلك فسد حبهما، قال سحيم عبد بنى الحساس:

و كم قد شققنا من رداء محبّر و من برقع عن طفله غير عابس

إذا شقّ برد شق بالبرد برقع دواليك حتى كلنا غير لابس

نروم بهذا الفعل بقيا على الهوى و ألف الهوى يغرى بهذى الوسوس

و قال آخر:

شقت ردائي يوم برقه عالج و أمكنتني من شق برقعك السحقا

فما بال هذا الحب يفسد بيننا و يمحق جبل الوصل ما بيننا محقا

و من مذاهبهم أنهم كانوا يرون أن أكل لحوم السباع يزيد في الشجاعه و القوه، و هذا مذهب طبي و الأطباء يعتقدونه، قال بعضهم:

أبا المعارك لا تتعب بأكلك ما تظن أنك تلقى منه كزارا

فلو أكلت سباع الأرض قاطبه ما كنت إلا جبان القلب خوارا

و قال بعض الأعراب-و أكل فؤاد الأسد ليكون شجاعا فعدا عليه نمر فجرحه:

أكلت من الليث الهصور فؤاده لأصبح أجرى منه قلبا و أقدما

فأدرك مني ثاره بابين اخته فيا لك ثارا ما أشد و أعظما

و قال آخر:

إذا لم يكن قلب الفتى غدوه الوغى أصم فقلب الليث ليس بنافع

و ما نفع قلب الليث في حومه الوغى إذا كان سيف المرء ليس بقاطع

و من مذاهبهم أن صاحب الفرس المهقوع-و الهقعه دائره تكون بالفرس و ربما كانت على الكتف في الأكثر و هي مستقبحه عندهم-إذا ركبه فغرق تحته اغتلمت امرأته و طمحت إلى غيره، قال بعضهم لصاحبه:

إذا عرق المهقوع بالمرء أنعظت حليلته و ازداد حرا عجائها

فأجابه صاحبه:

و قد يركب المهقوع من ليس مثله و قد يركب المهقوع زوج حصان

و من مذاهبهم أنهم كانوا يوقدون النار خلف المسافر الذي لا يحبون رجوعه و يقولون في دعائهم «أبعده الله و أسحقه و أوقد نارا أثره»، قال بعضهم:

صحوت و أوقدت للجهل نارا ورد عليك الصبا ما استعارا (١)

و فى لسان العرب قالت العقيليه: كان الرجل إذا خفنا شره فتحول عنا أوقدنا خلفه نارا. فقلت لها: و لم ذلك؟ قالت: لتحول ضبعهم معهم، أى:

شرهم (٢)، قال الشاعر:

و جمه أقوام حملت و لم أكن كموقد نار أثرهم للتندم

و كانوا إذا خرجوا إلى الأسفار أوقدوا نارا بينهم و بين المنزل الذى يريدونه و لم يوقدوها بينهم و بين المنزل الذى خرجوا منه تفاقولا بالرجوع إليه.

و من مذاهبهم المشهوره تعليق كعب الأرنب، قال ابن الأعرابي: قلت لزيد ابن كثوه: أ تقولون: إن من علق عليه كعب أرنب لم تقربه جنان الدار و لا عمار الحى. قال: أى و الله و لا شيطان الحماطه و لا جار العشيره و لا غول القفر.

«الحماطه» شجره «و العشيره» بالتصغيره شجره.

و قال امرؤ القيس:

أيا هند لا تنكحى بوهه عليه عقيقته أحسبا

مرسعه بين أدباقه به عسم يبتغى أرنبا

ليجعل فى رجله كعبها حذار المتيه أن يعطبا

و قال أبو محلم: كانت العرب تعلق على الصبى سنّ ثعلب و سنّ هره خوفا من الخطفه و النظره، و يقولون: إن جتيه أرادت صبى قوم فلم تقدر عليه فلامها قومها من الجن فى ذلك، فقالت تعتذر إليهم:

كان عليه نفره ثعالب و هرره

ص: ١٠٤

[١- ١] شرح ابن أبى الحديد ٣٩٧: ١٩-٤٠٣. [١]

[٢- ٢] لسان العرب ٣٦٣: ١٥، [٢] ماده: (و قد).

و السمره: شىء يسيل من السمر كدم الغزال، و كانت العرب إذا ولدت المرأه أخذوا من دم السمر- و هو صمغه الذى يسيل منه- ينقطونه بين عيني النفساء و خطوا على وجه الصبي خطأ، و يسمى هذا الصمغ السائل من السمر «الدودم» و يقال بالذال المعجمه أيضا. و تسمى هذه الأشياء التى تعلق على الصبي «النفرات».

قال عبد الرحمن ابن أخى الأصمعى: إن بعض العرب قال لأبى: إذا ولد لك ولد فنفر عنه. فقال له أبى: و ما التنفير؟ قال: غزب اسمه. فولد له ولد فسماه قنفذا و كناه «أبا العداء». قال: و أنشد أبى:

كالخمر مزج دوائها منها بها تشفى الصداع و تبرىء المنجودا

يريد أن القنفذ من مراكب الجن فداوى ولده منهم بمراكبهم.

و من مذاهبهم أن الرجل منهم كان إذا ركب مفازه و خاف على نفسه من طوارق الليل عمد إلى واد ذى شجر فأناخ راحلته فى قرارته و عقلها و خط عليها خطأ ثم قال: «أعوذ بصاحب هذا الوادى» و ربما قال «بعظيم هذا الوادى»، و عن هذا قال سبحانه فى القرآن: «وَ أَنَّهُ كَانَ رِجَالٌ مِنَ الْإِنْسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِنَ الْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا» (١).

و استعاذ رجل منهم و معه ولد فأكله الأسد فقال:

قد استعدنا بعظيم الوادى من شر ما فيه من الأعداى

فلم يجرنا من هزبر عاد

و قال آخر:

أعوذ من شر البلاد البيد بسيد معظم مجيد

ص: ١٠٥

أصبح يلوى بلوى زرود ذى عزّه و كاهل شديد

و قال آخر:

يا جنّ أجزاء اللوى من عالج عاذ بكم سارى الظلام الدالج

لا ترهقوه بغوى هائج

و قال آخر:

قد بتّ ضيفا لعظيم الوادى المانعى من سطوه الأعداى

راحلتى فى جاره و زادى

و قال آخر:

هيا صاحب الشجرا هل أنت مانعى فإنى ضيف نازل بفنائكا

و إنك للجنان فى الأرض سيد و مثلك آوى فى الظلام الصعالكا

و من مذاهبهم أنّ المسافر إذا خرج من بلده إلى اخرى فلا ينبغى له أن يلتفت، فإنه إذا التفت عاد، فلذلك لا يلتفت إلا العاشق الذى يريد العود، قال بعضهم:

دع التلّفت يا مسعود و ارم بها وجه الهواجر تأمن رجعه البلد

و قال آخر، أنشده الخالع:

عيل صبرى بالثعلبيّه لما طال ليلى و ملّنى قرنائى

كلّما سارت المطايا بنا مى لا تنفست و التفت ورائى

ذكرهما الخالع فى الباب، و عندى أنّه لا دلالة فيهما على ما أراد، لأن التلّفت فى أشعارهم كثير، و مرادهم به الإبانة و الإعراب عن كثره الشوق و التأسّف على المفارقة و كون الراحل عن المنزل حيث لم يمكنه المقام فيه بجثمانه يتبعه بصره و يتزود من رؤيته، كقول الرضى رضى الله عنه:

و لقد مررت على طولهم

و تلّفت عيني فمد خفيت عني الطول تلّفت القلب

و ليس يقصد بالتلفت ها هنا التفاؤل بالرجوع إليها، لأن رسومها قد صارت نهبا ليد البلى فأى فائده فى الرجوع إليها، وإنما يريد ما قدّمنا ذكره من الحنين و التذكّر لِمَا مضى من أيامه فيها، و كذلك قول الأول:

ص: ١٠٦

و لقد مررت على طولهم

و تَلَفَّت عيني فمذ خفيت عني الطلول تَلَفَّت القلب

و ليس يقصد بالتلفت ها هنا التفاؤل بالرجوع إليها، لأن رسومها قد صارت نهبا ليد البلى فأى فائده في الرجوع إليها، وإنما يريد ما قدّمنا ذكره من الحنين و التذكّر لما مضى من أيامه فيها، و كذلك قول الأول:

تَلَفَّت نحو الحيّ حتى وجدتنى وجعت من الإصغاء ليّتا و أخذعا (1)

قلت: بل الظاهر أنّ إنشاد الخالع من ذاك الباب، بشهادته بيته الأول بعدم ميله إلى الرجوع و كون البيت الثانى بلفظ الالتفات لا التلفت.

قال: و قال بعضهم فى المذهب الأول:

تَلَفَّت أرجو رجعه بعد تيه فكان التفاتى زائدا فى بلائيا

ء أرجو رجوعا بعد ما حال بيننا و بينكم حزن الفلا و الفيافيا

و قال آخر، و قد طلق امرأته فتلفتت إليه:

تلفت ترجو رجعه بعد فرقه و هيهات ممّا ترتجى امّ مازن

ألم تعلمى أنّى جموح عنانه إذا كان من أهواه غير ملاين

و من مذاهبهم أنّه إذا بثر شفه الصبى حمل منخلا- على رأسه و نادى بين بيوت الحيّ: «أحلا- أحلا- أَلطعام الطّعام» فتلقى له النساء كسر الخبز و أقطاع التمر و اللحم فى المنخل ثم يلقى ذلك للكلاّب فتأكله فيبرأ من المرض، فإن أكل صبى من الصبيان من ذلك الذى ألقاه للكلاّب تمره أو لقمه أو لحمه بثر شفته. و أنشد لامرأه:

ألا حلا فى شفه مشقوقه فقد قضى منخلنا حقوقه

و من مذاهبهم أنّ الرجل منهم كان إذا طرفت عينه بثوب آخر مسح

ص:

الطارف عين المطروف سبع مرات، يقول في الأولى «باحدى جاءت من المدينه» و فى الثانيه «باثنتين جاءتا من المدينه» و فى الثالثه «بثلاث جئن من المدينه» إلى أن يقول فى السابعه «بسبع جئن من المدينه» فتبرأ عين المطروف، و فيهم من يقول «باحدى من سبع جئن من المدينه» إلى أن يقول «بسبع من سبع».

و من مذاهبهم أنّ المرأه منهم كان إذا عسر عليها خاطب النكاح نشرت جانباً من شعرها و كحلت إحدى عينيها مخالفه للشعر المنشور و حجلت على إحدى رجليها، و يكون ذلك ليلاً و تقول «يالكاح أبغى النكاح قبل الصباح» فيسهل أمرها و تتزوج عن قريب:

قال رجل لصديقه، و قد رأى أمّه تفعل ذلك:

أما ترى أمك تبغى بعلا قد نشرت من شعرها الأفلأ

و لم توفّ مقلتيها كحلا ترفع رجلا و تحطّ رجلا

هذا و قد شاب بنوها أصلاً و أصبح الأصغر منهم كهلاً

خذ القطيع (١) ثم سمها الذلاً ضرباً به تترك هذا الفعلا

و قال آخر:

قد كحلت عينا و أعفت عينا و حجلت و نشرت قرينا

تظنّ زينا ما تراه شينا

و قال آخر:

تصنّعى ما شئت أن تصنّعى و كحلى عينك أو لافدعى

ثم احجلى فى البيت أو فى المجمع مالك فى بعل أرى من مطمع

و من مذاهبهم كانوا إذا رحل الضيف أو غيره عنهم و أحبوا أن لا يعود

ص: ١٠٨

كسروا شيئاً من الأواني وراءه، وهذا مما تعمله الناس اليوم أيضاً، قال بعضهم:

كسرنا القدر بعد أبي سواح فعاد و قدرنا ذهب ضياعاً

و قال آخر:

و لا نكسر الكيزان فى أثر ضيفنا و لكننا نقيه زادا ليرجعا

و قال آخر:

أما و الله إن بنى نفيل لحلالون بالشرف اليفاع

اناس ليس تكسر خلف ضيف أو انيهم و لا شعب القصاع

و من مذاهبهم قولهم: إن من ولد فى القمرء تقلصت غرلته فكان كالمختون، و يجوز عندنا أن يكون ذلك من خواص القمر، كما أن من خواصه إبلاء الكتان و إنتان اللحم.

و قد روى عن أمير المؤمنين عليه السلام: إذا رأيت الغلام طويل الغرله فأقرب به من السؤدد، و إذا رأيت قصير الغرله كأنما ختنه القمر فأبعد به.

و قال امرؤ القيس لقيصر و قد دخل معه الحمام فرآه أغلف:

إنى حلفت يمينا غير كاذبه لأنت أغلف إلا ما جنى القمر

و من مذاهبهم التشاؤم بالعطاس، قال امرؤ القيس:

و قد اغتدى قبل العطاس بهيكل شديد منيع الجنب فعم المنطق

و قال آخر:

و خرق إذا وجهت فيه لغزوه مضيت و لم يحبسك عنه العواطس

و من مذاهبهم قولهم فى الدعاء عليه «لا عشت إلا عيش القراد» يضربونه مثلاً فى الشده و الصبر على المشقه، و يزعمون أن القراد يعيش بطنه عاماً و بظهره عاماً، و يقولون: إنه يترك فى طينه و يرمى بها الحائط

فيبقى سنه على بطنه و سنه على ظهره و لا يموت، قال بعضهم:

فلا عشت إلا كعيش القرا د عاما ببطن و عاما بظهر

و من مذاهبهم: كانت النساء إذا غاب عنهن من يحببهن أخذن ترابا من موضع رجله، كانت العرب تزعم أن ذلك أسرع لرجوعه. و قالت امرأه من العرب و اقتبضت من أثره:

يا رب أنت جاره في سفره و جار خصييه و جار ذكره

و قالت امرأه:

أخذت ترابا من مواطىء رجله غداه غدا كيما يثوب مسلما

و من مذاهبهم أنهم كانوا يسمون العشا في العين الهدبد، و أصل الهدبد اللبن الخاثر، فإذا أصاب أحدهم ذلك عمد إلى سنام فقطع منه قطعه و من الكبد قطعه و قلاهما و قال عند كل لقمة يأكلها بعد أن يمسح جفنه الأعلى بسنابته:

فيا سناما و كبد ألا اذهبا بالهدبد

ليس شفاء الهدبد إلا السنام و الكبد

فيذهب العشا بذلك.

و من مذاهبهم اعتقادهم ان الورل و القنفذ و الأرنب و الظبي و اليربوع و النعام مراكب الجن يمتطونها، و لهم في ذلك أشعار مشهورة، و يزعمون أنهم يرون الجن و يظاهرونهم و يخاطبونهم و يشاهدون الغول، و ربما جامعوها و تزوجوها.

و قالوا: إن عمرو بن يربوع تزوج الغول و أولدها بنين و مكثت عنده دهرا فكانت تقول له: إذا لاح البرق من جهة بلادى - و هى جهة كذا - فاستره عنى و إلا - تركت ولدك عليك و طرت إلى بلاد قومي. فكان عمرو بن يربوع كلما برق البرق غطى وجهها بردائه فلا تبصره.

و إلى هذا المعنى أشار أبو العلاء المعري في قوله يذكر الابل و حينها إلى البرق:

طربن لضوء البارق المتعالى ببغداد و هنا ما لهنّ و مالى

سمت نحوه الأبصار حتى كأنّها بناريه من هنا و ثمّ صوالى

إذا طال عنها سرها لراءوسها تمدّ إليه فى صدور عوالى

تمنّت قويقا و الصراه أمامها تراب لها من أيتق و جمالى

إذا لاح إيماض سترت وجوها كأنّى عمرو و المطىّ سعالى

و كم همّ نضوان يطير مع الصّبا إلى الشام لولا حبسه بعقالى

قالوا:فغفل عمرو بن يربوع عنها ليله و قد لمع البرق فلم يستر وجهها فطارت و قالت له و هى تطير:

أمسك بنيك عمرو إنّى آبق برق على أرض السعالى آلق

و منهم من يقول:ركبت بعيرا و طارت عليه-أى:أسرعت-فلم يدر كها.

و عن هذا قال الشاعر:

رأى برقاً فأوضع فوق بكر فلا بك ما أسال و لا أغاما

قال:فبنو عمرو بن يربوع إلى اليوم يدعون بنى السعلاه،و لذلك قال الشاعر يهجوهم:

يا قتيح الله بنى السعلاه عمرو بن يربوع شرار النات

ليسوا بأبطال و لا أكيات

فأبدل السين تاء و هى لغه قوم من العرب (١).

قلت:أى:الأصل فى النات«الناس»و فى أكيات«أكياس».

و من مذاهبهم فى الغول قولهم:إنها إذا ضربت ضربه واحده بالسيف

ص:١١١

هلكت فإن ضربت ثانيه عاشت،و إلى هذا المعنى أشار الشاعر بقوله:

فقلت:ئن قلت لها رويدا مكانك،إننى ثبت الجنان

و كانت العرب تسمى أصوات الجن«العزيف»و تقول:ان الرجل إذا قتل قنفذا و ورلا لم يأمن الجن على فحل إبله،و إذا أصاب إبله خطب أو بلاء حملة على ذلك.و يزعمون أنهم يسمعون الهاتف بذلك،و يقولون مثله فى الجان من الحيات و قتله عندهم عظيم.

و رأى رجل منهم جائنا فى قعر بئر لا- يستطيع الخروج منها،فنزل و أخرجه منها على خطر عظيم و غمض عينيه لثلا- يرى أين يدخل،كأنه يريد بذلك التقرب إلى الجن.

و قال الجاحظ:و كانوا يسمون من يجاور منهم الناس(عامرا)و الجمع عمار،فان تعرض للصبيان فهو«روح»،فان خبت و تعرم فهو«شيطان»،فان زاد على ذلك فى القوه فهو«عفريت»،فان طهر و لطف و صار خيرا كله فهو«ملك»،و يفاضلون بينهم.

و يعتقدون أن مع كل شاعر شيطانا و يسمونهم بأسماء مختلفه (١).

قلت:و فى(شعراء ابن قتيبه):راجز العجاج على ناقه له كرماء و عليه ثياب حسان،و خرج أبو النجم العجلى على جمل مهنوء و عليه عباء،فأنشد العجاج«قد جبر الدين الإله فاجر»و أنشد أبو النجم«تذكر القلب و جهلا ما ذكر»حتى بلغ قوله:

إننى و كل شاعر من البشر شيطانه انثى و شيطانى ذكر

فما رآنى شاعر إلا استسر فعل نجوم الليل عاين القمر

عيشى تميم و اصغرى فيمن صغر و باشرى بالبذل و اعطى من عشر

ص:١١٢

(١-١) شرح ابن أبى الحديد ٤١٢:١٩-٤١٣. [١]

و أمرى الاثنى عليك و الذكر

فبينما هو ينشد إذ حمل جملة على ناقه العجاج، فضحك الناس و انصرفوا يقولون: «شيطانه اثنى و شيطاني ذكر»-و العجاج من زيد مناه بن تميم.

(قال: قال الجاحظ: و فى النهار ساعات يرى فيها الصغير كبيرا و يوجد لأوساط الفيافي و الرمال و الحرار مثل الدوى و هو طبع ذلك الوقت، قال ذو الرمة:

إذا قال حادينا لترنيم بنأه صه لم يكن إلا دوى المسامع

و قال الجاحظ ايضا فى الذين يذكرون عزيز الجن و تغول الغيلان: إن هذا الأمر و ابتداء هذا الخيال أن القوم لما نزلوا بلاد الوحش عملت فيهم الوحشه و من انفرد و طال مقامه فى البلاد الخلاء استوحش و لا سيما مع قلّه الأشغال و فقد المذاكرين، و الوحده لا تقطع أيامها إلا بالتمنى و الأفكار، و ذلك أحد أسباب الوسواس.

و من عجائب اعتقادات العرب و مذاهبهم اعتقادهم فى الديك و الغراب و الحمامه و ساق حرّو- هو الهديل- و الحيه، فمنهم من يعتقد أن للجن بهذه الحيوانات تعلقا، و منهم من يزعم أنّها نوع من الجن، و يعتقدون أنّ سهيلا و الزهره و الضبّ و الذئب و الضبع مسوخ. و من أشعارهم فى مراكب الجن قول بعضهم فى قنفذ رآه ليلا:

فما يعجب الجنان منك- عدمتهم- و فى الأسد أفراس لهم و نجائب

أ يسرج يربوع و يلجم قنفذ لقد أعوزتكم ما علمت النجائب

فإن كانت الجنان جنّت فبالحرى و لا ذنب للأقوام و الله غالب

و من الشعر المنسوب إلى الجنّ:

ص: ١١٣

و كل المطايا قد ركبنا فلم نجد ألدَّ و أشهى من ركوب الأرانب

و من عضر فوط عنّ لى فركبته أبادر سربا من عطاء قوارب (١)

و قال أعرابي يكذب بذلك:

أ يستمع الأسرار راكب فنغد لقد ضاع سرّ الله يا أمّ معبد

و من أشعارهم و أحاديثهم فى رؤيه الجن و خطابهم و هتافهم ما رواه الجاحظ لسيمير بن الحارث الضبى:

و نار قد حضأت بعيد و هن بدار لا أريد بها مقاما

سوى تحليل راحله و عين أكالئها مخافه أن تناما

أتوا نارى فقلت منون أنتم؟ فقالوا:الجن قلت:عموا ظلما

و يزعمون أنّ عمير بن ضبيعه رأى غلمانا ثلاثة يلعبون نهارا فوثب غلام منهم فقام على عاتقى صاحبه و وثب الآخر فقام على عاتقى الأعلى منهما، فلما رأهم كذلك حمل عليهم فصدّمهم فوقعوا على ظهورهم و هم يضحكون، فقال عمير بن ضبيعه: فما مررت يومئذ بشجره إلا و سمعت من تحتها ضحكا، فلما رجع إلى منزله مرض أربعة أشهر (٢).

و حكى الأصمعى عن بعضهم أنّه خرج هو و صاحب له يسيران فإذا غلام على الطريق فقالا له: من أنت؟ قال: مسكين قد قطع بى. فقال أحدهما لصاحبه أردفه خلفك، فأردفه خلفه فالتفت الآخر إليه فرأى فمه يتأجج ناراً، فشدّ عليه بالسيف فذهبت النار، فرجع عنه ثم التفت فرأى فمه يتأجج ناراً، فشدّ عليه فذهبت النار، ففعل ذلك مرارا، فقال ذلك الغلام: قاتلكما الله ما أجدكما و الله ما فعلتها بآدمى إلا و انخلع فؤاده،

ص: ١١٤

١-١) شرح ابن أبى الحديد ٤١٢:١٩-٤١٤. [١]

٢-٢) شرح ابن أبى الحديد ٤١٤:١٩-٤١٥. [٢]

ثم غاب عنهما فلم يعلما خبره (١).

و قال أبو البلاد الطهوى-و يروى لتأبط شراً:

لهان على جهينه ما ألقى من الروعات يوم رحي بطن

لقيت الغول تسرى فى ظلام بسهب كالعباءه صحصحان

فقلت لها كلانا نقض أرض أخو سفر فخلّى لى مكانى

فشدّت شده نحوى فأهوى لها كفى بمصقول يمانى

فقال زد فقلت رويدا إنى على أمثالها ثبت الجنان

و الذين يروون هذا الشعر لتأبط شرا يروون أوله:

ألا من مبلغ فتيات جهم بما لاقيت عند رحي بطن

بأنى قد لقيت الغول تلوى بمرت كالصحيفه صحصحان

فصدّت فانتحيت لها بعضب حسام غير مؤتشب يمانى

فقدّ سراتها و البرك منها فخزّت لليدين و للجران

فقال تئنّ قلت لها رويدا مكانك إئننى ثبت الجنان

و لم أنفك مضطجعا لديها لأنظر مصبها ما ذا دهانى

إذا عينان فى رأس دقيق كرأس الهزّ مشقوق اللسان

و ساقا مخدج و لسان كلب و ثوب من عباء أو شنان

و قال البهرانى:

و تزوجت فى الشيبه غولا بغزال و صدقتى زقّ خمر

قال الجاحظ:أصدقها الخمر لطيب ريحها و الغزال لأنّه من مراكب الجن.

و قال أبو عبيد بن أيوب العنبرى أحد لصوص العرب:

تقول وقد ألممت بالأمس لَمَّه مخضبه الأطراف خرس الخلاخل
أ هذا خدين الغول و الذئب و الذى يهيم بربات الحجال الهراكل
رأت خلق الدرسين أسود شاحبا من القوم بساما كريم الشمائل
تعود من آبائه فتكاتهم و إطعامهم فى كلّ غرباء شامل
إذا صاد صيدا لَقَّه بضرامه وشيكا و لم ينظر لغلى المراحل
فنهسا كنهس الصقر ثم مراسه بكفّيه رأس الشيحه المتماثل (1)
و من هذه الأبيات:

إذا ما أراد الله ذلّ قبيله رماها بتشتيت الهوى و التخاذل
و أول عجز القوم عمّا ينوبهم تقاعدهم عنه و طول التواكل
و أول خبث الماء خبث ترابه و أول لؤم القوم لؤم الحلائل
و هذا الشعر من جيّد شعر العرب، و إنّما كان غرضنا منه متعلقا بأوله و ذكرنا سائره لَمّا فيه من الأدب. و قال عبيد بن أيوب:
و صار حليل الغول بعد غراره صفّيا و ربّته القفار البسابس
و قال أيضا:

فله درّ الغول أى رفيقه لصاحب قفر فى المهامه يذعر
أرّنت بلحن بعد لحن و أوقدت حوالى نيرانا تلوح و تزهر
و قال أيضا:

و غولا قفره ذكر و انثى كأنّ عليهما قطع البجاد
و قال أيضا:

فقد لاقت الغزلان منى بليّه و قد لاقت الغيلان منى الدواهيا
و قال البهرانى فى قتل الغول:

(١-١) شرح ابن أبي الحديد ٤١٥:١٩-٤١٦:١ [١]

ضربت ضربه فصارت هباء في محاق القمراء آخر شهر

وقال أيضا يزعم أنه لما ثنى عليها الضرب عاشت:

فثّيت و المقدار يحرس أهله فليت يمينى يوم ذلك شلت (١)

وقال تأبط شرا يصف الغول و يذكر أنه راودها عن نفسها فامتنعت عليه فقتلها:

فأصبحت و الغول لى جاره فيا جاره أنت ما أغولا

و طالبتها بضعها فالتوت فكان من الرأى أن تقتلا

فجللتها مرهفا صارما أبان المرافق و المفصلا

فطار بقحف ابنه الجن ذو شقاشق قد أخلق المحملا

فمن يك يسأل عن جارتى فإن لها باللوى منزلا

غطاءه أرض لها حلتان من ورق الطلح لم تغزلا

و كنت إذا ما هممت اهتبت و أحرى إذا قلت أن أفعلا

و من أعاجيبهم أنهم كانوا إذا طالت علّه واحد منهم و ظنوا أنّ به مسّا من الجن لأنه قتل حيه أو يربوعا أو قنفذا، عملوا جمالا من طين و جعلوا عليها جوالق و ملأوها حنطه و شعيرا و تمرا و جعلوا تلك الجمال فى باب جحر إلى جهه المغرب وقت غروب الشمس و باتوا ليلتهم تلك، فإذا أصبحوا نظروا إلى تلك الجمال من الطين فإن رأوا أنّها بحالها قالوا: لم تقبل الدّيه فزادوا فيها، و إن رأوها قد تساقطت و تبدّد ما عليها من الميره قالوا: قد قبلت الديه، و استدلّوا على شفاء المريض و فرحوا و ضربوا بالدفّ، قال بعضهم:

قالوا و قد طال عنائى و السقم احمل إلى الجنّ جمالات و ضم

فقد فعلت و السقام لم يرم فيالذى يملك برئى أعتصم

ص: ١١٧

(١-١) شرح ابن أبى الحديد ٤١٦:١٩-٤١٧. [١]

و قال آخر:

يا ليت أن الجن جازوا حمالتي و زحزح عني ما عناني من السقم
و يا ليتهم قالوا انظنا كل ما حوت يمينك في حرب عماس و في سلم
اعل قلبي بالذي يزعمونه فيا ليتني عوفيت في ذلك الزعم (١)

و قال آخر:

أرى أن جنّ النويره أصبحوا و هم بين غضبان عليّ و آسف
حملت و لم أقبل إليهم حماله تسكن عن قلب من السقم تالف
و لو أنصفوا لم يطلبوا غير حقهم و من لي من أمثالهم بالتناصف
تغطوا بثوب الأرض عني و لو بدوا لأصبحت منهم آمنة غير خائف

و كانوا إذا غم عليهم أمر الغائب و لم يعرفوا له خبرا جاءوا إلى بئر عاديه أو حفر قديم و نادوا فيه «يا فلان» أو «يا أبا فلان» ثلاث
مرات، و يزعمون أنه ان كان ميتا لم يسمعوا صوتا و إن كان حيا سمعوا صوتا ربّما توهموه وهما أو سمعوه من الصدى فبنوا عليه
عقيدتهم، قال بعضهم:

دعوت أبا المغوار في الحفر دعوه فما أض صوتي بالذي كنت داعيا

أظن أبا المغوار في قعر مظلم تجر عليه الذاريات السوافيا

و قال آخر:

و كم ناديته و الليل ساج بعادي البئار فما أجابا

و قال آخر:

غاب فلم أرج له إيابا و الحفر لا يرجع لي جوابا

و ما قرأت مذ نأى كتابا حتى متى أستنشد الركابا

عنه و كل يمنع الخطابا

و قال آخر:

ألم تعلمى أنى دعوت مجاشعا من الحفر و الظلماء باد كسورها

فجاوبنى حتى ظننت بأنه سيطلع من جوفاء صعب خدورها

فقد سكنت نفسى و أيقنت أنه سيقدم و الدنيا عجاب أمورها (1)

و قال آخر:

دعونا من عاديه نضب ماؤها و هدم جاليها اختلاف عصور

فرد جوابا ما شككت بأنه قريبا إلينا بالاياب يصير

أقوى فى البيت الثانى و سكن «نضب» ضروره، كما قال «لو عصر منه

البان و المسك انعصر»

و من أعاجيبهم أنهم كانوا فى الحرب ربما أخرجوا النساء فبلن بين الصفيين يرون أن ذلك يطفىء نار الحرب و يقودهم إلى السلم، قال بعضهم:

لقونا بأبوال النساء جهاله و نحن نلاقيهم بيض قواضب

و قال آخر:

بالت نساء بنى خراشه خيفه منا و أدبرت الرجال شلالا

و قال آخر:

بالت نساؤهم و البيض قد أخذت منهم ماخذ يستشفى بها الكلب

و هذان البيتان يمكن أن يراد بهما أن النساء بلن خيفه و ذعرا لا على المعنى الذى نحن فى ذكره.

هيهات ردّ الخيل بالأبوال إذا غدت فى صور السعالى

و قال آخر:

هيهات ردّ الخيل بالأبوال إذا غدت في صور السعالى

وقال آخر:

ص: ١١٩

(١-١) شرح ابن أبى الحديد ٤١٩:١٩-٤٢٠. [١]

جعلوا السيوف المشرفيه منهم بول النساء و قلّ ذاك غناء

فأما ذكرهم عزيز الجن في المفاوز و السباب فكثير، كقول بعضهم:

و خرق تحدث غيطانه حديث العذارى بأسرارها

و قال آخر:

و دويّه سبب سملق من البيد تعزف جئانها (١)

و قال الأعشى:

و بهماء تعزف جئانها مناهلها آجنت سدم

و قال:

و بلده مثل ظهر الترس موحشه للجنّ بالليل في حافاتها زجل

و قال آخر:

بيداء في أرجائها الجنّ تعزف (٢)

و قال الشرقي بن القطامي: كان رجل من كلب يقال له عبيد بن الحمارس شجاعا و كان نازلا بالسماءه أيام الربيع، فلما حسر الربيع و قل مائه و أقلعت انواؤه تحمّل إلى وادي تبل فرأى روضه و غديرا فقال: روضه و غدير و خطب يسير و أنا لئما حويت مجير، فنزل هناك و له امرأتان اسم إحداهما الرّباب و الاخرى خوله، فقالت له خوله:

أرى بلده قفرا قليلا أنيسها و إنّنا لنخشى إن دجا الليل أهلها

و قالت له الرّباب:

أرتك برأبي فاستمع عنك قولها و لا تأمنن جنّ العزيز و جهلها

فقال مجيبا لهما:

ص: ١٢٠

[١-١] شرح ابن أبي الحديد ١٩:٤٢٠-٤٢١. [١]

[٢-٢] شرح ابن أبي الحديد ١٩:٤٢١. [٢]

ألست كمياً في الحروب مجزّبا شجاعا إذا شبت له الحرب محربا

سريعا إلى الهيجا إذا حمس الوغا فأقسم لا أعدو الغدير منكبا

ثم صعد إلى جبل تبل فرأى شيهمه-و هي الانثى من القنافذ-فرماها فأقعصها و معها ولدها فارتبطه،فلمّا كان الليل هتف به هاتف من الجن:

يا بن الحمارس قد أسأت جوارنا و ركبت صاحبنا بأمر مفضع

و عقرت لفتحته و قدت فصيلها قودا عنيفا في المنيف الأرفع

و نزلت مرعى شائنا و ظلمتنا و الظلم فاعله و خيم المرتع

فلنطرقتك بالذى أوليتنا شر يجيئك ماله من مدفع

فأجابه ابن الحمارس:

يا مدعى ظلمي و لست بظالم اسمع أريك مقالتي و تسمع

إن كنتم جنّا ظلمتم قنفذا عقرت فشرّ عقيره في مصرع

لا تطمعوا فيما لدىّ فما لكم فيما حويت و حزته من مطمع

فأجابه الجنى:

يا ضارب اللقحه بالعضب الأفل قد جاءك الموت و وافاك الأجل

و ساقك الحين إلى جن تبل فاليوم أقوى و أعتك الحيل

فأجابه ابن الحمارس:

يا صاحب اللقحه هل أنت بجل مستمع منى فقد قلت الخطل

و كثره المنطق في الحرب فشل هيجت قمقاما من القوم بطل

ليث ليوث و إذا همّ فعل لا يرهب الجنّ و لا الانس أجل

من كان بالعقوه من جن تبل

فسمعها شيخ من الجن فقال: لا والله لا نرى قتل إنسان مثل هذا ثابت القلب ماضى العزيمه. ثم قام و أنشد:

ص: ١٢١

يا ابن الحمارس قد نزلت بلادنا فأصبت منها مشربا و مناما

فبدأتنا ظلما بعقر لقوحنا و أسأت لَمَّا أن نطقت كلاما

فاعمد لأمر الرشد و اجتنب الردى إننا نرى لك حرمة و ذماما

و اغرم لصاحبنا لقوحا متبعا فلقد أصبت بما فعلت أثاما

فأجابه ابن الحمارس:

الله يعلم حيث يرفع عرشه أنى لأكره أن اصيب أثاما

أما ادعائك ما ادعيت فإننى جئت البلاد و لا اريد مقاما

فأسمت فيها مالنا و نزلتها لاريح فيها ظهرنا أياما

فليغد صاحبكم علينا نعطه ما قد سألت و لا نراه غراما

ثم غرم للجن لقوحا متبعا للقنفذ و ولدها.

و هذه الحكاياه و إن كانت كذبا إلاّ- أنّها تتضمّن أدبا و هى من طرائف أحاديث العرب فذكرناها لأدبها و إمتاعها، و يقال: إن الشرقى كان يضع أشعارا و ينحلها غيره (١).

فأما مذهب العرب فى أنّ لكلّ شاعر شيطانا يلقى إليه الشعر فمشهور و الشعراء كافه عليه، قال بعضهم:

إنى و إن كنت صغير السنّ و كان فى العين نبؤ عنى

فإنّ شيطانى أمير الجنّ يذهب بى فى الشعر كلّ فن

و قال حسان بن ثابت:

إذا ما ترعرع فينا الغلام فما أن يقال له من هو

إذا لم يسد قبل شدّ الإزار فذلك فينا الذى لا هو

ولى صاحب من بنى الشيصبان فطورا أقول و طورا هو

و كانوا يزعمون أنّ اسم شيطان الأعشى مسحل و اسم شيطان المخبل عمرو قال الأعشى:

دعوت خليلي مسحلا و دعوا له جهّام جدعا للهجين المذمم

و قال آخر:

لقد كان جنّي الفرزدق قدوه و ما كان فينا مثل فحل المخبل

و لا فى القوافى مثل عمرو و شيخه و لا بعد عمرو شاعر مثل مسحل (١)

قلت: و مرّ قول أبي النجم:

إنّي و كلّ شاعر من البشر شيطانه انثى و شيطاني ذكر

قلت: و قالوا أنشد الفرزدق الصدر من أبيات لجرير فينشد الفرزدق العجز لها، فتعجب المنشد فقال له الفرزدق: أو ما علمت أن شيطاننا واحد.

قال: و أنشد الخالغ فيما نحن فيه لبعض الرجاز:

ان الشياطين أتوني أربعه فى غلس الليل و فيهم زوبعه

و هو لا يدل على ما نحن فيه فلا وجه لإدخاله فى هذا الموضوع.

و من مذاهبهم أنّهم كانوا إذا قتلوا الثعبان خافوا من الجن أن يأخذوا بثأره فيأخذون روثه و يفتونها على رأسها و يقولون «روثه راث تاركك»، قال بعضهم:

طرحنا عليه الروث و الزجر صادق فراث علينا تأره و الطوائل

و قد يذرّ على الحية المقتولة يسير رماد و يقال لها: «قتلك العين فلا- ثأر لك»، و فى أمثالهم لمن ذهب دمه هدرا «هو قتيل العين» قال الشاعر:

و لا أكن كقتيل العين وسطكم و لا ذبيحه تشريق و تنحار

فأما مذهبهم فى الخرزات و الأحجار و الرقى و العزائم فمشهور، فمنها

ص: ١٢٣

«السَّلوَانه» و يقال: «السَّلوَه»، و هى خرزه يسقى العاشق منها فيسلو فى زعمهم و هى بيضاء شفّافه، قال:

لو أشرب السلوان ما سليت ما بى غنى عنكم و إن غنيت (١)

و قال اللّحيانى: السلوانه تراب من قبر يسقى منه العاشق فيسلو، و قال عروه ابن حزام:

جعلت لعزّاف اليمامه حكمه و عزّاف نجد إن هما شفيانى

فقالا نعم نشفى من الداء كلّه و قاما مع العوّاد يبتدران

فما تركا من رقيه يعرفانها و لا سلوه إلاّ و قد سقيانى

و قال آخر:

سقونى سلوه فسلوت عنها سقى الله المتيه من سقانى

قال: أى سلوت عن السلوه و اشتد بى العشق و دام (٢) قلت: ما فسرّه خلاف الظاهر، و الظاهر ان المراد سلوت عن المحبوه، و إنّما دعا عليها لأن عنده فى العشق لذه أزالها الراقى. فقالوا: عشق رجل جاريه مملوكه، فقالوا اشتراها، قال: إذن يذهب عشقى و فى العشق لذه. و قال الشمردل:

و لقد سقيت بسلوه فكأنّما قال المداوى للخيال بها ازدد (٣)

و من خرزاتهم «الهئمّه» تجلب بها الرجال و يعطف بها قلوبهم، و رقيتها:

أخذته بالهئمّه، بالليل زوج و بالنهار أمه.

و منها «الفطسه» و «القبله» و «الدرديبس» كلّها لاجتلاب قلوب الرجال،

ص: ١٢٤

١-١) شرح ابن أبى الحديد ١٩:٤٢٥. [١]

٢-٢) شرح ابن أبى الحديد ١٩:٤٢٦. [٢]

٣-٣) شرح ابن أبى الحديد ١٩:٤٢٦. [٣]

قال الشاعر:

جمّعن من قبل لهنّ فطسه و الدردبيس تماثما فى منظم

فانقاد كلّ مشدّب مرس القوى لجالهن و كلّ جلد شيطم

و قيل: الدردبيس خرزّه سوادّ تتحبّب بها النساء إلى بعولتهن، توجد فى القبور العاديه، و رقيتها:

أخذته بالدردبيس، تدر العرق اليبس، و تذر الجديد كالدريس.

و أنشد:

قطعت القيد و الخرزات عتّى فمن لى من علاج الدردبيس

و أصل الدردبيس الداھيه، و نقل إلى هذه لقوه تأثيرها.

و من خرزاتهم «القرزحله»، أنشد ابن الأعرابى:

لا تنفع القرزحله العجائزا إذا قطعنا دونها المفاوزا

و هى من خرز الضرائر إذا لبستها المرأه مال إليها بعلمها دون ضرّتها.

و منها خرزّه «العقره» تشدها المرأه على حقويها فتمنع الحبل، ذكر ذلك ابن السكّيت فى إصلاح المنطق.

و منها «الينجلب»، و رقيتها:

أخذته بالينجلب فلا يرم و لا يغب

و لا يزل عند الطنب

و منها: «كرار»، و رقيتها:

يا كرار كزّيه إن أقبل فسزّيه

و إن أدبر فسزّيه من فرجه إلى فيه

و منها «الهمره»، و رقيتها:

يا همره اهمريه من استه إلى فيه

و ماله و بنيه

و منها:«الخصمه» خرزه الدخول على السلطان و الخصومه تجعل تحت فص الخاتم أو فى زر القميص أو فى حمائل السيف، قال بعضهم:

يعلق غيرى خصمه فى لقائهم و مالى عليكم خصمه غير منطقى

و منها:«الوجيهه» و هى كالخصمه حمراء كالعقيق.

و منها:«العطفه» خرزه العطف، و«الكحله» خرزه سوداء تجعل على الصبيان لدفع العين عنهم، و«القبله» خرزه بيضاء تجعل فى عنق الفرس من العين، و«الفطسه» خرزه يمرض بها العدو و يقتل و رقيتها:

أخذته بالفطسه بالثوباء و العطسه

فلا يزال فى تعسه من أمره و نكسه

حتى يزور رسمه

و من رقاهم للحب:

هوابه هوابه البرق و السحابه

أخذته بمركن فحبه تمكن

أخذته بابره فلا يزل فى عبره

جلبته بإشفى فقلبه لا يهدا

جلبته بمبرد فقلبه لا يبرد

و ترقى الفارك زوجها إذا سافر عنها فتقول:«بأفول القمر، و ظلّ الشجر، شمال تشمله، و دبور تدبره، و نكباء تنكبه، شيك فلا انتعش». ثم ترمى فى أثره بحصاه و نواه و روثه و بعره و تقول:

حصاه حصت أثره نواه أنأت داره

روثه راث خبره لقعته ببعره

و قالت فارك في زوجها:

أتبعته إذ رحل العيس ضحى بعد النواه روثة حيث اتوى

الروث للريث و للنأى النوى

و قال شاعر:

رمت خلفه لَمَّا رأت و شك بينه نواه تلتها روثة و حصاه

و قالت نأت منك الديار فلا دنت وراثت بك الأخبار و الرجعات

و حصت لك الاثار بعد ظهورها و لا فارق الترحال منك شتات

و قال رجل يخاطب امرأته:

لا تقذفي خلفي إذا الركب اغتدى روثة غير و حصاه و نوى

لن يدفع المقدار أسباب الرقى و لا التهاويل على جن الفلا

و هذا الرجز أورده الخالع في هذا المعرض، و هو بأن يدل على عكس هذا المعنى أولى، لأن قوله «لن يدفع المقدار بالرقى و لا بالتهاويل على الجن» كلام يشعر بأن قذف الحصاه و النواه خلفه كالعوده له لا كما تفعله الفارك التي تتمنى الفراق (١).

قلت: بل دلالة على عين المعنى في غايه الوضوح، فإن قذف الروثة و الحصاه و النواه ليس إلا لعدم الرجوع، و لم يقل أحد إنها تكون للعوده له من البلاء، و أما قوله «لن يدفع المقدار الرقى» فمعناه أنه لو كان رجوعى مقداراً لا تأثير لرقاك كما لا تأثير للرقى في التهاويل على الجن.

قال: فأما مذهبهم في القيافه و الزجر و الكهانه و اختلافهم في السانح و البارح و تشامهم باللفظه و الكلمه و تأويلهم لها و تيمّنهم بكلمه اخرى و ما كانوا يفعلونه من البحيره و السائبه و الوصيله و الحام، فكله معروف لا حاجه

ص: ١٢٧

(١- ١) شرح ابن أبي الحديد ٤٢٦: ١٩-٤٢٨. [١]

لنا إلى ذكره ها هنا... (١).

قلت: قال أبو عبيده: سأل يونس رؤبه - وأنا شاهد - عن السانح و البارح، فقال: السانح ما ولآك ميامنه و البارح ما ولآك مياسره، و العرب تتيمن بالسانح و تتشأم بالبارح، و فى المثل «من لى بالسانح بعد البارح»، و قال الأعشى «جرت لهما طير السناح بأشأم»، و فى المثل: «إنما هو كبارح الأروى».

قال (الجوهري): الأروى مساكنها فى قنان الجبال لا يكاد الناس يرونها سانحه و لا بارحه إلا فى الدهور مره (٢).

و فى (المروج): حدّث المنقرى عن العتبي: وقف عبيد الراعى ذات يوم مع ركب من ثقيف على نفر و كانوا يريدون استقصاء رجل من تميم إذ سنحت ظباء سود منكره، ثم اعترضت الركب مقصره فى حضرها واقفه على شأنها، فأنكر ذلك عبيد الراعى و لم ينتبه له أصحابه، فقال عبيد:

ألم تدر ما قال الظباء السوانح أطفن أمام الركب و الركب رائح

فكز الذى لم يعرف الزجر منهم و أيقن قلبى أنهم نوائح

ثم شارفوا مقصدهم فألفوا الرئيس قد نهشته أفعى فأتت عليه.

قال أبو عبيده: و هذا من غريب الزجر، و ذلك أنّ السانح مرجو عند العرب و البارح هو المخوف، و أظن عبيدا إنّما زجر الظباء فى حال رجوعها و وصف الحال الأول فى شعره، كما أنّ من شرط الواصف أن يبدأ بهوady الأسباب فىوضّح عنها، فهذا وجه زجر عبيد فى شعره (٣).

و فى (المروج) ذكر ما ذهب إليه العرب فى النفوس و الهام و الصفر

ص: ١٢٨

١-١ (١) شرح ابن أبى الحديد ١٩:٤٢٩. [١]

٢-٢ (٢) الصحاح للجوهري ١:٣٧٦-٣٧٧. [٢]

٣-٣ (٣) مروج الذهب ٢:١٤٨. [٣]

و غيرها)منهم من زعم ان النفوس فى الدم لا غير،و ان الروح الهواء الذى فى باطن جسم المرثى منه نفسه،و لذلك سموا المرأه نفساء لما يخرج منها من الدم،و لذلك تنازع الفقهاء فيما له نفس سائله إذا سقط فى الماء هل ينجسه أم لا،و قال تأبط شراً لخاله الشنفرى «ألجمته عضبا فسالت نفسه سكباً» .

و قالوا:إنّ الميّت لا ينبعث منه الدم و لا يوجد فيه،و النماء مع الحراره و الرطوبه،لأن كلّ حى فيه حراره و رطوبه فإذا مات بقى اليبس و البروده،قال ابن براق:

و كم لاقيت ذا نجب شديد تسيل به النفوس على الصدور

إذا الحرب العوان به استهامت و حال فذاك يوم قمطير

و طائفه منهم تزعم أنّ النفس طائر ينبسط فى جسم الإنسان،فإذا مات أو قتل لم يزل مطيفا به متصورا إليه فى صوره طائر يصرخ على قبره مستوحشا،و فى ذلك يقول بعضهم:

سلط الطير و المنون عليهم فلهم فى صدى المقابر هام

و هذا الطائر يسمونه «الهام» و الواحده هامه،و جاء الإسلام و هم على ذلك حتى قال النبى صلّى الله عليه و آله و سلم «لا هام و لا صفر» .

و يزعمون أنّ هذا الطائر يكون صغيرا ثم يكبر حتى يصير كضرب من البوم و هى أبدا تتوحش فى الديار المعطله و النواويس و حيث مصارع الموتى.

و يزعمون أنّ الهامه لا تزال عند ولد الميّت فى محلته بفنائهم لتعلم ما يكون بعده فتخبره به حتى قال الصلت بن اميه لبيته:

هامتى تخبرنى بما تستشعروا فتجنبوا الشعاء و المكروها

و عن حاتم طى و سنورد خبره:

أتيت لصحبك تبغى القرى لدى حفر صدحت هامها (١)

و للعرب فى الغيلان أخبار ظريفه، يزعمون ان الغول يتغول لهم فى الخلوات و يظهر لخواصهم فى أنواع من الصور فيخاطبونها و ربّما ضيفوها، و قد أكثروا من ذلك فى أشعارهم، منها قول تأبط شراً:

و أدهم قد جبت جلبابه كما اجتابت الكاعب الخيعلا

فأصبحت و الغول لى جاره فىا جارتى أنت ما أهولا

و يزعمون أن رجليها رجلا عنز.

و كانوا إذا اعترضتهم الغول فى الفيافى يتجزون و يقولون:

يا رجل عنز انهقى نهيقا لن نترك السبب و الطريقا

و ذلك انها كانت تترأى لهم فى الليالى و أوقات النهار فيتوهمون أنّها إنسان فيتبعونها فتزِيلهم عن الطريق التى هم عليها و تتيههم، و كان ذلك قد اشتهر عندهم و عرفوه فلم يكونوا يزولون عمّا كانوا عليه من القصد، فإذا صيح بها على ما وصفنا شردت عنهم فى بطون الأودية و رءوس الجبال.

قال: و قد ذكر جماعه من الصحابه منهم عمر بن الخطاب أنّه شاهد ذلك فى بعض أسفاره إلى الشام قبل الإسلام، و هذا مشهور عندهم فى أخبارهم.

و حكى عن بعض المتفلسفين أنّ الغول حيوان شاذّ من جنس الحيوان لم تحكمه الطبيعه و أنه لما خرج منفردا فى نفسه و هيئته توخّش من مسكنه فطلب القفار و هو يناسب الإنسان و الحيوان البهيمى فى الشكل.

و ذهبت طوائف من الهند إلى أنّ ذلك إنّما يظهر من فعل ما كان غائبا من الكواكب عند طلوعها مثل طلوع الكوكب المعروف بكلب الجبار، و هى الشعرى العبور، و أنّ ذلك داء يحدث فى الكلاب، و سهيل فى الحمل و الذئب فى

ص: ١٣٠

الدب، و حامل رأس الغول يحدث عند طلوعه تماثيل و أشخاص تظهر فى الصحارى و غيرها من العالم فتسميه عوام الناس غولا و هى ثمانيه و أربعون كوكبا و قد ذكرها بطليموس.

و زعمت طائفه: أن الغول اسم لكل شىء يعرض للسيفار و يتمثل فى ضروب من الصور ذكرا كان أو انثى إلا أن أكثر كلامهم على أنه انثى. و قد قال أبو المطراب:

و حالفى الوحوش على الوفاء و تحت عهددهن و بالعباد

و غولا قفره ذكرا و انثى كأن عليهما قطع النجاد

و قال كعب بن زهير الصحابى:

فما تدوم على حال تكون بها كما تلون فى أثوابها الغول

و كانت العرب قبل الإسلام تزعم أن الغيلان توقد بالليل النيران للعبث و التحيل و اختلال السابله، قال أبو المطراب:

فلله در الغول أى رفيقه لصاحب قفر حالف و هو معبر

أرنت بلحن بعد لحن و أوقدت حوالى نيرانا تلوح و تزهر

و قد فرقوا بين السعلاه و الغول، قال عبيد بن أيوب:

و ساخره منى و لو أن عينها رأته ما رأته عيني من الهول جنت

أبيت بسعلاه و غول بقفره إذا الليل و ارى اللحن فيه أرنت

و وصفها بعضهم فقال:

و حافر العنز فى ساق مدملجه و جفن عين خلاف الإنس بالطول

و للناس كلام كثير فى الغيلان و الشياطين و المردة و الجن و القطرب و القدار- و هو نوع من أنواع المتشيطنه- يعرف بهذا الاسم

يظهر فى أكناف اليمن و التهائم و أعالي صعيد مصر، و أنه ربما يلحق الإنسان فينكحه فيتدود

دبره فيموت و ربما يتوارى للانسان فيذعره،فإذا أصاب الإنسان ذلك منه يقول له أهل تلك النواحي: «أ منكوح أم مذعور؟»
فإن قال:منكوح يئس منه و ان كان مذعورا اسكن روعه،و ذلك أنّ الإنسان إذا عاين ذلك سقط مغشيا عليه، و منهم من لا
يكثرث به لشهامه قلبه و شجاعه نفسه.

(و فيه):و ذكر عن علقمه بن صفوان بن اميه الكناني جد مروان بن الحكم لائمّه أنّه خرج في بعض الليالي يريد مالا- له
بمكه،فانتهى الى الموضوع المعروف ب «حائط حرمان» فإذا هو بشق قد ظهر له و قال:

علقم إنّي مقتول و إنّ لحمى مأكول

أضربهم بالمسلول ضرب غلام مشمول

رحب الذراع بهلول

فقال علقمه:

شقّ مالي و لك اغمد عنى منصلك

تقتل من لا يقتلك؟

فقال شق:

علقم،غيت لك كيما ابيح معقلك

فاصبر لئما قد حمّ لك

فضرب كلّ منهما صاحبه فخرا ميتين،و هذا مشهور عندهم و أن علقمه قتلته الجن.و ذكر عن الجن بيتين من الشعر قالت هما في
حرب بن اميه حين قتلته و هما:

و قبر حرب بمكان ففر و ليس قرب قبر حرب قبر

و استدّلوا على أنّ هذا من قول الجن أنّ أحدا من الناس لم يتأتّ له أن ينشد هذين البيتين ثلاث مرات متواليات لا يتتبع في
إنشادها،لأن الإنسان

قد ينشد والعشرين بيتا والأقل والأكثر أشد من هذا الشعر وأثقل ولا يتتبع فيه (١).

و ممن قتلته الجن: مرداس السلمى، وهو أبو(عباس بن مرداس السلمى).

و منهم: الغريض المغنى بعد أن ظهر غناؤه، وقد كانت الجن نهته أن يغنى بأبيات من الشعر فغناها فقتلته.

و عن منصور بن يزيد الطائى قال: رأيت قبر حاتم طىء ببيعه- وهو أعلى جبل له واد يقال له الحامل- وإذا قدر عظيمه من بقايا قدور حجر مكفأه فى ناحيه من القبر من القدور التى كان يطعم فيها الناس، و عن يمين قبره أربع جوار من حجاره و على يساره أربع جوار من حجاره كلهن صاحبه شعر منشور متحجرات على قبره كالتناجات عليه لم ير مثل بياض أجسامهن و جمال وجوههن، مثلهن الجن على قبره و لم يكن قبل ذلك، و الجوارى بالنهار كما وصفنا فإذا هدأت العيون ارتفعت أصوات الجن بالنياحه عليه و نحن فى منازلنا نسمع ذلك إلى أن يطلع الفجر، فإذا طلع سكتن و هدأن، و ربما مرّ المارّ فيراهن فيفتتن بهن فيميل إليهن عجبا به، فإذا دنا وجدهن حجاره (٢).

و حدث ابن دريد عن أبى حاتم السجستانى عن أبى عبيده معمر بن المثنى قال: سمعت شيخا من العرب قد أناف على المائه يقول: إنّه خرج وافدا على بعض ملوك بنى اميه، قال: فسرت فى ليله صهاكيه حالكه كأن السماء قد برقت نجومها بطرائق السحاب و ضللت الطريق، فتولّجت واديا لا أعرفه فأهمتني نفسى بطرحها حتى الصباح، فلم آمن عزيف الجن فقلت: «أعوذ برّب

ص: ١٣٣

[١-١] مروج الذهب ١٣٤: ٢-١٤١. [١]

[٢-٢] مروج الذهب ١٤١: ٢-١٤٢. [٢]

هذا الوادى من شرّه و أستجيره فى طريقى هذا و أسترشده» ،فسمعت قائلا يقول من بطن الوادى:

تيا من تجاهك تلق الكلا تسيرو تأمن فى المسلك

فتوجهت حيث أشار إلى و قد أمنت بعض الأيمن، فإذا أنا بأقباس نار تلمع أمامى فى خللها كالوجوه على قامات كالنخيل السحيقه، فسرت و أصبحت بأوشال-و هو ماء لكلب يقارب بريه دمشق-و قد ذكر الله تعالى ذلك من فعلهم فقال «وَ أَنَّهُ كَانَ رِجَالٌ مِنَ الْإِنْسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِنَ الْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا» (١).

قلت: و قال ابن قتيبه تقول العرب: ان الهدهد امه ماتت فدفنها فى رأسه فلذلك أتنت ربحه، و قد ذكر هذا اميه بن أبى الصلت فقال:

غيم و ظلماء و فضل سحابه أيام كفن و استراد الهدهد

يبغى القرار لأمه ليجننها فبنى عليها فى قفاه يمهد

فيزال يدلج ما مشى بجنازه منها و ما اختلف الحديد المسند (٢)

و قال: و تقول العرب فى الديك و الغراب: إنهما كانا متنادمين، فلما نفذ شرابهما رهن الغراب الديك عند الخمار و مضى فلم يرجع إليه و بقى الديك عنده حارسا، قال اميه أيضا:

بآيه قام ينطق كل شىء و خان أمانه الديك الغراب

و فى (الصباح): و الهديل فرخ كان على عهد نوح عليه السّلام فصاده جارح من جوارح الطير قالوا: فليس من حمامه إلا و تبكى عليه، قال:

ص: ١٣٤

١-١) مروج ١٤٣: ٢-١٤٤، و [١] الآيه من سورة الجن: ٦. [٢]

٢-٢) ابن قتيبه

و ما من تهتفين به لنصر بأسرع جابه لك من هديل (١)

(و فى حيوان الجاحظ): من خرافات العرب ما ذكروا أن جرهما كان من نتاج ما بين الملائكة و بنات آدم، و كان الملك من الملائكة إذا عصى ربّه فى السماء أهبطه إلى الأرض فى صوره البشر و فى طبيعته كما صنع بهاروت و ماروت حين كان من شأنهما و شأن الزهره- و هى أناهيد- ما كان فلما عصى الله تعالى ملك و أهبطه إلى الأرض فى صوره رجل تزوج أم جرهم فولدت جرهما، و لذلك قال شاعرهم:

لا هم إنّ جرهما عبادكا الناس طارف و هم تلادكا

و من هذا النسل و من هذا التركيب كانت بلقيس ملكه سبأ، و كذلك كان ذو القرنين امه «فيري» كانت آدميه و أبوه «عبرى» من الملائكة، و لذلك لما سمع عمر بن الخطاب رجلا ينادى يا ذا القرنين قال: أفرغتم من أسماء الأنبياء فارتفعتم إلى أسماء الملائكة (٢).

قلت: و من خرافاتهم أنّهم كانوا يقولون: إنّ الرجل إذا دعى عليه فاضطجع لجنبه لم يصبه الدعاء، كأنّهم يزعمون أنّه مثل ما لو كان الإنسان فى مكان يرمى فيه بالسهم فاضطجع لم يصبه سهم.

فلما أسر الكفار خبيب بن عدى الأوسى أحد العشره الذين بعثهم النبى صلى الله عليه و آله و سلم عينا و باعوه بمكه بعد بدر من قريش فأخرجوه من الحرم و صلبوه، قال ابن هشام فى سيرته، فلما أوثقوه للقتل قال: «اللهم إنا قد بلغنا رساله رسولك فبلغه الغداه ما يصنع بنا» ثم قال: «اللهم أحصهم عددا و اقتلهم بددا و لا تغادر منهم أحدا». قال معاويه: كنت حضرته مع أبى يومئذ فيمن

ص: ١٣٥

١-١) صحاح للجوهري ١٨٤٨: ٥. [١]

٢-٢) حيوان الجاحظ ١٩٨: ٦. [٢]

حضره فلقد رأيتني يلقيني أبي إلى الأرض فرقا من دعوه خيب، و كانوا يقولون: إنَّ الرجل إذا دعى عليه فاضطجع لجنبه زالت عنه.

قلت: و في حياه الحيوان للدميري: إنَّ الصياد إذا أراد أن يصيد الضبع رمى في جحرها بحجر فتحسبه شيئا تصيده فتخرج لتأخذه فتصاد، و يقال لها و هي في جحرها «أطرقى أم طريق، خامرى أم عامر أبشرى بجراد عطلى و شاه هزلى» فلا يزال يقال لها ذلك حتى يدخل عليها الصائد فيربط يديها و رجليها ثم يجرها.

و الجاحظ يرى هذا من خرافات العرب (١).

ص: ١٣٦

١-١) حياه الحيوان للدميري ٥٢٠:١.

الفصل التاسع و العشرون: في ما يتعلق بعثمان و عمر

اشاره

ص: ١٣٧

و من كلام له عليه السلام لما بلغه اتهام بنى أميه له بالمشاركه فى دم عثمان:

أَوْ لَمْ يَنْهَ؟ أُمِّيَّة؟ عَلِمَهَا بِي عَيْنِ قَرْفَى - أَوْ مَاءِ وَرَعِ الْجُهَّالِ سَاءِ ابْقَيْتِي عَيْنُ تَهْمَتِي - وَ لَمَّا وَعَظْتُهُمُ اللَّهُ بِهِ أَبْلَغُ مِنْ لِسَانِي أَنَا حَجِيجُ؟ الْمِارِقِينَ؟ وَ خَصِيْمُ الْمُزْتَابِينَ - وَ عَلَى كِتَابِ اللَّهِ تُعْرَضُ الْأَمْثَالُ قَوْلُ الْمُصَنِّفِ: «لَمَّا بَلَغَهُ اتِّهَامُ بَنِي أُمِّيَّةَ لَهُ بِالْمَشَارَكَةِ لَهُ فِي دَمِ عُثْمَانَ».

روى الطبرى: أن عثمان صعد يوم الجمعة المنبر، فحمد الله و أثنى عليه، فقام رجل، فقال له: أقم كتاب الله. فقال عثمان: اجلس. فجلس حتى قام ثلاثاً، فأمر به عثمان فأجلس (فجلس)، فتحاثوا بالحصباء حتى ما ترى السماء، و سقط عثمان عن المنبر، و حمل فأدخل داره مغشياً عليه، و دخل على عليه السلام

عليه و هو مغشى عليه، و بنو أميّه حوله، فأقبلت بنو أميّه بمنطق واحد، فقالوا:

يا عليّ! أهلكتنا و صنعت هذا الصنيع به! أما و الله لئن بلغت الذي تريد لتمرّن عليك الدنيا. فقام عليّ عليه السّلام مغضبا (١).

قوله عليه السّلام: «أو لم ينه أميّه علمها بي عن قرفي» أي: عن رمي و اتّهامي، قال الشاعر:

فكم يبقى على القرف الإخاء

(٢) في (نقض الإسكافي): قال عليّ بن الحسين عليه السّلام: قال لي مروان: ما كان في القوم أدفع عن صاحبنا من صاحبكم. قلت: فما بالكم تسبّونه على المنابر؟ قال: إنّه لا يستقيم لنا الأمر إلاّ بذلك (٣).

«أو ما وزع» أي: أو ما كفّ، و يقال للكلب: «وازع» لأنّه يكفّ الذئب عن الغنم.

«الجهال سابقتي» في الإسلام.

«عن تهمتي» في (خلفاء ابن قتيبه): ذكروا أنّ رجلا- من همدان يقال له برد قدم على معاويه، فسمع عمرا يقع في عليّ عليه السّلام، فقال له: يا عمرو، إنّ أشياخنا سمعوا النّبىّ صلّى الله عليه و آله و سلم يقول: «من كنت مولاه فعليّ مولاه» فحقّ ذلك أم باطل؟ فقال عمرو: حقّ، و أنا أزيدك أنّه ليس أحد من صحابه النّبىّ صلّى الله عليه و آله و سلم له مناقب مثل مناقب عليّ. ففزع الفتى، فقال عمرو: إنّه أفسدها بأمره في عثمان. فقال برد: هل أمر أو قتل؟ قال: لا، و لكنّه آوى و منع. قال: فهل بايعه الناس عليها؟ قال: نعم. قال: فما أخرجك من بيته؟ قال: اتّهامي إيّاه في عثمان. قال له: و أنت

ص: ١٤٠

١- ١) تاريخ الطبري ٣٦٤: ٤-٣٦٥، سنة ٣٥، و [١] النقل بتلخيص.

٢- ٢) أساس البلاغه: ٣٦٣، [٢] مادّه (قرف)، و البيت هكذا: إذا ما الحاسدون سعوا فشتّوا فكم يبقى على القرف الإخاء

٣- ٣) نقله عنه ابن أبي الحديد في شرحه ٢٢٠: ١٣.

أيضاً قد اتَّهمت. قال: صدقت، وفيها خرجت إلى فلسطين. فرجع الفتى إلى قومه فقال: إننا أتينا قوما أخذنا الحجَّه عليهم من أفواههم، علىَّ على الحقِّ فاتَّبِعوه (١).

وقال ابن أبي الحديد في شرح قوله عليه السَّلام: «أو لم ينه أميَّه علمها بي...»:

علمهم بمنزله في الدين التي لا- منزله أعلى منها، وما نطق به الكتاب الصادق من طهارته و طهاره بنيه و زوجته، في قوله تعالى: «إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً» (٢).

وقول النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ له: «أنت مني بمنزله هارون من موسى» و ترادف الأقوال و الأفعال من النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ في أمره التي يضطرَّ معها الحاضرون لها و الشاهدون إيَّها إلى أن مثله عليه السَّلام لا يجوز أن يسعى في إراقه دم أمير مسلم لم يحدث حدثاً يستوجب به إحلال دمه (٣).

قلت: غايه ما يستفاد من كلامه عليه السَّلام أنه لم يشارك في دم عثمان دون ما ذكره من عدم إحلال دمه. و عدم مشاركته عليه السَّلام أعم من عدم إحلال دمه. و لو لم يكن حلال الدم كيف آوى قتلته كما مرَّ من كلام عمرو (٤)؟ و كيف لم يعلمه عليه السَّلام حلال الدم و قد روى نصر بن مزاحم في (صقِّين):

أن معاوية بعث إلى حبيب بن مسلمة الفهري، و شرحبيل بن السمط، و معن بن يزيد السلمى، فدخلوا على علي عليه السَّلام- إلى أن قال:- فقال شرحبيل و معن لعلي عليه السَّلام: أ تشهد أن عثمان قتل مظلوماً؟ فقال لهما: إنني لا أقول ذلك. قالوا: فمن لم يشهد أن عثمان قتل مظلوماً فنحن برآء منه. ثم قاما فانصرفا. فقال

ص: ١٤١

١- ١) الإمامه و السياسه لابن قتيبه ١: ١٠٩. [١]

٢- ٢) الأحزاب: ٣٣. [٢]

٣- ٣) شرح ابن أبي الحديد ١: ١٦٩-٦: ١٧٠، و [٣] النقل بتصرّف.

٤- ٤) مرَّ آنفاً.

عَلَى عَلَيْهِ السَّلَامُ: «وَلَا تُسْمِعِ الصُّمَّ الدُّعَاءَ إِذَا وَلَّوْا مُدْبِرِينَ» (١).

و روى (صَفَيْن نصر) أيضا: أَنَّ عمرو بن العاص قال لعَمَّار: ما ترى فى قتل عثمان؟ قال: فتح لكم باب كل سوء. أ كنت فىمن قتله؟ قال: كنت فىمن (مع من) قتله و أنا اليوم أقاتل معهم. قال عمرو: فلم قتلتموه؟ قال عَمَّار: أراد أن يعرر ديننا فقتلناه. فقال عمرو: ألا تسمعون؟ قد اعترف بقتل عثمان. قال عَمَّار: و قد قالها قبلك فرعون إذ قال لقومه: «أ لَا تَسْتَمِعُونَ» ... الخبر (٢).

و روى (صَفَيْن نصر) أيضا: أَنَّ عَمَّارًا قام بصَفَيْن فقال: عباد الله، امضوا إلى قوم يطلبون فى ما يزعمون بدم الظالم لنفسه، الحاكم على عباد الله بغير ما فى كتاب الله، إِنَّمَا قتله الصالحون المنكرون للعدوان، الأمرون بالإحسان، فقال هؤلاء الذين لا يباليون إذا سلمت لهم دنياهم (و لو درس هذا الدين: لم قتلتموه؟ قلنا: لإحداثة. فقالوا: إِنَّه ما أحدث شيئا. و ذلك لأنه مكنهم من الدنيا فهم يأكلونها و يرعونها و لا يباليون لو انهدت عليهم الجبال. و الله ما أظنهم يطلبون دمه، إِنَّهم ليعلمون إِنَّه لظالم، و لكن القوم ذاقوا الدنيا فاستحبوها و استمروها، و علموا لو أَنَّ الحقّ لزمهم لحال بينهم و بين ما يرعون فيه منها، و لم يكن للقوم سابقه فى الإسلام يستحقون بها الطاعة، فخدعوا أتباعهم بأن قالوا: قتل إمامنا مظلوما. ليكونوا بذلك جبابره و ملوكا... (٣).

و فى (الطبرى): قال الزهرى: خرج فى سنة (٣١) محمد بن أبى بكر،

ص: ١٤٢

١- ١) وقعه صفين: ٢٠٠-٢٠٢، و [١] النقل بتلخيص و تقطيع، و الآية ٨٠ من سورة النمل. [٢]

٢- ٢) وقعه صفين: ٣٣٨-٣٣٩، و [٣] الآية ٢٥ من سورة الشعراء.

٣- ٣) المصدر نفسه: ٣١٩. [٤]

و محمد بن أبي حذيفه- و أبوه خال معاويه- إلى الجهاد مع عبد الله بن سعد، فأظهرها عيب عثمان، و أنّ دم عثمان حلال، و قالوا: استعمل (١) عبد الله بن سعد و هو رجل كان النبي صلى الله عليه و آله و سلم أباح دمه و نزل القرآن بكفره (٢).

و كان محمد بن أبي حذيفه يقول: لقد تركنا خلفنا الجهاد حقًا فيقال له:

و أيّ جهاد؟ فيقول: جهاد عثمان، فعل كذا و كذا (٣).

و روى الطبري: أئمن كان بالمدينه من الصحابه كتبوا إلى من بالثغور: أنّ دين محمد صلى الله عليه و آله و سلم قد أفسد من خلفكم و ترك، فهلموا فأقيموا دين محمد صلى الله عليه و آله و سلم. فأقبلوا من كل أفق حتى قتلوه (٤).

و روى الطبري أيضا عن أبي كرب عامل عثمان على بيت ماله: أنّه دفن بين المغرب و العتمه، و أنّه لم يشهد جنازته إلا مروان و ثلاثه من مواليه و ابنته، فرفعت صوتها تندبه، فأخذ الناس الحجاره و قالوا: نعثل نعثل! و كادت ترحم (٥).

و روى الطبري أيضا: أنّه نبذ ثلاثه أيام لا يدفن، و أنّهم لم يغسّلوه و دفنوه في حشّ كوكب (٦) مقبره اليهود، و أنّ معاويه أمر الناس في سلطنته بدفن موتاهم حوله حتى اتصل بمقابر المسلمين (٧).

ص: ١٤٣

١-١) يعني عثمان.

٢-٢) تاريخ الطبري ٤:٢٩٢، سنه ٣١. [١]

٣-٣) تاريخ الطبري ٤:٢٩٢، سنه ٣١. [٢]

٤-٤) تاريخ الطبري ٤:٣٦٧، سنه ٣٥. [٣]

٥-٥) المصدر نفسه ٤:٤١٢، سنه ٣٥.

٦-٦) قال الحموي في معجم البلدان ٢:٢٦٢: [٤] الحشّ في اللغه: البستان، و به سمى المخرج حشّا لأنهم كانوا إذا أرادوا الحاجه خرجوا إلى البساتين، و كوكب الذي أضيف إليه: اسم رجل من الأنصار، و هو عند بقيع الغرقد، [٥] اشتراه عثمان بن عفان و زاده في البقيع، و لما قتل ألقى فيه ثم دفن في جنبه.

٧-٧) تاريخ الطبري ٤:٤١٢، سنه ٣٥، و [٦] النقل بتصرّف.

و بالجمله،المعلوم عدم تصديده عليه السلام لقتله،و لا أمره به.و أما رضاه به فأمر واضح،و لذا لم ينه عنه،و قد أقرّ بذلك عبيد الله بن عمر مع أنه أراد القصاص منه بهرمزان ففرّ منه إلى معاويه،فروى نصر بن مزاحم:أنّ عبيد الله بن عمر لما قدم الشام أرسل معاويه إلى عمرو بن العاص:أنّ الله قد أحيا لك عمر بالشام بقدم عبيد الله،و قد رأيت أن اقيمه خطيبا فيشهد على عليّ بقتل عثمان.

فقال:الرأى ما رأيت.فبعث إليه فأتى،فقال له معاويه:يا بن أخ،إنّ لك اسم أبيك،فانظر بملء عينيك،و تكلم بكلّ فيك،فأنت المأمون المصدّق!فاشتم عليّ،و اشهد عليه أنه قتل عثمان.فقال:أمّيا شتمه فإِنَّه عليّ بن أبي طالب،و أمّه فاطمه بنت أسد بن هاشم،فما عسى أن أقول فى حسبه،و أمّيا بأسه فهو الشجاع المطرق.و أمّيا أتيّامه فما قد عرفت.و لكنتى ملزمه دم عثمان.فقال عمرو:إذن و الله قد نكأت القرحة.فلمّا خرج عبيد الله قال معاويه:أما و الله لو لا قتله الهرمزان،و مخافه عليّ على نفسه ما أتانا أبدا،أ لم تر إلى تقرّيطه عليّ؟! فقال عمرو:يا معاويه،إن لم تغلب فاخلب (١).فخرج حديثه إلى عبيد الله،فلمّا قام خطيبا تكلم بحاجته،حتّى إذا أتى إلى أمر عليّ عليه السلام أمسك،فقال له معاويه:

يا بن أخ،إنّك بين عي و خيانه!فقال:كرهت أن أقطع الشهاده على رجل لم يقتل عثمان،و عرفت أنّ الناس محتملوها عني.فهجره معاويه و استخفّ بحقه.

فقال عبيد الله:

معاويه لم أحرص بخطبه خاطب و لم أك عينا فى لؤي بن غالب (٢)

ص:١٤٤

١-١) قال الجوهري فى الصحاح ١:١٢٢: [١]الخلايه:الخديعه باللسان،و فى المثل:إذا لم تغلب فاخلب.أى:فاخدع. و قال الميدانى فى مجمع الأمثال ١:٣٤: [٢]يراد به الخدعه فى الحرب،كما قيل:نفاذ الرأى فى الحرب،أنفذ من الطعن و الضرب.
٢-٢) حرص يحرص حرصا،و تحرص،أى:كذب،الصحاح ٣:١٠٣٥، [٣]ماده(حرص).

و لكنني زاولت نفسا أبيه على قذف شيخ بالعراقيين غائب

و قذفي عليا بابن عفان جهره أجدع بالشحناء انوف الأقارب (١)

فأما انتقافي أشهد اليوم وثبه فلست لكم فيها ابن حرب بصاحب

و لكنّه قد قرّب القوم جهده و دبّوا حواليه ديب العقارب

فما قال أحسنتم و لا قد أسأتم و أطرق إطراق الشجاع المواثب (٢)

و لو لم يكن مباح الدم عنده عليه السلام كيف طلب بدم الهرمزان-و هرمزان رجل عجمي من عرض المسلمين-من عبيد الله بن عمر في زمان عثمان مع أمان السلطان له، فخاف منه عبيد الله ففرّ من المدينة إلى كوفان (٣)، و لما بايعه الناس فرّ إلى الشام عند معاوية. فكيف لم يطلب بدم عثمان في زمان سلطنته و هو عندهم أحد الخلفاء الراشدين؟! و في (صفين نصر): و مكث عليّ عليه السّلام-يعني في أوّل الأمر-لا- يرسل إلى معاوية و لا يأتيه من قبل معاوية أحد. و جاء عبيد الله بن عمر فدخل على عليّ عليه السّلام في عسكره فقال له عليّ عليه السلام: أنت قاتل الهرمزان، و قد كان أبوك فرض له في الديوان، و أدخله في الإسلام؟ فقال له ابن عمر: الحمد لله الذي جعلك تطلبني بدم الهرمزان و أطلبك بدم عثمان بن عفان. فقال له عليّ عليه السّلام: لا عليك، سيجمعني و إياك الحرب غدا (٤).

و ممّا يحسم مادّه الشغب أنّه عليه السلام آوى قاتليه، و كانوا من خواصّه.

فقال نصر بن مزاحم: خرج قزاة أهل العراق و قزاة أهل الشام، فعسكروا

ص: ١٤٥

١-١) الشحناء: الحقد و العداوة، و كذلك الشحنه، لسان العرب ٧: ٤٨، ماده (شحن).

٢-٢) وقعه صفين: ٨٢-٨٤، [١] شرح ابن أبي الحديد ٣: ١٠٠-١٠٢، و [٢] نقله الشارح بتصريف.

٣-٣) قال ياقوت الحموي في معجم البلدان ٤: ٤٩٠: [٣] قالوا: و كوفان اسم أرض و بها سميت الكوفة. قلت: كوفان و الكوفة واحد.

٤-٤) وقعه صفين: ١٨٦. [٤]

ناحيه صَفَيْنَ فِي ثَلَاثِينَ أَلْفًا، وَعَسْكَرَ عَلِيٌّ عَلَيْهِ السَّلَامُ عَلَى الْمَاءِ، وَعَسْكَرَ مَعَاوِيَةَ فَوْقَ ذَلِكَ، وَمَشَتْ الْقِرَاءُ فِي مَا بَيْنَ مَعَاوِيَةَ وَ عَلِيٍّ عَلَيْهِ السَّلَامِ، وَفِيهِمْ عَيْبَةُ السَّلْمَانِيِّ، وَعَلْقَمَةُ بَنِ قَيْسِ النَّخَعِيِّ، وَعَبْدُ اللَّهِ بَنِ عَتْبَةَ، وَعَامِرُ بَنِ عَبْدِ الْقَيْسِ - وَكَانَ فِي بَعْضِ تِلْكَ السَّوَاهِلِ فَانصَرَفَ إِلَى عَسْكَرِ عَلِيٍّ عَلَيْهِ السَّلَامُ - فَدَخَلُوا عَلَى مَعَاوِيَةَ فَقَالُوا: مَا الَّذِي تَطْلُبُ؟ قَالَ: أَطْلُبُ بَدْمَ عَثْمَانَ. قَالُوا: مِمَّنْ تَطْلُبُ؟ قَالَ مِنْ عَلِيٍّ. قَالُوا: وَ عَلِيٌّ قَتَلَهُ؟ قَالَ: نَعَمْ، هُوَ قَتَلَهُ وَ آوَى قَاتِلِيهِ. فَانصَرَفُوا مِنْ عِنْدِهِ إِلَى عَلِيٍّ عَلَيْهِ السَّلَامُ فَقَالُوا: إِنَّ مَعَاوِيَةَ يَزْعُمُ أَنَّكَ قَتَلْتَ عَثْمَانَ. قَالَ: اللَّهُمَّ كَذِبٌ فِي مَا قَالَ، لَمْ أَقْتُلْهُ. فَرجعوا إلى معاوية يزعم أنك قتلت عثمان. قال اللهم كذب في ما قال، لم أقتله. فرجعوا إلى معاوية فأخبروه، فقال لهم: إن لم يكن قتله بيده فقد أمر و مالا - فرجعوا إلى عليٍّ عليه السَّلَامُ فَقَالُوا: إِنَّ مَعَاوِيَةَ يَزْعُمُ أَنَّكَ إِنْ لَمْ تَكُنْ قَتَلْتَهُ بِيَدِكَ فَقَدْ أَمَرْتَ وَ مَالَاتٍ عَلَى قَتْلِهِ. فَقَالَ: اللَّهُمَّ كَذِبٌ فِي مَا قَالَ. فَرجعوا إلى معاوية فقالوا له: إِنَّ عَلِيًّا يَزْعُمُ أَنَّهُ لَمْ يَفْعَلْ. فَقَالَ: إِنْ كَانَ صَادِقًا فَلْيَمَكِّنَا مِنْ قَتْلِهِ، فَإِنَّهُمْ فِي عَسْكَرِهِ وَ جُنْدِهِ وَ أَصْحَابِهِ وَ عَضُدِهِ. فَرجعوا إلى عليٍّ عليه السَّلَامُ فَقَالُوا: إِنَّ مَعَاوِيَةَ يَقُولُ: إِنْ كُنْتَ صَادِقًا فَادْفَعْ إِلَيْنَا قَتْلَهُ أَوْ أَمَكِّنَا مِنْهُمْ. قَالَ لَهُمْ عَلِيٌّ عَلَيْهِ السَّلَامُ: تَأَوَّلَ الْقَوْمُ عَلَيْهِ الْقُرْآنَ وَ وَقَعَتِ الْفِرْقَةُ، وَ قَتَلُوهُ فِي سُلْطَانِهِ وَ لَيْسَ عَلَى ضَرْبِهِمْ قُودٌ... (١).

وَ إِنَّمَا جَعَلَ مَعَاوِيَةَ وَ بَاقِي بَنِي أُمِّيَّةٍ نَسَبَهُ قَتْلَ عَثْمَانَ إِلَيْهِ سَبَابًا لِإِمَامَتِهِمْ عِنْدَ أَهْلِ الشَّامِ الَّذِينَ قِيلَ فِي وَصْفِهِمْ: «جَفَاهُ طَغَامُ عَيْبِ أَقْرَامٍ» (٢) وَ لَمْ يَكُونُوا فِي الْحَقِيقَةِ مِنْ فِرْقِ الْإِسْلَامِ كَالْخَوَارِجِ لِبَغْضِهِمْ أَهْلَ بَيْتِ نَبِيِّهِمْ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ، وَ سَلَّمَ، وَ بَغْضِهِمْ بَغْضَهُ، وَ لَتَرْكِهِمْ مَوَدَّةَ قُرْبَاهِ: «قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ»

ص: ١٤٦

١ - ١) وقعه صفين: ١٨٨-١٨٩، [١] شرح ابن أبي الحديد ١٥: ٤-١٦. [٢]

٢ - ٢) من الخطبه ٢٣٨، قال الشيخ محمّد عبده في شرح النهج ٢٥٨: ٢: [٣] الجفاه - بضم الجيم - جمع جاف، أي: غليظ فظ، و الطغام - كسحاب -: أوغاد الناس، و العبيد: كناية عن رديئي الأخلاق، و الأقزام: جمع قزم - بالتحريك -، و هم أرذال الناس.

«أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى» (١).

و أمّيا أهل الحجاز و أهل العراق-و فيهم كان المهاجرون و الأنصار- فكانوا يعلمون أنّه لم يكن قاتله، و أنّه لو كان قاتله لم يكن ذلك طعنا فيه، لأنّ عثمان كان يستحقّ القتل.

فقال الفضل بن عباس في أبياته التي يرّد فيها على الوليد بن عقبه في قوله:

ألا إنّ خير الناس بعد ثلاثة قتيل التجيبيّ الذي جاء من مصر

إلى آخر أبياته كما في (الطبريّ):

ألا إنّ خير الناس بعد محمّد وصيّ النبيّ المصطفى عند ذى الذكر

و أول من صلّى و صنو نبيّه و أول من أردى الغواه لدى بدر

فلو رأّت الأنصار ظلم ابن عمّكم لكانوا له من ظلمه حاضريّ النّصر

كفى ذاك عيبا أن يشيروا بقتله و أن يسلموه للأحابيش من مصر (٢).

و في قوله عليه السّلام: «تأوّل القوم عليه القرآن» أي: أنّهم رأوا أنّ حكم القرآن قتل مثله، و لم يقل: إنّهم أخطئوا، إشارة إلى صحّحه عقيدتهم في إباحه قتله.

و في كتاب نافع إلى ابن الزبير- كما في (كامل المبرّد)- لئن كان عثمان قتل مظلوما لقد كفر قاتلوه و خاذلوه، و لئن كان قاتلوه مهتدين- و إنّهم

ص: ١٤٧

[١-١] الشورى: ٢٣. [١]

[٢-٢] تاريخ الطبريّ ٤: ٤٢٦، سنة ٣٥، [٢] شرح ابن أبي الحديد ٢: ١١٥-١١٦. [٣]

لمهتدون-لقد كفر من يتولاه و ينصره و يعضده.و لقد علمت أنّ أباك و طلحه و عليا كانوا أشدّ الناس عليه في أمره من بين قاتل و خاذل،و أنت تتولّى أباك و طلحه و عثمان (١).

و قال الإسكافيّ في نقضه على الجاحظ: إنّ الوليد بن عقبه (٢) قال لعليّ عليه السّلام بعد بيعه الناس له: نبايعك على أن تقتل قتله عثمان.فقال عليّ عليه السّلام:

لو لزمني قتلهم اليوم قتلتهم (لقتلتهم) أمس (٣).

و في (صفين نصر): خرج أبو أمامه الباهليّ و أبو الدرداء،فدخلوا على معاوية،فقالا له:علام تقاتل هذا الرجل؟فو الله هو أقدم منك سلما،و أحقّ بهذا الأمر،و أقرب من النبيّ؟فقال:أقاتله على دم عثمان،و أنه آوى قتلته.فقالا له:

فليقدنا من قتلته،فأنا أوّل من يبايعه(بايعه)من أهل الشام.فانطلقا إلى عليّ عليه السّلام،فأخبراه بقول معاوية،فقال:هم الذين ترون.فخرج عشرون ألفا و أكثرهم مسربلون في الحديد،لا- يرى منهم إلا الحدق،فقالوا:كلّنا قتله،فإن شاءوا فليروموا ذلك منّا (٤).

و في (صفين نصر)أيضا بعد ذكر خروج أمير المؤمنين عليه السّلام إلى النخيلة ليخرج إلى الشام:ألبس معاوية منبر دمشق قميص عثمان و هو مخضّب بالدم،و حول المنبر سبعون ألف شيخ يبكون،لا تجفّ دموعهم على

ص: ١٤٨

(١-١) الكامل للمبرد ٢:٢٢٩-٢٣٠. [١]

(٢-٢) هو الوليد بن عقبه بن أبي معيط أخو عثمان لأمه،و أمهما أروى بنت كرز بن ربيعة بن حبيب بن عبد شمس،أسلم يوم الفتح،و يقال:إنّه نزل فيه: «يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنِ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبِيٍّ فَتَّبِعُوا» (سورة الحجرات:٦). [٢]ولاه عثمان الكوفه بعد عزل سعد بن أبي وقاص.و قصّه صلّاته بالناس الصبح أربعاً و هو سكران مشهوره.الإصابة ٣: ٦٣٧-٦٣٨. [٣]

(٣-٣) نقله عن الإسكافيّ ابن أبي الحديد في شرحه ٣٨:٧-٣٩.

(٤-٤) وقعه صفين لابن مزاحم: ١٩٠.

عثمان، فخطبهم معاوية و قال: يا أهل الشام، قد كنتم تكذبونى فى علىّ، و قد استبان لكم أمره، و الله ما قتل خليفتم غيرّه، و هو أمر بقتله و ألب الناس عليه، و آوى قتلته، و هم جنده و أنصاره و أعوانه، و قد خرج بهم قاصدا بلادكم لإبادتكم.

يا أهل الشام، اللهم الله فى عثمان! فأنا وليّ عثمان و أحقّ الناس بطلب دمه، و قد جعل الله لولّى المظلوم سلطانا. فانصروا خليفتم، فقد صنع به القوم ما تعلمون، قتلوه ظلما و بغيا، و قد أمر الله بقتال الفئه الباغيه حتّى تفىء. فأعطوه الطاعه و انقادوا له [\(١\)](#).

و فى (صفين نصر) أيضا بعد ذكر مشوره معاوية مع عمرو بن العاص فى أمر جرير البجليّ الذى بعثه أمير المؤمنين عليه السّلام لأخذ البيعه من معاوية:

قال عمرو بن العاص لمعاوية: إنّ رأس أهل الشام شرحبيل بن السمط الكندىّ، و هو عدوّ لجرير الذى أرسل إليك، فأرسل إليه، و وّطن له ثقاتك فليفشوا فى الناس أنّ عليّا قتل عثمان، و ليكونوا أهل الرضا عند شرحبيل، فإنّها كلمه جامع لك أهل الشام على ما تحبّ، و إن تعلق بقلب شرحبيل شىء لم يخرج شىء أبدا (و إن تعلق بقلب شرحبيل لم تخرج منه شىء أبدا).

فكتب معاوية إلى شرحبيل: «أنّ جريرا قدم علينا من عند علىّ بأمر فطيع، فأقدم». و دعا معاوية يزيد بن أسيد (أسد) و بسر بن أرطاه، و عمرو بن سفیان، و مخارق بن الحارث، و حمرة بن مالك، و حابس بن سعد الطائى - و هؤلاء رؤساء (رءوس) قحطان و اليمن، و كانوا ثقات معاوية و خاصّيته - و بنى عمّ شرحبيل، فأمرهم أن يلقوه و يخبروه أنّ عليّا قتل عثمان - إلى أن قال: - فلما قدم شرحبيل قال له معاوية: إنّ جريرا يدعونا إلى بيعه علىّ، و علىّ

ص: ١٤٩

١- ١) وقعه صفين لابن مزاحم: ١٢٧-١٢٨، و نقله الشارح بتصرّف.

خير الناس لو لا أنه قتل عثمان، وقد حبست نفسي عليك، وإنما أنا رجل من أهل الشام أرضى ما رضوا، وأكره ما كرهوا. فقال له شرحبيل: اخرج فانظر.

فخرج فلقه هؤلاء النفر الموطئون له، فكلهم أخبره أن (يخبره بأن) علينا قتل عثمان. فخرج مغضبا إلى معاوية وقال له: أباي الناس إلا أن علينا قتل عثمان، فوالله لئن بايعت له لنخرجنك من الشام أو لنقتلنك.

قال معاوية: ما كنت لأخالف عليكم، ما أنا إلا رجل من أهل الشام. قال:

فردّ هذا الرجل إلى صاحبه إذن. فعرف معاوية أن شرحبيل (قد) نفذت بصيرته في حرب أهل العراق، وأن الشام كلها مع شرحبيل (١).

«و لما وعظهم الله به» في عقوبه التهمه.

«أبلغ من لسانی» في بيان شاعتها، قال تعالى: «وَمَنْ يَكْسِبْ خَطِيئَةً أَوْ إِثْمًا ثُمَّ يَزْمِ بِهِ بَرِيئًا فَقَدِ احْتَمَلَ بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُّبِينًا» (٢).

«أنا حجيج المارقين» في بيان خطأهم و بطلان أمورهم، قال ابن أبي الحديد: كان على عليه السلام يكثر من قوله: أنا حجيج المارقين (٣).

و روى عنه عليه السلام أيضا: أنه يقول: أنا أول من يجثو بين يدي الله تعالى (٤).

و روى عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم مثل ذلك مرفوعا (٥).

«و خصيم المرتابين» في إمامتي، روى أبو نعيم في (حليته): أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال له: يا علي، أخصمك بالنبوة، و لا نبي بعدى، و تخصم الناس

ص: ١٥٠

١-١) وقعه صفين: ٤٤-٤٧، و [١] نقله الشارح بتقطيع.

٢-٢) النساء: ١١٢. [٢]

٣-٣) شرح ابن أبي الحديد ١٧١: ٦. [٣]

٤-٤) المصدر نفسه ١٧٠: ٦، [٤] قال الطريحي في مجمع البحرين ٨١: ١. [٥] في حديث على عليه السلام: «أنا أول من يجثو للخصومه» أي: يجلس على الركب و أطراف الأصابع عند الحساب.

٥-٥) شرح ابن أبي الحديد ١٧٠: ٦. [٦]

بسبع لا يحاجك فيهن أحد من قريش، أنت أولهم إيماناً، وأوفاهم بعهد الله، وأقومهم بأمر الله، وأقسمهم بالسويّة، وأعدلهم في الرعيّة، وأبصرهم بالقضيّة، وأعظمهم عند الله منزّه (١).

«و علي» هكذا في (المصريه) (٢)، والصواب «علي» بدون الواو، كما في (ابن أبي الحديد و ابن ميثم و الخطيبه) (٣).

«كتاب الله تعرض الأمثال» في (الكافي) عن الصادق عليه السلام: خطب النبي صلى الله عليه وآله وسلم بمنى فقال: أيها الناس ما جاءكم عنّي يوافق كتاب الله فأنا قتلته، وما جاءكم يخالف كتاب الله فلم أقله (٤).

و عنه عليه السلام: قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم: إن عليّ كلّ حقّ حقيقه، و عليّ كلّ صواب نوراً، فما وافق كتاب الله فخذوه، و ما خالف كتاب الله فدعوه (٥).

و عنه عليه السلام: إن الله تعالى أنزل في القرآن تبيان كلّ شيء حتّى -و الله- ما ترك الله شيئاً يحتاج إليه العباد، حتّى لا يستطيع عبد يقول: لو كان هذا أنزل في القرآن (٦).

«و بما في الصدور تجزى العباد» في (الطبري) قال عمّار لعبيد الله بن عمر:

بعت دينك من عدوّ الإسلام و ابن عدوّه؟ اقل: لا، و لكن أطلب بدم عثمان. فقال له عمّار: أشهد على علمي فيك أنّك لا تطلب بشيء من فعلك وجه الله، و أنّك إن

ص: ١٥١

١- ١) حليه الأولياء ١: ٦٥-٦٦، [١] الخصال ٢: ٣٦٣ ح ٥٤.

٢- ٢) نهج البلاغه ١: ١٢٢.

٣- ٣) في شرح ابن ميثم ٢: ٢٠٦ [٢] مع الواو أيضاً، و أمياً ابن أبي الحديد فذكر في متن الخطبه في ٦: ١٦٩ الواو، و عند شرح الفقيه في: ١٧١ أسقط الواو.

٤- ٤) الكافي للكلينى ١: ٦٩ ح ٥. [٣]

٥- ٥) الكافي ١: ٦٩ ح ١. [٤]

٦- ٦) الكافي ١: ٥٩ ح ١. [٥]

لم تقتل اليوم تمت غدا، فانظر إذا أعطى الناس على قدر نياتهم ما نيتك (١).

٢

الخطبه (٧٧)

و من كلام له عليه السلام:

إِنَّ بَيْنِي أُمَّيَّةَ؟ لَيْفَوْقُونِي تُرَاثَ؟ مُحَمَّدٍ ص؟ تَفْوِيحًا - لَأَنْفُضَنَّهْم نَفْضَ اللَّحَامِ الْوِذَامِ التَّرْبَةَ و يروى: «التراب الودمه» و هو على القلب (٢).

«قال الشريف و قوله: (ليفوقوني) أى: يعطونني من المال قليلا كفواق الناقه، و هو الحلبه الواحده من لبنها، و الودام: جمع و ذمه و هى: الحزّه من الكرش أو الكبد، تقع فى التراب فتنفض.»

أقول: قال ابن أبى الحديد: روى أبو الفرج فى (أغانيه) بإسناد رفعه إلى الحارث بن حبيش قال: بعثنى سعيد بن العاص - و هو يومئذ أمير الكوفه من قبل عثمان - بهدايا إلى المدينه، و بعث معي هديه إلى علي عليه السلام و كتب إليه: إننى لم أبعث إلى أحد أكثر مما بعثت به إليك إلا إلى الخليفه. فلما أتيت عليا عليه السلام و قرأ كتابه، قال: «لشد ما تحظر علي بنو اميّه تراث محمد صلى الله عليه و آله و سلم! أما و الله لئن وليتها لأنفضنّها نفض القصاب التراب الودمه.» قال أبو الفرج: و هذا خطأ، إنما هو «الودام التربه».

و قد حدّثنى بذلك أحمد بن عبد العزيز الجوهري (٣) عن أبى زيد عمر بن شبه، بإسناد ذكره فى الكتاب: أنّ سعيد بن العاص حيث كان أمير الكوفه بعث

ص: ١٥٢

١ - ١) تاريخ الطبرى سنه ٣٩: ٥-٣٧، ٤٠. [١]

٢ - ٢) قال الشيخ محمد عبده فى شرحه على النهج ١: ١٢٣: على القلب، أى: أنّ الحقيقه «الودام التربه» كما فى الروايه الاولى، لا «التراب الودمه» إذ لا معنى له، فهذه الروايه يراد منها مقلوبها. هذا و سيأتى من الشارح بيان له.

٣ - ٣) السقيفه و فدك: ٧٥. [٢]

مع ابن أبي عائشه مولاہ إلى علي عليه السلام بصله، فقال علي: «و الله لا يزال غلام من غلمان بني اميہ يبعث إلينا ممّا أفاء الله على رسوله صلى الله عليه وآله وسلم بمثل قوت الأرملة، و الله لئن بقيت لأنفضتها نفض القصاب الودام التربه» (١).

قلت: الذي وجدت في (الأغانى): «قال أبو جعفر: هذا غلط إنما هو الودام التربه» (٢). والمراد به (الطبرى) لوقوعه في طريقه الأول لا أبو الفرج كما نقل.

ثم الأصل في إنكار روايه «التراب الودمه» شعبه، ففي (نهايه ابن الأثير) - بعد ذكر أنّ في حديث علي عليه السلام: «لئن وليت بني اميہ لأنفضتهم نفض القصاب التراب الودمه» - قال الأصمعي: سألت شعبه عن هذا الحرف، فقال:

ليس هو هكذا، إنما هو «نفض الودام التربه» (٣).

و (الصحيح) عكس (٤) نقل الأصمعي عن شعبه، فقال: قال الأصمعي:

سألني شعبه عن هذا الحرف، فقلت (٥): ليس هو هكذا، إنما هو «نفض القصاب الودام التربه» (٦).

و الصواب ما في (النهايه)، لنقله ذلك عن كتب غريب الحديث، ولأنّ في (طبقات السيوطى): روى الأصمعي عن شعبه (٧).

«إنّ بني اميہ ليفوقونى» قد عرفت من المصنّف معناه.

و في (الطبرى): جلس المهدى للمظالم، فتقدّم إليه رجل من آل الزبير،

ص: ١٥٣

١- ١) شرح ابن أبى الحديد ١٧٤: ٦-١٧٥. [١]

٢- ٢) الأغانى ١٢: ١٤٤. [٢]

٣- ٣) النهايه ١: ١٨٥، [٣] مادته (ترب). و لكن فيها: نقل الأصمعي عن شعبه: إنما هو نفض القصاب الودام التربه.

٤- ٤) لم يعكس الصحيح [٤] نقل الأصمعي كما عرفت.

٥- ٥) فى المصدر: سألت شعبه عن هذا الحرف فقال.

٦- ٦) الصحيح ٥: ٢٠٥، [٥] مادته (و ذم).

٧- ٧) النهايه لابن الأثير ٣: ٤٨٠ [٦] فوق) و منه حديث علي: «إنّ بني اميہ ليفوقونى تراث محمد تفويقا» و لا وجود له فى طبقات المفسرين و لا طبقات الحفاظ للسيوطى.

فذكر ضيعه اصطفاها عن أبيه بعض ملوك بني أمية، الوليد أم سليمان، فأمر أبا عبيد الله أن يخرج ذكرها من الديوان العتيق. ففعل، فقرأ ذكرها على المهدي. فقال المهدي: يا زبيرى، هذا عمر بن عبد العزيز، وهو منكم معشر قريش لم يرد ردها. قال: وكل أفعال عمر ترضى؟ قال: وأي أفعاله لا ترضى؟ قال: منها أنه كان يفرض للسقط (١) من بني أمية في خرقه في الشرف من العطاء، ويفرض للشيخ من بني هاشم في ستين. قال يا معاويه، أ كذلك كان يفعل عمر؟ قال: نعم، قال: اردد على الزبيرى ضيعته (٢).

«تراث محمد صلى الله عليه وآله وسلم تفويقا» مفعول مطلق لقوله: «ليفوقوننى».

روى ياقوت الحموى فى (أدبائه) فى ترجمه الشافعى عن جبير بن مطعم قال: لما قسم النبى صلى الله عليه وآله وسلم سهم ذوى القربى من خبير على بنى هاشم و بنى المطلب، مشيت أنا و عثمان إلى النبى صلى الله عليه وآله وسلم، فقلنا: هؤلاء إخوتك بنو هاشم لا ينكر فضلهم لمكانك الذى جعلك الله به منهم، أ رأيت إخواننا (إخواننا) من بنى المطلب أعطيتهم و تركتنا؟ وإنما نحن و هم منك بمنزله واحده. فقال:

إنهم لم يفارقونا فى جاهليته و لا إسلام، إنما بنو هاشم و بنو المطلب شىء واحد. ثم شبك النبى صلى الله عليه وآله وسلم يديه إحداهما بالآخرى (٣).

قال الحموى: كان لعبد مناف أربعة بنين: هاشم، و المطلب، و عبد شمس أبو أمية، و نوفل. و كان جبير من نوفل، و عثمان من عبد شمس (٤).

قلت: و كما أن بنى هاشم و بنى عبد المطلب لم يفارقا فى جاهليته و لا إسلام، كما قال النبى صلى الله عليه وآله وسلم، كذلك بنو عبد شمس و بنو نوفل لم يفارقا

ص: ١٥٤

١- ١) السقط- مثله- الولد لغير تمام. (القاموس المحيط ٢: ٣٦٥، مادة: سقط).

٢- ٢) تاريخ الطبرى ١٧٧: ٨-١٧٨، سنة ١٦٩. [١]

٣- ٣) معجم الادباء ١٧: ٣١٢، [٢] صحيح البخارى ٣: ١١٤٣.

٤- ٤) معجم الادباء ١٧: ٣١٢. [٣]

فيها كما هو مرمى كلامه.

هذا، وفي (العيون) عن ثمامه قال: عرض المأمون يوماً للرضا عليه السلام بالامتنان عليه بأن ولّاه العهد، فقال عليه السلام له: إن من أخذ بالنبي صلى الله عليه وآله وسلم لتحقيق أن يعطى به (١).

وفي (الطبرى) فى وصيه المأمون للمعتصم: وصالات بنى عمك من ولد أمير المؤمنين على عليه السلام فلا تغفلها فى كل سنه عند محلها، فإن حقوقهم تجب من وجوه شتى (٢).

«لأنفضنهم» هكذا فى (المصريه) (٣)، وفيه سقط و الأصل: «والله لئن بقيت لهم لأنفضنهم» كما فى (ابن أبى الحديد و ابن ميثم و الخطيبه) (٤)، و كما فى مستنده من (الأغانى) (٥) وغيره مما مرّ و يأتى.

و لأنفضنهم من «نفص الثياب» حرّكها ليسقط ما عليها من الغبار.

و يأتى مشدده للتكثير. قال أبو ذؤيب:

تنفص مهده و تذود عنه و ما تغنى التّمائم و العكوف (٦)

«نفص» أى: تحريك.

«اللحام» و هو: من يبيع اللحم.

«الوذام» أى: البطن و الأمعاء.

ص: ١٥٥

١-١) عيون أخبار الرضا عليه السلام ٢:١٤٣ ح ١٢. [١]

٢-٢) تاريخ الطبرى ٨:٦٥٠ سنة ٢١٨. [٢]

٣-٣) نهج البلاغه ١:١٢٣.

٤-٤) هكذا فى شرح ابن أبى الحديد ٦:١٧٤، و [٣] لكن ابن ميثم لم يذكر هذه الفقرة فى متن الخطبه، و ذكرها عند شرح الخطبه فى ٢:٢١٢.

٥-٥) الأغانى ١٢:١٤٤.

٦-٦) أساس البلاغه: ٤٦٧، [٤] ماده (نفص).

«التربة» بكسر الراء، أى: التى سقطت فى التراب فتتربّت.

و مراده عليه السّلام من قوله: «لأنفضّهم نفض اللّخام الودام التربة» أخذه عليه السّلام من بنى اميّه بعد عثمان ما أنهبهم من مال الله تعالى كما يأتى فى الآتى.

قول المصنّف: «و يروى: التراب الودمه. و هو على القلب» فى (جمهره ابن دريد): و فى حديث علىّ عليه السّلام: «لأنفضّكم نفض الجزار الودام التربة»، فقلبه قوم فقالوا: «نفض الجزار التراب الودمه» (١).

ثمّ المراد من قوله: «و هو على القلب» إمّا كونه غلطا كما قاله شعبه و الطبرى (٢)، و إمّا أنّه من تقديم المفعول الثانى على الأوّل و هو فى ما لا التباس كما فى «أعطيت درهما زيدا» و فى «كسوت جبّه زيدا»، لكن ذلك لو جعلناهما مفعولين، و أمّا لو جعلناها صفه و موصوفا فلا.

ثمّ إنّ (النهايه) زاد بعد ما مرّ: «و قيل: أراد بالقصّاب السبع، و التراب أصل ذراع الشاه، و السبع إذا أخذ الشاه قبض على ذلك المكان فنفضها» (٣).

قلت: يرد عليه أنّ الودمه تكون حينئذ زائده و بلا معنى.

«قال الشريف» هكذا فى (المصريه) (٤)، و ليس فى (ابن ميثم) (٥)، مع أنّه لا- مناسبه له هنا بل قبل قوله: «و يروى» كما فعله ابن أبى الحديد (٦)، مع أنّه ليس كلام المصنّف بل كلام ابن أبى الحديد.

ص: ١٥٦

١- ١) جمهره اللغه ٢:٧٠٣، [١] ماده (و ذم).

٢- ٢) مرّ تخريجه آنفا.

٣- ٣) النهايه ١:١٨٥، [٢] ماده (ترب).

٤- ٤) نهج البلاغه ١:١٢٣.

٥- ٥) فى شرح ابن ميثم ٢:٢١٢ أيضا: قال الشريف.

٦- ٦) شرح ابن أبى الحديد ٦:١٧٤.

«و قوله عليه السّلام» هكذا في (المصريه) (١) و الصواب: «قوله عليه السّلام» (٢) كما في (ابن ميثم و الخطّيه) (٣)، و ليس في (ابن أبي الحديد) (٤) رأسا .

«ليفوّقونى أى: يعطونى من المال قليلا» هكذا في (المصريه) (٥)، و الصواب: «قليلا قليلا» كما في (ابن أبي الحديد و ابن ميثم) (٦) و الخطّيه).

«كفواق الناقه و هو الحلبه الواحده من لبنها». في (أساس الزمخشري):

«ما أقام عنده إلاّ- فواق ناقه و فيقه ناقه» أى: قليلا- و ذلك أنّ الناقه تحلب فى اليوم خمس مرّات أو ستّ مرّات، فما اجتمع من الحلبتين فهو فيقه (٧).

«و الودام: جمع وذمه و هى الحزّه»- بالفتح- القطعه. و فى (الصحاح):

الحزّه، أى: بالضمّ، قطعه من اللحم قطعت طولاً. قال أعشى باهله:

تكفيه حزّه فلذ إن ألمّ بها من الشواء و يروى شربه الغمر (٨)

«من الكرش» فى (الصحاح): الكرش- مثل كَبِد و كَبِد- بمنزله المعده للإنسان لكلّ مجتَرّ، و العرب تؤنّثها (٩).

«أو الكبد تقع فى التراب فتنفض» الوقوع فى التراب ثمّ النفض ليس تفسيرا للودام من حيث هى، بل بيان للمراد من نفض الودام التربه، و فى العبارة تسامح.

ص: ١٥٧

١- ١) نهج البلاغه ١: ١٢٣. [١]

٢- ٢) أى بدون الواو.

٣- ٣) فى شرح ابن ميثم ٢: ٢١٢ أيضا مع الواو.

٤- ٤) فى شرح ابن أبي الحديد ٦: ١٧٤ أيضا [٢] مع الواو.

٥- ٥) نهج البلاغه ١: ١٢٣. [٣]

٦- ٦) فى شرح ابن أبي الحديد ٦: ١٧٤ و [٤] شرح ابن ميثم ٢: ٢١٢: «قليلا» أيضا.

٧- ٧) أساس البلاغه: ٣٥٠، [٥] ماده (فوق).

٨- ٨) الصحاح ٣: ٨٧٣، [٦] ماده (حزز).

٩- ٩) المصدر نفسه ٣: ١٠١٧، [٧] ماده (كرش).

و من كلام له عليه السلام فيما رده على المسلمين من قطائع عثمان رضى الله عنه:

وَ اللَّهُ لَوْ وَجَدْتُهُ قَدْ تَزَوَّجَ بِهِ النِّسَاءَ وَ مُلِكَ بِهِ الْإِمَاءُ - لَرَدَدْتُهُ - فَإِنَّ فِي الْعَدْلِ سَعَةً - وَ مَنْ ضَاقَ عَلَيْهِ الْعَدْلُ فَالْجَوْرُ عَلَيْهِ أَضْيَقُ قَوْلِ الْمَصْنَفِ: «فى ما رده على المسلمين» هكذا فى (المصريه و ابن أبى الحديد) (١)، و لكن ليس فى (ابن ميثم و الخطيبه) (٢) كلمه «على المسلمين» و لا وجه لها، لأن بنى أميه الذين أقطعهم عثمان كانوا بحسب الظاهر من المسلمين فلا مناسبه للكلمه، و لو كان «على الناس» كان له وجه.

«من قطائع» جمع: قطيعه قطعه من أرض الخراج.

«عثمان رضى الله عنه» هكذا فى (المصريه) (٣). و جمله «رضى الله عنه» من زياداتها، فليست فى (ابن أبى الحديد و ابن ميثم) (٤) و الخطيبه)، و لأن الرضى الإمامى لا يقولها.

كان عثمان - غير إنها به بيت المال بنى أبيه - أقطعهم قطعات أراضى بغير حق.

قوله عليه السلام: «و الله لو وجدته قد تزوج به النساء، و ملك به الإمام لرددته» .

قال ابن أبى الحديد: هذه الخطبه ذكرها الكلبي مرويه مرفوعه إلى أبى صالح، عن ابن عباس: أن عليا عليه السلام خطب فى اليوم الثانى من بيعته بالمدينه،

ص: ١٥٨

١- ١) نهج البلاغه ١: ٤٢، [١] شرح ابن أبى الحديد ١: ٢٦٩. [٢]

٢- ٢) فى شرح ابن ميثم ١: ٢٩٥، [٣] على المسلمين» أيضا.

٣- ٣) نهج البلاغه ١: ٤٢. [٤]

٤- ٤) هذه الجملة فى شرح ابن أبى الحديد ١: ٢٦٩ أيضا، و ليست فى شرح ابن ميثم ١: ٢٩٥.

فقال: «ألا إنَّ كلَّ قطيعه أقطعها عثمان، و كلَّ مال أعطاه من مال الله، فهو مردود في بيت المال. فإنَّ الحقَّ القديم لا يبطله شيء. و لو وجدته قد تزوّج به النساء، و فرّق في البلدان أرددته إلى حاله، و من ضاق عنه العدل (الحقّ) فالجور عليه أضيّق».

قال الكلبيّ: ثمَّ أمر عليه السّلام بكلّ سلاح وجد لعثمان في داره ممّا تقوى به على المسلمين فقبض، و أمر بقبض نجائب كانت في داره من أهل الصدقه، فقبضت، و أمر بقبض سيفه و درعه، و أمر أن لا يعرض لسلاح وجد له لم يقاتل به المسلمون، و بالكفّ عن جميع أمواله التي وجدت في داره و غير داره، و أمر أن ترتجع الأموال التي أجاز بها عثمان حيث أصيبت أو أصيب أصحابها.

فبلغ ذلك عمرو بن العاص، و كان بأيّله من أرض الشام، و كان أتاها حيث وثب الناس على عثمان، فنزلها فكتب إلى معاويه: ما كنت صانعا فاصنع، إذ قشرك ابن أبي طالب من كلّ ما تملكه كما تقشر عن العصا لحاها.

و قال الوليد بن عقبه - هو أخو عثمان من أمّه - يذكّر قبض عليّ عليه السّلام نجائب عثمان و سيفه و سلاحه:

بنى هاشم ردّوا سلاح ابن اختكم و لا تنهبوه لا تحلّ مناهبه

بنى هاشم كيف الهواده بيننا و عند عليّ درعه و نجائبه

بنى هاشم كيف التودّد بيننا (منكم) و بزّ ابن أروى فيكم و حرائبه (١)

ص: ١٥٩

١ - ١) البزّ: الثياب أو متاع البيت من الثياب و نحوها. (القاموس المحيط ١٦٦: ٢، مادة: بزّ)، و الحرائب: جمع حريبه: و هو مال الرجل الذي يقوم به أمره. (النهايه ٣٥٩: ١، [١] مادة: حرب).

بنى هاشم إلا تردوا فإننا سواء علينا قاتلوه (قاتلاه) و سالبه

بنى هاشم إنا و ما كان منكم كصدع الصفا لا يشعب الصدع شاعبه

قتلتهم أحيى كيما تكونوا مكانه كما غدرت يوما بكسرى مراربه

فأجابه عبد الله بن أبي سفيان بن الحارث بن عبد المطلب بأبيات طويلة من جملتها:

فلا تسألونا سيفكم إن سيفكم أضيع و ألقاه لدى الزرع صاحبه

و شبهته كسرى و قد كان مثله شبيها بكسرى هديه و ضرائبه

أى: كان كافرا كما كان كسرى كافرا (١).

قلت: و فى (تاريخ يعقوبى): بايع الناس بعد عثمان عليا عليه السلام إلا ثلاثة من قريش: مروان بن الحكم، و سعيد بن العاص، و الوليد بن عقبه، و كان لسان القوم، فقال له عليه السلام: يا هذا، إنك قد وترتنا جميعا، أما أنا فقتلت أبى يوم بدر صبورا. و أما سعيد فقتلت أباه يوم بدر، و كان أبوه نور قريش. و أما مروان فشتت أباه و عبت على عثمان حين ضمّه إليه - إلى أن قال -: و تبايعنا على أن تضع عننا ما أصبنا، و تعفى لنا عمّا فى أيدينا، و تقتل قتله صاحبنا. فغضب على عليه السلام و قال: أمّا ذكرت من وترى إيّاكم، فالحقّ و تركم. و أمّا وضعى عنكم ما أصبتم، فليس لى أن أضع حقّ الله. و أمّا إعفائى عمّا فى أيديكم، فما كان لله و المسلمين فالعدل يسعكم. و أمّا قتلى قتله عثمان، فلو لزمنى قتلهم اليوم

ص: ١٦٠

١ - ١) شرح ابن أبى الحديد ٢٦٩: ١ - ٢٧١. و [١] تجد الأبيات فى مروج الذهب ٣٥٦: ٢ - ٣٥٧، و [٢] الأغانى ١٢٠: ٥ - ١٢١، و [٣] الكامل فى اللغة و الأدب ٢: ٤٤ مع الاختلاف.

لزمنى قتالهم غدا. و لكم أن أحملكم على كتاب الله و سنّه رسوله، فمن ضاق عليه الحقّ، فالباطل عليه أضيّق، و إن شئتم فالحقوا بملاحقكم (١).

هذا، و قد أمر عمر بن عبد العزيز أيضا برّد مظالم بنى اميه، فعن (بيان الجاحظ): أنّ عمر بن عبد العزيز لما ولى، جعل لا يدع شيئا مّيا كان فى يده و يد أهل بيته من المظالم، إلّا ردها مظلّمه، فبلغ ذلك عمر بن الوليد بن عبد الملك، فكتب إليه: إنك أزريت على من كان قبلك من الخلفاء، و عبت عليهم، و سرت بغير سيرتهم بغضا لهم و شتانا لمن بعدهم من أولادهم، و قطعت ما أمر الله به أن يوصل إذ عمدت إلى أموال قريش و مواريتهم، فأدخلتها بيت المال جورا و عدوانا.

يا بن عبد العزيز! اتق الله، و راقبه إن شططت، و لم تطمئنّ على منبرك حتّى خصصت أوّل قرابتك بالظلم و الجور (٢).

فأجابه عمر بن عبد العزيز: أمّا أوّل شأنك يا بن الوليد، فإنّ أمك نباته (٣) أمه السكون، كانت تطوف فى أسواق حمص، و تدخل حوانيتها، ثمّ الله أعلم بها، اشتراها ذبيان بن ذبيان من فىء المسلمين، فأهداها إلى أبيك، فحملت بك، و بئس الحامل و بئس المحمول! ثمّ نشأت فكنت جيّارا عنيّدا، تزعم أنّى من الظالمين! الأئى حرمتك و أهل بيتك فىء الله الذى هو حقّ القرابه و المساكين و الأرامل - إلى أن قال -: و أظلم منى و أترك لعهد الله من جعل لعاليه البربريّة سهما فى الخمس! فريدا يا بن نباته، فلو التفت حلقتا البطان، و ردّ الفىء إلى أهله لتفرّغت لك و لأهل بيتك، فوضعكم على المحجّه البيضاء، فطالما تركتم

ص: ١٦١

١- ١) تاريخ يعقوبى ١٧٨: ٢- ١٧٩، و [١] نقله الشارح بتصرّف.

٢- ٢) لم أجد كتاب عمر بن الوليد بن عبد الملك فى البيان و التبيين.

٣- ٣) فى البيان و التبيين ٣: ٤٠٣ صّناجه، بدل: نباته. و الصّناجه: الضاربه بالصنج و هو الدف.

الحق، وأخذتم في غير بينات الطريق. و من وراء هذا من الفضل ما أرجو أن أكون رأيته بيع رقبتك، و قسم ثمنك بين اليتامى و المساكين و الأرامل، فإنّ لكلّ فيك حقًا (١).

و عكسه يزيد بن عبد الملك الذى ولى بعده، ففى (العقد الفريد): كتب يزيد بن عبد الملك إلى عمّال عمر بن عبد العزيز: رأيت كتبكم إليه فى انكسار الخراج و الضريبه، فإذا أتاكم كتابى هذا فدعوا ما كنتم تعرفون من عهدته، و أعيّدوا الناس إلى طبقتهم الاولى، أخصبوا أم أجذبوا، حيّوا أم ماتوا (٢).

و من الغريب أنّ ابن أبى الحديد قال: «قد كان عثمان أقطع كثيرا من بنى اميّه و غيرهم من أوليائه و أصحابه قطائع من أرض بيت المال صله لرحمه» (٣).

قلت: كيف يجوز صله الرحم بمال المسلمين؟ فهل تجوز صله الرحم بالسرقه من الناس؟! و الأصل فى اعتذاره قول إمامه عثمان نفسه لما طعنوا عليه، فقال: إننى أصل رحمى بما أهب (٤)؛ و أنهب من بيت المال، و تبعه فى ذلك عمر بن الوليد فى إنكاره على عمر بن عبد العزيز و قد كان جواب ابن عبد العزيز لابن الوليد جواب ابن أبى الحديد عن عثمان.

هذا، و فى (الطبرى): جلس المنصور ببغداد للمدنيين مجلسا عاميًا، فدخل عليه شابّ من ولد عمرو بن حزم، فانتسب ثمّ قال للمنصور: قال

ص: ١٦٢

١-١) كتاب عمر بن عبد العزيز إلى عمر بن الوليد فى البيان و التبيين ٣:٤٠٣ مع اختلاف فى الألفاظ.

٢-٢) العقد الفريد ٥:١٨٨. [١]

٣-٣) شرح ابن أبى الحديد ١:٢٦٩، و [٢] نقله الشارح بتصرّف يسير.

٤-٤) انظر الشافى فى الإمامه ٤:٢٧٢.

الأحوص فينا شعرا منعنا أموالنا من أجله منذ ستين سنة، مدح الوليد بن عبد الملك بقصيده قال فيها:

لا تأوين لحزمي رأيت به فقرا و إن القى الحزمي في النار

الناخسين بمروان بذي خشب و الداخلين على عثمان يوم (في)الدار (١)

فقال له الوليد: أذكرتني ذنب آل حزم، فأمر باستصفاء أموالهم. فقال المنصور للرجل: أعد علي الشعر. فأعاده ثلاثا. فقال له: لا جرم، تحتظي بهذا الشعر كما حرمت به. و أمر له بعشره آلاف درهم، و كتب إلى عماله أن يردوا ضياع آل حزم عليهم، و يعطوا غلاتها في كل سنة من ضياع بني امية، و تقسم أموالهم بينهم على كتاب الله على التناسخ، و من مات منهم وفر على ورثته (٢).

«فإن في العدل سعه، و من ضاق عليه العدل فالجور عليه أضييق» قد عرفت أن (ابن أبي الحديد) نقل بدله عن الكلبي: «و من ضاق عنه العدل (الحق)، فالجور عنه أضييق» (٣). و أن يعقوبي نقل بدله: «فمن ضاق عليه الحق، فالباطل عليه أضييق» (٤).

٤

الخطبه (٤٣)

و من كلام له عليه السلام و قد أشار عليه أصحابه بالاستعداد للحرب بعد إرساله جرير بن عبد الله البجلي إلى معاوية:

ص: ١٦٣

١- ١) تجد البيتين في الأغاني ١: ٢٦ مع اختلاف يسير [١] في الألفاظ.

٢- ٢) تاريخ الطبري ٨: ٨٥، سنه ١٥٨. [٢]

٣- ٣) شرح ابن أبي الحديد ٢٦٩١. [٣]

٤- ٤) تاريخ يعقوبي ٢: ١٧٩. [٤]

إِنَّ اسْتِعْدَادِي لِحَرْبِ أَهْلِ الشَّامِ؟ وَجَرِيرٌ؟ عِنْدَهُمْ- إِغْلَاقٌ لِلشَّامِ؟ وَصِيْرٌ لِحَيْبِهِ عَنِ خَيْرٍ إِنْ أَرَادُوهُ- وَ لَكِنْ قَدْ وَقْتُ؟ لِحَرْبِهِ؟ وَقْتًا لَا يُقِيمُ بَعْدَهُ- إِلَّا مَخْدُوعًا أَوْ عَاصِيًا- وَ الرَّأْيُ عِنْدِي مَعَ الْأَنَاهِ فَارُودُوا- وَ لَا أَكْرَهُ لَكُمْ الْإِعْدَادَ- وَ لَقَدْ ضَرَبْتُ أَنْفَ هَذَا الْأَمْرِ وَ عَيْنَهُ- وَ قَلْبَتُ ظَهْرَهُ وَ بَطْنُهُ- فَلَمْ أَرِ إِلَّا الْقِتَالَ أَوْ الْكُفْرَ- إِنَّهُ قَدْ كَانَ عَلَى النَّاسِ وَالِ أَحْدَثَ أَحْدَاثًا- وَ أَوْجَدَ لِلنَّاسِ مَقَالًا- فَصَالُوا- ثُمَّ نَقَمُوا فَغَيَّرُوا قَوْلَ الْمُصَنِّفِ: «وَ قَدْ أَشَارَ عَلَيْهِ أَصْحَابُهُ بِالِاسْتِعْدَادِ لِلْحَرْبِ» إِنَّمَا أَشَارَ عَلَيْهِ بِذَلِكَ مِنْهُمْ الْأَشْرَ، وَ عَدِيَّ بْنَ حَاتِمٍ، وَ شَرِيحَ بْنَ هَانِيٍّ، وَ أَمَّا بِأَقْبَهُمْ فَأَشَارُوا عَلَيْهِ بِتَرْكِ الْإِسْتِعْدَادِ.

ففي (خلفاء ابن قتيبة-الإمامه و السياسه-ج ١ ص ٩٤ ابن قتيبة): ذكروا أنّ عليّاً عليه السّلام استشار الناس، فأشاروا عليه بالمقام بالكوفه عامه ذلك، غير الأشتر النخعي، و عدي بن حاتم، و شريح بن هانيء، فإنهم قاموا، فتكلموا بلسان واحد، فقالوا: إنّ الذين أشاروا عليك بالمقام إنّما خوفوك بحرب الشام، و ليس في حرب الشام شيء أخوف من الموت، و نحن نريده. فقال عليه السّلام لهم: «إنّ استعدادي لحرب الشام و جرير عندهم، صارف لهم عن خير إن أرادوه، و لكنّي قد وقتّ لهم وقتاً لا يقيم بعده إلا أن يكون مخدوعاً أو عاصياً، و لا أكره لكم الإعداد» (١).

«بعد إرساله جرير بن عبد الله البجليّ (٢) إلى معاويه» هكذا في

ص: ١٤٤

١- (١) الإمامه و السياسه ٩٤:١، و [١] نقله الشارح بتصرف يسير.

٢- (٢) هو جرير بن عبد الله بن جابر البجليّ. توجد ترجمته في اسد الغابه ٢٧٩:١-٢٨٠، و الإصابه ٢٣٢:١، و سفينه البحار ١٥٢:١.

(المصريه) (١) و الصواب: «بعد إرساله إلى معاوية جرير بن عبد الله البجلي» كما في (ابن أبي الحديد و ابن ميثم) (٢).

قوله عليه السلام: «إنّ استعدادى لحرب أهل الشام و جرير عندهم إغلاق للشام، و صرف لأهله عن خير إن أرادوه» .

قال ابن أبي الحديد: كره عليه السلام منهم إظهار الاستعداد، الجهر به، و لم يكره الإعداد في السرّ، و على وجه الخفاء. و قال الراونديّ: «كره استعداد نفسه، و لم يكره إعداد أصحابه».

و لقائل أن يقول: التعليل الذي علّل عليه السلام به كراهية الأمرين معا، بل ينبغي أن تكون كراهته لإعداد جيشه أولى، لأنّ شياع ذلك أعظم من شياع استعداده وحده، لأنّه وحده يمكن أن يكتنم استعداد، بخلاف استعداد العساكر العظيمه، فيكون إغلاق الشام عن باب خير إن أرادوه أقرب (٣).

قلت: إنّ ابن أبي الحديد لم يفهم معنى استعداده عليه السلام، و لم يفرّق بين الاستعداد و الإعداد، فاستعداده عليه السلام إنّما كان بشخصه مع أصحابه إلى الشام للحرب، كما عرفت من موجب قوله عليه السلام ذاك الكلام و هو قول الأشر، و عدّي، و شريح له عليه السلام: «ليس في حرب الشام شيء أخوف من الموت و نحن نريده» (٤).

و معلوم أنّ ذلك كان صرفاً لأهلها عن خير إن أرادوه.

و أمّا إعداد أصحابه فإنّما هو بتهيئه أسباب الحرب من الخيل و الأسلحة، و لم يعلم من التهيئه لذلك أنّه عليه السلام أراد حربهم لكونه أعمّ.

ص: ١٦٥

١- ١) نهج البلاغه ١: ٨٩. [١]

٢- ٢) كذا في شرح ابن أبي الحديد ٢: ٣٢٢ و [٢] فيه: بجرير. و لفظ شرح ابن ميثم ٢: ١٠٩ [٣] مطابق للطبعة المصريه أيضا.

٣- ٣) شرح ابن أبي الحديد ٢: ٣٢٢-٣٢٣، و [٤] نقله الشارح بتلخيص.

٤- ٤) الإمامه و السياسة ١: ٩٤. [٥]

«و لكن قد وُقت لجريير وقتا لا يقيم بعده إلا مخدوعا» في (خلفاء ابن قتيبه):

ذكروا أنّ معاويه قال لجريير: إنّي قد رأيت رأيا. قال جريير: هات. قال: اكتب إلى عليّ أن يجعل لي الشام و مصر (جبايه)، فإن حضرته الوفاه لم يجعل لأحد بعده في عنقه بيعه، و اسلم إليه الأمر، و أكتب إليه بالخلافه. قال جريير: اكتب ما شئت. و إنّما أراد معاويه في طلبه الشام و مصر ألاّ يكون لعليّ في عنقه بيعه، و أن يخرج نفسه ممّا دخل فيه الناس، فكتب إلى عليّ عليه السّلام يسأله ذلك، فلمّا أتى عليّا عليه السّلام كتاب معاويه عرف أنّها خدعه منه. فكتب إلى جريير: أمّا بعد، فإنّ معاويه إنّما أراد بما طلب ألاّ يكون لي في عنقه بيعه، و أن يختار من أمره ما أحبّ، و قد كان المغيره بن شعبه أشار عليّ و أنا بالمدينه أن أستعمله على الشام، فأبيت ذلك عليه، و لم يكن الله ليراني أن أتخذ المضلّين عضدا، فإن بايعك الرجل، و إلاّ فأقبل (1).

«أو عاصيا» في (الطبريّ): قال عوانه: لمّا قدم جريير على عليّ عليه السّلام و أخبره خبر معاويه و اجتماع أهل الشام معه على قتاله، و أنّهم يبكون على عثمان، و يقولون: إنّ عليّا قتله، و آوى قتلته، و إنّهم لا- ينتهون عنه حتّى يقتلهم أو يقتلوه. فقال الأشرّ لعليّ عليه السّلام: قد كنت نهيتك أن تبعث جرييرا، و أخبرتك بعداوته و غشّه، و لو كنت بعثتني كان خيرا من هذا الذي أقام عنده حتّى لم يدع بابا يرجو فتحه إلاّ فتحه، و لا بابا يخاف منه إلاّ أغلقه.

فقال له جريير: لو كنت ثمّ لقتلوك، لقد ذكروا أنّك من قتله عثمان، فقال الأشرّ: و الله يا جريير، لو أتيتهم لم يعينى جوابهم، و لحملت معاويه على خطّه أعجله فيها عن الفكر، و لو أطاعني فيك أمير المؤمنين لحبسك و أشباهك في محبس لا تخرجون منه حتّى تستقيم هذه الامور.

ص: ١٦٦

فخرج جرير إلى قرقيسيا (١)، وكتب إلى معاوية، فكتب إليه معاوية يأمره بالقدوم عليه (٢).

و رواه نصر بن مزاحم في (صفينه) و زاد: أن الأشر قال لجرير: إن عثمان اشترى منك دينك بهمدان، و الله ما أنت بأهل أن تترك تمشى فوق الأرض. إنما أتيتهم لتتخذ عندهم يدا بمسيرك إليهم، ثم رجعت إلينا من عندهم تهددنا بهم. أنت و الله منهم، و لا أرى سعيك إلا لهم (٣).

و قال الإسكافي في (نقض عثمانيته): روى الحارث بن حصين أن النبي صلى الله عليه و آله و سلم دفع إلى جرير نعلين من نعاله، و قال له: احتفظ بهما، فإن ذهابهما ذهاب دينك. فلما كان يوم الجمل ذهبت إحداهما، فلما أرسله علي عليه السلام إلى معاوية ذهبت الأخرى، ثم فارق عليا عليه السلام و اعتزل الحرب.

و قال: قال اسماعيل بن جرير: هدم علي دارنا مرّتين (٤).

«و الرأى عندى مع الأنا» الانتظار.

«فأرودوا» من: أرود في السير، أى: رفق. و فى المثل: الدهر أرود ذو غير.

أى: يعمل عمله فى سكون و لا يشعر به (٥).

«و لا أكره لكم الإعداد» قال تعالى: «و أعدوا لهم ما استطعتم من قوه و من رباط الخيل» (٦).

ص: ١٦٧

١- ١) فى معجم البلدان ٤: ٣٢٨: [١] قال حمزه الاصبهاني: قرقيسيا معرب كركيسيا و هو مأخوذ من كركيس و هو اسم لإرسال الخيل المسمى بالعرييه الحلبه. و قال ياقوت: بلد على نهر الخابور قرب الفرات، قيل: سميت بقرقيسيا بن طهمورث الملك.

٢- ٢) تاريخ الطبرى ٤: ٥٦٢، سنة ٣٦. [٢]

٣- ٣) وقعه صفين: ٥٩-٦٠ و [٣] شرح ابن أبى الحديد ٣: ١١٦. [٤]

٤- ٤) نقله عنه ابن أبى الحديد فى شرح النهج ٤: ٧٤-٧٥. [٥]

٥- ٥) الصحاح ٢: ٤٧٩، [٦] ماده (رود).

٦- ٦) الأنفال: ٦٠. [٧]

«و لقد ضربت أنف هذا الأمر و عينه» (١) الأنف قد يجيء في قبال العين- كما هنا- و قد يجيء في مقابل الذنب، كقول الشاعر:

قوم هم الأنف، و الأذنان غيرهم

(٢) و قال عليه السلام نظير هذا الكلام لأبي مسلم الخولاني لما جاء بكتاب معاوية إليه، ففي (أخبار الطوال) قال أبو مسلم له عليه السلام: ادفع إلينا قتله عثمان، و أنت أميرنا، فإن خالفنا (خالفك) أحد من الناس كانت أيدينا لك ناصره.

فقال عليه السلام له: «إني ضربت أنف هذا الأمر و عينه، فلم يستقم دفعهم إليك و لا إلى غيرك» (٣).

«و قلبت ظهره و بطنه» كناية- كسابقه- عن ملاحظه الأمر بجملته .

«فلم أر لى» هكذا في (المصريه) (٤)، و الصواب: «فلم أر فيه» كما في (ابن أبي الحديد) (٥).

«إلا القتال أو الكفر» هكذا في (المصريه) و مثله في (ابن ميثم) (٦)، و زاد في (ابن أبي الحديد): «بما جاء به محمد صلى الله عليه و آله و سلم» (٧)، و في الخطيب: «بما انزل على محمد صلى الله عليه و آله و سلم». و لعل الزيادة حاشيه خلطت بالمتن، لكون نسخه شرح ابن ميثم بخط مصنفه، و لأنه قال: و مراده بالكفر الكفر الحقيقي، فإنه صرح بمثله فيما

ص: ١٦٨

١- ١) شرح ابن أبي الحديد ٢:٣٢٢ الباب ٤٣. [١]

٢- ٢) القائل الحطيئه، و الشطر الثاني من البيت: و من يسوى بأنف الناقه الذنبا أورده ابن منظور في لسان العرب ١:٢٣٩، [٢] ماده (أنف).

٣- ٣) الأخبار الطوال: ١٦٢-١٦٣، و [٣] نقله الشارح بتصرف و تلخيص.

٤- ٤) نهج البلاغه ١:٩٠. [٤]

٥- ٥) شرح ابن أبي الحديد ٢:٣٢٢. [٥]

٦- ٦) نهج البلاغه ١:٩٠، و [٦] شرح ابن ميثم ٢:١١٠. [٧]

٧- ٧) شرح ابن أبي الحديد ٢:٣٢٢. [٨]

قبل حيث يقول: «و قد قلبت هذا الأمر ظهره و بطنه حتى منعنى القوم، فما وجدتنى يسعنى إلا قتالهم أو الجحود بما جاء به محمد صلى الله عليه و آله و سلم» (١).

و كيف كان، كان عليه السلام يكرّر ذلك جواباً لمن يشير عليه بترك قتالهم. ففي (صفين نصر بن مزاحم): خرج رجل من أهل الشام ينادى بين الصفين: يا أبا الحسن يا عليّ ابرز إليّ. فخرج إليه عليّ عليه السلام حتى إذا اختلفت أعناق دابّتهما بين الصفين، فقال: يا عليّ، إنّ لك قدماً في الإسلام و هجره، فهل لك في أمر أعرضه عليك يكون فيه حقن هذه الدماء، و تأخير هذه الحروب حتى ترى من رأيك؟ فقال له عليّ عليه السلام: و ما ذاك؟ قال: ترجع إلى عراقك فتخلى بينك و بين العراق، و ترجع إلى شامنا فتخلى بيننا و بين شامنا.

فقال له عليّ عليه السلام: لقد عرفت أنك إنّما عرضت هذا نصيحة و شفقه، و لقد أهمني هذا الأمر و أسهرني، و ضربت أنفه و عينه، فلم أجد إلا القتال أو الكفر بما انزل على محمد صلى الله عليه و آله و سلم. إنّ الله تبارك و تعالى لم يرض من أوليائه أن يعصى في الأرض و هم سكوت مدعون، لا- يأمرون بالمعروف، و لا ينهون عن المنكر، فوجدت القتال أهون عليّ من معالجه الأغلال في جهنّم (٢).

و كيف يترك عليه السلام قتالهم و كان الله تعالى عينه على لسان نبيه صلى الله عليه و آله و سلم لقتال الناكثين و القاسطين و المارقين (٣). و القاسطون: معاوية و أهل الشام.

و أمره الله تعالى بجهاد المنافقين عوضاً عن نبيه صلى الله عليه و آله و سلم حيث كان نفس

ص: ١٦٩

١-١ شرح ابن ميثم ١١٣: ٢. [١]

٢-٢ وقعه صفين: ٤٧٤، و [٢] شرح ابن أبي الحديد ٢٠٧: ٢٠٨-٢٠٧. [٣]

٣-٣ شرح ابن أبي الحديد ٢٠٧: ٣. [٤]

نبيّه صَلَّى الله عليه وآله و سلم (١) بقوله تعالى: «وَأَنْفُسَنَا وَ أَنْفُسَكُمْ» (٢)، وقد قال جَلَّ و علا لنبينه صَلَّى الله عليه وآله و سلم: «يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَ الْمُنَافِقِينَ» (٣) و لم يجاهد النبي صَلَّى الله عليه وآله و سلم غير الكفار، فلا بدَّ أنه صَلَّى الله عليه و آله و سلم فَوَضَّ إليه جهاد المنافقين. و معاويه و أصحابه كانوا رءوس المنافقين .

«إنه قد كان على الناس» هكذا في (المصريه) (٤)، و الصواب: «على الامه» كما في (ابن أبي الحديد و ابن ميثم و الخطيبه) (٥).

«وال أحدث أحداثا، و أوجد للناس مقالا، فقالوا ثم نقموا فغيروا» في (الطبري): كتب علي عليه السلام إلى أهل مصر لما ولي قيس بن سعد بن عباده عليهم كتابا- إلى أن قال فيه بعد ذكر أبي بكر و عمر- ثم ولي بعدهما وال فأحدث أحداثا، فوجدت الامه عليه مقالا فقالوا، ثم نقموا عليه فغيروا، ثم جاءوني فبايعوني (٦).

أما أحداثه ففي (تقريب الحلبي): فمن أحداث عثمان تقليد ابن عامر على البصره للخووله التي بينهما، و ابن أبي سرح على مصر للرضاعه التي بينهما،

ص: ١٧٠

١ - ١) أجمعت الخاصه و العامه على أن أمير المؤمنين عليه السلام نفس النبي صَلَّى الله عليه وآله و سلم، و تواترت بذلك أحاديثهم بألفاظ مختلفه، و أسانيد شتى يضيق المجال لذكرها، و هنا نذكر أهم المصادر التي نقلت ذلك، حسب الترتيب التاريخي: التفسير المنسوب الى الامام العسكري عليه السلام: ٦٥٨-٦٥٩، تفسير فرات الكوفي: ٨٦، الكافي ٨: ٣١٩، أمالي الصدوق: ٤٢٣، حقائق التأويل في مشابه التنزيل: ٢٢٩-٢٣٠، أمالي الطوسي ١: ٢٧٨، [١] أسباب النزول للواحدى: ٦٨، شواهد التنزيل للحسكاني ١: ١٥٨-١٦٠، [٢] المناقب لابن المغازلي: ٢٦٣، معالم التنزيل للعلامة البغوي، المناقب للخوارزمي: ٩٠، المناقب لابن شهر آشوب ٢: ٢١٦-٢١٨، [٣] العمده لابن البطريق: ١٩١-١٩٢، التفسير الكبير للرازي ٨: ٨١، [٤] كفايه الطالب: ٢٨٨، تفسير ابن كثير، الدر المنثور ٢: ٣٨-٣٩، [٥] الصواعق المحرقة: ١٥٦.

٢ - ٢) آل عمران: ٦١. [٦]

٣ - ٣) التوبه: ٧٣. [٧]

٤ - ٤) نهج البلاغه ١: ٩٠. [٨]

٥ - ٥) كذا في شرح ابن أبي الحديد ٢: ٣٢٢، و [٩] لكن في شرح ابن ميثم ٢: ١١٠ «[١٠] على الناس» أيضا.

٦ - ٦) تاريخ الطبري ٤: ٥٤٨-٥٤٩، سنه ٣٦. [١١]

و يعلى بن اميّه على اليمن، و أسيد بن الأخنس على البحرين لكونه ابن عمّته، و عزل المأمونين من الصحابه على الدين، المختارين للولايه، المرضيين السيره.

و من أحداثه استخفافه بعليّ عليه السلام حين أنكر عليه تكذيب أبي ذرّ.

و منها عزل عبد الله بن الأرقم عن بيت المال لما أنكر عليه إطلاق الأموال لبني اميّه بغير حقّ.

و منها قوله لعبد الرحمن بن عوف: يا منافق! هو الذي اختاره و عقد له الأمر.

و منها منعه عائشه و حفصه ما كان أبو بكر و عمر يعطيانهما، و سبّه لعائشه، و قوله لها- و قد أنكرت عليه الأفاعيل القبيحه-: لئن لم تنتهي، لادخلنّ عليك الحجره سودان الرجال و بيضانها.

و منها أكله الصيد و هو محرم مستحلاً، و صلواته بمنى أربعا، و إنكاره متعه الحجّ.

و منها ضرب عبد الله بن حنبل- و كان بدرّيّا- مائه سوط، و حمّله على جمل يطاف به في المدينه، لإنكاره عليه الأحداث، و إظهاره عيوبه في الشعر، و حبسه بعد ذلك موثقاً بالحديد، فلم يزل عليّ عليه السّلام بعثمان يكلمه حتّى خلى سبيله على أن لا يساكنه بالمدينه، فسوّره إلى قلعه قموص من خيبر، فلم يزل بها حتّى ناهض المسلمون عثمان من كلّ بلد، فقال:

لو لا عليّ فإنّ الله أنقذني على يديه من الأغلال و الصفد

نفسى فداء عليّ إذ يخلصني من كافر بعد ما أغضى على الصمد

و منها تسيير حذيفه إلى المدائن حين أظهر ما سمعه من النّبىّ صلى الله عليه و آله و سلّم فيه و أنكرا أفعاله، فلم يزل يحرض على عثمان (يعرض بعثمان) حتّى قتل.

و منها نفى الأشر، و وجوه أهل الكوفه عنها إلى الشام حين أنكروا على سعيد بن العاص -عامله- أفعاله، و نفيهم من دمشق إلى حمص.

و منها معاهدته لعلي عليه السلام و وجوه الصحابه على الندم على ما فرط فيه (منه)، و العزم على ترك معاودته، و نقض ذلك، و الرجوع عنه مره بعد مره، و إصراره على ما ندم منه، و عاهد الله تعالى و أشهد القوم على تركه من الاستيثار بالفىء، و بطانه السوء، و تقليد الفسقه أمور المسلمين.

و منها كتابه إلى ابن أبي سرح بقتل رؤساء المصريين، و التنكيل بالأتباع، و تخليدهم الحبس لإنكارهم ما يأتيه ابن أبي سرح إليهم من الجور الذى اعترف به، و عاهد على تغييره.

و منها تعريضه نفسه، و من معه من الأهل و الأتباع للقتل، و لم يعزل ولاه السوء.

و منها استمراره على الولايه مع إقامته على المنكرات الموجه للفسخ، و تحريم التصرف فى أمر الامه. و ذلك تصرف قبيح لكونه غير مستحقّ عندهم مع ثبوت الفسق... (١).

و فى (أخبار طوال الدينورى): كان الأشعث بن قيس واليا على أذربيجان طول ولايه عثمان، و كانت ولايته ممّا عتب الناس فيه على عثمان، لأنه ولّاه عند مصاهرته إياه، و تزويج ابنه الأشعث من ابنه (٢).

و فى (الطبرى): أنّ أول من زاد النداء الثالث يوم الجمعة على الزوراء عثمان (٣).

ص: ١٧٢

١- ١) نقله عن تقريب المعارف، [١] العلامة المجلسى رضى الله عنه فى البحار ٨: ٣٣٥ ط الكمباني. [٢]

٢- ٢) أخبار الطوال: ١٥٦. [٣]

٣- ٣) تاريخ الطبرى ٤: ٤٠١، سنه ٣٥. [٤]

و في (الطبرى) أيضا-بعد ذكر كتاب عثمان إلى أهل مكّه مع ابن عبّاس لَمَّا ولّاه الموسم بعد حصره، و عدّه في كتابه ما طعنوا عليه و ما أجابهم، إلى أن ذكر-قالوا: كتاب الله يتلى. فقلت: فليت له من تلاه غير غال فيه بغير ما أنزل الله في الكتاب (١).

و هو دالّ على أنّه منع من تلاوه مقدار من كتاب الله بشبهه كونه من غير القرآن.

و في (أنساب البلاذرى) عن الزهرى: أنّ عثمان كان يأخذ من الخيل الزكاه، فأنكر ذلك من فعله، و قالوا: قال النّبىّ صلّى الله عليه و آله و سلّم: عفوت لكم عن صدقه الخيل و الرقيق.

و فيه أيضا كان عبد الله بن سعد بن أبى سرح أخا عثمان من الرضاعه و عامله على المغرب، فغزا إفريقيّه سنه سبع و عشرين فافتتحها، و كان معه مروان فابتاع خمس الغنيمه بمائه ألف دينار، فكلم عثمان فوهبها له، فأنكر الناس ذلك على عثمان.

و فيه أيضا: كان مما أنكر على عثمان أنّه ولى الحكم بن أبى العاص صدقات قضاعه، فبلغت ثلاثمائه ألف درهم، فوهبها له حين أتاه بها.

و قال الواقدى و أبو مخنف فى روايتهما: أنكر الناس على عثمان اعطاءه سعيد بن العاص مائه ألف درهم.

و فيه: قال أبو مخنف فى أسناده: أنكر الناس على عثمان-مع ما انكر- ان حمى الحمى، و أن أعطى زيد بن ثابت مائه ألف درهم، من ألف ألف درهم حملها أبو موسى الأشعري، و قال له: هذا حقك.

فقال أسلم بن أوس الساعدى و هو الذى منع من دفن عثمان فى البقيع:

ص: ١٧٣

دعوت اللعين فأذنيته خلافا لسنه من قد مضى

و أعطيت مروان خمس العباد ظلما لهم و حميت الحمى

و مال أتاك به الأشعري من الفىء أنهبته من ترى

و فيه:قال سعيد بن المسيب:أمر عثمان بذبح الحمام،وقال:إنَّ الحمام قد كثر فى بيوتكم حتى كثر الرمى و نالنا بعضه.فقال الناس:يأمرنا بذبح الحمام و قد آوى طرداء رسول الله صَلَّى الله عليه و آله و سلّم.

و فيه:قال ابن عمر:صليت بمنى مع النَّبِيِّ صَلَّى الله عليه و آله و سلّم ركعتين،و مع أبى بكر و عمر و مع عثمان صدرا من خلافته،ثم أتمها أربعا،فتكلّم الناس فى ذلك فأكثرُوا،و سئل أن يرجع عن ذلك،فلم يرجع.

و فيه:ان النَّبِيُّ صَلَّى الله عليه و آله و سلّم إذا خرج للصلاه أذن المؤذن ثم يقيم،و كذلك كان الأمر على عهد أبى بكر و عمر و فى صدر من أيام عثمان،ثم إنَّ عثمان نادى النداء الثالث فى السنه السابعه،فعاب الناس ذلك و قالوا:بدعه.

و فى (خلفاء ابن قتيبه)-بعد ذكر خطبه لأمير المؤمنين عليه السّلام فى التحريض على جهاد معاويه:-ثمّ قام أبو أيّوب الأنصارى فقال:إنَّ أمير المؤمنين-أكرمه الله-قد أسمع من كانت له أذن و اعيه،و قلب حفيظ.إنَّ الله قد أكرمكم به كرامه ما قبلتموها حقّ قبولها،حيث نزل بين أظهركم ابن عمّ الرسول،و خير المسلمين و أفضلهم و سيدهم بعده،يفقهكم فى الدين، و يدعوكم إلى جهاد المحلّين،فو الله لكأنّكم صمّ لا تسمعون-إلى أن قال:-

أ ليس إنّما عهدكم بالجور و العدوان أمس،و قد شمل العباد،و شاع فى الإسلام،فدو حقّ محروم،و مشتوم عرضه،و مضروب ظهره، و ملطوم وجهه،و موطوء بطنه،و ملقى بالعراء،فلمّا جاءكم أمير المؤمنين عليه السّلام صدع بالحقّ،و نشر العدل،و عمل بالكتاب؟فاشكروا نعمه الله

عليكم، و لا تتولّوا مجرمين (١).

و فيه: ذكروا أنّه اجتمع ناس من أصحاب النّبىّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ آله وَ سَلَّمَ، وَ كَتَبُوا كِتَابًا ذَكَرُوا فِيهِ مَا خَالَفَ عَثْمَانَ مِنْ سَنَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ آله وَ سَلَّمَ وَ سَنَةَ صَاحِبِيهِ، وَ مَا كَانَ مِنْ هَبْتِهِ خَمْسَ إِفْرِيْقِيَةِ لِمَرْوَانَ وَ فِيهِ حَقُّ اللهِ وَ رِسُولِهِ، وَ مِنْهُمْ ذُوو الْقُرْبَى وَ الْيَتَامَى وَ الْمَسَاكِينَ، وَ مَا كَانَ مِنْ تَطَاوُلِهِ فِي الْبِنْيَانِ حَتَّى عَدَّوْا سَبْعَ دُورٍ بَنَاهَا بِالْمَدِينَةِ: دَارًا لِنَائِلِهِ، وَ دَارًا لِعَائِشَةَ ابْنَتِهِ، وَ غَيْرَهُمَا مِنْ أَهْلِهِ وَ بَنَاتِهِ، وَ بِنَاءِ (بِنْيَانِ) مَرْوَانَ الْقُصُورِ بِنْدَى خَشْبٍ، وَ عِمَارِهِ الْأَمْوَالِ بِهَا مِنْ الْخَمْسِ الْوَاجِبِ لِلَّهِ وَ لِرِسُولِهِ، وَ مَا كَانَ مِنْ إِفْشَائِهِ الْعَمَلِ وَ الْوَلَايَاتِ فِي أَهْلِهِ وَ بَنِي عَمِّهِ مِنْ بَنِي أُمِّيَّةٍ، أَحْدَاثٍ وَ غَلْمَةٍ لَا صَحْبَهُ لَهُمْ مِنَ الرَّسُولِ، وَ لَا تَجْرِبَهُ لَهُمْ بِالْأُمُورِ، وَ مَا كَانَ مِنَ الْوَلِيدِ بْنِ عَقْبَةَ بِالْكَوْفَةِ إِذْ صَلَّى بِهِمُ الصَّبِيحَ - وَ هُوَ أَمِيرٌ عَلَيْهَا - سَكْرَانَ أَرْبَعَ رَكَعَاتٍ، ثُمَّ قَالَ لَهُمْ: إِنْ شِئْتُمْ أَنْ أَزِيدَكُمْ رَكَعَهُ (صَلَاةً) زِدْتُمْ، وَ تَعْطِيلَهُ إِقَامَةَ الْحَدِّ عَلَيْهِ، وَ تَأْخِيرَهُ ذَلِكَ عَنْهُ، وَ تَرْكَهُ الْمُهَاجِرِينَ وَ الْأَنْصَارَ لَا يَسْتَعْمَلُهُمْ عَلَى شَيْءٍ وَ لَا يَسْتَشِيرُهُمْ، وَ اسْتَغْنَى بِرَأْيِهِ عَنْ رَأْيِهِمْ، وَ مَا كَانَ مِنَ الْحَمَى الَّذِي حَمَى حَوْلَ الْمَدِينَةِ، وَ مَا كَانَ مِنْ إِدْرَارِهِ الْقَطَائِعِ وَ الْأَرْزَاقِ وَ الْأَعْطِيَاتِ عَلَى أَقْوَامِ بِالْمَدِينَةِ لَيْسَتْ لَهُمْ صَحْبَهُ مِنَ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ آله وَ سَلَّمَ، ثُمَّ لَا - يَغْزُونَ بُولَا - يَذْبُونَ، وَ مَا كَانَ مِنْ مَجَاوَزَتِهِ الْخِيزْرَانَ إِلَى السُّوْطِ، وَ إِنَّهُ أَوَّلُ مَنْ ضَرَبَ بِالسِّيَاطِ ظُهُورَ النَّاسِ، وَ إِنَّمَا كَانَ ضَرَبَ الْخَلِيفَتَيْنِ قَبْلَهُ بِالدَّرَّةِ وَ الْخِيزْرَانَ.

ثُمَّ تَعَاهَدَ الْقَوْمَ لِيُدْفَعَنَّ الْكِتَابَ فِي يَدِ عَثْمَانَ، وَ كَانَ مِمَّنْ حَضَرَ الْكِتَابَ عَمَّارٌ وَ الْمُقَدَّادُ، وَ كَانُوا عَشْرَةَ، فَلَمَّا خَرَجُوا بِالْكِتَابِ لِيُدْفَعُوهُ إِلَى عَثْمَانَ وَ الْكِتَابَ فِي يَدِ عَمَّارٍ جَعَلُوا يَتَسَلَّلُونَ عَنْ عَمَّارٍ، حَتَّى بَقِيَ وَحْدَهُ، فَمَضَى حَتَّى جَاءَ دَارَ عَثْمَانَ، فَاسْتَأْذَنَ عَلَيْهِ، فَأَذِنَ لَهُ، فَدَخَلَ عَلَيْهِ وَ عِنْدَهُ مَرْوَانٌ وَ أَهْلُهُ مِنْ

ص: ١٧٥

بنى اميه، فدفع إليه الكتاب فقرأه، فقال: أنت كتبت هذا الكتاب؟ قال: نعم. قال:

و من كان معك؟ قال: معى نفر تفرّقوا فرقا منك. قال: و من هم؟ قال: لا- أخبرك بهم. قال: فلم اجترأت على من بينهم؟ فقال مروان: إنّ هذا العبد الأسود- يعنى عمّاراً- قد جرّأ عليك الناس، و إنّك إن قتلته نكلت به من وراءه. قال عثمان:

اضربوه، فضربوه و ضربه عثمان معهم حتّى فتقوا بطنه، فغشى عليه، فجزّوه حتّى طرحوه على باب الدار، فأمرت به أم سلمه زوج النّبىّ صلّى الله عليه و آله و سلّم، فأدخل منزلها، ثمّ خرج عثمان إلى المسجد، فإذا هو بعلىّ عليه السّلام و هو شاك معصوب الرأس، فقال عثمان: و الله يا أبا الحسن، ما أدرى أشتهى موتك أم حياتك؟ فو الله لئن متّ ما أحبّ أن أبقى بعدك، لأنّى لا أجد منك خلفاً، و لئن بقيت لا أعدم طاغياً يتخذك سلماً و عضداً، و يعدّك كهفاً و ملجأً، لا يمنعنى منه إلا مكانه منك، و مكانك منه- إلى أن قال:- فقال علىّ عليه السّلام: إنّ فى ما تكلمت به جواباً، و لكنّى عن جوابك مشغول بوجعى، و أنا أقول كما قال العبد الصالح:

«فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَ اللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَى مَا تَصِفُونَ» (١).

و فى (حليه أبى نعيم): فى حذيفه، قال النزال بن سبره: كنّا مع حذيفه فى البيت فقال له عثمان: يا أبا عبد الله، ما هذا الذى يبلغنى عنك؟ قال: ما قلته. فقال له عثمان: أنت أصدقهم و أبرهم. فلمّا خرج قلت لحذيفه: أ لم تقل ما قلت؟ قال:

بلى، و لكن أشتري دينى بعضه ببعض مخافه أن يذهب كلّ (٢).

و فى (تاريخ يعقوبى): نقم الناس على عثمان بعد ولايته بستّ سنين، و تكلم فيه من تكلم، و قالوا: آثر القرباء، و حمى الحمى، و بنى الدار، و اتّخذ

ص: ١٧٦

١- ١) الإمامه و السياسه لابن قتيبه ٣٢: ١- ٣٣، و نقله الشارح بتصرّف و تلخيص، و الآيه ١٨ من سوره يوسف. [١]
٢- ٢) حليه الأولياء لأبى نعيم ٢٧٩: ١، العقد الفريد لابن عبد ربه ٢٩٦: ٧، و [٢] قال ابن عبد ربّه فى العقد بعد ذكره: أخذّه الشاعر فقال: نرّق دنيانا بتمزيق دينا فلا دينا يبقى و لا ما نرّق

الضياع و الأموال بمال الله و المسلمين، و نفى أبا ذرّ صاحب الرسول، و عبد الرحمن بن حنبل، و آوى الحكم بن أبى العاص، و ولى الوليد بن عقبه الكوفه، فأحدث فى الصلاه ما أحدث، فلم يمنع ذلك من إعادته إياه، و أجاز الرجم، و ذلك أنه كان رجم امرأه من جهينه دخلت على زوجها، فولدت لستّه أشهر، فأمر عثمان برجمها، فلمّا اخرجت دخل عليه على بن أبى طالب عليه السلام فقال: إن الله تعالى يقول: «وَ حَمَلُهُ وَ فِصَالُهُ ثَلَاثُونَ شَهْرًا» (١). و قال فى رضاعه:

«حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ» (٢). فأرسل عثمان فى أثر المرأة، فوجدت قد رجمت فماتت، فاعترف الرجل بالولد (٣).

و كتب فى جمع المصاحف من الآفاق حتى جمعها، ثم سلقها بالماء الحارّ و الخلّ. و قيل: أحرقتها، فلم يبق مصحف إلاّ فعل به ذلك خلا مصحف ابن مسعود. و كان ابن مسعود بالكوفه، فامتنع أن يدفع مصحفه إلى عبد الله بن عامر، فكتب إليه عثمان: أن أشخصه. فدخل المسجد و عثمان يخطب، فقال عثمان: إنّه قد قدمت عليكم دابّه سوء. فتكلّم ابن مسعود بكلام غليظ فأمر به عثمان، فجزّ برجله حتى كسر له ضلعان، فتكلّمت عائشه، و قالت قولاً كثيراً.

فأقام ابن مسعود مغاضباً لعثمان حتى توفى، و صلّى عليه عمّار، و كان عثمان غائباً فستر أمره. فلمّا انصرف رأى القبر، فقال: قبر من هذا؟ قيل:

قبر عبد الله بن مسعود. قال: فكيف دفن قبل أن أعلم؟ فقالوا: ولى أمره عمّار، و ذكر أنّه أوصى ألاّ يخبر به، و لم يلبث إلاّ يسيراً حتى مات المقداد، فصلّى عليه عمّار، و كان أوصى إليه، و لم يؤذن به عثمان، فاشتدّ غضب عثمان على

ص: ١٧٧

١-١ (١) الأحقاف: ١٥. [١]

٢-٢ (٢) البقره: ٢٣٣. [٢]

٣-٣ (٣) تاريخ يعقوبى ١٧٣: ٢-١٧٤، و [٣] نقله الشارح بتصرّف.

عمّار، و قال: ويلى على ابن السوداء! أما لقد كنت به عليما (١).

و فى ابن أبى الحديد فى موضع آخر: قرئ كتاب (الاستيعاب) على شيخنا عبد الوهّاب بن سكينه المحدّث و أنا حاضر، فلما انتهى القارئ إلى خبر حضور حجر و الأشر فى تجهيز أبى ذرّ، قال استاذى عمر بن عبد الله الدبّاس:

لتقل الشيعة بعد هذا ما شاءت، فما قال المرتضى و المفيد إلّا بعض ما كان حجر و الأشر يعتقدانه فى عثمان و من تقدّمه، فأشار الشيخ إليه بالسكوت (٢).

و فى (الأغانى) فى أبى ذؤيب و خروجه فى غزوه إفريقيه: و كان مروان قد صفق (٣) على الخمس بخمسائه ألف، فوضعها عنه عثمان، فكان ذلك ممّا تكلم فيه بسببه. فقال عبد الرحمن بن حنبل بن مليلب - و هو أخو صفوان بن أمّيه - لعثمان:

دعوت الطريد (٤) فأدنيته خلافا لسنته من قد مضى

و أعطيت مروان خمس العباد ظلما لهم و حميت الحمى

و مالا أتاك به الأشعري من الفىء أعطيته من دنا

قال: المراد بالمال الذى أتى به الأشعري، المال الذى قدم به أبو موسى الأشعري من العراق على عثمان، فأعطى عبد الله بن أسيد بن أبى العاص (العيص) منه مائه ألف درهم، و قيل: ثلثمائة ألف درهم، فأنكر الناس ذلك (٥).

ص: ١٧٨

١- (١) تاريخ يعقوبى ١٧٠: ٢-١٧١، و [١] نقله الشارح بتصرّف.

٢- (٢) شرح ابن أبى الحديد ١٠١-١٠٥. [٢]

٣- (٣) يقال: صفقت له بالبيع و البيعه صفقا، أى: ضربت يدي على يده. (الصحاح ١٥٠٧: ٤، [٣] مادته: صفق).

٤- (٤) هو الحكم بن أبى العاص بن أمّيه أبو مروان بن الحكم و عمّ عثمان بن عفّان. و هو طريد رسول الله صلّى الله عليه و آله و سلّم نفاه من المدينة إلى الطائف، و لم يزل بها إلى أن ولى عثمان فردّه إلى المدينة و أعطاه مائه ألف درهم. انظر الطبقات

الكبرى ٤٤٧: ٥، [٤] الاستيعاب ٣١٧: ١-٣١٩، [٥] أسد الغابه ٣٣: ٢-٣٥، [٦] الإصابه ٣٤٥: ١-٣٤٦. [٧]

٥- (٥) الأغانى ٢٦٨: ٦-٢٦٩. [٨]

و أما ايجاد عثمان للناس مقالا، و قولهم فيه، و نغمهم عليه، و تغييرهم أمره، ففي (الطبرى) فى جهاد هاشم المرقال يوم صفين مع جمع من القراء:

فإنهم لكذلك إذ خرج عليهم فتى شاب و هو يقول:

أنا ابن أرباب الملوك عثمان و الدائن اليوم بدين عثمان

إنى أتانى خبر فأشجان أن علينا قتل ابن عفان

ثم يشد فلا ينشى حتى يضرب بسيفه، ثم يشتم و يلعن و يكثر الكلام، فقال له هاشم: يا عبد الله، إن هذا الكلام بعده الخصام، وإن هذا القتال بعده الحساب، فاتق الله فإنك راجع إلى الله فسائلك عن هذا الموقف و ما أردت به.

قال: فإننى أقاتلكم لأن صاحبكم لا يصلى كما ذكر لى، و أنتم لا تصلون أيضا، و أقاتلكم لأن صاحبكم قتل خليفتنا، و أنتم أردتموه على قتله. فقال له هاشم: و ما أنت و ابن عفان! إنما قتله أصحاب محمد صلى الله عليه و آله و سلم و أبناء أصحابه و قراء الناس، حين أحدث الأحداث، و خالف حكم الكتاب، و هم أهل الدين، و أولى بالنظر فى امور الناس منك و من أصحابك- إلى أن قال:- و أميا قولك: إن صاحبنا لا يصلى، فهو أول من صلى، و أفقه خلق الله فى دين الله، و أولى بالرسول. و أما كل من ترى معى فكلهم قارئ لكتاب الله لا ينام الليل تهجدا... (1).

و فى (الطبرى) أيضا: كان ابتداء الجراه على عثمان أن إبلا من إبل الصدقه قدمت على عثمان، فوهبها لبعض ولد الحكم بن أبى العاص، فبلغ ذلك عبد الرحمن بن عوف، فأخذها (فأخذها) و قسمها بين الناس و عثمان فى داره، فكان ذلك أول وهن دخل عليه.

و قيل: بل كان أول وهن دخل عليه أن عثمان مرّ بجبله بن عمرو

ص: ١٧٩

(١- ١) تاريخ الطبرى ٤٣:٥-٤٤، سنة ٣٧، و [١] نقله الشارح بتصريف.

الساعدي، و هو في نادى قومه و في يده جامعه (١)، فسلم عثمان، فردّ القوم عليه، فقال لهم جيله: لم تردّون على رجل فعل كذا و فعل كذا! ثم قال لعثمان:

و الله لأطرحن هذه الجامعه في عنقك أو لتتركن بطانتك هذه الخبيثه، مروان، و ابن عامر، و ابن أبي سرح، منهم من نزل القرآن بدمه، و منهم من أباح النبيّ صلى الله عليه و آله و سلم دمه.

و قيل: إنّه خطب يوماً، و بيده عصا كان النبيّ صلى الله عليه و آله و سلم و أبو بكر و عمر يخطبون عليها، فأخذها جهجاه الغفاري من يده، و كسرهما على ركبته، فلمّا تكاثرت أحداثه كتب جمع من أهل المدينه من الصحابه و غيرهم إلى من بالآفاق: إنكم إن كنتم تريدون الجهاد فهلمّوا إلينا، فإنّ دين محمّد صلى الله عليه و آله و سلم قد أفسده خليفتمكم (٢).

و في (العقد): قال ابن دأب: لمّا أنكر الناس على عثمان ما أنكروا، من تأمير الأحداث من أهل بيته بنى اميّه على الجله الأكبر من أصحاب محمّد صلى الله عليه و آله و سلم، قالوا لعبد الرحمن بن عوف: هذا عملك و اختيارك لأمّه محمّد صلى الله عليه و آله و سلم؟ قال: لم أظنّ هذا به! (٣).

و فيه: قال أبو سعيد الخدري: إنّ ناسا كانوا عند فسطاط عائشه و أنا معهم بمكّه، فمرّ بنا عثمان، فما بقى أحد من القوم إلا لعنه غيري، و كان فيهم رجل من أهل الكوفه، كان عثمان أجراً عليه منه على غيره، فقال له: يا كوفيّ، أ تشتمني؟ فلمّا قدم المدينه كان يتهدّده، فقيل له: عليك بطلحه. فانطلق معه حتّى دخل على عثمان، فقال عثمان: و الله لأجلدنه مائه سوط. قال طلحه: و الله

ص: ١٨٠

١- ١) الجامعه: الغلّ، لأنّها تجمع اليدين إلى العنق. (الصحاح ١١٩٩: ٣، [١] ماده: جمع).

٢- ٢) تاريخ الطبري ٣٦٥-٤: ٣٦٧، سنة ٣٥، و [٢] نقله الشارح بتصريف و تلخيص.

٣- ٣) العقد الفريد ٥٥: ٥٥. [٣]

لا تجلدنه مائه سوط إلا أن يكون زانيا. قال: و الله لأحرمته عطاءه. قال: الله يرزقه (١).

و في (العقد): نظر ثابت بن عبد الله بن الزبير إلى أهل الشام فقال: إني لأبغض هذه الوجوه. فقال له سعيد بن عمرو بن عثمان: تبغضهم لأنهم قتلوا أباك! قال: صدقت، ولكن المهاجرين والأنصار قتلوا أباك (٢).

و في (خلفاء ابن قتيبة) في حصار عثمان: فقام الأشر و قال لطلحه:

تبعثون إلينا و جاءنا رسولكم بكتابكم، و ها هو ذا، و أخرج كتابا فيه: بسم الله الرحمن الرحيم، من المهاجرين الأولين و بقيته الشورى، إلى من بمصر من الصحابه و التابعين، أما بعد، أن تعالوا إلينا، و تداركوا خلافه رسول الله قبل أن يسلبها أهلها، فإن كتاب الله قد بدّل، و سنّه رسوله قد غيّرت، و أحكام الخليفين قد بدّلت، فننشد الله من قرأ كتابنا من بقيته أصحاب الرسول و التابعين بإحسان، إلا- أقبل إلينا، و أخذ الحقّ لنا، و أعطانا، فأقبلوا إلينا إن كنتم تؤمنون بالله و اليوم الآخر، و أقيموا الحقّ على المنهاج الواضح، الذي فارقتم عليه نبيكم صلّى الله عليه و آله و سلّم، و فارقتكم عليه الخلفاء. غلبنا على حقنا، و استولى على فيثنا، و حيل بيننا و بين أمرنا، و كانت الخلافة بعد نبينا خلافة نبوه و رحمه، و هي اليوم ملكا عضوضا، من غلب على شيء أكله. فبكي طلحه، فقال الأشر: لمّا حضرنا أقبلتم تعصرون أعينكم، و الله لا- نفارقه حتى نقتله- إلى أن قال:- و ذكروا أن أهل مصر جاءوا يشكون عاملهم ابن أبي سرح، فكتب إليه عثمان يتهدّده، فأبى ابن أبي سرح أن يقبل ما نهاه عنه عثمان، و ضرب بعض من أتاه به من قبل عثمان من أهل مصر حتى قتله، فخرج من أهل مصر سبعمائه رجل،

ص: ١٨١

١- (١) العقد الفريد ٥: ٥٦. [١]

٢- (٢) العقد الفريد ٤: ١١٠. [٢]

فنزّلوا في المسجد، وشكوا إلى أصحاب النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ في مواقيت الصلاة ما صنع بهم ابن أبي سرح، فقام طلحه و تكلم بكلام شديد، و أرسلت عائشه إلى عثمان فقالت له: قد تقدّم إليك أصحاب النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، و سألوك عزل هذا الرجل، فأبيت إلا واحده، فهذا قد قتل منهم رجلا، فأنصفهم من عاملك. و دخل عليه عليّ عليه السّلام، و كان متكلّم القوم، فقال له: إنّما يسألونك رجلا- مكان رجل، و قد ادّعوا قبله دما، فاعزله عنهم و اقض بينهم، فإنّ وجب لهم عليه حقّ، فأنصفهم منه. فقال: اختاروا رجلا أوّليه عليهم. فقالوا: استعمل محمّد بن أبي بكر. فكتب عهده، و ولاه، فخرج و خرج معه عدد من المهاجرين و الأنصار، ينظرون في ما بين أهل مصر و ابن أبي سرح، حتّى إذا كانوا على مسيره ثلاث ليال من المدينة، فإذا هم بغلام أسود على بعير يخبط البعير، كأنّه رجل يطلب أو يطلب، فقال له أصحاب محمّد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: ما قصّيتك و ما شأنك؟ كأنك طالب أو هارب، فقال: إنّني غلام عثمان و جهني إلى عامل مصر. فقال له رجل: هذا عامل مصر معنا، قال: ليس هذا اريد. فاخبر محمّد بن أبي بكر بأمره، فبعث في طلبه، فجيء به إليه، فقال له: غلام من أنت؟ فأقبل مرّه يقول: غلام مروان، و مرّه يقول: غلام عثمان، حتّى عرفه رجل أنّه لعثمان، فقال له محمّد: إلى من أرسلك؟ قال: إلى عامل مصر. قال: بماذا؟ أما معك كتاب؟ قال: لا- ففتشوه، فلم يجدوا معه كتابا، و كانت معه إداوه قد يبست، فيها شيء يتقلقل، فحرّكوه ليخرج فلم يخرج، فشقّوا إداوته، فإذا فيها كتاب من عثمان إلى ابن أبي سرح، فجمع محمّد بن أبي بكر من كان معه من المهاجرين و الأنصار، و فكّ الكتاب بمحضر منهم، فقرأه، فإذا فيه: إذا أتاك محمّد بن أبي بكر و فلان و فلان و فلان فاقتلهم، و أبطل كتابهم، و قرّ على عملك حتّى يأتيك رأيي.

فلما رأوا الكتاب فزعوا منه، و رجعوا إلى المدينة، و ختم محمّد بن أبي

بكر الكتاب بخواتم نفر الذين كانوا معه، و دفعه إلى رجل منهم، ثم قدموا المدينة، فجمعوا طلحه و الزبير و عليا و سعدا، و من كان من أصحاب النبي صلى الله عليه و آله و سلم، ثم فكوا الكتاب بمحضر منهم، و أخبرهم بقصه الغلام، و أقرأهم الكتاب، فلم يبق أحد من المدينة إلا حنق (١) على عثمان. و قام أصحاب النبي صلى الله عليه و آله و سلم فلحقوا بمنزلهم، و حصر الناس عثمان و أحاطوا به (٢).

ثم من المضحك أن ابن أبي الحديد نقل كلام المرتضى في رد قاضى القضاء في دفاعه عن مطاعن عثمان، و قال ابن أبي الحديد نفسه: الجواب عن هذه المطاعن على وجهين: إجمالاً و تفصيلاً: أما الإجمالى، فإننا لا ننكر أن عثمان أحدث أحداثاً أنكرها كثير من المسلمين، و لكننا ندعى مع ذلك أنها لم تبلغ درجه الفسق، و لا أحببت ثوابه، و أنها من الصغائر التى وقعت مكفّره، و ذلك لأننا قد علمنا أنه مغفور له، و أنه من أهل الجنه لثلاثه أوجه:

أحدها: أنه من أهل بدر، و قد قال النبي صلى الله عليه و آله و سلم: إن الله أطلع على أهل بدر، فقال: اعملوا ما شئتم، فقد غفرت لكم إلا يقال: عثمان لم يشهد بدر، لأننا نقول:

صدقتم، لكنّه تخلف على رقيه ابنه النبي لمرضها، و ضرب له النبي بسهمه و أجره باتفاق سائر الناس.

و ثانيها: أنه من أهل بيعه الرضوان الذين قال تعالى فيهم: «لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ» (٣). لا يقال: إنه لم يشهد بيعه الشجره لأننا نقول: صدقتم، لكن النبي كان أرسله إلى أهل مكه، و لأجله كانت بيعه الرضوان، حيث أرجف (٤) بأن قريشا قتلت عثمان، فقال النبي صلى الله عليه و آله و سلم: «إن

ص: ١٨٣

١-١) حنق عليه: اغتاظ، و الحنق: الغيظ. (الصحاح ١٤٦٥: ٤، [١] مادة: حنق).

٢-٢) الإمامه و السياسه لابن قتيبه ٣٥: ١-٣٧، و [٢] نقله الشارح بتصريف و تلخيص.

٣-٣) الفتح: ١٨. [٣]

٤-٤) أرجف القوم إذا خاضوا فى الأخبار السيئه و ذكر الفتن، قال الله تعالى: «وَ الْمُزْجِفُونَ فى الْمَدِينَةِ» (الأحزاب: ٦٠). و [٤] هم الذين يولدون الأخبار الكاذبه التى يكون معها اضطراب فى الناس. (لسان العرب ١٥٣: ٥، [٥] مادة: رجف).

كانوا قتلوه، لأضرمتها عليهم ناراً»، ثم جلس تحت الشجرة، و بايع الناس على الموت، ثم قال: «إن كان عثمان حيًّا فأنا ابايع عنه»، فصّح بشماله على يمينه، و قال: «شمالى خير من يمين عثمان». روى ذلك جميع أرباب السيره متّفقا عليه.

و ثالثها: أنّه من جملة العشره الذين تظاهرت الأخبار بأنّهم من أهل الجنّه.

و إذا كانت هذه الوجوه الثلاثه دالّه على أنّه مغفور له، و أنّ الله قد رضى عنه، و هو من أهل الجنّه، بطل أن يكون فاسقا، فاقتضت بأن يحكم أنّ كلّ ما وقع منه فهو من باب الصغائر المكفّره (١).

قلت: بقاء عداله عثمان مع تلك الأعمال كبقاء طهاره مرأه قد كانت تأتيها الرجال، فكانت إذا قامت من تحت رجل بالدلال، و ثبت إلى الصلاه بلا إمهال، فقال لها رجل: إننى أتعجب من استحكام وضوئك، أى وضوء هو! لا تستطيع تلك الجنابات المتواتره أن تؤثر فيه؟! و ليت ابن أبى الحديد كان حاضرا يوم الشورى حتّى يجيب المقداد عن طعنه فى عثمان، فقال المقداد ذلك اليوم من وراء الباب لَمّا لم يدخلوه: يا معشر المسلمين، إن وليتموها أحدا، فلا تولّوها من لم يحضر بدرا، و انهزم يوم أحد، و لم يحضر بيعه الرضوان، و ولى الدبر يوم التقى الجمعان (٢).

و عثمان نفسه لم يدر أن يجيب المقداد بجواب ابن أبى الحديد المنطقى ذاك الذى بالشكل الأوّل الذى بديهى الإنتاج، بل أجابه بالتهديد، فقال: «أما و الله

ص: ١٨٤

١-١) شرح ابن أبى الحديد ٦٨:٣-٦٩. [١]

٢-٢) إشاره إلى الآيه ١٥٥ من سوره آل عمران. [٢]

لئن وليتها لأرددّتك إلى ربك الأول» (١).

و الأصل في ترتيب وجوهه معاوية بن أبي سفيان، فإذا كان معاوية هو الحاكم يوم الجزاء يثنى على ابن أبي الحديد أحسن الثناء!

٥

الخطبة (٣٠)

و من كلام له عليه السلام في معنى قتل عثمان:

لَوْ أَمَرْتُ بِهِ لَكُنْتُ قَاتِلًا - أَوْ نَهَيْتُ عَنْهُ لَكُنْتُ نَاصِرًا - غَيْرَ أَنَّ مَنْ نَصَرَهُ لَا يَشِيءُ تَطِيعُ أَنْ يَقُولَ خَذَلَهُ مَنْ أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ - وَ مَنْ خَذَلَهُ لَا يَشِيءُ تَطِيعُ أَنْ يَقُولَ نَصَرَهُ مَنْ هُوَ خَيْرٌ مِنِّي - وَ أَنَا جَامِعٌ لَكُمْ أَمْرُهُ اسْتَأْثَرَ فَأَسَاءَ الْأَثَرَةَ - وَ جَزَعْتُمْ فَأَسَأْتُمْ الْجَزَعَ - وَ لِلَّهِ حُكْمٌ وَاقِعٌ فِي الْمَشِيءِ تَأْثِرٌ وَ الْجَزَاعِ أَقُولُ: رواه (رسائل الكليني - الرسائل - الكليني) جزء كتاب كتبه عليه السلام ليقرا على الناس لما سأله عن أبي بكر، و عمر، و عثمان بعد فتح معاوية لمصر، و قتل محمد بن أبي بكر، رواه مع زيادات، و هذا نصه: و أما أمر عثمان، فكأنه علم من القرون الأولى «عَلِمُهَا عِنْدَ رَبِّي فِي كِتَابٍ لَا يَضِلُّ رَبِّي وَ لَا يَنْسَى» (٢). خذله أهل بدر، و قتله أهل مصر. و الله ما أمرت و لا نهيت و لو أنني أمرت كنت قاتلا، و لو أنني نهيت كنت ناصرا، و كان الأمر لا ينفع فيه العيان و لا يشفى منه الخبر، غير أن من نصره لا يستطيع أن يقول: خذله من أنا خير منه، و لا - يستطيع من خذله أن يقول: نصره من هو خير مني، و أنا جامع أمره: استأثر فأساء الأثره، و جزعتم

ص: ١٨٥

[١ - ١] (١) أمالي المفيد: ١١٤-١١٥، الجمل: ١٢٢. [١]

[٢ - ٢] (٢) طه: ٥٢. [٢]

فأسأتم الجزع، والله يحكم بينكم وبينه، والله ما يلزمني في دم عثمان تهمه (١).

و رواه (مسترشد ابن رستم الطبري-المسترشد-ص ١٠٠، المطبعة الحيدرية، النجف ابن رستم الطبري) أخصر منه (٢).

قول المصنّف: «و من كلام له عليه السّلام في معنى قتل عثمان».

أقول: و له عليه السّلام كلام آخر في معنى قتله، رواه ابن قتيبه في (عيونه) عن القاسم بن الحسن، عن خالد بن خدّاش، عن حمّاد، عن مجالد، عن عمير بن روذي قال: خطبنا علىّ عليه السّلام فقال: «لئن لم يدخل الجنّة إلاّ من قتل عثمان لا أدخلها، و لئن لم يدخل النار إلاّ من قتل عثمان لا أدخلها»، فقيل له: ما صنعت فرّقت الناس! فخطبهم فقال: إنكم أكثرتم في قتل عثمان، ألا و إنّ الله قتله و أنا معه (٣).

و قال ابن قتيبه: حدّثنا خالد، عن حمّاد، عن حبيب بن الشهيد عن محمّد بن سيرين قال: كلمه عربيّه، و لها وجهان، أي: و سيقتلني معه (٤).

و رواه ابن عبد البر في (استيعابه) إلى «و لئن لم يدخل النار إلاّ من قتل عثمان لا أدخلها» (٥).

و روى كاتب الواقدي كما في (الشافى) عن عبيده السلماني، قال:

سمعت عليّا عليه السّلام يقول: من كان سائلي عن دم عثمان، فإنّ الله قتله و أنا معه (٦).

و أمّا ما نقله ابن قتيبه (٧) عن ابن سيرين أنّه قال: معناه «و سيقتلني

ص: ١٨٤

١- ١) لا وجود لرسائل الاثمه للكليني، و انما نقله قدس سرّه من مصادر أخرى.

٢- ٢) مسترشد ابن رستم الطبري: ١٠٠، المطبعة الحيدرية، النجف.

٣- ٣) عيون الأخبار ٢٠٦: ٢٠٧، [١] العقد الفريد ٥٢: ٥٢. [٢]

٤- ٤) عيون الأخبار ٢٠٧: ٢٠٧. [٣]

٥- ٥) لم أجده في الاستيعاب.

٦- ٦) الشافى في الإمامه.

٧- ٧) عيون الأخبار ٢٠٧: ٢٠٧. [٤]

معه»، إن أراد بقوله: معناه هذا، أنه تعالى يتوفاه لقوله تعالى: «اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنْفُسَ حِينَ مَوْتِهَا» (١) فلا اختصاص به عليه السلام، و لم يصر جواباً، و لم ينطبق عليه العرييه، و إن أراد غيره فليبينه.

و ممّا يوضّح أنّه عليه السّلام أراد ظاهره ما قاله كاتب الواقدي كما في (الشافى): روى شعبه عن أبي حمزه الضبعى قلت لابن عبيّاس: إنّ أبى أخبرنى أنّه سمع عليّاً عليه السّلام يقول: «ألا- من كان سائلي عن دم عثمان، فإنّ الله قتله و أنا معه». قال: صدق أبو ك. هل تدري ما يعنى بقوله؟ إنّما عنى أنّ الله قتله، و أنا مع الله (٢).

و ما رواه نصر بن مزاحم في (صفيينه): أنّ عمرو بن العاص قال لعمّار:

ما ترى في قتل عثمان؟ قال: فتح لكم باب كلّ سوء. قال عمرو: فعلى قتله؟ قال عمّار: بل الله ربّ عليّ قتله و عليّ معه. قال عمرو: أ كنت فيمن قتله؟ قال: كنت مع من قتله و أنا اليوم أقاتل معهم. قال عمرو: فلم قتلتموه؟ قال عمّار: أراد أن يغيّر ديننا فقتلناه. فقال عمرو: ألا تسمعون؟ قد اعترف بقتل عثمان. قال عمّار:

و قد قال فرعون قبلك لقومه: «أ لا تشتمعون» (٣).

قوله عليه السّلام: «لو أمرت به لكنت قاتلاً، أو نهيت عنه لكنت ناصراً» في (صفيين نصر): خرج جرير البجليّ - أيام كونه بالشام لما بعثه عليّ عليه السلام إلى معاوية لأخذ البيعه - يتجسس الأخبار، فإذا هو بسلام (يتغنى) على قعود له، و هو يقول:

حكيم و عمّار الشجا و محمّد و أشتر و المكشوح جزوا الدواھيا (٤)

ص: ١٨٧

١- (١) الزمر: ٤٢. [١]

٢- (٢) الشافى في الإمامه ٣٠٨: ٤.

٣- (٣) وقعه صفيين: ٣٣٨-٣٣٩، [٢] شرح ابن أبي الحديد ٨: ٢٢، و الآيه ٢٥ [٣] من سورة الشعراء.

٤- (٤) حكيم بن جبله بن حصن العبدى كان من عمّال عثمان على السند ثمّ البصره، و قتل بها يوم الجمل. اسد الغابه ٣٩: ٢-٤٠. و [٤] عمّار هو عمّار بن ياسر الصحابى، و محمّد هو ابن أبى بكر، و الأشر لقب مالك بن الحارث، و المكشوح هو المرادى. قال الزبيدى في تاج العروس ٧٦: ٧: [٥] سمى المكشوح المرادى حلفاء، و نسبه في بجيله ثمّ في بنى أحمس، و اسمه هبيرة بن هلال، و يقال: عبد يغوث بن هبيرة بن الحارث. و فى الروض الأنف: و [٦] إنّما سمى مكشوحاً لأنّه ضرب بسيف على كشحه.

و قد كان فيها للزبير عجاجه و صاحبه الأذنى أشاب النواصيا

فأما عليّ فاستغاث بيته فلا أمر فيها و لم يك ناهيا

فقال له جرير: يا بن أخي، من أنت؟ قال: أنا غلام من قریش، و أصلی من ثقیف، أنا ابن المغیره بن الأحنس، قتل أبی مع عثمان يوم الدار. فعجب جرير من قوله، و كتب بشعره إلى عليّ عليه السلام، فقال عليّ عليه السلام: و الله ما أخطأ الغلام شيئاً (١).

و في (العقد الفريد): قال حسّان بن ثابت لعلی: إنك تقول: ما قتلت عثمان و لكن خذلته، و لم آمر به و لكن لم أنه عنه. فالخاذل شريك القاتل، و الساكت شريك القاتل.

و أخذ معنى كلام حسّان، كعب بن جعيل التغلبي - و كان مع معاوية في صفين - فقال:

و ما في عليّ لمستحدث مقام سوى عصمه المحدثينا

و إثاره لأهالي الذنوب و رفع القصاص عن القاتلينا

إذا سيل عنه زوى وجهه و عمى الجواب علي السائلينا (٢)

فليس براض و لا ساخط و لا في النهاء و لا الآمرينا

و لا هو ساء و لا سرّه و لا بدّ من بعض ذا أن يكونا (٣).

ص: ١٨٨

١- ١) وقعه صفين: ٥٤-٥٥، [١] شرح ابن أبي الحديد ٨٦: ٣-٨٧. [٢]

٢- ٢) روى وجهه: صرفه و نّحاه. (لسان العرب ١١٩: ٦، مادة: زوى).

٣- ٣) العقد الفريد ٤٧: ٥ و [٣] البيت الآخر فيه هكذا: و لا هو ساه و لا سرّه و لا آمن بعض ذا أن يكونا

و في (خلفاء ابن قتيبه) لما اخبر عمرو بن العاص و هو بفلسطين، أنّ عثمان قد قتل، و أنّ الناس بايعوا عليًا عليه السّلام قال: فما فعل عليّ في قتله عثمان؟ قيل له: دخل عليه الوليد بن عقبه، فسأله عن قتله، فقال: ما أمرت و لا نهيت، و لا سرّني و لا ساءني. قال: فما فعل بقتلته؟ فقيل له: آواهم. فقال عمرو: خلط و الله أبو الحسن.

ثمّ كتب عمرو إلى سعد بن أبي وقاص يسأله عن قتل عثمان، و من قتله؟ فكتب إليه سعد: أنّك سألتني عن قتل عثمان، و إنّي اخبرك أنّه قتل بسيف سلّته عائشه، و صقله طلحه، و سمّه ابن أبي طالب! و سكت الزبير بلسانه و أشار بيده، و أمسكنا نحن، و لو شئنا دفعنا عنه (١).

و في (العقد): قال العتبي: قال رجل من بني ليث: لقيت سعدا، فقلت له: من قتل عثمان؟ قال: سيف سلّته عائشه، و شحذه طلحه، و سمّه عليّ! (٢).

و في (خلفاء ابن قتيبه): قال أبو ثور: كنت فيمن حاصر عثمان، فكنت آخذ سلاحي و أضعه، و عليّ عليه السّلام ينظر إليّ لا يأمرني و لا ينهاني، فلمّا كانت البيعه له، خرجت في أثره (٣).

و في (صفين نصر): طلب معاويه من عبيد الله بن عمر أن يشهد عليّ عليه السّلام بقتل عثمان، فقام و قال:

و لكّنه قد قرّب القوم جهده و دبّوا حواليه ديب العقارب

فما قال أحسنتم و لا قد أسأتم و أطرق إطراق الشجاع الموابث (٤)

و في (العقد) عن قيس بن رافع قال: قال زيد بن ثابت: رأيت عليًا

ص: ١٨٩

١- ١) الإمامه و السياسه لابن قتيبه ٤٧: ١-٤٨، و [١] النقل بتصرف يسير.

٢- ٢) العقد الفريد ٤٦: ٥. [٢]

٣- ٣) الإمامه و السياسه ٤٦: ١-٤٧. [٣]

٤- ٤) وقعه صفين: ٨٢-٨٤، [٤] شرح ابن أبي الحديد ١٠٠: ٣-١٠١، و [٥] نقله الشارح بتلخيص.

مضطجعاً في المسجد، فقلت له: إنَّ الناس يرون أنَّكَ لو شئتَ رددتَ الناسَ عن عثمان. فجلس ثمَّ قال: والله ما أمرتهم بشيءٍ ولا دخلت في شيءٍ من شأنهم.

فأتيت عثمان فأخبرته، فقال:

و حرَّق قيس عليَّ البلاد حتَّى إذا اضطرت أحجماً (أجذماً) (١).

و روى (الشافعي) عن الواقدي، عن الحكم بن الصلت، عن عمّار، عن أبيه، قال: رأيت عليّاً عليه السّلام على منبر النّبىّ صلّى الله عليه وآله و سلّم حين قتل عثمان، وهو يقول: ما أحببت قتله ولا كرهته، ولا أمرت به ولا نهيت عنه (٢).

و عن (كاتب الواقدي) مسنداً عن أبي خلد (جلده) قال: سمعت عليّاً عليه السّلام وهو يخطب فذكر عثمان و قال: والله الذي لا إله إلا هو ما قتلته، ولا مالأت علي قتله، ولا ساءني (٣).

هذا، و لعلّ قوله عليه السّلام في قتل عثمان: «ما أمرت و لا نهيت، و لا رضيت و لا سخطت» في قبال قول أبي سفيان لما مثلت امرأته هند بعمّه حمزه في احد، فأشرف أبو سفيان على المسلمين و قال: «أما إنّها قد كانت فيكم مثله ما أمرت بها و لا نهيت عنها، و لا سرّتنى و لا ساءتنى» (٤).

هذا، و في (المروج): لمّا قتل الأمين قيل لبيده: ما يجلسك و قد قتل ابنك؟ فقالت: و ما أصنع؟ فقيل: تخرجين فتطلبين بثأره كما خرجت عائشه تطلب بدم عثمان. فقالت: اخساً لا أمّ لك، ما للنساء و طلب الثأر؟ ثمَّ أمرت بثيابها فسوّدت، و لبست مسحاً من شعر، و دعت بدواه و قرطاس، و كتبت إلى

ص: ١٩٠

١-١) العقد الفريد لابن عبد رب ٤٩:٥.

٢-٢) الشافعي في الإمامه ٣٠٧:٤-٣٠٨.

٣-٣) المصدر نفسه ٣٠٨:٤.

٤-٤) تاريخ الطبري ٥٢١:٢، سنة ٣. [١]

المأمون ما لقت من طاهر، وقتله لابنها. فلما قرأ المأمون كتابها قال: اللهم إني أقول كما قال أمير المؤمنين علي عليه السلام لما بلغه قتل عثمان: والله ما أمرت به ولا نهيت عنه... (١).

و من المضحك أنّ ابن أبي الحديد قال: لا يجوز أن يحمل كلامه عليه السلام:

«لو أمرت به لكنت قاتلاً، أو نهيت عنه لكنت ناصراً» على ظاهره، لما ثبت من عصمه دم عثمان. و أيضاً ثبت في السير أنّه كان ينهى الناس عن قتله، فيحمل لفظ النهي على المنع كما يقال: «الأمير ينهى عن نهب أموال الرعية»، أي: يمنع، و حينئذ يستقيم الكلام، لأنّه ما أمر بقتله و لا منع عن قتله، و إنّما كان ينهى عنه باللسان، و لا ينهى (يمنع) عنه باليد. و لأجل أشباه هذا الكلام كقوله: «ما سرّني و لا - ساءني». و قوله لمّا قيل له: أرضيت بقتله؟ قال: لم أرض. فقيل له: أسخّطت قتله؟ فقال: لم أسخّط. و قوله: «اللّه قتله و أنا معه» قال كعب أبياته - و نقل تلك الأبيات - و للكلّ تأويل يعرفه أولو الألباب (٢).

قلت: بل ينكره ذوات الأذنان فضلاً عن أولى الألباب. و لو صحّ ما قاله لكان كلّ باطل حقّاً، و كلّ منكر معروفاً.

و كيف يقول: نهى عليه السلام عنه باللسان و عمّار يصيح بين يديه في صفّين:

«اقصدوا بنا نحو هؤلاء القوم الذين يبغون دم عثمان، و يزعمون أنّه قتل مظلوماً. و اللّه إن كان إلّا ظالماً لنفسه، الحاكم بغير ما أنزل اللّه» (٣)؟ ثمّ إن كان المصريون و البصريون و الكوفيون الذين جاءوا لقتله لا يطيعونه عليه السلام هل كان عمّار لا يطيعه، و هو الذي يقول له عليه السلام: إن أمرتني أن

ص: ١٩١

١- ١) مروج الذهب ٣: ٤٢٣-٤٢٤. و [١] في المصدر: و اللّه ما قتلت، و لا أمرت، و لا رضيت.

٢- ٢) شرح ابن أبي الحديد ٢: ١٢٧-١٢٨، [٢] بتصرّف و تلخيص من الشارح.

٣- ٣) وقعه صفين لابن مزاحم: ٣٢٦، شرح ابن أبي الحديد ٨: ١٠. [٣]

ألقى بنفسى فى البحر لفعلت (١). و هل كان محمّد بن أبى بكر لا يطيعه و هو كان أطوع له من ولده غير الحسنين عليهما السّلام (٢). و هل كان الأشتر لا يطيعه و كان عليه السّلام يقول: ليت فى أصحابى عدّه مثله فى إطاعته لى فى كلّ كلىّ و جزئى (٣).

و كيف جاهر عليه السّلام قبل خلافته بوجوب قتل عبيد الله بن عمر قاتل هرمان العجمى (٤)، و دافع فى خلافته عن قتله إمامهم الثالث؟! و كيف يقول بعصمه دم عثمان و لمّا بعث معاوية شرحبيل بن السمط، و حبيب بن سلمه، و معن بن يزيد إليه عليه السّلام قال له شرحبيل- كما فى (الطبرى) و غيره-: أ تشهد أنّ عثمان قتل مظلوما؟ قال عليه السّلام: لا. قال شرحبيل: فمن لم يزعم أنّ عثمان قتل مظلوما فنحن منه برآء. ثمّ قام فانصرف. فقال علىّ عليه السّلام:

«إِنَّكَ لَا تُشِيعُ الْمَوْتَى وَلَا تُشِيعُ الضَّمَّ الدُّعَاءِ إِذَا وَلَّوْا مُدْبِرِينَ وَ مَا أَنْتَ بِهَادِي الْعُمَى عَنْ ضَلَالَتِهِمْ إِنْ تُشِيعُ إِلَّا مَنْ يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا فَهُمْ مُسْلِمُونَ» (٥).

و كيف لم يكن مباح الدم و لمّا كتب معاوية- كما فى (العقد)- إليه عليه السّلام:

ص: ١٩٢

١- ١) ذكر نصر بن مزاحم فى وقعه صفين: ٣٢٠ دعاء عمّار و أنّه قال: [١] اللهمّ إنّك تعلم أنّى لو أعلم أنّ رضاك فى أن أقذف بنفسى فى هذا البحر لفعلت- إلى أن قال: اللهمّ و إنّى أعلم ممّا أعلمتني أنّى لا أعلم (أعلم) اليوم عملا هو أرضى لك من جهاد هؤلاء الفاسقين، و لو أعلم اليوم عملا أرضى لك منه لفعلته، و نقله عنه ابن أبى الحديد فى شرح النهج ٥: ٢٥٣. [٢]

٢- ٢) سفينه البحار للمحدّث القمى رحمه الله ٣١٢: ١-٣١٣.

٣- ٣) قال الإمام علىّ عليه السّلام فى الأشتر: ليت فيكم مثله اثنين، بل ليت فيكم مثله واحدا يرى فى عدوّه (عدوى) مثل رأيه، إذا لحقت علىّ مئوتكم... وقعه صفين: ٥٢١، [٣] تاريخ الطبرى ٥: ٥٩، سنة ٣٨، [٤] الإرشاد ١: ٢٦٩، [٥] الكامل فى التاريخ ٣: ١٦٣، [٦] شرح ابن أبى الحديد ٢: ٢٤٠، [٧] بحار الأنوار، ط الكمباني ٥٩٣، ٥٠٥، ٨: ٨. [٨]

٤- ٤) وقعه صفين: ١٨٦.

٥- ٥) وقعه صفين: ٢٠١-٢٠٢، [٩] تاريخ الطبرى ٨: ٥، سنة ٣٧، [١٠] شرح ابن أبى الحديد: ٢٤، و [١١] الآيتان ٨٠-٨١ من سوره

النمل. [١٢]

قتلت ناصرك، واستنصرت و اترك (١) إفايم الله لأرمينك بشهاب تذكيه الريح و لا تطفئه الماء، فإذا وقع وقب (٢) و إذا مسّ ثقب، فلا- تحسبني كسحيم، أو عبد القيس، أو حلوان الكاهن» كتب عليه السّلام إليه: (ما قتل ابن عمك غيرك، و إنني أرجو أن ألحقك به على مثل ذنبه و أعظم من خطيئته) (٣). غير أنّ من نصره لا يستطيع أن يقول: «خذله من أنا خير منه»، و من خذله لا يستطيع أن يقول:

«نصره من هو خير مني». «فمن نصره» كان مروان بن الحكم، و المغيرة بن الأخنس و نظراؤهما من المنافقين، و «من خذله» كان منهم أجلاء المهاجرين و الأنصار و التابعين بإحسان، فناصره لا يمكنه لوضوح فسقه ادّعاء كونه خيرا من خاذله، كما أنّ خاذله لثبوت تديّنه لا يمكنه الإقرار على نفسه بكون ناصره خيرا منه.

و هذا الكلام- ككلامه الأوّل المشتمل على عدم نهيه عليه السّلام عن قتله، مع كونه عليه السّلام أمرا بالمعروف، ناهيا عن المنكر باتّفاق المؤلّف و المخالف- دالّ على باحه قتله، فإنّ حقّ الامور و باطلها يعلمان من متصدّيها، فإذا كان ناصره لا يستطيع أن يدّعي تلك الدعوى، و خاذله لا يستطيع أن يقرّ ذاك الإقرار، يفهم أنّ جواز قتله كان بمثابة من الوضوح الذي لا يعتريه مريه، و كيف لا و قاتلوه من الأجلّه الذين اعترف المخالف بجلالهم، مثل عمّار الذي يكفي في جلاله قول النّبىّ صلّى الله عليه و آله و سلّم المتواتر فيه: «عمّار تقتله الفئة الباغية» (٤). و قد أقرّ عمّار كما

ص: ١٩٣

١- ١) يقال: وتر فلانا: أي قتل حميمه، و أفرعه، و كلّ من أدركته بمكروه فقد وترته. (لسان العرب ١٥: ٢٠٥ مادة: وتر).

٢- ٢) وقب الشيء يقب وقبا، أي: دخل. (الصحاح ١: ٢٣٤، [١] مادة: وقب).

٣- ٣) العقد الفريد لابن عبد ربه ٥: ٨٢. [٢]

٤- ٤) هذا الحديث من الأحاديث المتواتره. نذكر هنا أهمّ المصادر التي نقلت ذلك، حسب الترتيب التاريخي: وقعه صفين: ٣٢٤

و ٣٢٦، [٣] التفسير المنسوب إلى الامام العسكري: ٦٢٥، [٤] سيره ابن هشام ٢: ١٤٢، الطبقات الكبرى ١: ٢٤١، [٥] تاريخ يعقوبى

٢: ١٨٨، [٦] تاريخ الطبرى ١٠: ٥٩، [٧] العقد الفريد ٥: ٨٩، [٨] عيون أخبار الرضا عليه السّلام، مستدرک الحاكم ٣: ٣٨٥-٣٨٦، تاريخ

بغداد ٢: ٢٨٢ [٩] عن أبي قتاده و ٧: ٤١٤ عن عبد الله بن عمر و ٨: ٢٧٥ عن حذيفه و ١١: ٢١٨ عن عثمان بن عفّان و ١٣: ١٨٧ عن

أبي أيوب، الخرائج و الجرائح، شرح ابن أبي الحديد ٨: ١٠. [١٠]

مرّ بآته من قتلته، وأنهم قتلوه لأنه أراد أن يغيّر دين الله (١).

وقال ابن قتيبه: لما أرسل عليّ عليه السّلام عمّارا إلى الكوفة لنفر الناس إليه قال عمّار: يا أهل الكوفة! إنّ كان غاب عنكم امورنا فقد انتهت إليكم أنباؤنا (٢)، إنّ قتله عثمان لا يعتذرون من قتله إلى الناس، ولا ينكرون ذلك، وقد جعلوا كتاب الله بينكم وبين محاجّيتهم، فبكتابه أحيا الله من أحياء، وأمات من أمات (٣).

ومن قتلته محمّد بن أبي بكر، وفي (الطبري): أنّ معاوية بن حديج لما قال لمحمّد بن أبي بكر: أقتلك بعثمان، قال له محمّد: إنّ عثمان عمل بالجور، ونبذ حكم القرآن، وقد قال تعالى: «وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ» (٤)، فنقمنا ذلك عليه فقتلناه (٥).

ومن قتلته عمرو بن الحمق الخزاعي: وفي (الطبري): جلس عمرو بن الحمق على صدر عثمان و به رمق، فطعنه تسع طعنات، وقال: فأما ثلاث منهنّ فإنّي طعنتهنّ إياه لله، وأما ستّ فإنّي طعنتهنّ إياه لما كان في صدري عليه (٦).

و يكفى في إباحه دمه إجماع المهاجرين و الأنصار على قتله بخذلانهم إياه، قال الفضل بن عباس في أبياته في ردّ الوليد بن عقبه:

فلو رأأت الأنصار ظلم ابن عمّكم لكانوا له من ظلمه حاضري النصر

ص: ١٩٤

١- ١) وقعه صفين: ٣٣٨-٣٣٩، [١] شرح ابن أبي الحديد ٢٢: ٨. [٢]

٢- ٢) في المصدر: إنّ كان غاب عنكم أنباؤنا فقد انتهت إليكم امورنا.

٣- ٣) الإمامه و السياسة لابن قتيبه ٦٧: ١. [٣]

٤- ٤) المائده: ٤٧. [٤]

٥- ٥) تاريخ الطبري ١٠٤: ٥، سنه ٣٨. [٥]

٦- ٦) المصدر نفسه ٣٩٤: ٤، سنه ٣٥.

كفى ذاك عيباً أن يشيروا بقتله و أن يسلموه للأحباش من مصر (١).

و لم نقل: إن قتله كلهم كانوا مؤمنين، فكان فيهم طلحه و الزبير و نظراؤهما، و إنما نستدل بفعل مؤمنهم، و لذا كان حذيفه بن اليمان - كما روى (شافى المرتضى) من طرقهم - يقول: ما فى عثمان بحمد الله شك، لكننى أشك فى قاتله، لا أدرى أ كافر قتل كافراً، أم مؤمن خاض إليه الفتنة حتى قتله؟ هو أفضل أهل الايمان (المؤمنين) إيماناً (٢).

و روى الطبرى: أن عثمان نبذ ثلاثه لا يدفن ثم إن حكيم بن حزام، و جبير بن مطعم كلما علياً عليه السلام فى دفنه، و طلبا إليه أن يأذن لأهله فى ذلك، ففعل. فلما سمع الناس بذلك قعدوا إليه فى الطريق بالحجاره، و خرج به ناس يسير من أهله، و هم يريدون به حائطا بالمدينه، يقال له: حشّ كوكب (٣)، كانت اليهود تدفن موتاهم فيه، فلما خرج على الناس رجموا سريره، و هموا بطرحه، فبلغ ذلك علياً عليه السلام، فأرسل إليهم يعزم عليهم ليكفّن عنه، ففعلوا، فانطلق به حتى دفن فى حشّ كوكب. فلما ظهر معاويه على الناس أمر بهدم ذلك الحائط حتى أفضى به إلى البقيع، و أمر الناس أن يدفنوا حوله حتى اتصل بمقابر المسلمين (٤).

و فى (الطبرى): قال أبو كرب عامل عثمان على بيت المال: إن عثمان دفن بين المغرب و العتمه، لم يشهد جنازته إلا مروان و ثلاثه من مواليه و ابنته الخامسة، فناحت (ابنته) فأخذ الناس الحجاره، و قالوا:

ص: ١٩٥

١- ١) تاريخ الطبرى ٤: ٤٢٦، سنه ٣٥. [١]

٢- ٢) الشافى فى الإمامه ٤: ٢٩١-٢٩٢.

٣- ٣) قال ياقوت الحموى فى معجم البلدان ٢: ٢٦٢: [٢] حشّ كوكب: موضع عند بقيع الغرقد اشتره عثمان بن عفان و زاده فى البقيع، و لما قتل ألقى فيه ثم دفن فى جنبه.

٤- ٤) تاريخ الطبرى ٤: ٤١٢، سنه ٣٥. [٣]

نعثل نعثل! أو كادت ترجم (١).

و في (الطبرى): كان قتل معه عبدها نجيح و صبيح، فجزّأ بأرجلهما فرمى بهما على البلاط، فأكلتهما الكلاب، و لم يغسل عثمان و لا غلاماه، و لَمَّا وضع ليصلّى عليه، جاء نفر من الأنصار يمنعونهم الصلاة عليه (٢).

و في (صفين نصر بن مزاحم): سأل معاوية النعمان بن بشير أن يخرج إلى قيس بن سعد بن عباده، فيعاتبه و يسأله السلم. فخرج النعمان حتّى وقف بين الصفين فقال: يا قيس، أنا النعمان بن بشير. فقال قيس: هيه يا بن بشير، فما حاجتك؟ فقال: أأستم معشر الأنصار تعلمون أنكم أخطأتم في خذل عثمان يوم الدار، و قتلتم أنصاره يوم الجمل، و أقحمتم خيولكم على أهل الشام بصفين؟ فلو كنتم إذ خذلتهم عثمان خذلتهم علينا لكانت واحده بواحدة، و لكنكم خذلتهم حقًا، و نصرتهم باطلا، ثم لم ترضوا أن تكونوا كالناس حتّى أعلمتم في الحرب و دعوتهم إلى البراز، ثم لم ينزل بعليّ أمر قطّ إلاّ هوّنتم عليه المصيبة، و وعدتموه الظفر. و قد أخذت الحرب منّا و منكم ما قد رأيتم، فاتقوا الله في البقيّة.

فضحك قيس ثم قال: ما كنت أراك يا نعمان تجتريء على هذه المقالة، لكن لا ينصح أخاه من غشّ نفسه، و أنت و الله الغاشّ الضالّ المضالّ، أما ذكرك عثمان فإن كانت الأخبار تكفيك فخذها منّي، واحده قتل عثمان من لست خيرا منه، و خذله من هو خير منك... (٣).

و كيف لم يكن مباح الدم و شهد حجر بن عدىّ و أصحابه الذين قالوا: لو

ص: ١٩٤

١-١ (١) المصدر نفسه. [١]

٢-٢ (٢) المصدر نفسه ٤:٤١٣-٤:٤١٥، سنة ٣٥، و نقله الشارح بتصرّف و تقديم و تأخير.

٣-٣ (٣) وقعه صفين لنصر بن مزاحم: ٤٤٨-٤٤٩. [٢]

لم يكن في معاويه إلا قتله لهم لكفاه في هلاكته بذلك.

ففى (الطبرى) -بعد ذكر بعث زياد بهم إلى الشام، وبعث معاويه جمعا لقتلهم- قال أصحاب معاويه لحجر و أصحابه: يا هؤلاء، رأيناكم البارحة قد أطلتم الصلاة، و أحسنتم الدعاء، فأخبرونا ما قولكم فى عثمان؟ قالوا: هو أول من جار فى الحكم، و عمل بغير الحق (١).

و قال- فى عبد الرحمن العنزى الذى كان أحد أصحاب حجر و لم يقتله معاويه معهم، بل رده إلى زياد فدفنه حيا بقس الناطف- قال معاويه له: إيه يا أخا ربيعه، ما قولك فى على؟ قال: دعنى و لا- تسألنى فإنه خير لك. قال: و الله لا- أدعك حتى تخبرنى. قال: أشهد أنه كان من الذاكرين الله كثيرا، و من الأمرين بالحق، و القائمين بالقسط، و العافين عن الناس. قال: فما قولك فى عثمان؟ قال:

هو أول من فتح باب الظلم، و أرتج أبواب الحق. قال له معاويه: قتلت نفسك.

قال: بل إياك قتلت (٢).

و كيف يقول ابن أبى الحديد بعصمه دمه، و كان سعد من خذلته، و طلحه و الزبير من قتلته، و هم من سته شورا هم، و عشرتهم المبره.

و تسببت صدقتهم فى تحريضاتها عليه لقتله؟ و فى (كامل المبرد): كتب نافع إلى ابن الزبير: قد حضرت عثمان يوم قتل، فلعمري لئن كان قتل مظلوما لقد كفر قاتلوه و خاذلوه، و لئن كان قاتلوه مهتدين -و إنهم لمهتدون- لقد كفر من يتولاه و ينصره و يعضده. و لقد علمت أن أباك و طلحه و عليا كانوا أشد الناس عليه، و كانوا فى أمره (من) بين قاتل و خاذل، و أنت تتولى أباك و طلحه و تتولى عثمان. و كيف ولايه قاتل متعمد

ص: ١٩٧

١- (١) تاريخ الطبرى ٢٧٥: ٥، سنة ٥١. [١]

٢- (٢) تاريخ الطبرى ٢٧٦: ٥-٢٧٧، سنة ٥١. [٢]

و مقتول في دين واحد! (١). قلت: ما أورده نافع على ابن الزبير يرد على جميع أهل السنّه، لكن يقال لنافع: إنّه كما يكون الجمع بين المتضادّين باطلاً- بالعقل، يكون انفكاك الملزوم عن اللازم كذلك، و ولايه الأوّل و الثاني يستلزم صحّه ولايه الثالث، فإذا كانت ولايه الثالث عندك باطله فلا بدّ أن تقول ببطلان ولايه الأوّلين. و قد دبر الثاني للثالث ولايته مع عرفانه له و أنّه يفعل ما فعل.

و من العجب أنّ إخواننا أتوا بالتضادّ في أقوالهم فضلا عن مذهبهم فهذا ابن قتيبه و ابن عبد ربه و المسعودي قالوا بعد ما مرّ عنهم: لمّا قتل عثمان دخل عليّ عليه- و كان أرسل الحسن و الحسين لمنعه- و كان ذهل عقله فقال لهما:

كيف قتل أمير المؤمنين و أنتما على الباب؟ فلطم الحسين و ضرب صدر الحسن!! (٢) فأىّ تخليط هذا؟! أما لهم شعور حتّى لا يقولوا بالتناقض و التضادّ؟ فإن كان من يروى خبرين متضادّين معذورا في الظاهر، فليس من يفتى بالتضادّ بمعذور أصلا، مع أنّ من يروى متضادّا و يكون أحد الضدّين معلوم الكذب، و على خلاف اتّفاق التواريخ كالطبري في ضمّه روايات سيف المعلومه الكذب ليس بمعذور أيضا.

و ليس تلك الروايات إلّا من أخبار أمر معاويه بوضعها، كما أنّه حمل الناس بالسيف على القول بإمامه عثمان، و إلّا فجميع أهل السنّه الذين كانوا في ذاك اليوم- سوى الأمويّه و أتباعهم- كانوا قائلين بكفر عثمان، و استحقاقه القتل.

ص: ١٩٨

١- ١) الكامل للمبرد ٢: ٢٢٩-٢٣٠. [١]

٢- ٢) الإمامه و السياسة لابن قتيبه ١: ٤٤، [٢] العقد الفريد لابن عبد ربه ٥: ٤٢، [٣] مروج الذهب للمسعودي ٢: ٣٥٤. [٤]

و كان التضاد بينه وبين أمير المؤمنين عليه السلام كالتضاد بين معاويه وبينه عليه السلام أمرا بينا عندهم، كما عند الشيعة، وإنما كان الفرق بين الشيعة والسنة ذاك اليوم تضاده عليه السلام مع أبي بكر وعمر أيضا، فالشيعة قائلون به بشهادته الدراية، والسنة ينكرونه بإنكار البدهه.

و كيف لم يكن تضاده عليه السلام مع عثمان واضحا، و كان نافع بن هلال الجملي من أصحاب الحسين عليه السلام يقاتل يوم الطف و يقول- كما في (الطبري)-: أنا الجملي أنا على دين عليّ. فخرج إليه مزاحم بن حريث من أصحاب ابن سعد و قال: أنا على دين عثمان. فقال له نافع: أنت على دين شيطان (1).

و كيف لم يكن بطلان أمر عثمان واضحا و قد باهل أصحاب الحسين عليه السلام أصحاب ابن سعد في ذلك؟ ففي (الطبري): قال عفيف بن زهير - وهو ممن شهد مقتل الحسين عليه السلام-: خرج يزيد ابن معقل من أصحاب ابن سعد فقال لبرير بن حضير من أصحاب الحسين عليه السلام كيف ترى الله صنع بك؟ قال: صنع الله و الله بي خيرا، و صنع بك شرا. قال له يزيد: كذبت، و قبل اليوم ما كنت كذابا، فهل تذكر و أنا أماشيكي في بني لوزان و أنت تقول: إن عثمان كان على نفسه مسرفا، و إن معاويه ضالّ مضلّ، و إن إمام الهدى و الحقّ عليّ بن أبي طالب؟ فقال له برير: أشهد أنّ هذا رأيي و قولي. فقال له يزيد: فإنّي أشهد أنّك من الضالّين. فقال له برير: هل لك أن أباهلك (2)، و لندع الله أن يلعن الكاذب و أن يقتل المبطل، ثم نخرج للمبارزه؟ قال: نعم. فخرجا فرعا

ص: ١٩٩

١- (١) تاريخ الطبري ٤٣٥: ٥، سنة ٦١. [١]

٢- (٢) المباهلة: الملا-عنه، و معنى المباهلة أن يجتمع القوم إذا اختلفوا في شيء فيقولوا: لعنه الله على الظالم منّا. (لسان العرب ٥٢٢: ١، [٢] مادة: بهل).

أيديهما يدعوا انه أن يلعن الكاذب، و أن يقتل المحقّ المبطل، ثم برز كل واحد منهما لصاحبه، فاختلفا ضربتين، فضرب يزيد بريرا ضربه خفيفه لم تضره شيئا، و ضربه برير ضربه قدّت المغفر، و بلغت الدماغ، فخرّ كأنما هوى من حالق، و إنّ سيف برير لثابت في رأسه، فكأنى أنظر إليه ينضضه (١) من رأسه - إلخ (٢).

و من المضحك أنّ (الطبري) روى في رواياته الخبيثه عن سيف: أنّ الحسن خرج يرتجز في الدفاع عن عثمان مثل المغيره بن الأخنس! (٣) فيقال له: إذا كان الأمر كذلك لم يقول عمرو بن العاص للحسن عليه السّلام لمّا رآه في الطواف - كما روى المدائني عن زيد بن أرقم - زعمت يا حسن، أنّ الدين لا يقوم إلّا بك و بأبيك، فقد رأيت الله أقامه بمعاويه، فجعله راسيا بعد ميله، و بيّنا بعد خفائه، أفرضى الله بقتل عثمان، أو من الحقّ أن تطوف بالبيت عليك ثياب كغرقىء (٤) البيض، و أنت قاتل عثمان، و الله إنّّه لألّم للشعث، و أسهل للوعث، أن يوردك معاويه حياض أبيك، فقال له الحسن عليه السّلام: إنّ لأهل النار لعلامات يعرفون بها، إلحادا لأولياء الله، و موالاته لأعداء الله، و الله إنّك لتعلم أنّ علينا عليه السّلام لم يرتب في الدين، و لم يشكّ في الله ساعه و لا طرفه عين قطّ. و أيم الله لتنتهين يا بن أم عمرو أو لأنفذنّ حزنك بنوافذ أشدّ من القعصيه (٥)، فأياك و التهجم علىّ! فإنّي من قد عرفت، لست بضعيف الغمزه، و لا هشّ المشاشه (٦)،

ص: ٢٠٠

١ - ١) ينضضه: يحزّكه. (لسان العرب ١٤: ١٨٠، ماده: نضض).

٢ - ٢) تاريخ الطبري ٥: ٤٣١ - ٤: ٤٣٢، سنه ٦١. [١]

٣ - ٣) المصدر نفسه ٤: ٣٨٨، سنه ٣٥.

٤ - ٤) الغرقىء: القشره الملتزقه ببياض البيض. (لسان العرب ١٠: ٥٨، ماده: غرق).

٥ - ٥) قعضب: اسم رجل كان يعمل الأسنّه في الجاهليّه، إليه تنسب أسنّه قعضب (لسان العرب ١١: ٢٤٦، [٢] ماده: قعضب).

٦ - ٦) المشاشه: واحده المشاش، و هي رءوس العظام اللينه التي يمكن مضغها (الصحاح ٣: ١٠١٩ [٣] ماده: مشش).

ولا- مرىء المأكله، و إني من قريش كواسطه القلاده، يعرف حسبي، و لا أدعى لغير أبي، و أنت من تعلم و يعلم الناس، تحاكت فيك رجال قريش، فغلب عليك جزاها، الأهمم حسبا، و أعظمهم لؤما، فإياك عنى، فإنك رجس، و نحن أهل بيت الطهاره، أذهب الله عنا الرجس، و طهرنا تطهيرا. فأفحم عمرو و انصرف كئيبا (١).

و كيف لا- يستحيون أن يقولوا: إنَّ أمير المؤمنين أرسل الحسين للدفاع عن عثمان؟! و قد قتل بنو اميه الحسين عليه السَّلام بعثمان، ففي الطبرى: كتب عبيد الله بن زياد إلى عمر بن سعد: أما بعد، فحل بين الحسين و أصحابه و بين الماء، و لا يذوقوا منه قطره، كما صنع بالتقى الزكى المظلوم عثمان (٢).

و فى (الطبرى) أيضا: لما جىء برأس الحسين عليه السَّلام إلى عبيد الله بن زياد، دعا عبد الملك بن أبى الحارث السلمى، و قال له: انطلق حتى تأتى المدينه على عمرو بن سعيد بن العاص- و كان يومئذ أمير المدينه- فبشره بقتل الحسين. قال: فدخلت على عمرو فقال: ما وراءك؟ قلت: ما سرَّ الأمير، قتل الحسين.

فقال: ناد بقتله. فناديت فلم أسمع و الله و اعياه (٣) مثل و اعياه نساء بنى هاشم فى دورهن على الحسين، فقال عمرو متمثلا ببيت عمرو بن معدى كرب و ضحك:

عجبت نساء بنى زياد عجه كعجيج نسوتنا غداه الأرنب (٤)

ثم قال: هذه و اعياه بواعيه عثمان (٥).

و فى (تذكرة سبط ابن الجوزى): قال ابن سعد كاتب الواقدي: دفن رأس

ص: ٢٠١

١- ١) نقل عنه ابن أبى الحديد فى شرح النهج ٢٧: ١٦-٢٨. [١]

٢- ٢) تاريخ الطبرى ٤١٢: ٥، سنه ٦١. [٢]

٣- ٣) يقال: ارتفعت الواعيه: الصراخ على الميت. و سمعت و اعياه القوم: أصواتهم. (أساس البلاغه: ٥٠٤، [٣] ماده: وعى).

٤- ٤) فى روايه لسان العرب: [٤] بنى زبيد بدل: بنى زياد. و الأرنب: موضع. (لسان العرب ٣٣١: ٥، [٥] ماده: رنب).

٥- ٥) تاريخ الطبرى ٤٦٥-٥: ٤٦٦، سنه ٦١، [٦] تذكرة الخواص لسبط ابن الجوزى: ٢٦٦.

الحسين عليه السلام بالمدينه عند امه، و ذكر الشعبي أنّ مروان كان بالمدينه فأخذ الرأس، و تركه بين يديه، و تناول أرنبه أنفه و قال:

يا حَبْدًا بردك في العيدين و لونك الأحمر في الخدين

و الله لكأني أنظر إلى أيام عثمان (١).

و من المضحك أنّ (المسعودي) قال: فلما بلغ عليا أنّهم يريدون قتله، بعث ابنيه و مواليه بالسلاح لنصرته، و بعث الزبير ابنه و بعث طلحه ابنه - إلى أن قال -: و جرح الحسن، و شجّ قبره، و جرح محمد بن طلحه (٢).

و كيف يرسل طلحه و الزبير ابنيهما لنصرته و هما كانا محرّضين على قتله إلى ساعه قتله؟ ففى (خلفاء ابن قتيبه): أنّ عمّارا لما جاء إلى الكوفه لنفر الناس في حرب الجمل قال: يا أهل الكوفه، و إنّ طلحه و الزبير كانا أوّل من طعن على عثمان، و آخر من أمر بقتله (٣).

و كيف أرسل طلحه ابنه لنصره عثمان و قد رماه مروان بسهم - مع كونه في جنده - فقتله و قال: أخذت ثأري من طلحه في عثمان (٤).

و إنّما المحقّق نصره ابن الزبير لعثمان من نفسه لا من قبل أبيه، حضر لنصره لأمرين، أحدهما: أنّه لما كان حريصا على الإماره، و طالبا للخلافه يمكنه أن يدعى أنّ عثمان في حصاره نصّ عليه، فكان يدعى ذلك. و الثاني: أنّه علم أنّ عثمان إن قتل، يكون الأمر لأمير المؤمنين عليه السلام، و كان كخالته أمّ مؤمنيهم في كون ذلك أشدّ عليه من وقوع السماء عليه.

ص: ٢٠٢

١- ١) تذكره الخواصّ لسبط ابن الجوزي: ٢٦٥-٢٦٦.

٢- ٢) مروج الذهب للمسعودي ٣٥٣:٢-٣٥٤. [١]

٣- ٣) الإمامه و السياسه لابن قتيبه ١:٦٧. [٢]

٤- ٤) أنساب الأشراف ٣:٢٤٦، [٣] تاريخ يعقوبى ١٨٢:٢، الجمل للمفيد: ٣٨٤، تذكره الخواصّ: ٧٧، شرح ابن أبي الحديد ٩:١١٣.

روى المدائني: أن ابن الزبير قال يوما لمعاوية: أ تنكر شجاعتي و قد وقفت في الصف بإزاء عليّ، و هو من تعلم! فقال له معاوية: لا جرم أنه قتلك و أباك بيسرى يديه، و بقيت يده اليمنى فارغه يطلب من يقتله بها. فقال له ابن الزبير: أما و الله ما كان ذلك إلا في نصر عثمان فلم نجز به، فقال له معاوية: خلّ هذا عنك، فو الله لو لا شدّه بغضك لابن أبي طالب لجررت برجل عثمان مع الضيع (١).

و كيف يعقل صحّحه ما قال اولئك المصنفون؟ و قد قال عليه السلام: «إنّ من نصره لا يستطيع أن يقول: خذله من أنا خير منه، و من خذله لا يستطيع أن يقول: نصره من هو خير منّي» (٢). فهل كان ناصرهم إلا كندماء ابن عمّه الوليد بن يزيد بن عبد الملك بن مروان؟ و لمّا أرادوا قتل الوليد أخذ مصحفًا مثل عثمان، و قال: يومى (يوم) كيوم عثمان (٣). مع أنّه كان راميا المصحف بالسهم حتّى مزّقه (٤).

و فى (الطبرى): كان مع الوليد مالك المغنّى، و عمرو الوادى المغنّى، فلمّا تفرّق عن الوليد أصحابه، و حصر، قال مالك لعمرو: اذهب بنا. فقال عمرو:

ليس هذا من الوفاء، و نحن لا- يعرض لنا لأننا لسنا ممّن يقاتل، فقال مالك: ويلك! و الله لئن ظفروا بنا لا يقتل أحد قبلى و قبلك، فيوضع رأسه بين رأسينا، و يقال للناس: انظروا من كان معه فى هذه الحال، فلا يعيونه بشيء أشدّ من هذا، فهربا (٥).

ص: ٢٠٣

١- ١) نقله عنه ابن أبى الحديد فى شرح نهج البلاغه ١٢٦: ٢٠٠. [١]

٢- ٢) نهج البلاغه ٧١: ١-٧٢. [٢]

٣- ٣) تاريخ الطبرى ٧: ٢٤٦، سنة ١٢٦. [٣]

٤- ٤) مروج الذهب للمسعودى ٣: ٢٢٨. [٤]

٥- ٥) تاريخ الطبرى ٧: ٢٥٢، سنة ١٢٦. [٥]

و لعمر الله إنَّ المغنَّيين كانوا أحسن من مروان صاحب عثمان، فقد كانوا فاسقين بالعمل، وقد كان مروان من خبث النفس بحيث لا يوصف، فهو الذى قال للوليد بن عتبة ابن عمِّ يزيد الذى كتب إليه: «خذ البيعه لى من الحسين»: احبس الحسين حتى يبايع أو تضرب عنقه. فقال له الوليد: اخترت لى التى فيها هلاك دينى، والله ما أحبُّ أن لى ما طلعت عليه الشمس و غربت عنه من مال الدنيا و ملكها، و أنى قتلت حسيناً، سبحان الله! أقتل حسيناً أن قال:

لا أبايع! والله إننى لا أظنُّ أمراً يحاسب بدم الحسين لخفيف الميزان عند الله تعالى يوم القيامة. فقال له مروان مستهزئاً به: إذا كان هذا رأيك فقد أصبت فى ما صنعت (١).

و نفس عثمان و نفس مروان واحده، «فالمراء على دين خليله» (٢).

و كيف يصح ما قالوا من أنه عليه السلام و طلحه و الزبير بعثوا بنهم للدفاع عن عثمان؟ و قد عرفت أن نافعاً حجاج ابن الزبير، فحججه بأنك تعلم أن أباك و طلحه و علياً كانوا أشد الناس على عثمان، و كانوا فى أمره من بين قاتل - المراد أبوه و طلحه - و خاذل - يعنى أمير المؤمنين عليه السلام - و أنت تتولّى أباك و طلحه و عثمان. و كيف ولايه قاتل متعمد و مقتول فى دين واحد! (٣).

و كيف يصح ما قالوا: من أنه عليه السلام بعث ابنه للدفاع عن قتل عثمان، و كان عليه السلام مدافعاً عن قتله عثمان، فلمّا قام أبو مسلم الخولانى (٤) فى قراء

ص: ٢٠٤

١- ١) المصدر نفسه ٣٤٠: ٥، سنة ٦٠.

٢- ٢) رواه الكليني فى الكافي ٣٧٥: ٢. و [١] قال ابن منظور فى لسان العرب ٢٠٢: ٤، [٢] ماده (خلل): و فى الحديث: المراء بخليله، أو على دين خليله، فلينظر امرؤ من يخال. و أورده الميدانى فى مجمع الأمثال ٢٧٥: ٢ [٣] عن النبىِّ صلى الله عليه و آله و سلم و قال: المراء بخليله، أى: مقيس بخليله.

٣- ٣) الكامل للمبرّد ٢٢٩: ٢- ٢٣٠. [٤]

٤- ٤) هو عبد الله بن ثوب أحد الزّهاد الثمانيه، تابعى، أصله من اليمن، أدرك الجاهليه و أسلم قبل وفاه النبىِّ صلى الله عليه و آله و سلم و لم يره، فقدم المدينه فى خلافه أبى بكر، و هاجر إلى الشام، توفى سنة ٦٢ هـ و دفن فى دارياً بدمشق. و كان للعامه فيه اعتقاد عظيم. و لكنّه من أعوان معاويه و سبىء الرأى فى على عليه السلام. روى عن الفضل بن شاذان أنّه قال عند ذكره للزّهاد الثمانيه: و أمّا أبو مسلم، فإنّه كان فاجراً مرأياً و كان صاحب معاويه، و هو الذى كان يحثّ الناس على قتال على عليه السلام. انظر حليه الأولياء ١٢٢: ٢، [٥] الأعلام ٧٥: ٤، [٦] الكنى و الألقاب ١٥٨: ١. [٧]

الشام إلى معاوية-كما في (صفين نصر)-و قال له:علام تقاتل عليًا و ليس لك مثل صحبتته و لا قرابته و لا سابقته؟قال:لست أدعى ذلك،و لكن أستم تعلمون أنّ عثمان قتل مظلوما؟فليدع إلينا قتلته فنقتلهم به،و لا قتال بيننا و بينه-إلى أن قال-فقال أبو مسلم لعليّ عليه السّلام:قد رأيت قوما مالك معهم أمر.

قال:و ما ذاك؟قال:بلغ القوم أنّك تريد أن تدفع إلينا قتله عثمان فضجّوا و اجتمعوا،و لبسوا السلاح،و زعموا أنّهم كلّهم قتله عثمان.فقال له عليّ عليه السّلام:

و الله ما أردت أن أدفعهم إليك طرفه عين،لقد ضربت هذا الأمر أنفه و عينيه،ما رأيتة ينبغي لي أن أدفعهم إليك و لا- إلى غيرك.فخرج أبو مسلم و هو يقول:الآن طاب الضراب! (١)و إنّما خلى عليه السّلام بينه و بينهم ليريه إجماع المسلمين على قتل عثمان، و إباحه دمه .

«و أنا جامع لكم أمره» من طرفه و طرفكم .

«استأثر فأساء الأثره» فكان عثمان خصّ أقاربه بولاية البلاد حتّى عزل عمرو بن العاص،فطلق عمرو لذلك اخته امّ كلثوم بنت عقبه بن أبي معيط، و حرّض الناس عليه.و لما سمع خبر قتله قال:أنا أبو عبد الله،إذا حككت قرحه نكأتها (٢)،إن كنت لا حرّض عليه،حتى لا حرّض عليه الراعى فى غنمه فى رأس

ص:٢٠٥

١-١) وقعه صفين لنصر بن مزاحم:٨٥-٨٦، [١]شرح ابن أبي الحديد ٧٣:١٥-٧٥،و [٢]نقله الشارح بتصرّف و تلخيص.
٢-٢) قال ابن الأثير فى النهاية ١:٤١٨، [٣]ماده(حكك):و فى حديث عمرو بن العاص:إذا حككت قرحه دميتها،أى:إذا أمّمت غايه تقصّيتها و بلغتها،و فى الصحاح ١:٧٨، [٤]ماده(نكأ):نكأت القرحة نكأ،إذا قشرتها.

الجيل. فقال له سلامه بن روح: يا معشر قريش، إنه كان بينكم وبين العرب باب وثيق فكسرتموه، فما حملكم على ذلك؟ فقال: أردنا أن نخرج الحق من خاصره (حافره) الباطل، وأن يكون الناس في الحق شرعا سواء (١).

«و جزعتم فأسأتم الجزع» لأنهم منعوه الماء في حياته، ومنعوا من دفنه بعد قتله. ولا يجوز منع الماء من أحد (٢). و يجب مواراه أموات جميع الناس المسلم وغيره.

و قال ابن أبي الحديد: أساءوا الجزع لأنه كان الواجب عليهم ألا يجعلوا جزاءه عمّا أذنب القتل، بل الخلع والحبس و ترتيب غيره في الإمامه (٣).

قلت: فإذا كان مستحقاً للخلع، كيف يقول بإمامته؟ وقد قال الناس له قبل قتله: أنت مستحق للخلع، لما رأوا غلامه على جملة، و كتابه إلى عامله على مصر بقتل محمد بن أبي بكر و من معه، و كان بعثه لما شكوا إليه ظلم عامله، و قتله الناس بغير حق، فأنكر عثمان أن يكون هو بعث الغلام و كتب الكتاب، فقالوا له: إن كنت كاذبا فقد استحققت الخلع، لعملك هذا، و إن كنت صادقا استحققت الخلع لعجزك عن أمر الخلافة حيث يكتب غيرك على لسانك مثل هذا، و أنت لا تعلم، فاخلع نفسك. فأبى عليهم حتى قتلوه (٤).

و إنما الأصل في قوله عليه السلام: «و أسأتم الجزع» لأن عمده الجازعين و هم قريش و في رأسهم طلحة من تيم، و الزبير من أسد لم يقتلوه غضبا لله بل لهوى أنفسهم، لأنه لم يولهم و ولي بنى أبيه.

ص: ٢٠٦

١-١) تاريخ الطبرى ٤:٣٥٧، سنة ٣٥، و [١] شرح ابن أبى الحديد ٢:١٤٤. [٢]

٢-٢) و لذا بعث أمير المؤمنين عليه السلام الماء إلى عثمان حين منع من الماء. انظر أمالى الشيخ الطوسى ٢:٣٢٥، شرح ابن أبى الحديد ٢:١٤٨، و بحار الأنوار ط الكمباني ٨:٣٧٤.

٣-٣) شرح ابن أبى الحديد ٢:١٢٨-٢:١٢٩. [٣]

٤-٤) تفصيل ذلك فى تاريخ الطبرى ٤:٣٧٥-٤:٣٧٦، سنة ٣٥، و [٤] شرح ابن أبى الحديد ٢:١٥٠. [٥]

و في (المروج): حجّ عبد الملك في بعض أعوامه، فأمر للناس بالعطاء، فخرجت بدره مكتوب عليها «من الصدقه» فأبى أهل المدينة من قبولها و قالوا:

إنّما كان عطاؤنا من الفىء. فقال عبد الملك و هو على المنبر: يا معشر قريش، مثلنا و مثلكم أنّ أخوين خرجا مسافرين، فنزلا في ظلّ شجره تحت صفاه، فلمّا دنا الرواح خرجت إليهما من تحت الصفاه حيّه تحمل ديناراً فألقته إليهما، فقالا: إنّ هذا لمن كنز، فأقاما عليها ثلاثه أيام، كلّ يوم تخرج إليهما ديناراً، فقال أحدهما لصاحبه: إلى متى ننتظر هذه الحيّه؟ ألا نقتلها و نحفر هذا الكنز فنأخذه؟ فنهأه أخوه، و قال: ما تدري لعلّك تعطب و لا- تدرك المال. فأبى عليه، و أخذ فأسا و صرد الحيّه حتّى خرجت، فضربها ضربه جرحت رأسها و لم تقتلها، فثارت الحيّه فقتلته، و رجعت إلى جحرها، فقام أخوه فدفنه، و أقام حتّى إذا كان الغد خرجت الحيّه معصوبا رأسها ليس معها شىء، فقال لها: يا هذه، إنّى و الله ما رضيت ما أصابك، و لقد نهيت أخى عن ذلك، فهل لك أن نجعل الله بيننا أن لا تضربينى و لا أضرك، و ترجعين إلى ما كنت عليه؟ قالت الحيّه: لا.

قال: و لم؟ قالت: لأنّى أعلم أنّ نفسك لا- تطيب لى أبدا، و أنت ترى قبر أخيك، و نفسى لا تطيب لك أبدا و أنا أذكر هذه الشجّه، و أنشدهم- أى عبد الملك- شعر النابغه فى ذلك:

فقال أراه (أرى) قبرا تراه مقابلى و ضربه فأس فوق رأسى فاغره (فاقره)

يا معشر قريش، وليكم عمر فكان فظاً غليظاً مضيقاً عليكم، فسمعتم له و أطعتم، ثمّ وليكم عثمان فكان سهلاً فعدوتم عليه فقتلتموه، و بعثنا عليكم مسلماً يوم الحزّه فقتلناكم، فنحن نعلم يا معشر قريش، أنّكم لا تحبّوننا أبدا

و أنتم تذكرون يوم الحرّه و نحن لا نحبّكم أبدا و نحن نذكر قتل عثمان (١).

«و لله حكم واقع في المستأثر و الجازع» هو نظير قوله عليه السلام: «لو أمرت به لكنت قاتلا، أو نهيت عنه لكنت ناصرا» في إجمال الجواب لعدم تمكّنه عليه السلام من بيان الحقيقه، و هي بطلان ولايته المستلزمه لبطلان ولايه الأول و الثاني.

و في (الأغاني): كان حصّان بن ثابت و النعمان بن بشير و كعب بن مالك عثمانيه، يقدّمون بني أمّيه على بني هاشم، و يقولون: الشام خير من المدينه.

و أتصل بهم أنّ ذلك قد بلغ عليا عليه السّلام، فدخلوا عليه، فقال له كعب: أخبرنا عن عثمان: أقتل ظالما، فنقول بقولك؟ (أم قتل مظلوما، فنقول بقولنا)، و نكلك إلى الشبهه فيه، و العجب من تيقّنا و شكّك، و قد زعمت العرب أنّ عندك علم ما اختلفنا فيه، فهاته نعرفه، فقال لهم عليّ عليه السّلام: لكم عندي ثلاثه أشياء: استأثر عثمان فأساء الأثره، و جزعتم فأسأتم الجزع، و عند الله ما تختلفون فيه إلى يوم القيامه. فقالوا: لا ترضى بهذا العرب، و لا تعذرنا فيه (به). فقال لهم عليّ:

أ تردّون عليّ بين ظهراي المسلمين، بلا- بيّنه صادقه، و لا حجّه واضحه؟ اخرجوا عنّي، فلا تجاوروني في بلد أنا فيه أبدا. فخرجوا من يومهم، فساروا حتّى أتوا معاويه، فقال: لكم الكفايه أو الولايه. فأعطى حسّانا ألف دينار، و كعبا ألف دينار، و ولّى النعمان حمصا (٢).

و في (مواسم الأدب): قال كعب بن مالك الأنصاري لعليّ عليه السّلام: بلغك عنّا أمر لو كان غيرك لم يحتمله، و لو كان غيرنا لم يقيم معك عليه، و ما في الناس من هو أعلم منك، و في الناس من نحن أعلم منه، و أوضح العلم ما وقف على لسان، و أرفعه ما ظهر في الجوارح و الأركان، و نحن أعرف بقدر عثمان من

ص: ٢٠٨

١- ١) مروج الذهب للمسعودي ١٢٧: ٣-١٢٨، و [١] نقله الشارح بتصرّف.

٢- ٢) الأغاني ٢٣٣: ١٦-٢٣٤، و [٢] نقله الشارح بتصرّف و تلخيص.

قاتليه، و أنت أعلم بهم و بخاذليه، فإن قلت: «إنه قتل ظالما» قلنا: بقولك، و إن قلت: «إنه قتل مظلوما» قلنا بقولنا، و إن وكلتنا إلى الشبهه آيسنا بعدك من إصابه البيئه.

فقال عليه السّلام عندى فى عثمان و فيكم. استأثر فأساء الأثره و جزعتم فأسأتم الجزع، و لله عز و جل حكم واقع فى المستأثر و الجازع (١).

و هو عليه السّلام و إن أجمل فى جواب أولئك العثمانيه لكون سؤالهم فى غير الموقع، إلا أنه بين بأفعاله من إيوائه قاتليه، و دفاعه عنهم، و بأقواله كما مرّ من قوله عليه السّلام للخولانى: «إنى ضربت هذا الأمر أنفه و عينه، فرأيت أنه ما ينبغى لى أن أدفع قتلتة إلى أحد» (٢) و قوله عليه السّلام لقراء الشام و العراق لمّا قالوا له: «إنّ معاويه يقول: إن كنت صادقا أنك ما أمرت بقتل عثمان، و لا مألأت على قتله، فادفع إلينا قتلتة أو أمكنا منهم»: تأوّل القوم عليه القرآن، و قتلوه فى سلطانه و ليس على أضرابهم (ضربهم) قود (٣)، أنه كان مباح الدم، و به صرح شيعته عمّار و غيره (٤).

و فى (فواتح الميديد): روى إبراهيم النخعى و أبو العالیه أن قوله تعالى:

«ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عِنْدَ رَبِّكُمْ تَخْتَصِمُونَ» (٥) فى شأن المسلمين، و ناظر إلى قتل عثمان و حرب صفين. و قوله تعالى: «فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ كَذَبَ عَلَى اللَّهِ وَ كَذَّبَ بِالصَّدَقِ إِذْ جَاءَهُ أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْكَافِرِينَ وَ الَّذِي جَاءَ بِالصَّدَقِ»

ص: ٢٠٩

١-١) نهج البلاغه خطبه ٣٠. [١]

٢-٢) وقعه صفين: ٨٦، [٢] شرح ابن أبى الحديد ١٥: ٧٥. [٣]

٣-٣) وقعه صفين: ١٨٩. [٤]

٤-٤) الإمامه و السياسه الزمر ١: ٦٧.

٥-٥) (٥): ٣١.

وَ صَدَّقَ بِهِ أَوْلِيكَ هُمْ الْمُتَّقُونَ (١) تفصيل اولئك الفرق (٢).

٤

الكتاب (٣٨)

و من كتاب له عليه السلام إلى أهل مصر لما ولى عليهم الأشتر:

مَنْ عَبْدَ اللَّهِ؟ عَلِيٌّ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ؟ - إِلَى الْقَوْمِ الَّذِينَ غَضِبُوا لِلَّهِ - حِينَ عَصَيْتَ فِي أَرْضِهِ وَ ذُهِبَ بِحَقِّهِ - فَضَرَبَ الْجَوْرُ سُرَادِقَهُ عَلَيَّ
الْبَرِّ وَ الْفَاجِرِ - وَ الْمُقِيمِ وَ الظَّالِمِ - فَلَا - مَعْرُوفٌ يُسْتَرَاخُ إِلَيْهِ - وَ لَا مُنْكَرٌ يُتَنَاهَى عَنْهُ قَوْلَ الْمُصَنِّفِ : «و من كتاب له عليه السلام
إلى أهل مصر لما ولى عليهم الأشتر» روى الطبرى الطبرى - تاريخ الطبرى - ج ٥ ص ٩٦، سنة ٣٨ عن أبى مخنف، عن فضيل بن
خديج، عن مولى للأشتر قال: لما هلك الأشتر وجدنا فى ثقله رساله على عليه السلام إلى أهل مصر: «من عبد الله على أمير
المؤمنين إلى أمه المسلمين الذين غضبوا لله حين عصى فى الأرض، و ضرب الجور بأرواقه على البرّ و الفاجر، فلا حقّ يستراح
إليه، و لا منكر يتناهى عنه» (٣).

و رواه (غارات الثقفى - الغارات - ج ١ ص ٢٦٣ تا ٢٦٦ الثقفى) تاره عن المدائنى و اخرى عن الشعبى (٤).

و رواه (أمالى الشيخ المفيد - الأمالى - ص ٧٩ تا ٨٢ المفيد) أيضا عن الشعبى عن صعصعه (٥).

و أما روايه (الاختصاص الشيخ المفيد - الاختصاص - ص ٧٩ و ٨٠) (٦) المنسوب إلى المفيد أيضا فنسبته غير

ص: ٢١٠

١ - ١) الزمر: ٣٢-٣٣. [١]

٢ - ٢) كتاب الفواتح للمبدي، مخطوط.

٣ - ٣) تاريخ الطبرى ٩٦: ٥، سنة ٣٨. [٢]

٤ - ٤) الغارات ٢٦٣: ١-٢٦٦. [٣]

٥ - ٥) الأمالى للمفيد: ٧٩-٨٢ عن إبراهيم بن محمد الثقفى، و فى الاختصاص عن الشعبى.

٦ - ٦) الاختصاص: ٧٩-٨٠.

معلومه، حيث إنّ كتب المفيد طرزها غير طرزها. وخير (الاختصاص) غير صحيح، حيث تضمّن قتل محمّد بن أبى بكر قبل الأشتر، وهو خلاف الواقع (١).

قوله عليه السّلام: «من عبد الله على أمير المؤمنين» روى الكنجي الشافعي بإسناده عن ابن عباس قال: قال النّبي صلّى الله عليه وآله وسلّم: ما أنزل الله تعالى آية فيها «يا أيّها الذين آمنوا» إلّا وعلى رأسها وأميرها (٢)! «إلى القوم الذين غضبوا لله» مدحه عليه السّلام أهل مصر مع كونهم قتله عثمان بأنهم غضبوا لله، دالّ على كون قتل عثمان عملا مرضيًا عند الله تعالى فضلا عن إباحته.

وفي (الطبري): ذكر في سبب مسير المصريين إلى عثمان، ونزولهم ذا خشب أمور كثيرة، ومنها ما أعرضت عن ذكره كراهه منّي ذكره، لبشاعته (٣).

وقال أيضا: قد ذكرنا كثيرا من الامور التي ذكر قاتلوه أنهم جعلوها ذريعه إلى قتله، فأعرضنا عن ذكر كثير منها، لعل دعوت إلى الإعراض عنها (٤).

قلت: العجب من الرجل يستقصي روايات السري عن شعيب، عن سيف مع أنّ أكثرها مفتعله قطعاً، ويترك كثيرا من روايات المدائني والواقدي وغيرهما ممّن اتفق على جلاله وصحة رواياته.

وقال ابن أبى الحديد: هذا الفصل من كلامه يشكل على تأويله، لأنّ أهل مصر هم الذين قتلوا عثمان، وإذا شهد أمير المؤمنين عليه السّلام أنهم غضبوا لله

ص: ٢١١

١ - ١) لا - يخفى أنّ في تاريخ قتلها - رضوان الله عليهما - اختلافا ولا يسمح المقام ذكر ذلك. انظر تاريخ يعقوبي ٢: ١٩٤، [١] تاريخ الطبري ٥: ٩٤، سنة ٣٨، [٢] مروج الذهب ٢: ٤٢٠، [٣] أسد الغابه ٤: ٣٢٤، الإصابه ٣: ٤٨٢، الأعلام ٥: ٢٥٩ و ٥: ٢١٩ - ٦: ٢٢٠. [٤]

٢ - ٢) كفايه الطالب: ١٣٩ - ١٤٠، [٥] نظم درر السمطين: ٨٩. [٦]

٣ - ٣) تاريخ الطبري ٤: ٣٥٦، سنة ٣٥. [٧]

٤ - ٤) تاريخ الطبري: ٣٦٥، سنة ٣٥. [٨]

حين عصى فى الأرض، فهذه شهاده قاطعه على عثمان بالعصيان، وإتيان المنكر (١).

ثم ذكر ابن أبى الحديد تأويلا ركيكا (٢). و لو صحَّ تأويله لم يكن فى الدنيا أمر باطل. «أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ» (٣) و من لم ينفعه عيان لا يفيد به برهان.

«حين عصى فى أرضه» فى (الطبرى): كتب أهل مصر بالسقيا أو بذى خشب إلى عثمان بكتاب، فجاء به رجل منهم حتى دخل به عليه، فلم يردّ عليه شيئا، فأمر به فاخرج من الدار، و كان أهل مصر الذين ساروا إلى عثمان ستمائه رجل على أربعة ألويه لها رءوس أربعة، مع كلّ رجل منهم لواء، و كان جماع أمرهم إلى عمرو بن بديل بن ورقاء الخزاعى - و كان من أصحاب النّبى صلّى الله عليه و آله و سلّم - و إلى عبد الرحمن بن عديس التّجيبى، فكان فى ما كتبوا إليه: بسم الله الرحمن الرحيم، أما بعد، فاعلم «إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ» (٤). فالله الله! ثمّ الله الله! فإنّك على دنيا فاستتمّ إليها معها آخره، و لا تنس (لا تلبس) نصيبك من الآخرة، فلا تسوغ لك الدنيا. و اعلم (أنا) و الله لله غضب، و فى الله نرضى، و أنا لن نضع سيوفنا عن عواتقنا حتى تأتينا منك توبه مصرّحه، أو ضلاله مجلّحه مبلّجه. فهذه مقاتلتنا لك، و قضيتنا إليك، و الله عذيرنا منك (٥).

«و ذهب بحقه» فى (الطبرى): خرجت عائشه إلى مكّه و عثمان محصور،

ص: ٢١٢

١- ١) شرح ابن أبى الحديد ١٥٦: ١٦. [١]

٢- ٢) المصدر نفسه: ١٥٧.

٣- ٣) الجاثية: ٢٣. [٢]

٤- ٤) الرعد: ١١. [٣]

٥- ٥) تاريخ الطبرى ٣٦٩: ٤، سنة ٣٥. [٤]

فقدم عليها رجل يقال له أخضر، فقالت: ما صنع الناس؟ فقال: قتل عثمان المصريين. قالت عائشه: إنا لله و إنا إليه راجعون! أ يقتل عثمان قوما يطلبون الحق و ينكرون الظلم! والله لا نرضى بهذا. ثم قدم آخر فقالت عائشه له: ما صنع الناس؟ قال: قتل المصريون عثمان. قالت: العجب لأخضر، زعم أن المقتول هو القاتل! فكان يضرب به المثل: أكذب من أخضر (١).

قلت: أخضر أيضا ما كذب. أراد عثمان قتل المصريين، فكتب سرّاً إلى ابن أبي سرح بقتلهم، إلا أن لم يرد ذلك، فأوأ رسوله و كتابه معه بذلك، فرجعوا و قتلوه (٢).

«فضرب الجور سرادقه على البرّ و الفاجر و المقيم» أي: البلديّ.

«و الظاعن» أي: الغريب المرتحل.

في (الطبري): قال محمّد بن السائب الكلبيّ: إنّما ردّ أهل مصر إلى عثمان بعد انصرافهم عنه أنه أدركهم غلام لعثمان على جمل له بصحيفه إلى أمير مصر أن يقتل بعضهم، و يصلب بعضهم. فلما أتوا عثمان، قالوا: هذا غلامك؟ قال: هذا غلامي انطلق بغير علمي. قالوا: جملك. قال: اخذ من الدار بغير أمرى. قالوا: خاتمك. قال: نقش عليه. فقال ابن عديس التجيبيّ حين أقبل أهل مصر:

أقبلن من بلييس و الصعيد خوصا كأمثال القسيّ قود

مستحقات حلق الحديد يطلبن حقّ الله في الوليد

و عند عثمان و في سعيد يا ربّ فارجعنا بما نريد (٣)

ص: ٢١٣

١-١ (١) تاريخ الطبري ٤:٤٤٩، سنة ٣٦. [١]

٢-٢ (٢) المصدر نفسه ٤:٣٦٧-٤:٣٦٨، سنة ٣٥.

٣-٣ (٣) تاريخ الطبري ٤:٣٦٨، سنة ٣٥. [٢]

و عن سفيان بن أبي العوجاء: قدم المصريون القدمه الأولى، فكلم عثمان بن محمّد بن مسلمه، فخرج في خمسين راكبا من الأنصار، فأتوهم بذي خشب فردّهم، و رجع القوم حتّى إذا كانوا بالبويب، وجدوا غلاما لعثمان معه كتاب إلى عبد الله بن سعد، فكروا، فأنتهوا إلى المدينة، و قد تخلف بها من الناس الأشتر و حكيم بن جبله، فأتوا بالكتاب، فأنكر عثمان أن يكون كتبه، و قال: هذا مفتعل. قالوا: فالكتاب كتاب كاتبك! قال: أجل، و لكنّه كتب بغير أمرى. قالوا: فإنّ الرسول الذى وجدنا معه الكتاب غلامك، قال: أجل، و لكنّه خرج بغير إذنى. قالوا: فالجمل جملك. قال: أجل، و لكنّه اخذ بغير علمى. فقالوا:

ما أنت إلاّ صادق أو كاذب، فإن كنت كاذبا فقد استحققت الخلع، لما أمرت به من سفك دماننا بغير حقّها، و إن كنت صادقا فقد استحققت أن تخلع لضعفك و غفلتك و خبث بطانتك، لأنّه لا- ينبغى لنا أن نترك على رقابنا من يقطع مثل هذا الأمر دونه لضعفه و غفلته. و قالوا له أيضا: إنك ضربت رجالا من أصحاب النّبى صلّى الله عليه و آله و سلّم حين يعظونك و يأمرونك بمراجعه الحقّ عند ما يستنكرون من أعمالك، فأقد من نفسك من ضربته و أنت له ظالم. فقال: الإمام يخطىء و يصيب، فلا أقيد من نفسى، لأنّى لو أقدت كلّ من أصبته بخطأ أتى على نفسى، و قالوا له: إنك أحدثت أحداثا عظيمة (عظاما) فاستحققت بها الخلع، فإذا كلّمت فيها أعطيت التوبه ثم عدت إليها و إلى مثلها، ثم قدمنا عليك فأعطينا التوبه و الرجوع إلى الحقّ، و لا منا فيك محمّد بن مسلمه، و ضمن لنا ما حدث من أمره، فأخفرتة فتبرّأ منك، و قال: لا أدخل فى أمره. فرجعنا أول مرّه لنقطع حجّتك و نبلغ أقصى الإعذار إليك، و نستظهر بالله عزّ و جلّ عليك، فلحقنا كتاب منك إلى عاملك (علينا) تأمره فينا بالقتل و القطع و الصلب. و زعمت أنّه كتب بغير علمك. و هو مع غلامك و على جملك و بخطّ كاتبك و عليه خاتمك، فقد

وقعت عليك بذلك التهمة القبيحة، مع ما بلونا منك قبل ذلك من الجور في الحكم، والأثره في القسمه (القسم) والعقوبه للأمر بالقسط، وإظهار التوبه، ثم الرجوع إلى الخطيئه- إلى أن قال بعد ذكر قول عثمان لهم: إنه يتوب- قالوا: إن كان هذا أول حدث أحدثته ثم تبت منه و لم تقم عليه، لكان علينا أن نقبل منك، و لكنّه قد كان منك من الأحداث قبل هذا ما قد علمت- إلى أن قال:- ثم انصرفوا عنه و آذنوه بالحرب، و أرسل عثمان إلى محمد بن مسلمه أن يردهم، فقال:

و الله لا أكذب الله في سنه مرتين (١).

قلت: صدق المصريون في استحقاق عثمان للخلع، إن صدق أن بعث كتاب بخط كاتبه على جملة مع غلامه بخاتمه في الأمر بقتل بعض، و قطع بعض، و صلب بعض بدون جنايه كان بغير علمه، و إن كان كذب فيه. فيشهد به عقل كل عاقل ملحد أو موحد. فما وجه قول إخواننا بإمامته مع أن كذبه كان أمرا بينا؟ فلو كان بغير علمه كيف لم يستعظم ذلك، و لم لا يؤاخذ غلامه بذلك؟ و في (الطبرى) أيضا: لما سمع عثمان بوفد أهل مصر، استقبلهم، و كان في قريه له، فقالوا له: ادع بالمصحف. فدعا به. فقالوا له: افتح السابعة- و كانوا يسمون سوره يونس السابعة- فقرأها حتى أتى على قوله تعالى: «قُلْ أَرَأَيْتُمْ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ لَكُمْ مِنْ رِزْقٍ فَجَعَلْتُمْ مِنْهُ حَرَامًا وَ حَلَالًا- قُلْ آللَّهُ أَذِنَ لَكُمْ أَمْ عَلَى اللَّهِ تَفْتَرُونَ» (٢) قالوا له: قف. أ رأيت ما حميت من الحمى؟ الله أذن لك- إلى أن قال- ثم أخذوه بأشياء لم يكن عنده منها مخرج. فعرفها، فقال: استغفر الله، فأخذوا ميثاقه- إلى أن قال- ثم رجع الوفد المصريون راضين، فبيناهم

ص: ٢١٥

١- (١) تاريخ الطبرى ٣٧٥:٤-٣٧٧، سنه ٣٥، و [١] نقله الشارح بتصرف و تلخيص.

٢- (٢) يونس: ٥٩. [٢]

فى الطرىق إذا هم براكب... (١).

«فلا- معروف يستراح إليه، و لا- منكر يتناهى عنه» فى (الطبرى): لما قال المصرىون لعثمان: ما هذا الكتاب الذى كتبت فى قتلنا؟ و أنكروه، قالوا: إنا لا نعجل عليك، و إن كنا قد اتهمناك، اعزل عنا عمالك الفساق، و استعمل علينا من لا يتهم على دمائنا و أموالنا، و اردد علينا مظالمنا.

قال عثمان: إذن ما أرانى فى شىء إن كنت أستعمل من هويتهم، و أعزل من كرهتم إذن الأمر أمركم إقالوا: و الله لتفعلن أو لتعزلن أو لتقتلن، فانظر لنفسك أو دع فأبى عليهم و قال: لم أكن لأخلع سربالا سربليه الله. فحصره أربعين ليله (٢).

قلت: لعمر الله ذاك السربال لم يسربله الله، بل سربله عمر بتدبير الشورى شكرا له بما كتب عن أبى بكر فى غشوته استخلافه له.

٧

الخطبه (١٦٤)

و من كلام له عليه السلام: قالوا: لما اجتمع الناس عليه، و شكوا ما نغموه على عثمان، و سالوه مخاطبته عنهم و استعتابه لهم، فدخل عليه، فقال:

إِنَّ النَّاسَ وَرَائِي - وَقَدْ اسْتَشَفَرُونِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُمْ - وَ اللَّهُ مَا أَدْرِي مَا أَقُولُ لَكَ - مَا أَعْرَفُ شَيْئًا تَجْهَلُهُ - وَ لَا أَدُلُّكَ عَلَى شَيْءٍ
لَا تَعْرِفُهُ - إِنَّكَ لَتَعْلَمُ مَا نَعْلَمُ - مَا سَبَقْنَاكَ إِلَى شَيْءٍ فَخُبِّرْكَ عَنْهُ - وَ لَا خَلَوْنَا بِشَيْءٍ فَبَلِّغْكَه - وَ قَدْ رَأَيْتَ كَمَا رَأَيْنَا وَ سَمِعْتَ
كَمَا سَمِعْنَا - وَ صَحِبْتَ رَسُولَ

ص: ٢١٦

١- ١) تاريخ الطبرى ٣٥٤:٤-٣٥٥، سنه ٣٥، و [١] نقله الشارح بتصرف و تلخيص.

٢- ٢) المصدر نفسه ٣٧١:٤، سنه ٣٥.

اللَّهِ ص؟ كَمَا صَحَبْنَا- وَمَا؟ ابْنُ أَبِي قُحَيْفَةَ؟- وَلَا؟ ابْنُ الْخَطَّابِ؟ بِأَوْلَى بِعَمَلِ الْحَقِّ مِنْكَ- وَأَنْتَ أَقْرَبُ إِلَيَّ؟ رَسُولِ اللَّهِ ص؟ وَشَيْخَهُ رَحِمَ مِنْهُمَا- وَقَدْ نَلْتِ مِنْ صِهْرِهِ مَا لَمْ يَنَالَا فَاللَّهُ اللَّهُ فِي نَفْسِكَ- فَإِنَّكَ وَاللَّهِ مَا تُبَصِّرُ مِنْ عَمَى- وَلَا تُعَلِّمُ مِنْ جَهْلٍ- وَإِنَّ الطَّرِيقَ لَوَاضِحَةٌ وَ إِنْ أَعْلَامَ السُّنَنِ لَقَائِمَةٌ- فَاعْلَمْ أَنَّ أَفْضَلَ عِبَادِ اللَّهِ عِنْدَ اللَّهِ إِمَامٌ عَادِلٌ- هُدَى وَ هَدَى فَاقَامَ سُنَّةَ مَعْلُومَةٍ- وَ أَمَاتَ بِدَعَاةٍ مَجْهُولَةٍ- وَ إِنْ السُّنَنُ لَكَثِيرَةٌ لَهَا أَعْلَامٌ- وَ إِنْ الْبِدْعَ لظَاهِرَةٌ لَهَا أَعْلَامٌ- وَ إِنْ شَرَّ النَّاسِ عِنْدَ اللَّهِ إِمَامٌ جَائِرٌ ضَلَّ وَ ضَلَّ بِهِ- فَأَمَاتَ سُنَّةَ مَاخُودَةٍ وَ أَحْيَا بِدَعَاةٍ مَثْرُوكَةٍ- وَ إِنِّي سَمِعْتُ؟ رَسُولَ اللَّهِ ص؟ يَقُولُ- يُؤْتَى يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِالْإِمَامِ الْجَائِرِ- وَ لَيْسَ مَعَهُ نَصِيرٌ وَ لَا عَازِرٌ- يُلْقَى فِي نَارِ جَهَنَّمَ فَيَدُورُ فِيهَا كَمَا تَدُورُ الرَّحَى- ثُمَّ يَرْتَبُطُ فِي قَعْرِهَا- وَ إِنِّي أَنْشُدُكَ اللَّهُ أَلَّا تَكُونَ إِمَامَ هَذِهِ الْأُمَّةِ الْمَقْتُولِ- فَإِنَّهُ كَانَ يُقَالُ- يُقْتَلُ فِي هَذِهِ الْأُمَّةِ إِمَامٌ يَفْتَحُ عَلَيْهَا الْقَتْلَ- وَ الْقِتَالَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ- وَ يَلْبَسُ أُمُورَهَا عَلَيْهَا وَ يُنْبِثُ الْفِتْنَ فِيهَا- فَلَا يُبَصِّرُونَ الْحَقَّ مِنَ الْبَاطِلِ- يَمُوجُونَ فِيهَا مَوْجًا وَ يَمْرُجُونَ فِيهَا مَرْجًا- فَلَا تَكُونَنَّ؟ لِمَرْوَانَ؟ سَيِّقَهُ يَسُوقُكَ حَيْثُ شَاءَ بَعْدَ جَلَالِ السُّنَنِ- وَ تَقْضَى الْعُمُرَ فَقَالَ لَهُ؟ عُثْمَانُ؟ كَلَّمَ النَّاسَ فِي أَنْ يُوجِّلُونِي- حَتَّى أَخْرَجَ إِلَيْهِمْ مِنْ مَظَالِمِهِمْ- فَقَالَ ع- مَا كَانَ؟ بِالْيَدِينِ؟ فَلَا- أَحِلَّ فِيهِ- وَ مَا غَابَ فَأَجَلُهُ وَصُولُ أَمْرِكَ إِلَيْهِ أَقُولُ: رواه المدائني ١١ المدائني- كتاب المدائني - - كما في (جمل ٢ الشيخ المفيد- الجمل- ص ١٨٧ و ١٨٨ المفيد)- عن علي بن صالح قال: ذكر

ابن دأب أنّه لَمَّا عاب الناس على عثمان ما عابوا، كَلَّمُوا عَلِيًّا عَلَيْهِ السَّلَامُ فِيهِ فَدَخَلَ عَلَيْهِ... (١).

و رواه (العقد الفريد -العقد الفريد-ج ٥ ص ٥٨) مختصرا عن ابن دأب أيضا (٢).

و رواه الطبري الطبري-تاريخ الطبري-ج ٤ ص ٣٣٧، سنة ٣٤ في ثلاث روايات: روى في إحداها صدره إلى قوله عليه السلام:

«فلا تكوننّ لمروان سيّقه» (٣). و في اخرى قوله عليه السلام: «فلا تكوننّ»... و في ثالثة قوله عليه السلام: «ما كان بالمدينه»...

ففيه: زعم الواقدي أنّ عبد الله بن محمد حدّثه عن أبيه، قال: لَمَّا كَانَتْ سَنَهُ (٣٤) كَتَبَ أَصْحَابُ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ: أَنْ أَقْدَمُوا، فَإِنْ كُنْتُمْ تَرِيدُونَ الْجِهَادَ فَعِنْدَنَا الْجِهَادُ. وَ كَثُرَ النَّاسُ عَلَى عُثْمَانَ، وَ نَالُوا مِنْهُ أَقْبَحَ مَا نِيلَ مِنْ أَحَدٍ، وَ أَصْحَابُ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ يَرُونَ وَ يَسْمَعُونَ، لَيْسَ فِيهِمْ أَحَدٌ يَنْهَى وَ لَا يَذَبُ -أى عن عثمان- إِلَّا نَفِيرٌ، زَيْدُ بْنُ ثَابِتٍ، وَ أَبُو أُسَيْدٍ السَّاعِدِيُّ، وَ كَعْبُ بْنُ مَالِكٍ وَ حَسَّانُ. فَاجْتَمَعَ النَّاسُ، وَ كَلَّمُوا عَلِيًّا عَلَيْهِ السَّلَامُ. فَدَخَلَ عَلَى عُثْمَانَ فَقَالَ: «النَّاسُ وَرَائِي، وَ قَدْ كَلَّمُونِي فِيكَ، وَ اللَّهُ مَا أَدْرِي مَا أَقُولُ لَكَ إِلَى «و يمرجون مرجا» مثله مع اختلاف يسير. ثمّ بعده: فقال له عثمان: قد و الله علمت، ليقولنّ الذى قلت، أما و الله لو كنت مكانى ما عنفتك، و لا أسلمتكم، و لا عبت عليك، و لا جئت منكرا أن وصلت رحما، و سددت خله، و آويت ضائعا، و وليت شبيها بمن كان عمر يولّى. أنشدك الله يا على، هل تعلم أنّ المغيره بن شعبه ليس هناك؟! قال:

نعم. قال: فتعلم أنّ عمر و لاه؟ قال: نعم. قال: فلم تلومنى أن وليت ابن عامر فى رحمه و قرابته؟ قال على عليه السلام: سأخبرك، إنّ عمر كان كلّ من ولى فإنما يظأ

ص: ٢١٨

[١-١] (١-١) الجمل: ١٨٧-١٨٨. [١]

[٢-٢] (٢-٢) العقد الفريد ٥٨: ٥.

[٣-٣] (٣-٣) تاريخ الطبري ٣٣٧: ٤، سنة ٣٤.

على صماخه، و إن بلغه عنه حرف جلبة، ثم بلغ به أقصى الغايه، و أنت لا تفعل، ضعفت و رقت (رفقت) على أقربائك.

قال عثمان: هم أقرباؤك أيضا. فقال علي عليه السلام: لعمرى إن رحمهم منى لقريبه، و لكنّ الفضل في غيرهم. قال عثمان: هل تعلم أنّ عمر ولى معاويه خلافته كلها؟ فقد وليته. فقال علي عليه السلام: أنشدك الله هل تعلم أنّ معاويه كان أخوف من عمر من يرفأ غلام عمر منه؟ قال: نعم. قال علي عليه السلام: فإنّ معاويه يقتطع الامور دونك و أنت لا تعلمها (تعلمها) فيقول للناس: هذا أمر عثمان، فيبلغك و لا تغير على معاويه.

ثم خرج علي عليه السلام من عنده، و خرج عثمان على أثره، فجلس على المنبر و قال: إنّ لكلّ شيء آفه، و لكلّ أمر عاهه، و إنّ آفه هذه الآفّه، و عاهه هذه النعمه، عيّابون طعانون، يرونكم ما تحبون، و يسرون ما تكرهون، يقولون لكم و تقولون، أمثال النعام يتبعون أول ناعق، أحبّ مواردها إليها البعيد، لا يشربون إلّا نغصا و لا يردون إلّا عكرا، لا يقوم لهم رائد، و قد أعيتهم الامور، و تعدّرت عليهم المكاسب. أما (ألا - فقد) و الله عبتم علي بما أقررتم لابن الخطاب بمثله، و لكنّه وطأكم برجله، و ضربكم بيده، و قمعكم بلسانه، فدنتم له على ما أحببتم أو كرهتم، و لنت لكم، و أوطأت لكم كتفى، و كففت يدي و لسانى عنكم، فاجترأتم على. أما و الله أنا لأعزّ (لأنا أعزّ) نفرا، و أقرب ناصرا، و أكثر عددا، و أقمن إن قلت هلمّ (أتى) إلى، و لقد أعددت لكم أقرانكم، و أفضلت عليكم فضولا، و كشرت لكم عن نابى، و أخرجتم منى خلقا لم أكن أحسنه، و منطلقا لم أنطق به، فكفّوا عليكم ألسنتكم، و طعنكم و عيبكم على و لا تكلمكم، فإننى قد كففت عنكم من لو كان هو الذى يكلمكم لرضيتم منه بدون منطقى هذا. ألا فما تفقدون من حقكم؟ و الله ما قصرت فى بلوغ ما كان يبلغ من كان قبلى، و من لم

تكونوا تختلفون عليه و أفضل (فضل فضل من مال)، فمالى لا أصنع فى الفضل ما اريد! فلم كنت إماما! فقام مروان فقال: إن شئتم حكّما و الله بيننا و بينكم السيف، نحن و الله و أنتم كما قال الشاعر:

فرشنا لكم أعراضنا فنبت بكم معارسكم تبون فى دمن الثرى (١)

قول المصنف: «و من كلام له عليه السّلام» زاد فى (ابن أبى الحديد):

«لعثمان» (٢). و لعله كان حاشيه خلط بالمتن، فليس فى (ابن ميثم) (٣) و نسخه نهجه كانت بخط مصنفه.

«لَمَّا اجتمع الناس عليه» هكذا فى (المصريه) (٤)، و الصواب: «إليه» كما فى (ابن ميثم) (٥). لكن فى (ابن أبى الحديد) بدل الكلام: «قالوا لَمَّا اجتمع الناس إلى أمير المؤمنين عليه السّلام» (٦).

«و شكوا ممّا نقموه على عثمان» هكذا فى (المصريه) (٧)، و فى (ابن ميثم): «و شكوا ما نقموه على عثمان» (٨). و فى (ابن أبى الحديد): «و شكوا إليه ما نقموه على عثمان» (٩).

«و سألوه مخاطبته عنهم» ليس فى (ابن أبى الحديد) كلمه «عنهم» (١٠).

ص: ٢٢٠

١- (١) تاريخ الطبرى ٣٣٦:٤-٣٣٩، سنه ٣٤. [١]

٢- (٢) شرح ابن أبى الحديد ٩:٢٦١. [٢]

٣- (٣) شرح ابن ميثم ٣:٣٠١. [٣]

٤- (٤) نهج البلاغه ٢:٨٤. [٤]

٥- (٥) فى شرح ابن ميثم ٣:٣٠١ أيضا: «عليه».

٦- (٦) شرح ابن أبى الحديد ٩:٢٦١. [٥]

٧- (٧) نهج البلاغه ٢:٨٤. [٦]

٨- (٨) فى شرح ابن ميثم ٣:٣٠١ أيضا: «[٧] ممّا».

٩- (٩) شرح ابن أبى الحديد ٩:٢٦١. [٨]

١٠- (١٠) المصدر نفسه.

«و استعتابه» أى: طلب رجوعه عن أعماله الشنيعة.

«لهم فدخل عليه» و فى (ابن أبى الحديد): «على عثمان» (١).

«فقال» كالتأكيد لقوله «و من كلام له» فلو أسقط لم يكن الكلام ناقصا.

قوله عليه السلام: «إنّ الناس ورائى» ليس كلمه «ورائى» فى نسخه (ابن ميثم) (٢).

«و قد استسفرونى» أى: اتخذونى سفيرا، أى: رسولا.

«بينك و بينهم. و واللّه» و فى (ابن ميثم): «و اللّه» (٣).

«ما أدرى ما أقول لك» لأنّ التنبيه على قبح الظلم و الجور تنبيه على البديهيّات .

«ما أعرف شيئا تجهله و لا أدلّك على شىء» هكذا فى (المصريه) (٤) و الصواب: «على أمر» كما فى (ابن أبى الحديد (٥)، و الخطيّه).

«لا تعرفه. إنك لتعلم ما نعلم، ما سبقناك إلى شىء فنخبرك عنه، و لا خلونا بشىء فنبلغك، و قد رأيت كما رأينا، و سمعت كما سمعنا، و صحبت رسول الله صلّى الله عليه و آله و سلّم كما صحبتنا» .

قال ابن أبى الحديد: أقسم عليه السّلام فى قوله: «و اللّه...» على أنّه لا يعرف أمرا يجهله عثمان، أى: من هذه الأحداث خاصّه. و هذا حقّ، لأنّ علينا عليه السّلام لم يكن يعلم منها ما يجهله عثمان، بل كان أحداث الصبيان فضلا عن العقلاء

ص: ٢٢١

١-١) شرح ابن أبى الحديد ٩:٢٦١. [١]

٢-٢) فى شرح ابن ميثم ٣:٣٠٢ «[٢] ورائى» أيضا.

٣-٣) فى شرح ابن ميثم ٣:٣٠٢ «و [٣] اللّه» أيضا.

٤-٤) نهج البلاغه ٢:٨٤. [٤]

٥-٥) شرح ابن أبى الحديد ٩:٢٦١. [٥]

والمميزين، يعلمون وجهي الصواب و الخطأ فيها (١).

قلت: الأمر كما ذكر من أنّ المراد أنّ عثمان كان يعلم كما يعلم أمير المؤمنين عليه السّلام و باقى الناس: أنّ أعماله من بذل بيت مال المسلمين، و بذل الأخماس حقوق أهل بيت النّبىّ صلى الله عليه و آله و سلّم لأقاربه من بنى اميّة أعداء النّبىّ و أعداء الدين (٢)، و ردّه عمّه الحكم بن أبى العاص طريد رسول الله صلى الله عليه و آله و سلّم (٣)، و توليه أخيه لامّه الوليد بن عقبه الفاسق بنصّ القرآن بإجماع الامّة، و الذى كان يشرب الخمر و يصلّى الصبح فى حال السكر بالناس أربعا، و يغنى فى الصلاة، و يتكلم فيها، و يقول للناس: إن تحبّوا الزيادة على أربع ركعات أزيدكم (٤)، و توليته ابن أبى سرح الذى كان النّبىّ صلى الله عليه و آله و سلّم أباح دمه، و أمر بقتله و لو رأوه متعلّقا بأستار الكعبة (٥)، أمور منكره يعلمها جميع الناس حتّى النساء و الصبيان إلاّ أنّه كان يغالط فأجاب أمير المؤمنين عليه السّلام بأنّه لو كان مكانه و فعل ما أنكر عليه، ما عابه. فمع كونه من المحالات فإنّه عليه السّلام هو الذى عامل مع أخيه لمّا طلب زياده صاع برّ على حقّه ما عامل (٦)، و على فرضه فهو أيضا من عدم مبالاة بالدين و إلاّ فإنكار المنكر واجب، و سمّى إركابه أعداء الدين على رقاب الناس صله رحم! و مجرد مودّه أرحام مثلهم منكر. أ لم يقل جلّ و علا: «لا تجد قوما يؤمنون بالله و اليوم الآخر يؤادون من حادّ الله»

ص: ٢٢٢

١- ١) شرح ابن أبى الحديد ٢٦٢:٩-٢٦٣. [١]

٢- ٢) أنساب الأشراف، الإمامه و السياسة ١:٣٢، تاريخ يعقوبى ٢:١٧٣، الأغاني ٢٦٨:٦-٢٦٩. [٢]

٣- ٣) تاريخ يعقوبى ٢:١٧٣، [٣] الطبقات الكبرى ٥:٤٤٧، [٤] الاستيعاب ١:٣١٧-٣١٩، [٥] الشافى فى الإمامه ٤:٢٢٨.

٤- ٤) تاريخ يعقوبى ٢:١٧٣، [٦] مروج الذهب ٢:٣٤٣-٣٤٤. [٧]

٥- ٥) تاريخ الطبرى ٣:٥٨، سنه ٨. [٨]

٦- ٦) نهج البلاغه ٢:٢٤٣-٢٤٤، الخطبه ٢٢٤ و شرح ابن أبى الحديد ٤:٩٢.

«وَرَسُولُهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ» (١)؟ و سَمِيَ تمكينهم من «خضم مال الله خضم الإبل نبتة الربيع» (٢) سدّ خله الأرحام (٣)، و سَمِيَ ردّ من أمر الله رسوله بتبعيده إيواء ضائعهم (٤)، و توليه من كان مثل المغيره من ولّاه عمر (٥).

و ما أبلهه حيث أراد مغالطه مثل أمير المؤمنين عليه السلام، المتممّ في ذات الله بتلك المغالطات.

و توليه عمر المغيره أيضا كان أمرا منكرا، فكان نفاقه و خبثه أمرا بينا.

و لذا قال عثمان له عليه السلام: «هل تعلم أن المغيره ليس هناك» (٦) إلاّ أنّه عليه السلام لعدم تمكّنه من تخطئه عمر ما شاه بأن قال له: «إنّ عمر إن كان بلغه عمّن ولّاه حرف جلبه ثمّ بلغ به أقصى الغايه، و أنت لا تفعل» (٧) إلاّ أنّ عمر كان يجلب من بلغه عنه حرف، سياسه لا- ديانه، فإن لم يكن له داع فيه عزله و صادره و عاقبه، و إلاّ فيعمل معه عملا يمّوه به على الناس، فجلب المغيره من صادره و عاقبه، و إلاّ فيعمل معه عملا يمّوه به على الناس، فجلب المغيره من البصره لَمّا شهدوا عليه بالزنا، إلاّ أنّه لاحتياجه إلى دهائه منع الشاهد الرابع- هو زياد- عن أداء شهادته عليه بالزنا كامله، و ضرب باقي الشهود. ثمّ ولّاه الكوفه، فصار غضب عمر على المغيره بعزله عن البصره

ص: ٢٢٣

١-١ (١) المجادل: ٢٢. [١]

٢-٢ (٢) من الخطبه ٣ (الشقشقيته)، انظر نهج البلاغه ١: ٣٠. و [٢] قال ابن الأثير في النهاية ٢: ٤٤، [٣] في حديث عليّ رضي الله عنه «فقام إليه بنو اميّه يخضمون مال الله خضم الإبل نبتة الربيع». الخضم: الأكل بأقصى الأضراس.

٣-٣ (٣) الشافى في الإمامه ٤: ٢٧٥، شرح ابن أبي الحديد ٣: ٣٦. [٤]

٤-٤ (٤) تاريخ الطبرى ٤: ٣٣٨، سنه ٣٤، [٥] شرح ابن أبي الحديد ٩: ٢٦٤، [٦] بحار الأنوار، ط الكمباني ٨: ٣٢٣.

٥-٥ (٥) المصدر نفسه.

٦-٦ (٦) تاريخ الطبرى ٤: ٣٣٨، سنه ٣٤، [٧] شرح ابن أبي الحديد ٩: ٢٦٤. [٨]

٧-٧ (٧) تاريخ الطبرى ٤: ٣٣٨، سنه ٣٤. [٩]

و توليته الكوفه مثلاً بين الناس (١).

و كذلك الكلام فى توليه عمر لمعاويه، فإنه و إن كان أمير المؤمنين عليه السّلام ماشى عثمان فى جوابه «بأن معاويه كان أخوف من عمر من يرفأ غلام عمر منه، إلاّ- أنّ معاويه يقتطع الامور دونك» (٢) و إلاّ- فخوف معاويه من عمر إنّما كان لخوف عمر من معاويه، فكان معاويه لا يحسب عمر شيئاً لكونه فوقه فى الحسب لكونه من بنى عبد مناف، و عمر من عدّى و لا دهاء فوق دهائه.

فكان عمر يقول: تصفون دهاء كسرى و قيصر و عندكم فتى قريش معاويه! (٣) فكان عمر يدأقه كاملاً لئلاّ يزلزل أمره، و إلاّ فما فعل معاويه مع كونه من الشجره الملعونه من قيامه فى قبال أمير المؤمنين عليه السّلام كان بواسطه توليه عمر له، فكان يحتجّ به حتّى حمل بذلك أهل الشام على قتال أمير المؤمنين عليه السّلام (٤) الذى كان بمنزله نفس النّبى صلّى الله عليه و آله و سلّم بنصّ القرآن (٥).

و لكون توليته أمراً منكراً أنكر عليه السّلام على المغيره لمّا أشار عليه بعد بيعه الناس له بأن يبقى معاويه على إمارته على الشام لئلاّ يزلزل أمره، ثمّ يعزله، بأن قال عليه السّلام له: «ما كُنْتُ مُتَّخِذَ الْمُضِلِّينَ عَضُدًا» (٦).

ثمّ إنّ عثمان اقتصر فى الدفاع عن نفسه بأنّه إن ولى ابن عامر المنافق فقد ولى عمر المغيره المنافق، و إن ولى معاويه عدوّ الإسلام

ص: ٢٢٤

١- ١) انظر تاريخ الطبرى ٧٠: ٤-٧٢، سنه ١٧، [١] الأغانى ٩٥: ١٦-٩٩.

٢- ٢) تاريخ الطبرى ٣٣٨: ٤، سنه ٣٤، [٢] شرح ابن أبى الحديد ٢٦٥: ٩. [٣]

٣- ٣) تاريخ الطبرى: ٢٦٤-٣: ٢٦٥، دار الكتب العلميه.

٤- ٤) وقعه صفين: ٣٢. [٤]

٥- ٥) إشاره إلى آيه المباهله ٦١ من سوره آل عمران.

٦- ٦) وقعه صفين: ٥٢، [٥] شرح ابن أبى الحديد ٨٤: ٣ و الآيه ٥١ [٦] من سوره الكهف.

فقد ولّاه عمر طول خلافته (١).

و لم يمكنه أن يقول له عليه السّلام: إنّ عمر دبّر خلافتي في الشورى بحكمته ابن عوف مع علمه بأنّي أفعل ما أفعل، لعرفانه أخلاقي و تهالكى لبني أبي، بل قال ذلك لي صريحا.

و في (العقد): كان عليّ عليه السّلام كلّما اشتكى الناس أمر عثمان، أرسل ابنه الحسن إليه، فلما أكثر عليه قال له: إنّ أباك يرى أنّ أحدا لا يعلم ما يعلم، و نحن أعلم بما نفعل، فكفّ عنا! فلم يبعث عليّ عليه السّلام ابنه في شيء بعد ذلك (٢).

قلت: قوله عليه السّلام: «إنّك لتعلم ما نعلم» إشاره إلى كلام عثمان، فتسلّم عليه السّلام قول عثمان «إنّه يعلم ما يعلم هو» لكنّه غير مراده، و هذا في غايه اللطافه في جواب الخصم .

«و ما ابن أبي قحافه و لا ابن الخطّاب أولى» هكذا في (المصريه) (٣) و الصواب: «بأولى» كما في (ابن أبي الحديد و ابن ميثم (٤) و الخطيه).

«بعمل الحقّ منك» في (خلفاء ابن قتيبه): ذكروا أنّ ابن عباس قال: خرجت إلى المسجد فإني لجالس فيه مع عليّ عليه السّلام حين صلّيت العصر، إذ جاء رسول عثمان يدعو عليّا عليه السّلام فقال: انطلق معي. فأقبلت معه فإذا طلحه و الزبير و سعد و اناس من المهاجرين، فجلسنا فإذا عثمان عليه ثوبان أبيضان، فسكت القوم، و نظر بعضهم إلى بعض، فقال عثمان: إنّ ابن عمّي معاويه قد كان غائبا عنكم و عمّا نلتم منّي، و ما عاتبتموني، و قد سألتني أن يكلمكم - إلى أن قال:-

و خرج القوم و أمسك عثمان ابن عباس، و قال له: يا ابن عمّي و ابن

ص: ٢٢٥

١- (١) تاريخ الطبري ٣: ٣٣٨، ٤: ٣٤. [١]

٢- (٢) العقد الفريد ٥: ٥٨-٥٩. [٢]

٣- (٣) نهج البلاغه ٢: ٨٥.

٤- (٤) هكذا في شرح ابن أبي الحديد ٩: ٢٦١، و [٣] في شرح ابن ميثم ٣: ٣٠٢ أيضا: [٤] أولى.

خالتي، لم يبلغني عنك شيء أحبّه و لا شيء أكرهه، أنت لا عليّ و لا لي، و قد علمت أنّك رأيت بعض ما رأى الناس، فمنعك عقلك و حلمك من أن تظهر ما أظهروا، و قد أحببت أن تعلمني رأيك في ما بيني و بينك فأعتذر. فقال له ابن عباس: و الله لو ددت أنّك لم تفعل ما فعلت ممّا ترك الخليفان قبلك، فإن كان شيئاً تركاه لما رأيا أنّه ليس لهما علمت أنّه ليس لك كما لم يكن لهما، و إن كان ذلك لهما فتركاه خيفه أن ينال منهما مثل الذي نيل منك، تركته لما تركاه له، و لمن يكوننا أحقّ يا كرام أنفسهما منك يا كرام نفسك، قال: فما منعك أن تشير عليّ بهذا قبل أن أفعل ما فعلت؟ قال: و ما علمي أنّك تفعل ذلك قبل أن تفعل؟ قال: فهب لي صمتاً حتّى ترى رأيي (١).

و روى الطبري: أنّ محمّد بن أبي بكر لما قعد على صدر عثمان لقتله، و أخذ لحيته، قال له عثمان: ما كان أبوك ليقبض على ما قبضت عليه. فقال له محمّد بن أبي بكر: لو رآك أبي تعمل هذه الأعمال أنكرها عليك (٢).

و روى الزبير بن بكار أنّ عمر لثياً أتى بجوهر كسرى، و وضع في المسجد، فطلعت عليه الشمس فصار كالجمر، فقال لخازن بيت المال: ويلك (ويحك)! أرحني من هذا، و اقسمه بين المسلمين، فإنّ نفسي تحدّثني أنّه سيكون في هذا بلاء و فتنه بين الناس. فقال: إن أقسمته (قسّمته) بين المسلمين لم يسعهم، و ليس أحد يشتريه، لأنّ ثمنه عظيم، و لكن تدعه إلى قابل، فعسى الله أن يفتح على المسلمين بمال فيشتريه منهم من يشتريه. قال:

ارفعه و أدخله بيت المال.

ص: ٢٢٤

١- ١) الإمامه و السياسة ٢٩: ١-٣١، و [١] نقله الشارح بتلخيص.

٢- ٢) تاريخ الطبري ٣٩٣: ٤، سنة ٣٥. [٢]

و قتل عمر و هو بحاله، فأخذه عثمان لما ولي الخلافة فحلى به بناته (١).

«و أنت أقرب إلى رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم و شيجه» أي: اشتباك.

«رحم منهما» كان عثمان يجتمع مع النبي صلى الله عليه و آله و سلم في جدّه الرابع عبد مناف، و أبو بكر يجتمع معه صلى الله عليه و آله و سلم في جدّه السابع مّره بن كعب، و عمر في جدّه الثامن كعب بن لؤى، و كانت أم عثمان أروى بنت كريز، و أمها البيضاء بنت عبد المطلّب، فأّمه كانت من عبد شمس ابن عبد مناف، و أمه من هاشم، و أم أبي بكر كانت سلمى من تيم مثله، و أم عمر كانت حنتمه من مخزوم، فهو كان أقرب في النسب أمّا و أبا (٢).

«و قد نلت من صهره ما لم ينالا» فتزوج عثمان برقية، ثم بعد موتها بأم كلثوم بنتي النبي صلى الله عليه و آله و سلم، و كانتا قبله عند عتبه بن أبي لهب، و عتيبه بن أبي لهب.

و أبو بكر و عمر لم ينالا صهره منه صلى الله عليه و آله و سلم لكن تزوج صلى الله عليه و آله و سلم بابنتيهما و لم ينل ذلك عثمان.

هذا، و قال ابن أبي الحديد: قوله عليه السلام: «و أنت أقرب - إلى - ما لم ينالا» كلام موضع المثل: «يسر حسوا في ارتغاء»، و مراده تفضيل نفسه عليهما، لأنّ العله التي باعتبارها فضل عثمان عليهما محققه فيه و زياده، لأنّ له مع المنافيه الهاشميه (٣).

قلت: بل كلام ابن أبي الحديد موضع التهوع، أين أمير المؤمنين الذي هو كنفس النبي صلى الله عليه و آله و سلم و أين ابن أبي قحافه و ابن الخطاب و ابن عفان الذين لم يكن فيهم شيء سوى أن نالوا ملكا معجلا غضبا فتنه للناس؟ «هل يستوى»

ص: ٢٢٧

١-١ شرح ابن أبي الحديد ٩: ١٦. [١]

٢-٢ جمهره أنساب العرب لابن حزم الأندلسي: ١٥١، ١٥٠، ١٤٩، ١٤٤، ١٣٦، ١٣٥، ٧٥، ٧٤، ١٥، ١٣. [٢]

٣-٣ شرح ابن أبي الحديد ٩: ٢٦٣. [٣]

«الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ» (١) «أَمْ هَلْ تَسْتَوِي الظَّالِمَاتُ وَالنُّورُ» (٢) «فَمَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ» (٣).

«فَاللَّهُ اللَّهُ فِي نَفْسِكَ فَإِنَّكَ وَاللَّهُ مَا تَبَصَّرَ مِنْ عَمِي، وَ لَا تَعْلَمُ مِنْ جَهْلٍ، وَإِنَّ الطَّرِيقَ لَوَاضِحَهُ، وَإِنَّ أَعْلَامَ الدِّينِ» أَى: راياته.

«لِقَائِهِ» يبصرها كلُّ أحد.

فى (الطبرى): لَمَّا انصرف المصريون بواسطه على عليه السلام طلب من عثمان أن يتكلم بكلام يشهدون عليه بنزوعه و إنايته لثلاً يقدم ركب آخر لتمخض البلاد عليه، فخرج فخطب فقال: أيها الناس، والله ما عاب من عاب منكم شيئاً أجهله، و ما جئت شيئاً إلا و أنا أعرفه، و لكننى متنتى نفسى و كدبتنى، و ضلّ عنى رشدى، و لقد سمعت النبى صلى الله عليه و آله و سلم يقول: «من زلّ فليتب، و من أخطأ فليتب، و لا يتمادى فى الهلكه، إن من تمادى فى الجور كان أبعد من الطريق»، فأنا أول من اتعظ (٤).

«فاعلم» و فى (ابن ميثم): «و اعلم» (٥).

«أَنَّ أَفْضَلَ عِبَادِ اللَّهِ عِنْدَ اللَّهِ إِمَامٌ عَادِلٌ هَدَى وَ هُدِيَ، فَأَقَامَ سَنَّهُ مَعْلُومَةً، وَ أَمَاتَ بَدْعَهُ مَجْهُولَةً» قال تعالى: «وَ جَعَلْنَا هُمْ أُمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا وَ أَوْحَيْنَا إِلَيْهِمْ فِعْلَ الْخَيْرَاتِ وَ إِقَامَ الصَّلَاةِ وَ إِيتَاءَ الزَّكَاةِ وَ كَانُوا لَنَا عَابِدِينَ» (٦).

«وَ إِنَّ السَّنَّ لَتِيرُهُ» كالنجوم، و يقال للشمس و القمر: التيران.

ص: ٢٢٨

١- ١) الزمر: ٩. [١]

٢- ٢) الرعد: ١٦. [٢]

٣- ٣) يونس: ٣٥. [٣]

٤- ٤) تاريخ الطبرى ٣٦٠: ٤-٣٦١، سنة ٣٥. [٤]

٥- ٥) فى شرح ابن ميثم [٥] المطبوع ٣: ٣٠٢ أيضا فاعلم.

٦- ٦) الأنبياء: ٧٣. [٦]

«لها أعلام» أى: علائم فلا يمكن لأحد أن يدخل فيها البدع .

«و إنَّ البدع لظاهره» كالنار على المنار.

«لها أعلام» فلا يمكن لأحد أن يجعلها من السنن.

فبيت المال، السنّه فيه كانت معلومه من وجوب صرفه فى مصالح الإسلام و المسلمين، و بذل عثمان له لبنى اميّه أعداء الإسلام بدعه واضحه، و تسميه عثمان فعله صله الرحم مخزاه له، فإنّ مورد صله الرحم بذل الإنسان مال شخصه لرحمه الذى كان رضى الله فى صلته، و أمّا من كان من أعداء الله فلا يجوز إعطاؤه من ماله فضلا عن مال غيره .

«و إنَّ شرَّ الناس عند الله إمام جائر ضلّ و ضلّ به، فأمات سنّه مأخوذه، و أحيا بدعه متروكه» . قال تعالى: «وَجَعَلْنَاهُمْ أُمَّةً يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ وَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ لَا يُنصَرُونَ وَ أَتَّبَعْنَاهُمْ فِي هَذِهِ الدُّنْيَا لَعْنَةً وَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ هُمْ مِنَ الْمَقْبُوحِينَ» (١).

«و إنى سمعت رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم يقول: يؤتى يوم القيامة بالإمام الجائر و ليس معه نصير و لا عاذر. يلقى» هكذا فى (المصريه) (٢) و الصواب: «يلقى» كما فى (ابن أبى الحديد و ابن ميثم و الخطيه).

«فى نار جهنّم» و فى (ابن ميثم) (٣): «فى جهنّم» (٤).

«فيدور فيها كما تدور الرحي، ثم يرتبط فى قعرها» و فى نسخه (ابن ميثم):

«ثم يرتبك فى قعرها و يرتبط» (٥).

ص: ٢٢٩

١- ١) القصص: ٤١-٤٢. [١]

٢- ٢) نهج البلاغه ٢: ٨٥. [٢]

٣- ٣) هكذا فى شرح ابن أبى الحديد ٩: ٢٦١، و [٣] لكن فى شرح ابن ميثم ٣: ٣٠٢: أيضا [٤] يلقى.

٤- ٤) فى شرح ابن ميثم المطبوع ٣: ٣٠٢: أيضا فى نار جهنّم.

٥- ٥) فى شرح ابن ميثم [٥] المطبوع ٣: ٣٠٢: أيضا ثم يرتبط فى قعرها.

روى الثقفى فى (تاريخه) عن ابن عيّاس قال: استأذن أبو ذرّ على عثمان فأبى أن يأذن له، فقال لى: استأذن لى عليه، فرجعت فاستأذنت له عليه، قال:

إنّه يؤذنى. فقلت: عسى أن لا يفعل. فأذن له من أجلي، فلما دخل عليه قال: اتق الله يا عثمان، فجعل يقول لعثمان: اتق الله و عثمان يتوعّده، فقال أبو ذرّ: حدّثنى النّبىّ صلّى الله عليه وآله و سلّم أنّه يجاء بك و بأصحابك يوم القيامة فتبطحون على و جوهكم، فتمرّ عليكم البهائم فتطأكم، كلّما مرّت اخرها ردّت اولها حتّى يفصل بين الناس.

قال يحيى بن سلمه: فحدّثنى العرزمى أنّ فى هذا الحديث: «ترفعون حتّى إذا كنتم مع الثريا ضرب بكم على و جوهكم فتطأكم البهائم» (١).

ثمّ إنّ كلام أمير المؤمنين عليه السّلام واضح الدلالة على أنّ عثمان إمام جائر، قال النّبىّ صلّى الله عليه وآله و سلّم فيه ما قال، كما أنّ حديث أبى ذرّ صريح الدلالة فيه .

«و إنى أنشدك» بالفتح.

«الله» و فى (ابن ميثم): «يا عثمان إنى أنشدك الله» (٢).

«أن لا تكون» هكذا فى (المصريه) (٣) و الصواب: «أن تكون» كما فى (ابن أبى الحديد و ابن ميثم و الخطيبه) (٤).

«إمام هذه الامه المقتول، فإنّه كان يقال: يقتل فى هذه الامه إمام يفتح عليها» أى: على الامه.

«القتل و القتال إلى يوم القيامة» روى (سنن أبى داود) عن ثوبان مولى النّبىّ عنه صلّى الله عليه وآله و سلّم قال: إنى سألت ربّى لآمتى أن لا يهلكها بسنه بعامة، و لا يسّط

ص: ٢٣٠

١- ١) نقله عن الثقفى العلامة المجلسىّ فى بحار الأنوار ط الكمباني ٨: ٣٣٦. [١]

٢- ٢) فى شرح ابن ميثم [٢] المطبوع ٣: ٣٠٢: «و إنى أنشدك» أيضا.

٣- ٣) نهج البلاغه ٢: ٨٥. [٣]

٤- ٤) هكذا فى شرح ابن أبى الحديد ٩: ٢٦٢، و [٤] لكن فى شرح ابن ميثم [٥] المطبوع ٣: ٣٠٢: «أن لا تكون» أيضا.

عليهم عدوًا من سوى أنفسهم فيستبيح بيضتهم-إلى أن قال:-وإنما أخاف على أمتي الأئمة المضلّين،و إذا وضع السيف في أمتي لم يرفع عنها إلى يوم القيامة (١).

و في (الطبري):قال أبو معشر:بويح لعثمان سنه أربع و عشرين عام الرعاف،و إنّما قيل لهذه السنه عام الرعاف لأنّه كثر الرعاف فيها في الناس (٢).

قلت:بيعته عام الرعاف كانت دليلًا على كثره قتل الناس بسببه بغير حقّ،مثل سنه بيعه ابن عمّه يزيد بن معاويه.

قال ابن قتيبه في (خلفائه):قدم عمرو بن سعيد الأشدق من قبل يزيد أميرًا على المدينة و على الموسم،فلما استوى على المنبر رعى،فقال اعرابيّ مستقبله:«مه!جاءنا و الله بالدم»،فتلقاه بعمامته،فقال:«مه!عمّ و الله الناس»،ثمّ قام يخطب،فناوله عصا له شعبتان،فقال:«مه!شعب و الله الناس» (٣).

و في (صفين نصر):قال رجل لعدى بن حاتم يوم صفين:أ لم أسمعك تقول يوم الدار:«و الله لا يخنق (تحبّق)فيها-أى في قضيه قتل عثمان-عناق حوليه» (٤)،و قد رأيت ما كان فيها؟-و قد كانت فقئت عين عدى و قتل بنوه-

ص:٢٣١

١-١) سنن أبي داود ٢:٤٩٩ ح ٤٢٥٢. [١]

٢-٢) تاريخ الطبري ٤:٢٤٢، سنه ٢٤. [٢]

٣-٣) الإمامه و السياسه ٢:٣. [٣]

٤-٤) قال الميداني في مجمع الأمثال ٢:٢٢٥ تحت الرقم ٣٥٤٨ [٤] ما لفظه: «لا تحبّق في هذا الأمر عناق حوليه»قاله عدى بن حاتم حين قتل عثمان رضى الله عنه،فلما كان يوم الجمل فقئت عين عدى و قتل ابنه بصفين،فقيل له:يا أبا طريف،أ لم تزعم أنّه لا تحبّق في هذا الأمر عناق حوليه؟فقال:بلى و الله، التيس الأعظم قد حبّق فيه،قالوا:و لّما كان بعد ذلك دخل على معاويه و عنده عبد الله بن الزبير،فقال ابن الزبير:يا أمير المؤمنين!هجه فإنّ عنده جوابا،فقال معاويه:أما أنا فلا،و لكن دونك إن شئت.فقال له ابن الزبير:أى يوم فقئت عينك يا عدى؟قال:في اليوم الذى قتل فيه أبوك مدبرا و ضربت على قفاك موليا،فأفحمه. يضرب المثل في أمر لا- يعبأ به و لا- غير له،أى لا- يدرك فيه تأرو.و العناق:الأنثى من ولد المعز،و الجمع أعنق و عنوق.(الصحاح ٤:١٥٣٤، [٥]ماده:عوق).و الحوليه:التي أتى عليها حول،و كل ذى حافر أوّل سنه حولي،و الأنثى حوليه،و الجمع حوليات.(لسان العرب ٣:٣٩٨، [٦]ماده:حول)

قال: بلى و الله لقد خنقت (حبقت) فيه العناق و التيس الأعظم (١).

و فى خبر (خلفاء ابن قتيبه) - بعد ذكر مكالمه معاويه لأمير المؤمنين عليه السّلام و الصحابه فى أمر عثمان ثم انصرافهم - فقال عثمان لمعاويه: ما ترى؟ قال له معاويه: أرى أن تأذن لى بضرب أعناق هؤلاء القوم - إلى أن قال - فقال معاويه: فثالثه. قال: و ما هى؟ قال: اجعل لى الطلب بدمك إن قتلت. قال عثمان: نعم هذه لك إن قتلت فلا يطلّ دمي (٢).

و حينئذ فأوزار كلّ قتل و قتال، منها قتل سيّد شباب أهل الجنّه و أسر بنات النّبىّ صلّى الله عليه و آله و سلّم، و منها قتل كلّ مؤمن كعمّار و غيره ممّن قتل فى الجمل و صفّين، و كلّ قتل و قتال يقعان إلى يوم القيامة على عثمان.

و بذلك صرّح أمير المؤمنين عليه السّلام فى شخوصه إلى صفّين، مضافا إلى فحوى كلامه فى ما مرّ من مكالمته مع عثمان، فروى الأعمش - و قد نقله ابن أبى الحديد فى موضع آخر - عن الحكم بن عتيبه، عن قيس بن أبى حازم قال:

سمعت عليّا على منبر الكوفه و هو يقول: «يا أبناء المهاجرين، انفروا إلى أئمّه الكفر، و بقيه الأحزاب، و أولياء الشيطان. انفروا إلى من يقاتل على دم حمّال الخطايا، فو الله الذى فلق الحبه، و برأ النسمة، إنّه ليحمل خطاياهم إلى يوم القيامة لا ينقص من أوزارهم شيئا» (٣).

و قيس الراوى هذا ليس بشيعيّ بل ناصبيّ، روى هذا عنه عليه السّلام ذمّا له، فقال بعد نقل كلامه عليه السّلام: و لما سمعته قال: «انفروا إلى بقيه الأحزاب»

ص: ٢٣٢

١ - ١) وقعه صفّين: ٣٥٩-٣٦٠، [١] شرح ابن أبى الحديد ٣٩: ٨. [٢]

٢ - ٢) الإمامه و السياسه ٣١: ١، و [٣] نقله الشارح بتصرّف و تلخيص.

٣ - ٣) شرح ابن أبى الحديد ١٩٤: ٢، [٤] بحار الأنوار، ط الكمباني ٣٤٢: ٨. [٥]

دخل بغضه في قلبي (١).

و حينئذ فجميع من قتل بنو أمية من معاوية إلى آخرهم و بنو العباس جميعهم من المؤمنين و من أئمة الدين أوزارهم على عثمان. و في (موفقيات ابن بكار): أن رجلا جاء إلى علي عليه السلام يستشفع به إلى عثمان فقال: «حَمَّال الخطايا، لا و الله لا أعود إليه أبدا» (٢).

كما أن أوزار عثمان على من أسس له الأول و الثاني، و به صرح معاوية في جوابه لكتاب محمد بن أبي بكر (٣). لا سيما الأخير في تدبيره له مع عرفانه له.

و روى الكشي عن الورد بن زيد: أن الكميت سأل أبا جعفر عن الرجلين (الشيخين)؟ فقال (عليه السلام): ما اهريق دم و لا حكم بحكم (يحكم) غير موافق لحكم الله و حكم رسوله إلا و هو في أعناقهما (٤).

و عن (تاريخ إبراهيم الثقفي) عن خيثمه عن ابن مسعود قال: بينا نحن في بيت و نحن اثنا عشر رجلا نتذاكر أمر الدجال و فتنته، إذ دخل النبي صلى الله عليه و آله و سلم فقال: «ما تتذاكرون من أمر الدجال، و الذي نفسى بيده إن في البيت لمن هو أشد على أمتي من الدجال». قال ابن مسعود: و قد مضى من كان في البيت غيري و غير عثمان (٥).

«و يلبس» و في (ابن ميثم): «و يلتبس» (٦).

ص: ٢٣٣

١- (١) المصدر نفسه ١٩٤: ٢-١٩٥. [١]

٢- (٢) أخبار الموفقيات للزبير بن بكار: ٦١٣ رقم ٣٩٧، [٢] بحار الأنوار ط الكمباني ٨: ٣٣٦. [٣]

٣- (٣) نقله الطبرسي في الاحتجاج ١: ١٨٤. [٤]

٤- (٤) اختيار معرفة الرجال ٢: ٤٦١ الرقم ٣٦١. [٥]

٥- (٥) نقله عنه العلامة المجلسي في بحار الأنوار، ط الكمباني ٨: ٣٣٨. [٦]

٦- (٦) شرح ابن ميثم المصححه ٢: ٣٠٣ خ ١٦٣ بلفظ: يلبس.

«امورها عليها»، و المراد: عامه الامه، و أما خواصهم كطلحه و الزبير و عائشه و عمرو بن العاص فكانوا عارفين باستحقاقه القتل، و كان الأولان من قاتليه، و الأخيران من المحرضين على قتله، و لبس الأولون بقيامهم للطلب بدمه كالأخير مع معاويه المحب لقتله ليكون وسيله لنيله الخلافه.

«و يثبت» هكذا في (المصريه) (١)، و الصواب: «و يثبت» كما في (ابن أبي الحديد و ابن ميثم و الخطيبه) (٢).

«الفتن فيها» ففتنه الجمل و صفين كانت باسم طلب ثأره، و فتنه النهروان كان أمر عثمان سببها .

«فلا يبصرون الحق من الباطل يمجون فيها موجا، و يمجون» أي:

يختلطون و يضطربون.

«فيها مرجا» و لا- سيما أن معاويه وضع لهم أن من اطلق عليه اسم الخلافه بأي نحو كان، يكون حجّه الله و في درجه رسول الله، فكان مسلم بن عقبه (٣) مستبجح المدينه يقول في احتضاره: اللهم إني لم انكر خليفه من خلفائك (٤).

ص: ٢٣٤

١- ١) نهج البلاغه ٨٥: ٢.

٢- ٢) ورد بلفظ «يثبت» ٣: ٣٠٣ خ ١٦٣.

٣- ٣) في الإصابه ٣: ٤٩٣-٤٩٤: [١] مسلم بن عقبه بن رباح المرّي أبو عقبه، الأمير من قبل يزيد بن معاويه على الجيش الذين غزوا المدينه يوم الحزّه... و قد أفحش مسلم القول و الفعل بأهل المدينه، و أسرف في قتل الكبير و الصغير حتى سمّوه مسرفا، و أباح المدينه ثلاثه أيام لذلك، و العسكر ينهبون و يقتلون و يفجرون، ثم رفع القتل و بايع من بقى على أنهم عبيد ليزيد بن معاويه و توجه العسكر إلى مكّه ليحارب ابن الزبير لتخلفه عن البيعه ليزيد فعوجل بالموت فمات بالطريق و ذاك سنه ثلاث و ستين. و قال ابن قتيبه في الإمامه و السياسه ١: ٢١٥ [٢] في واقعه الحزّه ما لفظه: فبلغ عدّه قتلى الحزّه يومئذ من قريش و الأنصار و المهاجرين و وجوه الناس، ألفا و سبعمائنه، و سائرهم من الناس عشره آلاف، سوى النساء و الصبيان.

٤- ٤) أورد اليعقوبي نصا آخر لمسلم بن عقبه و هو «اللهم إن عذبتني بعد طاعتي لخليفتك يزيد بن معاويه، و قتل أهل الحره، فإني إذا لشقى» راجع تاريخ اليعقوبي ٢: ٢٥١. [٣]

«فلا تكوننّ لمروان سيّقه يسوقك حيث شاء» كما يسوق ناهب الدوابّ لها حيث يشاء.

«بعد جلال السنّ» أي: كبره.

«و تقصّي العمر» أي: انقضائه، فكان يومئذ - كما قال الواقديّ - ابن (٨٢) سنة (١).

روى الطبري عن الواقديّ بإسناده عن عبد الرحمن بن الأسود بن عبد يغوث قال: خرج عثمان إلى الناس فأعطاهم الرضا، وبكى على المنبر و بكى الناس حتّى نظرت إلى لحيه عثمان مخضّله من الدموع، وهو يقول: «اللهمّ إنّي أتوب إليك، والله لئن ردّني الحقّ لأن أكون عبداً قنّاً لأرضينّ به، فإذا دخلت منزلي فادخلوا عليّ، فوالله لا أحتجّب منكم، ولأعطيّكم الرضا، ولأزيدنكم على الرضا، ولأنحينّ مروان و ذويه».

فلَمّا دخل عثمان أمر بالباب ففتح، ودخل عليه مروان، فلم يزل يفتله في الدرّوه والغارب حتّى فتله عن رأيه، وأزاله عمّا كان يريد، فلقد مكث عثمان ثلاثه أيّام ما خرج، استحياء من الناس، و خرج مروان إلى الناس فقال: «شاهت الوجوه، ارجعوا إلى منازلكم، فإن يكن للخليفة حاجه بأحد منكم يرسل إليه، و إلّا قرّ في بيته».

قال عبد الرحمن بن الأسود: فجئت إلى عليّ عليه السّلام فأجده بين القبر و المنبر، وأجد عنده عمّار و محمّد بن أبي بكر و هما يقولان: «صنع مروان بالناس و صنع». قال: فأقبل عليّ عليه السّلام عليّ و قال: أحضرت خطبه عثمان؟ قلت:

نعم. قال: أ فحضرت مقاله مروان للناس؟ قلت: نعم. قال: «يا للمسلمين! إنّي إن

ص: ٢٣٥

قعدت في بيتي قال لي -أى عثمان-: تركتني و قرابتى و حقى، و إننى إن تكلمت فجاء ما يريد يلعب به مروان، فصار سيّقه (١) له يسوقه حيث شاء بعد كبر السن» (٢).

و روى الطبرى عن الواقدى أيضا بإسناده أنّ عليا عليه السلام جاء إلى عثمان بعد انصراف المصريين، فقال له: تكلم كلاما يسمعه الناس منك و يشهدون عليه، و تشهد (يشهد) الله على ما فى قلبك من النزوع و الإنابة، فلا آمن ركبا آخر يقدمون من الكوفة، فتقول: اركب إليهم، و لا أقدر أن أركب إليهم، و لا أسمع عذرا. و يقدم ركب آخر من البصره فتقول: اركب إليهم، فإن لم أفعل رأيتنى قد قطعت رحمك، و استخففت بحقك.

فخرج عثمان فخطب الخطبه التى نزع فيها، و أعطى (الناس) من نفسه التوبه، فلما نزل وجد فى منزله مروان و سعيدا و نفرا من بنى اميه، و لم يكونوا شهدوا الخطبه، فلما جلس قال مروان: أ تكلم أم أصمت؟ فقالت نائله امرأه عثمان الكلبيّه: لا بل اصمت، فإنهم و الله قاتلوه و مؤتموه، إنّه قد قال مقاله لا ينبغى له أن ينزع عنها. فأقبل عليها مروان، فقال: ما أنت و ذاك! فو الله لقد مات أبوك و ما يحسن أن يتوصأ. فقالت له: مهلا. يا مروان عن ذكر الآباء، تخبر عن أبى و هو غائب، تكذب عليه! إن أباك لا تستطيع أن تدفع عنه، أما و الله لو لا أنه عمّه، و أنه يناله غمّه، أخبرتك عنه بما لم (لن) أكذب عليه.

فأعرض عنها مروان، ثم قال: أ تكلم أم أصمت؟ قال: بل تكلم. فقال مروان: بأبى أنت و أمى! و الله لو ددت أن مقالتك هذه كانت و أنت ممتنع منيع، فكنت أول من رضى بها، و أعان عليها، و لكنك قلت ما قلت حين بلغ الحزام

ص: ٢٣٦

١- ١) السيّقه: ما استاقه العدو من الدواب، مثل الوسيقه. (الصحيح ١٤٩٩: ٤، [١] مادة: سوق).

٢- ٢) تاريخ الطبرى ٣٦٣-٤: ٣٦٤، سنه ٣٥. [٢]

الطَّيِّبِينَ، وَخَلْفَ السَّيْلِ الرَّبِيِّ، وَحِينَ أُعْطِيَ الْخَطَّةَ الدَّلِيلَةَ الدَّلِيلَ، وَاللَّهُ لِإِقَامِهِ عَلَى خَطِيئِهِ تَسْتَغْفِرُ اللَّهُ مِنْهَا أَجْمَلَ مِنْ تَوْبِهِ تَخَوُّفَ عَلَيْهَا، وَإِنَّكَ إِنْ شِئْتَ تَقَرَّبْتَ بِالتَّوْبَةِ وَ لَمْ تَقَرَّبْ (تَقَرَّبَ) بِالْخَطِيئَةِ، وَقَدْ اجْتَمَعَ إِلَيْكَ عَلَى الْبَابِ مِثْلَ الْجِبَالِ مِنَ النَّاسِ.

فَقَالَ عَثْمَانُ: فَاخْرَجْ إِلَى النَّاسِ فَكَلِّمْهُمْ، فَإِنِّي أُسْتَحْيَى أَنْ أَكَلِّمَهُمْ. فَخَرَجَ مِرْوَانَ إِلَى الْبَابِ فَقَالَ: أَمَا وَاللَّهِ لئن رَمْتُمُونَا لِيَمْرَنَ عَلَيْكُمْ مَنَا أَمْرًا لَا يَسْرُّكُمْ، وَ لَا تَحْمَدُوا غَبَّ رَأْيِكُمْ. ارْجِعُوا إِلَى مَنَازِلِكُمْ، فَإِنَّا وَاللَّهِ لَسْنَا بِمَغْلُوبِينَ عَلَى مَا فِي أَيْدِينَا.

فَرَجَعَ النَّاسُ وَ خَرَجَ بَعْضُهُمْ حَتَّى أَتَى عَلِيًّا عَلَيْهِ السَّلَامُ فَأَخْبَرَهُ الْخَبْرَ، فَجَاءَ مَغْضَبًا حَتَّى دَخَلَ عَلَى عَثْمَانَ، فَقَالَ: أَمَا رَضِيَتْ مِنْ مِرْوَانَ وَ لَا رَضِيَ مِنْكَ إِلَّا بِتَحَرُّفِكَ عَنْ دِينِكَ وَ عَنْ عَقْلِكَ، مِثْلَ جَمَلِ الطَّعِينِ يَقَادُ حَيْثُ يَسَارُ بِهِ، وَاللَّهِ مَا مِرْوَانَ بَدَى رَأْيَ فِي دِينِهِ وَ لَا فِي نَفْسِهِ، وَ أَيْمَ اللَّهِ إِنِّي لِأَرَاهُ سَيُورِدُكَ ثُمَّ لَا يَصْدُرُكَ، وَ مَا أَنَا بِعَائِدٍ بَعْدَ مَقَامِي هَذَا لِمَعَاتِبَتِكَ، أَذْهَبْتُ شَرَفَكَ، وَ غَلَبْتُ عَلَى أَمْرِكَ (١).

قُلْتُ: وَ مَعَ كَوْنِ حَالِ عَثْمَانَ عَلَى ذَلِكَ الْمَنَوَالِ، إِخْوَانُنَا لَا يَجْعَلُونَ أَمْثَالَ ذَلِكَ مَبْطَلًا لِإِمَامَتِهِ، فَكَانَتْ إِمَامَتُهُ كَوْضُوءَ مَرَأَةٍ مَعْرُوفَةٍ كَانَ يَطَّأُهَا الرِّجَالُ وَاحِدًا بَعْدَ وَاحِدٍ، وَ كَلَّمَا قَامَ عَنْهَا رَجُلٌ تَشْتَغَلُ بِالصَّلَاةِ حَتَّى يَجِيءَ آخِرُ بَوْضُوءِهَا الْأَوَّلِ.

فَعَمِلَ السُّوءَ وَ الْبَاطِلَ وَ الْجُورَ وَ الْفُسَادَ، أَيُّ شَيْءٍ لَمْ يَأْتْ بِهِ عَثْمَانُ؟ لَكِنَّ إِخْوَانُنَا أَرَادُوا أَنْ يَرْضُوا مَعَاوِيَةَ بْنَ أَبِي سَفْيَانَ لَعَيْنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ وَ سَلَّمَ فِي مَوْطِنٍ بَعْدَ مَوْطِنٍ.

ص: ٢٣٧

١- (١) تاريخ الطبري ٣٦٠:٤-٣٦٢، سنة ٣٥، و [١] نقله الشارح بتصريف و تلخيص.

ثم لعمر الله هل يصل صلابه وجه البشر إلى هذا الحد الذي بلغها وجه عثمان في مواعيده التي كانت كمواعيد عرقوب (١)؟ ولقد أجاد أبو تمام في وصف فرس:

أيقنت أن تثبت أن حافره من صخر تدمر أو وجه عثمان (٢)

قول المصنّف: «فقال له عثمان: كَلِمَ الناس في أن يؤجّلوني حتّى أخرج إليهم من مظالمهم. فقال عليه السّلام: ما كان بالمدينه فلا أجل فيه، و ما غاب فأجله وصول أمرك إليه» .

روى الطبرى مسندا عن الزبير- بعد ذكر كتاب المصريين إلى عثمان:-

إنّا والله لله نغضب، و فى الله نرضى، وإنّا لن نضع سيوفنا عن عواتقنا حتّى تأتينا منك توبه مصرّحه، أو ضلاله مجلّحه (٣).

قال: و كتب أهل المدينه إلى عثمان يدعونه إلى التوبه، و يقسمون له بالله لا يمسون عنه أبدا حتّى يقتلوه، أو يعطيهم ما يلزمه من حقّ الله.

قال: فلما خاف القتل شاور نصحاءه و أهل بيته، فقال لهم: قد صنع القوم ما قد رأيتهم، فما المخرج؟ فأشاروا عليه أن يرسل إلى على بن أبى طالب فيطلب إليه أن يردهم عنه، و يعطيهم ما يرضيهم ليطاولهم حتّى يأتيه امداد، فقال لهم عثمان: إن القوم لن يقبلوا التعليل، و قد كان منى فى قدمتهم الاولى ما كان، فمتى أعطهم ذلك يسألونى الوفاء به.

فقال مروان: مقاربتهم حتّى تقوى أمثل من مكاثرتهم على القرب،

ص: ٢٣٨

١ - ١) قال الجوهري فى الصحاح ١: ١٨٠ [١] ما لفظه: عرقوب اسم رجل من العمالقه ضربت به العرب المثل فى الخلف فقالوا: مواعيد عرقوب.

٢ - ٢) ورد فى ديوانه: «حلفت ان لم تثبت أن حافره من صخر تدمر أو من وجه عثمان» و هو فى مدح عثمان بن إدريس السامى. راجع شرح ديوان أبى تمام: ٥٤٠، دار الكتب العلميه، بيروت. ١٩٨٧ م ط ١.

٣ - ٣) تاريخ الطبرى ٤: ٣٦٩، سنه ٣٥. [٢]

فأعطهم ما سألوكم، و طاولهم ما طاولوك، فإنما هم بغوا عليك، فلا عهد لهم.

فأرسل إلى عليّ عليه السّلام فلمّا جاءه قال: يا أبا الحسن، إنّه قد كان من الناس ما قد رأيت، و كان منّي ما قد علمت، و لست آمنهم على قتلى، فأرددهم عني، فإنّ لهم عهد الله عزّ و جلّ أن أعتبهم من كلّ ما يكرهون، و أن أعطيهم الحقّ من نفسي و من غيري، و إن كان في ذلك سفك دمي.

فقال له عليّ عليه السّلام: الناس إلى عدلك أحوج منهم إلى قتلك، و إنّي لأرى قوما لا يرضون إلاّ بالرضا، و قد كنت أعطيهم في قدمتهم الاولي عهدا من الله:

لترجعنّ عن جميع ما نعموا، فرددتهم عنك، ثمّ لم تف لهم بشيء من ذلك، فلا تغزني هذه المرّه من شيء فإنّي معطيهم عليك الحقّ. قال: نعم، فأعطهم، فوالله لأفينّ لهم.

فخرج عليّ عليه السّلام إلى الناس، فقال: أيّها الناس، إنكم إنما طلبتم الحقّ فقد أعطيتموه، و إن عثمان قد زعم أنّه منصفكم من نفسه و من غيره، و راجع عن جميع ما تكرهون، فاقبلوا منه و وكّدوا عليه.

قال الناس: (قد) قبلنا فاستوثق لنا منه، فإنّا و الله لا نرضى بقول دون فعل. فقال لهم: ذلك لكم. ثمّ دخل عليه فأخبره الخبر، فقال له عثمان: اضرب بيني و بينهم أجلا- يكون لي فيه مهله، فإنّي لا أقدر على ردّ ما كرهوا في يوم واحد. فقال له عليّ عليه السّلام: ما حضر بالمدينه فلا- أجل فيه، و ما غاب فأجله و وصول أمرك إليه. قال: نعم، و لكن أجلني في ما بالمدينه ثلاثه أيام. قال عليّ عليه السّلام: نعم، فخرج إلى الناس فأخبرهم بذلك، و كتب بينهم و بين عثمان كتابا أجله فيه ثلاثا، على أن يرّد كلّ مظلّمه، و يعزل كلّ عامل كرهوه، ثمّ أخذ عليه في الكتاب أعظم ما أخذ الله على أحد من خلقه من عهد و ميثاق، و أشهد عليه ناسا من وجوه المهاجرين و الأنصار، فكفّ المسلمون عنه و رجعوا إلى

أن يفى لهم بما أعطاهم من نفسه، فجعل يتأهب للقتال، ويستعدّ بالسلاح- وقد اتخذ جندا عظيما من رقيق الخمس- فلما مضت الأيام الثلاثة- وهو على حاله لم يغيّر شيئا ممّا كرهوه، ولم يعزل عاملا- ثار به الناس. وخرج عمرو بن حزم الأنصاري حتّى أتى المصريين وهم بذي خشب، فأخبرهم الخبر، وسار معهم حتّى قدموا المدينة، فأرسلوا إلى عثمان: ألم نفارقك على أنّك زعمت أنّك تائب من إحداثك، وراجع عمّا كرهنا منك، وأعطيتنا على ذلك عهد الله و ميثاقه؟ قال: بلى، أنا على ذلك، قالوا: فما هذا الكتاب الذى وجدنا مع رسولك، وكتبت به إلى عاملك؟- إلى أن قال:- فحصره أربعين ليلة، وطلحه يصلّى بالناس (١).

هذا، و فى (الطبرى): قال الوليد بن يزيد يوم قتل و هو يقاتلهم: من جاء برأس فله خمسمائة. فجاء قوم بأرؤس، فقال الوليد: اكتبوا أسماءهم. فقال أحد من جاء برأس: ليس هذا بيوم يعمل فيه بنسيئه! (٢) و فى (الأغانى): عن إسحاق الموصلى قال: عمل محمّد المخلوع (٣) سفينه فأعجب بها، وركب فيها يريد الأنبار، و أنا مقبل على قبض (بعض) أبواب السفينه فصاحوا: إسحاق إسحاق. فوثبت فدنوت منه، فقال لى: كيف ترى سفيتى؟ فقلت: حسنه عمّرها الله ببقائك. قال: قل فيها أبياتا. فقلت، فقال لى: أحسنت يا إسحاق، وحياتك لأهبنّ لك عشره آلاف دينار. قلت: متى؟ إذا وسّع الله عليك! فضحك و دعا بها على المكان (٤).

نقلت هذا بمناسبة قوله عليه السلام: «ما كان بالمدينه فلا أجل فيه» (٥).

ص: ٢٤٠

١- (١) تاريخ الطبرى ٣٦٩:٤-٣٧١، سنه ٣٥، و [١] نقله الشارح بتصرّف و تلخيص.

٢- (٢) المصدر نفسه ٢٥٢:٧، سنه ١٢٦.

٣- (٣) هو محمّد الأمين بن هارون الرشيد.

٤- (٤) الأغانى ٤٠٥:٥-٤٠٦. [٢]

٥- (٥) نهج البلاغه ٨٦:٢. [٣]

منها:

قَدْ طَلَعَ طَالِعٌ وَ لَمَعَ لَامِعٌ وَ لَاحَ لَائِحٌ - وَ اغْتَدَلَ مَائِلٌ وَ اسْتَبَدَلَ اللَّهُ بِقَوْمٍ قَوْمًا وَ بِيَوْمٍ يَوْمًا - وَ انْتَبَزْنَا الْغَيْرَ انْتِزَارَ الْمُخِيبِ الْمَطَرِ
«قد طلع طالع» يقال: طلعت الشمس و القمر .

«و لمع لامع» يقال: لمع البرق.

«و لاح لائح» يقال: لاح النجم.

«و اعتدل» أى: استقام برجوع الأمر إليه عليه السلام.

«مائل» أى: ما اعوج من الامور أيام عثمان.

فى (الطبرى): قال الزهرى: خرج محمّد بن أبى بكر و محمّد بن أبى حذيفه عام خرج عبد الله بن سعد - فى غزوته الروم سنه ٣١ - فأظفها عيب عثمان و ما غير، و ما خالف به أبابكر و عمر، و أنّ دم عثمان حلال. و يقولان:

استعمل عبد الله بن سعد، رجلا كان رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم أباح دمه و نزل القرآن بكفره، و أخرج النبى صلى الله عليه و آله و سلم قوما فأدخلهم عثمان، و نزع أصحاب النبى صلى الله عليه و آله و سلم و استعمل سعيد بن العاص و عبد الله بن عامر. فبلغ ذلك عبد الله بن سعد، فقال:

لا- تركبا معنا، فركبا فى مركب ما فيه أحد من المسلمين، و لقوا العدو، و كانا انكل (أكل) المسلمين قتالا، فليل لهما فى ذلك، فقالا: كيف نقاتل مع رجل لا ينبغى لنا أن نحكمه - إلخ (١).

و فيه أيضا: قال العلاء بن عبد الله العنبرى: اجتمع ناس من المسلمين، فتذاكروا أعمال عثمان و ما صنع، فاجتمع رأيهم على أن يبعثوا إليه رجلا

ص: ٢٤١

يكلّمه، و يخبره بإحداثه، فأرسلوا إليه عامر بن عبد الله التميمي ثم العنبري - و هو الذي يدعى عامر بن عبد قيس - فأتاه، فدخل عليه فقال له: إن ناسا من المسلمين اجتمعوا فنظروا في أعمالك، فوجدوك قد ركبت امورا عظاما، فأتق الله عزّ و جلّ و تب إليه، و انزع عنها.

فقال عثمان: انظروا إلى هذا، يزعم الناس أنّه قارئ، ثمّ هو يجيء فيكلّمني في المحقّرات، فو الله ما يدري أين الله! قال عامر: أنا لا أدري أين الله! قال: نعم، و الله ما تدري أين الله! قال عامر: بلى و الله إنّي لأدري أنّ الله بالمرصاد لك.

فأرسل عثمان إلى معاوية، و إلى عبد الله بن سعد بن أبي سرح، و إلى سعيد بن العاص، و إلى عبد الله بن عامر، و إلى عمرو بن العاص، فجمعهم ليشاورهم في أمره و ما طلب إليه، و ما بلغه عنهم، فلمّا اجتمعوا عنده قال لهم:

إنّ لكلّ امرئ وزراء و نصحاء، و إنّكم وزرائي و نصحائي و أهل ثقتي، و صنع الناس ما قد رأيتم، و طلبوا إليّ أن أعزل عمّا لي، و أن أرجع عن جميع ما يكرهون إلى ما يحبّون، فاجتهدوا رأيكم، و أشيروا عليّ.

فقال عبد الله بن عامر: رأيي لك أن تشغلهم بجهاد يشغلهم عنك، و أن تجمّهم (1) في المغازي حتّى يذلّوا لك فلا يكوننّ همّ أحدهم إلاّ نفسه، و ما هو فيه من دبره دابته، و قمل فروه.

ثمّ أقبل عثمان على سعيد بن العاص فقال له: ما رأيك؟ قال: إن كنت تريد (تري) رأينا فاحسم عنك الداء، و اقطع عنك الذي تخاف، و اعمل برأيي تصب. قال: و ما هو؟ قال: إنّ لكلّ قوم قاده متى تهلك يتفرّقوا، و لا يجتمع لهم أمر، فقال عثمان: إنّ هذا هو الرأى لو لا ما فيه.

ص: ٢٤٢

(١ - ١) تجمير الجيش: أن تحبسهم في أرض العدو و لا تقفلهم من الثغر. (الصحيح ٦١٦: ٢، [١] مادة: جمر).

ثمّ أقبل على معاوية فقال: ما رأيك؟ قال: أرى أن تردّ عمّالك على الكفايه لما قبلهم، و أنا ضامن لك قبلي.

ثمّ أقبل عثمان على عبد الله بن سعد فقال: ما رأيك؟ قال: أرى أنّ الناس أهل طمع، فأعطيهم من هذا المال تعطف عليك قلوبهم.

ثمّ أقبل على عمرو بن العاص، فقال له: ما رأيك؟ قال: أرى أنّك قد ركبت الناس بما يكرهون، فاعتزم أن تعتدل، فإنّ أبيت فاعتزم أن تعتزل، فإنّ أبيت فاعتزم عزما، و امض قدما. فقال له عثمان: مالك قمل فروك؟ أ هذا الجدد منك! فأسكت عنه دهرا، حتّى إذا تفرّق القوم، قال عمرو لعثمان: لا والله لأنّك أعزّ عليّ من ذلك، و لكن قد علمت أن سيبلغ الناس قول كلّ رجل منّا، فأردت أن يبلغهم قولي فيثقوا بي، فأقود إليك خيرا، أو أدفع عنك شرا (١).

و رواه عن الزهريّ أيضا و زاد: فردّ عثمان عمّا له على أعمالهم، و أمرهم بالتضييق على من قبلهم، و أمرهم بتجمير الناس في البعوث، و عزم على تحريم أعطياتهم ليطيعوه، و يحتاجو إليه (٢).

«و استبدل الله بقوم قوما. و بيوم يوما» قال ابن أبي الحديد: أى: استبدل الله بعثمان و شيعته عليا عليه السّلام و شيعته، و بأيّام ذاك أيّام هذا (٣).

قلت: استبدل بالظلمه النور، و بالجور العدل، و بالباطل الحقّ.

و فى (خلفاء ابن قتيبه) - بعد ذكر خطبه له عليه السّلام فى التحريض على جهاد معاويه - ثمّ قام أبو أيّوب الأنصارى فقال: إنّ أمير المؤمنين عليه السّلام قد أسمع من كانت له اذن واعيه، و قلب حفيظ، إنّ الله قد أكرمكم به كرامه ما قبلتموها

ص: ٢٤٣

١- ١) تاريخ الطبرى ٤: ٣٣٣-٣٣٤، سنه ٣٤. [١]

٢- ٢) نفس المصدر ٤: ٣٣٥، [٢] سنه ٣٤.

٣- ٣) شرح ابن أبي الحديد ٩: ١٥٣. [٣]

حقّ قبولها، حيث نزل بين أظهركم ابن عمّ الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، وخير المسلمين و أفضلهم و سيدهم بعده، يفقّهم في الدين، و يدعوكم إلى جهاد المحلّين، فو الله لكأنكم صمّ لا تسمعون، و قلوبكم غلف مطبوع عليها فلا تستجيبون، أ ليس إنّما عهدكم بالجور و العدوان أمس، و قد شمل العباد، و شاع في الإسلام، فذو حقّ محروم، و مشتوم عرضه، و مضروب ظهره، و ملطوم وجهه، و موطوء بطنه، و ملقى بالعراء، فلمّا جاءكم أمير المؤمنين عليه السّلام صدع بالحقّ، و نشر العدل (بالعدل)، و عمل بالكتاب، فاشكروا نعمه الله عليكم، «وَلَا تَتَوَلَّوْا مُجْرِمِينَ» (١).

و في (جمل محمّد بن محمّد بن النعمان): لمّا بعث علىّ عليه السّلام الأشتر إلى الكوفة لمّا أراد قتال البصره، صعد الأشتر المنبر و قال بعد حمده تعالى و ذكر الإسلام- إلى أن قال:- ثمّ ولى رجل نبذ كتاب اللّٰه وراء ظهره، و عمل في أحكام اللّٰه بهوى نفسه، فسألناه أن يعزل نفسه عنّا فلم يفعل، و أقام على أحداثه، فاخترنا هلاكه على هلاك ديننا و دنيانا، و لا يبعد اللّٰه إلاّ القوم الظالمين، و قد جاءكم اللّٰه بأعظم الناس مكانا، و أجلّهم في الإسلام سهما، ابن عمّ رسول اللّٰه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، و أفقه الناس في دين اللّٰه، و أقرئهم لكتاب اللّٰه، و أشجعهم عند اللقاء يوم البأس، و قد استنفركم فما تنتظرون؟ أ سعيد الذى فعل ما فعل، أم الوليد الذى شرب الخمر و صَلَّى بكم على سكر، أى هذين تريدون؟ قبح اللّٰه من له هذا الرأى (٢).

«و انتظرنا الغير» أى: التغيّرات.

«انتظار المجذب» أى: من أصابه القحط.

ص: ٢٤٤

١- (١) الإمامه و السياسه ١: ١٥٢-١٥٣، و [١] الآية ٥٢ من سوره هود. [٢]

٢- (٢) الجمل للمفيد: ٢٥٤-٢٥٥، و [٣] نقله الشارح بتصرّف.

«المطر» كان انتظار الناس أيام عثمان انتظار ناس أصابهم القحط لمطر يحييهم.

ولما أخرج عثمان أبا ذرّ إلى الربذه، وشيعه أمير المؤمنين عليه السّلام و الحسنان عليهما السلام، قال له الحسين عليه السّلام: يا عمّاه، إنّ الله تعالى قادر على أن يغيّر ما ترى، وهو كلّ يوم في شأن (١).

وفي (تاريخ الثقفى): أنّ رجلا شهد الجمعه عند معاويه بالجايه لقي أبا الدرداء و صاحبا له في طريق، فقال لهما: خبر كرهت أن اخبر كما به، فقال أبو الدرداء: لعلّ أبا ذرّ قد نفى. قال: نعم و الله. فاسترجع أبو الدرداء و صاحبه قريبا من عشر مرّات، ثمّ قال أبو الدرداء لصاحبه: «فَارْتَقِبْهُمْ وَ اضْطَبِرْ» (٢) كما قيل لأصحاب الناقه (٣).

وفي (سقيفه الجوهريّ): عن أبي كعب الحارثيّ -في خبر- أنّه كان يجيىء عند عثمان إذ جاء نفر فقالوا: إنّّه أباى أن يجيىء. فغضب عثمان و قال: أباى أن يجيىء! اذهبوا فجيئوا به، فإن أباى فجرّوه جرّا. قال: فمكثت قليلا فجاءوا و معهم رجل آدم طوال أصلع، في مقدّم رأسه شعرات، و في قفاه شعرات، فقلت: من هذا؟ قالوا: عمّار.

فقال له عثمان: أنت الذى تأتيك رسلنا فتأبى أن تجيىء؟ فكلمه بشيىء لم أدر ما هو -إلى أن قال-: فتبعت عثمان حتّى دخل المسجد، فإذا عمّار جالس إلى ساريه، و حوله نفر من أصحاب النّبىّ صلّى الله عليه و آله و سلّم يبكون، فقال عثمان: يا وتّاب علىّ بالشرط. فجاءوا، فقال: فرّقوا بين هؤلاء.

ص: ٢٤٥

١- ١) السقيفه و فدك ٧٦-٧٧، [١] شرح ابن أباى الحديد ٢٥٣-٨: ٢٥٤. [٢]

٢- ٢) من الآيه ٢٧ فى سورة القمر.

٣- ٣) نقله عنه، العلّامه المجلسى رضى الله عنه فى بحار الأنوار ٨: ٣٣٧ ط الكمباني. [٣]

ثم اقيمت الصلاة، فتقدم عثمان فصلّى بهم، فلما كبر قالت امرأه من حجرتها: تركتم أمر الله، وخالفتم عهده. ثم صمتت و تكلمت اخرى بمثل ذلك، فإذا هما عائشه و حفصه. فسلم عثمان ثم أقبل على الناس فقال: إن هاتين لفتانتان، يحلّ لى سيهما، و أنا بأصلهما عالم. فقال له سعد: أ تقول هذا لحبائب النبي؟ فقال له: و فيم أنت! و ما ها هنا، ثم أقبل نحو سعد عامدا ليضربه، فانسل سعد- إلى أن قال:- فلقى عليا عليه السلام بباب المسجد، فقال عثمان له: أ لست الذى خلفك النبي يوم تبوك؟ فقال له عليّ عليه السلام: أ لست الفارّ يوم احد؟! (١).

و فى (موفقيّات الزبير بن بكار) عن ابن عباس- فى خبر- قال عثمان لعمّار: أما إنك من سنّائنا و أتباعهم، و ايم الله، إن اليد عليك منبسطة، و إن السبيل إليك لسهله- إلى أن قال- فقال له عمّار: و الله ما أعتذر من حبّبي عليا عليه السلام. فقال له عثمان: إنك و الله ما علمت لمن أعوان الشرّ الحاضين عليه، الخذله عند الخير و المثبتين عنه. فقال عمّار: مهلا يا عثمان، فقد سمعت رسول الله صلّى الله عليه و آله و سلّم يصفنى بغير ذلك. قال عثمان: و متى؟ قال: يوم دخلت أنا عليه منصرفه عن الجمعة، و ليس عنده غيرك، و قد ألقى ثيابه، و قعد فى فضله (٢)، فقّبلت أنا صدره و نحره و جبهته، فقال: يا عمّار، إنك لتحبنا و إنّنا لنحبك، و إنك لمن الأعوان على الخير و المثبتين عن الشرّ.

فقال عثمان: أجل و لكنك غيرت و بدّلت. فرفع عمّار يديه يدعو و قال:

آمن يا ابن عباس، اللهم من غير فغير به! (٣).

و روى (الموفقيّات) أيضا عن عليّ عليه السلام قال: أرسل إلى عثمان فى

ص: ٢٤٦

١- ١) السقيفه و فدك: ٧٩-٨١، [١] شرح ابن أبى الحديد ٣: ٩-٥، و [٢] نقله الشارح بتلخيص.

٢- ٢) ثوب فضل، تقول: خرجت فى فضل أى: فى ثوب واحد ملحفه أو نحوها. أساس البلاغه: ٣٤٣، [٣] ماده (فضل).

٣- ٣) شرح ابن أبى الحديد ١٠: ٩-١١. [٤]

الهاجره (١)، فتفتنعت بثوبى، فدخلت عليه و هو على سريريه، و فى يده قضيب، و بين يديه مال دثر (٢): صبرتان من ورق و ذهب، فقال: دونك خذ من هذا حتى تملأ بطنك فقد أحرقتنى. فقلت: وصلتك رحم! إن كان هذا المال ورثته، أو أعطاكه معط، أو اكتسبته من تجاره، كنت أحد رجلين: إما آخذ و أشكر، أو أفترّ و أجهد، و إن كان من مال الله و فيه حقّ المسلمين و اليتيم و ابن السبيل، فو الله مالك على أن تعطنيه، و لا لى أن آخذه. فقال: أبيت و الله إلا ما أبيت. ثمّ قام إلى بالقضيب فضربنى، و الله ما أردّ يده حتى قضى (حاجته)، فتفتنعت بثوبى، و رجعت إلى منزلى، و قلت: الله بينى و بينك إن كنت أمرتك بمعروف أو نهيتك عن منكر! (٣).

و روى الثقفى فى (تاريخه) عن داود بن الحصين الأنصارى أنّ محمّد بن مسلمه الأنصارى قال يوم قتل عثمان: ما رأيت يوماً قطّ أقرّ للعيون و لا أشبه بيوم بدر من هذا اليوم.

و روى عن أبى سفيان قال: أتيت محمّد بن مسلمه فقلت: قتلت عثمان؟ قال: نعم، و أيم الله ما وجدت رائحه هي أشبه برائحه يوم بدر من رائحه هذا اليوم (٤).

قلت: صدق، ففى بدر قتل جمع من الجابره، و اسر جمع من الجابره، و فى ذاك اليوم قتل رئيس الجابره عثمان رئيس بنى اميه الشجره الملعونه، فذلّوا و خزيوا.

ثمّ تشبيه أمر محبوب متوقّع بمطر بعد جذب، كما فى كلامه عليه السلام، أمر

ص: ٢٤٧

١-١) الهجر و الهاجره: نصف النهار عند اشتداد الحرّ. (الصحاح ٢: ٨٥١، [١] ماده: هجر).

٢-٢) الدثر-بالفتح-: المال الكثير. يقال: مال دثر و أموال دثر. (الصحاح ٢: ٦٥٥، [٢] ماده: دثر).

٣-٣) أخبار الموفقيات للزبير بن بكار: ٦١٢ رقم ٣٩٥، [٣] مطبعه العانى، بغداد، شرح ابن أبى الحديد ٩: ١٦. [٤]

٤-٤) نقله عنه العلامة المجلسى رحمه الله فى بحار الأنوار ٨: ٣٤٠ [٥] ط الكمباني.

شائع، قال الفرزدق:

إِنِّي وِإِيَّاكَ إِذْ حَلَّتْ بِأَرْحَلِنَا كَمَنْ بُوَادِيهِ بَعْدَ الْمَحَلِّ مَمْطُورٌ

(١) و قال آخر:

و حَدِيثُهَا كَالغَيْثِ يَسْمَعُهَا رَاعِي سَنِينٍ تَتَابَعَتْ جَدْبًا

فَأَصَاحُ يَرْجُو أَنْ يَكُونَ حَيًّا وَ يَقُولُ مِنْ فَرْحِ هِيَارِبَا (٢)

و لَمَّا كَثُرَ عِبْثُ هِشَامِ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ بِالْوَلِيدِ بْنِ يَزِيدٍ وَ بَنَدِ مَائِهِ، قَالَ أَحَدُهُمْ:

لَعَلَّ الْوَلِيدَ دَنَا مَلِكُهُ فَأَمْسَى إِلَيْهِ قَدْ اسْتَجْمَعَا

وَ كُنَّا نَوْمُلُ فِي مَلِكِهِ كَتَأْمِيلِ ذِي الْجَدْبِ أَنْ يَمْرَعَا (٣)

قلت: لكنَّ الوليد وعد ذلك من نفسه إلا- أنه لم يفعل كعثمان الذي وعد الناس الخير في أول خلافته لما حصل له العي في خطبته، و لم يفعل إلا الشر.

قال أبو الفرج في (أغانيه): لَمَّا خَرَجَ زَيْدُ بْنُ عَلِيٍّ عَلَى هِشَامِ مَنَعَ أَهْلَ مَكَّةَ وَ الْمَدِينَةَ أُعْطِيَتْهُمْ، فَلَمَّا وَلِيَ الْوَلِيدُ بَعْدَهُ كَتَبَ إِلَى أَهْلِ مَكَّةَ وَ الْمَدِينَةَ:

ضَمَنْتُ لَكُمْ إِنْ لَمْ تَصَابُوا بِمَهْجَتِي بِأَنَّ سَمَاءَ الضَّرِّ عَنْكُمْ سَتَقْلَعُ

فَلَمَّا فَعَلَ خِلَافَ مَا قَالَ، قَالَ حَمْرُهُ بْنُ بَيْضٍ رَدًّا عَلَيْهِ:

وَصَلَتْ سَمَاءَ الضَّرِّ بِالضَّرِّ بَعْدَ مَا زَعَمْتَ سَمَاءَ الضَّرِّ عَنَّا سَتَقْلَعُ

فَلَيْتَ هِشَامًا كَانَ حَيًّا يَسُوسُنَا وَ كُنَّا كَمَا كُنَّا نَرْجِي وَ نَطْمَعُ (٤)

هذا، و بعضهم بدل في التشبيه، المطر بعد المحل بقرب الغريق إلى

ص: ٢٤٨

١- ١) أورده أبو الفرج الاصبهاني في الأغاني ٢١:٣٠٨ [١] هكذا: إِنَّا وَ إِيَّاكَ إِنْ بَلَّغْنَا كَمَنْ بُوَادِيهِ بَعْدَ الْمَحَلِّ مَمْطُورٌ

٢- ٢) عيون الأخبار لابن قتيبة ٤:٨٢، [٢] دار الكتاب العربي.

٣- ٣) الأغاني ٨:٧-٩. [٣]

٤- ٤) الأغاني ٢١:٧-٢٢. [٤]

الساحل فقال:

إذا قلت أى فتى تعلمون أهش إلى الطعن بالذابل

و أضرب للقرن يوم الوغى و أطعم فى الزمن الماحل

أشارت إليك أكفّ الورى اشاره غرقى إلى الساحل

ثم إن ابن أبى الحديد قال: كلامه عليه السّلام «و انتظرنا الغير،انتظار المجدب المطر» يدلّ على أنّه عليه السّلام كان يتربّص بعثمان الدوائر،و يرتقب حلول الخطوب بساحته.

فإن قلت: أ يجوز على مذهب المعتزله أن يقال:إنّه عليه السّلام كان ينتظر قتل عثمان،انتظار المجدب المطر،و هل هذا إلا محض مذهب الشيعة! قلت:إنّه عليه السّلام و إن قال:«انتظر الغير»يجوز أن يكون أراد انتظار خلعه و عزله عن الخلافة،فإنّ عليّ عليه السّلام عند أصحابنا كان يذهب إلى أنّ عثمان يستحقّ الخلع بأحداثه،و لم يستحقّ القتل.

فإن قلت: أ تقول المعتزله أنّ عليّا عليه السّلام كان يذهب إلى فسق عثمان المستوجب لأجله الخلع؟ قلت:كألا!حاش لله أن تقول المعتزله ذلك!و إنّما تقول:إنّ عليّا عليه السّلام كان يرى أنّ عثمان يضعف عن تدبير الخلافة،و أنّ أهله غلبوا عليه، و استبدّوا بالأمر دونه،و استعجزه المسلمون،و استسقطوا رأيه، فصار حكمه حكم الإمام إذا عمى،أو أسره العدو،فإنّه ينخلع من الإمامه (1).

قلت:هب أنّ الأمر كما ذكر،فإذا كان عثمان بالغا درجه الانخلاع فضلا عن استحقاقه الخلع،هل صار قتله موجبا لاستحقاق الخلافة،

ص: ٢٤٩

(١- ١) شرح ابن أبى الحديد ١٥٣:٩-١٥٤،و [١]نقله الشارح بتصرّف و تلخيص.

فكيف يقولون بإمامته؟ ثم لم أعلم أى شىء يجعلون معنى الفسق، فإن لم يكن عثمان بتلك الأحداث فاسقا فلا فاسق فى الدنيا.

ثم كيف لم يكن فاسقا بها و قد قال تعالى: «وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ» (١)؟ و قال جلّ و علا: «وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ» (٢).

و قال عزّ اسمه: «وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ» (٣).

و كان عمّار يقول: هذه الثلاثة تشهد بكفره و أنا الرابع (٤).

و سبحان الله! هل حبّ الشىء يعمى الإنسان و يصمّه بدرجه يسلبه فطرياته و ضروريات العقول؟ و إلا فمن قال بإمامه أبى بكر و عمر فى عصر عثمان كفر عثمان، و أباح دمه، و إنّما حمل معاويه عدوّ الاسلام و لعين النبى صلّى الله عليه و آله و سلّم فى غير موطن الناس بالسيف على القول به.

ثمّ كيف يقول ابن أبى الحديد: إنّ أمير المؤمنين عليه السلام لم يقل بفسقه، و لا باستحقاقه القتل! (٥) و الأشتر يصيح بين يديه فى صفين:

لا يبعد الله سوى عثمانا مخالف قد خالف الرحمانا

ص: ٢٥٠

١-١ (١) المائدة: ٤٧. [١]

٢-٢ (٢) المائدة: ٤٥. [٢]

٣-٣ (٣) المائدة: ٤٤. [٣]

٤-٤ (٤) تفسير العياشى ١: ١٢٣-٣٢٣، [٤] الشافى فى الإمامه ٤: ٢٩١.

٥-٥ (٥) شرح ابن أبى الحديد ٩: ١٥٣.

و عمّار يصيح بين يديه - كما في (صفين نصر بن مزاحم) - : امضوا عباد الله إلى قوم يطلبون - فيما يزعمون - بدم الظالم لنفسه، الحاكم على عباد الله بغير ما في كتاب الله، إنّما قتله الصالحون المنكرون للعدوان، الآمرون بالإحسان، و يقول هؤلاء الذين لا يبالون إذا سلمت لهم دنياهم لو درس هذا الدين: لم قتلتموه؟ فقلنا: لإحداثة. فقالوا: إنّ ما أحدث شيئاً. و ذلك لأنّه مكّنه من الدّنيا فهم يأكلونها و يرعونها و لا يبالون لو انهذت عليهم الجبال. و الله ما أظنهم يطلبون دمه، إنّهم ليعلمون أنّه كان ظالماً، و لكنّ القوم ذاقوا الدّنيا فاستحبّوها و استمروها و علموا لو أنّ الحقّ لزمهم لحال بينهم و بين ما يرعون فيه منها. و لم يكن للقوم سابقه في الاسلام يستحقّون بها الطاعة و الولايه، فخدعوا أتباعهم بأن قالوا: قتل إمامنا مظلوماً، ليكونوا بذلك جباراً (٢).

و روى الثقفى أنّ رجلاً قال لعمّار يوم صفين: علام تقاتلهم؟ قال: على أنّهم زعموا أنّ عثمان مؤمن و نحن نزعم أنّه كافر (٣).

و روى الواقدي - كما في (تقريب الحلبي) - : أنّه قيل لحذيفه:

ما تقول في قتله (قتل) عثمان؟ فقال: هل هو إلا كافر قتل كافراً أو مسلم قتل كافراً؟ فقالوا: ما جعلت لعثمان مخرجاً. قال: إنّ الله لم يجعل له مخرجاً (٤).

ص: ٢٥١

١-١ (١) وقعه صفين: ١٧٨. [١]

٢-٢ (٢) وقعه صفين: ٣١٩. [٢]

٣-٣ (٣) نقله عنه العلامة المجلسي رحمه الله في بحار الأنوار ٨: ٣٣٨ [٣] ط الكمباني.

٤-٤ (٤) المصدر نفسه ٨: ٣٣٩. [٤]

و من كلام له عليه السلام قاله لعبد الله بن عباس، وقد جاءه برسالة من عثمان، و هو محصور يسأله فيها الخروج إلى ماله بينبع، ليقبل هتف الناس باسمه للخلافه، بعد أن كان سأله مثل ذلك من قبل.

فقال عليه السلام:

يَا ابْنَ عَبَّاسٍ؟ مَا يُرِيدُ عُثْمَانُ؟ - إِلَّا أَنْ يَجْعَلَنِي جَمَلًا نَاضِحًا بِالْغَرْبِ أَقْبَلُ وَ أَدْبِرُ - بَعَثَ إِلَيَّ أَنْ أَخْرُجَ ثُمَّ بَعَثَ إِلَيَّ أَنْ أَقْدُمَ - ثُمَّ هُوَ الْآنَ يَبْعَثُ إِلَيَّ أَنْ أَخْرُجَ - وَ اللَّهُ لَقَدْ دَفَعْتُ عَنْهُ حَتَّى خَشِيتُ أَنْ أَكُونَ آثِمًا أَقُولُ: هذا العنوان في (المصريه) قبل عنوان واحد من آخر باب الخطب (١)، و الصواب جعله قبل خمسة عناوين، أى قبل عنوان: «و من كلام له عليه السلام اقتص فيه ذكر ما كان منه بعد هجره النبي صلى الله عليه و آله و سلم» كما في (ابن أبي الحديد و ابن ميثم) (٢).

قول المصنّف: «و من كلام له عليه السلام قاله لعبد الله بن عباس و قد جاءه برسالة من عثمان» هكذا في (المصريه) (٣)، و في (ابن ميثم): «من عند عثمان» (٤)، و في (ابن أبي الحديد): «من عثمان بن عفان» (٥)، و الصواب ما في (ابن ميثم)، لكون نسخته بخط المصنّف.

«و هو محصور» أى: حاصره الناس.

ص: ٢٥٢

١- ١) نهج البلاغه ٢:٢٦٠. [١]

٢- ٢) شرح ابن أبي الحديد ١٣:٢٩٦، و [٢] شرح ابن ميثم ٤:٣٢٢. [٣]

٣- ٣) نهج البلاغه ٢:٢٦٠. [٤]

٤- ٤) في شرح ابن ميثم المطبوع ٤:٣٢٢: «من عثمان» أيضا.

٥- ٥) في شرح ابن أبي الحديد المطبوع ١٣:٢٩٦: «من عثمان» أيضا.

«يسأله فيها» ليس «فيها» في (ابن ميثم) (١).

«الخروج إلى ماله بينبع» قال (الصحاح): ينبع بلد (٢). وقال في (القاموس): ينبع حصن له عيون و نخيل و زروع بطريق حاج مصر (٣).

و قال ابن دريد: ينبع بين مكّه و المدينة (٤).

و قال غيره: ينبع من أرض تهامة غزاها النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ فلم يلتق كيدا و هي قريبه من طريق الحاج الشامي، و قال الشريف الينبعي: عددت بها مائه و سبعين عينا (٥).

و قال الحموي في (بلدانه): قال عزّام السلمى: ينبع عن يمين رضوى لمن كان منحدرًا من المدينة إلى البحر على ليله من رضوى من المدينة على سبع مراحل، و هي لبني حسن بن عليّ، و كان يسكنها الأنصار و جهينه و ليث، و فيها عيون عذاب غزيره، و واديهما يليل، و بها منبر، و هي قريه غنّاء و واديهما يصبّ في غيقه، و قال غيره: ينبع حصن به ماء و نخيل و زرع، و بها وقوف لعليّ عليه السّلام يتولّاهما ولده (٦).

«ليقل هتف الناس» أي: تصويتهم و صيحتهم.

«باسمه للخلافه» و في نسخه (ابن ميثم) (٧): «بالخلافه».

«بعد أن كان» أي: عثمان.

ص: ٢٥٣

١-١) في شرح ابن ميثم المطبوع ٣٢٢:٤: «فيها» أيضا.

٢-٢) الصحاح ١٢٨٨:٣: مادة (نبع).

٣-٣) القاموس المحيط ٨٧:٣ [١] مادة (نبع).

٤-٤) جمهره اللغه ٣٦٨:١ [٢] مادة (نبع).

٥-٥) معجم البلدان ٤٥٠:٥. [٣]

٦-٦) المصدر نفسه ٤٤٩:٥-٤٥٠. [٤]

٧-٧) في شرح ابن ميثم المطبوع ٣٣٢:٤: «للخلافه» أيضا.

«سأله مثل ذلك» أي: خروجه إلى ينبع.

«من قبل» هذه المره .

«فقال عليه السلام» الكلمه تأكيد، و إلا فلا حاجه إليها بعد قوله: «و من كلام له عليه السلام».

قوله عليه السلام: «يا بن عبيّاس ما يريد عثمان إلا أن يجعلني جملاً» هكذا في (المصريه) (١) و الصواب: «ما يريد عثمان أن يجعلني إلا جملاً» كما في (ابن ميثم و الخطيه) (٢).

«ناضحاً» أي: مستقياً عليه.

«بالغرب» أي: الدلو العظيم.

«أقبل» بلفظ المتكلم من الإقبال.

«و ادبر» كما يقبل و يدبر الجمل الناضح بالغرب.

«بعث إليّ أن أخرج ثم بعث إليّ أن أقدام، ثم هو الآن يبعث إليّ أن أخرج» و في (ابن ميثم): «ثم هو يبعث الآن إليّ أن أخرج» (٣).

في (العقد الفريد): قال ابن عبيّاس: أرسل إليّ عثمان فقال لي: اكفني ابن عمك! فقلت: إنّ ابن عمي ليس بالرجل يرى له و لكنّه يرى لنفسه، فأرسلني إليه بما أحببت. قال: قل له: فليخرج إلى ماله بينبع، فلا- أعتّم به و لا يغتم بي. فأتيته فأخبرته، فقال: ما اتخذني عثمان إلا ناضحاً، ثم أنشد يقول:

فكيف به أني اداوي جراحه فيدوى فلا ملّ الدواء و لا الداء

-إلى أن قال:- فخرج على عليه السلام إلى ينبع، فكتب إليه عثمان حين اشتدّ

ص: ٢٥٤

١- ١) نهج البلاغه ٢٤١: ٢. [١]

٢- ٢) في شرح ابن ميثم المطبوع ٣٣٢: ٤: «إلا أن يجعلني جملاً» أيضاً.

٣- ٣) في شرح ابن ميثم [٢] المطبوع ٣٣٢: ٤: «ثم هو الآن هو يبعث إليّ أن أخرج».

عليه الأمر: أما بعد، فقد بلغ السيل الزبى، و جاوز الحزام الطيبين، و طمع في من كان يضعف عن نفسه.

و إنك لم يفخر عليك كفخر ضعيف و لم يغلبك مثل مغلب

فأقبل إلي، و كن لى أم على، صديقا كنت أم عدوا.

فإن كنت مأكولا فكن خير آكل و إلا فأدركنى و لئما امرق (١)

و فى (خلفاء ابن قتيبه): ذكروا أنه لما اشتد الطعن على عثمان، استأذنه على عليه السلام فى بعض بواديه ينتحى إليها، فأذن له، فلما اشتد الأمر عليه بعد خروج على عليه السلام، و رجا الزبير و طلحه أن يمىلا إليهما قلوب الناس، و يغلبا عليهم، و اغتنما غيبه على عليه السلام كتب عثمان إلى على عليه السلام: أما بعد، فقد بلغ السيل الزبى، و جاوز الحزام الطيبين، و ارتفع أمر الناس فى شأنى فوق قدره، و زعموا أنهم لا يرضون دون دمي، و طمع في من لا يدفع عن نفسه.

و إنك لم يفخر عليك-البيت- و قد كان يقال: أكل السبع خير من افتراس الثعلب (٢).

«و الله لقد دفعت عنه حتى خشيت أن أكون آثما» بالدفاع عن ظالم.

فى (الطبرى): قال أبو حبيبه: نظرت إلى سعد يوم قتل عثمان، دخل عليه ثم خرج و هو يسترجع ميا يرى على الباب، فقال له مروان: الآن تندم! أنت أشعرتك (٣)- إلى أن قال- فقال له مروان: إن كنت تريد أن تذب عنه، فعليك بآبى طالب، فإنه متستر، و هو لا يجبه، فخرج حتى أتى عليا عليه السلام و هو بين القبر و المنبر- إلى أن قال- فقال له على عليه السلام: و الله ما زلت أذب عنه حتى إنى

ص: ٢٥٥

١- (١) العقد الفريد ٥٩: ٥-٦٠. [١]

٢- (٢) الإمامه و السياسه ٣٤: ١. [٢]

٣- (٣) قال الزمخشري: أشعرت أمر فلان: جعلته معلوما مشهورا، و أشعرت فلانا: جعلته علما بقيحه أشدتها عليه. (أساس البلاغه: ٢٣٦، [٣] مادته: شعر).

لأستحيى، و لكنّ مروان و معاويه و عبد الله بن عامر و سعيد بن العاص هم صنعوا به ما ترى، فإذا نصحته و أمرته أن ينحّيهم استغشنى حتى جاء ما ترى. فبيناهم كذلك إذ جاء محمّد بن أبي بكر، فسارّ عليًا عليه السّلام، فأخذ عليّ عليه السّلام بيدي، و نهض و هو يقول: أيّ خير توبته هذه! فو الله ما بلغت داري حتى سمعت الهائعه (١)، أنّ عثمان قد قتل (٢).

و في (الطبرى) أيضًا: لمّا خرج ابن عديس من مصر في خمسمائه إلى عثمان و جاءوا حتى نزلوا إذا خشب، قال عثمان لعليّ عليه السّلام: احبّ أن تركب إليهم فتردّهم عني، فإنّي لا احبّ أن يدخلوا عليّ، فإنّ ذلك جرأه منهم عليّ، و يسمع (ليسمع) بذلك غيرهم.

فقال عليّ عليه السّلام له: علام أردّهم؟ قال: على أن أصير إلى ما أشرت به عليّ و رأيت له لى، و لست أخرج من يديك. فقال عليّ عليه السّلام له: إننى قد كنت كلّمك مرّه بعد مرّه، فكلّ ذلك تخرج و تكلمّ، و تقول و تقول، و ذلك كلّ فعل مروان و سعيد بن العاص و ابن عامر و معاويه، أظعتهم و عصيتنى. قال عثمان: فإنّى أعصيههم و أطيعك.

فركب على عليه السّلام إلى أهل مصر، فردّهم عنه، فانصرفوا راجعين (٣).

و روى أيضًا: أنّه عليه السّلام جاء إلى عثمان بعد انصراف المصريين، و قال له:

تكلمّ كلاما يسمعه الناس منك و يشهدون عليه، و تشهد (يشهد) الله على ما فى قلبك من النزوع و الإنابه، فإنّ البلاد قد تمخّضت عليك، فلا آمن ركبا آخرين يقدمون من الكوفه، فتقول: اركب إليهم. و يقدم ركب آخرون من البصره،

ص: ٢٥٦

١- (١) الهائعه: الصوت الشديد (الصحاح ١٣٠٩: ٣، [١] ماده: هيع).

٢- (٢) تاريخ الطبرى ٣٧٧-٤: ٣٧٨، سنه ٣٥. [٢]

٣- (٣) تاريخ الطبرى ٣٥٧-٤: ٣٥٩، سنه ٣٥، و [٣] نقله الشارح بتصرّف و تلخيص.

فتقول: اركب إليهم، فإن لم أفعل رأيتني قد قطعت رحمك. فخرج فخطب الخطبه التي نزع فيها- إلى أن قال:- فخرج مروان إلى الباب و الناس يركب بعضهم بعضا، فقال: ما شأنكم قد اجتمعتم كأنكم قد جئتم لنهب! شأهت الوجوه! تريدون أن تنزعوا ملكنا من أيدينا! فإننا والله ما نحن بمغلوبين على ما فى أيدينا.

فرجع الناس و خرج بعضهم حتى أتى عليا عليه السلام فأخبره الخبر، فجاء مغضبا حتى دخل على عثمان، فقال له: أما رضيت من مروان و لا رضى منك إلا بتحرفك عن دينك و عن عقلك، مثل جمل الطعينة يقاد حيث يسار به، و الله ما مروان بذى رأى فى دينه و لا فى نفسه، و ايم الله إنى لأراه سيوردك ثم لا يصدرك، و ما أنا بعائد بعد مقامى هذا لمعاتبتك، أذهبت شرفك، و غلبت على أمرك.

فلما خرج دخلت عليه نائله ابنه الفرافصه امرأته، فقالت: قد سمعت قول على لك، و إنه ليس يعاودك، و قد أطعت مروان يقودك حيث شاء. قال: فما ذا (فما) أصنع؟ قالت: تتقى الله، و تتبع سنه صاحبيك من قبلك، فإنك متى أطعت مروان قتلك، و مروان ليس له عند الناس قدر و لا هيبة و لا محبه، و إنما تركك الناس لمكان مروان، فأرسل إلى على فاستصلحه. فأرسل إليه فأبى أن يأتيه، و قال: قد أعلمته أنى لست بعائد (1).

و روى الطبرى أيضا: عن عبد الرحمن بن الأسود، قال: جاء رسول عثمان إلى على عليه السلام أن ائتنى. فقال بصوت مرتفع عال مغضب: قل له: ما أنا بداخل عليك و لا عائد- إلى أن قال:- قال عبد الرحمن: فغدوت فجلست معه عليه السلام، فقال: جاءنى عثمان البارحه، فجعل يقول: إنك (إنى) غير عائد، و إنى

ص: ٢٥٧

فاعل. فقلت له: بعد ما تكلمت به على منبر النبي صلى الله عليه وآله وسلم، وأعطيت من نفسك، ثم دخلت بيتك، وخرج مروان إلى الناس فشتهم على بابك، فرجع عثمان وهو يقول: قطعت رحمي، وخذلتني، وجرأت الناس عليّ.

فقلت: والله إنني لأذنب الناس عنك، ولكني كلما جئت بهنه أظنّها لك رضا جاء باخري، فسمعت قول مروان عليّ، واستدخلت مروان.

قال عبد الرحمن: فلم أزل أرى عليّاً عليه السلام منكباً عنه لا يفعل ما كان يفعل، إلا أنني أعلم أنه قد كلم طلحه حين حصر في أن يدخل عليه الروايات و غضب في ذلك غضبا شديدا، حتى دخلت الروايات على عثمان (١).

و روى أبو حذيفة في كتابه مقتل عثمان - كما في (جمل المفيد) - عن ابن إسحاق عن الزهري قال: لما قدم أهل مصر في ستمائه راكب، عليهم عبد الرحمن بن عديس البكري (البلوي) فنزلوا ذا خشب وفيهم كنانة بن بشر الكناني (الكندي)، وابن بديل الخزاعي، وأبو عروه الليثي، واجتمع معهم حكيم بن جبلة العبدى في طائفه من أهل البصرة، وكميل بن زياد، و مالك الأشر، و صعصعة بن صوحان، و حجر بن عدي، في جماعه من قراء الكوفة الذين كانوا سيّهم عثمان من الكوفة إلى الشام حين شكوا أحداثه التي أنكرها عليه المهاجرون والأنصار، فاجتمع فاجتمع القوم على عيب عثمان، و جهروا بذكر أحداثه، فمرّ بهم نفران، فقالا - لهم: إن شئتم بلغنا عنكم أزواج النبي صلى الله عليه وآله وسلم، فإن أمرنكم أن تقدموا فأقدموا. فقالا لهم: افعلا و اقصدا عليّاً عليه السلام آخر الناس.

فانطلقا فبدأ بعائشه و باقى أزواجه، ثم بأصحاب النبي صلى الله عليه وآله وسلم فأمروا أن يقدموا المدينة، و صاروا إلى عليّ عليه السلام فأخبراه، فقال: هل أتيتما أحدا قبلى؟ قالوا:

نعم، أزواج النبي صلى الله عليه وآله وسلم و أصحابه من المهاجرين و الأنصار، فأمروا أن يقدموا.

ص: ٢٥٨

(١ - ١) تاريخ الطبرى ٤: ٣٦٤، سنة ٣٥، و [١] نقله الشارح بتصرف.

فقال عليه السلام: لكنى لا آمرهم، بل يستغيثون بمن (يستعتبونه ممن) قرب، فإن أعاثهم (أعتبهم) فهو خير لهم، وإن أبى فهم أعلم.

فخرج إليهم و تسرع جماعه من المدينه إليهم و اجتمعوا مع أهل ذى خشب و ذى مروه (أهل الحسب و ذوى المروآت).

فلما بلغ عثمان اجتماعهم أرسل إلى عليّ عليه السلام و قال: يا أبا الحسن اخرج إلى هؤلاء القوم و ردّهم. فخرج عليه السلام إليهم، فلما رأوه رحبوا به و قالوا له: قد علمت ما أحدثه هذا الرجل من الأعمال الخبيثه، و ما يلقاه المسلمون منه و من عماله، و كنّا لقيناه و استعتبناه فلم يعتبنا، و كلمناه فلم يصغ إلى كلامنا و أغراه ذلك بنا، و قد جئناه نطالبه بالاعتزال عن أمره المسلمين، و استأذنا فى ذلك المهاجرين و الأنصار و أزواج النّبىّ صلّى الله عليه و آله و سلّم، فأذنا لنا فى ورود المدينه و نحن على ذلك.

فقال عليه السلام لهم: يا هؤلاء، تلبثوا (تريثوا) و لا تسرعوا إلى شىء لا تعرفون عاقبته. فقالوا: هيهات! لا نقتنع منه إلا بالاعتزال عن هذا الأمر ليقوم به من يوثق به. فرجع عليه السلام إلى عثمان و أخبره بمقالتهم.

فخرج عثمان فخطب و جعل يدعو إلى نصرته، فقام إليه عمرو بن العاص فقال: إنك قد ركبت الناس بالتهمه (بالنهاير)، فتب إلى الله. فقال له:

و إنك لهاهنا يا بن النابغه، ثم رفع يده إلى السماء و قال: أتوب إلى الله، اللهم إنى أتوب إليك.

فأنفذ عليّ عليه السلام إلى القوم بما صار إليه من التوبه و الإقلاع، و مع ذلك ساروا إليه بأجمعهم، و سار إليه عمرو بن معدى كرب فى ناس كثيرين و جعل يحرض على عثمان، و انضم إليهم من المهاجرين و الأنصار طلحه و الزبير و جمهور الأنصار، فخرج على عليه السلام إليهم و قال لهم: اتقوا الله ما لكم و للرجل!؟

أما رجعت عما أنكرتموه، أما تاب على المنبر توبه جهر بها؟! ولم يزل يلفظ بهم حتى سكنت فورتهم.

ثم سأله أهل مصر أن يلقاه في عزل ابن أبي سرح، وأهل الكوفة في عزل سعيد بن العاص، وأهل البصرة في عزل ابن كريز، و يعدل عمياً كان عليه من منكر الأفعال. فدخل عليه السّلام عليه، ولم يزل به حتى أعطاه ما أراد القوم، وبذل لهم العهود والأيمان. فخرج عليّ عليه السّلام إليهم بما ضمنه له، ولم يزل بهم حتى تفرّقوا.

فلما سار أهل مصر ببعض الطريق - إلى أن قال - رأوا كتاباً من عثمان إلى ابن أبي سرح: إذا أتاك كتابي فاضرب عنق عمرو بن بديل، وعبد الرحمن البكري (البلوي)، واقطع أيدي علقمه، وكنانه، وعروه وأرجلهم، ثم دعهم يتشخّطون في دمائهم، فإذا ماتوا فأوقفهم على جذوع النخيل (النخل).

فدخل عليّ عليه السّلام على عثمان وقال له: إنك وسطنتي أمراً بذلت الجهد فيه لك، أما أنا فمعتز لك و شأنك وأصحابك. و خرج من عنده و دخل داره و أغلق عليه بابه (١).

١٠

الخطبه (١٣٥)

و من كلام له عليه السّلام:

يَا ابْنَ اللَّعِينِ الْمَأْبُوتِ - وَ الشَّجَرَةِ الَّتِي لَا - أَصِيلَ لَهَا وَلَا - فَرْعَ - أَنْتَ تَكْفِينِي - فَوَ اللَّهُ مَيَا أَعَزَّ اللَّهُ مَنْ أَنْتَ نَاصِرُهُ - وَلَا قَامَ مَنْ أَنْتَ مُنْهَضُهُ - اخْرُجْ عَنَّا أَبْعَدَ اللَّهُ نَوَاكِ ثُمَّ ابْلُغْ جَهْدَكَ - فَلَا أَبْقَى اللَّهُ عَلَيْكَ إِنْ أَبْقَيْتَ

ص: ٢٦٠

١ - ١) تاريخ المدينة المنورة ١١٢٦: ٣، و ١١٥١: ٤ - ١١٦١، الإمامه و السياسة ٣٦: ١ - ٣٨، أنساب الأشراف، الجمل للمفيد: ١٣٧ - ١٤١، و [١] نقله الشارح عن الجمل [٢] بتصرف و تلخيص.

أقول: قال ابن أبي الحديد ابن أبي الحديد-شرح نهج البلاغه-ج ٨ ص ٣٠٢ و ٣٠٣: روى عوانه عن إسماعيل بن أبي خالد، عن الشعبي: أن عثمان لما كثرت شكايته من عليّ عليه السلام، أقبل لا يدخل عليه أحد من أصحاب النبي صلى الله عليه وآله وسلم إلا-شكاه إليه، فقال له زيد بن ثابت الأنصاري-و كان من شيعته و خاصّته-: أ فلا- أمشى إليه فاخبره بموجدتك فيما يأتي إليك؟ قال:

بلى. فأتاه زيد و معه المغيرة بن الأحنس بن شريق الثقفي-و عداده في بني زهره، و أمّه عمّه عثمان-في جماعه فدخلوا عليه.

ثمّ قال له زيد: إنّ الله قدّم لك سلفا صالحا في الإسلام، و جعلك من الرسول بالمكان الذي أنت به، فأنت للخير كلّ الخير أهل، و عثمان ابن عمّيك، و والى هذه الامّه، فله عليك حقّان: حقّ الولاية و حقّ القرابه، و قد شكّا إلينا أنّ عليّا يعرض لي، و يردّ عليّ أمرى، و قد مشينا إليك نصيحه لك، و كراهيه أن يقع بينك و بين ابن عمّك أمر نكرهه لكما.

فقال عليّ عليه السلام: و الله ما احبّ الاعتراض، و لا الردّ عليه، إلاّ أن يأبى حقّا لله لا يسعنى أن أقول فيه إلاّ بالحقّ، و و الله لأكفّن عنه ما وسعنى الكفّ.

فقال المغيرة بن الأحنس-و كان رجلا- وقاحا، و كان من شيعه عثمان و خلصائه-: إنّك و الله لتكفّن عنه أو لتكفّن، فإنّه أقدر عليك منك عليه! و إنّما أرسل هؤلاء القوم من المسلمين إعدارا(إعزازا)إليك ليكون له الحجه عندهم عليك.

فقال له على عليه السلام: يا بن اللعين الأبتى، و الشجره التى لا- أصل لها و لا- فرع، أنت تكفّننى؟! فو الله ما أعز الله امرأ أنت ناصره، اخرج أبعدهم نواك، ثمّ أجهد جهداك، فلا أبقى الله عليك و لا على أصحابك إن أبقيتهم.

فقال زيد: إنّنا و الله ما جئناك لنكون عليك شهودا، و لا ليكون مشينا (ممشانا)إليك حجه، و لكن (مشينا فيما بينكما)التماس الأجر أن يصلح الله

ذات بينكما، ثم قام فقاموا معه (١).

قال ابن أبي الحديد: وهذا الخبر يدل على أنّ اللفظه «تكفني» لا «تكفيني» كما ذكره الرضوي، لكن الرضوي طبّق هذه اللفظه على ما قبلها، وهو قوله: «أنا أكفيكه» ولا شبهه أنّه رواه أخرى (٢).

قلت: ورواه أعمم الكوفي في (تاريخه ابن أعمم الكوفي-الفتوح-ج ١ ص ١٦ تحقيق سهيل زكار، دار الفكر، بيروت) مثل (ابن أبي الحديد) وزاد: أنّ الأصل في وقوع المشاجره بين عليّ عليه السّلام و عثمان، أنّ عثمان أراد إخراج عمّار بعد أبي ذرّ إلى الرّبذه أيضا.

و مختصر روايته: أنّ عمّار لما سمع بوفاه أبي ذر في الرّبذه ترخّم عليه في حضور عثمان، فغضب و قال: ارسلوه إلى محلّ كان فيه أبو ذر. فقال له عمّار: مجاوره الكلاب و الخنازير أحبّ إليّ من جوارك.

و خرج من عنده و عزم عثمان على إخراجهم، فاجتمع بنو مخزوم حلفاء عمّار إلى عليّ عليه السّلام و قالوا له: ضربه مرّه و فتقه أخرى، و الآن أراد إخراجهم، فالتق عثمان ينصرف عن هذا و إلّا تكون فتنه. فدخل عليّ عليه السّلام على عثمان و قال له: أخرجت أبا ذر و هو من أجلّ الصحابه حتّى مات في الغربه، فانصرف وجوه المسلمين عنك، و الآن أردت إخراج عمّار فاتّق الله. فغضب عثمان و قال:

يجب إخراجك أوّلا حتّى لا تجتريء أمثال عمّار و فسادهم منك.

فقال له عليّ عليه السّلام: إنك لا تقدر على ذلك، و فساد أمثال عمّار من أعمالك لا منّي، فأعمالك خلاف الدين فينكرون عليك. ثم خرج من عنده فاجتمع الناس إليه و قالوا: أراد عثمان أن يخرجنا جميعا حتّى نموت بعيدين من أهالينا.

فقال عليه السّلام: قولوا لعمّار: لا يخرج من بيته. فاطمأن بنو مخزوم

ص: ٢٤٢

[١-١] شرح ابن أبي الحديد ٣٠٢:٨-٣٠٣. [١]

[٢-٢] شرح ابن أبي الحديد ٣٠٣:٨. [٢]

باستظهاره عليه السّلام، وقالوا له: لو كنت معنا لم يقدر عثمان على إضرارنا. فبلغ ذلك إلى عثمان، فشكاه عليه السّلام إلى الناس فقال له زيد بن ثابت: لو تأذن القى عليّا.

فخرج هو و المغيرة بن الأحنس إليه عليه السّلام إلى آخر ما مرّ (١).

و تاريخ تأليف كتاب أعثم سنة (٢٠٤) كما صرّح به مترجمه المتوفى، و كلّ منهما عامّي (٢).

قول المصنّف: «و من كلام له عليه السّلام» اقتصر عليه في (المصريه) (٣)، مع أنّه قال المصنّف بعده: «و قد وقعت مشاجره بينه و بين عثمان، فقال المغيرة بن الأحنس لعثمان: أنا أكفيكه. فقال أمير المؤمنين عليه السّلام للمغيرة» كما يشهد له نقل (ابن أبي الحديد و ابن ميثم و الخطيبه) (٤) مع اختلاف يسير، و اخترنا لفظ ما في (ابن ميثم) لكون نسخه بخط المصنّف.

ص: ٢٦٣

١- (١) الفتوح لابن أعثم الكوفى ١:١٦، تحقيق سهيل زكار، دار الفكر، بيروت.

٢- (٢) قال ياقوت في معجم الأدياء ٢:٢٣٠-٢:٢٣١ [١] ما لفظه: «أحمد بن أعثم الكوفى أبو محمّد الاخبارى المؤرّخ، كان شيعيّاً، و هو عند أصحاب الحديث ضعيف، و له كتاب التاريخ إلى آخر أيام المقتدر، ابتدأه بأيام المأمون، و يوشك أن يكون ذيلاً على الأوّل، رأيت الكتابين». و عدّ العلامة المجلسى رحمه الله فى البحار ١:٢٥ كتاب الفتوح من كتب تواريخ العامه، و [٢] قال: و تاريخ الفتوح للأعثم الكوفى و تاريخ الطبرى و... و قال حاجى خليفه فى كشف الظنون فى ذيل عنوان فتوحات الشام: و صنّف فيها أبو محمّد أحمد بن أعثم الكوفى و ترجمه أحمد بن محمّد المنوفى إلى الفارسيه. و قال الشيخ آقا بزرك الطهرانى فى الذريعه ٣:٢٢١: [٣] قال المنوفى فى أوّل ترجمه «الفتوح»: «ذكر عندى كتاب الفتوح الذى ألف سنة ٢٠٤» و هذا فيه غلط فى تاريخ التأليف جزماً، فإنّ ياقوت المعاصر للمترجم، لأنّه توفى سنة ٦٢٦، أخبر بأنّه رأى الكتابين: الفتوح المنتهى إلى عصر الرشيد، و التاريخ المنتهى فيه إلى أيام المقتدر المقتول سنة ٣٢٠، و هما لأحمد بن أعثم. فمؤلف هذا التاريخ كيف يكون تأليف فتوحه سنة ٢٠٤؟ فالظاهر أنّ المترجم بما أنّه لم يظفر بتاريخ ابن أعثم و إنّما ظفر بفتوحه فقط المنتهى إلى حدود سنة ٢٠٤، حسب ذلك تاريخ الفراغ لمؤلفه و ترجمه الى الفارسيه....

٣- (٣) نهج البلاغه ٢:٢٥. [٤]

٤- (٤) شرح ابن أبى الحديد ٨:٣٠١، [٥] شرح ابن ميثم ٣:١٦٣. [٦]

ثم من مشاجراته عليه السلام مع عثمان غير ما في المتن ما في (مروج المسعودي): أن عليًا عليه السلام لما رجع من تشيع أبي ذر استقبله الناس و قالوا له:

إن عثمان عليك غضبان لتشيعك لأبي ذر، فقال عليه السلام: غضب الخيل على اللجم (١) - إلى أن قال: - فقال له عثمان: أو لم يبلغك أنني نهيت الناس عن تشيع أبي ذر؟ فقال له علي عليه السلام: أو كل شيء أمرتنا به نرى طاعه الله و الحق في خلافه أتبعنا فيه أمرك؟ لا و الله. قال عثمان: أقدم مروان - إلى أن قال: -:

قال عثمان له عليه السلام: فو الله ما أنت عندي بأفضل من مروان. فغضب علي عليه السلام و قال: ألي تقول هذا القول، و بمروان تعدلني؟ - إلى أن قال: - فلتما كان من الغد و اجتمع الناس إلى عثمان شكوا إليهم عليه السلام و قال: إنه يعينني و يظهر من يعينني - يريد بذلك أبا ذر و عمارة و غيرهما - فدخل الناس بينهما، فقال عليه السلام: ما أردت بتشيع أبي ذر إلا الله (٢).

و ما في (تاريخ الثقفى) - علي ما في تقريب الحلبي - عن عبد الرحمن بن معمر عن أبيه قال: لما قدم بأبي ذر من الشام إلى عثمان كان مما أتبه (٣) عثمان به أن قال: أيها الناس، إنه يقول: إنه خير من أبي بكر و عمر. قال أبو ذر: أجل، أنا أقول، و الله لقد رأيتني رابع أربعة من النبي صلى الله عليه و آله و سلم، ما أسلم غيرنا، و ما أسلم أبو بكر و لا عمر، و لقد وليا و ما وليت.

فقال علي عليه السلام: و الله لقد رأيت و إنه لربع الإسلام. فرد عثمان ذلك على علي عليه السلام، و كان بينهما كلام، فقال عثمان: و الله لقد هممت بك. قال علي عليه السلام:

ص: ٢٤٤

١ - ١) قال الميداني في مجمع الأمثال ٢: ٥٦ [١] ما لفظه: يضرب لمن يغضب غضبا لا ينتفع به، و لا موضع له، و نصب «غضب» على المصدر، أي: غضب غضب الخيل.

٢ - ٢) مروج الذهب ٢: ٣٥٠ - ٣٥١، و [٢] نقله الشارح بتصرف و تلخيص.

٣ - ٣) التأييب: المبالغه في التوبيخ و التعنيف. النهايه ١: ٧٣، [٣] ماده (أنب).

و أنا و الله لأهم بك. فقام عثمان و دخل بيته (١).

و نقل (ابن أبي الحديد) أيضا مقدارا من مشاجراته (٢).

هذا، و قالوا: كان اسم أبي المغيرة بن أخنس أينا، فلما خرجت قريش إلى بدر، و أتاهم الخبر عن أبي سفيان بسلامه العير، قال أبي لبني زهره - و كان حليفا لهم - : ارجعوا. فرجعوا. فقيل: خنس بهم أبي، فسمى الأخنس (٣).

قوله عليه السلام: «يا بن اللعين» قال ابن أبي الحديد: جعل عليه السلام أباه لعينا، لأنه كان من أكابر المنافقين، ذكره أصحاب الحديث كلهم في المؤلفه الذين أسلموا يوم الفتح بألسنتهم دون قلوبهم، و أعطاه النبي صلى الله عليه و آله و سلم من غنائم حنين مائه من الإبل لتأليفه (٤).

قلت: و روى (أسباب نزول الواحدى): أن فيه نزل «و من الناس من يعجبك قوله في الحياة الدنيا و يشهد الله على ما في قلبه و هو ألمد الخصام و إذا تولى سعى في الأرض ليفسد فيها و يهلك الحوت و الشل و الله لا يحب الفساد و إذا قيل له اتق الله أخذته العزة بالإثم فحشبه جهنم و لبس المهاد» (٥).

ففيه قال السدى: أقبل الأخنس بن شريق الثقفى إلى المدينة فأظهر الإسلام، فأعجب النبي صلى الله عليه و آله و سلم ذلك منه، و قال الأخنس: إنما جئت أريد الاسلام، و الله يعلم إنى لصادق. ثم خرج من عند النبي صلى الله عليه و آله و سلم فمر بزرع القوم من

ص: ٢٤٥

١- ١) نقله عنه العلامة المجلسى رحمه الله فى بحار الأنوار، ٣٣٧: ٨ [١] ط الكمبانى.

٢- ٢) شرح ابن أبى الحديد ٢٥٤: ٨- ٢٥٥.

٣- ٣) اسد الغابه ١: ٤٧- ٤٨، [٢] الإصابه ١: ٢٥.

٤- ٤) شرح ابن أبى الحديد ٣٠١: ٨. [٣]

٥- ٥) أسباب النزول: ٣٩، و [٤] الآيات ٢٠٤- ٢٠٦ من سوره البقره. [٥]

المسلمين و حمر، فأحرق الزرع و عقر الحمر، فأُنزل فيه تلك الآيات (١).

و منه يظهر قول ابن أبي الحديد: أسلم يوم الفتح (٢).

قال ابن أبي الحديد: و أبو الحكم بن الأخنس أخو المغيرة، قتله أمير المؤمنين عليه السّلام يوم احد كافرا في الحرب، و الحقد الذى فى قلب المغيرة عليه عليه السّلام من جهة أخيه هذا (٣).

قلت: و خرج ابنه عبد الله بن المغيرة، و ابن أخيه عبد الله بن أبي عثمان يوم الجمل عليه عليه السّلام فى الناكثين فقتلا (٤).

و فى (إرشاد محمّد بن محمّد بن النعمان المفيد): مرّ أمير المؤمنين عليه السّلام يوم الجمل فى القتل على عبد الله بن المغيرة، فقال عليه السّلام: أما هذا فقتل أبوه يوم قتل عثمان فى الدار، فخرج مغضبا لقتل أبيه و هو غلام حدث حين (٥) لقتله.

ثم مرّ عليه السّلام بعبد الله بن أبي عثمان بن الأخنس، فقال عليه السّلام: أما هذا فكأنى أنظر إليه - و قد أخذ القوم السيوف - هاربا يعدو من الصفّ، فنهت عنه فلم يسمع من نهت فقتله (٦).

«الأبتر» قال ابن أبي الحديد: جعل عليه السّلام أباه أبتر، لأنّ من كان عقبه ضالّا خبيثا، فهو كمن لا عقب له، بل من لا عقب له خير منه (٧).

قلت: الأصل فى كلامه عليه السّلام قوله تعالى: «إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ» (٨) نزل

ص: ٢٦٦

١- ١) أسباب النزول: ٣٩. [١]

٢- ٢) شرح ابن أبي الحديد ٨: ٣٠١. [٢]

٣- ٣) شرح ابن أبي الحديد ٨: ٣٠١. [٣]

٤- ٤) الجمل للمفيد: ٣٩٣-٣٩٤. [٤]

٥- ٥) الحين - بالفتح - : الهلاك، يقال: حان يحين حيناً، و حينه الله فتحين. (لسان العرب ٣: ٤٢٣-٤٢٤، [٥] مادة: حين).

٦- ٦) الإرشاد ١: ٢٥٥-٢٥٦، [٦] الجمل: ٣٩٣-٣٩٤، [٧] بحار الأنوار ٣٢: ٢٠٨. [٨]

٧- ٧) شرح ابن أبي الحديد ٨: ٣٠١. [٩]

٨- ٨) الكوثر: ٣. [١٠]

فى العاص أبى عمرو بن العاص.

وفى (الأسباب) أيضا: تحدّث العاص مع النّبىّ صلّى الله عليه وآله وسلم عند باب بنى سهم، ثمّ دخل المسجد فقالت له قريش: من كنت تحدّث؟ قال ذاك الأبر-وقد كان ابنه صلّى الله عليه وآله وسلم من خديجه مات، وكانوا يسمّون من ليس له ابن أبر-فأنزل تعالى سورة الكوثر (١).

«و الشجره التى لا- أصل لها و لا- فرع» قال ابن أبى الحديد: قال عليه السّلام ذلك لكون المغيره من ثقيف، و فى نسب ثقيف طعن، فهم يزعمون أنّهم من هوازن من قيس عيلان، وقيل: إنّهم من إباد بن نزار، وقيل: إنّهم من بقايا ثمود (٢).

و قال الحجاج: يزعمون أنّا من بقايا ثمود، و قد قال تعالى: «و ثمودَ فما أبقي» (٣).

قلت: و مع كونه بهذه المشابهة من الخبائث افتعل له سيف الوضّاع خبرا فى كون قاتله من أهل النّار (٤)، لكونه قتل مع عثمان يوم الدار (٥).

«أنت تكفينى؟ فو الله ما أعزّ الله من أنت ناصره» يعنى عليه السّلام عثمان .

«و لا- قام من أنت منهضه» أى: مقيمته، و ناهضه الرجل بنو أبيه الذين يغضبون له، هذا، و فى (بلاغات أحمد بن أبى طاهر البغدادي): لما قتل علىّ عليه السّلام بعث معاويه فى طلب شيعة، فكان فى من طلب عمرو بن الحمق الخزاعى فراغ منه فأرسل إلى امرأته فحبسها فى سجن دمشق سنتين، ثم إنّ عبد الرحمن بن الحكم ظفر بعمرو بن الحمق فى بعض بلاد الجزيرة، فقتله

ص: ٢٤٧

١- ١) أسباب النزول: ٣٠٦-٣٠٧. [١]

٢- ٢) شرح ابن أبى الحديد ٣: ٣٠٣-٨: ٣٠٥. [٢]

٣- ٣) المصدر نفسه ٨: ٣٠٦، و [٣] الآية ٥١ من سورة النجم. [٤]

٤- ٤) تاريخ الطبرى ٤: ٣٩٠، سنة ٣٥.

٥- ٥) تاريخ الطبرى ٤: ٣٨٢، سنة ٣٥، شرح ابن أبى الحديد ٨: ٣٠٦. [٥]

و بعث برأسه إلى معاوية- وهو أول رأس حمل في الإسلام- فبعث معاوية بالرأس إلى امرأته في السجن- إلى أن قال:- فسمعها الاسلع الهلالي، وكان رجلاً أسود أصلع أصعل، تذكر معاوية فقال: من تعنى هذه عليها لعنه الله.

فالتفت إليه، فلما رآته قالت: خزيا لك و جدعا، أتلعنى و اللعن بين جنبيك، و ما بين قرنك إلى قدميك، أخساً يا هامه الصعل و وجه الجعل، فأذلل بك نصيراً و اقلل بك نصيراً. فبهت الاسلع منها و اعتذر إليها (١).

و في (كنايات الجرجاني) قال أبو حيان: رأيت أبا حامد في مجلس ابن أمّ شيبان يناظر خصماً له، فابتدر أبو جعفر الأبهري ليتكلم مداخلاً، فأنشد أبو حامد:

فإن تك قيس قدمتك لنصرها فقد خزيت قيس و ذلّ نصيرها (٢)

«اخرج عَنَّا أبعَدَ اللهُ نواك» في (الصحاح): النوى: الوجه الذى ينويه المسافر من قرب أو بعد، و هى مؤنّته (٣).

«ثم ابلغ جهدك» في (الصحاح): قال الفراء: الجهد بالضمّ الطاقه، و بالفتح من قولك: اجهد جهدك فى هذا الأمر، أى: ابلغ غايتك، و المراد فيما تستطيع من الإيذاء و الإضرار (٤).

«فلا أبقى الله عليك إن أبقيت» شيئاً ممّا يأتى من يديك. و قد قال عليه السّلام نظير هذا الكلام لحبيب بن مسلمة الفهريّ لما بعثه معاوية إليه عليه السّلام فى صّفين، ففى (الطبرى): أنّ حبيبا قال له عليه السّلام: كان عثمان خليفه مهدياً، يعمل بكتاب الله، و ينبى إلى أمر الله، فاستثقلت حياته، و استبطأت وفاته، فعدوتم عليه

ص: ٢٤٨

١- ١) بلاغات النساء [١] لابن أبى طاهر البغدادي: ٨٧، دار النهضة الحديثه، بيروت.

٢- ٢) الكنايات للجرجاني: ١٠٠، مطبعه السعاده، مصر.

٣- ٣) الصحاح ٢٥١٦: ٦، [٢] ماده (نوى).

٤- ٤) المصدر نفسه ٢٤٦٠: ٢، [٣] ماده (جهد).

فقتلتموه، فادفع إلينا قتله عثمان- إن زعمت أنك لم تقتله- نقلهم به، ثم اعتزل أمر الناس، فيكون أمرهم شوري بينهم، يولى الناس أمرهم من أجمع عليه رأيهم.

فقال عليه السلام له: وما أنت- لا أم لك- وهذا الأمر؟ اسكت فإنك لست هنا لك ولا بأهل له! فقام وقال: والله لترينى بحيث تكره. فقال عليه السلام: وما أنت، ولو أجلبت بخيلك ورجلك؟ لا أبقي الله عليك إن أبقيت علي، أحقره و سوءاً؟ اذهب فصوب و اصعد(صعد) ما بدا لك (1).

11

الخطبة (١٣٠)

و من كلام له عليه السلام لأبى ذرّ رحمه الله لما اخرج إلى الرّبذه:

يَا أَيُّهَا ذَرُّ؟ إِنَّكَ غَضِبْتَ لِلَّهِ فَارْجُ مَنْ غَضِبْتَ لَهُ- إِنَّ الْقَوْمَ خَافُوكَ عَلَى دُنْيَاهُمْ وَ خِفْتَهُمْ عَلَى دِينِكَ- فَاتْرُكْ فِي أَيْدِيهِمْ مَا خَافُوكَ عَلَيْهِ- وَ اهْرُبْ بِمَا خِفْتَهُمْ عَلَيْهِ- فَمَا أَحْوَجُهُمْ إِلَى مَيَا مَنَعْتَهُمْ- وَ مَيَا أَعْنَاكَ عَمَّا مَنَعُوكَ- وَ سَيَتَعَلَّمُ مِنَ الرَّابِحِ عَدَاً وَ الْأَكْثَرَ حَسَدًا- وَ لَوْ أَنَّ السَّمَاوَاتِ وَ الْأَرْضِ كَانَتَا عَلَى عَبْدٍ رَتَقًا- ثُمَّ اتَّقَى اللَّهَ لَجَعَلَ اللَّهُ لَهُ مِنْهُمَا مَخْرَجًا- لَا يُؤْنِسُ نِكَ إِلَّا الْحَقُّ- وَ لَا- يُوحِسُ نِكَ إِلَّا الْبَاطِلُ- فَلَوْ قَبِلَتْ دُنْيَاهُمْ لِأَحْبُوكَ- وَ لَوْ قَرَضَتْ مِنْهَا لِأَمْنُوكَ أقول: قال ابن أبي الحديد ٢ ابن أبي الحديد- شرح نهج البلاغه- ج ٨ ص ٢٥٢ تا ٢٥٥: روى هذا الكلام أبو بكر أحمد بن عبد العزيز الجوهري في (سقيفته ١ أبو بكر أحمد بن عبد العزيز الجوهري- السقيفة و فدك- ص ٧٦ تا ٧٩) عن عبد الرزاق، عن أبيه، عن عكرمه، عن ابن عباس قال: لما أخرج أبو ذرّ إلى الرّبذه أمر عثمان، فنودي في الناس أن لا يكلم أحد أبا ذرّ، ولا يشيعه. و أمر مروان أن يخرج به فخرج به، و تحاماه الناس إلا علي بن

ص: ٢٦٩

(١-١) تاريخ الطبرى سنه ٣٧، ٧: ٥. [١]

أبى طالب عليه السّلام و عقيلًا- أخاه، و الحسن و الحسين عليهما السلام و عمّارًا، فإنّهم خرجوا معه يشيّعونه، فجعل الحسن عليه السّلام يكلم أبا ذرّ، فقال له مروان: ألا تعلم أنّ الخليفة قد نهى عن كلام هذا الرجل؟ فإن كنت لا تعلم ذلك فاعلم. فحمل على عليه السّلام على مروان بالسوط بين اذنى راحلته، و قال له: تنحّ نجاك (لحاك) الله إلى النّار! فرجع مروان مغضبا إلى عثمان، فأخبره الخبر، فتلظى على على عليه السّلام. و وقف أبو ذرّ فودّعه القوم، و معه ذكوان مولى امّ هانى بنت أبى طالب.

قال ذكوان: فحفظت كلام القوم- و كان حافظا- فقال له على: يا أبا ذرّ، إنك غضبت لله. أنّ القوم خافوك على دنياهم، و خفتهم على دينك، فامتحنوك بالقلبي، و نفوك إلى الغلي (الفلا)، لو كانت السماوات و الأرض على عبد رتقا، ثم اتقى الله لجعل الله له منها مخارجا. يا أبا ذرّ لا يؤنسك إلا الحقّ، و لا يوحشك إلا الباطل.

ثمّ قال لأصحابه: ودّعوا عمّكم. و قال لعقيل: ودّع أخاك. فتكلم عقيل، فقال: ما عسى أن نقول يا أبا ذرّ و أنت تعلم أنّا نحبك، و أنت تحبنا، و اتق الله فإنّ التقوى نجاه، و اصبر فإنّ الصبر كرم، و اعلم أنّ استئثارك الصبر من الجزع، و استبطاءك العافية من اليأس، فدع اليأس و الجزع.

ثمّ تكلم الحسن عليه السّلام فقال: يا عمّاه لو لا أنّه لا ينبغي للمودّع أن يسكت.

و (لا بدّ-ظ) للمشيع أن ينصرف، لقصر الكلام و إن طال الأسف، و قد أتى القوم إليك ما ترى، فضع عنك (همّ-ظ) الدنيا بتذكّر فراقها، و شدّه ما اشتدّ منها برحاء (برجاء) ما بعدها، و اصبر حتّى تلقى نبيك و هو عنك راض.

ثمّ تكلم الحسين عليه السّلام فقال: يا عمّاه، إنّ الله تعالى قادر على أن يغيّر ما ترى، و الله كلّ يوم هو فى شأن، و قد منعك القوم دنياهم، و منعتهم دينك،

فما أغناك عمّا منعوك، وأحوجهم إلى ما منعهم، فاسأل الله تعالى الصبر والنصر، واستعذ به من الجشع والجزع، فإنّ الصبر من الدين والكرم، وإنّ الجشع لا يقدم رزقا، والجزع لا يؤخر أجلا.

ثمّ تكلم عمّار رضى الله عنه مغضبا فقال: لا آنس الله من أوحشك، ولا آمن من أخافك. أما والله لو أردت دنياهم لأمنوك، ولو رضيت أعمالهم لأحبوك، وما منع الناس أن يقولوا بقولك إلا الرضا بالدنيا، والجزع من الموت، ومالوا إلى سلطان جماعتهم عليه، والملك لمن غلب، فوهبوا لهم دينهم، ومنحهم القوم دنياهم، فخسروا والدنيا والآخرة، وذلك هو الخسران المبين.

فبكى أبو ذرّ وكان شيخا كبيرا، وقال: رحمكم الله يا أهل بيت الرحمة! إذا رأيتكم ذكرت بكم رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلم، مالى بالمدينه سكن ولا شجن (1) غيركم، إننى ثقلت على عثمان بالحجاز، كما ثقلت على معاوية بالشام، وكره أن أجاور أخاه وابن خاله بالمصريين، فافسد الناس عليهما، فسيرنى إلى بلد ليس لى به ناصر ولا دافع إلا الله، والله ما أريد إلا الله صاحبا، وما أخشى مع الله وحشه.

ثمّ رجعوا إلى المدينه، فقال عثمان لعليّ عليه السّلام: ما حملك على ردّ رسولى، وتصغير أمرى؟ فقال: أمّا رسولك، فأراد أن يردّ وجهى فرددته. قال: أمّا بلغك نهى عن كلام أبى ذرّ؟ قال: أو كلّما أمرت بأمر معصيه أتعناك فيه؟ قال: أقدم مروان. قال: ممّ؟ قال: من شتمه و جذب راحلته. قال: أمّا راحلته فراحتلى بها، وأما شتمه إياى، فوالله لا شتمنى شتمه إلا شتمتك مثلها، ولا أكذب عليك.

فغضب عثمان، وقال: لم لا يشتمك، كأنك خير منه؟ قال عليّ عليه السّلام: أى والله ومنك. ثمّ قام فخرج - إلى أن قال -: فقالت قريش و بنو اميّه لمروان: أنت

ص: ٢٧١

١ - ١) الشجن - بفتح الحين - : الحاجه (المصباح المنير ٣٦٨: ١، ماده: شجن).

رجل! جبهك على، و ضرب راحلتك، و قد تغانت وائل في زرع ناقه، و ذبيان و عيس في فرس، و الأوس و الخزرج في نسعه! أ فتحمل لعلّي ما أتاه إليك؟ فقال مروان: و الله لو أردت ذلك لما قدرت عليه (١).

قلت: و رواه محمّد بن يعقوب في (روضته الكليني-الكافي-الروضه ج ٨ ص ٢٠٦ تا ٢٠٨) عن عدّه من أصحابه، عن سهل الآدمي، عن محمّد بن الحسن، عن محمّد بن حفص التميمي، عن أبي جعفر الخثعمي قال: لمّا سير عثمان أبا ذرّ إلى الربذه شيّعه أمير المؤمنين عليه السّلام و عقيل و الحسنان عليهما السّلام و عمّار، فلمّا كان عند الوداع قال عليه السّلام له: يا أبا ذرّ، إنّما غضبت لله عزّ و جلّ، فأرج من غضبت له، إنّ القوم خافوك على دنياهم، و خفتهم على دينك، فأرحلوك عن الفناء و امتحنوك بالبلاء و الله لو كان السماوات و الأرض على عبد رتقا ثم اتقى الله جعل الله له منها مخرجاً، فلا يؤنسّك (يونسك) إلا الحقّ، و لا يوحشّك (يوحشك) إلا الباطل.

ثمّ تكلم عقيل فقال: يا أبا ذرّ، أنت تعلم أنّا نحبيك، و نحن نعلم أنّك تحبنا، فإنّك قد حفظت منّا (فيينا) ما ضيع الناس إلا القليل، فتوابك على الله عزّ و جلّ، و لذلك أخرجك المخرجون و سيرك المسيرون، فاتّق الله، و اعلم أنّ استثقالك (استعفاءك) البلاء من الجزع، و استبطاءك العافيه من اليأس، فدع اليأس و الجزع و قل: حسبى الله و نعم الوكيل.

ثمّ تكلم الحسن عليه السّلام فقال: يا عمّاه، إنّ القوم قد أتوا إليك ما ترى، و إنّ الله عزّ و جلّ بالمنظر الأعلى، فدع عنك ذكر الدنيا بذكر فراقها، و شدّه ما يرد عليك لرخاء ما بعدها، و اصبر حتّى تلقى نبيك صلّى الله عليه و آله و سلّم و هو عنك راض.

ثمّ تكلم الحسين عليه السّلام فقال: يا عمّاه، إنّ الله تعالى قادر على أن يغيّر ما ترى و هو كلّ يوم في شأن، إنّ القوم منعوك دنياهم، و منعتهم دينك، فما

ص: ٢٧٢

١-١) السقيفه و فدك: ٧٦-٧٩. [١] شرح ابن أبي الحديد ٢٥٢:٨-٢٥٥، و [٢] نقله الشارح بتصرّف و تلخيص.

أغناك عمّا منعوك، و ما أحوجهم إلى ما منعتهم، فعليك بالصبر و إنّ الخير فى الصبر، و الصبر من الكرم، و دع الجزع فإنّ الجزع لا يغنيك.

ثمّ تكلم عمّار رضى الله عنه فقال: يا أبا ذرّ، أوحش الله من أوحشك، و أخاف من أخافك، إنّ الله ما منع الناس أن يقولوا الحقّ إلّا- الركون إلى الدّنيا و الحبّ لها، ألّا إنّما الطاعه مع الجماعة، و الملك لمن غلب عليه، و إنّ هؤلاء القوم دعوا الناس إلى دنياهم فأجابوهم إليها، و هبوا لهم دينهم فخسروا الدّنيا و الآخره و ذلك هو الخسران المبين.

ثمّ تكلم أبو ذرّ فقال: عليكم منّى السلام و رحمه الله و بركاته، بأبى و امى هذه الوجوه، فإنّى إذا رأيتكم ذكرت بكم رسول الله صلّى الله عليه و آله و سلّم، و مالى بالمدينه شجن و لا سكن غيركم، و إنّّه ثقل على عثمان جوارى بالمدينه كما ثقل على معاويه بالشام، فألى أن يسيرنى إلى بلده، فطلبت إليه أن يكون ذلك إلى الكوفه، فرعم أنّه يخاف أن افسد على أخيه الناس بالكوفه، و آلى بالله أن يسيرنى إلى بلده لا أرى بها أنيسا و لا أسمع لها حسيسا (١)، و إنّى و الله ما اريد إلّا الله عزّ و جلّ صاحبا و مالى مع الله وحشه «حسبى الله لا إله إلّا هو عليه توكلت و هو ربّ العرش العظيم» (٢).

قول المصنّف: «و من كلام له عليه السلام لأبى ذرّ رضى الله عنه لما خرج» هكذا فى (المصريه) (٣)، و الصواب: «لما اخرج» كما فى (ابن أبى الحديد و ابن ميثم) (٤)، و أيضا لم يخرج هو بل اخرج كما عرفت و تعرف.

«إلى الربذه» فى (المعجم): الربذه من قرى المدينه على ثلاثه أميال

ص: ٢٧٣

١- ١) الحسيس: الصوت الخفى. (المصباح المنير ١: ١٦٦، ماده: حسس).

٢- ٢) الكافى ٨: ٢٠٦-٢٠٨، و [١] الآيه ١٢٩ من سوره التوبه. [٢]

٣- ٣) نهج البلاغه ٢: ١٧. [٣]

٤- ٤) شرح ابن أبى الحديد ٨: ٢٥٢، شرح ابن ميثم ٣: ١٤٥.

(إيام)، قريبه من ذات عرق على طريق الحجاز إذا رحلت في فيد تريد مكة، و بها قبر ابي ذر (١).

قال ابن أبي الحديد: اعلم أنّ الذي عليه أكثر أرباب السيره و علماء الأخبار و النقل، أنّ عثمان نفى أبا ذرّ أولاً إلى الشام، ثمّ استقدمه إلى المدينة لَمَّا شكَا منه معاويه، ثمّ نفاه من المدينة إلى الربذه لَمَّا عمل بالمدينة نظير ما كان يعمل بالشام.

و أصل هذه الواقعة أنّ عثمان لَمَّا أعطى مروان بن الحكم و غيره بيوت الأموال، و اختصّ زيد بن ثابت بشيء منها، جعل أبو ذرّ يقول بين الناس و في الطرقات و الشوارع: بَشِّرِ الكافرين بعذاب أليم، و يرفع بذلك صوته، و يتلو قوله تعالى: «وَالَّذِينَ يَكْتُمُونَ الذَّهَبَ وَ الْفِضَّةَ وَ لَا يُنْفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ» (٢)، فرجع ذلك إلى عثمان مرارا و هو ساكت.

ثمّ إنّه أرسل إليه مولى من مواليه: أن انته عمّا بلغنى عنك. فقال أبو ذرّ:

أ ينهاني عثمان عن قراءه كتاب الله؟ فو الله لأنّ أَرْضِي الله بسخط عثمان أحبّ إليّ من أن اسخط الله برضا عثمان.

فأغضب عثمان ذلك و أحفظه، فتصابر و تمالك (تماسك) - إلى أن قال عثمان يوماً، و الناس حوله: أ يجوز للإمام أن يأخذ من بيت المال شيئاً قرضاً، فإذا أيسر قضى؟ فقال كعب الأخبار: لا - بأس بذلك. فقال أبو ذرّ: يا بن اليهوديين، أ تعلمنا ديننا! فقال عثمان: قد كثر أذاك لي، و تولّعتك بأصحابي، الحق بالشام. فأخرجه إليها.

ص: ٢٧٤

١-١ (١) معجم البلدان ٣: ٢٤. [١]

٢-٢ (٢) التوبه: ٣٤. [٢]

فكان أبو ذرّ ينكر على معاوية أشياء يفعلها، فبعث إليه معاوية يوماً ثلاثمائة دينار، فقال أبو ذرّ لرسوله: إن كانت من عطائي الذي حرمتونه عامي هذا أقبلها، وإن كانت صلّه فلا حاجة لي فيها، وردّها عليه.

ثمّ بنى معاوية الخضراء بدمشق، فقال أبو ذرّ: يا معاوية، إن كانت هذه من مال الله فهى الخيانة، وإن كانت من مالك فهى الإسراف. وكان أبو ذرّ يقول بالشام: والله لقد حدثت أعمال ما أعرفها، والله ما هى فى كتاب الله ولا سنّه نبيّه، والله إنى لأرى حقاً يطفأ و باطلا يحيا، و صادقاً مكذّبا، و إمراه (أثره) بغير تقى، و صالحاً مستأثراً عليه.

فقال حبيب بن مسلمة الفهرىّ لمعاوية: إنّ أبا ذرّ لمفسد عليكم الشام، فتدارك أهله إن كان لك فيه حاجة (١).

و قال ابن أبى الحديد أيضاً: روى شيخنا الجاحظ فى (سفيائته) عن جلام بن جندل الغفارىّ، قال: كنت عاملاً (غلاماً) لمعاوية على قنسرين و العواصم فى خلافة عثمان، فجئت إليه يوماً أسأله عن حال عملى، إذ سمعت صارخاً على باب داره يقول: أتتكم القطار تحمل (بحمل) النار، اللهمّ العن الآمرين بالمعروف، التاركين له، اللهمّ العن الناهين عن المنكر المرتكبين له.

فازبأزّ (٢) معاوية و تغيّر لونه و قال: يا جلام، أ تعرف الصارخ؟ قلت: لا.

قال: من عذيرى من جندب بن جنادة! يأتينا كلّ يوم فيصرخ على باب قصرنا بما سمعت! ثمّ قال: أدخلوه. فجىء بأبى ذرّ بين قوم يقودونه، حتّى وقف بين يديه، فقال له معاوية: يا عدوّ الله و عدوّ رسوله! أتأتينا كلّ يوم فتصنع ما تصنع، أما إنى لو كنت قاتل رجل من أصحاب محمّد من غير إذن عثمان

ص: ٢٧٥

(١ - ١) شرح ابن أبى الحديد ٢٥٥-٨-٢٥٧. [١]

(٢ - ٢) ازبأزّ الرجل: اقشعزّ. (لسان العرب ١٣: ٦، مادة: زبر).

لقتلتك، و لكنى أستاذن فيك.

قال جلام: و كنت احب أن أرى أبا ذرّ، لأنته رجل من قومي، فالتفت إليه فإذا رجل أسمر ضرب (١) من الرجال، خفيف العارضين، فى ظهره حنى (جناً)، فأقبل على معاويه و قال: ما أنا بعدوّ لله و لا لرسوله، بل أنت و أبوك عدوّان لله و لرسوله، أظهرتما الإسلام و أبطنتما الكفر، و لقد لعنك النبىّ صلّى الله عليه و آله و سلّم، و دعا عليك مرّات أن لا تشبع، و سمعته يقول: «إذا ولى الامه الأعين الواسع البلعوم، الذى يأكل و لا يشبع، فلتأخذ الامه حذرهما منه».

فقال معاويه: ما أنا ذاك الرجل. قال أبو ذرّ: بل أنت ذلك، أخبرنى بذلك النبىّ صلّى الله عليه و آله و سلّم، و سمعته يقول- و قد مررت به-: «اللهم العنه و لا- تشبعه إلا بالتراب»، و سمعته يقول: «است (٢) معاويه فى النار». فضحك معاويه و أمر بحبسه، و كتب إلى عثمان فيه. فكتب عثمان إليه: «أن احمل جندبا على أغلظ مركب و أوعره». فوجه به من سار به الليل و النهار، و حمله على شارف (٣) ليس عليها إلا قتب، حتّى قدم به المدينة، و قد سقط لحم فخذه من الجهد. فلما قدم بعث إليه عثمان أن الحق بأى أرض شئت. قال: بمكّه؟ قال: لا. قال: بيت المقدس؟ قال: لا. قال: بأحد المصرين؟ قال: لا، و لكنى مسيرك إلى الربذه.

فسيّره إليها، فلم يزل بها حتّى مات.

قال: و فى روايه الواقديّ: أنّ أبا ذرّ لما دخل على عثمان قال له:

ص: ٢٧٦

١- ١) الضرب: الرجل الخفيف اللحم. قال طرفه: أنا الرجل الضرب الذى تعرفونه خشاش كراس الحيه المتوقّد (الصحاح ١: ١٦٨، [١] مادة: ضرب).

٢- ٢) الاست: العجز. و قد يراد به حلقه الدبر، و أصلها سته على فعل بالتحريك، يدلّ على ذلك أنّ جمعه أستاذ، مثل جمل و أجمال. (الصحاح ٦: ٢٢٣٣، [٢] مادة: سته).

٣- ٣) ناقه شارف: عاليه السنّ. (أساس البلاغه: ٢٣٣، مادة: شرف).

لا أنعم الله بقين عينا نعم ولا لقاها يوما زينا

تحية السخط إذا التقينا

فقال أبو ذر: ما عرفت اسمي «قينا». وفي رواية أخرى، قال: لا أنعم الله بك عينا يا جنيدب! فقال: أنا جنديب، وسماني النبي صلى الله عليه وآله وسلم عبد الله، فاخترت اسمه الذي سماني به علي اسمي. فقال له عثمان: أنت الذي تزعم أنا نقول:

«يَدُ اللَّهِ مَعْلُومَةٌ» (١) و«إِنَّ اللَّهَ فَكِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاءُ» (٢)؟ فقال أبو ذر: لو كنتم لا - تقولون هذا لأنفقتم مال الله على عباده، ولكنني أشهد أنني سمعت النبي صلى الله عليه وآله وسلم يقول: «إذا بلغ بنو أبي العاص ثلاثين رجلا، جعلوا مال الله دولا وعباده خولا».

فقال عثمان لمن حضر: أسمعتموها من النبي؟ قالوا: لا. قال عثمان:

ويلك يا أبا ذر! تكذب على النبي؟ فقال أبو ذر لمن حضر: أما تدرون أنني صدقت! قالوا: لا والله ما ندرى. فقال عثمان: ادعوا لي عليا. فلما جاء فقال عثمان لأبي ذر: اقصص عليه حديثك في بني أبي العاص. فأعاده، فقال عثمان لعلي عليه السلام: أسمع هذا من النبي صلى الله عليه وآله وسلم؟ قال: لا، وقد صدق أبو ذر. قال عثمان:

كيف عرفت صدقه؟ قال: لأنني سمعت النبي صلى الله عليه وآله وسلم يقول: «ما أظلت الخضراء، ولا أقلت الغبراء من ذي لهجه أصدق من أبي ذر». فقال من حضر: أما هذا، فسمعناه كلنا من النبي صلى الله عليه وآله وسلم. فقال أبو ذر: احذثكم أنني سمعت هذا من النبي صلى الله عليه وآله وسلم فتتهموني! ما كنت أظن أنني أعيش حتى أسمع هذا من أصحاب محمد صلى الله عليه وآله وسلم (٣).

وقال ابن أبي الحديد: وروى الواقدي في خبر آخر بإسناده عن

ص: ٢٧٧

[١- ١] المائدة: ٦٤. [١]

[٢- ٢] آل عمران: ١٨١. [٢]

[٣- ٣] شرح ابن أبي الحديد ٢٥٧-٨-٢٥٩. [٣]

صبيان، مولى الأسلميين، قال: رأيت أبا ذرٍّ يوم دخل به على عثمان، فقال له:

أنت الذى فعلت و فعلت! فقال أبو ذرٍّ: نصحتك فغششتنى، و نصحت صاحبك فاستغشنى! قال عثمان: كذبت، و لكنك تريد الفتنة و تحبها، قد أنغلت (١) الشام علينا. فقال له أبو ذرٍّ: أتبع سنّه صاحبك لا يكن لأحد عليك كلام.

فقال له عثمان: مالك و ذلك لا أم لك! قال أبو ذرٍّ: ما وجدت عذرا لى إلا الأمر بالمعروف و النهى عن المنكر. فغضب عثمان و قال: أشيروا علىّ فى هذا الشيخ الكذاب، اضربه، أو أحبسه، أو اقتله، فإنه فرّق جماعه المسلمين، أو أنفيه من أرض الإسلام.

فتكلّم علىّ عليه السّلام- و كان حاضرا- فقال: اشير عليك بما قال مؤمن آل فرعون: «وَ إِنْ يَكُ كَاذِبًا فَعَلَيْهِ كَذِبُهُ وَ إِنْ يَكُ صَادِقًا يُصِبْ بِكُمْ بَعْضُ الَّذِى يَعِدُكُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِى مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَّابٌ» (٢) فأجابه عثمان بجواب غليظ، و أجابه علىّ عليه السّلام بمثله، و لم يذكر الجوابين تدمّما منهما (٣).

قلت: ذكر إبراهيم الثقفى الجوابين و هما: أنّ عثمان قال له عليه السّلام: بفيك التراب فقال عليه السّلام له: بل بفيك (٤).

و قال ابن أبى الحديد: قال الواقدى: ثمّ إنّ عثمان حضر على الناس أن يقاعدوا أبا ذرٍّ، أو يكلموه. فمكث كذلك أيّاما ثمّ أتى به فوقف بين يديه، فقال أبو ذرٍّ: ويحك يا عثمان! أما رأيت النبىّ صلّى الله عليه و آله و سلّم، و رأيت أبا بكر و عمر! هل هديك كهديهم؟ أما إنّك لتبطش بى بطش جبار (عنيد).

فقال عثمان: اخرج عنا. قال أبو ذرٍّ: فما أبغض إلّى جوارك! فإلى أين

ص: ٢٧٨

١- ١) أنغلهم حديثا سمعه: ثمّ إليهم به، و النغل: الإفساد بين القوم و النميمة. (لسان العرب ١٤: ٢٢٢، [١] مادّه: نغل).

٢- ٢) غافر: ٢٨. [٢]

٣- ٣) شرح ابن أبى الحديد ٨: ٢٥٩. [٣]

٤- ٤) بحار الأنوار ٨: ٣٢٤ ط الكمباني، [٤] عن تقريب المعارف.

أخرج؟ قال: حيث شئت. قال: أخرج إلى الشام أرض الجهاد؟ قال: إنما جلبتك من الشام لما قد أفسدتها، فأردك إليها؟ قال: فأخرج إلى العراق. قال: لا، إنك إن تخرج إليها تقدم على قوم أولى شبهه و طعن على الأئمة و الولاه، أخرج إلى البادية. قال: أصير أعرابيا بعد الهجرة؟ قال: نعم. قال أبو ذر: فأخرج إلى بادية نجد. قال: لا تعدون الربذه (١).

و قال: و روى الواقدي أيضا عن مالك بن أبي الرجال، عن موسى بن ميسره: أن أبا الأسود الدؤلي قال: كنت أحب لقاء أبي ذر لأسأله عن سبب خروجه إلى الربذه، فجنّته فقلت له: ألا تخبرني، أخرجت من المدينة طائعا، أم أخرجت كرها؟ فقال: كنت في ثغر من ثغور المسلمين أغنى عنهم، فأخرجت إلى المدينة، فقلت: دار هجرتي و أصحابي. فأخرجت من المدينة إلى ما ترى.

ثم قال: بينا أنا ذات ليلة نائم في مسجد النبي صلى الله عليه و آله و سلم، إذ مرّ بي النبي صلى الله عليه و آله و سلم فضربنى برجله و قال: لا- أراك نائما في المسجد. فقلت: بأبي أنت و أمي! غلبتني عيني، فنمت فيه. قال: فكيف تصنع إذا أخرجوك منه؟ قلت: آخذ سيفي فأضربهم به. فقال: ألا- أدلك على خير من ذلك؟ انسق معهم حيث ساقوك، و تسمع و تطيع. فسمعت و أطعت، و الله ليلقين الله عثمان و هو آثم في جنبي (٢).

قلت: و روى الثقفى في (تاريخه)- كما في (تقريب الحلبي)- كثيرا ممّا رواه الواقدي (٣).

و روى أيضا: أن أبا الدرداء و صاحبا له لقيا رجلا شهدا الجمعة عند معاوية بالجابية، فقال الرجل: خبر كرهت أن أخبركما به. فقال أبو الدرداء:

ص: ٢٧٩

١- ١) شرح ابن أبي الحديد ٢٥٩: ٨- ٢٦٠. [١]

٢- ٢) شرح ابن أبي الحديد ٢٦٠: ٨- ٢٦١. [٢]

٣- ٣) نقله عنه العلامة المجلسي رحمه الله في بحار الأنوار، ٣٣٦: ٨- ٣٣٨ [٣] ط الكمباني.

لعلّ أبا ذرّ قد نفى؟ قال: نعم و الله. فاسترجع أبو الدرداء و صاحبه قريبا من عشر مرّات، ثمّ قال أبو الدرداء: «فَارْتَقِبْهُمْ وَ اصْطَبِرْ» (١) كما قيل لأصحاب الناقه، اللهم إن كانوا كذبوا أبا ذرّ فيّ لا أكذبه، و إن اتهموه فيّ لا أتهمه، و إن استغشوه فيّ لا أستغشه، إنّ النبي صلّى الله عليه و آله و سلّم كان يأتّمه حيث لا يأتّم أحداء، و يسرّ إليه حتّى لا يسرّ إلى أحد. أما و الذي نفسى بيده لو أنّ أبا ذرّ قطع يمينى ما أبغضته بعد ما سمعت النبي صلّى الله عليه و آله و سلّم يقول: ما أظلت الخضراء و لا أقلت الغبراء على ذى لهجه أصدق من أبى ذرّ (٢).

و روى عن الأحنف بن قيس: بينا نحن جلوس مع أبى هريره إذ جاء أبو ذرّ، فقال: يا أبا هريره، هل افتقر الله منذ استغنى؟ فقال أبو هريره: سبحان الله! بل الله الغنى الحميد و نحن الفقراء إليه. قال أبو ذرّ: فما بال هذا المال يجمع بعضه إلى بعض. فقال: مال الله قد منعه أهله من الناس و المساكين.

ثمّ انطلق أبو ذرّ، فقلت لأبى هريره: ما لكم لا تأبون مثل هذا؟ قال: هذا رجل (قد) وّطن نفسه على أن يذبح فى الله، أما إنى أشهد أنى سمعت النبي صلّى الله عليه و آله و سلّم يقول: ما أظلت الخضراء و لا أقلت الغبراء على ذى لهجه أصدق من أبى ذرّ، فإذا أردتم أن تنظروا إلى أشبه الناس بعيسى بن مريم بزّ و زهدا و نسكا فعليكم به (٣).

و روى أيضا مسندا أنّ معاويه قام بالشام خطيبا فقال: أيّها الناس، إنّما أنا خازن، فمن أعطيته فالله يعطيه، و من حرّمته فالله يحرمه.

فقام إليه أبو ذرّ فقال: كذبت و الله يا معاويه! إنك لتعطى من حرم الله،

ص: ٢٨٠

١-١ (١) القمر: ٢٧. [١]

٢-٢ (٢) نقله عنه العلامة المجلسى رحمه الله فى بحار الأنوار، ٨: ٣٣٧ [٢] ط الكمباني.

٣-٣ (٣) المصدر نفسه. [٣]

و تمنع من أعطى الله (١).

و روى عن المغرور بن سويد قال: كان عثمان يخطب، فأخذ أبو ذرّ بحلقه الباب فقال: أنا أبو ذرّ، من عرفنى فقد عرفنى و من لم يعرفنى فأنا جندب، سمعت النَّبَى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ وَ سَلَّمَ يقول: إنَّما مثل أهل بيتى مثل سفينه نوح فى قومه، من تخلف عنها هلك، و من ركبها نجا.

فقال له عثمان: كذبت. فقال له على عليه السَّلام: إنَّما كان عليك أن تقول كما قال العبد الصالح: «إِنَّ يَكُ كاذِباً فَعَلَيْهِ كَذِبُهُ وَ إِنْ يَكُ صادقاً يُصِبُّكُمْ بَعْضُ الَّذِي يَعِدُكُمْ» (٢).

و روى المفيد فى (أماليه) عن الثقفى أيضا عن محمّد بن على، عن الحسين بن سفيان، عن أبيه، عن أبى جهضم الأزدي، عن أبيه قال: لَمَّا أخرج عثمان أبا ذرّ من المدينه إلى الشام كان يقوم فى كلّ يوم فيعظ الناس، و يأمرهم بالتمسك بطاعه الله، و يحذّرهم من ارتكاب معاصيه، و يروى عن النَّبَى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ وَ سَلَّمَ ما سمعه فى فضائل أهل بيته، و يحضّهم على التمسك بعترته.

فكتب معاويه إلى عثمان: أمّا بعد، فإنّ أبا ذرّ يصبح إذا أصبح، و يمسى إذا أمسى و جماعه من الناس كثيره عنده فيقول كيت و كيت، فإن كان لك فى الناس قبلى حاجه فأقدم أبا ذرّ إليك، فإنّى أخاف أن يفسد الناس عليك.

فكتب عثمان إليه: أشخص أبا ذرّ إلّى حين تنظر فى كتابى هذا.

فبعث معاويه إلى أبى ذرّ و دعاه، و أقرأه كتاب عثمان، فقال: النجا (٣)

ص: ٢٨١

١-١) المصدر نفسه. [١]

٢-٢) بحار الأنوار، ٣٣٧:٨-٣٣٨ ط الكمباني، و [٢] الآية ٢٨ من سوره غافر. [٣]

٣-٣) النجا- بالمد و القصر-: مصدر منصوب بفعل مضمر، و النجاء: السرعه. (لسان العرب ١٤:٦٢، ماده نجا:).

الساعة. فخرج أبو ذرّ إلى راحلته، فشدها بكورها (١)، و أنساعها (٢)، فاجتمع إليه الناس فقالوا له: رحمك الله! أين تريد؟ قال: أخرجوني إليكم غضبا عليّ، و أخرجوني منكم إليهم الآن عبثا بي، و لا يزال هذا الأمر فيما أرى فيما بيني و بينهم حتى يستريح بزيّ، أو يستراح من فاجر. و مضى.

و سمع الناس بخروجه حين خرج من دمشق، فساروا معه حتى انتهى إلى دير مزان (٣) - إلى أن قال: - فلما دخل على عثمان قال له: لا قرب الله بعمر و عينا. فقال أبو ذرّ: و الله ما سماني أبواي عمرا و لكن لا قرب الله من عصاه و خالف أمره، فارتكب هواه. فقام إليه كعب الأخبار فقال: ألا تتقى الله يا شيخ! و تجيب أمير المؤمنين بهذا الكلام! فرفع أبو ذرّ عصا كانت في يده فضرب بها رأس كعب، ثم قال له: يا بن اليهوديين! ما كلامك مع المسلمين؟ فو الله ما خرجت اليهودية من قلبك بعد. فقال عثمان: و الله لا جمعتني و إزيّاك دار، قد خرفت، و ذهب عقلك، أخرجوه من بين يديّ حتى تركبوه قتب ناقه بغير وطاء، ثم انخسوا (٤) به الناقه، و تعتوه حتى توصلوه الربذه، فنزلوه بها من غير أنيس حتى يقضى الله فيه ما هو قاض. فأخرجوه متعتعا (٥) موهونا (ملهوزا) بالعصى.

و تقدّم عثمان أن لا يشيعه أحد من الناس، فبلغ ذلك عليّا عليه السّلام، فبكى حتى بلّ لحيته بدموعه، ثم قال: أ هكذا يصنع بصاحب رسول الله؟ إنّا لله و إنّا

ص: ٢٨٢

١- ١) الكور - بالضمّ - :الرحل بأداته. (الصحيح ٢: ٨١٠، [١] مادة: كور).

٢- ٢) الأنساع: جمع النّسعه: التي تنسج عريضا للتصدير. (الصحيح ٣: ١٢٩٠، [٢] مادة: نسع).

٣- ٣) هذا الدير بالقرب من دمشق على تل مشرف على مزارع الزعفران و رياض حسنه، و بناؤه بالجصّ. (معجم البلدان ٥: ٥٣٣، ٢).

[٣]

٤- ٤) نخسوا بفلان: نخسوا دأبته و طردوه. (أساس البلاغه: ٤٥٠، مادة: نخس).

٥- ٥) التعتعه: الحركه العنيفه. (لسان العرب ٢: ٣٦، مادة: تعع).

إليه راجعون، ثم نهض و معه الحسنان عليهما السلام، و عبد الله بن العباس، و الفضل، و قثم، و عبيد الله حتى لحقوا أبا ذر فشيّعوه- إلى أن قال:- فرجعوا و هم يبكون على فراقه (١).

و في (مروج المسعودي): ممّا أنكر الناس على عثمان فعله بأبي ذرّ، و هو أنّه حضر أبو ذرّ يوماً مجلس عثمان، فقال عثمان: أ رأيتم من زكى ماله هل فيه حقّ لغيره؟ فقال كعب: لا، فدفع أبو ذرّ في صدره، و قال له: كذبت يا بن اليهودي، ثمّ تلا: «لَيْسَ الْبِرُّ» (٢). فقال عثمان: أترون بأساً أن نأخذ مالا من بيت مال المسلمين فننّفقه فيما ينوبنا من أمورنا و نعطيكموه؟ فقال كعب: لا بأس بذلك. فرفع أبو ذرّ العصا فدفع بها في صدر كعب و قال: يا بن اليهودي، ما أجراًك على القول في ديننا! فقال له عثمان: ما أكثر أذاك لي! غيب وجهك عنّي فقد آذيتني.

فخرج أبو ذرّ إلى الشام فكتب معاويه إلى عثمان: أنّ أبا ذرّ تجتمع إليه الجموع، و لا آمن أن يفسدهم عليك، فإن كان لك في القوم حاجة فاحمله إليك.

فكتب عثمان إليه بحمله، فحمله على بعير عليه قتب يابس معه خمسه من الصقالبه يطرون به، حتى أتوا به المدينة قد تسلّخت بواطن أفخاذها و كاد أن يتلف، فقيل له: إنك تموت من ذلك. فقال: هيهات! لن أموت حتى انفي. و ذكر جوامع ما نزل به بعد، و من يتولّى دفنه، فاحتبس في داره أياماً، ثمّ دخل على عثمان فجلس على ركبتيه، و تكلم بأشياء، و ذكر الخبر في ولد أبي العاص إذا بلغوا ثلاثين رجلاً اتّخذوا عباد الله خوفاً (٣)، و مرّ في الخبر بطوله، و تكلم بكلام

ص: ٢٨٣

١- ١) أمالي المفيد: ١٦١-١٦٥ بتلخيص من الشارح.

٢- ٢) البقره: ١٧٧. [١]

٣- ٣) خول الرجل: حشمه، الواحد: خائل. (الصحيح ٤: ١٦٩٠، [٢] مادة: خول).

كثير، و كان فى ذلك اليوم قد أتى عثمان بتركه عبد الرحمن بن عوف، فنضت (فنثرت) البدر حتى حالت بين عثمان و بين الرجل القائم، فقال عثمان: إننى لأرجو لعبد الرحمن خيرا، لأنه كان يتصدق، و يقرى الضيف، و ترك ما ترون.

فقال كعب الأحبار: صدقت. فمال أبو ذرّ العصا، فضرب بها رأس كعب، و لم يشغله ما كان فيه من الألم، و قال: يا بن اليهودى، أتقول لرجل مات و ترك هذا المال: إن الله أعطاه خير الدنيا و خير الآخرة، و تقطع على الله بذلك؟ و إننى سمعت النبى صلى الله عليه و آله و سلم يقول: ما يسرنى أن أموت و أدع ما يزن قيراطا.

فقال له عثمان: وار عنى وجهك. فقال: أسير إلى مكة. قال: لا و الله. قال:

فتمنعنى من بيت ربى أعبده فيه حتى أموت؟ قال: أى و الله. قال: فإلى الشام؟ قال: لا و الله. قال: فالبصرة؟ قال: لا و الله، اختر غير هذه البلدان. قال: لا- و الله ما اختار غير ما ذكرت لك، و لو تركتنى فى دار هجرتى ما أردت شيئا من البلدان، فسيّرنى حيث شئت. قال: فإنى مسيرك إلى الربذه. قال: الله أكبر، صدق رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم قد أخبرنى بكل ما أنا لاق.

قال عثمان: و ما قال لك؟ قال: أخبرنى أنى أمنع عن مكة و المدينة و أموت بالربذه، و يتولى مواراتى نفر ممن يردون من العراق نحو الحجاز.

و بعث أبو ذرّ إلى جمل له فحمل عليه امرأته - و قيل: ابنته - و أمر عثمان أن يتجافاه الناس حتى يسير إلى الربذه، فلما طلع عن المدينة و مروان يسيره إذ طلع عليه على عليه السلام و معه ابناه، و أخوه، و عبد الله بن جعفر، و عمّار، فاعترض مروان و قال: يا على، إن الخليفة قد نهى الناس أن يصحبوا أبا ذرّ فى مسيره و أن يشيعوه، فإن كنت لم تدر بذلك فقد أعلمتك. فحمل عليه على عليه السلام بالسوط بين اذنى راحلته، و قال له: تنح نحاك الله إلى النار.

و مضى مع أبى ذرّ فشيعة ثم ودّعه و انصرف، فلما أراد الانصراف

بكى أبو ذرّ وقال: رحمكم الله أهل البيت، إذا رأيتك يا أبا الحسن وولديك ذكرت بكم رسول الله صَلَّى الله عليه وآله و سلم -إلى أن قال:- فلما رجعت عليّ عليه السّلام قالوا له: إنّ عثمان عليك غضبان لتشييعك أبا ذرّ. فقال عليه السّلام: غضب الخيل على اللّجم (١)- إلى أن قال:-

فقال عثمان له عليه السّلام: أو لم يبلغك أنّي قد نهيت الناس عن أبي ذرّ و عن تشييعه؟ فقال عليّ عليه السّلام: أو كلّ ما أمرتنا به من شيء يرى طاعه الله و الحقّ في خلافه أتبعنا فيه أمرك؟ لا، بالله لا نفعل. قال عثمان: أقدم مروان، فوالله ما أنت عندي بأفضل منه. فغضب عليّ عليه السّلام و قال: ألي تقول هذا؟ و بمروان تعدلني؟... (٢).

قال ابن أبي الحديد: إخراج أبي ذرّ إلى الرّبذه أحد الأحداث التي نقتت على عثمان (٣).

قلت: هو أعظم أحداثه مع كون أبي ذرّ في تلك المرتبة من الجلاله، و معامله عثمان معه تلك المعامله توجب نفاقه الذي في حدّ الكفر، و لذا أعرض عنه رأسا كثير من مؤرّخيهم كابن قتيبه في (خلفائه) و ابن عبد ربّه في (عقده) (٤)، فذكرا كثيرا من أحداثه و سكتا عن هذا، و تمجّح بعضهم كابن عبد البرّ في (استيعابه)، فأنكر إخراجهم أوّلا إلى الشام، بل قال: خرج بنفسه (٥).

و أنّي في إخراجهم إلى الرّبذه بلفظ مجمل فقال: خرج بعد وفاه أبي بكر إلى الشام، فلم يزل بها حتّى ولى عثمان، ثمّ استقدمه عثمان بشكوى معاويه،

ص: ٢٨٥

١- ١) قال الميداني في مجمع الأمثال ٢: ٥٦ [١] ما نصّه: يضرب لمن يغضب غضبا لا ينتفع به، و لا موضع له. و نصب «غضب» على المصدر، أي: غضب غضب الخيل.

٢- ٢) مروج الذهب ٢: ٣٤٨-٣٥١ [٢] بتصرّف و تلخيص من الشارح.

٣- ٣) شرح ابن أبي الحديد ٨: ٢٥٢. [٣]

٤- ٤) الإمامه و السياسة ١: ٣٢، العقد الفريد ٥: ٥٥-٦٠.

٥- ٥) الاستيعاب بهامش الإصابه ١: ٢١٤.

و أسكنه الربذه فمات بها (١).

كما أنه نقل بعض أخباره كذلك، فروى عن عبد الرحمن بن غنم قال:

كنت عند أبي الدرداء إذ دخل رجل من أهل المدينة فسأله، فقال: أين تركت أبا ذرّ؟ قال: بالربذه. فقال أبو الدرداء: إنا لله و إنا إليه راجعون، لو أنّ أبا ذرّ قطع منّي عضوا لما هجته، لما سمعت رسول الله صلّى الله عليه وآله و سلّم يقول فيه (٢).

و روى حديث «ما أظلت الخضراء» عن أبي هريره، و عن أبي الدرداء، قال: و روى عن النّبىّ صلّى الله عليه وآله و سلّم قال: أبو ذرّ فى أمّتى شبيه عيسى بن مريم فى زهده (٣).

و سئل علىّ عليه السّلام عن أبي ذرّ، فقال: ذلك رجل وعى علما عجز عنه الناس، ثمّ أوكأ عليه و لم يخرج شيئا منه (٤).

و روى عن أبي ذرّ أنّه قال: أنا ربع الإسلام (٥).

قال ابن أبي الحديد: حكى قاضى القضاة فى (المغنى) عن شيخنا أبي علىّ: أنّ الناس اختلفوا فى أمر أبي ذرّ، و أنّ الروايه وردت أنّه قيل له: أعثمان أنزلك الربذه؟ قال: لا، بل أنا اخترت ذلك.

قال: و روى أبو على أيضا عن زيد بن وهب، قال: قلت لأبي ذرّ و هو بالربذه: ما أنزلك هذا المنزل؟ قال: اخبرك أنّى كنت بالشام، فذكرت قوله تعالى: «و الَّذِينَ يَكْتُمُونَ الدَّهَبَ وَ الفِضَّةَ وَ لَا يُنْفِقُونَهَا» (٦) فقال لى

ص: ٢٨٦

١- ١) الاستيعاب [١] بهامش الاصابه ٢١٤: ١. [٢]

٢- ٢) المصدر نفسه ٢١٧: ١. [٣]

٣- ٣) المصدر نفسه ٢١٦: ١. [٤]

٤- ٤) المصدر نفسه. [٥]

٥- ٥) المصدر نفسه ٢١٣: ١. [٦]

٦- ٦) التوبه: ٣٤. [٧]

معاويه: هذه نزلت في أهل الكتاب. فقلت: فيهم و فينا. فكتب معاويه إلى عثمان في ذلك، فكتب إليّ أن أقدم، فقدمت، فانتال الناس إليّ كأنهم لم يعرفوني، فشكوت ذلك إلى عثمان فخيرني و قال: انزل حيث شئت. فنزلت الربذه.

قال: و روى أبو علي أيضا: أنّ معاويه كتب يشكوه و هو بالشام، فكتب إليه عثمان: أن صر بالمدينه. فلما صار إليها، قال له: ما أخرجك إلى الشام؟ قال: إني سمعت النبي يقول: «إذا بلغت عماره المدينه موضع كذا فاخرج منها»، فلذلك خرجت. فقال: أي البلاد أحب إليك بعد الشام؟ قال: الربذه. فقال:

صر إليها (١).

ثم قال ابن أبي الحديد: و هذه الأخبار و إن كانت قد رويت، لكنّها ليست في الاشتهار و الكثره كتلك الأخبار، و الوجه أن يقال في الاعتذار عن عثمان و حسن الظن بفعله: إنه خاف الفتنة و اختلاف كلمه المسلمين، فيغلب على ظنه أن إخراج أبي ذرّ إلى الربذه أحسم للشغب، و أقطع لأطماع من يشرب إلى شقّ العصا، فأخرجه مراعاة للمصلحه، و مثل ذلك يجوز للإمام. و هكذا يقول أصحابنا المعتزله، و هو الأليق بمكارم الأخلاق، فقد قال الشاعر:

إذا ما أتت من صاحب لك زلّه فكن أنت محتالا لزلّته عذرا

و إنّما يتأول أصحابنا حال من يحتمل التأويل كعثمان، فأما من لا يحتمل حاله التأويل، و إن كانت له صحبه سالفه كمعاويه و أضرابه، فإنّهم لا يتأولون لهم، إذا كانت أعمالهم و أفعالهم لا وجه لتأويلها، و لا تقبل العلاج (٢).

قلت: شيخ تاريخهم الطبرى تأول لمعاويه أيضا، فقال: و في سنه (٣٠) كان ما ذكر من أمر أبي ذرّ و معاويه، و إشخاص معاويه إياه من الشام، و قد

ص: ٢٨٧

١- ١) شرح ابن أبي الحديد ٢٦١: ٨. [١]

٢- ٢) المصدر نفسه ٢٦١: ٨-٢٦٢. [٢]

ذكر في سبب إشخاصه إياه من الشام أمور كثيرة، كرهت ذكر أكثرها.

فأما العاذرون معاويه في ذلك، فإنهم ذكروا في ذلك قصه كتب بها إلى السري، يذكر أنّ شعيباً حدثه عن سيف، بسند أنه لما ورد ابن السوداء الشام لقي أبا ذر، فقال له: ألا تعجب إلى معاويه، يقول: «المال مال الله! إلا إنّ كلّ شيء لله» كأنه يريد أن يحتجنه دون المسلمين، و يمحو اسم المسلمين. فأتاه أبو ذر فقال: ما يدعوك إلى أن تسمي مال المسلمين مال الله- إلى أن قال:- و جعل أبو ذر يقول بالشام: يا معشر الأغنياء، و اسوا الفقراء. فما زال حتى ولع الفقراء بمثل ذلك، و أوجبوه على الأغنياء، و حتى شكوا الأغنياء ما يلقون من الناس.

فكتب معاويه إلى عثمان: أنّ أبا ذر قد أعضل بي (1)، و قد كان من أمره كيت و كيت. فكتب إليه عثمان: جهّز أبا ذر إليّ، و ابعث معه دليلاً- و زوّده، و رافق به- إلى أن قال:- و دخل على عثمان، فقال له عثمان: ما لأهل الشام يشكون ذربك؟ فأخبره أنه لا ينبغي أن يقال: مال الله، و لا ينبغي للأغنياء أن يقتنوا مالا.

فقال: يا أبا ذر، عليّ أن أقضي ما عليّ، و آخذ ما على الرعيه، و لا أجبرهم على الزهد. قال: فتأذن لي بالخروج، فإنّ المدينة ليست لي بدار؟ فقال: لا تستبدل بها إلاّ شراً منها.

قال: أمرني النبيّ صلى الله عليه و آله و سلّم أن أخرج منها إذا بلغ البناء سلعا. قال: فانفذ لما أمرك به. فخرج حتى نزل الربذه، فخطّ بها مسجداً، و أقطعه عثمان صرمه (2) من الإبل و أعطاه مملوكين، و أرسل إليه: أن تعاهد المدينة حتى

ص: ٢٨٨

١- ١) عضل بي الأمر و أعضل بي و أعضلني: اشتدّ و غلظ و استغلق: قال الاموي في قوله: أعضل بي: هو من العضال و هو الأمر الشديد الذي لا يقوم به صاحبه، أي: ضاقت عليّ الحيل في أمرهم، و صعبت عليّ مداراتهم. (لسان العرب ٩: ٢٦٠، [١] مادة: عضل).

٢- ٢) الصرمه- بالكسر-: القطعه من الإبل ما بين العشره إلى الأربعين. (المصباح المنير ١: ٤٠٩، مادة: صرم).

لا ترتد أعرابيا. ففعل (١).

و عنه بإسناد قال: كان أبو ذرّ يختلف من الربذه إلى المدينة مخافه الأعرابيه، و كان يحبّ الوحده و الخلوه. فدخل على عثمان، و عنده كعب الأحبار، فقال لعثمان: لا ترضوا من الناس بكفّ الأذى حتّى يبذلوا المعروف، و قد كان ينبغي للمؤدى الزكاه أن لا يقتصر عليها حتّى يحسن إلى الجيران و الإخوان، و يصل القرابات. فقال كعب: من أدّى الفريضة فقد قضى ما عليه.

فرجع أبو ذرّ محجنه فضربه فشجّه، فاستوهبه عثمان، فوهبه له، و قال له: يا أبا ذرّ، اتق الله و كفّ يدك و لسانك، و قد كان قال له: يا بن اليهوديّه، ما أنت و ما ها هنا؟- إلى أن قال (الطبرى)-: و أمّا الآخرون، فإنّهم رووا فى سبب ذلك أشياء كثيره، و امورا شنيعه، كرهت ذكرها (٢).

فتراه لم يذكر اسما من عثمان، و اقتصر على إشخاص معاويه له من الشام، و قال: إنّ عاذرى معاويه ذكروا فى ذلك قصه (٣).

و لو اريد الدفاع فالعلاج ما فعل الطبرى من طهاره ساحه معاويه، دون ما قاله ابن أبى الحديد من معذوريّه عثمان، و عدم معذوريّه معاويه. فإنّ قصه أبى ذرّ لم تكن أيام معاويه بل أيام عثمان، فما فعل معاويه إنّما كان فعل عثمان. فكيف يعذر هو دونه؟ اللهمّ إلّا أن يقول ابن أبى الحديد- كعثمان فى أمر كتابه إلى مصر بخطّ كاتبه على يد غلامه على جملة بقتل الجماعة، بأنّه ما كان عن اطلاعه (٤)-: بأنّ معاويه فعل بأبى ذرّ ما فعل، من دون اطلاع عثمان، و حيثنذ فيقال فى جواب ابن أبى الحديد: ما أجاب الناس عثمان من عدم

ص: ٢٨٩

١-١) تاريخ الطبرى ٢٨٣:٤-٢٨٤، سنه ٣٠، [١] بتلخيص من الشارح.

٢-٢) تاريخ الطبرى ٢٨٤:٤-٢٨٦، سنه ٣٠. و [٢] قد نقله الشارح بتصرّف و تلخيص.

٣-٣) المصدر نفسه ٢٨٣:٤، سنه ٣٠.

٤-٤) تاريخ المدينة المنوره ١١٥٥:٤، الإمامه و السياسه ١:٤٠، الجمل للمفيد: ١٤٠-١٤١.

ثم العجب من الطبري كيف ترك روايات الواقدي و المدائني و الثقفى و غيرهم من أهل النقل الموثوق بهم، و اقتصر على روايات السري عن شعيب، عن سيف التي كلها كذب قطعي مخالف لجميع السير، فإذا كان عثمان بتلك الدرجة من العدالة حتى يعظ أبا ذر بأن لا يتعرب بعد الهجره، و لا يؤذى الناس بغير حق، لم قال الطبري نفسه في عنوان دفن عثمان - و دفن كل مسلم واجب - نبذ عثمان ثلاثه أيام لم يدفن، و لم يشهد جنازته إلا مروان و ثلاثه من مواليه، و أخذ الناس الحجاره، و قالوا: نعثل نعثل (٢)؟ و من الغريب أن ياقوتا قال في عنوان الربذه: كان أبو ذر خرج إليها مغاضبا لعثمان، فأقام بها إلى أن مات في سنه (٣٢) (٣).

فالطبري و إن اقتصر في نقل الروايات على روايه السري، إلا أنه قال:

و أما الآخرون، فإنهم رروا في سبب ذلك أشياء كثيره، و امورا شنيعه، كرهت ذكرها (٤). فأشار إلى الحقيقه، و أقر بأنه أخذ جانب العصبية، لكن ياقوتا أرسل المطلب إرسالا مسلما.

فهل الرجل أنصب من الجاحظ، الذي يصح من درجه نضبه أن يعد في عداد بنى أميه؟ فقد عرفت أنه قال في (سفيانته): إن عثمان كتب إلى معاويه أن يحمل أبا ذر على أغلظ مركب و أوعره، ففعل ما أمره به، حتى سقط لحم فخذيته في الطريق، و لم يخله عثمان يذهب إلى البصره

ص: ٢٩٠

١-١) تاريخ المدينه المنوره ١١٥٥:٤، الإمامه و السياسه ١:٤٠، الجمل للمفيد: ١٤٠-١٤١.

٢-٢) تاريخ الطبري ٤:٤١٢، سنه ٣٥. [١]

٣-٣) معجم البلدان ٣:٢٤. [٢]

٤-٤) تاريخ الطبري ٤:٢٨٦، سنه ٣٠. [٣]

و الكوفه، و سيره إلى الربذه (١).

و أما قول ابن أبي الحديد: إن أخبار خروج أبي ذرّ بنفسه إلى الربذه كانت شواذًا، و أخبار إخراجها إليها مشتهره، و الوجه في الاعتذار عنه أن يقال:

إنّه أخرجها لأنّه خاف الفتنة- إلى آخر ما مرّ- (٢) فيقال له: نعم، إنّه خاف فتنة لبني أمّيه بأن يقطع طمعهم في الخلافة لو عزل عثمان عن الخلافة، فيوم بويح عثمان علم بنو أمّيه أنفسهم ورّاث الخلافة.

قال المسعودي في (مروجه): و قد كان عمّار حين بويح عثمان بلغه قول أبي سفيان في دار عثمان عقيب الوقت الذي بويح فيه و دخل داره مع بني أمّيه: أفيكم أحد من غيركم؟ و قد كان عمي. قالوا: لا. قال: يا بني أمّيه تلقّفوها تلقّف الكره، فو الذي يحلف به أبو سفيان ما زلت أرجوها لكم، و لتصيرنّ إلى صبيانكم وراثه (٣).

و روى أنّ أبا سفيان مرّ في أيّام عثمان بقبر حمزه، فضربه برجله و قال: يا أبا عماره، إنّ الأمر الذي اجتلدنا عليه بالسيف أمس (أمسى) في يد غلماننا اليوم يتلعبون به! (٤) و رضى عثمان بقتله دون عزله لذلك، فإنّه إن كان عزل، لصاروا أذلّ الناس بل كان الناس، يستأصلونهم بجناياتهم في كفرهم و إسلامهم، فرأى عثمان أنّ عمره قد فنى حيث كان بلغ ثمانين، و أنّه إن قتل يصير و سيله لبني أمّيه بأن يقولوا: قتل مظلوما، و إنهم يطلبون ثأره حتّى أنّه- أي عثمان- جعل طلب دمه إلى معاويه، و صار الأمر كما دبر، و آل إلى ما أمل لبني أمّيه.

ص: ٢٩١

١-١) نقله عنه ابن أبي الحديد في شرح نهج البلاغه ٨:٢٥٨. [١]

٢-٢) شرح ابن أبي الحديد ٨:٢٦١-٢٦٢.

٣-٣) مروج الذهب ٢:٣٥١-٣٥٢. [٢]

٤-٤) شرح ابن أبي الحديد ١٦:١٣٦. [٣]

ففى (صفين نصر بن مزاحم): قام عمّار بصفّين فقال: امضوا عباد الله إلى قوم يطلبون فيما يزعمون بدم الظالم لنفسه، الحاكم على عباد الله بغير ما فى كتاب الله، إنّما قتله الصالحون، المنكرون للعدوان، الأمر بالإحسان، فقال هؤلاء الذين لا يباليون إذا سلمت لهم دنياهم لو درس هذا الدين: لم قتلتموه؟ فقلنا: لأحدائه، وذلك لأنّه مكنهم من الدّنيا فهم يأكلونها ويرعونها ولا يباليون لو انهذت عليهم الجبال. والله ما أظنهم يطلبون دمه. إنّهم ليعلمون إنّهم لظالم، ولكنّ القوم ذاقوا الدّنيا فاستحبّوها واستمروها، و علموا لو أنّ الحقّ لزمهم لحال بينهم وبين ما يرعون فيه منها، ولم يكن للقوم سابقه فى الإسلام يستحقّون بها الطاعة والولاية، فخذعوا أتباعهم بأن قالوا: قتل إمامنا مظلوماً، ليكونوا بذلك جبابره و ملوكاً... (١).

كما أنّ أعمال أبى ذرّ و عمّار و أمثالهما كانت موجهة لئأس أعداء الله من نيل خلافة الله، فمنعهم عثمان بالضرب و الكسر و الحبس و النفى لاستحكام طمعهم.

و أقميا ما أنشده ابن أبى الحديد لحمل أفعال إمامه على الصّحّة، و الإغماض عمّا فيها من قول الشاعر (٢)، فلم يقله الشاعر لبناء الدين و تصنّع إمام له، بل فى المصاحبات الدّنيوية، فلا مناسبة لما أنشده من الشعر، و إنّما المناسب للمقام تلاوه قوله تعالى: «اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَ رُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ» (٣) بالتمثيل.

و قول ابن أبى الحديد نظير قول زيد بن ثابت -و كان مع عثمان يوم

ص: ٢٩٢

١- ١) وقعه صفّين: ٣١٩، [١] شرح ابن أبى الحديد ٢٥٢: ٥. [٢]

٢- ٢) شرح ابن أبى الحديد ٢٦٢: ٨.

٣- ٣) التوبة: ٣١. [٣]

الدار، و لم ينصره من الأنصار غيره-للأنصار مرغبا لهم في نصره عثمان: يا معشر الأنصار، انصروا و الله مرتين (١).

و جواب ابن أبي الحديد جواب الأنصار لزيد: يا زيد، إنا نكره أن نلقى الله تعالى، فنقول له كما قال القوم: «رَبَّنَا إِنَّا أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَ كُبْرَاءَنَا فَأَضَلُّونَا السَّبِيلَا» (٢).

«يا أبا ذر، إنك غضبت لله» بإنكار ما أنكره، و من لم يغضب له جلّ و علا فليس منه في شيء، و في (الكافي) عن الصادق عليه السلام: بعث الله تعالى ملكين إلى أهل مدينه ليقبها على أهلها، فلما انتهيا إلى المدينه و جدا رجلا يدعو الله و يتضرع، فقال أحدهما لصاحبه: أما ترى هذا الداعي؟ فقال: قد رأيت و لكن أمضى لما أمر به ربي. فقال: و لكنني لا احدث شيئا حتى اراجع- إلى أن قال:- فقال الله تعالى له: امض لما أمرتك به، فإنّ ذا رجل لم يتمعر (٣) وجهه غيظا لي قط (٤).

و عن الباقر عليه السلام: أوحى الله تعالى إلى شعيب: أتى معذب من قومك مائه ألف، أربعين ألفا من شرارهم، و ستين ألفا من خيارهم. فقال: يا رب، فما بال الأختيار؟ قال عزّ و جلّ: داهنوا أهل المعاصي، و لم يغضبوا لغضبي (٥).

و روى أيضا: أنّ الله عزّ و جلّ أوحى إلى داود عليه السلام: أتى قد غفرت ذنبك، و جعلت عار ذنبك على بني إسرائيل. فقال: يا رب، كيف و أنت لا تظلم؟ قال:

إنهم لم يعالجوك بالنكره (٦).

ص: ٢٩٣

١- (١) تاريخ الطبري ٤: ٤٣٠، سنة ٣٥: [١] كونوا أنصارا لله... مرتين.

٢- (٢) أنساب الأشراف للبلاذري ٥: ٧٨، و الآية ٦٧ [٢] من سورة الأحزاب.

٣- (٣) تمعر لونه عند الغضب: تغير. (الصحيح ٢: ٨١٨، [٣] ماده: معر).

٤- (٤) الكافي ٥: ٥٨، [٤] فقه الرضا عليه السلام: [٥]

٥- (٥) الكافي ٥: ٥٦، [٦] تهذيب الأحكام ٦: ١٨١.

٦- (٦) الكافي ٥: ٥٨، و [٧] قال الفيروز آبادي: النكره- بالتحريك-: اسم من الإنكار كالنقعه من الإنفاق. (القاموس المحيط ٢: ١٤٨، ماده: نكر).

و عن النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَ آله وَ سَلَّمَ: إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَ جَلَّ لِيَبْغِضَ الْمُؤْمِنَ الضَّعِيفَ الَّذِي لَا دِينَ لَهُ. فَقِيلَ لَهُ: وَ مَا الْمُؤْمِنَ الَّذِي لَا دِينَ لَهُ؟ قَالَ: الَّذِي لَا يَنْهَى عَنِ الْمُنْكَرِ (١).

و عن أمير المؤمنين عليه السلام: أمرنا النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَ آله وَ سَلَّمَ أَنْ نَلْقَى أَهْلَ الْمَعَاصِي بِوَجْهِهِ مَكْفَهْرَهُ (٢).

و روى الثَّقَفِيُّ - كما فى (أمالى المفيد) -: أَنَّ أَبَا ذَرٍّ لَمَّيَا وَ دَعَّ جَمْعًا كَانُوا اتَّبَعُوهُ فِي الشَّامِ لَمَّيَا أَخْرَجَ مِنْهَا، قَالَ لَهُمْ: اجْمَعُوا مَعَ صَلَاتِكُمْ وَ صَوْمِكُمْ غَضَبًا لِلَّهِ تَعَالَى إِذَا عَصَى فِي الْأَرْضِ، وَ لَا تَرْضُوا أَنْ تَمْتَكُم بِسَخَطِ اللَّهِ، وَ إِذَا أَحْدَثُوا مَا لَا تَعْرِفُونَ فَجَانِبُوهُمْ، وَ أَزْرُوا عَلَيْهِمْ، وَ إِنْ عَدَّبْتُمْ وَ حَرَمْتُمْ وَ سَيَّرْتُمْ حَتَّى يَرْضَى اللَّهُ تَعَالَى، فَإِنَّ اللَّهَ أَعْلَى وَ أَجَلُّ وَ لَا يَنْبَغِي أَنْ يَسْخَطَ بِرِضَا الْمَخْلُوقِينَ، غَفَرَ اللَّهُ لِي وَ لَكُمْ (٣).

«فارج من غضبت له» و هو الله تعالى حتى يشيبك على عملك، قال جلّ و علا: «وَ لَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ» (٤).

«إِنَّ الْقَوْمَ خَافُوكَ عَلَى دَنِيَاهُمْ» فعاملوك بما عاملوك، من الإخراج تاره إلى الشام، و اخرى إلى الرّبذة، لثلاً - تفسد عليهم دنياهم، فمن حال بين أهل الدنيا و بين دنياهم جهدوا فى دفعه بأى قيمة كانت، فلمّا خرج محمّد بن عبد الله بن الحسن (٥) على المنصور بالمدينة قال المنصور: لو حاول صاحب القبر

ص: ٢٩٤

١- ١) الكافي ٥: ٥٩. [١]

٢- ٢) الكافي ٥: ٥٩، و [٢] قال الجوهرى: اكفهّر الرجل، إذا عبس، و منه قول ابن مسعود: إذا لقيت الكافر فالقه بوجه مكفهّر، يقول: لا تلقه بوجه منبسط. (الصحاح ٢: ٨٠٩، [٣] مادة: كفهّر).

٣- ٣) أمالى المفيد: ١٦٣.

٤- ٤) الحجّ: ٤٠. [٤]

٥- ٥) هو محمّد بن عبد الله بن الحسن بن الحسن بن عليّ بن أبي طالب عليه السّلام، أبو عبد الله، الملقّب بالنفس الزكيه، ولد و نشأ بالمدينة، و كان يقال له: صريح قريش، لأنّ أمّه وجدّاته لم يكن فيهنّ أمّ ولد. خرج محمّد بن عبد الله على المنصور فى أيام خلافته و انتدب المنصور لقتاله ولىّ عهده عيسى بن موسى العبّاسى فقتله عيسى فى المدينة و بعث برأسه إلى المنصور. انظر: مقاتل الطالبين: ١٥٧-١٨٦، [٥] عمده الطالب فى أنساب آل أبي طالب: ١٠٣-١٠٥، [٦] الأعلام ٦: ٢٢٠، [٧] سفينه البحار

١: ٣٢٦. [٨]

-يعنى قبر النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ-إزاله سلطاني لم يكن لى بد من قتله فكيف هذا الرجل؟.

«و خفتهم على دينك» حيث خالفتم ليسلم لك.

و فى (الكافى) عن الباقر عليه السَّلام سئل عن أعمالهم، فقال: لا و لا مدّه قلم (١)، إنّ أحدهم لا يصيب من دنياهم شيئاً إلا أصابوا من دينه مثله (٢).

و عن الصادق عليه السَّلام: ما أحبّ أنّى عقدت لهم عقده أو وكيت لهم وكاء (٣)، و إنّ لى ما بين لايتها لا و لا مدّه بقلم، إنّ أعوان الظلمه يوم القيامة فى سرادق من النار (نار) حتّى يحكم الله تعالى بين العباد (٤).

و عنه عليه السَّلام: من خضع لصاحب سلطان و لمن يخالفه على دينه طلبا لما فى يديه من دنياه أخمله (٥) الله تعالى، و مقته عليه، و كله إليه، فإن غلب على شىء من دنياه نزع الله تعالى البركه منه، و لم يأجره على شىء ينفقه منه فى حجّ و لا عتق و لا برّ (٦).

و فى (العقد): عن مالك بن أنس قال: بعث المنصور إلّى و إلى ابن طاوس،

ص: ٢٩٥

١- ١) قال العلامة المجلسى رحمه الله فى مرآه العقول ١٩:٦٣ [١] ما لفظه: أى لا يجوز إعطاؤهم مدّه من السواد و لا يجوز أخذ المدّ منهم، و لا يجوز إعمال مدّه قلم فى ديوانهم. و قال الفيروز آبادى: المدّه-بالضّم-: اسم ما استمددت به من المداد على القلم.

٢- ٢) الكافى ١٠٦:٥-١٠٧، [٢] تهذيب الأحكام ٦:٣٣١.

٣- ٣) الوكاء-بالكسر-: الذى يشدّ به رأس القربه. (الصحاح ٦:٢٥٢٨، [٣] ماده: وكى).

٤- ٤) الكافى ١٠٧:٥، [٤] تهذيب الأحكام ٦:٣٣١.

٥- ٥) خمل ذكره و صوته خمولا-خفى و أخمله اللّمه تعالى، فهو خامل ساقط لا- نباهه له. (القاموس المحيط ٣:٣٧١، [٥] ماده: خمل).

٦- ٦) الكافى ١٠٥:٥-١٠٦، [٦] ثواب الأعمال و عقاب الأعمال: ٢٩٢، [٧] أمالى المفيد: ١٠٠، تهذيب الأحكام ٦:٣٠٣.

فأتيناه فإذا هو جالس على فرش قد نضدت، وبين يديه نطاع قد بسطت، وبين يديه جلاوزه بأيديهم السيوف يضربون الأعناق، فأوماً إلينا، فجلسنا. فأطرق عناً، ثم رفع رأسه إلى ابن طاوس فقال: حدثني عن أبيك. فقال: نعم، حدثني أبي أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: «أشد الناس عذاباً يوم القيامة رجل أشركه الله في حكمه فأدخل عليه الجور في عدله»، فأمسك ساعه، ثم ضمت ثيابي من ثياب ابن طاوس مخافه أن يملأني من دمه. ثم التفت إليه، فقال له: عظني. قال: نعم، يقول الله تعالى: «أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ إِرَمَ ذَاتِ الْعِمَادِ الَّتِي لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِي الْبِلَادِ وَ ثَمُودَ الَّذِينَ جَاءُوا الصَّخْرَ بِالْوَادِ ... «إِنَّ رَبَّكَ لِبِالْمِرْصَادِ» (١)، فأمسك ساعه، ثم قال: يا ابن طاوس ناولني هذه الدواه. فأمسك عنه، ثم قال:

ناولني هذه الدواه. فأمسك عنه، فقال: ما يمنعك أن تناولنيها؟ قال: أخشى أن تكتب بها معصيه فأكون شريكك فيها. فلما سمع ذلك قال: قوما عني. فقال ابن طاوس له: ذلك ما كنا نبغي منذ اليوم.

قال مالك: فما زلت أعرف لابن طاوس فضله (٢).

«فاترك في أيديهم ما خافوك عليه» من دنياهم ولا تشاركهم فيها فتكون مثلهم، وفي (الكافي) عن الصادق عليه السلام: أن قوما ممن آمن بموسى قالوا: «لو أتينا عسكر فرعون و كنا فيه، و نلنا من دنياه فإذا كان الذي نرجو من ظهور موسى عليه السلام صرنا إليه» ففعلوا. فلما توجه موسى عليه السلام و من معه هاربين من فرعون، ركبوا دوابهم، و أسرعوا في السير ليلحقوا موسى عليه السلام و عسكره ليكونوا معهم، فبعث الله عز و جلّ ملكاً، فضرب وجوه دوابهم فردهم إلى عسكر فرعون فكانوا في من غرق مع فرعون. و قال لهم: حقّ على الله تعالى أن

ص: ٢٩٦

١- ١) الفجر: ١٤-٦. [١]

٢- ٢) العقد الفرید ٥٢: ١-٥٣، و [٢] نقله الشارح بتصرّف و تلخيص.

تصيروا مع من عشتم معه في دنياه (١).

«و اهرب بما» هكذا في (المصريه) (٢) و الصواب: «و اهرب منهم بما» كما في (ابن أبي الحديد و ابن ميثم) (٣).

«خفتهم عليه» من دينك ليسلم، قال الصادق عليه السلام لجهم بن حميد: أما تغشى (٤) سلطان هؤلاء؟ قال: لا. قال: و لم؟ قال: فرارا بديني. قال: و عزمت على ذلك؟ قال: نعم. قال: الآن سلم لك دينك (٥).

و في (عيون ابن قتيبه): طلب أبو قلابه للقضاء فلحق بالشام هربا، فأقام حيناً ثم قدم البصره، فقال له أيوب: لو أنك وليت القضاء، و عدلت بين الناس رجوت لك في ذلك أجرا، فقال له: إذا وقع السابح في البحر فكم عسى أن يسبح! (٦) و قال زياد: أي الناس أنعم؟ قالوا: معاويه. قال: فأين ما يلقي من الناس؟ قالوا: فأنت. قال: فأين ما ألقى من الثغور و الخراج؟ قالوا: فمن؟ قال: شاب له سداد من عيش، و امرأه قد رضيها و رضيتها، لا يعرفنا و لا نعرفه، فإن عرفنا و عرفناه، أفسدنا عليه دينه و دنياه (٧).

و مرّ طارق صاحب شرطه خالد القسري بابن شبرمه في موكبه، فقال ابن شبرمه:

ص: ٢٩٧

١-١ (١) الكافي ١٠٩:٥. [١]

٢-٢ (٢) نهج البلاغه ١٨:٢.

٣-٣ (٣) هكذا في شرح ابن أبي الحديد ٢٥٢:٨ و لكن في شرح ابن ميثم ١٤٥:٣ «و اهرب بما» أيضا.

٤-٤ (٤) غشيه يغشاه غشيانا: إذا جاءه. (لسان العرب ٧٧:١٠، ماده: غشى).

٥-٥ (٥) الكافي ١٠٨:٥، [٢] تهذيب الأحكام ٣٣٢:٦.

٦-٦ (٦) عيون الأخبار ٣٧٣:٢. [٣]

٧-٧ (٧) عيون الأخبار ٢٦٤:١، [٤] العقد الفريد ٧٧:١. [٥]

أراها و إن كانت تحبّ كأنها سحابه صيف عن قريب تقشع

اللهمّ لهم دنياهم، و لى دينى (١). ثمّ استعمل ابن شبرمه بعد ذلك على القضاء، فقال له ابنه: أ تذكر يوم مرّ بك طارق فى موكبه و قلت ما قلت؟ فقال: يا بنى، إنهم يجدون مثل أبيك و لا يجد أبوك مثلهم. يا بنى، إنّ أباك أكل من حلوائهم، و حطّ فى أهوائهم (٢).

و قال أبو العتاهيه:

فاستغن بالدين عن دنيا الملوك كما اس تغنى الملوك بدنياهم عن الدين (٣).

«فما أحوجهم إلى ما منعهم» من الدين، و فى الخبر: أخوك دينك فاحتط لدينك (٤).

«و ما أغناك» هكذا فى (المصريه) (٥) و الصواب: «و أغناك» كما فى (ابن أبى الحديد و ابن ميثم) (٦) بكونه عطفًا على «أحوجهم».

«عمّا منعوك» من الدنيا، لأنّها فانيه تمنع عن الباقيه.

ذكر عند أعرابى أهل السلطان فقال: أما و الله لئن عزّوا فى الدنيا بالجور لقد ذلّوا فى الآخره بالعدل، و لقد رضوا بقليل فان عن كثير باق.

هذا، و قال العباس بن الأحنف فى جاريه مسّماه بفوز:

ص: ٢٩٨

١- ١) فى المصدرين: اللهمّ لى دينى، و لهم دنياهم.

٢- ٢) عيون الأخبار ١: ٥٦، [١] العقد الفريد ١: ٧٥. [٢]

٣- ٣) عيون الأخبار ٢: ٣٧٣. [٣]

٤- ٤) رواه المفيد رحمه الله فى الأمالى: ٢٨٣، عن علىّ بن موسى الرضا عليهما السلام.

٥- ٥) نهج البلاغه ٢: ١٨. [٤]

٦- ٦) فى شرح ابن أبى الحديد ٨: ٢٥٢، و شرح ابن ميثم ٣: ١٤٥ «و ما أغناك» أيضا.

يا فوز ما ضرّ من يمسى و أنت له ألا يفوز بدنيا آل عباس (١)

«و ستعلم من الرابع» أنت أو هم.

«غدا» يوم القيامة، فيهم: «و سيعلم الكفار لمن عُقبى الدار» (٢)، وفيه:

«إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ نَحْنُ أَوْلِيَاؤُكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَ لَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهَى أَنْفُسُكُمْ وَ لَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ نُزُلًا مِنْ غَفُورٍ رَحِيمٍ» (٣).

«و الأ- كثر حسدا» كان الصادق عليه السلام يقول لشيعته: ما بين أحدكم و بين أن يغتبط و يرى السرور و قره العين إلا أن تبلغ نفسه ها هنا- أو ما بيده إلى حلقة (٤) «و لو أن السماوات و الأرض كانتا على عبد رتقا، ثم اتقى الله لجعل الله له منهما مخرجا» عن أبي جعفر عليه السلام: أوحى الله تعالى إلى داود عليه السلام: ما اعتصم بي أحد من عبادى دون أحد من خلقي، عرفت ذلك من نيته، ثم تكيده السماوات و الأرض و من فيهنّ إلا- جعلت له المخرج ممّا (من) بينهنّ. و ما اعتصم أحد من عبادى بأحد من خلقي، عرفت ذلك من نيته إلا قطعت أسباب السماوات و الأرض من يديه، و أسخت الأرض من تحته، و لم ابال بأى واد هلك (٥).

و ورد: أن أصحاب الرقيم كانوا ثلاثة رجال، لجؤوا إلى كهف من المطر فخرّت قطعه من الجبل و طبقت عليهم، ثم ذكر كل منهم ما فعله لله اتقاء منه،

ص: ٢٩٩

١-١ (١) الأغاني ١٧:٧٣. [١]

٢-٢ (٢) الرعد: ٤٢. [٢]

٣-٣ (٣) فصلت: ٣٠-٣١. [٣]

٤-٤ (٤) الكافي ٣:١٣١ ح ٤. [٤]

٥-٥ (٥) الكافي ٢:٦٣، [٥] كنز العمال ٣:١٠١.

من ترك أحدهم امرأه علقها، وأعطاهما ما طلبت، وقعد منها مقعد الرجل من امرأته، وقيام آخر منهم على أبويه لإطعامهما - وكانا غلبهما النوم - وخلقى امرأته وولده جائعين لئلا يستيقظ أبواه، ويبقيا جائعين، ولم ينيهما لئلا يتأذيا، وردّ ثالثهم ما حصل بيده من زرع أرز عينه لأجيريه إليه، ففرّج الله عنهم، وكشف تلك القطعه لتقواهم حتى نجوا (١).

«لا يؤنسك إلا الحق، ولا يوحشك إلا الباطل» في (تاريخ بغداد): قال المنتصر: والله ما عزّ ذو باطل ولو طلع القمر من جبينه، ولا ذلّ ذو حق ولو أطبق العالم عليه (٢).

«فلو قبلت دنياهم لأحبوك» لأنّ محبّ الحبيب محبوب وإن كانت بينهم مخاصمات، ومبغض الحبيب مبغوض وإن لم يكن بينهم مزاحمات. ولذا كانت طوائف قريش على اختلاف مشاربهم لا تتفاقم على حبّ الدنيا يتآلفون كمعاويه مع طلحه والزبير وعائشه، مع كونهم من قتله عثمان، ومن أهل البيت عليهم السلام لكونهم ملتزمين بالحقّ متنافرون لعلمهم بأنّهم لو ولّوا لحالوا بينهم وبين دنياهم.

«ولو قرضت منها» أي: قطعت من دنياهم لنفسك قطعه.

«الأمّوك» في (الكشّى) عن الصادق عليه السلام: أرسل عثمان إلى أبي ذرّ موليّين ومعهما مائتا دينار، فقال لهما: انطلقا إلى أبي ذرّ وقلّوا: له إنّ عثمان يقرؤك السلام ويقول لك: هذه مائتا دينار فاستعن بهما على ما نابك. فقال أبو ذرّ: هل اعطى أحد من المسلمين مثل ما أعطاني؟ قالوا: لا. قال: فإنّما أنا رجل من المسلمين يسعني ما يسعهم. قالوا له: إنّّه يقول: هذا من صلب مالي، وباللّٰه

ص: ٣٠٠

١-١) الخصال ١: ١٨٤-١٨٥، قصص الأنبياء: ٢٦٢-٢٦٣، بحار الأنوار ١٤: ٤٢١. [١]

٢-٢) لم أجد هذا النصّ في تاريخ بغداد [٢] بتتبع فهرسه.

الذى لا- إله إلا هو ما خالطها حرام، ولا بعثت بها إليك إلا من حلال. فقال: لا حاجة لي فيها، وقد أصبحت يومى هذا وأنا من أغنى الناس. فقالا له: ما نرى في بيتك قليلا ولا كثيرا. فقال: بلى تحت هذا الإكاف (١) الذى (التي) ترون رغيفا شعير قد أتى عليهما أيام فما أصنع بهذه الدنانير، لا والله حتى يعلم الله أنني لا أقدر على قليل ولا كثير، وقد أصبحت غنيا بولايه علي بن أبي طالب وعترته الهادين عليهم السلام الذين يهدون بالحق و به يعدلون.

و كذلك سمعت النبي صلى الله عليه وآله وسلم يقول: فإنه لقبيح بالشيخ أن يكذب. فرداها عليه، وأعلماه أنه لا حاجة لي فيها ولا فيما عنده، حتى ألقى الله ربي فيكون هو الحاكم فيما بيني وبينه (٢).

١٢

بسم الله الرحمن الرحيم. باب المختار من كتب مولانا أمير

المؤمنين إلى أعدائه و امراء بلاده. و يدخل فى ذلك ما اختير من

عهوده إلى عماله، و وصاياه لأهله و أصحابه.

الكتاب (١)

من كتاب له عليه السلام إلى أهل الكوفة عند مسيره من المدينة إلى البصره:

مَنْ عَبَدَ اللَّهَ؟ عَلِيٌّ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ؟ إِلَى أَهْلِ الْكُوفَةِ؟ - جَبْهَهُ الْأَنْصَارِ وَ سَيْنَامِ الْعَرَبِ - أَمَّا بَعْدُ فَإِنِّي أُخْبِرُكُمْ عَنْ أَمْرِ عُثْمَانَ؟ - حَتَّى يَكُونَ سَمْعُهُ كَعَيْنَانِهِ - إِنَّ النَّاسَ طَعَنُوا عَلَيْهِ - فَكُنْتُ رَجُلًا مِنَ الْمُهَاجِرِينَ أَكْثَرَ اسْتِغْتَابَهُ - وَ أَقْلُ

ص: ٣٠١

١- (١) الإكاف - ككتاب و غراب - الحمار. (القاموس المحيط ١١٨: ٣، مادة: أكف).

٢- (٢) اختيار معرفه الرجال (الكششى) ١١٨: ١-١٢٠. [١]

عَتَابَهُ - وَ كَانَ؟ طَلَحَهُ؟ وَ الزُّبَيْرُ؟ أَهْوَنُ سَيْرِهِمَا فِيهِ الْوَجِيفُ - وَ أَرْفَقُ حِدَائِهِمَا الْعَنِيفُ - وَ كَانَ مِنْ؟ عَائِشَةَ؟ فِيهِ فَلْتُهُ غَضِبَ - فَأَتِيحَ لَهُ قَوْمٌ فَقَتَلُوهُ - وَ بَايَعَنِي النَّاسُ غَيْرَ مُسْتَكْرَهِينَ - وَ لَا مُجْبَرِينَ بَلْ طَائِعِينَ مُخَيَّرِينَ - وَ اعْلَمُوا أَنَّ دَارَ الْهَجْرَةِ قَدْ قَلَعَتْ بِأَهْلِهَا وَ قَلَعُوا بِهَا - وَ حَاشَتْ جَيْشَ الْمَرْحَلِ - وَ قَامَتِ الْفِتْنَةُ عَلَى الْقَطْبِ - فَأَسِيرَعُوا إِلَى أَمِيرِكُمْ - وَ يَادِرُوا جِهَادَ عِدْوِكُمْ إِنْ شَاءَ اللَّهُ قَوْلُ الْمَصْنَفِ: «بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ» لَيْسَ فِي (ابن ميثم) (١).

«باب المختار من كتب مولانا أمير المؤمنين» لَيْسَ فِي (ابن أبي الحديد و ابن ميثم) كلمه «مولانا» (٢).

«إلى أعدائه و امراء بلاده» و في (ابن أبي الحديد): «باب المختار من كتب أمير المؤمنين عليّ عليه السّلام، و رسائله إلى أعدائه و أولياء بلاده» (٣)، فزاد و بدّل.

«و يدخل في ذلك ما اختير من عهوده إلى عمّاله، و وصاياه لأهله و أصحابه» .

قال ابن أبي الحديد: كلامه عليه السّلام لشريح القاضي، و لشريح بن هانئ لما جعله مقدّمته إلى الشام باب الخطب أشبه (٤).

قلت: كلامه كما ترى، أمّا الأول، فصرّح فيه بأنّه كتاب لكنّه كتاب بيع لا كتاب رساله، و الثّاني من عهوده عليه السّلام إلى عمّاله التي صرّح بدخولها في الكتب إلحاقا.

ص: ٣٠٢

١- ١) شرح ابن ميثم ٤: ٣٣٧. [١]

٢- ٢) في شرح ابن أبي الحديد ٥: ١٤، و [٢] شرح ابن ميثم ٤: ٣٣٧ [٣] المطبوعين: «مولانا أمير المؤمنين» أيضا.

٣- ٣) شرح ابن أبي الحديد ٥: ١٤. [٤]

٤- ٤) المصدر نفسه.

و لكن لو لم يسقط من عنوان المصنّف بعد «إلى أعدائه» كلمه «و أوليائه» أو «و غيرهم» خرج من هذا الباب كتبه الثلاثه إلى أهل الكوفه الأوّل و الثانى و السابع و الخمسون، و كتابه إلى أهل الأمصار و هو (٥٨) من الكتب، و كتاباه إلى أهل مصر (٣٨) و (٦٢) منها، و كتابه عليه السّلام إلى أخيه عقيل (٣٦) منها، و كتابه عليه السّلام إلى سلمان و هو (٦٨) منها لعدم دخولها فى كتبه عليه السّلام إلى أعدائه، و لا إلى امراء بلاده، و لا فى عهوده عليه السّلام و وصاياه.

أقول: قال ابن أبى الحديد: روى محمّد بن إسحاق عن عمّه عبد الرحمن بن يسار القرشىّ، قال: لمّا نزل علىّ عليه السّلام الرّبذّه متوجّها إلى البصره بعث إلى الكوفه محمّد بن جعفر و محمّد بن أبى بكر، و كتب إليهم هذا الكتاب، و زاد فى آخره:

فحسى بكم إخوانا، و للدين أنصارا، ف «انْفِرُوا خِفَافًا وَ ثِقَالًا وَ جَاهِدُوا بِأَمْوَالِكُمْ وَ أَنْفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ذَلِكَ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ» (١).

قلت: و رواه ابن قتيبه فى (خلفائه ابن قتيبه - الإمامه و السياسه - ج ١ ص ٦٥ تا ٦٧) (٢) إلّا أنّه قال: بعث علىّ عليه السّلام أوّلا محمّد بن أبى بكر و عمّارا، فمنعهما أبو موسى فانصرفا، فبعث الحسن عليه السّلام، و ابن عبّاس، و عمّارا، و قيس بن سعد، و كتب معهم هذا الكتاب، و فيه زياده هكذا: أمّا بعد، فإنّى اخبركم عن أمر عثمان حتّى يكون سامعه كمن عاينه، إنّ الناس طعنوا على عثمان، فكنت رجلا من المهاجرين أقلّ عيبه، و أكثر استعبابه.

و كان هذان الرجلان طلحه و الزبير أهون سيرهما فيه اللهجه

ص: ٣٠٣

١- ١) شرح ابن أبى الحديد ١٤: ٨، و الآية ٤١ [١] من سوره التوبه.

٢- ٢) رواه ابن قتيبه فى الإمامه و السياسه ١: ٦٦، و [٢] الشيخ الطوسى فى الأمالى الشيخ الطوسى - الأمالى - ج ٢ ص ٣٢٩ ٣٢٩: ٢، و

[٣] ابن شهر آشوب فى المناقب ابن شهر آشوب - المناقب - ج ٣ ص ١٥١ ١٥١: ٣.

و الوجيف، و كان من عائشه فيه قول على غضب، فانتحى له قوم فقتلوه، و بايعنى الناس غير مستكرهين، و هما أول من بايعنى على ما بويع عليه من كان قبلى، ثم استأذنا إلى العمره، فأذنت لهما، فنقضا العهد، و نصبا الحرب، و أخرجنا عائشه من بيتها ليتخذها فتنه، و قد سارا إلى البصره اختيارا لأهلها، و لعمرى ما إياى تجييون، ما تجييون إلا الله، و قد بعثت ابني الحسن، و ابن عمى عبد الله بن العباس، و عمّار بن ياسر، و قيس بن سعد فكونوا عند ظننا بكم، و الله المستعان (١).

و رواه المفيد فى (جمله الشيخ المفيد- الجمل- ص ٢٤٤) مثله إلا أنه لم يذكر ابن عباس (٢).

قول المصنّف: «من كتاب له عليه السلام لأهل الكوفه عند مسيره من المدينه إلى البصره» .

أقول: قد عرفت من روايه محمّد بن إسحاق أنه كتبه من الربذه (٣). و يفهم من (الخلفاء) أنه كان من قرب الكوفه فى مسيره إلى البصره (٤).

قوله عليه السلام: «من عبد الله على أمير المؤمنين إلى أهل الكوفه جبهه الأنصار» أى: أنصار الحق، و ليس المراد أنصار المدينه.

«و سنام العرب» أى: أعلاهم، كما أن سنام البعير أعلى أعضائه.

قال ابن أبى الحديد: قال الطبرى: كتب على عليه السلام من الربذه إلى أهل الكوفه: أمّا بعد، فإننى اخترتكم و آثرت النزول بين أظهركم، لما أعرف من مودّتكم و حبكم لله و لرسوله، فمن جاءنى و نصرنى فقد أجاب

ص: ٣٠٤

١- ١) الإمامه و السياسه ١: ٦٥-٦٧، و [١] نقله الشارح بتصرّف و تلخيص.

٢- ٢) الجمل: ٢٤٤. [٢]

٣- ٣) شرح ابن أبى الحديد ٨: ١٤.

٤- ٤) الإمامه و السياسه ١: ٦٥. [٣]

قلت: وروى النعماني عن أبي هارون: أنه سأل أبا سعيد الخدري عن السمك الذى يزعم أهل الكوفة أنه حرام، فقال أبو سعيد: سمعت النبي صلى الله عليه وآله وسلم يقول: الكوفة مجمه العرب، ورمح الله تعالى (٢)، وكنز الإيمان، فخذ عنهم (٣).

و فى (خلفاء ابن قتيبه) - بعد ذكر بعثه عليه السلام ابنه الحسن عليه السلام و جمع معه و قراءته كتابه عليه السلام عليهم - ثم قام، فقال: أيها الناس، إنه قد كان فى مسير أمير المؤمنين عليه السلام ما قد بلغكم، و قد أتيناكم مستنفرين، لأنكم جبهه الأنصار، و رءوس العرب، و قد كان من نقض طلحه و الزبير بعد بيعتهما و خروجهما بعائشه ما بلغكم، و تعلمون أن وهن النساء و ضعف رأيهن إلى التلاشى، و من أجل ذلك جعل الله الرجال قوامين على النساء (٤).

«أميا بعد، فإنني أخبركم عن أمر عثمان حتى يكون سمعه كعيانه» فى (خلفاء ابن قتيبه): لما أقرأهم الحسن عليه السلام كتاب أبيه عليه السلام و خطبهم فى ذلك، قام شريح بن هانئ فقال: لقد أردنا أن نركب إلى المدينة، حتى نعلم قتل عثمان، فقد أتانا الله به فى بيوتنا، فلا تخالفوا عن دعوته، و الله لو لم يستنصر بنا لنصرناه سمعا و طاعه (٥).

«إن الناس طعنوا عليه» فى (أغانى أبي الفرج): قال مطر الوراق: قدم رجل

ص: ٣٠٥

١- ١) تاريخ الطبرى ٤: ٤٧٧، سنة ٣٦، [١] شرح ابن أبى الحديد ١٤: ١٦. [٢]

٢ - ٢) قال ابن الأثير فى النهاية ١: ٢٩٩، [٣] مادة (جمع) ما نصّه: فى الحديث: «أنت الكوفة فإن بها مجمه العرب» أى: ساداتها، لأنّ الجمجمه: الرأس، و هو أشرف الأعضاء. و قيل: جماجم العرب: التى تجمع البطون فىنسب إليها دونهم. و قال فيه أيضا ٢: ٢٦٢، مادة (رمح): العرب تجعل الرمح كناية عن الدفع و المنع.

٣- ٣) علل الشرائع ٢: ٤٦٠-٤٦١ الباب ٢٢٢ ح ١. [٤]

٤- ٤) الامامه و السياسه ١: ٦٧. [٥]

٥- ٥) الإمامه و السياسه ١: ٦٧. [٦]

من أهل الكوفة إلى المدينة فقال لعثمان: إنني صليت صلاة الغداة خلف الوليد، فالتفت في الصلاة إلى الناس فقال: أزيدكم فيأتي أجد اليوم نشاطاً؟ وشممنا منه رائحة الخمر. فضرب عثمان الرجل. فقال الناس لعثمان: عطلت الحدود، و ضربت الشهود (١).

و في (الطبري): قال عبد الرحمن بن يسار: لما رأى الناس ما صنع عثمان كتب من بالمدينة من أصحاب النبي صلى الله عليه وآله وسلم إلى من بالآفاق منهم وكانوا قد تفرقوا في الثغور: «إنكم إنما خرجتم أن تجاهدوا في سبيل الله، وتطلبون دين محمد صلى الله عليه وآله وسلم، فإن دين محمد صلى الله عليه وآله وسلم قد أفسد من خلفكم وترك، فهلموا فأقيموا دين محمد صلى الله عليه وآله وسلم فأقبلوا من كل افق حتى قتلوه (٢).

و في (الطبري) أيضاً: قال أبو حبيبه: خطب عثمان فقام إليه جهجاه الغفاري، فصاح: يا عثمان! إن هذه شارف (٣) قد جئنا بها، عليها عباءة وهذه جامعته، فانزل فلندركك العباءة، ولنطرحك في الجامعه، ولنحملك على الشارف، ثم نطرحك في جبل الدخان. ولم يكن ذلك منه إلا عن ملاء من الناس، وقام إلى عثمان حزبه من بني امية فحملوه فأدخلوه الدار. قال: فكان آخر ما رأيته (٤).

«فكنت رجلاً من المهاجرين» قال ابن أبي الحديد: هو من لطيف الكلام، فإن فيه من التخلص والتبري ما لا يخفى على المتأمل، ألا ترى أنه لم تبق عليه في ذلك حجة لطاعن، من حيث جعل نفسه كواحد من عرض المهاجرين، الذين بنفسيهم انعدت خلفه أبي بكر، وهم أهل الحل والعقد، وإنما كان

ص: ٣٠٦

١-١ (١) الأغاني ١٣١:٥، ٢٠:١. [١]

٢-٢ (٢) تاريخ الطبري ٣٦٧:٤، سنة ٣٥. [٢]

٣-٣ (٣) الشارف: المسنة من النوق، والجمع الشرف. (الصحاح ١٣٨٠:٤، [٣] مادة: شرف).

٤-٤ (٤) تاريخ الطبري ٣٦٦:٤، سنة ٣٥. [٤]

الإجماع حجّه لدخولهم فيه (١).

قلت: نعم كلامه عليه السّلام من لطيف الكلام لكن لا لما قال، بل لأنّه دلّ على أنّ الطاعنين على عثمان و المنكرين لعثمان كان فيهم من المهاجرين الحقيقيين الملتزمين بالشريعة عند الكلّ كأبي ذرّ، و المقداد، و عمّار، و حذيفه و نظرائهم، و لم ينحصروا بالعامّه الغوغاء و لا بالمغرضين، كعمرو بن العاص.

فروى الطبرى عن الواقدي: أنّ عثمان لمّا عزل عمرو بن العاص عن مصر، و استعمل ابن أبي سرح قدم المدينة و جعل يطعن على عثمان، فقال له عثمان: يا بن النابغه، ما أسرع ما قمل جربان جبتك - إلى أن قال -: و لمّا سمع عمرو بن العاص بقتل عثمان قال: إنّي كنت لأحرّض عليه الناس، حتّى إنّي لأحرّض الراعى عليه فى رأس الجبل. و فارق عمرو حين عزله عثمان اخت عثمان لأُمّه أمّ كلثوم بنت أبي معيط (٢).

و قول ابن أبي الحديد: «الذين بنفريسير منهم انعقدت خلافه أبي بكر» (٣) ممّا يضحك التكلّى، فالمهاجرون الذين جعل أمير المؤمنين عليه السّلام نفسه أحدهم قلنا: هم أبو ذرّ، و عمّار و نظراؤهما.

و أمّا بيعه أبي بكر فكانت عن توطئه بينه و بين عمر و أبي عبيده، و هم فعلوا أفعال عثمان حيث كانوا السبب لأفعاله لا كانوا من مستعتيبه، فكتب عثمان - و كان كاتب أبي بكر - فى غشوه أبي بكر استخلافه لعمر، فكافأه عمر مع علمه بأنّه يفعل ما يفعل بما دبّر فى أمر الشورى لصيرورته خليفته.

و أمّا أهل حلّه و عقده فكانوا اولئك الثلاثة، فكان أبو بكر يقول للناس:

ص: ٣٠٧

١- ١) شرح ابن أبي الحديد ١٤:٧. [١]

٢- ٢) تاريخ الطبرى ٤:٣٥٦-٣٥٧، سنة ٣٥، و [٢] نقله الشارح بتصرّف و تلخيص.

٣- ٣) شرح ابن أبي الحديد ١٤:٧. [٣]

بايعوا أحد هذين: عمر أو أبي عبيده. و هما كانا يقولان: ما كنا لتتقدمك (١).

و روى الثقفى فى (تاريخه) عن رجالهم، و رواه أبو نعيم فى (حليته): أنّ رجلا جاء إلى ابى بن كعب فقال: يا أبا المنذر، ألا تخبرنى عن عثمان، ما قولك فيه؟ فأمسك عنه، فقال له الرجل: جزاكم الله شرا يا أصحاب محمّد! شهدتم الوحى و عاينتموه، ثمّ نسألکم التفقه فى الدين فلا تعلمونا. فقال ابى عند ذلك:

«هلك أصحاب العقده و ربّ الكعبه! (٢) أما و الله ما عليهم آسى و لكن آسى على من أهلكوا» (٣) و الله لئن أبقانى الله إلى يوم الجمعة لأقومنّ مقاما أتكلّم فيه بما أعلم، قتلت أو استحييت. فمات يوم الخميس (٤).

«أكثر استعبابه» أى: طلب رجوعه عن الباطل.

«و اقلّ عتابه» العتاب: إظهار الموجهه، و قد كان مستحقّا لكلّ عتاب.

و يعبر عن العتاب فى الفارسيه ب (سرزنش).

و أمّا المهاجرون، فكانوا يكثرون من عتابه، روى الثقفى فى (تاريخه):

أنّ أبا ذرّ كان يقول لعثمان: حدّثنى النّبىّ صلّى الله عليه و آله و سلّم أنّه يجاء بك و بأصحابك يوم القيامة، فتبطحون على وجوهكم، فتمرّ عليكم البهائم فتطأكم (٥).

و ذكر الواقدى فى (تاريخه): أنّ أبا ذرّ أظهر عيب عثمان بالشام، فجعل كلّما دخل المسجد أو خرج منه شتم عثمان، و ذكر منها خلاصا قبيحه (٦).

ص: ٣٠٨

١- ١) تاريخ الطبرى ٣: ٢٢١، سنة ١١.

٢- ٢) قال ابن الأثير فى النهاية ٣: ٢٧٠، و [١] فى حديث ابى: «هلك أصحاب العده و ربّ الكعبه» يريد البيعه المعقوده للولاه.

٣- ٣) قول ابىّ مذكور فى حليه الأولياء ١: ٢٥٢. [٢]

٤- ٤) رواه عنه العلّامه المجلسى رحمه الله فى البحار ٨: ٣٣٦، [٣] ط الكمبانى، و قريب منه ما فى شرح ابن أبى الحديد ٢٠: ٢٤.

[٤]

٥- ٥) رواه عنه العلّامه المجلسى رحمه الله فى البحار ٨: ٣٣٦، [٥] ط الكمبانى.

٦- ٦) المصدر نفسه ٨: ٣٣٨. [٦]

و نقل ابن أبي الحديد عن كتاب (أبي مخنف) روايته عن عبد الرحمن بن أبي ليلي (عن أبيه): أنه سمع عمّاراً لما جاء إلى الكوفة لاستنفارهم يقول: ما تركت في نفسي حرّه أهماً إليّ من أن لا نكون نبشنا عثمان من قبره، ثمّ أحرقناه بالنار (١).

و قد روى الثقفى في (تاريخه): أنّ رجلاً - قام إلى أبيّ بن كعب، فقال له: إنّ عثمان كتب للرجل من آل أبي معيط بخمسين ألف درهم من بيت المال. فقال أبيّ: لا - تزال تأتونى بشيء ما أدرى ما هو. فبينما هو كذلك إذ مرّ به الصكّ، فقام فدخل على عثمان فقال: يا بن الهاويه! يا بن النار الحاميه! أ تكتب لبعض آل أبي معيط إلى بيت مال المسلمين بصكّ بخمسين ألف درهم؟ فغضب عثمان (٢).

و روى هو أيضاً في (تاريخه)، و الواقدي في كتاب (داره) عن عبيده السلمانيّ قال: سمعت ابن مسعود يلعن عثمان، فقلت له في ذلك. فقال: سمعت النّبىّ صلّى الله عليه و آله و سلّم يشهد له بالنار (٣).

و عن خيثمه قال ابن مسعود: بينا نحن في بيت، و نحن اثنا عشر رجلاً نتذاكر أمر الدّجال و فتنته، إذ دخل النّبىّ صلّى الله عليه و آله و سلّم فقال: ما تتذاكرون من أمر الدّجال، و الذى نفسى بيده إنّ فى البيت لمن هو أشدّ على امتى من الدّجال.

قال ابن مسعود: و قد مضى من كان فى البيت غيرى و غير عثمان، (ثمّ) قال ابن مسعود: و الذى نفسى بيده لوددت أنّى و عثمان برمّل عالج (٤) تتحاشى

ص: ٣٠٩

١- ١) شرح ابن أبي الحديد ١١: ١٤. [١]

٢- ٢) نقله عنه العلامة المجلسى رحمه الله فى البحار ٨: ٣٣٦، [٢] ط الكمباني.

٣- ٣) نقله عنه العلامة المجلسى رضى الله فى البحار ٨: ٣٣٦، ط الكمباني. [٣]

٤- ٤) قال الطريحيّ: نقل أنّ رمل عالج جبال متواصله يتّصل أعلاها بالدّهناء، و الدّهناء بقرب يمامه، و أسفلها بنجد. و فى كلام البعض: رمل عالج محيط بأكثر أرض العرب. (مجمع البحرين ٣١٨: ٢-٣١٩، [٤] مادّه: عالج).

التراب حتى يموت الأعرج (١).

و روى الأول عن جمع من أصحاب ابن مسعود، قالوا: قال ابن مسعود:

لا يعدل عثمان عند الله تعالى جناح بعوضه (٢).

و روى عن همام بن الحارث، قال: دخلت مسجد المدينة فإذا الناس مجتمعون على عثمان، وإذا رجل يمدحه، فوثب المقداد و أخذ كفاً من حصي أو تراب فأخذ يرميه به، فرأيت عثمان يتقيه بيده (٣).

و روى عن عيسى بن زيد قال: كان عبد الرحمن بن حنبل القرشي - وهو من أهل بدر - من أشد الناس على عثمان، و كان يذكره في الشعر، و يذكر جورته، و يطعن عليه و يبرأ منه، و يصف صنائعه، فلما بلغ ذلك عثمان ضربه مائه سوط، و حمله على بعير، و طاف به في المدينة ثم حبسه موثقاً في الحديد (٤).

و روى عن قيس بن أبي حازم قال: جاءت بنو عيس إلى حذيفة يستشفعون به إلى عثمان، فقال حذيفة: لقد أتيتموني من عند رجل وددت أن كل سهم في كنانتي في بطنه (٥).

و أما هو عليه السلام فكان أقلهم عتاباً له، و أكثرهم استعتاباً، رعايه لكرم الأخلاق، و براءه عن التهم.

روى الواقدي في (شوراه) - و نقله ابن أبي الحديد في عنوان «و من كلام له عليه السلام و قد وقعت بينه و بين عثمان مشاجره» - عن ابن عباس قال: شهدت

ص: ٣١٠

١-١) بحار الأنوار ٨: ٣٣٨، ط الكمباني. [١]

٢-٢) نقله عن تاريخ الثقفى العلامة المجلسى رحمه الله في بحار الأنوار ٨: ٣٣٨، [٢] ط الكمباني.

٣-٣) المصدر نفسه ٨: ٣٣٩.

٤-٤) نقله عن تاريخ الثقفى العلامة المجلسى رحمه الله في بحار الأنوار ٨: ٣٣٨، [٣] ط الكمباني.

٥-٥) المصدر نفسه.

عتاب عثمان لعليّ عليه السّلام يوماً، فقال له في بعض ما قاله: نشدتك الله أن تفتح للفرقة باباً! فلعهدي بك و أنت تطيع عتيقا و ابن الخطّاب- إلى أن قال:- فإن كنت تزعم أنّ هذا الأمر جعله النبيّ صلّى الله عليه و آله و سلّم لك، فقد رأيناك حين توفّي النبيّ صلّى الله عليه و آله و سلّم نازعت ثمّ أقررت، فإن كانا لم يركبا من الأمر جدّاً فكيف أذعنت لهما بالبيعه، و بخعت بالطاعة- إلى أن قال:- فقال عليّ عليه السّلام: أمّا الفرقة، فمعاذ الله أن أفتح لها باباً، أو أسهلّ إليها سبيلاً، و لكنّي أنهاك عمّا ينهاك الله و رسوله عنه، و أهديك إلى رشدك، و أمّا عتيق و ابن الخطّاب فإن كانا أخذنا ما جعله النبيّ صلّى الله عليه و آله و سلّم لي، فأنت أعلم بذلك و المسلمون، و مالي و لهذا الأمر و قد تركته منذ حين- إلى أن قال:- و أمّا التسويه بينك و بينهما، فلست كأحدهما، إنهما وليّا هذا الأمر، فظلفا (١) أنفسهما و أهلهما عنه، و عمت فيه و قومك عوم السابح في اللجه، فارجع إلى الله أبا عمرو، و انظر هل بقي من عمرك إلّا- كظمء الحمار (٢). فحتى متى و إلى متى!- تنهى (ألا- تنهى) سفهاء بني أميّة عن أعراض المسلمين و أبشارهم و أموالهم! و الله لو ظلم عامل من عمالك حيث تغرب الشمس لكان إثمه مشتركاً بينه و بينك.

فقال عثمان: لك العتبي، و افعل و اعزل (من عمّالي) كلّ من تكرهه و يكرهه المسلمون، ثمّ افترقا فصده مروان، و قال: يجتريء عليك الناس، فلم يعزل (فلا تعزل) أحدا منهم (٣).

«و كان طلحه و الزبير أهون سيرهما فيه الوجيف» الوجيف: ضرب من سير الإبل و الخيل سريع، روى (جمل المفيد) عن كتاب (مقتل عثمان) لأبي حذيفه

ص: ٣١١

١- ١) ظلف نفسه: كفّها عمّا لا يجمل. (أساس البلاغ: ٢٨٩، مادة: ظلف).

٢- ٢) قال ابن الأثير: و في حديث بعضهم: «حين لم يبق من عمرى إلّا ظمء حمار» أى: شىء يسير، و إنّما خصّ الحمار لأنّه أقلّ الدواب صبراً عن الماء. (النهاية ١٦٢: ٣، [١] مادة: ظمأ).

٣- ٣) شرح ابن أبي الحديد ١٥: ٩-١٦، و [٢] نقله الشارح بتصرّف و تلخيص.

القرشي من أهل حديث العامه: قال عبد الرحمن بن أبي ليلى: والله كآني لأنظر إلى طلحه، و عثمان محصور، و هو على فرس، و بيده رمح يجول حول دار عثمان (١).

و روى أيضا أنه لما اشتد الحصار بعثمان عمده بنو أمية على إخراجهم ليلا إلى مكة، و عرف الناس ذلك و جعلوا عليه حرسا، و كان على الحرس طلحه و هو أول من رمى بسهم في دار عثمان (٢).

و في (صفين نصر بن مزاحم): قدم خفاف الطائي الشام، فقال له معاوية: هات يا أخا طي! حدثنا عن عثمان. قال: حصره المكشوح، و حكم فيه حكيم، و ولي في أمره محمد و عمار، و تجرد في أمره ثلاثة نفر: عدي بن حاتم، و الأشتر، و عمرو بن الحمق، و جد في أمره طلحه و الزبير (٣).

و قال عبيد الله بن عمر:

و قد كان فيها للزبير عجاجه و طلحه فيها جاهد غير لاعب (٤).

و في (أنساب البلاذري): ذكروا أن عثمان نازع الزبير، فقال الزبير: إن شئت تقاذفنا. فقال: بماذا أبالبعر؟ قال: لا و الله و لكن بطبع خباب و ريش المقعد - و كان خباب يطبع السيوف، و كان المقعد يريش النبل (٥).

«و أرفق حدائهما» قال الجوهري: الحدو: سوق الإبل، و الغناء لها (٦).

«العنيف» أي: الشديد، في (الطبري): قال عبد الرحمن بن الأسود: لم أزل

ص: ٣١٢

١- ١) الجمل: ١٤٦. [١]

٢- ٢) المصدر نفسه، و الرواية عن أبي إسحاق.

٣- ٣) وقعه صفين: ٦٥، [٢] شرح ابن أبي الحديد ١١١: ٣. [٣]

٤- ٤) وقعه صفين: ٨٤، [٤] شرح ابن أبي الحديد ١٠٢: ٣. [٥]

٥- ٥) أنساب الأشراف للبلاذري ١٤: ٥، [٦] مكتبة المثنى، بغداد.

٦- ٦) الصحاح ٢٣٠٩: ٦، [٧] مادة (حدا).

أرى عليًا عليه السلام منكبا عن عثمان لَمَّا أعطى الناس عهدا على المنبر، و دخل بيته فخرج مروان و شتمهم، و فرّقهم عن الباب، إلا أنّي أعلم أنّه قد كَلَّم طلحه حين حصر عثمان في أن يدخل عليه الروايا، و غضب في ذلك غضبا شديدا حتّى دخلت الروايا على عثمان (١).

و فيه: قال عبد الله بن عيّاش بن أبي ربيعة: دخلت على عثمان، فتحدّثت عنده ساعه، فقال: تعال. فأخذ بيدي فأسمعني كلام من على الباب، فسمعنا منهم من يقول: ما تنتظرون به؟ و منهم من يقول: انظروا عسى أن يراجع.

فبينما أنا و هو واقف إذ مرّ طلحه، فقال: أين ابن عديس؟ فقيل: ها هو ذا. فجاءه ابن عديس، فناجاه طلحه بشيء، ثمّ رجع ابن عديس؟ فقال لأصحابه: لا تتركوا أحدا أن يدخل على هذا الرجل، و لا يخرج من عنده (٢).

و في (مقتل أبي حذيفه): اطلع عثمان و قد اشتد به الحصار و ظمئ من العطش، فنادى أيها الناس اسقونا شربه من الماء و أطعمونا ممّا رزقكم الله.

فناداه الزبير يا نعثل و الله لا تدوقه.

و فيه أيضا: قال ثعلبه الحماني: أتيت الزبير و هو عند أحجار الزيت فقلت له: قد حيل بين أهل الدار و بين الماء. فنظر نحوهم و قال: «و حِيلَ بَيْنَهُمْ وَ بَيْنَ مَا يَشْتَهُونَ كَمَا فُعِلَ بِأَشْيَاعِهِمْ مِنْ قَبْلُ إِنَّهُمْ كَانُوا فِي شَكٍّ مُرِيبٍ» (٣).

و فيه أيضا: أنفذ عثمان إلى عليّ عليه السلام إن طلحه و الزبير قد قتلا من العطش و إنّ الموت بالسلاح أحسن، فخرج معتمدا على يد مسور بن مخرمه الزهري حتّى دخل على طلحه و هو جالس في داره يسوى نبلا و عليه قميص

ص: ٣١٣

١- (١) تاريخ الطبري ٤: ٣٦٤، سنة ٣٥. [١]

٢- (٢) تاريخ الطبري ٤: ٣٧٨-٣٧٩، سنة ٣٥. [٢]

٣- (٣) سبأ: ٥٤. [٣]

هندي، فلما رآه طلحه رَحِبَ به و وَسَّعَ له على الوساده، فقال له عليّ عليه السَّلام: إِنَّ عثمان قد أرسل إليّ أنكم أهلكتموه عطشا، و أن ذلك ليس بحسن، و القتل بالسلاح أحسن، و كنت آليت على نفسي أن لا أردّ عنه أحدا بعد أهل مصر، و أنا أحبّ أن تدخلوا عليه الماء حتّى تروا رأيكم فيه. فقال طلحه: و الله لا ننعمة عينا و لا نتركه يأكل و يشرب. فقال عليّ عليه السَّلام: ما كنت أظنّ أن أكلم أحدا من قريش فيردني، دع ما كنت فيه يا طلحه. فقال طلحه: ما كنت أنت يا عليّ في ذلك من شيء. فقام عليّ عليه السَّلام مغضبا و قال: ستعلم يا بن الحضرميه أكون في ذلك من شيء أم لا؟ ثم انصرف (١).

و في (خلفاء ابن قتيبه): ذكروا أنّ طلحه و الزبير أتيا عليا عليه السَّلام بعد خلافته، فقالا له: هل تدري على ما بايعناك؟- و كان الزبير لا- يشكّ في ولايه العراق، و طلحه في اليمن- إلى أن قال:- فلمّا استبان لهما أنّ عليّا عليه السَّلام غير مولّيهما شيئا، أظهرتا الشكايه (الشكاه)، فتكلّم الزبير في ملأ من قريش، فقال:

هذا جزاؤنا من عليّ، قمنا له في أمر عثمان حتّى أثبتنا عليه الذنب، و سببنا له القتل و هو جالس في بيته و كفى الأمر. فلمّا نال بنا ما أراد جعل دوننا غيرنا.

فقال طلحه: ما اللوم إلّا لنا، كنّا ثلاثه من أهل الشورى، كرهه أحدنا و بايعناه، و أعطيناها ما في أيدينا، و منعنا ما في يده، فأصبحنا قد أخطأنا ما رجونا (٢).

قلت: و مراد طلحه بكونهم ثلاثه من أهل الشورى: هما مع سعد بن أبي وقاص، فهما بايعاه عليه السَّلام طمعا، و اعتزله سعد ياسا.

و فيه أيضا: و لما نزل طلحه و الزبير و عائشه بأوطاس (٣)، من أرض

ص: ٣١٤

١- ١) الجمل للمفيد: ٧٤. [١]

٢- ٢) الإمامه و السياسه ٥١: ١. [٢]

٣- ٣) قال ياقوت: أوطاس: واد في ديار هوازن، فيه كانت وقعه حنين للنبيّ صلّى الله عليه و آله و سلّم بيني هوازن. (معجم البلدان

١: ٢٨١). [٣]

خيبر، أقبل عليهم سعيد بن العاص على نجيب له، فأقبل على مروان-و كان مع طلحه و الزبير-فقال له: و أين تريد؟ قال: البصره. قال: و ما تصنع بها؟ قال:

أطلب قتله عثمان. قال: فهؤلاء قتله عثمان معك، إن هذين الرجلين-يعنى طلحه و الزبير-قتلا-عثمان و هما يريدان الأمر لأنفسهما، فلما غلبا عليه قال: نغسل الدم بالدم، و الحوبه (١) بالتوبه (٢).

و فيه أيضا-بعد ذكر دخول طلحه و الزبير البصره-: فيناهم كذلك أتاهم رجل من أشرف البصره بكتاب كتبه طلحه في التأليب على قتل عثمان، فقال لطلحه: هل تعرف هذا الكتاب؟ قال: نعم. قال: فما ردك على ما كنت عليه؟ و كنت أمس تكتب إلينا تؤلبنا على قتل عثمان، و أنت اليوم تدعونا إلى الطلب بدمه (٣).

و عن (تاريخ الواقدي): ما كان أحد من أصحاب محمد صلى الله عليه و آله و سلم أشدّ على عثمان من عبد الرحمن بن عوف حتى مات عبد الرحمن، و من سعد بن أبي وقاص حتى مات عثمان، و من طلحه-و كان أشدهم- فإنه لم يزل كهف المصريين و غيرهم، يأتونه بالليل يتحدّثون عنده إلى أن حاربوه (جاهدوا)، فكان وليّ الحرب و القتال، و عمل المفاتيح على بيت المال، و تولّى الصلاه بالناس، و منع عثمان و من معه من الماء، و ردّ شفاعه عليّ عليه السلام في حمل الماء إليه، و قال: لا و الله... (٤).

و في (خلفاء ابن قتيبه): أقبل الأشر من الكوفه في ألف رجل، و أقبل محمّد بن أبي حذيفه من مصر في أربعمائه رجل، فأقام أهل الكوفه و أهل

ص: ٣١٥

١-١) الحوبه-بالفتح-: الخطيئه. (المصباح المنير ١٩٠: ١، ماده: حوب).

٢-٢) الإمامه و السياسه ١: ٦٣. [١]

٣-٣) الإمامه و السياسه ١: ٦٨. [٢]

٤-٤) نقله عنه العلامه المجلسي رحمه الله في بحار الأنوار ٨: ٣٣٩، [٣] ط الكمباني.

مصر بباب عثمان ليلا و نهارا، و طلحه يحرض الفريقين جميعا على عثمان، ثم إن طلحه قال لهم: إن عثمان لا يبالي ما حصرتموه، و هو يدخل إليه الطعام و الشراب فامنعوه الماء أن يدخل عليه (١).

و ممن هيج على عثمان غير طلحه و الزبير، و سار فيه الوجيف و حدا فيه العنيف عبد الرحمن بن عوف، و هو الذي عين عثمان إماما، و لم يذكره عليه السلام، لأن كلامه عليه السلام في أصحاب الجمل الذين قاتلوا عثمان حتى قتلوه، ثم حاربوه عليه السلام باسم ثاره. فقد عرفت كون عبد الرحمن أيضا ممن كانوا أشداء عليه إلا أنه مات قبل عثمان.

و عن (تاريخ الثقفى): قال طارق بن شهاب: رأيت عبد الرحمن و هو يقول: إن عثمان أبى أن يقيم فيكم كتاب الله. فقيل له: فأنت أول من بايعه، و أول من عقد له. قال: إنه نقض، و ليس لناقض عهد (٢).

و عن (تاريخ الواقدي): قال عثمان بن شريد: دخلت على عبد الرحمن بن عوف في شكواه الذي مات فيه أعوده، فذكر عنده عثمان، فقال: عاجلوا طاغيتكم هذه قبل أن يتمادى في ملكه. قالوا: فأنت وليته. قال: لا عهد لناقض (٣).

و عن (تاريخ الثقفى): قال أبو إسحاق: أصبح الناس يوما حين صلوا الفجر في خلافة عثمان، فنادوا بعبد الرحمن، فحوّل وجهه إليهم، و استدبر القبلة، ثم خلع قميصه عن جبيه فقال: يا معشر أصحاب محمد، يا معشر المسلمين، أشهد الله و أشهدكم أنني قد خلعت عثمان من الخلافة كما خلعت سربالي هذا. فأجابه مجيب من الصف الأول: «آلآن و قد عصيت قبل»

ص: ٣١٤

١-١ (الإمامه و السياسة ١: ٣٨). [١]

٢-٢ نقله عنه العلامة المجلسي رحمه الله في بحار الأنوار ٨: ٣٤٠، [٢] ط الكمباني.

٣-٣ نقله عنه العلامة المجلسي رحمه الله في بحار الأنوار ٨: ٣٤٠، [٣] ط الكمباني.

«وَكُنْتُ مِنَ الْمُفْسِدِينَ» (١). فنظروا من الرجل فإذا هو عليّ بن أبي طالب عليه السلام (٢).

«و كان من عائشه فيه فلهته غضب» روى الجوهرى فى (سقيفته) (٣)، و نقله ابن أبى الحديد فى موضع آخر مسندا عن أبى بن كعب الحارثى فى خبر طويل، قال: تبعت عثمان حتى دخل المسجد، فإذا عمّار جالس إلى ساريه، و حوله نفر من أصحاب النبي صلى الله عليه و آله و سلم يبكون، فقال عثمان: يا وثاب عليّ بالشرط، فجاءوا، فقال: فرّقوا هؤلاء. فرّقوا بينهم.

ثم اقيمت الصلاة، فتقدّم عثمان فصلى بهم، فلما كبر قالت امرأه من حجرتها: أيها الناس، و تكلمت، ثم ذكرت النبي صلى الله عليه و آله و سلم و ما بعثه الله به، ثم قالت:

تركتم أمر الله و عهده، و نحو هذا، ثم صمتت و تكلمت اخرى بمثل ذلك، فإذا هما عائشه و حفصه.

فسلم عثمان ثم أقبل على الناس، و قال: إنّ هاتين لفتانتان، يحلّ لى سبهما، و أنا بأصلها عالم... (٤).

و فى (خلفاء ابن قتيبه): ذكروا أنّ عائشه لما أتاها أنه بويع عليّ عليه السلام - و كانت خارجه عن المدينة - قالت: ما كنت أبالى أن تقع السماء على الأرض، قتل عثمان و الله مظلوما، و أنا طالبه بدمه. فقال عبيد: إنّ أول من طعن فيه و أطمع الناس فيه لأنت، و لقد قلت: اقتلوا نعتلا فقد كفر (فجر). فقالت: قلت و قال الناس، و آخر قولى خير من أوله. فقال عبيد: عذر ضعيف و الله. ثم قال:

فمنك البداء و منك الغير و منك الرياح و منك المطر

و أنت أمرت بقتل الإمام و قلت لنا إنّّه قد فجر

ص: ٣١٧

١-١ (١) يونس: ٩١. [١]

٢-٢ (٢) المصدر نفسه.

٣-٣ (٣) السقيفه و فدك: ٨٠. [٢]

٤-٤ (٤) شرح ابن أبى الحديد ٩: ٥. [٣]

فهنا أظعنناك في قتله وقاتله عندنا من أمر (١)

و في (الطبري): عن ابن عباس، قال: قال لي عثمان، إني قد استعملت خالد بن العاص على مکه، وقد بلغ أهل مکه ما صنع الناس، فأنا خائف أن يمنعوه الموقف (فيأبي)، فيقاتلهم، فرأيت أن أولئك أمر الموسم. و كتب معه إلى أهل الموسم بكتاب يسألهم أن يأخذوا له بالحق مَن حصره. فخرج ابن عباس، فمَرَّ بعائشه في الصَّيْلِصِل (٢)، فقالت: يا ابن عباس، انشدك الله-فإنك قد أعطيت لسانا ذلقا (إزعيلًا)- أن تجادل (تخذل) عن هذا الرجل، و أن تشكك فيه الناس، فقد بانت لهم بصائرهم و أنهجت، و رفعت لهم المنار، و تحلبوا من البلدان لأمر قد حمّ، و قد رأيت طلحه قد اتخذ على بيوت الأموال و الخزائن مفاتيح، فإن يل يسر بسيره ابن عمه أبي بكر (٣) و فيه: أقبل غلام من جهينه على محمّد بن طلحه- و كان عابدا- يوم الجمل، فقال له: أخبرني عن قتله عثمان. فقال: نعم، دم عثمان على ثلاثه أثلاث، ثلث على صاحبه الهودج- يعني عائشه- و ثلث على صاحب الجمل الأحمر- يعني أباه طلحه- و ثلث على عليّ. فضحك الغلام، و قال: أراني على ضلال! و لحق بعليّ عليه السلام، و قال:

سألت ابن طلحه عن هالك بجوف المدينة لم يقبر

فقال ثلاثه رهط هم أماتوا ابن عفان و استعبر

فثلث على تلك في خدرها و ثلث على راكب الأحمر

و ثلث على ابن أبي طالب و نحن بدويّه قرقر

ص: ٣١٨

١- ١) الإمامه و السياسة ٥٢: ١، [١] تاريخ الطبري ٤٥٨: ٤-٤٥٩، سنه ٣٦. [٢]

٢- ٢) قال ياقوت: صلصل: بنواحي المدينة على سبعة أميال، منها نزل بها رسول الله صَلَّى الله عليه و آله و سلّم يوم خرج من المدينة إلى مکه عام الفتح. (معجم البلدان ٤٢١: ٣). [٣]

٣- ٣) تاريخ الطبري ٤٠٧: ٤، سنه ٣٥، و [٤] نقله عنه ابن أبي الحديد في شرحه على نهج البلاغه ١٠: ٦.

فقلت صدقت على الأولين و أخطأت في الثالث الأزهر (١)

و رواه (خلفاء ابن قتيبه)، و زاد: و بلغ طلحه قول ابنه محمّد، و كان من عباد الناس، فقال له: أ تزعم أنّي قاتل عثمان، كذلك تشهد على أبيك؟ كن كعبد الله بن الزبير، فو الله ما أنت بخير منه، و لا- أبوك بدون أبيه، كفّ عن قولك، و إلاّ فارجع فإنّ نصرتك نصره واحد، و فسادك فساد عامّه. فقال: ما قلت إلاّ حقاً و لا (لن) أعود (٢).

و عن (تاريخ الثقفى): جاءت عائشه إلى عثمان فقالت: أعطني ما كان يعطينى أبى و عمر. قال: لا أجد له موضعا فى الكتاب، و لا فى السنّه، و لكن كان أبوك و عمر يعطيانك عن طيبه أنفسهما و أنا لا أفعل.

قالت: فأعطني ميراثى من النبى. قال: أو لم تجيء فاطمه تطلب ميراثها منه، فشهدت أنت، و مالك بن أوس البصرى أنّ النبى لا يورث، و أبطلت حقّ فاطمه و جئت تطلين الميراث؟ لا أفعل. فكان عثمان إذا خرج إلى الصلاه أخرجت عائشه قميص النبى صلّى الله عليه و آله و سلّم، و تنادى: أنّ عثمان خالف صاحب هذا القميص (٣).

و عنه: أنّ عثمان صعد المنبر، فنادته عائشه، و رفعت قميص النبى صلّى الله عليه و آله و سلّم: لقد خالفت صاحب هذا. فقال عثمان: إنّ هذه الزعراء (٤) عدوّه الله، ضرب الله مثلها و مثل صاحبته حفصه فى الكتاب (٥) بأمره

ص: ٣١٩

١- ١) تاريخ الطبرى ٤: ٤٦٥-٤٦٦، سنه ٣٦، [١] الإمامه و السياسه ١: ٦٥. [٢]

٢- ٢) الإمامه و السياسه ١: ٦٥. [٣]

٣- ٣) نقله عنه العلامه المجلسى رحمه الله فى بحار الأنوار ٨: ٣٤١، [٤] ط الكمباني.

٤- ٤) زعر الرجل إذا ساء خلقه و قلّ خيريه: و هو أزعر و هى زعراء. (أساس الاقتباس ١٩١، ماده: زعر).

٥- ٥) التحريم: ١٠.

و عنه: عن موسى التغلبي عن عمّه قال: دخلت المسجد فإذا الناس مجتمعون، وإذا كفّ مرتفعه و صاحب الكفّ يقول: «إنّ فيكم فرعون أو مثله» فإذا هي عائشه تعنى عثمان (٢).

و عن الحسن بن سعيد قال: رفعت عائشه ورقات من ورق المصحف، و عثمان على المنبر، فقالت: يا عثمان، أقم ما فى كتاب الله، إن تصاحب تصاحب غادرا و إن تفارق تفارق عن قلى. فقال عثمان: أما و الله لتنتهين أو لأدخلنّ عليك حمران الرجال و سودها. قالت: أما إن فعلت لقد لعنك النبيّ صلّى الله عليه و آله و سلّم ثمّ ما استغفر لك (٣).

و روى عن عدّه طرق: أنّه لمّا اشتدّ الحصار على عثمان تجهّزت عائشه للحجّ، فجاءها مروان، و عبد الرحمن بن عتاب فسألاها الإقامه و الدفع عنه، فقالت: قد غريت غرائرى، و أدنيت ركابى، و فرضت على نفسى الحجّ، فلست بالتي أقيم- إلى أن قال:- فقالت لمروان: لعلك ترى أئى إنّما قلت هذا الذى قلته شكّا فى صاحبك! فو الله لو ددت أنّ عثمان مخيط عليه فى بعض غرائرى حتّى أكون أقذفه فى اليم. ثمّ ارتحلت حتّى نزلت بعض الطريق، فلحقها ابن عباس أميرا على الحجّ، فقالت له: إنّ الله قد أعطاك لسانا و علما، فانشدك الله أن تخذل عن قتل هذا الطاغية غدا- إلى أن قال:- قال ابن عيّاس: دخلت عليها بالبصره، فذكرتها هذا الحديث، فقالت: ذاك المنطق أخرجنى، لم أر لى توبه إلاّ الطلب بدم عثمان. فقلت لها: فأنّ قتلته بلسانك فأين تخرجين؟ توبى و أنت فى بيتك، أو

ص: ٣٢٠

١- ١) نقله عنه العلامة المجلسى رحمه الله فى البحار ٨: ٣٤١، [١] ط الكمباني.

٢- ٢) المصدر نفسه. [٢]

٣- ٣) المصدر نفسه. [٣]

ارضى وواه دم عثمان ولده. قالت: دعنا (١).

و في (الأغاني) قال الزهري: خرج رهط من أهل الكوفة إلى عثمان في أمر الوليد بن عقبه، و شربه الخمر، و صلواته الصبح أربعاً سكران، و تغنيه في الصلاة، فقال عثمان: أكلما غضب رجل منكم على أميره رماه بالباطل! لئن أصبحت لكم لأنكّلن بكم. فاستجاروا بعائشه، و أصبح عثمان فسمع من حجرتها صوتاً و كلاماً فيه بعض الغلظة، فقال: أما يجد مرق أهل العراق ملجأ إلا بيت عائشه! فسمعت فرفعت نعل النبي صلى الله عليه و آله و سلم و قالت: تركت سنّه صاحب هذا النعل. فتسامع الناس فجاءوا فملأوا المسجد، فمن قائل: أحسنت، و من قائل: ما للنساء و لهذا! حتّى تحاصبوا و تضاربوا بالنعال، و دخل رهط من الصحابه على عثمان، فقالوا له: اتق الله و لا تعطل الحدّ، و اعزل أخاك عنهم (٢).

و في (أنساب البلاذري): يقال، إنّ عايشه أغلظت لعثمان و أغلظ لها و قال: و ما أنت و هذا؟ إنّما امرت أن تقرّي في بيتك. فقال قوم مثل قوله، و قال آخرون: و من أولى بذلك منها. فاضطربوا بالنعال و كان ذلك أوّل قتال بين المسلمين بعد النبي صلى الله عليه و آله و سلم (٣).

و بالجمله: إنّ عثمان كان يطعن فيه لأعماله و عمّاله البرّ و الفاجر، إلاّ أنّ أمير المؤمنين عليه السّلام و شيعته من أبي ذرّ، و المقداد، و عمّار، و حذيفه، و عمرو بن الحمق، و مالك الأشتر و نظرائهم كانوا يطعنون فيه لله تعالى، فإنّه عزّ و جلّ «أخذ على العلماء ألاّ يقارّوا على كظّه ظالم، و لا سغب مظلوم» (٤).

و أمّا عمرو بن العاص، فإنّه كان يطعن فيه لأنّه عزله عن مصر، كما أنّ

ص: ٣٢١

١-١) نقله عنه العلامة المجلسي رحمه الله في البحار ٨:٣٤١، [١] ط الكمباني.

٢-٢) الأغاني ١٣٠:٥-١٣١. [٢]

٣-٣) أنساب الأشراف للبلاذري ٥:٣٤، [٣] مكتبة المثنى، بغداد.

٤-٤) نهج البلاغه ١:٣٢. [٤]

عبد الرحمن بن عوف كان يطعن فيه لأنه أعطاه الخلافة ليردّها إليه، و يكون شريكه فيها كما أعطى عمر أبا بكر الخلافة، فردّها إليه بعده، و كان شريكه فيها في وقته. و عثمان لم يرد توليه غير بنى اميه-بنى أبيه-في حياته و بعد وفاته.

و كذلك سعد بن أبي وقاص يطعن فيه لأنه تجافى عن سهمه في الشورى ليوليّه. و كذلك طلحه و الزبير كانا بايعا عثمان طمعا أن يكونا شريكه في حكومته، و كيف لا- و طمعا ذلك من أمير المؤمنين عليه السّلام الذى كانا هما و غيرهما يعلمون أنّه لا يراقب أحدا غير الله تعالى، و كانا يريان أنفسهما فوق عثمان- و كانا فوقه-فلما رأيا أنّه لا ينظر غير بنى اميه سعيّا في قتله ليليا الأمر كما عرفت اعترافهما بذلك.

و كذلك عائشه كانت تطمع أن يعطيها عثمان ما كان أبوها و صاحبه يعطيانها زائدا على حقّها في قبال فعالتيتها لخلافتهما، فلما خابت منه طعنت فيه و فطن معاويه بذلك، فكان يعطيها سياسه مثل ما يعطيها أبوها و صاحبه، فلما أرادت الطعن فيه بقتل حجر بن عدىّ العابد المجاهد قال لها: هل عطاؤك حسن؟ قالت: نعم. قال لها: فخلّيني و حجرا إلى المعاد. فسكتت (١).

و أمّا عثمان، فلما جبهها بأنك تدّعين ما ليس لك، حرّضت على قتله طمعا أن يصير الأمر إلى ابن عمّها-طلحه-فإذا كان صار إليه، كان كأنه صار إليها كما في أيام أبيها و أيام صاحبه، فلما سمعت بقتل عثمان و ظنّت صيروره الأمر إلى طلحه قالت: «أبعد الله عثمان بما قدّمت يداه، الحمد لله الذى قتله» (٢)، و قالت مشيره إلى طلحه: «إيها

ص: ٣٢٢

١- ١) ذكر بأعلام الورى بشكل آخر: ٤٤، و نقله المجلسى فى بحار الأنوار ١٢٦: ١٨. [١]

٢- ٢) شرح ابن أبى الحديد ٢١٦: ٦. [٢]

ذا الإصبع» (١) فلما بلغها يبعه الناس لأمير المؤمنين عليه السّلام قالت: «وددت أنّ هذه -تعنى السماء- وقعت على هذه -تعنى الأرض» (٢).

كما أنّ طلحه و الزبير لمّا أيسا من وصول الأمر إليهما ندما، فاتّفتت عائشه معهما- وكان طلحه ابن عمّها، و الزبير زوج اختها أسماء- على أن يقولوا: «قتل عثمان مظلوما، وإنّ قاتله عليّ» لعلّ الأمر يرجع إليهم (٣).

و في (خلفاء ابن قتيبه): بعث عثمان بن حنيف عامل على عليه السّلام على البصره بعمران بن الحصين، و أبي الأسود الدؤلى إلى طلحه و الزبير و عائشه لإتمام الحجّه عليهما، فبدئا بطلحه، فقال له أبو الأسود: إنكم قتلتم عثمان غير مؤامرين لنا فى قتله، و بايعتم عليا غير مؤامرين لنا فى بيعته، فلم نغضب لعثمان إذ قتل، و لم نغضب لعليّ إذ بويع، ثمّ بدا لكم.

و قال له عمران: إنكم قتلتم عثمان و لم نغضب له إذ لم تغضبوا، ثمّ بايعتم عليّا و بايعنا من بايعتم، فإن كان قتل عثمان صوابا فمسيركم لما ذا؟ و إن كان خطأ فحظكم منه الأوفر، و نصيبكم منه الأوفى.

فقال لهما طلحه: إنّ صاحبكما لا يرى أنّ معه فى هذا الأمر غيره، و ليس على هذا بايعناه.

فقال أبو الأسود لعمران: أمّا هذا فقد صرّح أنّه إنّما غضب للملك (٤).

و فيه: قال عمّار لأهل الكوفه: إنّ طلحه و الزبير كانا أول من طعن (فى عثمان)، و آخر من أمر (بقتله)، و كانا أول من بايع عليا عليه السلام، فلما أخطأهما ما

ص: ٣٢٣

١- ١) تاريخ يعقوبى ٢: ١٨٠، [١] شرح ابن أبى الحديد ٦: ٢١٥. [٢]

٢- ٢) الإمامه و السياسه ١: ٥٢، [٣] تاريخ يعقوبى ٢: ١٨٠، [٤] شرح ابن أبى الحديد ٦: ٢١٥. [٥]

٣- ٣) الإمامه و السياسه ١: ٥١-٥٢. [٦]

٤- ٤) الإمامه و السياسه ١: ٦٤-٦٥. [٧]

أملاه نكتا بيعتهما من غير حدث (١).

هذا، وما قالته عائشه لعثمان: إِنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ لَعْنَهُ، وَشَبَّهَهُ بِنَعْتِ الْيَهُودِيِّ (٢)، وغير ذلك، وما قاله عثمان لعائشه (٣) من أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى ضَرَبَ لَهَا وَلِحَفْصَةَ الْمَثَلِ الْمَذْكُورِ فِي قَوْلِهِ جَلَّ وَعَلَا: «ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ كَفَرُوا امْرَأَتَ نُوحٍ وَامْرَأَتَ لُوطٍ» (٤) صحيحان، حيث إِنَّ عِنْدَ إِخْوَانِنَا: عِثْمَانَ إِمَامًا، وَعَائِشَةَ صَدِيقَةً، فَلَا بَدَّ مِنْ صِحِّهِ قَوْلَهُمَا.

وأيضا، أنّهما مع شدّه عداوه كلّ منهما للآخر أقرّ بما نسبته إليه، لكن قابله بكون طرفه مثله معيوباً «وَقَالَتِ الْيَهُودُ لَيْسَتِ النَّصَارَى عَلَى شَيْءٍ وَوَقَالَتِ النَّصَارَى لَيْسَتِ الْيَهُودُ عَلَى شَيْءٍ» (٥) وكلّ منهما صدق.

«فاتيح» أى: قدر.

«له قوم فقتلوه» و في (ابن أبي الحديد و الخطيبه): «قتلوه» (٦).

في (العقد الفريد): إِنَّ نَائِلَةَ بِنْتَ الْفَرَاغِصَةِ امْرَأَةَ عِثْمَانَ كَتَبَتْ إِلَى مَعَاوِيَةَ كِتَابًا مَعَ النِّعْمَانِ بْنِ بَشِيرٍ، وَبَعَثَتْ إِلَيْهِ بِقَمِيصِ عِثْمَانَ مَخْضُوبًا بِالْدمَاءِ، وَكَانَ فِي كِتَابِهَا: أَنِّي أَقْصُّ عَلَيْكُمْ خَبْرَهُ، أَنِّي شَاهِدَةٌ أَمْرَهُ كُلَّهُ.

إِنَّ أَهْلَ الْمَدِينَةِ حَصَرُوهُ فِي دَارِهِ، وَحَرَسُوهُ لَيْلَهُمْ وَنَهَارَهُمْ قِيَامًا عَلَى أَبْوَابِهِ بِالسَّلَاحِ، يَمْنَعُونَهُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ قَدَرُوا عَلَيْهِ، حَتَّى مَنَعُوهُ الْمَاءَ، فَمَكَثَ هُوَ وَمَنْ مَعَهُ خَمْسِينَ لَيْلَةً، وَأَهْلُ الْمَصْرِ قَدِ اسْتَدْوُوا أَمْرَهُمْ إِلَى عَلِيِّ عَلَيْهِ السَّلَامُ،

ص: ٣٢٤

١-١ (١) المصدر نفسه ١:٦٧. [١]

٢-٢ (٢) أورده العلامة المجلسي رحمه الله في بحار الأنوار، ط الكمباني ٨:٣٤١.

٣-٣ (٣) المصدر نفسه.

٤-٤ (٤) التحريم: ١٠. [٢]

٥-٥ (٥) البقره: ١١٣. [٣]

٦-٦ (٦) كذا في شرح ابن أبي الحديد ٦:١٤.

و محمد بن أبى بكر، و عمّار، و طلحه، و الزبير، فأمر وهم بقتله، و كان معهم من القبائل: خزاعه، و سعد بن بكر، و هذيل، و طوائف من جهينه، و مزينه، و أنباط يثرب- إلى أن قالت:- و دخل عليه القوم يقدمهم محمد بن أبى بكر، فأخذ بلحيته و دعوه باللقب، فضربوه على رأسه ثلاث ضربات، و طعنوه فى صدره ثلاث طعنات، و ضربوه على مقدم العين (الجبين) فوق الأنف ضربه أسرع فى العظم، فسقطت عليه و قد أثنوه و به حياه، يريدون أن يقطعوا رأسه فيذهبوا به، فأتتنى ابنه شبيهه فألقت بنفسها عليه معى، فوطئنا و طئنا شديدا... (١).

«و بايعنى الناس غير مستكرهين و لا مجبرين» الاستكراه: عدم الرغبه، و الإيجابار: القهر.

«بل طائعين مخيرين» بل ألجئوه عليه السّلام إلى البيعه معه، و كانت رغبتهم فى بيعته كما وصفها خفاف الطائى لمعاويه، قال: تهافت الناس على على عليه السّلام بالبيعه تهافت الفراش حتّى ضلّت النعل، و سقط الرداء، و وطىء الشيخ (٢).

و قال الحسن عليه السّلام: «و الله ما دعا إلى نفسه و لقد تداكّ الناس عليه تداكّ الإبل الهيم (٣) (عند) ورودها « (٤).

«و اعلموا أنّ دار الهجره قد قلعت بأهلها و قلعوا بها و جاشت» من «جاشت القدر» أى: غلت.

«جيش المرجل» فى (الصحيح) فى «رجل»: المرجل قدر من نحاس (٥).

ص: ٣٢٥

١- ١) العقد الفريد ٥٠:٥-٥١، و [١] نقله الشارح بتصرف.

٢- ٢) وقعه صفين: ٦٥، [٢] شرح ابن أبى الحديد ٣:١١١. [٣]

٣- ٣) الهيم: العطاش. (الصحيح ٢٠٦٣:٥، ماده: هيم).

٤- ٤) شرح ابن أبى الحديد ١٢:١٤. [٤]

٥- ٥) الصحيح ١٧٠٥:٤، [٥] ماده رجل. (.)

فى (جمل المفيد): روى الواقدى عن عبيد (عبد) الله بن الحارث بن الفضل (الفضيل)، عن أبيه قال: لما عزم على عليه السلام على المسير من المدينة بعث محمّد بن جعفر (الحنفيّه) ومحمّد بن أبى بكر إلى الكوفه - إلى أن قال بعد ذكر رجوعهما، وقولهما: إنّ أباً موسى يمنع الناس عنّا - فبعث عمّاراً والحسن عليه السلام وكتب معهما كتاباً: أمّا بعد، فإنّ دار الهجره تقلّعت بأهلها فانقلعوا عنها، وجاشت جيش المرجل، وكانت فاعله يوماً ما فعلت، وقد ركبت المرأة الجميل، ونبحتها كلاب الحوآب، وقامت الفئه (الفتنه) الباغيه يقودها (رجال) يطلبون بدم هم سفكوه، وعرض هم شتموه، وحرمة انتهكوها، وأباحوا ما أباحوا، يعتدرون إلى الناس دون الله «يُحْلِفُونَ لَكُمْ لِتَرْضَوْا عَنْهُمْ فَإِنْ تَرْضَوْا عَنْهُمْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَرْضَىٰ عَنِ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ» (١)، اعلموا - رحمكم الله - أنّ الجهاد مفترض على العباد، فقد جاءكم فى داركم من يحثكم عليه، ويعرض عليكم رشدكم، والله يعلم أنّى لم أجد بداً من الدخول فى هذا الأمر، ولو علمت أنّ أحداً أولى به منى لما تقدّمت (قدمت) إليه، وقد بايعنى طلحه والزبير طائعين غير مكرهين، ثمّ خرجا يطلبان بدم عثمان، وهما اللذان فعلا بعثمان ما فعلا، وعجبت لهما كيف أطاعا أباً بكر وعمر فى الغيبه، وأبى ذلك على (٢).

«وقامت الفتنة على القطب» قال ابن أبى الحديد: قال الطبرى: أقبل زيد بن صوحان ومعه كتاب من عائشه إليه خاصّه، وكتاب منها إلى أهل الكوفه عامّه، تتبّطهم عن نصره على عليه السلام، وتأمّره بلزوم الأرض، فقال زيد: انظروا إلى هذه المرأة، امرت أن تقرّ فى بيتها، وأمرنا نحن أن نقاتل، حتّى لا تكون

ص: ٣٢٦

١ - ١) التوبه: ٩٦. [١]

٢ - ٢) الجمل: ٢٥٧ - ٢٦٠، [٢] بتصرّف وتلخيص، وذكره ابن شهر آشوب فى مناقب آل أبى طالب ٣: ١٥١، [٣] مع اختلاف.

فتنه، فأمرتنا بما امرت به، وركبت ما امرنا به، -إلى أن قال-: فقام و شال يده المقطوعه، و أوما بيده إلى أبي موسى و هو على المنبر: أتردّ الفرات عن أمواجه! دع عنك ما لست تدركه. ثم قرأ: «الم أَحَسِبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ وَ لَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَ لَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ» (١).

قال: و روى أبو مخنف عن الكلبي، عن أبي صالح: أن علياً عليه السلام لَمَّا نزل ذاقار في قلبه من عسكره، صعد الزبير منبر البصره، فقال: ألا- ألف فارس أسير بهم إلى علي، فأبَيْتته بيانا، و اصْبَحَ صَباحاً، قبل أن يأتيه المدد! فلم يجبه أحد، فنزل واجماً، و قال: هذه و الله الفتنه التي كُنَّا نتحدّث بها! فقال له بعض مواليه:

تسميها فتنه ثم تقاتل فيها! فقال: ويحك! و الله إننا لنبصر ثم لا نصبر. فاسترجع المولى ثم خرج في الليل فاراً إلى علي عليه السلام فأخبره، فقال: اللهم عليك به! (٢).

و في (العقد): عن الحسن البصرى قال الزبير: لقد نزلت: «وَ اتَّقُوا فِتْنَةً لَا تُصِيبُ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خِصَاةً» (٣) و ما ندرى من يختلف إليها. فقال بعضهم: فلم جئت إلى البصره؟ فقال: ويحك! إننا ننظر و لا نبصر (٤).

و في (الاستيعاب): عن أبي ليلي الغفاري، عن النبي صلى الله عليه و آله و سلم قال:

ستكون بعدى فتنه، فإذا كان ذلك فالزموا علي بن أبي طالب عليه السلام، فإنه أول من يرانى، و أول من يصابحنى يوم القيامة، و هو الصديق الأكبر، و هو فاروق هذه الامه، يفترق بين الحق و الباطل، و هو يعسوب المؤمنين،

ص: ٣٢٧

١- ١) تاريخ الطبرى ٤: ٤٨٣-٤٨٤، سنة ٣٦، [١] شرح ابن أبي الحديد ١٩: ١٤-٢٠، و الآيه ١-٣ [٢] من سوره العنكبوت.

٢- ٢) شرح ابن أبي الحديد ١٤: ١٤. [٣]

٣- ٣) الأنفال: ٢٥. [٤]

٤- ٤) العقد الفريد ٥٦: ٥. [٥]

«فأسرعوا إلى أميركم، وبادروا جهاد عدوكم» قال ابن أبي الحديد: قال الطبري: قام زيد بن صوحان-أى فى الخبر المقدم بعد تلاوته «الم أَحْسَبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ» (٢)-ثم نادى: سيروا إلى أمير المؤمنين، و صراط سيد المرسلين.

و قام الحسن عليه السلام فقال: أيها الناس، أجيئوا دعوه إمامكم، و سيروا إلى إخوانكم، فإنه سيوجد لهذا الأمر من ينفر إليه، و الله لأن يليه أولو النهى أمثل فى العاجله، و خير فى العاقبه، فأجيئوا دعوتنا، و أعينونا على أمرنا (٣).

و قال: و روى أبو مخنف عن ابن أبي ليلى، قال: لما دخل الحسن عليه السلام و عمارة الكوفة، قال الحسن عليه السلام: أيها الناس، إنا جئنا ندعوكم إلى الله و إلى كتابه و سنه رسوله، و إلى أفقه من تفقه من المسلمين، و أعدل من تعدلون، و أفضل من تفضلون، و أوفى من تبايعون، من لم يعيه (يعبه) القرآن، و لم تجهله السنه، و لم تقعد به السابقه، إلى من قربه الله تعالى إلى رسوله قرابتين:

قرايه الدين و قرايه الرحم، إلى من سبق الناس إلى كل مأثره، إلى من كفى الله به رسوله و الناس متخاذلون، فقرب منه و هم متباعدون، و صلى معه و هم مشركون، و قاتل معه و هم منهزمون، و بارز معه و هم محجمون، و صدقه و هم مكذبون (يكذبون) إلى من لم ترد له رايه (روايه) و لا تكافأ له سابقه، و هو يسألكم النصر، و يدعوكم إلى الحق، و يأمركم بالمسير إليه، لتوازره و تنصروه على قوم نكثوا بيعته، و قتلوا أهل الصلاح من أصحابه، و متلوا

ص: ٣٢٨

١-١ (١) الاستيعاب [١] بهامش الإصابه ١٧٠: ٤. [٢]

٢-٢ (٢) العنكبوت: ١-٢. [٣]

٣-٣ (٣) تاريخ الطبري ٤٨٤-٤٨٥، سنه ٣٦، [٤] شرح ابن أبي الحديد ٢٠: ١٤. [٥]

بِعَمَالِهِ، وَانْتَهَبُوا بَيْتَ مَالِهِ، فَأَشْخَصُوا إِلَيْهِ - رَحِمَكُمُ اللَّهُ - فَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ... (١).

و عن تميم الناجي قال: قدم علينا الحسن عليه السّلام و عمّار يستنفران الناس إلى على عليه السّلام، و معهما كتابه، فلما فرغا من قراءه كتابه، قام الحسن عليه السّلام - و هو فتى حدث، و أتى لإرثي له من حدائثه سنّه و صعوبه مقامه - فرماه الناس بأبصارهم و هم يقولون: اللهم سدّد منطلق ابن بنت نبينا صلّى الله عليه و آله و سلّم! فوضع يده على عمود يتساند إليه، و كان عليلا من شكوى به، فقال: الحمد لله العزيز الجبار، الواحد القهار، الكبير المتعال، «سَوَاءٌ مِنْكُمْ مَنْ أَسِيرَ الْقَوْلَ وَ مَنْ جَهَرَ بِهِ وَ مَنْ هُوَ مُسْتَخْفٍ بِاللَّيْلِ وَ سَارِبٌ بِالنَّهَارِ» (٢). أحمدته على حسن البلاء، و تظاهر النعماء، و على ما أحببنا و كرهنا من شدّه و رخاء - إلى أن قال: - أمّا بعد، فإنّي لا أقول (لكم) إلّا ما تعرفون، إنّ أمير المؤمنين - أرشد الله أمره، و أعزّ نصره - بعثني إليكم يدعوكم إلى الصواب، و إلى العمل بالكتاب، و الجهاد في سبيل الله، فإن كان في عاجل ذلك ما تكرهون، فإنّ في آجله ما تحبّون إن شاء الله تعالى، و لقد علمتم أنّ علينا عليه السّلام صلّى مع الرسول صلّى الله عليه و آله و سلّم وحده، و أنّه يوم صدّق به لفي عاشره من سنّه، ثمّ شهد مع الرسول صلّى الله عليه و آله و سلّم جميع مشاهدته. و كان من اجتهاده في مرضاه الله و طاعه رسوله و آثاره الحسنه في الإسلام ما قد بلغكم، و لم يزل الرسول صلّى الله عليه و آله و سلّم راضيا عنه، حتّى غمّضه بيده و غسّله وحده، و الملائكة أعوانه، و الفضل ابن عمّه ينقل إليه الماء، ثمّ أدخله حفرته، و أوصاه بقضاء دينه و عاداته، و غير ذلك من اموره، كلّ ذلك من منّ الله عليه.

ص: ٣٢٩

١-١ (١) شرح ابن أبي الحديد ١١: ١٤. [١]

٢-٢ (٢) الرعد: ١٠. [٢]

ثم والله ما دعا إلى نفسه... (١).

قلت: وروى المفيد في (جملة): أن الحسن عليه السلام صعد المنبر وقال: أيها الناس! إن علينا عليه السلام باب هدى، فمن دخله اهتدى، ومن خالفه تردى.

ثم نزل فصعد عمارة وقال بعد الثناء: أيها الناس! إننا لما خشينا على هذا الدين أن يهدم جوانبه، وأن يتعرى أديمه، نظرنا لأنفسنا ولديننا فاخترنا عليًا خليفه ورضينا إمامًا، فنعم الخليفه، ونعم الإمام (المؤدب)، مؤدب لا يؤدب، و فقيه لا يعلم، وصاحب بأس لا ينكر، وذو سابقه في الإسلام ليس لأحد من الناس غيره، وقد خالفه قوم من أصحابه، حاسدون له، و باغون عليه، وقد توجهوا إلى البصرة، فاخرجوا إليهم رحمكم الله، فإنكم لو شاهدتموهم وحاججتموهم تبين لكم أنهم ظالمون.

ثم قام الأشر و قال -بعد ذكر أبي بكر و عمر-: ثم ولى بعدهما رجل نبذ كتاب الله وراء ظهره، و عمل في أحكام الله بهوى نفسه، فسألناه أن يعتزل لنا نفسه فلم يفعل، فاخترنا هلاكه على هلاك ديننا و دنيانا، و لا يبعد الله إلا القوم الظالمين، و قد جاءكم الله بأعظم الناس مكانا، و أكبرهم في الإسلام سهما، ابن عم الرسول صلى الله عليه و آله و سلم، و أفقه الناس في الدين، و أقرئهم للكتاب، و أشجعهم عند اللقاء يوم البأس، و قد استنفركم فما تنتظرون؟ أ تنتظرون سعيدا (الذى جعل سوادكم فطير قريش)، أم الوليد الذى شرب الخمر و صلى بكم على سكر (الصباح أربعا) و استباح ما حرّمه الله فيكم، أى هذين تريدون؟ فتح الله من له هذا الرأى! فانفروا مع ابن بنت نبيكم. و إنى لكم ناصح إن كنتم تعقلون (٢).

قال ابن أبي الحديد: قال الطبرى: روى الشعبى عن أبى الطفيل، قال

ص: ٣٣٠

١-١) شرح ابن أبى الحديد ١١: ١٤-١٢. [١]

٢-٢) الجمل: ٢٥٣-٢٥٥، [٢] بتصرف و تلخيص من الشارح، المعيار و الموازنه: ١١٧-١٢١. [٣]

علّي عليه السّلام: يأتىكم من الكوفة اثنا عشر ألف (رجل) ورجل واحد. قال: فو الله لقعدت على نجفه (١) ذى قار، فأحصيتهم واحدا واحدا، فما زادوا رجلا، ولا نقصوا رجلا (٢).

قلت: و قال المفيد فى (جملة): روى نصر بن مزاحم عن عمرو (عمر) بن سعد، عن الأجلح، عن زيد بن علّي، قال: لئما أبطأ على علّي عليه السّلام خبر أهل الكوفة (البصرة) قال ابن عبّاس: أخبرت علّيّا عليه السّلام بذلك فقال لى: اسكت، فو الله ليأتينا فى هذين اليومين من الكوفة سته آلاف و ستمائة رجل، و ليغلبن أهل البصرة، و ليقتلن طلحه و الزبير. قال: فو الله إننى لأستشرف الأخبار و أستقبلها، حتّى إذا أتى راكب فاستقبلته و استخبرته، فأخبرنى بالعدّه التى سمعتها من علّي عليه السّلام، لم ينقص رجلا واحدا (٣).

و فى (إرشاده): و قال عليه السّلام بذى قار و هو جالس لأخذ البيعه: يأتىكم من قبل الكوفة ألف رجل، لا يزيدون رجلا و لا ينقصون رجلا، يبايعونى على الموت.

قال ابن عبّاس: فجزعت لذلك، و خفت أن ينقص القوم عن العدد أو يزيدوا عليه فيفسد الأمر علينا، فلم أزل مهموما، حتّى ورد أوائلهم، فجعلت أحصيهم فاستوفيت عددهم تسعمائة (رجل) و تسعه و تسعين رجلا، ثم انقطع مجىء القوم، فقلت: إننا لله و إننا إليه راجعون، ما ذا حمله على ما قال؟! فينما أنا مفكّر فى ذلك إذ رأيت شخصا قد أقبل، حتّى إذا دنا و إذا هو راجل

ص: ٣٣١

١- ١) النجف و النجفه- بالتحريك-: مكان لا يعلوه الماء مستطيل منقاد، و الجمع نجاف. (الصحيح ١٤٢٩: ٤، [١] مادة: نجف).

٢- ٢) تاريخ الطبرى ٤: ٥٠٠، سنة ٣٦، [٢] شرح ابن أبى الحديد ١٤: ٢١. [٣]

٣- ٣) الجمل: ٢٩٣. [٤]

عليه قباء صوف معه سيفه و ترسه و إداوته (١)، فقرب من أمير المؤمنين عليه السلام فقال: امدد يدك أبايعك. فقال علي عليه السلام علام؟ قال: على القتال بين يديك حتى أموت أو يفتح الله عليك. فقال له: ما اسمك؟ قال: أويس. فقال عليه السلام: أنت أويس القرني؟ قال: نعم. قال: اللهم أكبر! أخبرني حبيبي أنني أدرك رجلاً من أمتي يقال له أويس القرني، يكون من حزب الله و رسوله، يموت على الشهادة، يدخل في شفاعته مثل ربيعه و مضر (٢).

١٣

الخطبة (١٧٤)

و من كلام له عليه السلام في طلحه بن عبيد الله (٣):

قَدْ كُنْتُ وَمَا أُهْدِدُ بِالْحَرْبِ - وَلَا أُرْهَبُ بِالضَّرْبِ - وَأَنَا عَلَى مَا قَدَّ وَعَدَنِي رَبِّي مِنَ النَّصِيرِ - وَاللَّهِ مَا اسْتَعْجَلَ مُتَجَرِّدًا لِلطَّلَبِ بِدَمٍ؟ عُثْمَانُ؟ - إِلَّا خَوْفًا مِنْ أَنْ يُطَالَبَ بِدَمِهِ لِأَنَّهُ مَطْنَتُهُ - وَلَمْ يَكُنْ فِي الْقَوْمِ أَحْرَصَ عَلَيْهِ مِنْهُ - فَأَرَادَ أَنْ يُعَالِطَ بِمَا أَجْلَبَ فِيهِ - لِيُلبَسَ الْأَمْرَ وَيَقَعَ الشُّكُّ -.

وَ وَاللَّهِ مَا صَدَعَ فِي أَمْرِ عُثْمَانَ؟ وَاحِدَةً مِنْ ثَلَاثٍ - لَيْتُنِي كَمَا؟ ابْنُ عَفَّانَ؟ ظَالِمًا كَمَا كَانَ يَزْعُمُ - لَقَدْ كَانَ يَتَّبِعِي لَهُ أَنْ يُؤَاوِرَ قَاتِلِيهِ - أَوْ أَنْ يُنَابِذَ نَاصِرِيهِ -.

وَ لَيْتُنِي كَانَ مَظْلُومًا - لَقَدْ كَانَ يَتَّبِعِي لَهُ أَنْ يَكُونَ مِنَ الْمُنْهَبِينَ عَنْهُ - وَالْمُعَذَّرِينَ فِيهِ -

ص: ٣٣٢

١ - ١) الإداوه - بالكسر - إناء صغير من جلد يتخذ للماء كالسطيحه و نحوها. (لسان العرب ١: ١٠٠، [١] مادة: أدا).

٢ - ٢) الإرشاد ١: ٣١٥ - ٣١٦. و [٢] أخرجه الكشي في اختيار معرفه الرجال ١: ٣١٥. [٣]

٣ - ٣) قال الشيخ محمد عبده: في جميع النسخ المطبوعه من الكتاب «طلحه بن عبد الله» و في النسخه التي شرح عليها ابن أبي الحديد «طلحه بن عبيد الله» و هذا هو الموافق لما في كتب الصحابه في ترجمه طلحه.... (نهج البلاغه ٢: ١٠٧). [٤]

وَلَيْنُ كَانَ فِي شَكِّ مِنَ الْخُضَلْتَيْنِ - لَقَدْ كَانَ يَتَّبِعِي لَهُ أَنْ يَغْتَرِلَهُ - وَ يَزُكِّدُ جَانِبًا وَ يَدَعُ النَّاسَ مَعَهُ - فَمَا فَعَلَ وَاحِدَهُ مِنَ الثَّلَاثِ - وَ جَاءَ بِأَمْرٍ لَمْ يُعْرَفْ بِأَبْنِهِ وَ لَمْ تَسَلِّمْ مَعَاذِيرُهُ قَوْلَ الْمُصَنِّفِ : «و من كلام له عليه السلام في طلحه بن عبيد الله» هكذا في (المصريه) (١)، و الصواب: «في معنى طلحه» لا «في طلحه» كما في (ابن أبي الحديد و ابن ميثم و الخطيبه) (٢).

ثم عند إخواننا كونه أحد العشره المبشره مسلم (٣)، و لو صح ما قالوا لكان دين الإسلام دينا متناقضا، حيث إن هذا المبشر قتل واحدا من العشره، و قاتل آخر منهم و هما عندهما إمامان، و لعمرى إنّه من طائفه بشرهم الله بعذاب أليم على أعمالهم في كتاب «لا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَ لَا مِنْ خَلْفِهِ» (٤) و صرح الذي شهد له من لا ينطق بالهوى بكونه مع الحق عملا و قولاً، بكونه من أهل النار.

ففي (جمل أبي مخنف): مرّ على عليه السلام بطلحه قتيلا، فقال: أجلسوه.

فأجلس، فقال: ويل أمك طلحه! لقد كان لك قدم لو نفعك! و لكنّ الشيطان أظلك فأزلك فعبجلك إلى النار (٥).

ص: ٣٣٣

١- ١) نهج البلاغه ١٠٧: ٢. [١]

٢- ٢) هكذا في شرح ابن أبي الحديد ٣: ١٠ و [٢] لكن في شرح ابن ميثم [٣] المطبوع ٣: ٣٤٤ «في طلحه بن عبيد الله» أيضا.

٣- ٣) انظر الطبقات الكبرى ٣: ٣٨٣، الجرح و التعديل ٤: ٤٧١، المستدرک علی الصحیحین ٣: ٣٦٤، أسد الغابه ٣: ٥٩، شرح ابن أبي الحديد ١: ٣٢٥، الإصابه ٢: ٣٢٩.

٤- ٤) فصلت: ٤٢. [٤]

٥- ٥) نقله عنه ابن أبي الحديد في شرح النهج ١: ٢٤٨، و [٥] قريب منه ما في الشافى ٤: ٣٤٤ و الاحتجاج ١: ١٦٣، و [٦] نقله العلامة المجلسى رحمه الله في البحار ٢٠٠: ٣٢.

و في (إرشاد محمد بن محمد بن النعمان): مرّ عليّ عليه السلام بطلحه، فقال:

هذا الناكث بيعتي، و المنشيء الفتنة في الامّة، و المجلب عليّ، و الداعى إلى قتلى و قتل عترتى، أجلسوه. فاجلس، فقال عليه السلام له: يا طلحه، قد وجدت ما وعدنى ربّى حقاً، فهل وجدت ما وعدك ربّك حقاً؟- إلى أن قال:- فقال له بعض من كان معه: أ تكلم كعبا و طلحه بعد قتلهما؟ فقال: أم و الله، لقد سمعا كلامى كما سمعوا كلام النّبىّ صلّى الله عليه و آله و سلّم يوم بدر (١).

و كيف كان مبشّرا بما قالوا و لمّا أصاب السهم خنصره فى أحد قال:

(حسن) فقال النّبىّ صلّى الله عليه و آله و سلّم - كما فى (أنساب البلاذرى)-: لو قال «بسم الله» و لم يقل حسّ لدخل الجنّة (٢).

و فاروقهم، و إن قال أوّلاً: إنّ طلحه من ستّه توفّى النّبىّ صلّى الله عليه و آله و سلّم و هو عنهم راض (٣)، إلّا أنّه قال له ثانيا: أمّا إنّى أعرفك منذ أصيبت إصبعك يوم احد بالبأ و الذى حدث لك، و لقد مات النّبىّ صلّى الله عليه و آله و سلّم ساخطاً عليك للكلمة التى قلتها يوم انزلت (آيه) الحجاب- و أشار إلى قول طلحه: «ما الذى يغنى محمّدا (يعنيه) حجاب نسائه اليوم، و سيموت غدا فنكحهنّ».

قال الجاحظ: من كان يجسر أن يقول لعمر: ناقضت (٤)؟ «قد كنت و ما اهدّد بالحرب، و لا ارهب بالضرب» فى (جمل المفيد):

لمّا أرسل عليه السلام ابن عباس مع مصحف إلى طلحه و الزبير و عائشه يدعوهم إلى ما فيه، نادى طلحه: ناجزوا القوم، فإنكم لا تقومون لحجاج ابن أبى طالب.

قال ابن عباس: فقلت: يا أبا محمّد، أبا لسيف تخوّف ابن أبى طالب؟! أمّا

ص: ٣٣٤

١- (١) الإرشاد ٢٥٦-١: ٢٥٧، [١] الجمل: ٣٩٢، [٢] الشافى ٤: ٣٤٤، الاحتجاج ١٦٣-١: ١٦٤، [٣] بحار الأنوار ٢٠٩: ٣٢٢. [٤]

٢- (٢) أنساب الاشراف للبلاذرى ١: ٣١٨، تحقيق محمد حميد الله، [٥] دار المعارف، مصر.

٣- (٣) صحيح البخارى ٣: ١٣٥٥ ح ٣٤٩٧.

٤- (٤) شرح ابن أبى الحديد ١: ١٨٥-١٨٦، و نقله الشارح بتصرف يسير.

و الله ليعاجلنك السيف (للسيف)! (١).

و تهديد طلحه له عليه السلام بالحرب و الضرب مضحك.

و فى (الطبرى): قال الزبير بن الحرث (الخزيت): قلت لأبى لبيد: لم تسب علياً؟ قال: ألا- أسب رجلاً قتل منّا فى الجمل ألفين و خمسمائه، و الشمس ها هنا؟! و قال ابن أبى يعقوب: قتل على عليه السلام يوم الجمل ألفين و خمسمائه رجل، ألف و ثلاثمائة و خمسون من الأزد، و ثمانمائة من بنى ضبّه، و ثلاثمائة و خمسون من سائر الناس (٢).

و فى (خلفاء ابن قتيبه): شقّ على عليه السلام يوم الجمل فى عسكر القوم يطعن و يقتل بعد أخذه الرايه من ابنه محمد، ثمّ خرج و هو يقول: الماء الماء. فأثاه رجل يداوه فيها غسل، و قال له: لا يصلح لك الماء فى هذا المقام. فقال عليه السلام له:

هات، فحسا منه حسوه، ثمّ قال له: إنّ غسلك لطائفى. فقال له الرجل: عجباً منك! و الله لمعرفتك الطائفى من غيره فى هذا اليوم، و قد بلغت القلوب الحناجر! فقال عليه السلام له: يا بن أخى، ما ملأ صدر عمك شىء و لا أهابه شىء، ثمّ أعطى الرايه لابنه، و قال له: هكذا فاصنع (٣).

و فى (المروج): لمّا أخذ على عليه السلام فى الجمل الرايه من ابنه محمد، حمل و حمل معه الناس، فما كان القوم إلاّ «كرمادٍ اشتدّت به الرّيح فى يومٍ عاصفٍ» (٤).

و فيه: نادى على عليه السلام يا زبير، اخرج إلىّ. فخرج شاكاً (٥) فى سلاحه، فقيل

ص: ٣٣٥

١- ١) الجمل: ٣٣٦-٣٣٧، و [١] نقله الشارح بتصرّف.

٢- ٢) تاريخ الطبرى ٤: ٥٤٥، سنة ٣٦. [٢]

٣- ٣) الإمامه و السياسه ١: ٧٦، و [٣] نقله الشارح بتصرّف و تلخيص.

٤- ٤) مروج الذهب ٢: ٣٧٥، و [٤] الآية ١٨ من سوره إبراهيم. [٥]

٥- ٥) الشاكّ فى السلاح: هو اللابس للسلاح التام. (الصحاح ٤: ١٥٩٤، [٦] ماده شكك:).

لعائشه، فقالت: و احرباه لأسماء! فقيل لها: إن عليا حاسر. فاطمأنت (١).

و في (خلفاء ابن قتيبه): ذكروا أنّ عبد الله بن أبي محجن الثقفي قدم على معاويه، و قال له: إنني أتيتك من عند العبي (الغبي) البخيل الجبان ابن أبي طالب. فقال له معاويه: لله أنت! تدرى ما قلت؟ أمّا قولك: العبي (الغبي)، فو الله لو أنّ ألسن الناس جمعت فجعلت لسانا واحدا لكفها لسان عليّ، و أمّا قولك: إنّه بخيل، فو الله لو كان له بيتان أحدهما من تبر و الآخر من تبين، لأنفد تبره قبل تبينه، و أمّا قولك: إنّه جبان، فثكلتك أمك! هل رأيت أحدا بارزه إلا قتله؟ فقال الثقفي: فعلام تقاتله إذن؟ قال: عليّ دم عثمان، و عليّ هذا الخاتم الذي جعله في يده جازت طينته، و أطعم عياله، و ادّخر لأهله. فضحك الثقفي ثمّ لحق بعليّ عليه السّلام، و قال له: لا دنيا أصبت، و لا آخره غنمت. فضحك عليّ عليه السّلام ثمّ قال له: أنت على رأس أمرك... (٢).

و في (صفين نصر): ذكروا أنّ عتبه بن أبي سفيان، و الوليد بن عقبه، و مروان بن الحكم، و عبد الله بن عامر، و ابن طلحه الطلحات اجتمعوا عند معاويه، فقال عتبه: إنّ أمرنا و أمر عليّ لعجيب، ليس منّا إلا موتور، أمّا أنا فقتل جدّي، و أشرك في دم عمومتي يوم بدر، و أمّا أنت يا وليد فقتل أباك، و أيتّم إخوتك، و أمّا أنت يا مروان فكما قال الأول:

و أفلتهنّ علباء جريضا و لو أدركنه صفر الوطاب (٣)

فقال لهم معاويه: فهذا الإقرار و أين الغير (٤)؟ قال مروان: أيّ غير تريد؟

ص: ٣٣٦

١-١) مروج الذهب ٣٧١:٢. [١]

٢-٢) الإمامه و السياسه ١١٤:١-١١٥. [٢]

٣-٣) قال في هامش المصدر: ٤١٧: البيت لامرئ القيس، و علباء هذا هو قاتل والد امرئ القيس، و هو علباء بن حارث الكاهليّ: و الجريض: الذي يأخذ بريقه. صفر و طابه: قتل.

٤-٤) الغير: جمع غيور، و الغيور فحول من غيره، و هي الحميه و الأنفه. (تاج العروس ١٣:٢٨٨، [٣] ماده: غير).

قال: أريد أن يشجر بالرماح. فقال له: والله إنك لهازل، أو لقد ثقلنا عليك.

و قال الوليد:

يقول لنا معاوية بن حرب أما فيكم لو اتركم طلبوب

يشدّ على أبي حسن علىّ بأسمر لا تهجّنه الكعوب

فيهتك مجمع اللّبات منه و نقع القوم مطّرد يثوب

فقلت له أ تلعب يا بن هند كأنك وسطنا رجل غريب

أ تأمرنا بحية بطن واد إذا نهشت فليس لها طيب؟

و ما ضبع يدبّ ببطن واد أتيح له به أسد مهيب

بأضعف حيله منّا إذا ما لقيناه و ذا منّا عجيب

و ما لاقاه في الهيجاء لاق فأخطأ نفسه الأجل القريب

سوى عمرو وقته خصيته نجا و لقلبه منها وجيب

كأنّ القوم لما عاينوه خلال النقع ليس لهم قلوب (١)

و فيه: قال جابر بن نمير (عمير) الأنصاري قال: لا والله الذي بعث محمّدا صلّى الله عليه و آله و سلّم بالحقّ نبيا، ما سمعنا برئيس قوم منذ خلق الله السماوات و الأرض أصاب بيده في يوم واحد ما أصاب علىّ عليه السّلام، إنّه قتل فيما ذكر العادّون زياده على خمسائه من أعلام العرب، يخرج بسيفه منحنيا، فيقول:

معذره إلى الله عزّ و جلّ و إليكم من هذا، لقد هممت أن أفلقه (أصقله) و لكن حجزني عنه أنّي سمعت الرسول صلّى الله عليه و آله و سلّم يقول كثيرا: «لا سيف إلّا ذو الفقار و لا فتى إلّا علىّ». و أنا اقاتل به دونه، فكنا نأخذه فنقومه ثمّ يتناوله من أيدينا فيتقحم به في عرض الصّفّ، و لا والله ما ليث بأشدّ نكايه في عدوّه منه عليه السّلام (٢).

ص: ٣٣٧

١- ١) وقعه صفين: ٤١٧-٤١٨. [١]

٢- ٢) وقعه صفين: ٤٧٧-٤٧٨، [٢] شرح ابن أبي الحديد ٢: ٢١٠-٢١١. [٣]

«و أنا على ما قد وعدني» هكذا في (المصريه) (١)، و الصواب: «ما وعدني» كما في (ابن أبي الحديد و ابن ميثم) (٢).

«رَبِّي من النصر» و هذا يدلّ على أنّه عليه السّلام كان موعودا من الله تعالى بالظفر على أهل الجمل. و مرّ أنّه عليه السّلام لَمَّا مرّ على طلحه قتيلا قال: أجلسوه.

فاجلس. فقال عليه السّلام له: يا طلحه، قد وجدت ما وعدني ربّي حقًا، فهل وجدت ما وعدك ربّك حقًا؟ (٣) و روى النعماني في (غيبته) عن الصادق عليه السّلام قال: لَمَّا التقى أمير المؤمنين عليه السّلام و أهل البصره نشر رايه النّبىّ صلّى الله عليه و آله و سلّم فتزلزلت أقدامهم فما اصفرت الشمس حتّى قالوا: آمنا يا بن أبي طالب! فعند ذلك قال: لا تقتلوا الاسراء، و لا تجهزوا على جريح، و لا تتبعوا موليا، و من ألقى سلاحه فهو آمن، و من أغلق بابه فهو آمن، و لَمَّا كان يوم صَفّين سألوه نشر الرايه فأبى عليهم فتحملوا عليه بالحسنين عليهما السّلام، و عمّار، فقال عليه السّلام: إنّ للقوم مدّه يبلغونها، و إنّ هذه رايه لا ينشرها بعدى إلاّ القائم (٤).

«و الله ما استعجل (طلحه) متجرّدا للطلب بدم عثمان إلاّ - خوفا من أن يطالب بدمه لأنّه مظنّته». في (العقد): لَمَّا رأى مروان يوم الجمل طلحه، قال: لا أنتظر بعد اليوم بثأري في عثمان، فانتزعه بسهم فقتله (٥).

و في (الاستيعاب): كان مروان مع طلحه يوم الجمل، فلمّا اشتبكت الحرب قال مروان: لا - أطلب بثأري بعد اليوم، ثمّ رماه بسهم فأصاب ركبتَه

ص: ٣٣٨

١-١ (١) نهج البلاغه ١٠٧: ٢. [١]

٢-٢ (٢) هكذا في شرح ابن أبي الحديد ٣: ١٠، و [٢] لكن في شرح ابن ميثم المطبوع ٣: ٣٤٤ «ما قد وعدني» أيضا.

٣-٣ (٣) الإرشاد ٢٥٦: ١، و [٣] الجمل للمفيد: ٣٩٢، [٤] الشافى ٤: ٣٤٤، الاحتجاج ١: ١٦٣. [٥]

٤-٤ (٤) كتاب الغيبه: ٣٠٧. [٦]

٥-٥ (٥) العقد الفريد ٥: ٧٠. [٧]

فما رقأ الدم حتى مات، فالتفت مروان إلى أبان بن عثمان، فقال: قد كفيناك بعض قتله أبيك (١).

«و لم يكن في القوم أحرص عليه» أي: على قتل عثمان.

«منه» أي: من طلحه، قال ابن أبي الحديد: روى الطبري عن ابن عتيب، قال: لَمَّا حججت بالناس نيابه عن عثمان و هو محصور، مررت بعائشه بالصَّيْلَمِصَل (٢)، فقالت: يا ابن عباس، انشدك الله، فإنك قد اعطيت لسانا و عقلا، أن تخدّل الناس عن طلحه، فقد بانت لهم بصائرهم في عثمان، و رفعت لهم المنار، و تحلبوا من البلدان لأمر قد حمّ، و إنّ طلحه - فيما بلغني - قد اتخذ رجالا على بيوت الأموال و الخزائن، و أظنه يسير بسيره ابن عمّه أبي بكر. فقلت: يا أمّه، لو حدث بالرجل حدث ما فرغ الناس إلّا إلى صاحبنا. فقالت: إيها عنك يا بن عباس إنّي لست أريد مكابرتك و لا مجادلتك (٣).

قال: و روى المدائني في كتاب (مقتل عثمان): أنّ طلحه منع من دفنه ثلاثة أيام، و أنّ عليا عليه السّلام لم يبايعه (لم يبايع) الناس إلّا بعد قتل عثمان بخمسة أيّام، و أنّا حكيم بن حزام، و جبير بن مطعم استنجدا بعليّ عليه السّلام على دفنه، فأقعد لهم طلحه في الطريق ناسا بالحجاره، فخرج به نفر يسير من أهله و هم يريدون به حائطا بالمدينه يعرف بحشّ كوكب (٤)، كانت اليهود تدفن موتاهم فيه، فلما صار هناك رجم سريه، و همّوا بطرحه، فأرسل عليّ عليه السّلام إلى الناس

ص: ٣٣٩

١ - ١) الاستيعاب [١] بهامش الإصابه ٢: ٢٢٣. [٢]

٢ - ٢) صلصل: بنواحي المدينه على سبعة أميال منها، نزل بها رسول الله صلّى الله عليه و آله و سلّم يوم خرج من المدينه إلى مكّه عام الفتح. (معجم البلدان ٣: ٤٢١). [٣]

٣ - ٣) تاريخ الطبري ٤: ٤٠٧، سنة ٣٥، [٤] شرح ابن أبي الحديد ٦: ١٠. [٥]

٤ - ٤) حشّ كوكب: موضع عند بقيع الغرقد، [٦] اشتراه عثمان بن عفّان، و زاده في البقيع، و لَمَّا قتل القى فيه ثمّ دفن في جنبه. (معجم البلدان ٢: ٢٦٢). [٧]

يعزم عليهم ليكفّوا عنه فكفّوا، فانطلقوا به حتّى دفنوه فى حشّ كوكب (١).

قال: و روى الطبرى نحو ذلك إلا أنّه لم يذكر طلحه بعينه (٢).

قال: و روى الواقدي أنّ عثمان لما قتل، تكلموا فى دفنه، فقال طلحه:

يدفن بدير سلع - يعنى مقابر اليهود - (٣).

قال: و ذكر الطبرى فى (تاريخه) مثل هذا، إلا أنّه ورى عن طلحه، فقال:

قال رجل: يدفن بدير سلع ... (٤).

«فأراد» أى: طلحه.

«أن يغالط» أى: يوقع الناس فى الغلط.

«بما أجلب» و جمع من الجند.

«فيه» متعلق بقوله «يغالط»، أى: فى كونه قاتل عثمان.

«ليلبس الأمر» أى: يشته.

«و يقع الشكّ» فى كونه قاتلا بأن يقول الناس: لو كان قاتلا لما طلب بدمه .

«و و الله ما صنع» أى: طلحه.

«فى أمر عثمان واحده» أى: خصله واحده.

«من ثلاث» خصال كانت واجبه عليه عقلا .

«لئن كان ابن عفّان ظالما كما كان يزعم» قبل قتله.

«لقد كان ينبغى له أن يؤازر» أى: يعين.

«قاتليه أو أن» هكذا فى (المصريه) (٥)، و الصواب «و أن» كما فى (ابن

ص: ٣٤٠

- ٢-٢) تاريخ الطبري ٤:٤١٢، سنه ٣٥، شرح ابن أبي الحديد ٧:١٠. [٢]
- ٣-٣) شرح ابن أبي الحديد ٧:١٠. [٣]
- ٤-٤) تاريخ الطبري ٤:٤١٣، سنه ٣٥، [٤] شرح ابن أبي الحديد ٧:١٠. [٥]
- ٥-٥) نهج البلاغه ٢:١٠٧. [٦]

ميثم (1)، ولأنَّ الواجب الأمران معا.

«ينابذ» أي: يكاشف بالحرب و العداوه.

«ناصريه» بعد قتله .

«و لئن كان مظلوما لقد كان ينبغي له أن يكون من المنهين» أي: الكافين و الزاجرين.

«عنه» أي: عن قتله.

«و المعذرين» أي: يعملون عملا يصيرون به معذورين.

«فيه» أي: في الدفاع عنه .

«و لئن كان في شك من الخصلتين» كونه ظالما و كونه مظلوما.

«لقد كان ينبغي له أن يعتزله و يركد» أي: يسكن و يهدأ.

«جانبا» أي: في جانب.

«و يدع الناس» محاربيه.

«معه» و في (خلفاء ابن قتيبه): قال الزبير لعبد الله بن عامر: من رجال البصره؟ قال: ثلاثه، كلهم سيّد مطاع: كعب بن سور في اليمن، و المنذر في ربيعه، و الأحنف في مضر. فكتب هو و طلحه إلى كعب: أمّا بعد، فإنّك قاضى عمر، و شيخ أهل البصره، و سيّد أهل اليمن، و قد كنت غضبت لعثمان من الأذى، فاغضب له من القتل.

و كتبنا إلى الأحنف: أمّا بعد، فإنّك وافد عمر، و سيّد مضر، و حلیم أهل العراق، و قد بلغك مصاب عثمان، فنحن قادمون عليك، و العيان أشفى لك من الخير.

و كتبنا إلى المنذر: أمّا بعد، فإنّ أباك كان رئيسا في الجاهليه، و سيّدا في

ص: ٣٤١

الإسلام، وإِنَّكَ من أَيْبِك بمنزله المصلّى (١) من السابق، يقال: كاد أو لحق، وقد قتل عثمان من أنت خير منه، و غضب له من هو خير منك.

فلَمَّا وصلت كتبهما إليهم، قام زياد بن مضر، و النعمان، و غزوان، فقالوا: ما لنا و لهذا الحيّ من قريش؟ يريدون أن يخرجونا من الإسلام بعد أن دخلنا فيه؟ و يدخلونا في الشرك بعد أن خرجنا منه؟ قتلوا عثمان، و بايعوا علينا، لهم ما لهم، و عليهم ما عليهم. و كتب كعب إليهما: فإن يك عثمان قتل ظالماً، فما لكما و له؟ و إن كان قتل مظلوماً فغير كما أولى به، و إن كان أمره أشكل على من شهدته، فهو على من غاب عنه أشكل. و كتب المنذر: إنّما أوجب حقّ عثمان اليوم حقّه أمس، و قد كان بين أظهركم فخذلتموه، فمتى استنبطتم هذا العلم، و بدا لكم هذا الرأي؟ (٢) «فما فعل» أي: طلحه.

«واحد من الثلاث» المتقدّمه.

«و جاء بأمر لم يعرف بابه، و لم تسلّم معاذيره» قيل:

قد عذرتك غير معتذر إنّ المعاذير يشوبها الكذب (٣)

في (خلفاء ابن قتيبه): لَمَّا نزل طلحه و الزبير البصره، بعث عثمان بن حنيف إليهما عمران بن الحصين، و أبا الأسود، فقال عمران: يا طلحه، إنكم قتلتم عثمان و لم تغضب له إذ لم تغضبوا، ثمّ بايعتم علينا فبايعنا من بايعتم، فإن كان قتل عثمان صواباً فمسيركم لما ذا؟ و إن كان خطأ فحظكم منه الأوفر، و نصيبكم منه الأوفى. فقال طلحه: يا هذا، إنّ صاحبك (يا هذان، إنّ صاحبكما)

ص: ٣٤٢

١- ١) المصلّى: تالي السابق. (الصحاح ٢: ٣٤٠، ٦: ٣٤٠، مادة: صلوا).

٢- ٢) الإمامه و السياسه ٦٠: ١-٦١، و [١] نقله الشارح بتلخيص.

٣- ٣) الصحاح للجوهري ٧٣٧: ٢، [٢] مادة (عذر).

لا يرى أنّ معه في هذا الأمر غيره، وليس علي هذا بايعناه. فقال أبو الأسود لعمران: أمّا هذا، فقد صرّح أنّه إنّما غضب للملك. ثمّ أتيا الزبير، فقال لهما: إنّ طلحه و إِيّاي كروح في جسدين، وإنّه والله يا هذان، قد كان منّا في عثمان فلتات، احتجنا إلى المعاذير (١).

وفيه: لمّا قال مروان- وكان مع طلحه و الزبير في مسيرهما إلى البصره- لسعيد بن العاص: اريد البصره، أطلب قتله عثمان. قال له سعيد:

هؤلاء قتله عثمان معك. إنّ هذين الرجلين قتلا عثمان، و هما يريدان الأمر لأنفسهما، فلمّا غلبا عليه قال: نغسل الدم بالدم، و الحوبه بالتوبه (٢).

وفيه- بعد ذكر خطبه عائشه و اختلاف الناس- فبينما هم كذلك إذ أتاهم رجل من أشرف البصره، بكتاب كان كتبه طلحه في التآليب على قتل عثمان، فقال له: هل تعرف هذا الكتاب؟ قال: نعم. قال: فما ردّك عمّا كنت عليه؟ و كنت أمس تكتب إلينا تؤلّبنا على قتل عثمان، و أنت اليوم تدعوننا إلى الطلب بدمه؟ قال: ذكرنا ما كان من طعننا عليه، و خذلاننا إيّاه، فلم نجد مخرجا إلّا الطلب بدمه. قال: ما تأمراني به؟ قال: بايعنا على قتال عليّ، و نقض بيعته. قال:

أ رأيتما إن أتانا بعدكما من يدعوننا إلى ما تدعون إليه، ما نصنع؟ قال: لا تبايعه.

قال: ما أنصفتما، أ تأمراني أن اقاتل عليّا عليه السلام و أنقض بيعته و هي في أعناقكما، و تنهاني عن بيعه من لا يبيعه عليه لكما(له عليكما)... (٣)؟ و لو أراد التوبه- كما زعما أخيرا- من حوبه قتل عثمان كان عليهما أن يسلّما أنفسهما إلى أولياء عثمان ليقتلوهما- كما صرّح بذلك الأشر- لا أن

ص: ٣٤٣

١- (١) الإمامه و السياسه ٦٤: ١-٦٥، و [١] نقله الشارح بتلخيص.

٢- (٢) المصدر نفسه ٦٣: ١، و [٢] نقله الشارح بتصرّف.

٣- (٣) المصدر نفسه ٦٨: ١-٦٩، و [٣] نقله الشارح بتصرّف و تلخيص.

و من كتاب له عليه السلام إلى طلحه و الزبير مع عمران بن الحصين الخزاعي، ذكره أبو جعفر الإسكافي في كتاب (المقامات) في مناقب أمير المؤمنين عليه السلام:

أَمَا بَعِيدٌ فَقَدْ عَلِمْتُمَا وَ إِن كَتَمْتُمَا - أَنِّي لَمْ أُرِدِ النَّاسَ حَتَّى أَرَادُونِي - وَ لَمْ أَبَايِعُهُمْ حَتَّى بَايَعُونِي - وَ إِن كُنتُمَا مِمَّنْ أَرَادَنِي وَ بَايَعَنِي - وَ إِنَّ الْعِيَامَةَ لَمْ تُبَايَعْنِي لِسُلْطَانٍ غَالِبٍ وَ لَا لِعَرَضٍ حَاضِرٍ - فَإِنْ كُنتُمَا بَايَعْتُمَانِي طَائِعِينَ - فَارْجِعَا وَ تَوْبَا إِلَى اللَّهِ مِنْ قَرِيبٍ - وَ إِن كُنتُمَا بَايَعْتُمَا إِنِّي كَارِهَيْنِ - فَقَدْ جَعَلْتُمَا لِي عَلَيْنِكُمَا السَّبِيلَ بِإِظْهَارِكُمَا الطَّاعَةَ - وَ إِسْرَارِكُمَا الْمَعْصِيَةَ - وَ لَعَمْرِي مَا كُنتُمَا بِأَحَقَّ الْمُهَاجِرِينَ - بِالتَّقِيهِ وَ الْكُتْمَانِ - وَ إِن دَفَعْتُمَا هَذَا الْأَمْرَ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَدْخُلَا فِيهِ - كَانَ أَوْسَعَ عَلَيْنِكُمَا مِنْ خُرُوجِكُمَا مِنْهُ - بَعْدَ إِقْرَارِكُمَا بِهِ - وَ قَدْ زَعَمْتُمَا أَنِّي قَتَلْتُ؟ عُمَيْرَانُ؟ - فَبَيْنِي وَ بَيْنَكُمَا مَنْ تَخَلَّفَ عَنِّي وَ عَنكُمَا مِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ؟ - ثُمَّ يُلْزَمُ كُلُّ امْرِئٍ بِقَدْرِ مَا احْتَمَلَ - فَارْجِعَا أَيُّهَا الشَّيْخَانِ عَن رَأْيِكُمَا - فَإِنَّ اللَّآنَ أَكْبَرُ أَمْرِكُمَا الْعَارُ - مِنْ قَبْلِ أَنْ يَتَجَمَعَ الْعَارُ وَ النَّارُ - وَ السَّلَامُ قَوْلُ الْمُصَنِّفِ: «و من كتاب له عليه السلام إلى طلحه و الزبير مع عمران بن الحصين الخزاعي» روى الكشي عن الفضل بن شاذان أن عمران من السابقين الذين رجعوا إلى أمير المؤمنين عليه السلام (١).

و عن (جامع الأصول): سئل عمران عن متعه النساء، فقال: أتانا بها كتاب الله، وأمرنا بها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، ثم قال فيها رجل برأيه ما شاء (١).

و في (حليه أبي نعيم) في محمد بن واسع مسندا عنه، قال: تمتعنا مع النبي صلى الله عليه وآله وسلم مرتين، فقال رجل برأيه ما شاء. قال أبو نعيم: هو حديث صحيح أخرجه مسلم في (صحيحه) (٢).

و روى الكشي في أبي عبد الله الجدلي، عن أبي داود قال: حدثني عمران بن الحصين الخزاعي أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أمر فلانا و فلانا أن يسلمنا على علي عليه السلام يأمره المؤمنين، فقالا: من الله أو من رسوله؟ فقال: من الله و من رسوله (٣).

قال ابن أبي الحديد: هو عمران بن الحصين بن عبيد بن خلف بن عبد (بن) نهم بن سالم بن غاضره... (٤).

قلت: أخذ ما قاله عن أبي عمرو. قال ابن منده و أبو نعيم جدّ عبد نهم بن حذيفه بن جهمه بن غاضره (٥). و قال الكلبي: جدّ جدّ عبد نهم بن جرمة بن جهيمه كما في (الجزري) (٦).

و في (الجزري): قال محمد بن سيرين: لم نر في البصره أحدا من أصحاب النبي صلى الله عليه وآله وسلم يفضل على عمران، و كان مجاب الدعوه و لم يشهد الفتنه (٧).

ص: ٣٤٥

١ - ١) نقله عن جامع الأصول، الميرداماد الأسترابادي في تعليقه على رجال الكشي ١: ١٨٧، و [١] تجده في صحيح البخاري

١٦٤٢: ٤ ح ٤٢٤٦، صحيح مسلم (باب الحج جواز التمتع رقم ١٢٢٦)، مسند أحمد ٤: ٤٣٦. [٢]

٢ - ٢) حليه الأولياء ٢: ٣٥٥، [٣] صحيح مسلم:

٣ - ٣) اختيار معرفة الرجال (الكشي) ٣: ٣٠٨. و [٤] ليست هذه العبارة في المصدر.

٤ - ٤) شرح ابن أبي الحديد ١٧: ١٣٢. [٥]

٥ - ٥) أسد الغابه في معرفة الصحابه ٤: ١٣٧. [٦]

٦ - ٦) المصدر نفسه. [٧]

٧ - ٧) أسد الغابه ٤: ١٣٧-١٣٨. [٨]

و روى عنه: أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَ آله وَ سَلَّمَ نَهَى عَنِ الكَيِّ فَكَتَوِينَا فَمَا أَفْلَحْنَا، وَ كَانَ فِي مَرَضِهِ تَسَلَّمَ عَلَيْهِ المَلَائِكَةُ، فَكَتَوَى ففقد التسليم، ثُمَّ عَادَتْ إِلَيْهِ وَ كَانَ بِهِ اسْتِسْقَاءٌ فَطَالَ بِهِ سَنِينَ وَ هُوَ صَابِرٌ عَلَيْهِ، وَ شَقَّ بَطْنَهُ وَ أَخَذَ مِنْهُ شَحْمٌ وَ ثَقَبَ لَهُ سَرِيرٌ فَبَقِيَ ثَلَاثِينَ سَنَةً تَوَفَّى سَنَةَ (٥٢) (١).

«ذكره أبو جعفر الاسكافى» محمد بن عبد الله، قال ابن أبي الحديد: عدّه قاضى القضاء فى الطبقة السابقة من المعتزلة مع عباد بن سليمان الصيمرى و مع زرقان و مع عيسى بن الهيثم الصوفى، و جعل أوّل الطبقة ثمامه بن أشرس أبا معن ثم الجاحظ ثم أبا موسى عيسى بن صبيح المردار ثم أبا عمران يونس بن عمران ثم محمّد بن إسماعيل بن العسكرى ثم عبد الكريم بن روح العسكرى ثم أبا يعقوب يوسف بن عبد الله الشحام ثم أبا الحسين الصالحى ثم جعفر بن جرير و جعفر بن ميسر ثم أبا عمران بن النقاش ثم أبا سعيد أحمد بن سعيد الأسدى ثم عباد بن سليمان ثم أبا جعفر الاسكافى، و قال: كان أبو جعفر فاضلا، عالما، صنّف سبعين كتابا فى علم الكلام، و هو الذى نقض كتاب العثمانية على الجاحظ فى حياته، -فدخل الجاحظ الوراقين ببغداد فقال: من هذا الغلام السوادى الذى بلغنى أنّه تعرّض لنقض كتابى.

و أبو جعفر جالس، فاختنفى منه حتى لم يره -و كان علوى الرأى، محققا، منصفًا، قليل العصبيه، يقول بالترفضيل و يبلغ فيه (٢).

«فى كتاب المقامات» و ذكره ابن قتيبه فى (خلفائه) و زاد: و زعمت ما أنى آويت قتله عثمان فهؤلاء بنو عثمان فليدخلوا فى طاعتى ثم يخاصموا إلى قتله أبيهم، و ما أنتما و عثمان إن كان قتل ظالما أو مظلوما؟ و لقد بايعت ما نى و أنتما

ص: ٣٤٤

١- ١) المصدر نفسه ١٣٨: ٤. [١]

٢- ٢) شرح ابن أبى الحديد ١٣٢: ١٧-١٣٣. [٢]

بين خصلتين قبيحتين: نكث بيعتكما، وإخراجكما أمكما (١).

و ذكره أعثم الكوفي في عنوان محاربه الجمل (٢).

«في مناقب أمير المؤمنين عليه السلام» هكذا في (المصريه) (٣).

و قوله: (في مناقب أمير المؤمنين عليه السلام) زائده فليس في (ابن أبي الحديد و ابن ميثم و الخطيه) (٤)، و الظاهر أنه كان حاشيه خلط بالمتن، مع أنه لم يعلم موضوع المقامات، هل هو في المناقب أو شيء آخر؟ قوله عليه السلام: «أما بعد فقد علمتما- وإن كتمتما- أنني لم أرد الناس حتى أرادوني و لم أبايعهم حتى بايعوني» في (الطبري) قال أبو بشير العابدی: كنت بالمدينه حين قتل عثمان، و اجتمع المهاجرون و الأنصار فيهم طلحه و الزبير فأتوا عليّ عليه السلام فقالوا: هلم نبايعك. فقال لهم: لا حاجه لي في أمركم، أنا معكم فمن اخترتم فقد رضيت به. فقالوا: و الله لا- نختار غيرك. فاختلفوا إليه مرارا، ثم أتوه في آخر ذلك فقالوا له: لا يصلح الناس إلا بإمره و قد طال الأمر. فقال لهم: إنكم قد اختلفتم إليّ و أتيتم عندي مرارا، و إنني قائل لكم قولا إن قبلتموه قبلت أمركم و إلا فلا حاجه لي فيه. قالوا: ما قلت من شيء قبلناه. فقال: إنني كنت كارها لأمركم فأبيتهم إلا أن أكون عليكم، ألا و إنه ليس لي أمر دونكم إلا إن مفاتيح مالكم معي، ألا و إنه ليس أن آخذ منه درهما دونكم، رضيتم؟ قالوا: نعم. قال:

اللهم اشهد عليهم. ثم بايعهم على ذلك (٥).

ص: ٣٤٧

١- ١) الإمامه و السياسه ١: ٧٠. [١]

٢- ٢) كتاب الفتوح ٢: ٤٦٥.

٣- ٣) نهج البلاغه ٣: ١٢٢. [٢]

٤- ٤) هكذا في شرح ابن أبي الحديد ١٧: ١٣١، و [٣] لكن في شرح ابن ميثم المطبوع ٥: ١٨٧. بزياده «في مناقب أمير المؤمنين عليه السلام».

٥- ٥) تاريخ الطبري ٤: ٤٢٧-٤٢٨، سنه ٣٥. [٤]

«وإنكما ممن أرادني وبايعني» في (الطبرى) عن أبي المليح قال: لما قتل عثمان خرج عليّ عليه السّلام إلى السوق -وذلك يوم السبت لثمانى عشره ليله خلت من ذى الحجّه- فاتبعه الناس و بهشوا في وجهه، فدخل حايط بنى عمرو بن مبدول، وقال لأبى عمره بن محصن: أغلق الباب. فجاء الناس فقرعوا الباب فدخلوا، وفيهم طلحه و الزبير فقالا: يا على ابسط يدك. فبايعه طلحه و الزبير، فنظر حبيب بن ذؤيب الى طلحه حين بايع، فقال: أوّل من بدأ بالبيعه يد شلاء، لا يتم هذا الأمر ... (١).

«وإنّ العامّة لم تبايعنى لسلطان غالب» هكذا في (المصريه) (٢)، و الصواب:

(غاصب) كما في (ابن أبى الحديد و ابن ميثم و الخطيه) (٣)، كما في بيعه أبى بكر، فعن البراء بن عازب -كما روت العامّة عنه-: لم أزل لبني هاشم محبّا، فلما قبض النّبى صلّى الله عليه و آله و سلّم خفت أن تتمالأ قريش على إخراج هذا الأمر عنهم، فأخذنى ما يأخذ الوالهه العجول، فكننت أتردد إلى بنى هاشم و هم عند النّبى صلّى الله عليه و آله و سلّم فى الحجره، و أتفقند وجوه قريش، فإنّنى كذلك إذ فقدت أبا بكر و عمر، و إذا قائل يقول: القوم فى سقيفه بنى ساعده، و إذا قائل آخر يقول: قد بويع أبو بكر، فلم ألبث و إذا أنا بأبى بكر قد أقبل و معه عمر و أبو عبيده و جماعه من أصحاب السقيفه و هم محتجزون بالانزr الصنعائيه، لا يمرون بأحد إلّا خبطوه و قدموه، فمدوا يده فمسحوه على يد أبى بكر يبايعه شاء ذلك أو أبى، فأنكرت عقلى ... (٤).

هذا و فى (خلفاء ابن قتيبه): دعا عبد الملك فى مرض موته ابنه الوليد

ص: ٣٤٨

١- (١) المصدر نفسه ٤: ٤٢٨، سنه ٣٥.

٢- (٢) نهج البلاغه ٣: ١٢٢. [١]

٣- (٣) فى شرح ابن أبى الحديد ١٧: ١٣١، و [٢] شرح ابن ميثم ٥: ١٨٨ «غالب» أيضا.

٤- (٤) شرح ابن أبى الحديد ١: ٢١٩. [٣]

و قال له: حضر الوداع. فبكى الوليد، فقال له عبد الملك: لا تعصر عينيك عليّ كما تعصر الأمه الوكساء، إذا متّ فاغسلني و كفني و صلّ عليّ و أسلمني إلى عمر بن عبد العزيز يدليني في حفرتي، و اخرج أنت إلى الناس و البس لهم جلد نمر، و اقعده على المنبر و ادع الناس الي بيعتك، فمن مال بوجهه كذا فقل له بالسيف كذا، و تنكّر للصديق و القريب و اسمح للبعيد. فلما توفي -و مات من يومه ذلك- خرج الوليد إلى الناس و قعد على المنبر، ثم دعا الناس الي البيعه فلم يختلف عليه أحد، ثم كان أول ما ظهر من أمر الوليد أن أمر بهدم كلّ دار من دار عبد الملك إلى قبره، فهدمت من ساعتها و سوّيت بالأرض لثلاً يعرج بسرير عبد الملك يمينا و شمالا، ثم كتب ببيعه إلى الآفاق فلم يختلف عليه أحد (١).

«و لا لعرض حاضر» هكذا في (المصريه) (٢)، و لكن في نسخه (ابن أبي الحديد و ابن ميثم) (٣): «و لا لحرص حاضر»، و في (سقيفه الجوهري) عن القاسم بن محمّد قال: لما توفي النبي صلى الله عليه و آله و سلّم اجتمعت الأنصار إلى سعد -إلى أن قال- فتكلّم أبو بكر و قال: نحن الامراء و أنتم الوزراء، و الأمر بيننا نصفان كشق الابلمه. فبويع، و كان أول من بايعه بشير بن سعد و الد النعمان بن بشير، فلما اجتمع الناس قسم قسمًا بين نساء المهاجرين و الأنصار فبعث إلى امرأه من بنى عدى بن النجار قسمها مع زيد بن ثابت، فقالت: ما هذا؟ قال قسم قسمه أبو بكر للنساء. قالت: أ تراشوني عن ديني؟! و الله لا أقبل منه شيئاً.

فردته (٤).

ص: ٣٤٩

١- ١) الامامه و السياسه ٥٧:٢-٥٨. [١]

٢- ٢) نهج البلاغه ٣:١٢٢. [٢]

٣- ٣) هكذا في شرح ابن أبي الحديد ١٧:١٣١، و [٣] لكن في شرح ابن ميثم المطبوع ١٨٨:٥ «و لا لعرض حاضر» أيضا.

٤- ٤) شرح ابن أبي الحديد ٥٢:٢-٥٣. [٤]

«فان كنتما بايعتmani طائعين» هكذا في (النهج) (١)، و كان «طائعين» محزف «راغبين» لأن بعده «و إن كنتم بايعتmani كارهين»، و مقابل الكراهه الرغبه لا الطائعيه، كما ان مقابل الطوع الإكراه لا الكره، ففي (الصحاح): «يقال جاء فلان طائعا غير مكره» (٢)، اللهم إلا أن يقال: بأن المراد بالطوع هنا الرغبه فتصح المقابله.

«فارجعا و توبا إلى الله من قريب» من نكث البيعه، فقد قال تعالى: «فَمَنْ نَكَثَ فَإِنَّمَا يَنْكُثُ عَلَى نَفْسِهِ» (٣).

و كان بين ابن الزبير و ابن عباس مشاجره، فقال ابن الزبير لابن عباس -معرضا بأسر العباس أبيه يوم بدر و فدائه نفسه و خلو الزبير من ذلك-:

و صديق متبحح في الشرف الانيق خير من طليق. فقال له ابن عباس: و أماما ذكرت من الطليق فو الله لقد ابتلى فصبر و انعم عليه فشكر، و ان كان و الله و فييا كريما، غير ناقض بيعته بعد توكيدها، و لا مسلم كتيبه بعد التأمير عليها. فقال ابن الزبير: أ تعير الزبير بالجبن؟ و الله أنك لتعلم منه خلاف ذلك. قال ابن عباس: و الله إنني لا أعلم إلا أنه فر و ماكر، و حارب فما صبر، و بايع فما تمم، و قطع الرحم، و أنكر الفضل، و رام ما ليس له بأهل.

و كان بين القاسم بن محمد بن يحيى بن طلحه -و هو على شرطه عيسى بن موسى- و بين إسماعيل بن جعفر الصادق عليه السلام مشاجره، فقال القاسم لإسماعيل: لم يزل فضلنا و إحساننا سابقا عليكم يا بني هاشم و على بني عبد مناف. فقال إسماعيل: أي فضل و إحسان أسديتموه إلى بني عبد

ص: ٣٥٠

١-١) نهج البلاغه ١٢٢:٣. [١]

٢-٢) الصحاح ١٢٥٥:٣، [٢] ماده (طوع).

٣-٣) الفتح: ١٠. [٣]

مناف، أغضب أبوك جدى بقوله: «ليموتن محمد و لنجولن بين خلاخيل نساته كما جال بين خلاخيل نساتنا». فأنزل تعالى مراغمه لأبيك: «و ما كان لكم أن تؤذوا رسول الله ولا أن تنكحوا أزواجه من بعده أبداً» (١)، و منع ابن عمك امي حقها من فدك و غيرها من ميراث أبيها و اجلب أبوك على عثمان و حصره حتى قتل و نكث بيعه على عليه السلام و شام السيف فى وجهه و أفسد قلوب المسلمين عليه...

«و إن كنتما بايعتما نى كارهين فقد جعلتما لى عليكما السبيل بإظهار كما الطاعه و اسرار كما المعصيه» فعلى كل حال لم يكن لهما النكث طائعين كانا أو كارهين، و أما كان لهما النكث لو كانا مكرهين، مع أنه لم يكن قطعاً و إن كانا ادعياه باطلا كما نسبا قتل عثمان- مع كونهما هما المحرّضين فى قتله- إليه عليه السلام باطلا.

روى الطبرى عن سعد بن أبى وقاص: أن طلحه قال: «بايعت و السيف فوق رأسى» و قال سعد: لا أدرى أن السيف كان على رأسه أم لا، إلا أنى أعلم أنه بايع كارها (٢).

«و لعمرى ما كنتما بأحق المهاجرين بالتقيّه و الكتمان» و الظاهر وقوع سقط فى الكلام من المصنّف أو من نقل عنه، و أن الأصل «المهاجرين و الأنصار» فتخلف جمع كثير من الأنصار أيضا عن البيعه معه عليه السلام فتركهم.

ففى (الطبرى): لما قتل عثمان بايعت الأنصار علينا عليه السلام، إلا حسان بن ثابت و كعب بن مالك و مسلمه بن مخلد و أبو سعيد الخدرى و محمد بن مسلمه و النعمان بن بشير و زيد بن ثابت و رافع بن حديج و فضاله بن عبيد

ص: ٣٥١

١-١ (١) الاحزاب: ٥٣. [١]

٢-٢ (٢) تاريخ الطبرى ٤: ٤٣١، سنه ٣٥. [٢]

و كعب بن عجره- كانوا عثمانيه-فقال رجل لعبد الله بن حسن: كيف أبى هؤلاء بيعه على عليه السلام؟قال:أما حسان فكان شاعرا لا يبالي ما يصنع،و أما زيد فولاه عثمان الديوان و بيت المال،فلما حصر عثمان قال:يا معشر الأنصار كونوا أنصار الله مرتين.فقال له أبو أيوب:ما تنصره إلا أنه أكثر لك من العضدان،فأما كعب فاستعمله على صدقه مزينه و ترك عثمان له ما أخذ منهم،و أما المهاجرون فكان منهم سعد بن أبي وقاص و عبد الله بن عمر (١).

و فى (خلفاء ابن قتيبه):خاطب على عليه السلام بين الصّفين طلحه فقال له:

أو ما بايعتنى طائعا غير مكره؟فقال طلحه:بايعتك و السيف فى عنقى.قال:أ لم تعلم أنّى ما أكرهت أحدا على البيعه،و لو كنت مكرها أحدا لأكرهت سعدا و ابن عمر و محمّد بن مسلمه،أبو البيعه و اعتزلوا فتركتهم (٢).

و فيه:أنّ عمّارا دعا ابن عمر و سعدا و محمّد بن مسلمه إلى بيعته عليه السّلام فأبوا،فأخبر عليا عليه السّلام بذلك فقال عليه السلام:دع هؤلاء الرهط،اما ابن عمر فضعيف، و أما سعد فحسود و ذنبى إلى محمّد بن مسلمه أنّى قتلت أخاه يوم خيبر (٣).

و ذكر المسعودى:تخلّف قدامه بن مطعون و وهبان بن صيفى و عبد الله بن سلام و المغيره بن شعبه عن بيعته عليه السلام أيضا (٤).

و يمكن أن يقال بعدم سقط و أنّه عليه السّلام اقتصر على ذكر المهاجرين،لأن طلحه و الزبير كانا منهم،و ان كان جمع من الأنصار أيضا تخلّفوا عن بيعته عليه السلام فتركهم.

و كيف كان،فهما كانا أقوى من سعد و ابن عمر،فكيف لم يتقيا و هما

ص:٣٥٢

١- (١) تاريخ الطبرى ٤:٤٢٩-٤:٤٣١، سنه ٣٥. [١]

٢- (٢) الإمامه و السياسه ١:٧٤-١:٧٥. [٢]

٣- (٣) الإمامه و السياسه ١:٥٣-١:٥٤. [٣]

٤- (٤) مروج الذهب ٢:٣٦١. [٤]

اتقيا، فيكون معلوما كذبهما؟ و ان كان سيف الذى يروى الطبرى عن السرى عن شعيب عنه روى إكراههما، و لا غرو فإن سيفاً ذاك أحد الوضّاعين، و رواياته جميع خلاف السير و خلاف العقل و النقل، فروى عمّن افترى عليه:

أنّه لما اجتمع الناس على علىّ عليه السّلام ذهب الأشتر فجاء بطلحه فقال له: دعنى أنظر ما يصنع الناس. فلم يدعه و جاء به يتله تلا عنيفا، و صعد المنبر فبايع.

و جاء حكيم بن جبلة بالزبير حتّى بايع فكان الزبير يقول: جاءنى لص من لصوص عبد القيس فبايعت و اللج فى عنقى.

«و إنّ دفعكما هذا الأمر من قبل أن تدخلوا فيه كان أوسع عليكم من خروجكما منه بعد اقراركما به» فى (الطبرى) قال الزهرى: قد بلغنا أنّ عليّاً عليه السّلام قال لطلحه و الزبير: إنّ أحببنا أن تبايعا لى، و إنّ أحببنا بايعتكما؟ فقالا: بل نبايعك.

و قال بعد ذلك: إنّما صنعنا ذلك خشية على أنفسنا، و قد عرفنا أنّه لم يكن ليبايعنا. فظهرا إلى مكّه بعد قتل عثمان بأربعة أشهر (١).

«و قد زعمت أنّى قتلت عثمان فيبنى و بينكما من تخلف عنى و عنكما» فلا يكون متّهما بالميل إلى من معه.

«من أهل المدينة ثم يلزم كلّ امرئ بقدر ما احتمل» فغايه ما قالوا: إنّّه عليه السّلام خذل عثمان و كان راضيا بقتله و كان منتظرا لقتله، و كان عليه السّلام لا ينكر ذلك، بل يقربه كما مرّ عند قوله عليه السّلام: «ما أمرت به و لا نهيت عنه»، و أما هما فكانت دخالتهما فى قتله من الواضحات.

فمن تخلف عنه و عنهما عبيد الله بن عمر و مع أنّه عليه السّلام أراد قتله بدم الهرمزان ففرّ منه عليه السّلام إلى معاويه، و طلب منه معاويه أن ينسب قتل عثمان إليه عليه السّلام، لم يرض مع لجأه إليه بذلك، بل نسبه إلى طلحه و الزبير، و إنّما نسب

ص: ٣٥٣

إليه عليه السّلام انتظاره قتل عثمان.

فقال نصر بن مزاحم في (صفين): في حديث محمد بن عبيد الله عن الجرجاني قال: لما قدم عبيد الله بن عمر على معاوية أرسل معاوية إلى عمرو بن العاص فقال: إن الله أحيا لنا عمر بالشام بقدم عبيد الله و قد رأيت أن أقيمه خطيبا فيشهد على عليّ بقتل عثمان و ينال منه. فقال عمرو: الرأي ما رأيت.

فبعث إليه فأتى فقال له معاوية: يا بن أخ إن لك اسم أبيك فانظر بملء عينيك و تكلم بكلّ فيك، فأنت المأمون المصدّق، فاشتم عليا و اشهد عليه أنه قتل عثمان. فقال: أما شتمه فإنه ابن أبي طالب، و أمه فاطمه بنت أسد بن هاشم، فما عسى أن أقول في حسبه، و أمّا بأسه فهو الشجاع المطرق، و أمّا أيامه فما قد عرفت، و لكنني ملزمه دم عثمان. فقال عمرو: اذن و الله قد نكأت القرحة. فلما خرج عبيد الله قال معاوية لعمرو: أما و الله لو لا قتله الهرمزان و مخافته من عليّ على نفسه ما أتانا أبدا، أ لم تر إلى تقرظه عليا؟ فقال عمرو: يا معاوية إن لم تغلب فاخلب. فخرج حديثه إلى عبيد الله فلما قام خطيبا تكلم بحاجته حتّى إذا أتى إلى أمر عليّ عليه السّلام أمسك، فقال له معاوية: إنك بين عى أو خيانه. فقال:

كرهت أن أقطع الشهاده على رجل لم يقتل عثمان، و قال أبياتا و منها مشيرا إليه عليه السّلام و ذاكرا لطلحه و الزبير:

و لكنّه قد قرب القوم و دبوا حوالية ديب العقارب

فما قال أحسنتم و لا قد أسأتم و أطرق إطراق الشجاع الموائب

و قد كان فيها للزبير عجاجه و طلحه فيها جاهد غير لاعب (١)

و في (خلفاء ابن قتيبه): ذكروا أنه لما كان في الصباح بعد قتل عثمان اجتمع الناس في المسجد، و كثر الندم و التأسف على عثمان و سقط في أيديهم

ص: ٣٥٤

و أكثر الناس على طلحه و الزبير و أتهمهما بقتل عثمان، فقال الناس لهما: قد وقعتما في أمر عثمان فخليا عن أنفسكما. فقال طلحه: أيها الناس إننا و الله ما نقول اليوم إلا ما قلناه أمس، إن عثمان خلط الذنب بالتوبه حتى كرهنا ولايته و كرهنا أن نقتله، و سرنا أن نكفاه و قد كثر فيه اللجاج، و أمره إلى الله.

ثم قام الزبير فقال: أيها الناس إن الله قد رضى لكم الشورى فأذهب بها الهوى، و قد تشاورنا فرضينا عليا فبايعوه، و أما قتل عثمان فإننا نقول فيه: إن أمره إلى الله و قد أحدث أحداثا و الله وليه في ما كان - فقام الناس فأتوا عليا في داره، فقالوا: نبايعك (١).

بل مر أن ابن طلحه مع كونه مع أبيه و الزبير يحاربه أقر بأن ثلث دم عثمان على أبيه، فغضب عليه أبوه و قال له: كن كابن الزبير. فقال له: لم أقل إلا حقا.

«فارجع أيها الشيخان عن رأيكما، فإن الآن أعظم أمر كما العار» في (الطبرى) قال قتاده: سار علي عليه السلام من الزاوية يريد طلحه و الزبير، و سارا من الفرضه يريدان عليا عليه السلام، فالتقوا عند قصر عبيد الله بن زياد في النصف من جمادى الآخرة سنة (٣٦) فلما تراءى الجمعان خرج الزبير على فرس عليه سلاح فليل لعلي عليه السلام: هذا الزبير. فقال عليه السلام: أما أنه أحرى الرجلين ان ذكر بالله أن يذكر.

و خرج طلحه فخرج إليهما على عليه السلام و قال لهما: لقد أعددتما سلاحا و خيلا و رجالا إن كنتم أعددتما عند الله عذرا فاتقيا الله و لا - تكونا «كأنتي نَقَصْتُ عَزْلَهَا مِنْ بَعْدِ قُوَّةِ أَنْكَائِ» (٢) ألم أكن أخاكما في دينكما تحرمان دمي و احرم دماءكما فهل من حدث أحل لكما دمي؟ قال طلحه: ألبت الناس على عثمان. قال

ص: ٣٥٥

١-١ (١) الإمامه و السياسة [١] النحل ٤٦: ١.

٢-٢ (٢) ٩٢: ٩٢.

عَلَى عَلَيْهِ السَّلَامُ: «يَوْمَئِذٍ يُوفِّيهِمُ اللَّهُ دِينَهُمُ الْحَقَّ وَ يَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ الْمُبِينُ» (١) يا طلحه تطلب بدم عثمان؟ فلعن الله قتله عثمان- إلى أن قال- بعد ذكره للزبير قول النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ آله وَ سَلَّمَ له: (و لتقاتلنه و أنت ظالم)، قال الزبير: و لو ذكرت ما سرت مسيرى هذا، و الله لا- اقاتلك أبدا و رجع إلى عايشه فقال لها: ما كنت فى موطن مذ عقلت إلا و أنا أعرف فيه أمرى غير موطنى هذا. قالت: ما تريد؟ قال:

أن أدعهم و أذهب. فقال له ابنه: أحسست رايات ابن أبى طالب و علمت أنها تحملها فتية أنجاد! قال: إني قد حلفت ألا اقاتله- و أحفظه ما قال له- فقال له ابنه: كفر عن يمينك و قاتله. فدعا بغلام له يقال له مكحول فأعتقه فقال بعضهم:

لم أر كالיום أخا اخوان أعجب من مكفر الأيمان

بالتق فى معصيه الرحمن

أيضا:

يعتق مكحولا لصون دينه كفاره لله عن يمينه

و النكت قد لاح على جبينه (٢)

«من قبل أن يتجمع» هكذا فى (المصريه) (٣) و الصواب: (يجتمع) كما فى (ابن أبى الحديد و ابن ميثم و الخطيه) (٤).

«العار و النار» فى (جمل المفيد): فى روايه سفیان بن عنبسه عن أبى موسى عن الحسن بن أبى الحسن قال: خرج طلحه من رساتيق أقطعه إياها عثمان، فلم يعرف له ذلك حتى سعى فى دمه، فلما كان يوم البصره خرج

ص: ٣٥٦

١- (١) النور: ٢٥. [١]

٢- (٢) تاريخ الطبرى ٥٠١: ٤-٥٠٢، سنه ٣٦. [٢]

٣- (٣) نهج البلاغه ١٢٣: ٣.

٤- (٤) هكذا فى شرح ابن أبى الحديد ١٣١: ١٧، و لكن فى شرح ابن ميثم المطبوع ١٨٨: ٥ «يتجمع» أيضا.

للقتال-و قد لبس درعا استجن به من السهام-إذ أتاه سهم فأصابه و كان أمر الله قدرا مقدورا.

قال الحسن: و رأيته يقول حين أصابه سهم: ما رأيت كالיום مصرع شيخ أضيع من مصرعي. قال: و قد كان قبل ذلك جاهد جهادا مع النبي صلى الله عليه و آله و سلم و وقاه بيده فضيع أمر نفسه. قال: و لقد رأيته قبره مأوى الشقاء، فيضع عنده غريبه ثم يقضى عنده حاجته.

و أما الزبير فإنه أتى حيا من أحياء العرب فقال: أجبروني-و كان قبل ذلك يجبر و لا يجار عليه-قالوا: و ما الذى أخافك، و الله ما أخافك إلا- ابنك؟ فاتبعه ابن جرموز-تولاه من أتاليل العرب-فقتله، و هذا قبره بوادى السباع مخراه للثعالب. قال: فخرجا و لم يدركا ما طلبا، و لم يرجعا إلى ما تركا فعز علي هذه الشقوه التى كتبت عليهما (١).

و فيه: و فى روايه عبد الله بن جعفر عن ابن أبي عون-إلى أن قال:-فلما رأى علي عليه السلام رأس الزبير و سيفه، هز السيف و قال: سيف طالما قاتل بين يدي الرسول صلى الله عليه و آله و سلم، و لكن الحين و مصارع السوء، ثم تفرس فى وجه الزبير و قال: لقد كان لك بالرسول صلى الله عليه و آله و سلم صحبه و منه قرابه، و لكن دخل الشيطان منخرک، فأوردك هذا المورد (٢).

و فيه: و مر عليه السلام فى قتلى الجمل على طلحه بعد كعب بن سور فرأى طلحه صريعا، فقال أجلسوه. فاجلس، فقال: يا طلحه بن عبيد الله قد وجدت ما وعدنى ربى حقا، فهل وجدت ما وعدك ربك حقا؟-إلى أن قال:-فوقف رجل من القراء أمامه فقال: يا أمير المؤمنين ما كلامك هذه، الهام قد صدت

ص: ٣٥٧

١-١) الجمل للمفيد: ٣٨٤-٣٨٥، [١] شرح ابن أبي الحديد ١١٣: ٩-١١٤.

٢-٢) الجمل: ٣٨٩-٣٩٠. [٢]

لا تسمع كلاما ولا ترد جوابا؟ فقال عليه السلام: أنهما ليسمعان كلامي كما تسمع أصحاب القلب كلام النبي صلى الله عليه وآله وسلم، ولو أذن لهما في الجواب لرأيت عجبا (١).

و من العجب أن العامه وضعوا في مقابل هذا منكرا عجبا، ففي (العقد الفريد): من حديث سفيان الثوري، لما انقضى يوم الجمل خرج على في ليله ذلك اليوم و معه مولاة، و بيده شمعته يتصفح وجوه القتلى، حتى وقف على طلحه في بطن واد متعفرا، فجعل يمسح الغبار عن وجهه و يقول: اعزز علي يا أبا محمّد أن أراك متعفرا تحت نجوم السماء و بطون الأودية، إنا لله و إنا إليه راجعون، شفيت نفسي و قتلت معشري، إلى الله أشكو عجري و بجري. ثم قال:

و الله اني لأرجو أن أكون أنا و عثمان و طلحه و الزبير من الذين قال الله فيهم:

«و نزعنا ما في صدورهم من غل إخوانا على سائر متقابلين» (٢)، و إذا لم يكن نحن فمن هم (٣)؟ و كم لإخواننا أخبار نظير هذا، مما يجعل الملاحده أحق من الموحده إن فرض تحققها.

١٥

الخطبه (٢٢)

و من خطبه له عليه السلام:

أَلَا وَ إِنَّ الشَّيْطَانَ قَدْ ذَمَرَ حِزْبَهُ وَ اسْتَجَلَبَ جَلْبَهُ - لِيَعُودَ الْجُورُ إِلَى أَوْطَانِهِ وَ يَرْجِعَ الْبَاطِلُ إِلَى نِصَابِهِ - وَ اللَّهُ مَا أَنْكَرُوا عَلَيَّ مُنْكَرًا - وَ لَا جَعَلُوا بَيْنِي وَ بَيْنَهُمْ نَصَبًا وَ إِنَّهُمْ لِيَطْلُبُونَ حَقًّا هُمْ تَرَكُوهُ وَ دَمًا هُمْ سَفَكُوهُ - فَلَيْتَ كُنْتُ شَرِيكَهُمْ فِيهِ فَإِنَّ لَهُمْ لَنَصِيبَهُمْ مِنْهُ - وَ لَيْتَ كَانُوا وَلَوْهُ

ص: ٣٥٨

١ - ١) الجمل: ٣٩٢، [١] الإرشاد ٢٥٦-١: ٢٥٧. [٢]

٢ - ٢) الحجر: ٤٧. [٣]

٣ - ٣) العقد الفريد ٥: ٧٠. [٤]

دُونِي فَمَا التَّبِعَهُ إِلَّا عِنْدَهُمْ- وَإِنَّ أَعْظَمَ حُجَّتِهِمْ لَعَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ- يَرْضَعُونَ أُمَّاً قَدْ فَطَمَتْ وَيُحْيُونَ بِدَعَاةٍ قَدْ أَمِيَّتْ- يَا خَيْبَةَ الدَّاعِي مَنْ دَعَا وَإِلَامٌ أَجِيبٌ- وَإِنِّي لَرَاضٍ بِحُجَّتِهِ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَعِلْمِهِ فِيهِمْ- فَإِنْ أَبَوْا أَعْطَيْتُهُمْ حَيْدَ السَّيْفِ- وَكَفَىٰ بِهِ شَافِئاً مِنَ الْبَاطِلِ وَنَاصِرًا لِلْحَقِّ- وَمِنَ الْعَجَبِ بَعْثُهُمْ إِلَيَّ أَنْ أُبْرَزَ لِلطَّعْيَانِ وَأَنْ أَضَيَّرَ لِلجَلَادِ- هَبَلْتُهُمُ الْهَبُولُ- لَقَدْ كُنْتُ وَمَا أَهْدَدُ بِالْحَزْبِ وَلَا أُرْهَبُ بِالضَّرْبِ- وَإِنِّي لَعَلَىٰ يَقِينٍ مِنْ رَبِّي وَغَيْرِ شُبُهَةٍ مِنْ دِينِي وَفِي الْخُطْبَةِ (١٣٧) وَ مِنْ كَلَامٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ فِي مَعْنَى طَلْحَةَ وَ الزُّبَيْرِ:

وَ اللَّهُ مَا أَنْكَرُوا عَلَيَّ مُنْكَرًا- وَ لَا جَعَلُوا بَيْنِي وَ بَيْنَهُمْ نِصْفًا- وَ إِنَّهُمْ لَيَطْلُبُونَ حَقًّا هُمْ تَرَكَوهُ وَ دَمًا هُمْ سَفَكُوهُ- فَإِنْ كُنْتُ شَرِيكُهُمْ فِيهِ فَإِنَّ لَهُمْ نَصِيْبَهُ مِنْهُ- وَ إِنْ كَانُوا وَلَوْهُ دُونِي فَمَا الطَّلِبَةُ إِلَّا قَبْلَهُمْ- وَ إِنْ أَوَّلَ عَدْلِهِمْ لِلْحُكْمِ عَلَيَّ أَنْفُسِهِمْ- وَ إِنْ مَعِيَ لَبْصِيرَتِي وَمَا لَبَسْتُ وَ لَا- لُبْسَ عَلَيَّ- وَ إِنَّهَا لِلْفِتْنَةِ الْبِيَاعِيَةِ فِيهَا الْحَمَأُ وَ الْحَمَّةُ- وَ الشُّبُهَةُ الْمُعْدِفَةُ وَ إِنْ الْأَمْرَ لَوَاضِحٌ- وَ قَدْ زَاغَ الْبَاطِلُ عَنْ نِصَابِهِ- وَ انْقَطَعَ لِسَانُهُ عَنْ شَعْبِهِ- وَ أَيُّمُ اللَّهِ لَأُفْرِطَنَّ لَهُمْ حَوْضًا أَنَا مَا تَحُهُ- لَا يَصْدُرُونَ عَنْهُ بَرِيٌّ- وَ لَا يَعْبُونَ بَعْدَهُ فِي حَسِيٍّ وَ فِي الْخُطْبَةِ (١٠) وَ مِنْ خُطْبِهِ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ:

أَلَا- وَ إِنَّ الشَّيْطَانَ قَدْ جَمَعَ حِزْبَهُ- وَ اسْتَجَلَبَ حَيْلَهُ وَ رَجَلَهُ- وَ إِنْ مَعِيَ لَبْصِيرَتِي مَا لَبَسْتُ عَلَيَّ نَفْسِي وَ لَا لُبْسَ عَلَيَّ- وَ أَيُّمُ اللَّهِ لَأُفْرِطَنَّ لَهُمْ

حَوْضاً أَنَا مَا تَحُهُ - لَا يَصِيدُونَ عَنْهُ وَلَا يَعُودُونَ إِلَيْهِ أقول: ترى التكرار فى الثلاث، و عذره ما قاله فى (ديباخته): و ربما بعد العهد بما اختير أوّلاً، فاعيد بعضه سهواً أو نسياناً لا قصداً و اعتماداً (١).

قال ابن أبى الحديد ابن أبى الحديد -شرح نهج البلاغه- ج ١ ص ٣٠٥ و ٣٠٦ بعد الاولى: ذكر كثيرا من هذه الخطبه أبو مخنف فقال: قال مسافر بن عفيف بن أبى الأخنس لما رجعت رسل على عليه السلام من عند طلحه و الزبير و عايشه يؤذنونه بالحرب قال: أيها الناس انى قد راقبت هؤلاء القوم كى يروعوا أو يرجعوا، و وبختهم بنكتهم و عرفتهم بغيهم فلم يستحيوا، و قد بعثوا إلى أن أبرز للطعان و أصبر للجلاد، إنما تمنيك نفسك أمانى الباطل و تعدك الغرور. ألا هبلتهم الهول لقد كنت و ما اهدد بالحرب و لا - اذهب بالضرب، و لقد أنصف القاره من رامها، فليرعوا و ليبرقوا فقد رأونى قديما و عرفوا نكايتى، فكيف رأونى أنا أبو الحسن الذى فللت حدّ المشركين و فرقت جماعتهم؟ و بذلك القلب ألقى عدوى اليوم، و انى لعلى ما وعدنى ربى من النصر و التأييد، و على يقين من أمرى و فى غير شبهه من دينى، أيها الناس ان الموت لا - يفوته المقيم، و لا - يعجزه الهارب، و ليس عن الموت محيد و لا محيص، و من لم يقتل مات. إن أفضل الموت القتل، و الذى نفس على بيده لألف ضربه بالسيف أهون من موته واحده على الفراش، اللهم ان طلحه نكث بيعتى و ألب على عثمان حتى قتله، ثم عضه به و رماني، اللهم فلا - تمهله، اللهم ان الزبير قطع رحمى و نكث بيعتى و ظاهر على عدوى، فاكفنيه اليوم بما شئت (٢).

قلت: و روى (جهاد الكافى الكلينى - الكافى - كتاب الجهاد ج ٥ ص ٥٣ و ٥٤) عن على بن إبراهيم عن أبيه، عن ابن محبوب رفعه: أن أمير المؤمنين عليه السلام خطب يوم الجمل فقال: أيها الناس انى أتيت

ص: ٣٦٠

[١- ١] نهج البلاغه ٥: ١. [١]

[٢- ٢] شرح ابن أبى الحديد ٣٠٥-١: ٣٠٦، [٢] أمالى الشيخ الطوسى - الأمالى - ج ١ ص ١٧١ و ١٧٢ [٣] الطوسى ١: ١٧١-١٧٢. [٤]

هؤلاء و دعوتهم و احتججت عليهم، فدعوني إلى أن أصبر للجلاد- إلى آخره مثل ما نقله عن أبي مخنف مع اختلاف يسير (١).

و قال ابن ميثم ابن ميثم- شرح نهج البلاغه- ج ١ ص ٣٣٣ بعد الأولى: تمام الخطبه هكذا: أيها الناس ان الله افترض الجهاد فعظمه و جعله نصرته و ناصره، و الله ما صلحت دنيا و لا دين إلا به، و قد جمع الشيطان حزبه و استجلب خيله، و من أطاعه ليعود له دينه و سننه و خدعه و قد رأيت امورا قد تمخضت، و الله ما أنكروا على منكرا و لا- جعلوا بيني و بينهم نصفا، و إنهم ليطلبون حقا تركوه و دما سفكوه، فان كنت شريكهم فيه فان لهم لنصيبتهم منه، و إن كانوا و لوه دوني فما الطلبه إلا قبلهم، و إن أول عدلهم لعلی أنفسهم و لا اعتذر مما فعلت، و لا أتبرأ مما صنعت، و إن معي لبصيرتي ما لبست و لا لبس على و إنها للفئه الباغيه فيها الحم و الحمه، طالت جلبتها و انكفت جونتها، ليعودن الباطل في نصابه، يا خيبه الداعي من دعا لو قبل ما أنكرك من ذلك و ما امامه و في من سنته و الله اذن لزاح الباطل عن نصابه و انقطع لسانه، و ما أظن الطريق له فيه واضح حيث نهج، و الله ما تاب من قتلوه قبل موته، و لا تنصل من خطيئته. و ما اعتذر اليهم فعذروه، و لا دعا فنصروه، و ايم الله لافرطن لها حوضا أنا ماتحه لا يصدرون عنه برى و لا- يعبون حسوه أبدا و انها لطيبه نفسى بحجه الله عليهم و علمه فيهم و إني داعيهم فمعدر اليهم، فإن تابوا و قبلوا و أجابوا و أنابوا، فالتوبه مبذوله و الحق مقبول و ليس على كفيل، و إن أبوا أعطيتهم حد السيف، و كفى به شافيا من باطل و ناصرا لمؤمن، و مع كل صحيفه شاهدها و كاتبها، و الله ان الزبير و طلحه و عايشه ليعلمون أنني على الحق و أنهم مبطلون (٢).

ص: ٣٦١

١- ١) الكافي ٥: ٥٣-٥٤. [١]

٢- ٢) شرح ابن ميثم ٣٣٣: ١. [٢]

قلت: كان عليه ان ينقله فى الثانى لانه تضمن جميع فقرات الثانى مع زياده، و لم ينقل فى الثانى شيئاً فهو غفل كما غفل المصنّف. و كيف كان فبعض فقرات ما نقل بلا محصل و قد رواه (الإرشاد) صحيحاً. ففى (الارشاد):

و استجلب خيله و شبه فى ذلك، و خدع و قد بانت الامور و تمحصت و الله ما أنكروا (١).

و فيه: فى خيبه للداعى و من دعا لو قيل له: إلى من دعوك، و إلى من أجبت، و من إمامك و ما سنته؟ إذن لزاح الباطل عن مقامه و لصمت لسانه فما نطق)... (٢).

قال ابن أبى الحديد: و اعلم أنّ كلام أمير المؤمنين عليه السلام و كلام أصحابه و عماله فى واقعه الجمل كله يدور على هذه المعانى، فمن ذلك خطبه رواها المدائنى عن عبد الله بن جنادة قال: قدمت من الحجاز اريد العراق فى أول إماره على عليه السلام فمررت بمكّه فاعتمرت ثم قدمت المدينه فدخلت المسجد إذ نودى الصلاه جامعه، فاجتمع الناس و خرج على عليه السلام متقلداً سيفه فشخصت الأبصار نحوه، فحمد الله و صلّى على رسوله ثم قال: أمّا بعد، فإنّ الله تعالى لما قبض نبيه صلّى الله عليه و آله و سلّم قلنا: نحن أهله و ورثته و عترته و أولياؤه دون الناس، لا ينازعنا سلطانه أحد، و لا يطمع فى حقنا طامع، إذ انبرى لنا قومنا فغصبونا سلطان نبينا صلّى الله عليه و آله و سلّم فصارت الإمرة لغيرنا، و صرنا سوقه يطمع فىنا الضعيف و يتعزز علينا الذليل، فبكت الأعين منا لذلك و خشنت الصدور و جزعت النفوس، و ايم الله لو لا مخافه الفرقه بين المسلمين و أن يعود الكفر و يبور الدين لكنا على غير ما كنا لهم، فولى الأمر و لاه لم يألوا الناس خيراً، ثم

ص: ٣٤٢

١-١ (١) الإرشاد ٢٥١: ١. [١]

٢-٢ (٢) المصدر نفسه. [٢]

استخرجتموني أيها الناس من بيتي، فبايعتموني على شأن مني لأمركم، و فراسه تصدقني ما في قلوب كثير منكم، و بايعني هذان الرجلان في أول من بايع-تعلمون ذلك- و قد نكثا و غدرا و نهضا إلى البصره بعائشه ليفرقا جماعتكم، و يلقيا بأسكم بينكم، اللهم فخذهما بما عملا «أَخَذَهُ رَابِيَةٌ» (١)، و لا- تنعش لهما صرعه و لا- تقلهما عثره و لا تمهلها فواقا، فإنهما يطلبان حقا تركاه و دما سفكاه، اللهم إنني أقتضيك و عدك فإنك قلت و قولك الحق و لمن «بُغِيَ عَلَيْهِ لِيُنْصَرَنَّهُ اللَّهُ» (٢) اللهم فأنجز لي موعدي، و لا تكلني إلى نفسي «إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ» (٣).

و قال: و روى الكلبي: أن عليا عليه السلام لما أراد المسير إلى البصره قام فخطب الناس فقال بعد أن حمد الله و صلى على رسوله: إن الله لما قبض نبيه صلى الله عليه و آله و سلم استأثرت علينا قريش بالأمر و دفعتنا عن حق نحن أحق به من الناس كافة، فأريت أن الصبر على ذلك أفضل من تفريق كلمه المسلمين و سفك دمائهم و الناس حديثوا عهد بالإسلام، و الدين يمحض محض الوطب، يفسده أدنى و هن و يعكسه أقل خلق، فولى الأمر قوم لم يألوا في أمرهم اجتهادا ثم انتقلوا إلى دار الجزاء، و الله ولي تمحيص سيئاتهم و العفو عن هفواتهم، فما بال طلحه و الزبير- و ليسا من هذا الأمر بسبيل- لم يصبرا على حولا و لا شهرا حتى وثبا و مرقا و نازعاني أمرا لم يجعل الله لهما إليه سبيلا، بعد أن بايعا طائعين غير مكرهين يرتضعان أما قد فطمت، و يحييان بدعه قد اميتت، آدم عثمان زعما؟! و الله ما التبعه إلا عندهم و فيهم و إن أعظم حجتهم

ص: ٣٦٣

١-١) الحاقه: ١٠. [١]

٢-٢) الحج: ٦٠. [٢]

٣-٣) شرح ابن أبي الحديد ٣: ٣٠٧-٣٠٨، و الآية ٢٦ [٣] من سوره آل عمران.

لعلى أنفسهم، و أنا راض بحجه الله عليهم و علمه فيهم، فإنّ فاء و أنا با فحظهما أحرزا و أنفسهما غنما و أعظم بهما غنيمه، و إن أيا أعطيتهما حدّ السيف و كفى به ناصرا لحق و شافيا لباطل. ثم نزل (١).

و قال: و روى أبو مخنف عن زيد بن صوحان قال: شهدت عليا عليه السلام بذي قار و هو معتمّ بعمامه سوداء، ملتف بساج يخطب، فقال في خطبه: الحمد لله على كل أمر و حال في الغدو و الآصال، و أشهد أن لا إله إلا الله و أنّ محمّدا عبده و رسوله صلّى الله عليه و آله و سلّم ابتعثه رحمه للعباد و حياه للبلاد حين امتلأت الأرض فتنه و اضطرب جبلها و عبد الشيطان في أكنافها، و اشتمل ابليس عدوّ الله على عقائد أهلها، فكان محمّد بن عبد الله بن عبد المطلب الذي اطفأ الله به نيرانها، و أحمده به شرارها و نزع به أوتادها و أقام به ميلها، امام الهدى و النبي المصطفى، فلقد صدع بما امر به و بلغ رسالات ربه، فأصلح الله به ذات البين، و آمن به السبل و حقن به الدماء و ألّف به بين ذوى الضغائن الواغره في الصدور، حتى أتاه اليقين. ثم استخلف الناس أبا بكر فلم يأل جهده، ثم استخلف الناس عثمان فنال منكم و نلت مني، حتى إذا كان في أمره ما كان أيتيموني لتبايعوني فقلت: لا حاجة لي في ذلك. و دخلت منزلي فاستخرجتموني، فقبضت يدي فبسطتموها و تداككتم عليّ حتى ظننت أنّكم قاتلي، و أنّ بعضكم قاتل بعض فبايعتموني و أنا غير مسرور بذلك و لا جذل، و قد علم الله سبحانه أنّي كنت كارها للحكومه بين امه محمّد صلّى الله عليه و آله و سلّم و لقد سمعته يقول صلّى الله عليه و آله و سلّم: «ما من وال يلي شيئا من أمر أمتي إلاّ اتى به يوم القيامة مغلوله يده إلى عنقه على رؤس الخلائق، ثم ينشر كتابه فإن كان عادلا- نجا، و إن كان جائرا هوى» حتى اجتمع عليّ ملاكم، و بايعني طلحه و الزبير و أنا أعرف الغدر

ص: ٣٦٤

فى أوجههما، و النكث فى أعينهما، ثم استأذنانى فى العمره فأعلمتهما ان ليس العمره يريدان، فسارا إلى مكه و استخفاً عايشه و خدعاها، و شخص معهما أبناء الطلقاء، فقدموا البصره فقتلوا بها المسلمين و فعلوا المنكر، و يا عجباً لاستقامتهما لأبى بكر و عمر و بغيرهما علىّ، و هما يعلمان أنّى لست دون أحدهما- و لو شئت أن أقول لقلت- و لقد كان معاويه كتب إليهما من الشام كتاباً يخدعهما فيه، فكتماه عنى و خرجا يوهمان الطعام أنّهما يطلبان بدم عثمان، و الله ما أنكرا علىّ منكرا و لا جعلنا بينى و بينهم نصفاً، و إنّ دم عثمان لمعصوب بهما و مطلوب منهما، يا خيبة الداعى إلام دعا و بما ذا اجيب، و الله إنّهما لعلى ضلاله صماء و جهاله عمياء، و إنّ الشيطان قد ذمر لهما حزبه، و استجلب منهما خيله و رجله، ليعيد الجور إلى أوطانه و يرد الباطل إلى نصابه- ثم رفع يديه فقال:- اللهم إنّ طلحه و الزبير قطعانى و ظلمانى و ألّبا علىّ و نكثا بيعتى، فاحلل ما عقدا و انكث ما أبرما و لا تغفر لهما أبداً، و أرهما المساءه فى ما عملا و أملا.

فقام إليه الأشتر فقال: الحمد لله الذى منّ علينا فأفضل، و أحسن إلينا فأجمل، قد سمعنا كلامك و لقد أصبت و وفقت، و أنت ابن عمّ نبينا و صهره و وصيّه، و أوّل مصدّق به و مصلّ معه، شهدت مشاهده كلّها فكان لك الفضل فيها على جميع الأمّه، فمن اتبعك أصاب حظّه و استبشر بفلجه، و من عصاك و رغب عنك فإلى امّه الهاويه، لعمرى ما أمر طلحه و الزبير و عايشه علينا بمخيل، و لقد دخل الرجلان فى ما دخلا فيه و فارقا على غير حدث أحدثت و لا جور صنعت، فان زعما أنّهما يطلبان بدم عثمان فليقيدا من أنفسهما، فإنّهما أوّل من ألّب عليه و أغرى الناس بدمه، و اشهد الله لئن لم يدخلا فى ما خرجا

منه لنلحقنهما بعثمان، فإن سيوفنا في عواتقنا و قلوبنا في صدورنا... (١).

قلت: إنه و إن نقلها للأول إلا أنها اشتملت على الثاني و الثالث أيضا قوله عليه السلام في الأول .

«ألا و إن الشيطان قد ذمر» أي: حث.

«حزبه و استجلب قلبه» أي: جمع جمعه، و مثله قوله في الثالث.

«ألا- و إن الشيطان قد جمع حزبه و استجلب خيله و رجله» أي: صاح بركابه و مشاته، و الأصل فيه قوله تعالى للشيطان: «وَأَجْلِبْ عَلَيْهِم بِخَيْلِكَ وَ رَجِلِكَ» (٢).

ثم الغريب أن ابن أبي الحديد لم يتفطن أن الثالث في طلحه و الزبير أيضا، فقال في قوله عليه السلام: «و ان الشيطان قد جمع حزبه»: يمكن أن يريد عليه السلام بالشيطان الشيطان الحقيقي، و أن يريد به معاوية (٣).

قوله عليه السلام في الأول: «ليعود الجور الى أوطانه و يرجع الباطل إلى نصابه» أي: أصله كما فعلوا ذلك يوم السقيفة و يوم الدار، فحالوا بينه عليه السلام و بين حقه هربا من عدله عليه السلام فيهم و منعهم من الجور و الباطل.

قوله عليه السلام في الأول و الثاني: «و الله ما أنكروا على منكر» حتى نقضوا بيعتي، بل أنكروا التزامه عليه السلام بالمعروف حتى أن المغيرة بن شعبه-الذي كان منافقا و اعتزل أمير المؤمنين عليه السلام و لحق بالطائف أيامه، فلم ينصره عليه السلام لعرفانه بدهائه و أنه لا يستقر أمره لعداوه قريش و بنى أمية، و لم يحاربه عليه السلام لعرفانه بأسه و شجاعته-أنكر عليهم ذلك.

ص: ٣٦٦

١-١ (١) شرح ابن أبي الحديد ٣٠٩:١-٣١١. [١]

٢-٢ (٢) الإسراء: ٦٤. [٢]

٣-٣ (٣) شرح ابن أبي الحديد ١:٢٣٩. [٣]

ففى (خلفاء ابن قتيبه): لما أشرف المغيره مع سعيد بن العاص على طلحه و الزبير و عايشه و من معهم أقبل المغيره عليهم و قال: أيها الناس إن كنتم إنمّا خرجتم مع أمكم فارجعوا خيرا لكم، و إن كنتم غضبتم لعثمان فرؤساؤكم قتلوا عثمان، و إن كنتم نقمت على عليّ شيئا فيينا ما نقمت عليه، انشدكم الله فنتين فى عام واحد (١) «و لا جعلوا بينى و بينهم نصفا» إذ قتلوا عثمان و نسبوا قتله إليه عليه السّلام، ثم إن ابن أبى الحديد أغرب فقال فى شرح الفقره فى الأوّل: النصف الذى ينصف.

و قال الراوندى: «النصف النصفه» و لا معنى لقوله «و لا جعلوا إنصافا فى البين» (٢) و فى الثانى: النصف و الإنصاف، قال الفرزدق:

و لكن نصفا لو سببت و سبنى بنو عبد شمس من قريش و هاشم

و هو على حذف المضاف أى: ذا نصف-فما أنصفه (٣).

«و إنهم ليطلبون حقا هم تركوه» هكذا فى (المصريه) (٤) فى الأوّل و الثانى و لكن فى (شرح ابن ميثم) فى الأوّل «حقا تركوه» بدون «هم» (٥).

«و دما هم سفكوه» قال حسان:

من عذيرى من الزبير و من طلحه إذ جاء أمر له مقدار

و فى (خلفاء ابن قتيبه): لما حاصر أهل الكوفه و أهل مصر عثمان ليلا و نهارا، كان طلحه يحرض الفريقين و يقول لهم: إن عثمان لا يبالى ما

ص: ٣٦٧

١- (١) الإمامه و السياسه ١: ٦٣. [١]

٢- (٢) شرح ابن أبى الحديد ١: ٣٠٤. [٢]

٣- (٣) شرح ابن أبى الحديد ٩: ٣٣. [٣]

٤- (٤) نهج البلاغه ١: ٥٥، و ٢: ٢٧. [٤]

٥- (٥) شرح ابن ميثم ١: ٣٣٣.

حصرتموه و هو يدخل عليه الطعام و الشراب، فامنعوه أن يدخل عليه (١).

قوله في الأول: «فلئن كنت شريكهم فيه» هكذا في (المصريه) (٢)، و لكن في (ابن ميثم): «فان كنت شريكهم فيه» (٣)، مثله في الثاني.

«فإن لهم لنصيبيهم منه» قال ابن أبي الحديد: روى الذين صنّفوا في واقعه الدار: أن طلحه كان يوم قتل عثمان مقنعا بثوب قد استتر به عن أعين الناس، يرمى الدار بالسهم (٤).

و قال: و روى: أنه لما امتنع على الذين حصروه الدخول من باب الدار حملهم طلحه إلى دار لبعض الأنصار، فأصعدهم إلى سطحها و تسوّروا منها على عثمان داره فقتلوه (٥).

و قال: و روى أيضا: أن الزبير أيضا يقول: اقتلوه فقد بدّل دينكم. فقالوا:

إن ابنك يحامي عنه بالباب. فقال: ما أكره أن يقتل عثمان و لو بدىء بابني، إن عثمان لجيفه على الصراط غدا (٦).

و قال: و روى: أن عثمان قال: ويلي على ابن الحضرميه - يعني طلحه - أعطيته كذا و كذا بهارا ذهباً و هو يروم دمي و يحرض على نفسي (٧).

و في (الطبري): عن عبد الرحمن بن ابزى قال: رأيت اليوم الذي دخل فيه على عثمان، فدخلوا من دار عمرو بن حزم من خوخه هناك، فوالله ما نسيت

ص: ٣٦٨

[١-١] الإمامه و السياسه ٣٨:١. [١]

[٢-٢] نهج البلاغه ٥٥:١. [٢]

[٣-٣] شرح ابن ميثم ٣٣٣:١. [٣]

[٤-٤] شرح ابن أبي الحديد ٣٥:٩. [٤]

[٥-٥] شرح ابن أبي الحديد ٣٥:٩-٣٦. [٥]

[٦-٦] المصدر نفسه ٣٦:٩. [٦]

[٧-٧] المصدر نفسه ٣٥:٩. [٧]

أن خرج سودان بن حمران يقول: أين طلحه، قد قتلنا ابن عفان (١)؟ قوله عليه السلام في الأول: «و لئن كانوا ولّوه دوني فما التبعه إلا عندهم و إنّ أعظم حجّتهم لعلی أنفسهم» و في (شرح ابن ميثم): «ان كانوا» (٢) كما في الثاني.

«و إن كانوا ولّوه دوني فما الطّلبه إلاّ قبلهم و إنّ أوّل عدلهم للحكم على أنفسهم» في (خلفاء ابن قتيبه): تكلم الزبير في ملأ من قريش فقال: هذا جزاؤنا من عليّ، قمنا له في أمر عثمان حتى أثبتنا عليه الذنب و سببنا له القتل، و هو جالس في بيته و كفى الأمر، فلما نال بنا ما أراد جعل دوننا... (٣).

و في (جمل المفيد): روى سليمان بن عبد الله بن عويمر الأسلمي عن ابن الزبير قال: سمعت عمّارا يقول لأصحابنا: ما تريدون و ما تطلبون؟ فناديناه:

نطلب بدم عثمان، فإن خليتم بيننا و بين قتلته رجعنا. فنادانا عمّار: قد فعلنا، هذه عايشه و طلحه و الزبير قتلوه عطشاننا، فابدءوا بهم، فإذا فرغتم منهم تعالوا إلينا نبذل لكم الحقّ. فأمسك و الله أصحاب الجمل كلهم (٤).

و لم يذكر عليه السلام شقًا ثالثًا و هو توليته دونهم لأنّه أمر لا يمكنهم التفوّه بذلك لأنّه واضح البطلان، فمن يدعى باطلا إن كان عاقلا لا بدّ أن يدعى ما يمكنه التلبس فيه دون ما لا يمكن، و تصديهما و التحريض على قتله كان أمرا معلوما شاهده جميع الناس، و إنّما اتّهموه عليه السلام بشراكته، لأنّه آوى قاتليه و لم ينههم عن قتله، و لما سألوه عن رأيه في قتله قال: ما ساءني. و هو إنّما يدلّ على رضاه دون دخالته.

و مما يوضح رضاه قول الأشر له عليه السلام—و هو من أخص أصحابه—: إنّ

ص: ٣٦٩

[١-١] تاريخ الطبري ٣٧٩:٤، سنة ٣٥. [١]

[٢-٢] شرح ابن ميثم ٣٣٣:١. [٢]

[٣-٣] الإمامه و السياسه ٥١:١. [٣]

[٤-٤] الجمل للمفيد: ٣٦٥. [٤]

طلحه و الزبير إن لم يرجعا لنلحقنهما بعثمان. كما مر عن أبي مخنف.

قوله عليه السّلام فى الأوّل : «يرتضعون أمّيا قد فطمت» فى (خلفاء ابن قتية): قام عثمان بن حنيف عامل على عليه السّلام على البصره-لما سمع بدنوّ طلحه و الزبير- فقال: أيها الناس إنّما بايعتم الله، يد الله فوق أيديكم «فَمَنْ نَكَثَ فَإِنَّمَا يَنْكُثُ عَلَى نَفْسِهِ وَ مَنْ أَوْفَى بِمَا عَاهَدَ عَلَيْهِ اللَّهُ فَسَيُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا» (١) و الله لو علم على عليه السّلام أنّ أحدا أحقّ بهذا الأمر منه ما قبله، و ما به إلى أحد من الصحابه حاجه و ما بأحد منه غنى، و لقد شاركهم فى محاسنهم و ما شاركوه فى محاسنه، و لقد بايعه هذان الرجلان و ما يريدان الله، فاستعجلا الفطام قبل الرّضاع، و الرّضاع قبل الولاده و الولاده قبل الحمل (٢).

«و يحيون بدعه قد اميتت» فعمر بايع أبا بكر، ليكون شريكه فى أمره و ليرد الأمر إليه بعده ففعل، و كتب عثمان-و كان كاتب أبى بكر- استخلاف أبى بكر لعمر فى غشوته، و إن أفاق و أمضاه ليدبر عمر له فى استخلافه، فدبر له مع كونه من بنى اميه، و كون سوابقه الدفاع عن أعداء الله حتى لا- يقتلهم النبى صلّى الله عليه و آله و سلّم بجعل شورى، و أنّه من بنى عبد مناف كعلّى، و جعل ابن عوف زوج اخته حكما، فحكم ابن عوف لعثمان ليردّ الأمر إليه و يكون شريكه كعمر مع أبى بكر، إلاّ- أنّ عثمان لم يعرف غير بنى أبىه فأل الأمر بينهما بالفساد. و قد كان عليه السّلام دعا عليه لما فوّض الأمر إلى عثمان فقال له: «دق الله بينكما عطر منشم» فكان يسعى فى عزله بعد نصبه إلى أن مات قبله، فبايعه عليه السّلام طلحه و الزبير أوّل الناس بهذا الطمع، إلاّ أنّه عليه السّلام لم يكن أهل ذاك و كانوا يعرفونه بذلك، و لذلك اتّفقوا على دفعه عن الأمر يوم السقيفه و يوم الشورى، إلاّ أنّهم

ص: ٣٧٠

[١- ١] الفتح: ١٠. [١]

[٢- ٢] الإمامه و السياسه ٦٣: ١-٦٤. [٢]

بعد قتل عثمان لم يمكنهم دفعه، لأنَّ شوق الناس إليه كان بحيث كاد أن يقتل بعضهم بعضاً في السبقه إليه، إلا أنَّ الطمع يسلب العقل، فقال له عليه السلام: إنَّا بايعناك على أنا شركاؤك في الأمر. وقال طلحه بعد قول الزبير المتقدم: ما اللوم إلَّا لنا، إنَّا كنَّا ثلاثه من أهل الشورى-أى: هما مع سعد-كرهه أحدنا و بايعناه، وأعطيناه ما في أيدينا و منعنا ما في يده، فأصبحنا قد أخطأنا ما رجونا .

«يا خبيبه الداعى» من الاجابه .

«من دعا» أى: إلى طلب دم عثمان. إنَّما دعا إليه طلحه و الزبير اللذان حثَّا على قتله، و دعا إليه من كان مثلهما فى الحثِّ على قتله عايشه، و كانت مأموره بنص القرآن بالقرار فى بيتهما، و بنص النبى صَلَّى الله عليه و آله و سلَّم لها إلَّا- تكون صاحبه كلاب الحوَّاب.

سبحان الله من هؤلاء المنتمين إلى السنه القائلين بجلال هؤلاء من ذاك اليوم إلى يومنا، و هل باطل أوضح من هذا؟!-إلَّا أنَّ لازم كونهم أهل سنه-سنه أبى بكر و عمر-ذلك و لا- غرو، يقول تعالى: «وَلَوْ أَنَّا نَزَّلْنَا إِلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةَ وَ كَلَّمَهُمُ الْمَوْتَى وَ حَشَرْنَا عَلَيْهِمْ كُلَّ شَيْءٍ قُبُلًا مَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا» (١)-و إلَّا- فكون أهل بيت النبى صَلَّى الله عليه و آله و سلَّم أهل عصمه و طهاره و مثل النبى صَلَّى الله عليه و آله و سلَّم فى كلِّ صفة بنص القرآن و السنه المتواتره و إجماع مخالفينهم فضلاً عن موافقينهم، و كون جميع أئمتهم معدن كل عوار و مثلبه، و كون أولهم كآخريهم، و كون أبى بكر و عمر كعثمان، و عثمان كبنى اميّه فى عداوتهم لله و لرسوله و أهل بيت نبيه من أوضح الواضحات.

و فى (خلفاء ابن قتيبه): أنى طلحه و الزبير عبد الله بن خلف فقال لهما:

ص: ٣٧١

إنه ليس أحد من أهل الحجاز كان منه في عثمان شيء إلا- وقد بلغ أهل العراق، وقد كان منكما في عثمان من التخليب و التأليب ما لا يدفعه جحود، ولا ينفعكما فيه عذر، وأحسن الناس فيكما قولاً من أزال عنكما القتل و ألزمكما الخذلان، وقد بايع الناس علياً بيعة عامه، والناس لا قوكمما غداً فما تقولان؟ فقال طلحة: نكر القتل و نقر بالخذلان، ولا ينفع الإقرار إلا مع الندم، ولقد ندمنا على ما كان منا. وقال الزبير: نقول: بايعنا علياً و السيف على أعناقنا، حيث تواتب الناس بالبيعة إليه دون مشورتنا، ولم نصب عثمان قتلاً خطأ فيجب علينا الدية، ولا عمداً فيجب علينا القصاص. فقال لهما: عذركما أشد من ذنبكما (١).

و فيه: جاء جاريه بن قدامه إلى عايشه فقال لها: قتل عثمان كان أهون علينا من خروجك على هذا الجمل الملعون (٢).

«و إلام» و في نسخه (ابن أبي الحديد و ابن ميثم) (٣): «و إلى ما».

«اجيب» أي: اجيب إلى الطلب بدم عثمان الذي استحل المؤمنون دمه، و منع المسلمون من دفنه في مقابر المسلمين، ففي (جمل المفيد): روى عبد الله بن رباح مولى الأنصار بن زياد مولى عثمان قال: خرج عمار يوم الجمل إلينا فقال: يا هؤلاء على أي شيء تقاتلوننا؟ فقلنا: على أن عثمان قتل مؤمناً. فقال عمار: نحن نقاتلكم على أنه قتل كافراً. و الله لو ضربتمونا حتى نبغ سعفات هجر لعلمنا أننا على الحق و أنكم على الباطل. و الله ما نزل تأويل هذه الآية: «يا أيها الذين آمنوا من يزد منكم عن دينه فسوف يأتي الله بقوم يحبهم»

ص: ٣٧٢

١- ١) الإمامه و السياسه ١: ٦١-٦٢. [١]

٢- ٢) الإمامه و السياسه ١: ٦٩. [٢]

٣- ٣) في شرح ابن أبي الحديد ٣: ٣٠٣، و شرح ابن ميثم ١: ٣٣٢ «إلام» أيضاً.

«وَيُحِبُّونَهُ» (١) إِلَّا الْيَوْمَ (٢).

و في (صفين نصر): قال عمرو بن العاص لعَمَّار: هل كنت مع من قتل عثمان؟ قال: كنت مع من قتله و أنا اليوم أقاتل معهم. فقال عمرو: فلم قتلتموه؟ قال عَمَّار: أراد أن يغير ديننا فقتلناه. فقال عمرو لمن معه: ألا تسمعون، قد اعترف بقتل عثمان؟ قال عَمَّار: و قال قبلك فرعون لقومه: «أَلَا تَسْتَمِعُونَ» (٣).

هذا و في (خلفاء ابن قتيبه): ذكروا: أنَّ عبد الله بن عامر لحق بالشام و لم يأت معاويه، فبعث إليه معاويه أن يأتيه و ألح عليه، فكتب إليه ابن عامر:

اخبرك أني أقحمت طلحه و الزبير إلى البصره، و أنا أقول: إذا رأى الناس أم المؤمنين مالوا إليها، و إن فرّ الناس لم يفرّ الزبير، و إن غدر الناس لم يغدر مروان. فغضبت عايشه و رجع الزبير و قتل مروان طلحه و ذهب مالى بما فيه، و الناس أشباه، و اليوم كأمس. فكتب إليه معاويه: فإنَّك قلّدت أمر دينك قتله عثمان، و أنفقت مالك لابن الزبير و آثرت العراق على الشام، فأخرجك الله من الحرب صفر اليدين، ليس لك حظ الحق و لا ثار القتل (٤).

«و إني لراض بحجه الله عليهم و علمه فيهم» في (جمل المفيد): روى الواقدي عن عمر بن علي قال: لمّا سمع أبي عليه السّلام أصوات الناس يوم الجمل و قد ارتفعت، قال لابنه محمّد: ما يقولون؟ قال: يقولون: يا ثارات عثمان. فقال عليه السّلام:

فقاتلوهم صابرين محتسبين، فالكتاب معكم و السنّه معكم، و من كانا معه فهو القوى (٥).

ص: ٣٧٣

١-١ (١) المائده: ٥٤. [١]

٢-٢ (٢) الجمل للمفيد: ٣٦٦ و [٢] قريب منه ما في وقعه صفين: ٣٢٢ و [٣] الشافى فى الإمامه ٣: ٣٥٥.

٣-٣ (٣) وقعه صفين: ٣٣٨-٣٣٩. [٤]

٤-٤ (٤) الإمامه و السياسه ١: ٨٨-٨٩. [٥]

٥-٥ (٥) الجمل للمفيد: ٣٥٧-٣٥٨. [٦]

«فإن أبوا أعطيتهم حدّ السيف» روى الواقدي- كما في (الجمال) للمفيد- عن محمّد بن عليّ قال: رمقت لضرب أبي و لحظته، فاذا هو يورد السيف و يصدره و لا- أرى فيه دما، و إذا هو يسرع اصداره فيسبق الدم، و صاح أبي بمحمد بن أبي بكر: اقطع البطان. فقطعه، و تلقوا الهودج فكان الحرب و الله جمره صبّ عليها الماء (١).

و روى ابراهيم بن نافع- كما فيه-: عن سعيد بن أبي هند عمّن حضر الجمال: أنّ عليا عليه السّلام قاتل يومئذ أشد القتال، و سمعوه و هو يقول: تبارك الله الذي أذن لهذه السيوف تصنع ما تصنع (٢).

و في (الطبري)- في عنوان كثره قتلى يوم الجمال- قال الزبير بن الحرث: قلت لأبي ليبيد: لم تسبّ علينا؟ قال: ألا أسبّ رجلا قتل منّا ألفين و خمسمائه، و الشمس ها هنا (٣).

«و كفى به شافيا من الباطل و ناصرا للحق» قالوا عليهم السّلام: لا يقيم الناس على الحقّ إلاّ السيف (٤). و قيل فيه من الشعر:

السيف أصدق أنباء من الكتب في حدّه الحدّ بين الجد و اللعب

محا السيف ما قال ابن داره اجمعا

«و من العجب بعثهم» هكذا في (المصريه) (٥)، و لكن في (ابن أبي الحديد و ابن ميثم و الخطيبه) (٦): «بعثهم».

ص: ٣٧٤

١- ١) الجمال للمفيد: ٣٦٠-٣٦١. [١]

٢- ٢) الجمال للمفيد: ٣٦١. [٢]

٣- ٣) تاريخ الطبري ٤: ٥٤٥، سنة ٣٦. [٣]

٤- ٤) ثواب الأعمال: ٢٢٦ بإسناده إلى أبي عبد الله عليه السّلام.

٥- ٥) نهج البلاغه ١: ٥٥. [٤]

٦- ٦) في شرح ابن أبي الحديد ٣: ١٠٣ و [٥] شرح ابن ميثم ١: ٣٣٢ «[٦] بعثهم» أيضا.

«إِلَى أَنْ أBRZ لِلطَّعَانِ» بِالرَّمَاحِ .

«وَأَنْ أَصْبِرَ لِلجَلَادِ» بِالسِّيفِ .

«هَبْلَتَهُمُ الْهَبُولُ» بِالْفَتْحِ أَي: ثَكَلَتَهُمُ الثُّكُولُ .

«لَقَدْ كُنْتُ وَ مَا أَهْدَدُ بِالْحَرْبِ وَ لَا ارْهَبُ بِالضَّرْبِ» مَرَّتْ هَاتَانِ الْجُمْلَتَانِ فِي (١٣) مِنَ الْفَصْلِ مِنْ أَوَّلِ الْعِنْوَانِ قَوْلُهُ هُنَا .

«وَ إِنِّي لَعَلِي يَقِينُ مِنْ رَبِّي وَ غَيْرِ شَبِيهِهِ مِنْ دِينِي» وَ فِي الثَّانِي وَ الثَّلَاثِ : «وَ إِنَّ مَعِيَ لَبصِيرَتِي مَا لَبَسْتُ عَلَي نَفْسِي وَ لَا لَبَسَ عَلَيَّ» فِي (الصَّحَاحِ): اللَّبْسُ: مَصْدَرٌ لَبَسْتُ عَلَيْهِ الْأَمْرَ خَلَطْتُ، مِنْ قَوْلِهِ تَعَالَى: «وَ لَلْبَشَرِ مَا يَلْبَسُونَ» (١).

كَانَ ابْنُ عَمْرٍ وَ سَعْدٌ وَ مُحَمَّدُ بْنُ مَسْلَمَةَ لَبَسُوا عَلَي أَنفُسِهِمْ فَاعْتَرَلُوهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ، فَحَاجَّهُمْ عَمَّارٌ وَ أَتَمَّ عَلَيْهِمُ الْحِجَّةَ.

فَفِي (الخُلَفَاءِ) ذَكَرُوا: أَنَّ عَمَّارًا أَتَى ابْنَ عَمْرٍ بَعْدَ اسْتِيزَانِهِ عَلَيَّا عَلَيْهِ السَّلَامُ فَقَالَ لَهُ: إِنَّهُ بَايَعَ عَلِيًّا عَلَيْهِ السَّلَامَ الْمُهَاجِرُونَ وَ الْأَنْصَارَ، وَ مِنْ إِنْ فَضَّلْنَاكَ عَلَيكَ لَمْ يَسْخَطْكَ، وَ إِنْ فَضَّلْنَاكَ عَلَيْهِ لَمْ يَرْضَكَ، وَ قَدْ أَنْكَرْتَ السِّيفَ فِي أَهْلِ الصَّلَاةِ، وَ قَدْ عَلِمْتَ أَنَّ عَلِيَّ الْقَاتِلَ الْقَتْلَ وَ عَلِيَّ الْمُحَصَّنَ الرَّجْمَ، وَ هَذَا يَقْتُلُ بِالسِّيفِ وَ هَذَا بِالْحِجَارِ. فَقَالَ: إِنَّ أَبِي جَمَعَ أَهْلَ الشُّورَى فَكَانَ أَحَقَّهُمْ بِهَا عَلَيُّ عَلَيْهِ السَّلَامُ، غَيْرَ أَنَّهُ جَاءَ أَمْرٌ فِيهِ السِّيفُ وَ لَا أَعْرَفُهُ، وَ لَكِنْ وَ اللَّهُ مَا أَحَبَّ أَنَّ لِي الدُّنْيَا، وَ أَتَى أَضْمَرْتَ عِدَاوَةَ عَلَيِّ عَلَيْهِ السَّلَامِ.

فَأَتَى بِمُحَمَّدِ بْنِ مَسْلَمَةَ فَقَالَ: يَا عَمَّارُ لَوْ لَا مَا فِي يَدِي مِنَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ وَ سَلَّمَ لَبَايَعْتُ عَلِيًّا، وَ لَوْ أَنَّ النَّاسَ كُلَّهُمْ عَلَيْهِ لَكُنْتُ مَعَهُ. فَقَالَ لَهُ عَمَّارٌ: أَفَتَرِيدُ مِنَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ وَ سَلَّمَ قَوْلًا بَعْدَ قَوْلِهِ فِي حِجَّةِ الْوُدَاعِ «دِمَاؤُكُمْ وَ أَمْوَالُكُمْ حَرَامٌ إِلَّا بِحَدِّثٍ»، أَفَتَقُولُ: لَا نَقَاتِلُ الْمُحَدِّثِينَ؟ قَالَ: حَسْبُكَ.

ص: ٣٧٥

ثم أتى سعدا فكلمه، فأظهر الكلام القبيح فانصرف إلى على عليه السلام فقال عليه السلام له: دع هؤلاء الرهط، أميا ابن عمر فضعيف، و أما سعد فحسود، و ذنبي إلى محمد بن مسلمه أنى قتلت أخاه (١).

قوله عليه السلام فى الثانى : «وإنها للفئة الباغية» قال ابن أبى الحديد: لام التعريف فى الفئة يشعر بأن نصا كان عنده: أنه سيخرج عليه فئة باغية و لم يعين له وقتها و لا كل صفاتها، بل بعض علاماتها، فلما خرج أصحاب الجمل و رأى تلك العلامات فيهم قال ذلك (٢).

قلت: بل الظاهر أن قوله عليه السلام: «وإنها للفئة الباغية» إشاره إلى قوله تعالى: «فإن بعت إخوانهما على الأخرى فقاتلوا التي تبغى حتى تفيء إلى أمر الله» (٣).

ثم إنه عليه السلام كان يعلم تفاصيل تلك الفئة، فروى نصر بن مزاحم - كما فى (جمل المفيد) - مسندا عن زيد عن ابن عباس قال: أبطأ خبر أهل الكوفة علينا و نحن فى فلاة، فأخبرت عليا عليه السلام بذلك فقال لى: اسكت يا بن عباس، فوالله لتأتين فى هذين اليومين من الكوفة ستة آلاف و ستمائة رجل، و لتغلب أهل البصره و ليقتلن طلحه و الزبير. قال ابن عباس: فوالله إنى أستشرف الأخبار و أستقبلها، حتى إذا أتى ركب فاستقبلته و استخبرته فأخبرنى بالعهده التى سمعتها منه عليه السلام لم ينقص واحد (٤).

و إنما كان الزبير و عايشه أخبرهما النبى صلى الله عليه و آله و سلم من أمر الجمل، و أنهم من أهل البغى و أهل الفتنة، و من الفئة الباغية، فلما اتفق لهم ما اتفق، و رأوا

ص: ٣٧٦

[١- ١] الإمامه و السياسه ٥٣: ١-٥٤. [١]

[٢- ٢] شرح ابن أبى الحديد ٣٧: ٩. [٢]

[٣- ٣] الحجرات: ٩. [٣]

[٤- ٤] الجمل للمفيد: ٢٩٣، [٤] تاريخ الطبرى ٥٠٠: ٤، سنه ٣٦، شرح ابن أبى الحديد ١٨٧: ٢.

العلامات فيهم من قول النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ لعائشه «تنبحك كلاب الحوَّاب» وقوله عليه السَّلَام للزبير: «تقاتل عليا و أنت له ظالم» فهموا أنهم المرادون.

ففي (الخلفاء): لَمَّا انتهوا إلى ماء الحوَّاب في الطريق و معهم عائشه نبحتها كلاب الحوَّاب، فقالت لمحمد بن طلحه: أي ماء هذا؟ قال: ماء الحوَّاب، قالت: ما أراني إلا راجعه. قال: ولم؟ قالت: قال النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ لنسائه: «كأنى بإحداكن تنبجها كلاب الحوَّاب». فقال لها محمد: تقدمي و دعي هذا القول... (١).

و في (العقد): عن شريك عن الأسود بن قيس قال: حدَّثني من رأى الزبير يوم الجمل يقعص الخيل بالرمح قعصا، فنوّه به على عليه السَّلَام: أتذكر يوما أتانا النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ و أنا أناجيك، فقال: «أتناجيه، و الله ليقاتلنك و هو ظالم لك»؟ فصرف الزبير وجه دابته و انصرف (٢).

«فيها الحما و الحمه» الظاهر أنّ الحمه: إشاره بعائشه، و الحما: بطلحه ابن عمّ أبيها - فأبو بكر ابن أبي قحافه بن عامر بن عمرو، و طلحه ابن عبيد الله بن عثمان بن عمرو - و بالزبير زوج اختها أسماء، قال ابن دريد: الحما: مصدر حامى عنه، يقال: أنا الحما لك و الفداء. و هما كانا حاميا عنها و بها نهضا (٣).

قال ابن أبي الحديد: قد كان النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ أعلم عليا عليه السَّلَام بأنّ فئه من المسلمين تبغى عليه أيام خلافته، فيها بعض زوجاته و بعض أحمائه، فكنتى على عليه السَّلَام عن الزوجه بالحمه، و هى اسم العقرب، و الحما بالألف المقصوره كناية عن الزبير لأنّ كلّ ما كان بسبب الرجل فهم الاحماء، و احدهم حما، مثل:

قفا و اقفاء، و ما كان بسبب المرأه فهم الاحمات، فأما الأصهار فيجمع الجهتين،

ص: ٣٧٧

١-١ (١) الإمامه و السياسه ٦٣: ١. [١]

٢-٢ (٢) العقد الفريد ٧١: ٥. [٢]

٣-٣ (٣) جمهره اللغه ١٠٥٢: ٢، [٣] ماده: (حما).

و كان الزبير ابن عمّه النبي صَلَّى الله عليه و آله و سلّم، و ظهر أنّ الحما الذي أخبر النبي صَلَّى الله عليه و آله و سلّم هو الزبير ابن عمّته (١).

قلت: قوله: «و بعض أحمائه» لا- معنى له لأنّه لم يقل أحد إن الأحماء بمعنى مطلق الأقرباء، حتى يكون المعنى بعض أقربائه صَلَّى الله عليه و آله و سلّم، و هو الزبير ابن عمّته، و إنّما الاحماء أقرباء زوج المرأة، فعن عايشه: ما كان بيني و بين علي عليه السّلام إلّا ما كان بين المرأة و أحمائها.

و قال امرؤ القيس:

إذا ما عدّ أربعه فسال فزوجك خامس و حماك سادى (٢)

و معنى فسال: ضعاف، و معنى سادى: سادس.

و قال آخر:

هى ما كنتى و تزعم أنّى لها حمو (٣)

و الكنه: امرأه الابن.

و قال آخر:

قلت لبوّاب لدى دارها تنذّن فأنّى حموها و جارها (٤)

و أمّا قول ابن دريد فى الحمو: «حمو الرجل: أبو امرأته أو أخوها أو عمّها» (٥)، و نقل البيهقي الأولين، فوهم أو تصحيف، لأن البيهقي يدلّان على خلاف قوله، و لأنّه قال بعد فى (حمى): أحماء المرأة أهل زوجها (٦). كما أنّ قول

ص: ٣٧٨

١- ١) شرح ابن أبى الحديد ٩: ٣٤. [١]

٢- ٢) جمهره اللغه لابن دريد ٥٧٣: ١، [٢] مادة: (حمو).

٣- ٣) المصدر نفسه. [٣]

٤- ٤) الصحاح للجوهري ٢٣١٩: ٦، [٤] مادة: (حمى).

٥- ٥) جمهره اللغه ٥٧٣: ١، [٥] مادة: (حمو).

٦- ٦) جمهره اللغه ١٠٥٢: ٢، [٦] مادة: (حما).

ابن أبي الحديد: «و ما كان بسبب المرأة فهم الاحمات» (١) أيضا بلا- معنى، وإنما حماء المرأة أم زوجها، و كأنه أراد أن يقول: «فهم الاختان»، فقال: الاحمات.

قال الجوهري: كل شيء من قبل الزوج مثل الأب و الأخ فهم الاحماء، و كل شيء من قبل المرأة فهم الاختان، و الصهر يجمع هذا كله (٢).

و كيف كان، فروى ابن بابويه باسناده عن عبد الرزاق عن مينا مولى عبد الرحمن بن عوف عن ابن مسعود قال: قلت للنبي صلى الله عليه و آله و سلم: من يغسلك إذا مت؟ قال: يغسل كل نبي و صيئه. قلت: من وصييك؟ قال صلى الله عليه و آله و سلم: علي بن أبي طالب. قلت:

كم يعيش بعدك؟ قال: ثلاثين سنة، فإن يوشع و صي موسى عليه السلام عاش بعده ثلاثين سنة، و خرجت عليه صفراء بنت شعيب زوجة موسى فقالت: أنا أحق بالأمر منك. فقاتلها و قتل مقاتلتها و أسرها فأحسن أسرها، و إن بنت أبي بكر ستخرج علي علي عليه السلام في كذا و كذا ألفا من أمتي فيقاتلها و يقتل مقاتلتها و يأسرها فيحسن أسرها، و فيها أنزل تعالى: «و قَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَ لَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَى» (٣) يعني بالجاهلية الاولى: صفراء بنت شعيب (٤).

و عن الحميدى فى (الجمع بين الصحيحين): عن ابن عمر: قام النبي صلى الله عليه و آله و سلم خطيبا فأشار إلى نحو مسكن عايشه و قال: ها هنا الفتنة- ثلاثا- منه يطلع قرن الشيطان.

قلت: و الظاهر أن النبي صلى الله عليه و آله و سلم قال ثلاث مرات: ها هنا الفتنة. لأنها كانت منشأ الفتنة قبل الجمل أيضا، يوم بعث أباهما يصلى بالناس فى مرض النبي صلى الله عليه و آله و سلم، فجعله رفيقه الفاروق شبهه لاستخلافه، و بعد الجمل فى منعها من

ص: ٣٧٩

١- ١) شرح ابن أبي الحديد ٩: ٣٤. [١]

٢- ٢) الصحاح ٦: ٢٣١٩، [٢] مادة: (حمى).

٣- ٣) الأحزاب: ٣٣. [٣]

٤- ٤) كمال الدين ١: ٢٧. [٤]

دفن الحسن عليه السلام عند جدّه (١).

و روى الواقدي - كما في (جمل المفيد) -: أنّ أبا بكره أقبل يريد أن يدخل مع طلحه و الزبير، فلما رأى تدبير عايشه لهما رجع عنهما و قال: سمعت النبي صلى الله عليه و آله و سلم يقول: -و قد ذكر ملكه سباً- لا أفلح قوم تدبرهم امرأه (٢).

«و الشبهه المغدقه» أي: الوسيعة الغزيره .

«و إنّ الأمر لواضح و قد زاح» من زاح يزيح أي: بعد و ذهب.

«الباطل عن نصابه» أي: أصله .

«و انقطع لسانه عن شغبه» أي: تهيبجه للشر، في (جمل المفيد): لما سار عليه السلام من ذي قار قدّم صعصعه بكتاب إلى طلحه و الزبير و عايشه يعظّم عليهم حرمة الاسلام، و يخوفهم في ما صنعوا من قتل من قتلوا و يدعوهم إلى الطاعة، قال صعصعه: فبدأت بطلحه و أعطيته الكتاب، فقال: الآن حين عض ابن أبي طالب الحرب ترقق لنا. ثم جئت إلى الزبير فوجدته ألين من طلحه، ثم جئت إلى عايشه فوجدتها أسرع الناس إلى الشرّ، فقالت: نعم قد خرجت للطلب بدم عثمان و الله لأفعلن و أفعلن. فعدت فلقيته عليه السلام قبل أن يدخل البصره فقال لي: ما وراءك؟ قلت: رأيت قوما لا يريدون إلا قتالك. قال: الله المستعان.

ثم دعا ابن عباس و قال له: انطلق إليهم و ذكّرهم العهد الذي في رقابهم.

قال: فبدأت بطلحه فقال: لقد بايعت و اللج على رقبتي. قال: فقلت: أنا رأيتك بايعت طائعا، أو لم يقل لك قبل بيعتك إن أحببت أبايعك؟ فقلت: لا بل نحن نبايعك. فقال: إنّما قال ذلك لي و قد بايعه قوم فلم أستطع خلافهم، أما علمت أنّي جئت إليه و الزبير و لنا من الصحبه ما لنا و القدم في الإسلام، و قد أحاط به

ص: ٣٨٠

١- ١) صحيح البخارى ٨:٩٥، صحيح مسلم ٨:١٨١.

٢- ٢) الجمل للمفيد: ٢٩٧، و [١] قريب منه ما في تلخيص الشافى ٤:١٦٤، و شرح ابن أبى الحديد ٦:٢٢٧.

الناس قياما على رأسه بالسيف فقال لنا-يهزل- إن أحببنا بايعت لكما. فلو قلنا: نعم، أفتراه يفعل و قد بايع الناس له، يخلع نفسه و يبايعنا، لا- و الله ما كان يفعل و حتى ان يغرى بنا من لا- يرى لنا حرمه فبايعناه كارهين، و قد جئنا نطلب بدم عثمان، فقل لابن عمك: إن يريد حقن الدماء و إصلاح أمر الامه فليمكنا من قتله عثمان، فهم معه، و يخلع نفسه و يرد الأمر ليكون شوري، و إن أبي أعطيناها السيف. قال: فقلت له: لست تنصف، ألم تعلم أنك حصرت عثمان حتى مكث عشره أيام يشرب ماء بثره، حتى كلمك على عليه السلام في أن تخلي الماء له و أنت تأبى ذلك، و لما رأى أهل مصر فعلك و أنت من الصحابه، دخلوا عليه بسلاحهم فقتلوه؟ ثم بايع الناس رجلا له من السابقه و الفضل و القرابه من النبي صلى الله عليه و آله و سلم و البلاء العظيم ما لا يدفع، و جئت أنت و صاحبك طائعين غير مكرهين حتى بايعتما ثم نكثتما، فعجب و الله إقرارك لأبي بكر و عمر و عثمان بالبيعه، و وثبك على علي عليه السلام، فو الله ما على عليه السلام دون أحد منكم، و أميا قولك: يمكنني من قتله عثمان. فما يخفى عليك من قتل عثمان؟ و أمأ قولك: إن أبي علي فالسيف. فو الله إنك لتعلم أن عليا عليه السلام لا يتخوف. فقال طلحه: دعنا من جدالك. فخرجت إلى علي عليه السلام و قد دخل البيوت، فقال: ما وراءك؟ فأخبرته، فقال: ... اللهم «افتح بيننا و بين قومنا» «و أنت خير الفاتحين» (١).

قوله عليه السلام في الثالث: «و ايم الله لأفرطن» من (أفرطت المزاده ملاتها).

«لهم حوضا» قال العماني:

و ابن السقاء إذا الحجيج تفرطوا حوضا بمكه واسع الأركان

«أنا ماتحه» أي: مستقيه، و الماتح: الذي ينزع الدلو، و بئر متوح: قريبه

ص: ٣٨١

(١-١) الجمل للمفيد: ٣١٤-٣١٦، و [١] نقله الشارح بتصريف، و الآيه ٨٩ من سوره الأعراف. [٢]

المنزِع كأنها تمتح بنفسها.

«لا- يصدرون عنه و لا- يعودون إليه» وقوله عليه السّلام في الثاني. «و أيم الله لأفرطن حوضا أنا ماتحه لا- يصدرون برى» في (الصّحاح): يقال: من أين ريتكم مفتوحه الرءاء أى: من أين ترتوون الماء (1)؟ «و لا يعبّون» العب: شرب الماء بغير مص.

«بعده في حسى» بالكسر، قال الجوهري: الحسى: ما تنشفه الأرض من الرمل فإذا صار إلى صلابه امسكته، فيحفر عنه الرمل فيستخرج (2).

في (العقد): كان عدى بن حاتم فقئت عينه يوم الجمل فقال له ابن الزبير:

متى فقئت عينك؟ قال: يوم قتل أبوك و هربت عن خالتك، و أنا للحق ناصر و أنت له خاذل (3).

و روى الجاحظ: أنّ الحسن عليه السّلام دخل على معاوية و عنده ابن الزبير، و كان معاوية يحب أن يغرى بين قريش، فقال: يا أبا محمّد أيهما أكبر سنّا علىّ عليه السّلام أم الزبير؟ فقال عليه السّلام: ما أقرب بينهما و علىّ عليه السّلام أسنّ من الزبير رحم الله عليا. فقال ابن الزبير: رحم الله الزبير- و هناك أبو سعيد بن عقيل- فقال: يا عبد الله و ما يهيجك من أن يترحم الرجل على أبيه؟ قال: و أنا أيضا ترحمت على أبي. قال: أ تظنّه ندا له و كفوا؟ قال: و ما يقعد به من ذلك، كلاهما من قريش، كلاهما دعا إلى نفسه و لم يتم له. قال: دع ذا يا عبد الله إنّ عليّا عليه السّلام من قريش و من الرسول صلّى الله عليه و آله و سلّم حيث تعلم، و لّمّا دعا إلى نفسه اتبع فيه و كان رأسا. و دعا الزبير إلى أمر كان الرأس فيه امرأه، و لما تراءت الفئتان نكص على عقبيه

ص: ٣٨٢

١- ١) الصّحاح ٢٣٦٤: ٦، [١] مادة: (روى).

٢- ٢) الصّحاح ٢٣١٣: ٦، [٢] مادة: (حسا).

٣- ٣) العقد الفريد ١٢٠: ٤. [٣]

و ولي مدبرا قبل أن يظهر الحقّ فأخذه الحق، أو يدحض الباطل فيتركه، فأدرکه رجل لو قيس ببعض أعضائه لكان أصغر، فضرب عنقه و أخذ سلبه و جاء برأسه، و مضى على عليه السّلام قدما كعادته مع ابن عمه الرسول صلّى الله عليه و آله و سلّم رحم الله عليا. فقال ابن الزبير: أما لو غيرك يا أبا سعيد تكلم بهذا لعلم، فقال: إنّ الذي تعرض به -يعنى الحسن عليه السّلام- يرغب عنك.

و اخبرت عايشه بمقالتهم، و مر أبو سعيد بفنائها، فنادته: أنت القائل لابن اختي كذا؟ فالتفت أبو سعيد فلم ير شيئا، فقال: إنّ الشيطان يراك و لا تراه. فضحكت و قالت: لله أبوك ما أدلق لسانك (١).

و روى كتاب مصعب إلى عبد الملك و جواب عبد الملك له، و في جوابه: ثم دعا الناس إلى على و بايعه أبوك، فلما دانت له امور الامّة، و أجمعت له الكلمه أدركه الحسد القديم لبني عبد مناف، فنقض عهده و نكث بيعته بعد توكيدها، ففكر و قدر و قتل كيف قدر، و مزّقت لحمه السباع بوادي الضباع (٢).

و في (الطبرى) عن ابن عباس قال: خرج أصحاب الجمل فى ستمائه معهم عبد الرحمن بن أبى بكره و عبد الله بن صفوان الجمحى، فلما جازوا بئر ميمون إذا هم بجزور قد نحرت، و نحرها ينثعب فتطروا (٣).

و فى (خلفاء ابن قتيبه): أنّ عليا عليه السّلام دعا طلحه و الزبير و أتمّ عليهما الحجّه، ثم سئل عليه السّلام بم كلمتهما؟ فقال عليه السّلام: إنّ شأنهما لمختلف، أمّا الزبير فزاده اللجاج و لن يقاتلكم، و أمّا طلحه فسألته عن الحق فأجابنى بالباطل، و لقيته باليقين فلقينى بالشك، فو الله ما نفعه حقى و لا ضرّنى باطله، مقتول غدا

ص: ٣٨٣

١-١) نقله ابن أبى الحديد فى شرح نهج البلاغه ١٩: ١١-٢٠. [١]

٢-٢) نقله ابن أبى الحديد فى شرح نهج البلاغه ١٨: ١١-١٩، و [٢] نقله الشارح بتلخيص.

٣-٣) تاريخ الطبرى ٤: ٤٥٤، سنه ٣٦. [٣]

و روى أبو مخنف عن جنذب بن عبد اللّله قال: مررت بطلحه و معه عصابه يقاتل بهم، و قد فشت فىهم الجراح و كثرهم الناس، فرأفته جريحا و السيف فى يده و أصحابه يتصدعون عنه رجلا فرجلا و اثنين فائنين، و هو يقول: الصبر الصبر فإن بعد الصبر النصر و الأجر. فقلت له: النجا ثكلتك أمك، فو اللّله ما اجرت و لا نصرت، و لكنك هزمت و خسرت. ثم صحت بأصحابه فانزعروا عنه - إلى أن قال - : قلت له: و إن دمك لحلال... (٢).

و روى المدائنى قال: لئما أدبر طلحه و هو جريح يرتاد منزلا، و جعل يقول لمن يمرّ به من أصحاب على عليه السّلام: أنا طلحه من يجيرنى - يكررها - .

فكان الحسن البصرى إذا ذكر ذلك قال: لقد كان فى جوار عريض (٣).

و روى الكلبي: أن العرق الذى أصابه السهم من طلحه إذا أمسكه بيده استمسك، و إذا رفع يده عنه سال، فقال طلحه: هذا سهم أرسله اللّله، و كان أمر اللّله قدرا مقدورا، ما رأيت كالיום دم قرشى أضيع. و كان الحسن البصرى إذا حكى له هذا يقول: ذق عقق (٤).

هذا و فى (الأغانى): نهض النبى صلّى اللّله عليه و آله و سلّم فى بدر بإشاره الحباب بن منذر عليه بأن يأتى أدنى ماء من مياه القوم ينزله و يعوّر (٥) ما سواه من القلب، ثم بينى عليه حوضا فيملؤه ماء، ثم يقاتلهم فيشرب و لا يشربون - و فعل النبى صلّى اللّله عليه و آله و سلّم ما قال - فأقبل نفر من قريش حتى وردوا الحوض - إلى أن قال - :

ص: ٣٨٤

١ - ١) الإمامه و السياسه ٧١: ١-٧٢، و [١] نقله الشارح بتصرّف و تلخيص.

٢ - ٢) أورده ابن أبى الحديد فى شرح نهج البلاغه ١١٤: ٩-١١٥. [٢]

٣ - ٣) المصدر نفسه ١١٥: ٩. [٣]

٤ - ٤) المصدر نفسه ١١٤: ٩. [٤]

٥ - ٥) عوّر عين الركيه إذا كبسها و أفسدها حتى نضب الماء. (أساس البلاغه: ٣١٦، ماده: عور).

و خرج الأسود بن عبد الأسد المخزومي حين الحرب، فقال: أعاهد الله لأشربن من حوضهم أو لأهدمنه أو لأموتنّ دونه.

فلما خرج خرج له حمزه (١) فلما التقيا ضربه حمزه فأبان قدمه بنصف ساقه و هو دون الحوض، فوقع على ظهره، تشخب (٢) رجله دماً، ثم حبا إلى الحوض حتى اقتحم فيه - يريد أن يبرّ يمينه، و أتبعه حمزه فضربه حتى قتله في الحوض (٣).

١٦

الكتاب (٥٥)

و من كتاب له عليه السلام إلى معاوية:

أَمَا بَعْدُ فَإِنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ قَدْ جَعَلَ الدُّنْيَا لِمَا بَعْدَهَا - وَ ابْتَلَى فِيهَا أَهْلَهَا لِيَعْلَمَ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا - وَ لَسْنَا لِلدُّنْيَا خُلُقْنَا وَ لَا بِالسَّعْيِ فِيهَا أَمْرًا - وَ إِنَّمَا وَضِعْنَا فِيهَا لِنُبْتَلَى بِهَا - وَ قَدْ ابْتَلَانِي اللَّهُ بِكَ وَ ابْتَلَاكَ بِي - فَجَعَلَ أَحَدَنَا حُجَّةً عَلَى الْآخَرِ - فَعِيدُوا عَلَيَّ الدُّنْيَا بِتَأْوِيلٍ؟ الْقُرْآنُ؟ - فَطَلَبْتَنِي بِمَا لَمْ تَجْنِ يَدِي وَ لَا لِسَانِي - وَ عَصَيْتَهُ أَنْتَ وَ أَهْلُ الشَّامِ؟ بِي - وَ أَلَبَّ عَالِمُكُمْ جَاهِلُكُمْ وَ قَائِمُكُمْ قَاعِدُكُمْ - فَاتَّقِ اللَّهَ فِي نَفْسِكَ وَ نَارِ الشَّيْطَانِ قِيَادَكَ - وَ اضِرْفِ إِلَى الْآخِرَةِ وَ جَهَنَّمَ - فَهِيَ طَرِيقُنَا وَ طَرِيقُكَ - وَ اخِذْ أَنْ يُصِيبَكَ اللَّهُ مِنْهُ بِعَاجِلٍ قَارِعِهِ - تَمَسُّ الْأَضْلَ وَ تَقَطُّعُ الدَّابِرَ - فَإِنِّي أُولَى لَكَ بِاللَّهِ إِلَيْهِ غَيْرَ فَاجِرِهِ - لَئِنْ جَمَعْتَنِي وَ إِيَّاكَ جَوَامِعَ الْأَقْدَارِ لَا أَزَالُ بِبَاحْتِكَ - «حَتَّى يَحْكُمَ»

ص: ٣٨٥

١- ١) هو حمزه بن عبد المطلب.

٢- ٢) شخب المائع: درّ و سال. المصباح المنير ١: ٣٦٩، مادة: (شخب).

٣- ٣) الأغاني ١٨٣: ٤-١٨٩، [١] سيره ابن هشام ٢: ٢٧٢-٢٧٧، [٢] بتصرف و تلخيص من الشارح.

«اللَّهُ بَيْنَنَا وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ» «أَمَا بَعْدَ فَإِنَّ اللَّهَ سَبْحَانَهُ قَدْ جَعَلَ» هكذا في (المصريه) (١)، و الصواب:

(جعل) كما في (ابن أبي الحديد و ابن ميثم و الخطيه) (٢)، إلا أنّ المصريه جعلت (قد) بين قوسين، و هو دأبها فيما تأخذه من (شرح ابن أبي الحديد) و ليس فيه، و لعل نسختها كانت مشتمله عليه.

«الدنيا لما بعدها» لأنّها مزرعتها و متزودتها.

«و ابتلى فيها أهلها ليعلم أيهم أحسن عملاً» «الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَ الْحَيَاةَ لِيُبْلُوَكُمْ أَتَيْكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا» (٣).

«و لسنا للدنيا خلقنا و لا بالسعى فيها» أي: لها.

«امرنا» بل بالسعى للآخرة «وَ ابْتَغِ فِيهَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَ لَا تَنْسَ نَصِيكَ مِنَ الدُّنْيَا» (٤).

«و قد ابتلاني الله بك» هكذا في (المصريه) (٥)، و الصواب: (و قد ابتلاني بك) كما في (ابن أبي الحديد و ابن ميثم و الخطيه) (٦)، و الضمير راجع إلى الله في قوله: «فإن الله».

«و ابتلاك بي» كابتلاء موسى بفرعون و فرعون بموسى و محمّد صلّى الله عليه و آله و سلّم بأبي جهل و أبي جهل بمحمّد صلّى الله عليه و آله و سلّم.

«فجعل أحدنا حجّج على الآخر» كون المعصوم حجّج على الناس يجب عليهم

ص: ٣٨٦

١- ١) نهج البلاغه ١٢٣: ٣. [١]

٢- ٢) شرح ابن أبي الحديد ١٧: ١٣٥، شرح ابن ميثم ٥: ١٩٠.

٣- ٣) الملك: ٢. [٢]

٤- ٤) القصص: ٧٧. [٣]

٥- ٥) نهج البلاغه ١٢٣: ٣. [٤]

٦- ٦) في شرح ابن أبي الحديد ١٧: ١٣٥ و [٥] شرح ابن ميثم ٥: ١٩٠: «و [٦] قد ابتلاني الله بك أيضا».

اتباعه معلوم، و أما كون غيره حجه عليه فبمعنى أنه إن سكت عن عطفه إلى الحق و كفه عن الباطل يكن مؤاخذا عند الله.

روى الكشي في أبي الخطاب عن مصادف قال: دخلت على أبي عبد الله عليه السلام لما لبى القوم الذين لبوا بالكوفه له عليه السلام، فأخبرته بذلك فخر ساجدا و دق جؤجؤه بالأرض و بكى و يقول: بل عبدقن صاغر-مرارا كثيره-ثم رفع رأسه و دموعه تسيل على لحيته، فقلت: جعلت فداك و ما عليك أنت من ذا؟ فقال: يا مصادف إن عيسى عليه السلام لو سكت عميا قالت النصراني فيه، لكان حقا على الله أن يصم سمعه و يعمي بصره، و لو سكت عمما قال في أبو الخطاب لكان حقا على الله أن يصم سمعي و يعمي بصري (١).

«فعدوت على الدنيا» هكذا في (المصريه) (٢)، و الصواب: (على طلب الدنيا) كما في (ابن أبي الحديد و ابن ميثم و الخطيبه) (٣)، قال ابن أبي الحديد:

«عدوت» بمعنى: تعديت و ظلمت. و «على الدنيا»: متعلق بمحذوف، أي:

مثابرا على طلب الدنيا (٤).

قلت: بل الظاهر أن «عدوت» هنا من قولهم (ذئب عدوان)، أي: يعدو على الناس فلا يحتاج إلى تقدير.

«بتأويل القرآن» قال ابن أبي الحديد: أراد عليه السلام به ما كان يمؤه به معاويه على أهل الشام بأنه ولي عثمان، و قال تعالى: «وَ مَنْ قَتَلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لَوِئْهِ سُلْطَانًا» (٥)، ثم يعدهم الظفر على العراق بقوله تعالى:

ص: ٣٨٧

١- ١) اختيار معرفه الرجال [١] (رجال الكشي) ٥٨٧:٢-٥٨٨ ح ٥٣١. [٢]

٢- ٢) نهج البلاغه ٣:١٢٣. [٣]

٣- ٣) هكذا في شرح ابن أبي الحديد ١٧:١٣٥، و [٤] لكن في شرح ابن ميثم المطبوع ١٩٠:٥ «على الدنيا» أيضا.

٤- ٤) شرح ابن أبي الحديد ١٧:١٣٦. [٥]

٥- ٥) الإسراء: ٣٣. [٦]

«فَلَا يُسْرِفُ فِي الْقَتْلِ إِنَّهُ كَانَ مَنْصُورًا» (١).

قلت: ومع ذلك أشار عليه السّلام إلى قوله تعالى: «فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ» (٢).

و في (صفين نصر): أنّ عمّارا قام بصفين فقال: امضوا عباد الله إلى قوم يطلبون في ما يزعمون بدم الظالم لنفسه، الحاكم على عباد الله بغير ما في كتاب الله، إنّما قتله الصالحون المنكرون للعدوان، الأمر بالإحسان، فقال هؤلاء الذين لا يباليون إذا سلمت لهم دنياهم لو درس هذا الدين: لم قتلتموه؟ فقلنا: لأحدائه. فقالوا: ما أحدث شيئا، وذلك لأنّه مكّنهم من الدنيا، فهم يأكلونها و يرعونها و لا يباليون لو انهدت عليهم الجبال، و الله ما أظنهم يطلبون الله، إنّهم ليعلمون إنّهم لظالم، و لكن القوم ذاقوا الدنيا فاستحبوها و استمروها، و علموا لو أنّ الحق لزمهم لحال بينهم و بين ما يرعون فيه منها، و لم يكن للقوم سابقه في الإسلام يستحقون بها الطاعة و الولايه، فخدعوا أتباعهم بأن قالوا: قتل إمامنا مظلوما، ليكونوا بذلك جبابره و ملوكا، و تلك مكيده قد بلغوا بها ما ترون، و لو لا هي ما بايعهم من الناس رجالان (٣).

«فطلبتنى بما لم تجن» بكسر النون، من (جنى يجنى) من الجنايه.

«يدى» بمباشره لقتل.

«و لا لسانى» بالأمر لآخر بالقتل، و معلوم أنّه عليه السّلام لم يباشره، و لا أمر به كما فعل طلحه و الزبير، بل جلس فى بيته و اعتزل الناس. و لما خدع معاويه

ص: ٣٨٨

١- ١) شرح ابن أبى الحديد ١٣٦: ١٧، و الآيه ٣٣ [١] من سوره الاسراء.

٢- ٢) آل عمران: ٧. [٢]

٣- ٣) وقعه صفين: ٣١٩. [٣]

شرحيبيل و هتيا له رجالا يشهدون عنده أن عليا عليه السلام قتل عثمان، كتب جرير إلى شرحيبيل أبياتا منها:

و قال ابن هند في عليّ عضيّه و لله في صدر ابن أبي طالب أجل

و ما لعلّي في ابن عفّان سقطه بأمر و لا جلب عليه و لا قتل

و ما كان إلّا لازما قعر بيته إلى أن أتى عثمان في بيته الأجل

فمن قال قولاً غير هذا فحسبه من الزور و البهتان قول الذي احتمل

وصيّ رسول الله من دون أهله و فارسه الأولى به يضرب المثل (١)

«و عصبته» أي: شدّدته.

«أنت و أهل الشام بي» في (صفيين نصر): بعث معاويه إلى عمرو بن العاص و قال له: إنّي أدعوك إلى جهاد هذا الرجل الذي قتل الخليفة، و أظهر الفتنة و فرق الجماعه و قطع الرحم. قال عمرو: إلى جهاد من؟ قال: إلى جهاد عليّ.

فقال عمرو: و الله يا معاويه ما أنت و عليّ بعكمي بعير (٢)، مالك هجرته و لا- سابقته و لا- صحبته و لا جهاده و لا فقهه و لا علمه، و لكن لك مع ذلك جدّاً و جدوداً و حظّاً و حظوه، فما تجعل لى إن شايعتك عليّ حربته، و أنت تعلم ما فيه من الغرر و الخطر؟ قال: حكمك. قال: مصر طعمه- إلى أن قال:- فقال له عمرو إنّ رأس أهل الشام شرحيبيل بن السمط الكندي، و هو عدوّ جرير الذي أرسله عليّ إليك، فأرسل إليه و وطن له ثقاتك، فليفشوا في الناس أنّ عليّاً قتل عثمان، و ليكونوا أهل الرضا عند شرحيبيل، فإنّها كلمه جامع له لك أهل الشام عليّ ما تحب، و أن تعلق بقلبه لم يخرجه شيء أبداً.

ص: ٣٨٩

١- ١) وقعه صفيين: ٤٦-٤٩. [١]

٢- ٢) العكمان: عدلان يشدان عليّ جانبي اليهودج بثوب، و من أمثالهم قولهم: هما كعكمي البعير. يقال: للرجلين يتساويان في الشرف. لسان العرب ٩: ٣٤٤، [٢] مادة: (عكم).

فكتب معاوية الى شرحبيل: أنّ جريرا قدم علينا من عند عليّ بأمر فطيع فاقدم. و دعا يزيد بن أسد و بسر بن أرطاه و عمر بن سفيان و مخارق بن الحرث و حمزه بن مالك و حابس بن سعد- و هم رؤساء قحطان و اليمن، و كانوا ثقات معاوية و خاصته و بني عمّ شرحبيل- فأمرهم أن يلقوه و يخبروه أنّ عليا قتل عثمان، فلما قدم قال له معاوية: إنّ جريرا يدعوننا إلى بيعه عليّ، و عليّ خير الناس لولا- أنّه قتل عثمان و حبست نفسي عليك، و إنّما أنا رجل من أهل الشام، أَرْضَى ما رضوا و أكره ما كرهوا. فقال شرحبيل: أنا أخرج فانظر. فخرج فلقية هؤلاء النفر الموطئون له، فكلّهم يخبره أنّ عليا قتل عثمان. فخرج مغضبا إلى معاوية، فقال: يا معاوية أباي الناس إلّا- أنّ عليا قتل عثمان. و الله لئن بايعت له لنخرجنك من الشام أو لنقتلنك. قال معاوية: ما كنت لاخالف عليكم، إن أنا إلّا رجل من أهل الشام. قال: فاردد هذا الرجل إلى صاحبه. فعرف معاوية أنّ شرحبيل قد نفذت بصيرته في حرب أهل العراق، و أنّ الشام كله مع شرحبيل (١).

«و ألب» و التآليب: التحريض.

«عالمكم جاهلكم و قائمكم قاعدكم» في (صفيين نصر): بعث معاوية الى شرحبيل: إنه قد كان من إجابتك الحق و قبله عنك صلحاء الناس ما علمت، و أن هذا الأمر لا يتم إلّا برضاء العامه، فسر في مدائن الشام و ناد فيهم: بأنّ عليا قتل عثمان، و أنّه يجب على المسلمين أن يطلبوا بدمه. فسار فبدأ بأهل حمص، فقام خطيبا- و كان مأمونا في أهل الشام ناسكا متألّها- فقال: أيها الناس إنّ عليا قتل عثمان، و قد غضب له قوم فقتلهم عليّ و هزم الجميع و غلب على الأرض، فلم يبق إلّا- الشام، و هو واضع سيفه على عاتقه، ثم

ص: ٣٩٠

(١- ١) وقعه صفيين: ٣٧-٤٧، و [١] نقله الشارح بتصرّف و تلخيص.

خائض به غمار الموت حتى يفنيكم أو يحدث الله له أمرا، ولا نجد أحدا أقوى على قتاله من معاويه، فجدوا فأجابته الناس الانساک من حمص.

و جعل يستنهض مدائن الشام حتى استفرغها، لا يأتي قوم إلا قبلوا ما أتاهم به (١).

«فاتق الله في نفسك و نازع الشيطان قيادك» و لا تدعه يقودك حيث شاء و(القياد): حبل يقاد به الدابه.

«و اصرف الى الآخره وجهك فهي طريقنا و طريقك» «إِنَّكَ مَيِّتٌ وَ إِنَّهُمْ مَيِّتُونَ ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عِنْدَ رَبِّكُمْ تَخْتَصِمُونَ» (٢).

«و احذر أن يصيبك الله منه بعاجل قارعه» أى: شديده.

«تمس» هكذا فى النسخ (٣)، و الظاهر كونه محرف (تحس) أى: تستأصل.

«الأصل» قال ابن أبى الحديد: «تمس الأصل» أى: تقطعه. و منه ماء مسوس، أى: يقطع الغله (٤).

قلت: لم يقل أحد: إن المس يجيء بمعنى القطع، و أمّا الماء المسوس فقال الجوهري: هو الذى بين العذب و الملح قال الشاعر:

لو كنت ماء كنت لا عذب المذاق و لا مسوسا (٥)

«و تقطع الدابر» أى: الآخر و الباقي، و قطع دابر أمر معاويه بأخذ الله تعالى لابنه يزيد أخذ عزيز مقتدر.

«فإنى اولى» من الايلاء، أى: اقسم.

ص: ٣٩١

١- ١) المصدر نفسه: ٥٠-٥١. [١]

٢- ٢) الزمر: ٣٠-٣١. [٢]

٣- ٣) نهج البلاغه ١٢٤: ٣، [٣] شرح ابن أبى الحديد ١٣٥: ١٧، [٤] شرح ابن ميثم ١٩٠: ٥. [٥]

٤- ٤) شرح ابن أبى الحديد ١٣٧: ١٧. [٦]

٥- ٥) الشاعر هو ذو الإصبع العدواني، و البيت فى الصحاح ٩٧٩: ٣-٩٧٨، [٧] ماده: (مسس).

«لك بالله أليه» أى:قسما،قال الشاعر:

قليل الأليا حافظ ليمينه و إن سبقت منه الأليه برت (١)

و الأليا:جمع الأليه.

«غير فاجره» أى:كاذبه،قال الجوهري:فجر أى:كذب،و أصله الميل،قال الشاعر (٢):و إن أّخرت فالكفل فاجر.

أى:مقعد الرديف مائل (٣).

«لئن جمعتنى و إياك جوامع الأقدار لا أزال» أى:دائما.

«بباحتك» أى:ساحتك،و فى (ابن ميثم) (٤)(ساحتك).

«حتى يحكم الله بيننا و هو خير الحاكمين» و لَمّا قال معاويه لجريز:اكتب الى صاحبك يجعل لى الشام و مصر جبايه،و اكتب إليه بالخلافه،كتب إليه الوليد بن عقبه:

و إنّ كتابا يا بن حرب كتبتة على طمع يزجى إليك الدواھيا

سألت عليا فيه ما لن تناله و لو نلتة لم تبق إلا لياليا

و سوف ترى منه الذى ليس بعده بقاء فلا تكثر عليك الأمانيا

أمثل على تعتريه بخدعه و قد كان ما جربت من قبل كافيا!؟

و لو نشبت أظفاره فيك مره حداك ابن هند منه ما كنت حازيا (٥)

ص:٣٩٢

١- (١) أورده الجوهري فى الصحاح ٢٢٧١:٦، [١]ماده:(ألا).

٢- (٢) هو لييد يخاطب عمه أبا مالك.

٣- (٣) الصحاح ٧٧٨:٢، [٢]ماده:(فجر).

٤- (٤) فى شرح ابن ميثم المطبوع ١٩٠:٥«بباحتك» أيضا.

٥- (٥) وقعه صفّين:٥٢-٥٣. [٣]

و من كتاب له عليه السلام إلى معاوية:

إِنَّهُ يَا عِنَى الْقَوْمِ الَّذِينَ يَا عُوا؟ أَيَا بَكَرٍ؟ وَ؟ عُمَرَ؟ وَ؟ عُثْمَانَ؟ - عَلَى مَا بَايَعُوهُمْ عَلَيْهِ - فَلَمْ يَكُنْ لِلشَّاهِدِ أَنْ يَخْتَارَ - وَلَا لِلْغَائِبِ أَنْ يَزِدَّ - وَ إِنَّمَا الشُّورَى لِلْمُهَاجِرِينَ وَ الْأَنْصِيَارِ - فَإِنْ اجْتَمَعُوا عَلَى رَجُلٍ وَ سَيَمُوهُ إِمَامًا كَانَ ذَلِكَ لِلَّهِ رِضًا - فَإِنْ خَرَجَ عَنْ أَمْرِهِمْ خَارِجٌ - بَطْعَنٍ أَوْ بَدَعِهِ رُدُّوهُ إِلَى مَا خَرَجَ مِنْهُ - فَإِنْ أَبِي قَاتَلُوهُ عَلَى اتِّبَاعِهِ غَيْرِ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ - وَ وِلَاةَ اللَّهِ مَا تَوَلَّى - وَ لَعَمْرِي يَا مُعَاوِيَةَ؟ لَيْسَ نَظَرْتُ بِعَقْلِكَ دُونَ هَوَاكَ - لَتَجِدُنِي أَبْرَأَ النَّاسِ مِنْ دَمِ عُثْمَانَ؟ - وَ لَتَعْلَمَنَّ أَنِّي كُنْتُ فِي عَزْلِهِ عَنْهُ - إِلَّا أَنْ تَتَجَنَّى فَتَجَنَّنَ مَا يَدَا لَكَ وَ السَّلَامُ أَقُولُ: الذي يفهم من (صفيين نصر بن مزاحم - وقعه صفيين - ص ٢٩ نصر) و (أخبار الدينوري - الأخبار الطوال - ص ١٥٦ و ١٥٧ الدينوري) أن أول ما في المتن إلى قوله: «أبرأ الناس من دم عثمان»، كتابه عليه السلام إلى معاوية مع جرير البجلي في أول الأمر، وقوله عليه السلام بعد: «و لتعلمن أنني كنت في عزله عنه إلا أن تتجنى فتجنى ما بدا لك»، جزء كتابه عليه السلام إليه أخيرا مع أبي مسلم الخولاني (١).

ففي (أخبار الدينوري): فسار جرير إلى معاوية بكتاب على عليه السلام، فقدم عليه فألفاه و عنده وجوه أهل الشام، فناوله كتاب على عليه السلام و قال: هذا كتاب على عليه السلام إليك و إلى أهل الشام، يدعوكم إلى الدخول في طاعته، فقد اجتمع له الحرمان و المصران و الحجازان و اليمن و البحرين و عمان و اليمامة و مصر و فارس و الجبل و خراسان، و لم يبق إلا بلادكم هذه، و إن سال عليها

ص: ٣٩٣

و أدمن من أوديته غرقها.

و فتح معاويه الكتاب فيه: أما بعد، فقد لزمك و من قبلك من المسلمين بيعتى، و أنا بالمدينه و أنتم بالشام لأنه بايعنى الذين بايعوا أبا بكر و عمر و عثمان، فليس للشاهد أن يختار و لا- للغائب أن يرد، و إنما الأمر فى ذلك للمهاجرين و الأنصار، فإذا اجتمعوا على رجل مسلم فسّموه إماما كان ذلك لله رضى، فإن خرج من أمرهم أحد بطعن فيه أو رغبه عنه، رد إلى ما خرج منه، فإن أبى قاتلوه على اتباعه غير سبيل المؤمنين، و ولّاه الله ما تولى و يصله جهنم و ساءت مصيرا، فادخل فيما دخل فيه المهاجرون و الأنصار، فإن أحب الامور إلى فيك و فى من قبلك العافيه، فإن قبلتها و إلا فأذن بحرب. و قد أكثرت فى قتله عثمان، فادخل ما دخل فيه الناس ثم حاكم القوم إلى أحملك و إياهم على كتاب الله، فأما تلك التى تريد فخذعه الصبى عن الرضاع (١).

و مثله (صفين نصر) و زاد بعد «و ساءت مصيرا»: و أنّ طلحه و الزبير بايعانى ثم نقضا بيعتى و كان نقضهما كرتهما، فجاهدتهما على ذلك حتى جاء الحق و ظهر أمر الله و هم كارهون- و زاد فى آخره- و لعمرى لئن نظرت بعقلك دون هواك لتجدنى أبرأ قريش من دم عثمان. و اعلم أنّك من الطلقاء الذين لا تحل لهم الخلافه، و لا تعرض فيهم الشورى (٢). و مثله (خلفاء ابن قتيبه- الإمامه و السياسه- ج ١ ص ٩٣ ابن قتيبه) (٣).

و روى (اخبار الدينورى)- بعد ذكر كتاب معاويه إليه عليه السلام مع أبى مسلم الخولانى- أنّه عليه السلام كتب جوابه معه: أما بعد فإنّ أخا خولان قد قدم على

ص: ٣٩٤

١- ١) الأخبار الطوال: ١٥٦-١٥٧. [١]

٢- ٢) وقعه صفين: ٢٩. [٢]

٣- ٣) الإمامه و السياسه ١: ٩٣. [٣]

بكتاب منك، تذكر فيه قطع رحمة عثمان و تأليبي الناس عليه، و ما فعلت ذلك غير أنه عتب الناس عليه، فمن بين قاتل و خاذل، فجلست في بيتي و اعترلت أمره إلا أن تتجنى، فتجنى ما بدا لك (١).

و رواه (صفيين نصر) مع إضافات (٢).

و في (العقد) في عنوان (أخبار علي و معاوية): و كتب علي عليه السلام إلى معاوية بعد وقعه الجمل: أما بعد، فإن بيعتي بالمدينة لزمتهك و أنت بالشام لأنه بايعني الذين بايعوا أبا بكر و عمر و عثمان علي ما بايعوا عليه، فلم يكن للشاهد أن يختار، و لا للغائب أن يرد- إلى- لتجدني أبرأ قريش من دم عثمان، و اعلم أنك من الطلقاء... إلخ بدون قوله (و لتعلمن...) (٣).

و في (خلفاء القتيبي) في عنوان (كتاب علي عليه السلام إلى معاوية مره ثانيه) أيضا ذكره مثل (العقد) (٤).

«إنه بايعني القوم الذين بايعوا أبا بكر و عمر و عثمان علي ما بايعوهم عليه» قال ابن أبي الحديد: هذا الفصل دال علي كون الاختيار طريقا إلى الإمامه، لأنه احتج ببيعه أهل الحل و العقد لأبي بكر، لأنه لم يبايعه سعد بن عباده و لا أحد من أهل بيته و ولده، و لأن عليا عليه السلام و بني هاشم و من انصوى إليهم لم يبايعوه في مبدأ الأمر، و امتنعوا- و هذا دليل علي صحه الاختيار و كونه طريقا إلى الإمامه- فأما الإماميه فتحمل هذا الكتاب منه عليه السلام علي التقيته، و تقول: إنه ما كان يمكنه أن يصرح لمعاوية في مكتوبه بباطن الأمر، و بقوله أنا منصوص علي من النبي صلى الله عليه و آله و سلم، و معهود إلى المسلمين أن أكون خليفته فيهم بلا فصل،

ص: ٣٩٥

[١- ١] (١) الأخبار الطوال: ١٦٣. [١]

[٢- ٢] (٢) وقعه صفين: ٨٨-٩١. [٢]

[٣- ٣] (٣) العقد الفريد ٨٠: ٥. [٣]

[٤- ٤] (٤) الإمامه و السياسه ٩٣: ١. [٤]

فيكون في ذلك طعن على الأئمة المتقدمين، و يفسد حاله مع الذين بايعوه من أهل المدينة. و هذا القول من الامامية لو عضدها دليل لوجب أن يقال بها و لكن لا دليل لهم (١).

قلت: دليلهم منع فارقوهم النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ آله وَ سَلَّمَ عن كتابه وصيته، لأنَّه علم - كما أقرّ - أنَّه أراد أن يكتب ما قاله شفاهها، من حين بعثته الى ساعه وفاته من كونه عليه السَّلام وصيِّه و خليفته، فمَنع عنها و قال: إِنَّ الرجل ليُهجر، و لا نحتاج إلى وصيته، و إِنَّ القرآن يكفيننا. و دليلهم أيضا تخلف فاروقهم و صدّيقهم عن جيش اسامه، مع لعن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ آله وَ سَلَّمَ متخلفيه كرارا، فإنَّهما علما لو نفرا و لم يتخلفا لباع الناس من استخلفه النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ آله وَ سَلَّمَ. فإن أراد ابن أبي الحديد بالدليل أن ينزل تعالى عليهم كتابا من السماء كما قالوا للنبي «وَلَنْ نُؤْمِنَ لِرُؤْيَاكَ حَتَّى تُنَزَّلَ عَلَيْنَا كِتَابًا نَقْرُؤُهُ» (٢) فلا دليل كذا لهم، و إلا فلا دليل لهم إذا فرض عدم صحه نبوه النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ آله وَ سَلَّمَ، و لا صحه أقواله، و لا حجيه أفعاله، و مع عدم صحه الفرض يكون دليلهم بينا، كالدليل على وجود الصانع، و لا يصح مذهبهم إلا إذا بطلت العقول و انفك المزموم عن اللازم، و ارتفع اللازم و بقى المزموم، و اجتمع الضدان، و صح النقيضان، و كان لا- أثر للتواتر. و بالجمله قال عليه السَّلام ما قال جدلا، فالحكيم يجادل الخصم بما يسكته و يلزمه.

«فلم يكن للشاهد أن يختار و لا للغائب أن يرد» كما في بيعه اولئك حتى إنَّ طلحه مع كونه أحد سته الشورى، كان غائبا وقت بيعه الناس لعثمان بعد اختيار ابن عوف له، و لم يستطع أن يرد بيعته، مع أنَّه قال عليه السَّلام ذلك ردًا على معاويه، حيث كتب إليه عليه السَّلام - كما في (خلفاء ابن قتيبه) -: لو بايعك القوم الذين

ص: ٣٩٤

١- ١) شرح ابن أبي الحديد للإسراء ٣٦: ١٤-٣٧.

٢- ٢) ٩٣.

بايعوك و أنت برىء من دم عثمان كنت كأبى بكر و عمر و عثمان، و لكنك أغريت بعثمان المهاجرين و خذلت عنه الأنصار، فأطاعك الجاهل و قوى بك الضعيف، و قد أبى أهل الشام إلا قتالك، حتى تدفع إليهم قتله عثمان، فإذا دفعتهم كانت شورى بين المسلمين، و قد كان أهل الحجاز أعلى الناس و فى أيديهم الحق، فلما تركوه صار الحق فى أيدي أهل الشام. و لعمري ما حجبتك على أهل الشام كحجبتك على أهل البصره، و لا حجبتك على طلحه و الزبير، لأن أهل البصره بايعوك و لم يبايعك أحد من أهل الشام، و أن طلحه و الزبير بايعاك و لم يبايعك. -و أما فضلك فى الإسلام و قرابتك من النبى صلى الله عليه و آله و سلم، فلعمري ما أذفعه و لا أنكره (١).

«و إنما الشورى للمهاجرين و الأنصار فإن اجتمعوا على رجل و سمّوه إماما، كان ذلك لله رضى فإن خرج عن» هكذا فى (المصريه و ابن أبى الحديد) (٢)، و الصواب:

(من) كما فى (ابن ميثم و الخطيبه) (٣).

«أمرهم خارج بطعن أو بدعه» قال ابن أبى الحديد: المشهور المروى «فإن خرج من أمرهم خارج بطعن أو رغبه» أى: رغبه عن ذلك الإمام الذى وقع الاختيار له (٤).

قلت: و عليه فكلمه (بدعه) محرّفه (رغبه) و هو الأنسب.

«ردوه إلى ما خرج منه، فإن أبى قاتلوه على اتباعه غير سبيل المؤمنين و ولأه الله ما تولى» ما قاله عليه السّلام من قوله: «فإن اجتمعوا على رجل و سمّوه اماما...» و إن كان قاله جدلا، إلا انه عبّر عليه السّلام بما يكون حقًا، واقعا فإنّ الاجماع حجّه لا من

ص: ٣٩٧

١-١ (الإمامه و السياسه ١:١٠١-١:١٠٢). [١]

٢-٢ (نهج البلاغه ٣:٨) [٢] شرح ابن أبى الحديد ١٤:٣٥. [٣]

٣-٣ فى شرح ابن ميثم [٤] المطبوع ٤:٣٥٢ «عن» أيضا.

٤-٤ شرح ابن أبى الحديد ١٤:٣٦. [٥]

حيث هو، بل من حيث دخول المعصوم المأمون من الخطأ فيهم، فمن اجتمع من المهاجرين عليه عليه السّلام، و وافقه المهاجرون و الأنصار المؤمنون في تسميته عليه السّلام إماما النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ آله وَ سَلَّمَ. و سبحان الله من اولئك الناس و اف لهم، لم يراعوا في هذا الرجل الجليل لا فضائله النفسانية الموجبه بتقدمه بشهادته العقول، و لا قول الله تعالى فيه عليه السّلام في كتابه في آيات، و لا نص رسوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ آله وَ سَلَّمَ عليه في موضع بعد موضع، و لا بيعتهم التي ابتدعوها، فبايعه طلحه و الزبير ثم نكثاها بادعائهما عدم بيعتهما، و أبي معاوية الطليق من بيعته بكونه خليفه عمر و ولي عثمان في دمه .

«و لعمرى يا معاوية لئن نظرت بعقلك دون هواك لتجدنى أبرأ الناس من دم عثمان، و لتعلمن أنّى كنت فى عزله عنه» قال ابن أبى الحديد: نهى على عليه السّلام أهل مصر و غيرهم عن قتل عثمان قبل قتله مرارا، و نابذهم بيده و لسانه و بأولاده، فلم يغن شيئا (١).

قلت: سبحان الله من الرجل إنّه عليه السّلام يقول: «كنت فى عزله عنه»، و هو يقول:

نهى عنه و نابذهم بيده و لسانه و بأولاده. فلم ما أجاب عليه السّلام معاوية بذلك، و قد كان فى مقام الدفاع عن تهمة قتله لعثمان؟ و كيف يكتب إليه عليه السّلام معاوية - كما فى (أخبار الدينورى) - أنّ عثمان قتل معك فى المحله و أنت تسمع من داره الهيعة، فلا - تدفع عنه بقول و لا - بفعل، و اقسم بالله قسما صادقا لو كنت قمت فى أمره مقاما صادقا فنهنت عنه، ما عدل بك من قبلنا من الناس أحدا (٢)؟ إلا - أنّهم وضعوا أخبارا فى دفاعه عليه السّلام عنه، حتى لا يكون إمامهم مهدور الدم (و هل يصلح العطار ما أفسد الدهر) و كل يقول بهواه دون عقله؟

ص: ٣٩٨

١ - ١) شرح ابن أبى الحديد ٣٧: ١٤ - ٣٨. [١]

٢ - ٢) الأخبار الطوال: ١٦٢. [٢]

«إلا أن تتجنى فتجن ما بدا لك» التجنى: نسبه الجنايه إلى غيرك كذبا، قال:

و إذا ما الجفاء جهز جيشا سبقته طليعه من تجن

و فى (مفاخرات الزبير بن بكار): اجتمع عند معاويه عمرو بن العاص و الوليد بن عقبه و عتبه بن أبى سفيان و المغيره بن شعبه، و قد كان بلغهم عن الحسن عليه السّلام قوارص - إلى أن قال - قال لهم معاويه: و اعلموا أنّهم أهل بيت لا يعيبهم العائب، و لا يلصق بهم العار، و لكن اقدفوا الحسن بحجره، و قولوا له:

إنّ أباك قتل عثمان و كره خلافة الخلفاء (١).

١٨

فى الكتاب (٩)

وَ أَمَا مَا سَأَلْتَ مِنْ دَفْعِ قَتْلِهِ؟ عُثْمَانُ؟ إِلَيْكَ - فَإِنِّي نَظَرْتُ فِي هَذَا الْأَمْرِ - فَلَمْ أَرَهُ يَسِيْعُنِي دَفْعُهُمْ إِلَيْكَ وَ لَا إِلَى غَيْرِكَ - وَ لَعَمْرِي لَئِنْ لَمْ تَنْزِعْ عَنْ غَيْكَ وَ شِقَاقِكَ - لَتَعْرِفَنَّهُمْ عَنْ قَلِيلٍ يَطْلُبُونَكَ - لَا يُكَلِّفُونَكَ طَلْبَهُمْ فِي بَرٍّ وَ لَا بَحْرٍ - وَ لَا جَبَلٍ وَ لَا سَيْهَلٍ - إِلَّا أَنَّهُ طَلَبَ يَسُوءُكَ وَ جَدَانَهُ - وَ زُورَ لَا يَسِرُّكَ لُقْيَانُهُ أَقُولُ: رَوَى (صَفِينُ نَصْرِ بْنِ مِزَاحِمٍ - وَقَعَهُ صَفِينُ - ص ٨٥ تا ٩١ نصر) - وَ نَقَلَهُ ابْنُ أَبِي الْحَدِيدِ ابْنُ أَبِي الْحَدِيدِ - شَرَحَ نَهْجَ الْبَلَاغَةِ - ج ١٥ ص ٧٣ تا ٧٨ أَيْضًا - عَنْ عُمَرَ بْنِ سَعْدٍ عَنْ أَبِي وَرْقٍ قَالَ: جَاءَ أَبُو مُسْلِمٍ الْخَوْلَانِي فِي نَاسٍ مِنْ قَرَاءِ أَهْلِ الشَّامِ إِلَى مَعَاوِيَةَ قَبْلَ مَسِيرِهِ، فَقَالُوا لَهُ: عَلَامَ تَقَاتِلُ عَلِيًّا عَلَيْهِ السَّلَامُ وَ لَيْسَ لَكَ مِثْلُ صَحْبَتِهِ وَ لَا هِجْرَتِهِ وَ لَا قَرَابَتِهِ وَ لَا سَابِقَتِهِ؟ فَقَالَ: إِنِّي لَا أَدْعَى ذَلِكَ وَ لَكِنْ خَبِرُونِي، أَلَسْتُمْ تَعْلَمُونَ أَنَّ عُثْمَانَ قَتَلَ مَظْلُومًا؟ قَالُوا: بَلَى. قَالَ: فَلْيَدْفَعْ إِلَيْنَا قَتْلَهُ وَ لَا قَاتِلَهُ مَعَهُ.

قالوا: فاكتب إليه. فكتب مع أبي مسلم إليه عليه السلام - إلى أن قال فى جوابه عليه السلام -:

و أما ما ذكرت من أمر قتله عثمان فإنّي نظرت فى هذا الأمر و ضربت أنفه

ص: ٣٩٩

(١ - ١) نقله عنه ابن أبي الحديد فى شرح نهج البلاغه ٢٨٥: ٦ - ٢٨٦، و [١] نقله الشارح بتصرّف و تلخيص.

و عينه، فلم أر دفعهم إليك و لا إلى غيرك، و لعمرى لئن لم تنزع عن غيِّك و شقاقك، لتعرفنهم عن قليل يطلبونك لا يكلفونك ان تطلبهم في بَرّ و لا- بحر و لا- سهل و لا- جبل، و قد كان أبوك أتاني حين ولى الناس أبا بكر، فقال: أنت أحق بمقام محمّد و أولى الناس بهذا الأمر، و أنا زعيم لك بذلك على من خالف، ابسط يدك اباعك. فلم أفعل، و أنت تعلم أنّ أباك قال ذلك و أرادته حتى كنت أنا الذى أبيت، لقرب عهد الناس بالكفر مخافه الفرقة بين أهل الاسلام ... (١).

«و أمّا ما سألت من دفع قتله عثمان إليك، فإنّي نظرت فى هذا الأمر، فلم أره يسعنى دفعهم إليك و لا إلى غيرك» هذا الكلام يدل على كون عثمان عنده عليه السّلام مهدور الدم، و سقوط القصاص عن قاتليه، و به صرّح شفاها لأبى مسلم الخولانى.

ففى (صفيين نصر) فى ذاك الخبر: أنّ أبا مسلم الذى جاء بكتاب معاويه إليه عليه السّلام، و كتب عليه السّلام معه هذا الكتاب- قال له عليه السّلام: إنّك قد قمت بأمر وليته، و ما احبّ أنّه لغيرك إن أعطيت الحق من نفسك، إنّ عثمان قتل مظلوما فادفع إلينا قتله و أنت أميرنا، فإن خالفك من الناس أحد كانت أيدينا لك ناصره، و ألسنتنا لك شاهده، و كنت ذا عذر و حجّه- فقال له على عليه السّلام: اغد علىّ غدا فخذ جواب كتابك. فانصرف ثمّ رجع من غد ليأخذ جواب كتابه، فوجد الناس قد بلغهم الذى جاء قبل فلبست الشيعة أسلحتها، ثمّ غدوا فملثوا المسجد فنادوا كلّنا قتله عثمان، و أكثروا من النداء بذلك، فقال أبو مسلم له عليه السّلام: لقد رأيت قوما مالك معهم أمر. قال عليه السّلام: و ما ذلك؟ قال: بلغ القوم أنّك تريد أن تدفع إلينا قتله عثمان، فضجوا و اجتمعوا و لبسوا السلاح، و زعموا أنّهم كلهم قتله عثمان. فقال على عليه السّلام: و الله ما أردت أن أدفعهم إليك طرفه عين قط، لقد ضربت هذا الأمر أنفه و عينه، فما رأيت أنه أن ينبغي لى أن أدفعهم إليك و لا إلى غيرك. فخرج أبو

ص: ٤٠٠

١- ١) وقعه صفيين: ٨٥-٩١، [١] شرح ابن أبى الحديد ٧٣: ١٥-٧٨، و [٢] نقله الشارح بتلخيص.

مسلم و هو يقول:الآن طاب الضراب (١).

فترى أنه عليه السلام أنكّر أصل كون عثمان قتل ظلما و توجه قصاص على قاتليه، و لفهم أبي مسلم منه عليه السلام ذلك قال:الآن طاب الضراب.

و قد عرفت في ما مرّ تصريحه عليه السلام لرسّل اخر من معاويه إليه، أرادوا إقراره عليه السلام بكون قتل عثمان ظلما، بأنى ما أقول:إنه قتل ظلما.فقالوا:إنّا منك براء.و خرجوا من عنده عليه السلام،فقال عليه السلام: «إِنَّكَ لَا تُسْمِعُ الْمَوْتَى وَلَا تُسْمِعُ الصُّمَّ الدُّعَاءَ إِذَا وَلَّوْا مُدْبِرِينَ» (٢).

بل روى الزبير بن بكار في (موفقيات):عن عمر بن أبي بكر الدؤلى،عن عبد الله بن أبي عبيده بن محمّد بن عمار بن ياسر،قال:بلغنى أنّ أبا مسلم الخولانى قام إلى معاويه فقال:على ما تقاتل عليا و هو ابن عم رسول الله،و له من القدر فى الاسلام و السابقه و القرابه ما ليس لك،إنما أنت رجل طليق ابن طليق؟فقال معاويه:إنى و الله ما اقاتله و أنا ادعى فى الاسلام مثل الذى يدعى، ولى من الاسلام مثل ماله،و لكنى اقاتله على دم عثمان،فأنا أطلبه بدمه.فخرج أبو مسلم على ناقته فضرب حتى انتهى إلى الكوفه،فأناخها بالكناسه،ثم جاء يمشى حتى دخل على علي عليه السلام و الناس عنده،فسلمّ ثم قال:من قتل عثمان؟ فقال عليّ عليه السلام:الله قتله و أنا معه.فخرج أبو مسلم و لم يكلمه،حتى أتى ناقته فركبها حتى أتى الشام ... (٣).

«و لعمرى لئن لم تنزع عن غيئك و شقاقك لتعرفنهم عن قليل يطلبونك» هو دالّ على أنه يكون لقاتليه أن يقتلوا أولياءه و طالبى ثأره،فضلا عن

ص:٤٠١

١-١) وقعه صفين:٨٥-٨٦ [١] شرح ابن أبي الحديد ٧٣:١٥-٧٥. [٢]

٢-٢) وقعه صفين:٢٠٠-٢٠٢، و الآيه ٨٠ [٣] من سوره النمل.

٣-٣) أخبار الموفقيات لابن بكار:٢٩٩ رقم ١٦١. [٤]

عدم توجه قصاص اليهم.

«ولا يكلفونك طلبهم في برّ ولا بحر ولا جبل ولا سهل إلاّ أنّه طلب يسوؤك وجدانه و زور» بالفتح مصدر زار.

«لا يسرك لقيانه» يناسب كلامه عليه السّلام قول الشاعر:

رويد بنى شيان بعض وعيدكم تلاقوا غدا خيلي على سفوان

تلاقوا جبار لا تحيد عن الوغى إذا ما غدت فى المأزق المتدانى

تلاقوهم فلتعرفوا كيف صبرهم على ما جنت فيهم يد الحدثان

رويد أيضا هد بالعراق جيانا كاتك بالضحاك قد قام نادبه

و كنا إذا دب العدو لسخطنا و راقبنا فى ظاهر لا نراقبه

ركبنا له جهرا بكل مثقب و أبيض يستسقى الدماء مضاربه

اولئك الالى شقوا العمى بسيوفهم عن العين حتى أبصر الحق طالبه

١٩

فى الكتاب (٦٤)

وَ قَدْ أَكْثَرَتْ فِي قَتْلِهِ؟ عُمَيْانَ؟ - فَادْخُلْ فِيمَا دَخَلَ فِيهِ النَّاسُ ثُمَّ حَاكِمِ الْقَوْمَ إِلَيَّ - أَحْمِلْكَ وَ إِيَّاهُمْ عَلَى كِتَابِ اللَّهِ تَعَالَى - وَ أَمَّا تِلْكَ الَّتِي تُرِيدُ - فَإِنَّهَا خُدْعَةُ الصَّبِيِّ عَنِ اللَّبَنِ فِي أَوَّلِ الْفِصَالِ - وَ السَّلَامُ لِأَهْلِهِ «و قد أكثرت فى قتله عثمان فادخل فى ما دخل فيه الناس، ثم حاكم القوم إلى أحملك و إياهم على كتاب الله» قال ابن أبى الحديد: هى حجّه صحيحه، إنّه عليه السّلام لم يسلم قتله عثمان إلى معاويه لأن الامام يجب أن يطاع، ثم يتحاكم إليه... (١).

ص: ٤٠٢

١- (١) شرح ابن أبى الحديد ٢١: ١٨. [١]

قلت: إنما قال عليه السّلام: «أحملك وإياهم على كتاب الله» ولم يقل إذا دخلت في طاعتي أسلم إليك قتله عثمان، وكيف وهو عليه السّلام كان مأواهم و ملجأهم و كانوا خواصه عليه السّلام، و معاويه إن لم يدخل في طاعته فبنوا امّيه الذين كانوا بالمدينه حضروا لطاعته، و طلبوا منه ذلك، فصرّح عليه السّلام بكون عثمان مهذور الدم و سقوط القصاص عن قاتليه؟ فقال أبو جعفر الاسكافي: إنّه عليه السّلام خطب في أوّل خلافته بأنّه يقسم بينهم بالسويه، و أعلمهم بأن يشهدوا المال يقسمه فيهم. فبينما الناس في المسجد بعد الصبح إذ طلع الزبير و طلحه فجلسا ناحيه عن على عليه السّلام، ثم طلع مروان و سعيد و عبد الله بن الزبير فجلسوا إليهما، ثم جاء قوم من قريش فانضموا إليهم، فتحدّثوا نجيا ساعه، ثم قام الوليد بن عقبه فجاء إلى على عليه السّلام فقال: إنك قد و ترتنا جميعا، أمّا أنا فقتلت أباي يوم بدر صبرا، و خذلت أخی يوم الدار بالأمس. و أمّا سعيد فقتلت أباي يوم بدر في الحرب و كان ثور قريش. و أمّا مروان فسخفت أباي عند عثمان إذ ضمه إليه، و نحن اخوتك و نظرائوك من بني عبد مناف، و نحن نبايعك اليوم على أن تضع عنّا ما أصبناه من المال أيام عثمان، و أن تقتل قتله، و إنّنا إن خفناك تركتنا فالتحقنا بالشام. فقال عليه السّلام: أمّا ما ذكرت من و ترى إياكم فالحقّ و تركم. و أمّا وضعي عنكم ما أصبتم فليس لى أن أضع حق الله عنكم و لا عن غيركم. و أمّا قتلى قتله عثمان فلو لزمني قتلهم اليوم لقتلتهم أمس... (١).

و قد نقله نفسه عند قوله عليه السّلام: «دعوني و التمسوا غيري» (٢).

ص: ٤٠٣

١- ١) نقله ابن أبي الحديد في شرح نهج البلاغه ٣٧: ٧-٣٩، و [١] نقله الشارح بتصرّف و تلخيص.

٢- ٢) نهج البلاغه ١٨٢: ١، الخطبه ٩٢. [٢]

و روى قريبا منه يعقوبى (١).

«و أمّا تلك التي تريد فإنّها خدعه الصبى عن اللبن فى أول الفصل» روى هذا الكلام (صفين نصر و خلفاء ابن قتيبه و أخبار الدينورى) (٢)، جزء كتابه عليه السّلام إلى معاويه مع جرير البجلي كما مرّ فى (١٧). و لَمَّا كتب معاويه إلى شرحبيل بن السمط الكندى بإشاره عمرو بن العاص عليه بذلك ليجمع له كلمه أهل الشام- بأن يوطن له ثقافته فيقولوا له: إنّ علينا قتل عثمان- و عزم شرحبيل على المسير إلى معاويه بعث عياض اليماني- و كان ناسكا- إلى شرحبيل بهذه الأبيات:

يا شرح يا بن السمط إنّك بائع بوّد على ما تريد من الأمر

و يا شرح إنّ الشام شامك ما بها سواك فدع قول المضلل من فهر

فإنّ ابن حرب ناصب لك خدعه تكون علينا مثل راغيه البكر (٣)

هذا و مما يناسب كلامه عليه السّلام قول الراجز:

بَرِّحْ بِالْعَيْنِينَ خَطَّابَ الْكُتُبِ يَقُولُ إِنِّي خَاطِبٌ وَ قَدْ كَذَبَ

وَ إِنَّمَا بِالْعَيْنِينَ يَخْطُبُ عَسَا مِنْ حَلَبِ (٤)

و المراد أنّه يجىء باسم الخطبه، و مقصوده الطعمه، و الكُتُب: ملء القدح لبنا.

«و السلام لاهله» فى (المصريه) (٥) أخذنا له من (ابن أبى الحديد) مع قوله: «فى أول الفصل»، حيث جعل الكل بين قوسين إلا أنّ كلمه «لأهله» من متفردات

ص: ٤٠٤

١- ١) تاريخ يعقوبى ١٧٨: ٢- ١٧٩.

٢- ٢) وقعه صفين: ٤٤- ٤٥، و [١] الإمامه و السياسه ٩٣: ١، و الأخبار الطوال: ١٥٧. [٢]

٣- ٣) وقعه صفين: ٤٤- ٤٥. [٣]

٤- ٤) أورد قول الراجز ابن منظور فى لسان العرب ٣٤: ١٢، [٤] ماده: (كتب).

٥- ٥) نهج البلاغه ١١: ٣.

في الكتاب (٢٨)

ثُمَّ ذَكَرْتَ مَا كَانَ مِنْ أَمْرِي وَ أَمْرٍ؟ عُمَانُ؟ - فَلَكَ أَنْ تُجَابَ عَنْ هَذِهِ لِرَحِمِكَ مِنْهُ - فَأَيْنَا كَانَ أَعْدَى لَهُ وَ أَهْدَى إِلَى مَقَاتِلِهِ أَمْ مَنْ بَدَلَ لَهُ نُصْرَتَهُ فَاسْتَفْعَدَهُ وَ اسْتَكْفَهُ - أَمْ مَنْ اسْتَنْصَرَهُ فَتَرَاحَى عَنْهُ وَ بَثَّ الْمُنُونَ إِلَيْهِ - حَتَّى أَتَى قَدْرُهُ عَلَيْهِ - كَلَّا وَ اللَّهُ لَقَدْ عَلِمَ «اللَّهُ الْمُعَوِّقِينَ مِنْكُمْ وَ الْقَائِلِينَ لِإِخْوَانِهِمْ هَلُمَّ إِلَيْنَا وَ لَا يَأْتُونَ الْبَأْسَ إِلَّا قَلِيلًا» (٣) -.

وَ مَا كُنْتُ لِأَعْتِيدَ مِنْ أَنْى كُنْتُ أَنْقِمَ عَلَيْهِ أَحَدًا ثَانًا - فَإِنْ كَانَ الذَّنْبُ إِلَيْهِ إِرْشَادِي وَ هِدَايَتِي لَهُ - فَرَبِّ مَلُومٍ لَا - ذَنْبَ لَهُ - وَ قَدْ يَسْتَفِيدُ الظَّنَّهُ

الْمُنْتَصِحُ

- وَ مَا أَرَدْتُ «إِلَّا - الْإِصْلَاحَ مَا اسْتَطَعْتُ وَ مَا تَوَفَّقِي إِلَّا بِاللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَ إِلَيْهِ أُنِيبُ» (٤) - وَ ذَكَرْتَ أَنَّهُ لَيْسَ لِي وَ لِأَصِيحَابِي عِنْدَكَ إِلَّا السَّيْفُ - فَلَقَدْ أَضْحَكْتَ بَعْدَ اسْتِعْبَارٍ - مَتَى أَلْفَيْتَ؟ بَيْنِي عِبْدِ الْمُطَلَّبِ؟ عَنِ الْأَعْدَاءِ نَاكِلِينَ - وَ بِالسَّيْفِ مُخَوِّفِينَ - لَبَّثُ قَلِيلًا يَلْحَقُ الْهَيْجَا حَمَلٌ

- فَسَيَطْلُبُكَ مَنْ تَطْلُبُ - وَ يَقْرُبُ مِنْكَ مَا تَسْتَبْعِدُ - وَ أَنَا مُرْقَلٌ نَحْوَكُ فِي جَحْفَلٍ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَ الْأَنْصَارِ - وَ التَّابِعِينَ لَهُمْ بِالْإِحْسَانِ - شَدِيدٍ زِحَامُهُمْ سَاطِعٍ قَتَامُهُمْ - مُتَسَرِّبِينَ سِرَابِ الْمَوْتِ - أَحَبُّ اللَّقَاءِ إِلَيْهِمْ لِقَاءُ رَبِّهِمْ - وَ قَدْ صَيَّجْتَهُمْ ذُرِّيَّةً بَدْرِيَّةً وَ سُيُوفَ هَاشِمِيَّةً - قَدْ عَرَفْتَ مَوَاقِعَ نِصَالِهَا - فِي أَحْيِكَ

ص: ٤٠٥

١-١ (١) شرح ابن أبي الحديد ١٤:٤٨. [١]

٢-٢ (٢) في شرح ابن ميثم [٢] المطبوع ٤:٣٦٠ «و السلام لأهله» أيضا.

٣-٣ (٣) الأحزاب: ١٨. [٣]

٤-٤ (٤) هود: ٨٨. [٤]

وَ خَالَكَ وَ حَيْدَكَ وَ أَهْدَكَ - (وَ مَا هِيَ مِنَ الظَّالِمِينَ بِبَعِيدٍ) (١) ٩-٤ أقول: نقل ابن أبي الحديد عن شيخه النقيب: أنه جواب كتاب كتبه معاويه إليه عليه السلام مع أبي امامه الباهلي، و في كتاب معاويه: ثم الخليفة الثالث المظلوم الذي نشر المله و طبق الآفاق بالكلمه الحنيفيه، فلما استوسق الإسلام و ضرب بجرانه، عدوت عليه فيغيته الغوائل، و نصبت له المكائد و ضربت له بطن الأرض و ظهره، و دسست عليه و أغريت به و قعدت حيث استنصرك عن نصرته، و سألك أن تدركه قبل أن يمزق فما أدركته. و ما يوم المسلمين منك بواحد، لقد حسدت أبا بكر و التويت عليه، و رمت إفساد أمره، و قعدت في بيتك، و استغويت عصابه من الناس حتى تأخروا عن بيعته، ثم كرهت خلافه عمر و حسدته و استطلت مدته، و سررت بقتله و أظهرت الشماته بمصابه، حتى إنك حاولت قتل ولده، لأنه قتل قاتل أبيه، ثم لم تكن أشد منك حسدا لابن عمه عثمان، نشرت مقابحه و طويت محاسنه و طعنت في فقهه، ثم في دينه، ثم في سيرته، ثم في عقله، و أغريت به السفهاء من أصحابك و شيعتك حتى قتلوه بمحضر منك، لا تدفع عنه بلسان و لا يد، و ما من هؤلاء إلا من بغيت عليه و تلكأت عليه، حتى حملت إليه قهرا، تساق بخزائم الاقتار كما يساق الفحل المخشوش، ثم نهضت الآن تطلب الخلافة و قتله عثمان خلصاؤك و شجراؤك و المحدقون بك، و تلك من أمانى النفوس و ضلالات الأهواء، فدع اللجاج و العبث جانبا، و ادفع إلينا قتله عثمان، و أعد الأمر شورى بين المسلمين، ليتفقوا على من هو لله رضى، فلا يبعه لك في أعناقنا، و لا طاعه لك علينا، و لا عتبي لك عندنا، و ليس لك و لأصحابك عندى إلا السيف، و الذي لا إله إلا هو لأطلبن قتله عثمان أين كانوا و حيث كانوا، حتى أقتلهم أو تلحق روحى بالله.

ص: ٤٠٦

فأما ما لا تزال تمنّ به من سابقتك و جهادك، فإنّي وجدت الله سبحانه يقول:

«يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا» (١)، و لو نظرت في حال نفسك لو جدتها أشدّ الأنفس امتنانا على الله بعملها، و إذا كان الامتنان على السائل يبطل أجر الصدقه، فالامتنان على الله يبطل أمر الجهاد و يجعله كـ «صَفْوَانٍ عَلَى «تُرَابٍ» (٢).

«ثم ذكرت» يعنى بعد ذكر أبي بكر و عمر، بأنّه عليه السلام حسدهما و بغى عليهما.

«ما كان من أمرى و أمر عثمان فللك أن تجاب عن هذه» المقاله فيه دون دينك لعدم ربطهما بك.

«لرحمك منه» يجمعهما اميه بن عبد شمس، فعثمان هو ابن عفان بن أبي العاص بن اميه، و معاويه هو ابن أبي سفيان بن حرب بن أميه.

«فأينا كان أعدى له» أى: أكثر تجاوزا عليه.

«و أهدى إلى مقاتله» مقاتل الانسان المواضع التى اذا اصيبت قتلتها.

«أمن بذل له نصرته فاستقعدته و استكفه» لأنّ عثمان كان لا يحب أن يحضره عليه السلام، لأنّه كان إذا حضره ينهاه عن شنائع أعماله، حتى أحبّ ألا يشهد معه المدينه، فكان يأمره بالخروج عن البلد، و إنّما يستغيث به إذا خاف القتل، و بعد نقض عهده مرّات تركه عليه السلام أخيرا حتى قتلوه.

«أم من استنصره فتراخى عنه و بث إليه المنون» أى: المنيه، قال الجوهري:

لأنّ المتيه تقطع المدد و تنقص العدد.

سبحان من اولئك طلحه و الزبير و عايشه سعوا غايه السعى فى قتل عثمان، حتى قتل ثم طلبوا دمه من أمير المؤمنين عليه السلام- و عمرو بن العاص

ص: ٤٠٧

(١-١) الحجرات: ١٧. [١]

(٢-٢) شرح ابن أبى الحديد ١٨٦: ١٥-١٨٧، و الآيه ٢٦٤ [٢] من سوره البقره.

أغرى الناس به حتى الرعاه على رءوس الجبال، حتى قتل فافتخر بذلك، و قال:

أنا أبو عبد الله، ما نكأت قرحة إلا أدميتها- و معاوية منع جنده من نصره بعد طلب عثمان منه ذلك، ليقتل و يطلب بدمه الملك ثم يطلبان دمه منه عليه السلام.

ففى (خلفاء ابن قتيبه): قال عمرو بن العاص لمعاوية: إن لعلّى فى الحرب لحظا ما هو لأحد من الناس، و إنّه لصاحب الأمر. فقال معاوية: صدقت، و لكن نلزمه دم عثمان. فقال عمرو: ووا سواتاه إن أحق الناس ألا يذكر عثمان لأنا و أنت، أمّا أنت فخذلته و معك أهل الشام، و استغاثك فأبطأت عليه. و أمّا أنا فتركته عيانا و هربت إلى فلسطين. قال معاوية: دعنى من هذا هلم فبايعنى.

قال: لا اعطيك دينى حتى آخذ من دنياك. قال: سل تعط... (١).

و فيه ذكروا: إنّه لم يكن أحد أحب إلى معاوية أن يلقاه من أبى الطفيل الكنانى فارس أهل صفين و شاعرهم- و كان من أخصّ الناس بعلى عليه السلام- فقدم أبو الطفيل الشام يزور ابن أخ له من رجال معاوية، فأخبر بقدمه، فأرسل إليه فأتاه و هو شيخ كبير، فلمّا دخل عليه قال له: أنت أبو الطفيل؟ قال نعم. قال: أ كنت ممّن قتل عثمان؟ قال: لا، و لكن ممّن شهده فلم ينصره. قال:

و لم؟ قال: لأنّه لم ينصره المهاجرون و الأنصار. قال: أما و الله إن نصرته كانت عليهم و عليك حقّا واجبا، و فرضا لازما، فإذا ضيعتموه فقد فعل الله بكم ما أنتم أهله، و أصاركم إلى ما رأيتم. فقال له أبو الطفيل: فما منعك إذ تربصت به ريب المنون ألا تنصره و معك أهل الشام؟ فقال معاوية: أو ما ترى طلبى لدمه؟ فضحك أبو الطفيل، فقال: بلى و لكنّه و إياك، كما قال عبيد بن الأبرص:

لا الفينك بعد الموت تندبنى و فى حياتى ما زودتنى زادى

فدخل مروان بن الحكم و عبد الرحمن بن الحكم و سعيد بن العاص، فلمّا

ص: ٤٠٨

جلسوا نظر إليهم معاويه و قال: أ تعرفون هذا الشيخ؟ قالوا: لا. قال: هذا خليل عليّ و فارس صفين و شاعر العراق، هذا أبو الطفيل. قال سعيد: فما يمنعك منه؟ - و شتمه القوم - فزجرهم معاويه و قال: مهلا، فربّ يوم ارتفع عن الأسباب قد ضقتم به ذرعا. ثم قال له: أ تعرف هؤلاء القوم يا أبا الطفيل؟ قال:

ما أنكرهم من سوء و لا أعرفهم بخير، و أنشد:

فإن تكن العداوه قد أ كنت فشر عداوه المرء السباب

فقال معاويه: ما أبقى لك الدهر من حبّ عليّ؟ قال: حبّ ام موسى، و أشكو إلى الله التقصير. فضحك معاويه و قال: و لكن و الله هؤلاء الذين حولك لو سئلوا عنّي ما قالوا هذا. فقال مروان: أجل و الله لا نقول الباطل (١).

و في (صفين نصر): كتب معاويه إلى أبي أيوب كتابا سطرًا واحدًا، و هو:

«حاجيتك لا تنسى الشياء أبا عذرها و لا قاتل بكرها». فلم يدر أبو أيوب ما هو، فأتى به عليا عليه السلام فقال له عليه السلام: إن معاويه كهف المنافقين كتب إليّ كتابا لا أدرى ما هو. فقال عليه السلام له: هذا مثل ضربه لك، الشياء: المرأه البكر ليله افتضاؤها، يعنى لا تنسى بعلمها الذى افترعها، و بكرها: أول ولدها، يعنى كما لا تنسى تلك، لا أنسى أنا قاتل عثمان.

فكتب إليه أبو أيوب كتبت «لا تنسى الشياء أبا عذرها و لا قاتل بكرها» فضربتها مثلا لقتل عثمان، و ما نحن و قتل عثمان، إن الذى تربص بعثمان و ثبط يزيد بن أنس و أهل الشام عن نصرته لأنت (٢).

و في (تاريخ يعقوبى): دخل ابن عباس يوما على معاويه، فقال له: كيف رأيت فعل الله بنا و بأبى الحسن؟ فقال: فعل فعلا و الله غير مختل عجله إلى جنّه

ص: ٤٠٩

١-١) الإمامه و السياسه ١٩٢: ١-١٩٣. [١]

٢-٢) وقعه صفين: ٣٦٦-٣٦٨، و [٢] نقله الشارح بتلخيص.

لن تنالها، وأخرى إلى دنيا قد كان أمير المؤمنين نالها. قال: وإنك لتحكم على الله؟ قال: أحكم على الله بما حكم به على نفسه «وَمَنْ لَمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ» (١).

قال معاوية: والله لو عاش أبو عمرو - يعني عثمان - حتى يرانى، لرأى أنى نعم ابن العم له. فقال له ابن عباس: أما والله لو رآك أيقن أنك خذلت حيث كانت النصره له، ونصرته حيث كانت النصره لك. قال: وما دخولك بين العصا و لحائها؟ قال: ما دخلت عليهما إلا لهما (٢).

«كلا- والله لقد علم «اللَّهُ الْمُعَوِّقِينَ مِنْكُمْ وَ الْقَائِلِينَ لِإِخْوَانِهِمْ هَلُمَّ إِلَيْنَا وَ لَا يَأْتُونَ الْبَاسَ إِلَّا قَلِيلًا» «الآيه فى الأحزاب، و فيها «قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الْمُعَوِّقِينَ مِنْكُمْ» (٣)، لكن جعلها عليه السلام جزء كلامه و غير بما ناسب، و لعله أيضا كانت قراءته عليه السلام.

ثم فى (ابن ميثم): «لقد علم المعوقين» (٤).

«و ما كنت لأعتذر من أنى أنقم عليه» أى: أعتب عليه.

«أحداثا» أى: امورا منكرة، كعمله مع أبى ذر و عمّار و غيرهما، و فى أعمال عمّاله كالوليد و ابن عامر و معاوية و غيرهم.

«فإن كان الذنب إليه إرشادى و هدايتى له» إلى الحق و إلى صراط مستقيم، قال الشاعر:

و كم من موقف حسن احييت محاسنه فعدّ من الذنوب (٥)

«فربّ ملوم لا ذنب له» هو كالمثل، قال الشاعر:

ص: ٤١٠

١- ١) المائدة: ٤٤. [١]

٢- ٢) تاريخ يعقوبى ٢: ٢٢٣-٢: ٢٢٤. [٢]

٣- ٣) الأحزاب: ١٨. [٣]

٤- ٤) فى شرح ابن ميثم [٤] المطبوع ٤: ٤٣٤: لقد علم الله المعوقين أيضا.

٥- ٥) أورده أبو هلال العسكرى فى جمهره الأمثال ١: ٤٧٥ و [٥] البيت للفزارى.

لعل له عذرا و أنت تلوم (١)

بل في (أمثال الكرمانى): هو مثل من أكرم بن صيفى (٢).

«و قد يستفيد الظنّه» أى: التهمه.

«المتنصح» أى: الناصح، و عن أكرم: يا بنى إياكم و كثره التنصح فإنه يورث التهمه (٣).

و من البيت و قول أكثر يظهر لك ما فى اقتصار الجوهرى على قوله: تنصح:

أى تشبه بالنصحاء (٤).

و قلنا (البيت) لأنه عجز بيت تمثل عليه السلام به، و صدره:

و كم سقت فى آثاركم من نصيحه (٥).

قال المبرد: انشدنيہ الرياشى .

«و ما أردت «إِلَّا الْأَصْلَاحَ مَا اسْتَطَعْتُ وَ مَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَ إِلَيْهِ أُنِيبُ» «الأصل فيه قول شعيب عليه السلام لقومه:
«إِنْ أُرِيدُ إِلَّا الْأَصْلَاحَ مَا اسْتَطَعْتُ وَ مَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَ إِلَيْهِ أُنِيبُ» (٦).

«و ذكرت أنه ليس لى و لا لأصحابى إلا السيف، فلقد أضحكت بعد استعبار» أى:

بعد جريان الدمع، يقال: استعبرت أى: دمعت. و الباكى لا يضحك من كل شىء يتعجب منه كغير الباكى، بل من عجب فى غايه الغرابه، و المراد: أتيت بعجب يضحك الباكى، و من شواهدة-و إن كان من باب الهزل-أن أبا دلامه الشاعر

ص: ٤١١

١- ١) أورده أبو هلال العسكري فى جمهره الأمثال ١:٤٧٤. [١]

٢- ٢) أورده الميدانى فى مجمع الأمثال ١:٣٠٥ تحت الرقم ١٦٢٨ و قال: هذا من قول أكرم بن صيفى.

٣- ٣) نقله ابن منظور فى لسان العرب ١٤:١٥٩، [٢] ماده: (نصح).

٤- ٤) الصحاح ١:٤١١، [٣] ماده: (نصح).

٥- ٥) أورد البيت ابن ميثم فى شرح نهج البلاغه ٤:٤٤٥. [٤]

٦- ٦) هو: ٨٨. [٥]

دخل على أم سلمه زوجته السفاح بعد وفاته، فعزاها به و بكى و بكت، و قالت له:

يا أبا دلامه لم أر أحدا أصيب به غيرى و غيرك- و كان السفاح يعطى أبا دلامه جزيلا- فقال لها أبو دلامه: و لا سواء، لك منه ولد و ما ولدت أنا منه فضحكت ام سلمه- و لم تكن منذ مات السفاح ضحكت- و قالت له: لو حدث الشيطان لأضحكته.

«متى ألفت» أى: وجدت.

«بنى» هكذا فى (المصريه) (١)، و الصواب: «بنو» كما فى (ابن أبى الحديد و ابن ميثم (٢) و الخطيبه)، و حينئذ «ألفت» بسكون التاء مجهولا.

«عبد المطلب عن الاعداء ناكليين» أى: جبانين ضعيفين.

«و بالسيف مخوفين» فكانوا عموما شجعان فضلا عنه عليه السلام.

و فى (خلفاء ابن قتيبه): لَمَّا أراد الزبير الاعتزال من الجمل، قالت له عايشه:

خفت سيوف بنى عبد المطلب طوال حداد يحملها فتية أنجاد (٣).

و فى (نسب مصعب الزبيرى): قال على عليه السلام: رأيت يوم بدر طعيمه بن عدى بن نوفل بن عبد مناف قد علا رأس كئيب، و قد ساواه سعد بن خيثمه، فصمدت له و لم آته حتى قتل سعدا، فلما رآنى أصد الكئيب إليه انحط علىّ - و كان رجلا جسيما- فخشيت أن يعلو علىّ، فانحطت فى السهل، فظنّ أنّى فررت منه فصاح بأعلى صوته: فرّ ابن أبى طالب. قلت له: قريبا مفر ابن الشتراء- و هذا مثل تضربه العرب- فلما استوت قدماى بالأرض وقفت له فانحدر إلىّ و أهويت إليه، فسمعت قائلا من خلفى: طأطئ رأسك. فجعلت

ص: ٤١٢

١- ١) نهج البلاغه ٣: ٣٩.

٢- ٢) فى شرح ابن أبى الحديد ١٥: ١٨٣، و شرح ابن ميثم ٤: ٤٣٥. بنى أيضا.

٣- ٣) الإمامه و السياسه ١: ٧٣. [١]

رأسى فى صدر طعيمة، و إذا برقه من السيف فأخذت قحف طعيمة فسقط ميتا، و إذا هو حمزه بن عبد المطلب (١).

«لبث قليلا يلحق الهيجا» أى: الحرب، قال الجوهري: يمد و يقصر (٢).

«حمل» قال ابن ميثم: أصل البيت أن حمل بن بدر-رجل من قشير-أغير على إبل له فى الجاهلية فى حرب داحس و الغبراء، و قال:

لبث قليلا يلحق الهيجا حمل ما أحسن الموت إذا الموت نزل

و قيل: أصله أن مالك بن زهير توعّد حمل بن بدر فقال حمل: «لبث قليلا يلحق الهيجا حمل»، ثم أتى و قتل مالكا، فظفر أخوه قيس بن زهير به و بأخيه حذيفه فقتلها، و قال:

شفيت النفس من حمل بن بدر و سيقى من حذيفه قد شفانى (٣)

قلت: و فى (الاستيعاب): حمل بن سعدان الكلبى وفد على النبى صلى الله عليه و آله و سلم و عقد له لواء، و هو القائل: لبث قليلا يدرك الهيجا حمل. و شهد مع خالد مشاهده كلها و قد تمثّل بقوله سعد بن معاذ رضى الله عنه يوم الخندق حيث قال:

البث قليلا يدرك الهيجا حمل ما أحسن الموت إذا حان الأجل (٤)

و قد عنوانه الجزرى عن أبى موسى أيضا، و لكنه قال: حمل بن سعد. و زاد:

شهد بلوائه صفين مع معاوية (٥). و الأظهر كون البيت لحمل بن بدر الجاهلى دون ما قاله، و قررهما الجزرى من حمل بن سعدان أو سعد الصحابى، و يؤيده تمثّل سعد به يوم الخندق، و كيف كان، فنظيره قول آخر:

ص: ٤١٣

١-١) قريب منه فى المغازى للواقدى ١:٩٢-٩٣، و [١] نقله عنه ابن أبى الحديد فى شرح نهج البلاغه ١٤:١٤٥. [٢]

٢-٢) الصحاح ١:٣٥٢، مادة: (هيج).

٣-٣) شرح ابن ميثم ٤:٤٤٥-٤٤٦. [٣]

٤-٤) الاستيعاب بهامش الإصابه ١:٣٦٦. [٤]

٥-٥) أسد الغابه ٢:٥٢. [٥]

لبث قليلا يلحق الداريون أهل الحباب البدن المكفون

سوف ترى إن لحقوا ما يبلون

«فسيطلبك من تطلب و يقرب منك ما تستبعد» في (العقد): خرج على عليه السلام إلى معاوية في خمسه و تسعين ألفا، و كان معاوية في بضع و ثمانين ألفا، و كان عسكر على عليه السلام يسمّى الزحزحه لشده حركته، و عسكر معاوية الخضرية لاسوداده بالسلاح و الدروع (١).

و انقضت صفين عن خمسين ألف قتيل من أهل الشام و عشرين ألفا من أهل العراق (٢).

«و أنا مرقل» في (الصحيح): الإرقال: ضرب من الخب، أي: العدو، و لقب هاشم بن عتبة الزهري المرقال، لأنّ عليا عليه السلام دفع إليه الرايه يوم صفين فكان يرقل بها إرقالا (٣).

«نحوك» أي: جانبك.

«في جحفل» أي: جيش.

«من المهاجرين و الأنصار و التابعين لهم» كذا في (المصريه) (٤)، و كلمه (لهم) زائده لعدم وجودها في (ابن أبي الحديد و ابن ميثم و الخطيه) (٥).

«ياحسان» في (صفين نصر): خرج النعمان بن بشير يوما فدعا قيس بن سعد، فقال له: ألتتم معشر الأنصار تعلمون أنّكم أخطأتم في خذل عثمان يوم الدار، و قتلتم أنصاره يوم الجمل، و أقحمتم خيولكم على أهل الشام

ص: ٤١٤

١- ١) العقد الفريد ٥: ٨٥. [١]

٢- ٢) العقد الفريد ٥: ٩١. [٢]

٣- ٣) الصحيح ٤: ١٧١٢ [٣] ماده (رقل).

٤- ٤) نهج البلاغه ٣: ٤٠. [٤]

٥- ٥) في شرح ابن أبي الحديد ١٥: ١٨٤ و [٥] شرح ابن ميثم ٤: ٤٣٥ «التابعين لهم» أيضا.

بصفين؟ فلو كنتم إذ خذلتهم عثمان خذلتهم عليًا، لكانت واحده بواحد، ولكنكم خذلتهم حقًا و نصرتهم باطلا- إلى أن قال:- فقال له قيس: أمّا ذكرك عثمان فإن كانت الأخبار تكفيك فخذها مني واحده، قتل عثمان من لست خيرا منه، و خذله من هو خير منك. و أمّا أصحاب الجمل فقاتلناهم على النكث. انظر يا نعمان، هل ترى مع معاويه إلا طليقا أو أعرابيا أو يمانيا مستدرجا بغرور؟ انظر أين المهاجرون و الأنصار و التابعون بإحسان الذين رضى الله عنهم؟ ثم انظر هل ترى مع معاويه غيرك و صويحبك- و لم يكن مع معاويه من الأنصار غيره و غير مسلمه بن مخلد- و لستما و الله بيدريين و لا احديين، و لا لكما سابقه في الإسلام و لا آيه في القرآن، و لعمرى لو شغبت علينا لقد شغب علينا أبوك من قبل (١).

«شديد زحامهم» أي: اجتماعهم في الحرب، قال الشاعر:

إن تلق عمرا فقد لاقيت مدرعا و ليس من همه إبل و لا شاء

في جحفل لجم جم صواهله بالليل يسمع في حافاته آء

«ساطع قتامهم» أي: غبارهم في الحرب، قال الشاعر:

في فتيه صدأ الحديد عبيرهم و خلوقهم علق النجيع الأحمر

لا يأكل السرحان شلو عفيرهم مما عليه من القنا المتكسر

«متسرلين سربال الموت» هكذا في (المصريه) (٢)، و الصواب: «سرايل الموت» كما في (ابن أبي الحديد و ابن ميثم (٣) و الخطيه).

و في (صفين نصر): «أنّ أبا عرفاء الذهلي أخذ الرايه يوم صفين و قال: يا أهل

ص: ٤١٥

١- ١) وقعه صفين: ٤٤٨-٤٤٩. [١]

٢- ٢) نهج البلاغه ٤٠: ٣. [٢]

٣- ٣) كذا في شرح ابن أبي الحديد ١٨٤: ١٥، و [٣] لكن في شرح ابن ميثم ٤٣٥: ٤. [٤] سربال الموت» أيضا.

هذه الرايه إن عمل الجَنَّة كره كَلَّه، وإن عمل النَّار خف كَلَّه، وإن الجَنَّة لا- يدخلها إلا- الصابرون الذين صبروا أنفسهم على فرائض الله و أمره، وليس شيء مِمَّا افترض الله على العباد أشدَّ من الجهاد، فإذا رأيتموني قد شددت فشذوا، و يحكم! أما تشتاقون إلى الجَنَّة؟ فشذَّ و شذوا معه، و قاتل حتى قتل- إلى أن قال-: فلَمَّا أصبحوا في اليوم العاشر، أصبحوا و ربيعه محدقه بعلى عليه السَّلام إحداق بياض العين بسوادها، و قام خالد بن المعمر فنادى: من يبائع على الموت و يشرى نفسه لله؟ فبايعه سبعة الآف على ألا ينظر رجل خلفه حتَّى يرد سرادق معاويه، فاقتتلوا قتالا شديدا، و كسروا جفون سيوفهم (١).

«أحبَّ اللقاء إليهم لقاء ربهم، قد صحبتهم ذريَّه بدريَّه» في (صفين نصر): قام سعد بن قيس في صفين يخطب أصحابه فقال: إنَّ أصحاب محمَّد المصطفين الأخيار معنا و في حيزنا، فوالله الذي هو بالعباد بصير، لو كان قائدنا حبشيا مجدعا (٢)، و معنا من البدرين سبعين رجلا، لكان ينبغي لنا أن تحسن بصائرنا، و تطيب أنفسنا، و كيف و إنما رئيسنا ابن عمِّ نبينا؟ بدرى صدق صلَّى مع النبي صلَّى الله عليه و آله و سلَّم صغيرا، و جاهد معه كبيرا، و معاويه طليق، من وثاق الاسار و ابن طليق، إلا- أنه أغوى جفاه، فأوردهم النار، و أورثهم العار، و الله محلَّ بهم الذل و الصغار (٣).

«و سيوف هاشميه» في (صفين نصر)- بعد ذكر خطبته عليه السَّلام أصحابه بصفين- فقالوا له: انهض بنا يا أمير المؤمنين إلى عدونا و عدوك إذا شئت، فوالله ما نريد بك بدلا، نموت معك و نحيا معك. فقال عليه السَّلام لهم: و الذي نفسي

ص: ٤١٤

-
- ١- ١) وقعه صفين: ٣٠٥-٣٠٦. [١]
- ٢- ٢) قال في هامش المصدر: ٢٣٦ [٢] ما نصّه: هو إشارة إلى حديث أبي ذرّ، قال: إنَّ خليلي أوصاني أن أسمع و أطيع و إن كان عبدا حبشيا مجدع الأطراف. انظر صحيح مسلم ٨٥: ٢.
- ٣- ٣) وقعه صفين: ٢٣٦-٢٣٧. [٣]

بيده، لنظر إلى رسول الله صَلَّى الله عليه و آله و سَلَّمَ أضرب قَدَامه بسيفي، فقال: لا سيف إلا ذو الفقار، و لا فتى إلا على - إلى أن قال - ثم نهض إلى القوم فاقتلوا من حين طلعت الشمس حتى غاب الشفق، و ما كانت صلاة القوم إلا تكبيراً (١).

هذا و لما أمر سليمان الفرزدق بضرب عتق أسير من الكفار فنبأ سيفه، و قال جرير له يعيره:

سيف أبي رغوان سيف مجاشع ضربت و لم تضرب بسيف ابن ظالم

قيل: أراد بسيف ابن ظالم، سيف الحارث بن ظالم الغساني، الذي ضرب به ابن السموأل فقطعه نصفين.

«قد عرفت مواقع نصالها» أي: حديدها.

«في أخيك» حنظله.

«و خالك» الوليد بن عتبه.

«و جدك» عتبه بن ربيعة أبي أمه.

«و أهلك» شبيه عم أمها، و العاص بن سعيد بن أبي العاص، و معاوية بن المغيرة بن أبي العاص من بني عمه، و عنه عليه السلام: تعجبت من جرأه القوم يوم بدر، قد قتلت الوليد بن عتبه، و قتل حمزه عتبه و شركته في قتل شبيهه، إذ أقبل إلي حنظله بن أبي سفيان، فلما دنا ضربته ضربه بالسيف، فسالت عيناه و لزم الأرض قتيلاً (٢).

و من رثاء هند أم معاوية لأبيها:

تداعى له رهطه غدوه بنو هاشم و بنو المطلب

يذيقونه حد أسيافهم يعرفونه بعد ما قد شجب

ص: ٤١٧

١- ١) وقعه صفين: ٣١٥. [١]

٢- ٢) قريب منه ما في وقعه صفين: ١٠٢.

و عن سعيد بن العاص: أنه ذهب إلى مجلس عمر، فجلس ناحيه، فقال له عمر: كأن في نفسك عليّ شيئاً، أ تظنّ أنّي قتلت أباك؟ والله لوددت أنّي كنت قتله، مررت به يوم بدر فرأيتّه يبحث للقتال، كما يبحث الثور بقرنيه، و اذن شدقاه، قد أزيد كالوزغ، فلمّا رأيت ذلك هبته وزغت عنه، فقال لي: إلیّ يا بن الخطاب. و صمد له عليّ فو الله ما رمت مكاني حتى قتله. و كان علي عليه السلام حاضراً، فقال لعمر: مالک تهيج الناس عليّ؟ فكفّ عمر، فقال سعيد بن العاص:

أما أنّه ما كان يسرني أن يكون قاتل أبي غير ابن عمّه علي (١).

هذا، و ممّا قيل في أثرات السيف، قول الواسطي و الهذلي و ثعلبه الفاتك:

ما أنكر الهام من أسيفه ظبه و إنّما أنكرت أسيفه القرب

به يدع الكمي علي يديه يخر تخاله نسرا قشيبا

نحن الاولي أردت ظبات سيوفنا داود بين القرنين يحارب

و كذاك إنّنا لا تزال سيوفنا تنفي العدى و تفيد رعب الرابع

«و ما هي من الظالمين ببعيد» الأصل فيه قوله تعالى في قريه قوم لوط:

«و أمطرنا عليها حجارة من سجيل منضود مسومة عند ربك و ما هي من الظالمين ببعيد» (٢).

و المراد أنّ تلك الحجاره التي امطرت على قوم لوط ليست من الظالمين من امتك العاملين عملهم ببعيد.

و في الخبر: لا يموت اللاطي حتّى يضرب بحجر من تلك على قلبه (٣).

كما أنّ المراد من كلامه عليه السلام: أنّ مواقع نصال تلك السيوف الهاشميه،

ص: ٤١٨

١- ١) قريب منه ما في المغازي للواقدي ١:٩٢، و نقله عنه ابن أبي الحديد في شرح نهج البلاغه ١٤٣:١٤-١٤٥.

٢- ٢) هود: ٨٢-٨٣. [١]

٣- ٣) تفسير العياشي ٢:١٥٨، تفسير القمي ١:٣٣٦-٣٣٧.

و المراد سيفه عليه السّلام لست ببعيد من معاويه السالك مسالك أسلافه في البغي و العتو، اولئك في قبال النبي صلّى الله عليه و آله و سلّم و هو في قبال الوصي عليه السّلام، و كان عمّار يقول في صفين: قاتلت مع هذه الرايه-أى رايه معاويه-مرات في غزوات النبي صلّى الله عليه و آله و سلّم في بدر و غيرها، و ما هي اليوم بأبر منها أمس (١).

هذا و له عليه السّلام كتاب آخر إلى معاويه-و قد نقله ابن أبي الحديد في موضع آخر-و فيه: و قد أسهبت في ذكر عثمان، و لعمرى ما قتله غيرك، و لا خذله سواك، و لقد تربصت به الدوائر، و تمنّيت به الأمانى، طمعا في ما ظهر منك و دلّ عليه فعلك، و إنّي لأرجو أن الحقك به على أعظم من ذنبه، و أكبر من خطيئته، فأنا ابن عبد المطلب صاحب السيف، و إنّ قائمته لفي يدي، و قد علمت من قتلت به من صناديد بني عبد شمس، و فراعنه بني سهم و جمح و مخزوم، و أيتمت أبناءهم و أيتمت نساءهم (٢).

و في قوله عليه السّلام: «الحقك به على أعظم من ذنبه» ما لا يخفى.

٢١

الكتاب (٣٧)

و من كتاب له عليه السّلام إلى معاويه:

فَسُبِّحَانَ اللَّهِ - مَيَا أَشَدَّ لُزُومَكَ لِلْأَهْوَاءِ الْمُتَبَدِّعَةِ وَالْحَيْرَةِ الْمُتَّبِعَةِ - مَعَ تَضْيِيعِ الْحَقَائِقِ وَاطِّرَاحِ الْوَثَائِقِ - الَّتِي هِيَ لِلَّهِ طَلَبَةٌ وَ عَلَى عِبَادِهِ حُجَّةٌ - فَأَمَّا إِكْتِنَارُكَ الْجِجَاجِ فِي؟ عُثْمَانَ؟ وَ قَتْلِهِ - فَإِنَّكَ إِنَّمَا نَصَيْرَتُ؟ عُثْمَانَ؟ حَيْثُ كَانَ النَّصِيرُ لَكَ - وَ خَذَلْتَهُ حَيْثُ كَانَ النَّصِيرُ لَهُ وَ السَّلَامُ

ص: ٤١٩

١-١) وقعه صفين: ٣٢١.

٢-٢) شرح ابن أبي الحديد ٨٣: ١٥-٨٤. [١]

أقول: قال ابن أبي الحديد: وأوله أمّا بعد، فإنّ الدّنيا حلوه خضره ذات زينه و بهجه، لم يصب إليها أحد إلاّ و شغلته بزيتها عمّا هو أنفع له منها، و بالآخره امرنا و عليها حثنا، فدع يا معاويه ما يفنى و اعمل لما يبقى، و احذر الموت الذى إليه مصيرك، و الحساب الذى إليه عاقبتك.

و اعلم أنّ الله تعالى إذا أراد بعبد خيرا حال بينه و بين ما يكره، و وفقه لطاعته، و إذا أراد الله بعبد سوءا أغراه بالدنيا، و أنساه الآخرة و بسط له أمله، و عاقه عمّا فيه صلاحه. و قد وصلنى كتابك فوجدتك ترمى فيه غير غرضك، و تنشد غير ضالتك، و تخبط فى عمايه، و تتيه فى ضلاله، و تعتصم بغير حجّه، و تلوذ بأضعف شبهه. فأما سؤالك المتاركه و الإقرار لك على الشام، فلو كنت فاعلا ذلك اليوم لفعلته أمس. و أمّا قولك: إنّ عمر ولّاه فقد عزل من كان ولّاه صاحبه، و عزل عثمان من كان عمر ولّاه، و لم ينصب للناس إمام إلاّ ليرى من صلاح الامّه، ما قد كان ظهر لمن قبله و اخفى عنهم عيبه، و الأمر يحدث بعده الأمر، و لكل وال رأى و اجتهاد، فسيحان الله ... (١).

«فسبحان الله ما أشدّ لزومك للأهواء المبتدعه» كإقراره على الشام، لأن عمر ولّاه.

«و الحيره المتبعه» هكذا فى (المصريه) (٢)، و لكن فى (ابن أبي الحديد و ابن ميثم (٣) و الخطيبه): «المتبعه».

«مع تضييع الحقائق» بأنّ للوالى أن يعمل بما يراه صلاحا، حتى إنّ عمر أول ساعه خلافته عزل خالد بن الوليد، الذى فوّض أبو بكر اموره إليه و جعله

ص: ٤٢٠

١-١ شرح ابن أبي الحديد ١٥٣:١٦-١٥٤. [١]

٢-٢ نهج البلاغه ٣:٦٩. [٢]

٣-٣ كذا فى شرح ابن أبي الحديد ١٥٣:١٦، و شرح ابن ميثم ٨٠:٥.

أمير امرائه، لأنَّ عمر رأى: أنَّ خالدًا قتل مسلماً، وهو مالك بن نويرة لحقد له معه، وزنا مع امرأته في أيام أبي بكر، وأغضى أبو بكر منه.

«و اطراح الوثائق التي هي لله طلبه و على عباده حجّه» و تلك الوثائق وجوب إطاعه الإمام، قال تعالى «أَطِيعُوا اللَّهَ وَ أَطِيعُوا الرَّسُولَ وَ أُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ» (١).

«فأما إكثارك الحجاج» أي: المحاجه.

«في عثمان و قتلته فإنَّك إنَّما نصرت عثمان حيث كان النصر لك و خذلته حيث كان النصر له» قال ابن أبي الحديد: روى البلاذري: أنَّ عثمان لما أرسل الى معاوية يستمده، بعث معاوية يزيد بن أسد القسري جدَّ خالد بن عبد الله القسري، أمير العراق و قال له: إذا أتيت ذا خشب فأقم بها و لا- تتجاوزها، و لا تقل الشاهد يرى ما لا يرى الغائب، فإنَّني أنا الشاهد و أنت الغائب. فأقام بذى خشب حتى قتل عثمان، فاستقدمه فعاد بالجيش الذي كان أرسل معه، و إنَّما صنع ذلك معاوية ليقتل عثمان فيدعوا إلى نفسه.

و كتب معاوية عند صلح الحسن عليه السَّلام له كتابا إلى ابن عباس يدعو فيه إلى بيعته، و يقول له فيه: و لعمرى لو قتلتك بعثمان رجوت أن يكون ذلك لله رضى، و أن يكون رأيا صوابا، فإنَّك من الساعين على عثمان و الخاذلين له، و السافكين دمه، و ما جرى بيني و بنيك صلح فيمنعك منى و لا بيدك أمان.

فكتب إليه ابن عباس جوابا طويلا، يقول فيه:- و أما قولك: إنَّي من الساعين عليه و الخاذلين له و السافكين دمه، و ما جرى بيني و بينك صلح فيمنعك منى.

فأقسم بالله لأنَّ المتربص بقتله، و المحب لهلاكه، و الحابس الناس قبلك عنه على بصيره من أمره، و لقد أتاكَ كتابه و صريخه يستغيث بك و يستصرخ فما

ص: ٤٢١

حفلت به، حتى بعثت إليه معذرا بآخره، أنت تعلم أنهم لن يتركوك حتى تقتل، فقتل كما كنت أردت، ثم علمت عند ذلك أن الناس لن يعدلوا بيننا وبينك، فطفقت تنعى عثمان و تلزمنه دمته و تقول: قتل مظلوما. فإن يك قتل مظلوما فأنت أظلم الظالمين، ثم لم تزل مصوبيا و مصعدا و حائما و رابضا، تستغوي الجهال، و تنازعنا حقا بالسفهاء، حتى أدركت ما طلبت «وَإِنْ أَدْرَى لَعَلَّهُ فِتْنَةٌ لَكُمْ وَ مَتَاعٌ إِلَى حِينٍ» (١).

و في (خلفاء ابن قتيبه): كتب معاوية إلى محمد بن مسلمة الأنصاري: فهلا نهيت أهل الصلاة عن قتل بعضهم بعضا، أو ترى أن عثمان و أهل الدار ليسوا بمسلمين؟ عصيتم الله و خذلتهم عثمان.

فكتب إليه محمد بن مسلمة: لعمرى يا معاوية ما طلبت إلا الدنيا، و لا اتبعت إلا الهوى، و لئن كنت نصرت عثمان ميتا لقد خذلته حيا (٢).

«و السلام» ليس في (ابن ميثم) (٣).

٢٢

في الكتاب (٦٢)

إِنِّي وَاللَّهِ لَوْ لَقَيْتُهُمْ وَاحِدًا وَ هُمْ طَلَّاعُ الْأَرْضِ كُلِّهَا - مَا بَالَيْتُ وَ لَا اسْتَوْحِشْتُ - وَ إِنِّي مِنْ ضَالِّهِمُ الَّذِي هُمْ فِيهِ - وَ الْهُدَى الَّذِي أَنَا عَلَيْهِ - لَعَلَى بَصِيرَةٍ مِنْ نَفْسِي وَ يَقِينٍ مِنْ رَبِّي - وَ إِنِّي إِلَى لِقَاءِ اللَّهِ لَمُشْتَاقٌّ - وَ بِحُسْنِ ثَوَابِهِ لَمُنْتَظِرٌ رَاجٍ - وَ لَكِنِّي آسَى أَنْ يَلِيَ أَمْرَ هَذِهِ الْأُمَّةِ سُفَهَاؤُهَا وَ فُجَّارُهَا - فَيَتَّخِذُوا مَالَ اللَّهِ دُولًا وَ عِبَادَةَ خَوْلًا - وَ الصَّالِحِينَ

ص: ٤٢٢

١- ١) شرح ابن أبي الحديد ١٥٤: ١٦-١٥٥، و الآية ١١١ [١] من سورة الأنبياء.

٢- ٢) الإمامة و السياسة ١: ١٠٠-١٠١. [٢]

٣- ٣) شرح ابن ميثم ٨١: ٥. [٣]

حَرْبًا وَ الْفَاسِقِينَ حِزْبًا- فَإِنَّ مِنْهُمْ الَّذِي قَدْ شَرِبَ فِيكُمْ الْحَرَامَ- وَ جُلِدَ حَدًّا فِي الْإِسْلَامِ- وَ إِنْ مِنْهُمْ مَنْ لَمْ يُسَلِّمْ حَتَّى رُضِخَتْ لَهُ عَلَى الْإِسْلَامِ الرِّضَا:مُخ- فَلَوْلَا ذَلِكَ مَا أَكْثَرَتْ تَأْلِيْبِكُمْ وَ تَأْنِيْبِكُمْ- وَ جَمْعَكُمْ وَ تَحْرِيبَكُمْ- وَ لَتَرَكْتُكُمْ إِذْ أَبَيْتُمْ وَ وَبَيْتُمْ- أَلَا تَرَوْنَ إِلَى أَطْرَافِكُمْ قَدْ انْتَقَضَتْ- وَ إِلَى أَمْصَارِكُمْ قَدْ افْتَتِحَتْ- وَ إِلَى مَمَالِكِكُمْ تَزَوَى وَ إِلَى بِلَادِكُمْ تُغْزَى- انْفِرُوا رَحِمَكُمُ اللَّهُ إِلَى قِتَالِ عِدْوِكُمْ- وَ لَا تَتَأَقُلُوا إِلَى الْأَرْضِ فَتَقْرُوا بِالْخُسْفِ- وَ تَبْهَوْا بِالذُّلِّ وَ يَكُونُ نَصِيْبِكُمُ الْأَخْسَ- وَ إِنْ أَخَا الْحَرْبِ الْأَرْقُ وَ مَنْ نَامَ لَمْ يُنَمَّ عَنْهُ وَ السَّلَامُ قَوْلُ الْمَصْنَفِ «و منه» أي: و من كتابه عليه السَّلَامُ إِلَى أَهْلِ مِصْرَ مَعَ الْأَشْتَرِ لَمَّا وَوَلَّاهُ، إِلَّا أَنَّهُ قَلْنَا فِي شَرْحِ صَدْرِهِ أَنَّهُ خَطَبَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ بِهَا فِي الْكُوفَةِ بَعْدَ فَتْحِ مِصْرَ وَ قَتْلِ مُحَمَّدِ بْنِ أَبِي بَكْرٍ، وَ سُؤَالَ النَّاسِ لَهُ عَنِ قَوْلِهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ فِي أَبِي بَكْرٍ وَ عُمَرَ وَ عَثْمَانَ، رَوَاهُ اِبْرَاهِيمُ الثَّقَفِيُّ فِي (غَارَاتِهِ اِبْرَاهِيمِ الثَّقَفِيِّ-الغارات-ج ١ ص ٣٠٢ تا ٣٢٢) (١)، وَ اِبْنِ قَتِيْبِهِ فِي (خُلَفَائِهِ اِبْنِ قَتِيْبِهِ-الإمامه و السياسه-ج ١ ص ١٥٤ تا ١٥٩) (٢)، وَ الْكَلْبِيُّ فِي (رِسَائِلُهُ ١/٢ الْكَلْبِيُّ-الرسائل-) (٣)، عَلَى اِخْتِلَافٍ، لَكِنْ كَتَبَهَا عَلَيْهِ السَّلَامُ لَهُمْ حَتَّى تَقْرَأَ عَلَيْهِمْ، كَمَا صَرَّحَ بِهِ فِي رِوَايَةِ اِبْنِ قَتِيْبِهِ: فَأَمَرَ كَاتِبَهُ عَيْبِدَ اللَّهِ بْنِ أَبِي رَافِعٍ أَنْ يَقْرَأَهَا، وَ عَيَّنَ عَلَيْهِ السَّلَامُ عَشْرَةَ مِنْ ثِقَاتِهِ لئَلَّا يَشْغِبَ النَّاسَ، كَمَا صَرَّحَ بِهِ فِي رِوَايَةِ الْكَلْبِيِّ، وَ مَضْمُونُ فِقْرَاتِ الذِّيلِ تَدَلُّ أَيْضًا عَلَى كَوْنِ الْكَلَامِ خَطْبَهُ فِي التَّحْرِيبِ عَلَى الْجِهَادِ، وَ لَا مَنَاسِبَةَ لَهَا أَنْ تَكُونَ كِتَابًا إِلَى أَهْلِ مِصْرَ، فَالظَّاهِرُ أَنَّ الْمَصْنَفَ رَأَى أَنَّهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ كَتَبَ لِلنَّاسِ بَعْدَ فَتْحِ مِصْرَ، فَلَمْ يَتَدَبَّرْ وَ تَوَهَّمَ أَنَّهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ كَتَبَ

ص: ٤٢٣

[١-١] (١-١) الغارات ٣٠٢-١:٣٢٢. [١]

[٢-٢] (٢-٢) الإمامه و السياسه ١٥٤-١:١٥٩. [٢]

[٣-٣] (٣-٣) لم أجد نسخته، و لكن نقله عنه السيد ابن طاوس في كشف المحجبه لثمره المهجه ١/١ السيد ابن طاوس-كشف المحجبه-، و عنه العلامة المجلسي رحمه الله في بحار الأنوار ٢/العلامة المجلسي-بحار الأنوار-ج ٨ ص ١٨٤ تا ١٨٨، ط الكمباني [٣] ١٨٤:٨-١٨٨، ط الكمباني.

بالكتاب إلى أهل مصر. فزاد (مع الأشر) من الخارج.

ثم «و منه» في (المصريه) (1)، و لكن في (ابن أبي الحديد و ابن ميثم) (2): «و من هذا الكتاب»، فهو الصحيح.

روى الأوّل عن رجاله، عن عبد الرحمن بن جندب، عن أبيه قال: خطب على عليه السّلام بعد فتح مصر و قتل محمّد بن أبي بكر - إلى أن قال بعد ذكر بعثه النبي صلّى الله عليه و آله و سلّم و أيّام الثلاثه و آثام الثالث في أيامه -: و إنّ فيهم من قد شرب فيكم الخمر، و جلد الحدّ، يعرف بالفساد في الدين، و في الفعل السيّء، و إنّ فيهم من لم يسلم حتّى رضخ له رضخه، فهؤلاء قاده القوم، و من تركت ذكر مساويه من قادتهم مثل من ذكرت منهم، بل هو شرّ و يود هؤلاء الذين ذكرت لو ولّوا عليكم، فأظهروا فيكم الكفر و الفساد و الفجور و التسلّط بجبريه، و اتّبعوا الهوى، و حكموا بغير الحقّ، و لأنتم على ما كان فيكم من تواكل و تخاذل، خير منهم و أهدى سبيلا، فيكم العلماء و الفقهاء، و النجباء و الحكماء، و حملة الكتاب و المتهجّيدون بالأسحار، و عمّار المساجد بتلاوه القرآن، أفلا - تسخطون و تهتمون أن ينازعكم أمرى؟ فو الله لئن أطعتموني لا - تغوون، و إن عصيتموني لا ترشدون، خذوا للحرب اهبتها و أعدّوا عدّتها، قد شبّت نارها، و علا سناؤها، و تجرّد لكم فيها الفاسقون، كي يعذبوا عباد الله و يطفئوا نور الله، إلاّ - أنه ليس أولياء الشيطان من أهل الطمع و المكر و الجفاء، بأولى في الجدّ في غيهم و ضلالهم من أهل البرّ و الزهاده و الإخبات في حقّهم و طاعه ربهم، و الله لو لقيتهم فردا و هم ملء الأرض ما باليت و لا استوحشت، و إنّى من ضاللتهم التي هم فيها، و الهدى الذي نحن عليه، لعلّي ثقّه و بينه و يقين

ص: ٤٢٤

١- ١) نهج البلاغه ١٣١: ٣.

٢- ٢) كذا في شرح ابن أبي الحديد ١٧: ٢٢٥، و [١] لكن في شرح ابن ميثم ٥: ٢٠١؛ و [٢] منه أيضا.

و بصيره، و إني إلى لقاء ربي لمشتاق، و لحسن ثوابه لمنتظر، و لكن أسفا يعتريني و حزنا، أن يلي أمر هذه الامه سفهاؤها و فجارها، فيتخذوا مال الله دولاً، و عباده خولاً، و الفاسقين حزبا. و ايم الله لو لا ذلك لما أكثر تأنيبكم و تحريضكم، و لتركتكم إذا و نيتم و أبيتكم، حتى ألقاهم بنفسى متى حم لقاءهم، فو الله إني لعلى الحق، و إني للشهادة لمحّب، فانفروا «خفافاً و ثقلاً» وَ جَاهِدُوا بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ذَلِكَ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ» (١) و لا- ثاقلوا إلى الأرض فتقرّوا بالخسف و تبوؤا بالذل، و يكن نصيبكم الأخرس. إن أخا الحرب اليقظان، و من ضعف أردى، و من ترك الجهاد كان كالمغبون المهين، اللهم اجمعنا و إياهم على الهدى، و زهدنا و إياهم فى الدنيا، و اجعل الآخرة خيراً لنا و لهم من الأولى (٢).

و فى الثانى: قام حجر بن عدى و عمرو بن الحمق و فلان إلى على عليه السلام، فسألوه عن أبى بكر و عمر، و قالوا: بين لنا قولك فيهما و فى عثمان، فقال كرم الله وجهه: أو قد تفرغتم لهذا، و هذه مصر قد افتتحت و شيعتى فيها قد قتلت؟ إني مخرج إليكم كتاباً انبئكم فيه ما سألتمونى، فاقرءوه على شيعتى. فأخرج إليهم كتاباً- إلى ان قال:- و إن منهم لمن شرب فيكم و جلد حدّاً فى الإسلام، فهؤلاء قاده القوم، و من تركت ذكر مساويه منهم شرّ و أضر، و هؤلاء الذين لو ولّوا عليكم لأظهروا فيكم الغضب و الفخر و التسلط بالجبروت، و التناول بالغصب و الفساد فى الارض، و لاتبعوا الهوى، و ما حكموا بالرشاء، و أنتم على ما فيكم من تخاذل و تواكل، خير منهم و أهدى سبيلاً، فيكم الحكماء و العلماء و الفقهاء، و حملة القرآن و المتهجدون بالأسحار، و العباد و الزهاد فى

ص: ٤٢٥

١- ١) التوبه: ٤١. [١]

٢- ٢) الغارات ٣٠٢-١: ٣٢٢، و [٢] نقله الشارح بتصرّف و تلخيص.

الدنيا، وعمار المساجد و أهل تلاوه القرآن، أفلا تسخطون و تنقمون أن ينازعكم الولايه عليكم سفهاؤكم و الأراذل و الأشرار منكم؟ اسمعوا قولى إذا قلت، و أطيعوا أمرى إذا أمرت، و اعرفوا نصيحتى إذا نصحت، و اعتقدوا حزمى إذا حزمت، و التزموا عزمى إذا عزمت، و انهضوا نهوضى و قارعوا من قارعت، و لئن عصيتمونى لا ترشدوا و لا تجتمعوا، خذوا للحرب اهبتها و أعدوا لها آلتها، فإنها قد وقدت نارها و علا سناها، و تجرد لكم الظالمون كيما يطفئوا نور الله، و يقهروكم.

عباد الله إنه ليس أولياء الشيطان من أهل الطمع و الجفاء، بأولى فى الجدد فى غيهم و ضلالهم و باطلهم، من أهل النزاهه و الحق، و الاخبات بالجد فى حقهم، و طاعه ربهم و مناصحه إمامهم، إئى و الله لو لقيتهم وحيدا منفردا، و هم فى أهل الأرض، إن باليت بهم أو استوحشت منهم، إئى فى ضلالهم الذى هم فيه، و الهدى الذى أنا عليه، لعلى بصيره و يقين و بينه من ربى، و إئى للقاء ربى مشتاق، و لحسن ثوابه لمنتظر راج، و لكن أسفا يعترينى، و جزعا يرينى، من أن يلى هذه الامه سفهاؤها و فجارها، فيتخذوا مال الله دولا- و عباد الله خولا و الصالحين حربا و القاسطين حزبا، و ايم الله لو لا ذلك، ما أكثرت تأليبكم و تحريضكم، و لتركتم، فو الله إئى لعلى الحق، و إئى للشهاده لمحّب، أنا نافر بكم إن شاء الله... (1).

و فى الثالث: و روايته عن على بن إبراهيم بإسناده عنه عليه السلام: و إنّ منهم من قد شرب الخمر و ضرب حدّا فى الإسلام، و كلّكم يعرفه بالفساد فى الدين، و إن منهم من لم يدخل فى الإسلام و أهله حتى رضخ عليه رضيعه، فهؤلاء قادة القوم، و من تركت لكم ذكر مساويه أكثر و أبور، و أنتم تعرفونهم بأعيانهم

ص: ٤٢٤

و أسمائهم، كانوا على الاسلام ضداً، و لنبى الله صلى الله عليه و آله و سلم حرباً، و للشيطان حزباً، لم يتقدم إيمانهم، و لم يحدث نفاقهم، و هؤلاء الذين لو ولوا عليكم، لأظهروا فيكم الفخر و التكبر، و التسلط بالجبريه و الفساد فى الأرض، و أنتم على ما كان منكم من تواكل و تخاذل، خير منهم و أهدى سبيلاً، منكم الفقهاء و العلماء و الفهماء، و حمله الكتاب، و المتعجرون بالأسحار.

ألا تسخطون و تنقمون ان ينازعكم الولايه السفهاء البطاء عن الإسلام الجفاه فيه؟ اسمعوا قولى - يهديكم الله - إذا قلت، و أطيعوا أمرى إذا أمرت، فو الله لئن أطعتمونى لا - تغووا، و إن عصيتمونى... قال الله تعالى: «أَفَمَنْ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ أَحَقُّ أَنْ يُتَّبَعَ أَمْ مَنْ لَا يَهْدِي إِلَّا أَنْ يُهْدَىٰ فَمَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ» (١)، و قال تعالى لنبىه صلى الله عليه و آله و سلم: «إِنَّمَا أَنْتَ مُنذِرٌ وَ لِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ» (٢).

فالهادى بعد النبى صلى الله عليه و آله و سلم هاد لامته على ما كان من رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم، فمن عسى أن يكون الهادى إلا - الذى دعاكم إلى الحق و قادكم إلى الهدى؟ خذوا للحرب اهبتها، و أعدوا لها عدتها، فقد شبت و اوقدت نارها، و تجرد لكم الفاسقون لكيما يطفئوا نور الله بأفواههم، و يغروا عباد الله، إلا - إنه ليس أولياء الشيطان من أهل الطمع و الجفاه، أولى بالحق من أهل البرّ و الاخبات فى طاعه ربهم، و مناصحه إمامهم، أنى و الله لو لقيتهم وحدى و هم و أهل الأرض ما استوحشت منهم و لا - باليت، و لكن أسف يرينى، و جزع يعترينى، من أن يلى هذه الامه فجارها و سفهاؤها، يتخذون مال الله دولاً و كتابه دخلاً، و الفاسقين حزباً، و الصالحين حرباً، و أيم الله لو لا ذلك ما أكثرت تأنيبكم و تحريضكم، و لتركتكم إذ أبيتم، حتى ألقاهم متى حتم لى لقاؤهم، فو الله إنى لعلى الحق، و أنى

ص: ٤٢٧

١-١ (١) يونس: ٣٥. [١]

٢-٢ (٢) الرعد: ٧. [٢]

للسهاده لمحَبّ، و إنّي إلى لقاء ربّي لمشتاق، و لحسن ثوابه لمنتظر، أنّي نافر بكم فانفروا «خِفافاً وَ ثِقَالاً وَ جَاهِدُوا بِأَمْوَالِكُمْ وَ أَنْفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ» و لا تثقلوا إلى الأرض فتعمّوا بالذل و تقرّوا بالخسف، و يكون نصيبكم الخسران، إنّ أخا الحرب اليقظان الأرق، إنّ نام لم تنم عينه، و من ضعف أودى، و من كره الجهاد في سبيل الله، كان المغبون المهين، إنّني لكم اليوم على ما كنت عليه أمس، و لستم لي على ما كنتم عليه. من تكونوا ناصريه، أخذ بالسهم الأخب.

و الله لو نصرتم الله لنصركم و ثبت أقدامكم، إنّهُ حق على الله أن ينصر من نصره، و يخذل من خذله، أ ترون الغلبه لمن صبر بغير نصر، و قد يكون الصبر جبناً، و إنّما الصبر بالنصر، و الورود بالصدور، و البرق بالمطر، اللهم اجمعنا... (١).

«إنّي و الله لو لقيتهم واحدا و هم طلاع الأرض» أي: ملؤها.

«ما باليت» أي: ما اكرثت.

«و لا- استوحشت» من وحدتي، كما أنّ إبراهيم عليه السّلام ما استوحش من وحدته في توحيدهِ، و كون جميع أهل الأرض مشركين، فإنّ الأنبياء و أوصياء الأنبياء لا يبالون من قيام جميع أهل الدنيا على خلافهم، و لا يستوحشون من انفرادهم. و لما كان الناس يشيرون على الحسين عليه السّلام ببيعه يزيد، لكونه ذا سلطان و الناس كلّهم معه، و عدم ناصر له، كان يقول: و الله لو لم يكن لي في الدنيا ملجأ و لا مأوى لما بايعت يزيد.

«و إنّني من ضلالهم الذي هم» أي: العثمانيه و الطالبين بدم عثمان.

«فيه و الهدى الذي أنا عليه لعلّ بصيره من نفسي و يقين من ربّي» و كذلك

ص: ٤٢٨

١ - ١) نقله عنه السيد ابن طاوس في كشف المحجّه لثمره المهجه:، و [١] عنه العلامة المجلسي رحمه الله في بحار الأنوار ٨: ١٨٤-١٨٨، [٢] ط الكمباني.

كانت شيعته عليه السّلام، فكان عمّار يقول: والله لو ضربونا حتى نبليغ سعفات هجر، لعلمت أنا على الحقّ وهم على الباطل.

«وإني إلى لقاء الله لمشتاق و بحسن» هكذا في (المصريه) (١)، و الصواب:

(و لحسن) كما في (ابن أبي الحديد و ابن ميثم (٢) و الخطيبه).

«ثوابه لمنتظر راج» ان قتلت أو مت، و في (الطبري): أن الحرّ لَمّا كان يسائر الحسين عليه السّلام في الطريق، يقول له: اذكرك الله في نفسك، فإنني أشهد لئن قاتلت لتقتلن. فقال عليه السّلام له: أ فبالموت تخوفني؟! و هل يعدو بكم الخطب أن تقتلوني، ما أدرى ما أقول لك؟ و لكن أقول كما قال أخو الأوس لابن عمّه -لقيه و هو يريد نصره النبي صلّى الله عليه و آله و سلّم، فقال له: أين تذهب فإنّك مقتول- فقال له:

سأمضي و ما بالموت عار على الفتى إذا ما نوى حقًا و جاهد مسلما

و آسى الرجال الصالحين بنفسه و فارق مشورا يغش و يرغما (٣)

«و لكتى آسى» بالفتح من (اسى) بالكسر، أى: حزن.

«أن يلي أمر هذه الامه سفهاؤها و فجارها» من تواكلكم و تخاذلكم، كما كان كذلك أيام عثمان، و في (صفيين نصر): أنّه عليه السّلام لَمّا أراد المسير إلى الشام، قام خطيبا و قال: سيروا إلى أعداء السنن و القرآن، سيروا إلى بقيه الأحزاب و قتله المهاجرين و الأنصار (٤).

بل لم يختصّ ما ذكره عليه السّلام بأيام عثمان، أ لم يل أمر الناس أيام أبي بكر خالد بن الوليد الذي قتل مالك بن نويرة غدرا و فجر بامرأته؟ أو لم يل أمر الناس أيام عمر المغيرة بن شعبه الذي زنا محصنا؟ و كان صاحب تلك النفس

ص: ٤٢٩

١- ١) في نهج البلاغه ٣:١٣١ «و [١] حسن».

٢- ٢) كذا في شرح ابن أبي الحديد ١٧:٣٢٥، و لكن في شرح ابن ميثم ٥:٢٠١ «و حسن» أيضا.

٣- ٣) تاريخ الطبري ٥:٤٠٤، سنه ٦١. [٢]

٤- ٤) وقعه صفين: ٩٤. [٣]

الخيئه الذى حمل معاويه على استلحاق زياد به، و على استخلاف يزيد السكير القمير على الائمة، و لما اعترضوا على عثمان بتوليته المنافقين، أجابهم بتوليته عمر المغيره مع نفاقه، و إنما كانت توليه الفجار و السفهاء أيام عثمان أكثر.

و فى (حليه أبى نعيم) فى أبى، عن قيس بن عباد قال: قدمت المدينة للقاء أصحاب محمد صلى الله عليه و آله و سلم، فلم يكن فيهم أحد أحب إليّ لقاء من أبى بن كعب، ففقت فى الصفّ الأوّل، فخرج، فلما صلى حدثت فما رأيت الرجال متحت أعناقها إلى شىء منهم إلى أبى، فسمعتة يقول: هلك أهل العقد (١) و رب الكعبه - قالها ثلاثا - هلكوا و أهلكوا. أما إني لا آسى عليهم، و لكنى آسى على من يهلكون من المسلمين (٢).

«فيتخذوا مال الله دولا» أى: متداولاً بينهم، و فى (الصحاح): قال محمد بن سلام الجمحى: سألت يونس عن قوله تعالى: «كفى لا يكون دولاً بين الأغنياء منكم» (٣)، فقال: قال أبو عمرو بن العلاء: الدوله بالضم فى المال، و الدوله بالفتح فى الحرب. و قال عيسى بن عمر: كلتاهما تكون فى المال و الحرب سواء (٤).

فى (المروج): قال سعيد بن العاص لما كان والياً على الكوفه من قبل عثمان، فى بعض الأيام: إنما هذا السواد - يعنى العراق - فطير لقريش. فقال له الأشر: أ تجعل ما أفاء الله علينا بظلال سيوفنا و مراكز

ص: ٤٣٠

١ - ١) قال ابن الأثير: يريد البيعه المعقوده للولاه. النهايه ٣: ٢٧٠، [١] ماده: (عقد).

٢ - ٢) حليه الأولياء ١: ٢٥٢. [٢]

٣ - ٣) الحشر: ٧. [٣]

٤ - ٤) الصحاح ٤: ١٧٠٠، [٤] ماده: (دول).

رماحنا بستانا لك و لقومك؟ (١) وفيه: ذكر عبد الله بن عتبة: أن عثمان يوم قتل، كان عند خازنه من المال خمسون و مائه ألف دينار، و ألف و ألف درهم، و قيمه ضياعه بوادي القرى و حنين و غيرهما مائه ألف دينار، و خلف خيلا كثيرا و إبلا (٢).

و في (معارف ابن قتيبه): آوى عثمان الحكم بن أبي العاص، الذي سيره النبي صلى الله عليه و آله و سلم، ثم لم يؤوه أبو بكر و لا عمر، و أعطاه مائه ألف درهم. و تصدق النبي صلى الله عليه و آله و سلم بمهزور-موضع سوق المدينة- على المسلمين، فأقطعه عثمان الحارث بن الحكم أخا مروان، و أقطع فديك- و هي صدقه النبي صلى الله عليه و آله و سلم- مروان، و فتح إفريقيه فأخذ الخمس، فوهبه كله لمروان، فقال عبد الرحمن بن حنبل الجمحي- و كان عثمان سيره:-

و أعطيت مروان خمس العباد فهبته شأوك ممن سعى

و طلب إليه عبد الله بن خالد بن اسيد صله، فأعطاه أربعمائه ألف درهم (٣).

و في (تاريخ اليعقوبي): و زوج عثمان ابنته من عبد الله بن خالد بن اسيد، و أمر له بستمائه ألف درهم، و كتب إلى عبد الله بن عامر أن يدفعا إليه من بيت مال البصره.

و حدث أبو إسحاق عن عبد الرحمن بن يسار، قال: رأيت عامل صدقات المسلمين على سوق المدينة، إذا أمسى أتاها عثمان، فقال له: ادفعها إلى الحكم بن أبي العاص. و كان عثمان إذا أجاز أحدا من أهل بيته بجائزه، جعلها فرضا من بيت المال، فجعل يدافعه و يقول: يكون فنعطيك. فألح عليه فقال له عثمان:

ص: ٤٣١

١-١ (١) مروج الذهب ٢: ٣٤٦. [١]

٢-٢ (٢) المصدر نفسه ٢: ٣٤١-٣٤٢. [٢]

٣-٣ (٣) المعارف لابن قتيبه: ١٩٥، [٣] دار المعارف، [٤] مصر، ط ٢.

إنّما أنت خازن لنا، فإذا أعطيناك فخذ، وإذا سكتنا عنك فاسكت. فقال: كذبت و الله، ما أنا لك بخازن ولا لأهل بيتك، إنّما أنا خازن المسلمين. وجاء بالمفتاح يوم الجمعة و عثمان يخطب، فقال: أيّها الناس زعم عثمان أنّي خازن له و لأهل بيته، و إنّما كنت خازنا للمسلمين، و هذه مفاتيح بيت مالكم. و رمى بها، فأخذها عثمان و دفعها إلى زيد بن ثابت (١).

«و عباده خولا» أي: رقيقا لهم و ملكا، و في (صفين نصر): لمّا أراد على عليه السّلام المسير إلى الشام، قام قيس بن سعد بن عباده، فقال: انكمش بنا إلى عدونا، و لا- تعرج فو الله لجهادهم أحبّ إلّي من جهاد الترك و الروم، لإدهانهم في دين الله و استدلالهم أولياء الله من أصحاب محمّد صلّى الله عليه و آله و سلّم، من المهاجرين و الأنصار و التابعين بإحسان، و إذا غضبوا على رجل حبسوه، أو حرموه، أو سيّروه، و فيثنا لهم في أنفسهم حلال، و نحن لهم في ما يزعمون قطين. يعني: رقيق (٢).

«و الصالحين» كأبي ذر و عمّار.

«حربا» و في (تاريخ اليعقوبي): لمّا بلغ عثمان وفاه أبي ذر، فقال عمّار: نعم، رحم الله أبا ذر من كل أنفسنا. فغلظ ذلك على عثمان، و بلغه عن عمّار كلام، فأراد أن يسيّره أيضا... (٣).

«و الفاسقين» كالوليد بن عقبة الفاسق بنصّ القرآن فيه، و هو أخو عثمان لأمّه، و عبد الله بن سعد بن أبي سرح، الذي أمر النبي صلّى الله عليه و آله و سلّم بقتله و لو وجد متعلقا بأستار الكعبة، و هو أخوه من الرضاع.

«حزبا» و في (صفين نصر): قام عمّار في صفين، فقال: امضوا عباد الله إلى

ص: ٤٣٢

[١-١] تاريخ اليعقوبي ١٦٨:٢-١٦٩. [١]

[٢-٢] وقعه صفين: ٩٢-٩٣. [٢]

[٣-٣] تاريخ اليعقوبي ١٧٤:٢. [٣]

قوم يطلبون في ما يزعمون بدم الظالم لنفسه، الحاكم بغير ما في كتاب الله، إنما قتله الصالحون، المنكرون للعدوان، الأمرون بالإحسان. فقال هؤلاء الذين لا يبالون إذا سلمت لهم دنياهم لو درس هذا الدين: لم قتلتموه؟ فقلنا:

لأحداثه. فقالوا: إنه ما أحدث شيئاً. وذلك لأنه مكنهم من الدنيا فهم يأكلونها و يرعونها، والله ما أظنهم يطلبون دمه، إنهم ليعلمون إنه لظالم، ولكن القوم ذاقوا الدنيا فاستحبوها و استمروا بها، و علموا لو أن الحقّ لزمهم لحال بينهم و بين ما يرعون فيه منها، و لم يكن للقوم سابقه في الإسلام، فخذعوا أتباعهم بأن قالوا: قتل إمامنا مظلوماً، ليكونوا بذلك جابره و ملوكاً... (١).

و فيه: و قال هاشم بن عتبة المرقال لعلى عليه السلام: سر بنا إلى هؤلاء القوم القاسيه قلوبهم، الذين نبدوا كتاب الله وراء ظهورهم، و عملوا في عباد الله بغير رضى الله، فأحلّوا حرامه و حرّموا حلاله، و استولاهم الشيطان و وعدهم الأباطيل، و منّاهم الأمانى حتّى أزاغهم عن الهدى، و قصد بهم قصد الردى، و حبّب إليهم الدنيا، فهم يقاتلون على دنياهم رغبة فيها، كرجبتنا فى الآخرة... (٢).

و ما قاله عليه السّلام من أنّه يأسى أن يلى أمر الامّه من يتخذ مال الله دولا، و عباده خولا... أخبر به النبي صلّى الله عليه و آله و سلّم قبل. فدخل أبو ذر على عثمان بعد إرسال معاويه له من الشام على قتب بغير وطاء و قد ذهب لحم فخذه، فقال عثمان: بلغنى أنّك تقول: سمعت النبي يقول: إذا كملت بنو أبى العاص ثلاثين اتّخذوا عباد الله خولا و دين الله دغلا. فقال له: نعم، سمعته يقول ذلك. فطلب منه شاهداً فشهد عليه السّلام له لقول النبي صلّى الله عليه و آله و سلّم المتّفق عليه فى أبى ذر: ما أظلت الخضراء و لا

ص: ٤٣٣

١- ١) وقعه صفين: ٣١٩. [١]

٢- ٢) المصدر نفسه: ١١٢. [٢]

أقلت الغبراء ذا لهجه أصدق من أبي ذر.

روى ذلك المسعودى (١) و يعقوبى (٢) و الواقدى (٣) و غيرهم .

«فإنّ منهم الذى قد شرب فيكم الحرام و جلد حدّا فى الإسلام» قال ابن أبى الحديد:

قال الراوندى: «هو المغيرة». و أخطأ لأن المغيرة أتهم بالزنا و لم يحدّ، و لم يجر للمغيرة ذكر فى الشرب، و أيضا لم يشهد المغيرة صفين مع معاوية، و لا مع على عليه السّلام، و ما للراوندى و هذا؟! إنّما يعرف هذا الفن أربابه. و الذى عناه عليه السّلام الوليد بن عقبه بن أبى معيط (٤).

قلت: لا ريب فى إرادته عليه السّلام الوليد، كما يفصح عنه كلامه الآخر الذى رواه الطبرى عن زيد بن وهب: أنّ عليّا عليه السّلام مرّ على جماعه من أهل الشام بصفين، فيهم الوليد بن عقبه و هم يشتمونه، فأخبروه عليه السّلام بذلك فوقف فى ناس من أصحابه، فقال: انهدوا إليهم و عليكم السكينة و سيماء الصالحين و وقار الاسلام، و الله لأقرب قوم من الجهل بالله عزّ و جلّ، قوم قائدهم و مؤدّبهم معاوية، و ابن النابغة، و أبو الأعور السلمى، و ابن أبى معيط شارب الحرام و المجلود حدّا فى الاسلام، و هم أولى يقومون فيقصبوننى و يشتموننى، و قبل اليوم ما قاتلوني و شتمونى، و أنا إذ ذاك أدعوهم إلى الإسلام، و هم يدعوننى إلى عبادة الأصنام، فالحمد لله، قديما عادانى الفاسقون فعبدتهم الله.

إنّ هذا لهو الخطب الجليل، أنّ فساقا كانوا غير مرضيين، و على الإسلام و أهله متخوفين، خدعوا شطر هذه الامة، و اشربوا قلوبهم حبّ الفتنة، و استمالوا

ص: ٤٣٤

١-١) مروج الذهب ٣٤٨:٢-٣٥٠.

٢-٢) تاريخ يعقوبى ١٧١:٢-١٧٢. [١]

٣-٣) نقله عنه ابن أبى الحديد فى شرح نهج البلاغه ٥٥:٣-٥٦. [٢]

٤-٤) شرح ابن أبى الحديد ٢٢٧:١٧. [٣]

أهواءهم بالافكك و البهتان،قد نصبوا لنا الحرب فى إطفاء نور الله... (١).

لكن ردّه الراوندى: بأنّ المغيره أتهم بالزنا،و(لم يحدّ)تجنب عن الحقيقه، و إلا فالمغيره زنا محققا،و إنّما منع عمر الشاهد الرابع من أداء شهادته كاملا، حتّى لا- يحدّه،وقد قال الحسن عليه السّلام لمعاويه: بأنّ الله يسأله عن ذلك، كما ان قوله فى ردّه: إنّ المغيره لم يشهد صفين مع أحد،فى غير محلّه،فإنّ كلامه عليه السّلام ليس فى من شهد صفين بالخصوص،لأنّ كلامه عليه السّلام لم يكن فى صفين،بل فى الكوفه بعد النهروان كما عرفت،و المغيره و إن اعتزل لدهائه لاحتماله غلبه أمير المؤمنين عليه السّلام،كما اتّفتت و دفعوها بالحيله،إلا أنّه لم يكن أدون من الوليد،وقد ولى بعده عليه السّلام على الناس أيام حياته لتخاذل أصحابه عليه السّلام،وقد عرفت أنّه هو الذى حمل معاويه على استلحاق زياد و استخلاف يزيد،و مفاستهما فى الإسلام معلومه،و هو الذى أقام خطباء يسبّونه عليه السّلام لَمّا بويع معاويه،فضلا عن سبّه بنفسه أيام حياته على المنبر، بوصيه معاويه إليه لَمّا ولاه.

ثم إنّ ابن أبى الحديد نقل عن(أغانى أبى الفرج)أحوال الوليد،شربه و غير شربه.و نحن نقتصر منها على ما له زياده دخاله،فمن رواياته عن ابن شوذب:صلّى الوليد بأهل الكوفه الغداه أربع ركعات-ثم التفت إليهم-فقال:

ازيدكم؟فقال ابن مسعود:ما زلنا معك فى زياده منذ اليوم (٢).

و عن هشام الكلبي،و أبى عبيده،و الأصمعى،قالوا:كان الوليد زانيا، يشرب الخمر،فشرب بالكوفه و قام ليصلّى بهم الصبح،فصلّى بهم أربع ركعات،ثم التفت إليهم فقال:أ ازيدكم؟و تقياً فى المحراب!و أنشد فى الصلاه:

ص: ٤٣٥

١- (١) تاريخ الطبرى ٤٥:٥، سنه ٣٧. [١]

٢- (٢) الأغانى ١٢٥:٥، [٢] شرح ابن أبى الحديد ٢٢٩:١٧. [٣]

فشخص أهل الكوفة إلى عثمان فأخبروه، فأتى به، فأمر رجلا- أن يضربه الحدّ، فلمّا دنا منه قال: نشدتك و قرابتى من الخليفة. فتركه، فخاف على عليه السّلام أن يعطل الحدّ، فقام إليه فحدّه بيده، فقال له الوليد نشدتك: و القرابه. فقال على عليه السّلام له: اسكت. فإنّما هلك بنو إسرائيل لتعطيلهم الحدود. فلمّا فرغ من حدّه قال: لتدعوني قريش بعدها جلّادا (١).

و عن مطر الوراق قال: قدم رجل من أهل الكوفة إلى المدينة، فقال لعثمان:

إني صليت صلاه الغداه خلف الوليد، فالتفت في الصلاه إلى الناس فقال:

أ أزيدكم فإنّي أجد اليوم نشاطا؟ و شممننا منه رائحه الخمر. فضرب عثمان الرجل، فقال الناس: عطلت الحدود و ضربت الشهود (٢).

و عن الزهرى قال: خرج رهط من أهل الكوفة إلى عثمان في أمر الوليد، فقال لهم عثمان: أكلّمنا غضب رجل على أميره رماه بالباطل؟ لئن أصحبت لكم لأنكلنّ بكم. فاستجاروا بعائشه، و أصبح عثمان فسمع من حجرتها صوتا و كلاما فيه بعض الغلظه، فقال: أما يجد فساق العراق و مرّاقها ملجأ إلا بيت عائشه؟ فسمعت ذلك، فرفعت نعل النبي صلّى الله عليه و آله و سلّم و قالت: تركت سنّه صاحب هذا النعل. و تسمع الناس فجاءوا حتّى ملئوا المسجد- إلى أن قال:- و دخل رهط من الصحابه على عثمان، فقالوا له: اتق الله و لا تعطّل الحدود، و اعزل أخاك عنهم. ففعل (٣).

و لمّا عزله أمر عليها سعيد بن العاص، فلمّا قدمها قال: اغسلوا المنبر فإنّ

١- ١) الأغاني ١٢٦: ٥، [١] شرح ابن أبي الحديد ٢٣٠: ١٧. [٢]

٢- ٢) الأغاني ١٣١: ٥، [٣] شرح ابن أبي الحديد ٢٣٣: ١٧. [٤]

٣- ٣) الأغاني ١٣٠: ٥- ١٣١، [٥] شرح ابن أبي الحديد ٢٣٢: ١٧- ٢٣٣. [٦]

الوليد كان رجسا نجسا فلم يصعده حتى غسل (١).

و عن ابن الأعرابي: أنّ أبا زبيد وفد على الوليد حين استعمله عثمان على الكوفة، فأنزله الوليد دار عقيل عند باب المسجد، واستوهبها فوهبها له، فكان ذلك أول الطعن عليه من أهل الكوفة، لأنّ أبا زبيد كان يخرج من داره حتى يشق المسجد إلى الوليد فيسمر عنده و يشرب معه، و يخرج و يشقّ المسجد و هو سكران، فذاك نبههم عليه (٢). و كان أبو زبيد نصرانيا.

و مات الوليد فويق الرقّة، و مات أبو زبيد هناك، فدفنا جميعا في موضع واحد، فمرّ أشجع السلمى بقبريهما، و قال:

مررت على عظام أبي زبيد و قد لاحت ببلقعه صلود (٣)

فكان له الوليد نديم صدق فنادم قبره قبر الوليد (٤)

و عن الزهرى: أنّ النبي صَلَّى الله عليه و آله و سلّم رجز في غزاه بنى المصطلق مواساه لأصحابه، فقالوا له: قلت قولاً لا ندرى ما هو؟ كنت تقول: «جندب و ما جندب و إلّا قطع زيد الخير» فقال صَلَّى الله عليه و آله و سلّم: هما رجلان يكونان في هذه، يضرب أحدهما ضربه يفرّق بين الحقّ و الباطل، -إلى أن قال-: و أمّا جندب هذا فدخل على الوليد و عنده ساحر يقال له: أبو شيان، فيخرج مصارين بطنه ثم يردّها، فجاء من خلفه فضربه و قتله، و قال:

العن وليدا و أبا شيان و ابن حبيش راكب الشيطان

ص: ٤٣٧

١- ١) الأغاني ١٤٥: ٥، [١] شرح ابن أبي الحديد ٢٤٢: ١٧. [٢]

٢- ٢) الأغاني ١٣٥: ٥، [٣] شرح ابن أبي الحديد ٢٣٦: ١٧. [٤]

٣- ٣) البلقع و البلقعه: الأرض القفر التي لا - شىء بها. الصحاح ١١٨٨: ٣، [٥] مادة: (بلقع). و أرض صلود: لا- تثبت. أساس البلاغة: ٢٥٧، مادة: (صلد).

٤- ٤) الأغاني ١٤٦: ٥، [٦] شرح ابن أبي الحديد ٢٤٣: ١٧. [٧]

و عن ابن عباس قال: قال الوليد لعليّ عليه السّلام: أنا أحدّ منك سنانا، وأبسّط منك لسانا، وأملأ لكّتيبه. فقال له عليّ عليه السلام: اسكت يا فاسق! فنزل القرآن فيهما:

«أَفَمَنْ كَانَ مُؤْمِنًا كَمَنْ كَانَ فَاسِقًا لَا يَسْتَوُونَ» (٢). قال: وقال ابن عبد البرّ صاحب (الاستيعاب): لا خلاف بين أهل العلم بتأويل القرآن، إنّ قوله تعالى:

«إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا» (٣) انزلت في الوليد لما بعثه النبي صلّى الله عليه وآله وسلّم مصدقا، فكذب عليّ بنى المصطلق و قال: إنهم ارتدوا و امتنعوا من اداء الصدقه، و فيه و في عليّ عليه السّلام نزل «أَفَمَنْ كَانَ مُؤْمِنًا كَمَنْ كَانَ فَاسِقًا لَا يَسْتَوُونَ» (٤) في قصتهما المشهوره (٥).

قال: و روى أبو الفرج مسندا: أنّ امرأه الوليد جاءت إلى النبي صلّى الله عليه وآله وسلّم تشتكى إليه الوليد بأنّه يضربها، فقال لها: قولى له إنّ النبي قد أجارنى، فانطلقت، فمكثت ساعه، ثم رجعت فقالت: إنّّه ما قلع عنى. فقطع النبي صلّى الله عليه وآله وسلّم هديه من ثوبه، و قال لها: اذهبي بها إليه و قولى له: إنّ النبي قد أجارنى، فانطلقت، فمكثت ساعه ثم رجعت، فقالت: ما زادنى إلاّ ضربا. فرفع النبي صلّى الله عليه وآله وسلّم يده ثم قال: «اللهمّ عليك بالوليد» مرتين أو ثلاثا (٦).

و في (المروج): كان الوليد يشرب مع ندمائه و مغنّيه من أوّل اللّيل إلى الصباح، فلما آذنه المؤذن بالصلاه، خرج فى غلّائه فتقدّم إلى المحراب فى

ص: ٤٣٨

١- (١) الأغاني ١٤٤: ٥، [١] شرح ابن أبي الحديد ١٧: ٢٤١. [٢]

٢- (٢) السجده: ١٨. [٣]

٣- (٣) الحجرات: ٦. [٤]

٤- (٤) السجده: ١٨. [٥]

٥- (٥) الأغاني ١٤٠: ٥-١٤١، [٦] شرح ابن أبي الحديد ١٧: ٢٣٨-٢٣٩. [٧]

٦- (٦) الأغاني ١٤١: ٥، و [٨] شرح ابن أبي الحديد ١٧: ٢٣٩-٢٤٠. [٩]

صلاه الصبح، فصلّى بهم أربعاً، وقال: تريدون أن أزيدكم؟ قيل: و قال فى سجوده- و قد أطال-: اشرب و اسقنى. فقال له بعض من كان خلفه فى الصفّ الأوّل: ما تريد لا زادك الله مزيد الخير، و الله لا أعجب إلاّ ممّن بعثك علينا واليا؟ و القائل عتاب بن غيلان الثقفى. و خطب الوليد الناس فحصبوه بحصباء المسجد، فدخل قصره يترنّح و يتمثل بأبيات لتأبط شراً:

و لست بعيدا عن مدام و قينه و لا بصفا صلد عن الخير معزل

و لكننى أروى من الخمر هامتى و أمشى الملا بالساحب المتسلسل

و فى ذلك يقول الحطيئه:

شهد الحطيئه يوم يلقي ربّه أنّ الوليد أحقّ بالغدر

نادى و قد تمّت صلاتهم أ أزيدكم ثملا و ما يدرى

ليزدهم اخرى و لو قبلوا لقرنت بين الشفع و الوتر

حبسوا عنانك فى الصلاه و لو خلّوا عنانك لم تزل تجرى

و أشاعوا فى الكوفه فعله، و ظهر فسقه و مداومته شرب الخمر، فهجم عليه جماعه، منهم أبو زينب بن عوف الأزديّ، و جندب بن زهير الأزديّ و غيرهما، فوجدوه سكران مضطجعا على سريره لا يعقل، فأيقظوه من رقدته فلم يستيقظ، ثمّ تقياً عليهم ما شرب من الخمر، فانتزعوا خاتمه من يده، و خرجوا من فورهم إلى المدينه، فأتوا عثمان فشهدوا عنده على الوليد: أنّه شرب الخمر. فقال عثمان: و ما يدريكم أنّه شرب خمرا؟ قالوا: هى الخمر التى كُنّا نشربها فى الجاهليه. و أخرجنا خاتمه فدفعاه إليه، فرزأهما و دفع فى صدرهما، و قال: تنحيا عنى. فخرجا و أتيا عليّاً عليه السّلام و أخبراه بالقصه، فأتى عثمان و هو يقول: دفعت الشهود و أبطلت الحدود. فقال له عثمان: فما ترى؟ قال: أرى أن تبعث إلى صاحبك، فإن أقاما الشهاده عليه فى وجهه و لم يدل بحجه، أقت

عليه الحدّ. فلما حضر الوليد دعاها عثمان فأقاما الشهادة عليه، ولم يدل بحجّه، فألقى عثمان السوط إلى عليّ عليه السّلام، فقال عليه السّلام لابنه الحسن عليه السّلام: قم يا بني فأقم عليه ما أوجب الله عليه. فقال: يكفيه بعض من ترى. فلمّا نظر إلى امتناع الجماعه عن إقامه الحد عليه، توقيًا لغضب عثمان لقرابته منه، أخذ السوط و دنا منه، فلمّا أقبل نحوه، سبّه الوليد، وقال: يا صاحب مكس. فقال عقيل -و كان ممّن حضر-: إنك لتتكلم يا ابن أبي معيط كأنك لا تدري من أنت، إنّما أنت عليج من أهل صفوريه، - قريه بين عكا و اللجون من أعمال الاردن من بلاد طبريه، ذكر أنّ أباه كان يهوديًا منها- فأقبل الوليد يروغ من علي عليه السّلام، فاجتذبه و ضرب به الأرض و علاه بالسوط، فقال عثمان: ليس لك أن تفعل به هذا. قال: بلى و شرّ من هذا، إذا فسق و منع أن يؤخذ حقّ الله منه -إلى أن قال:-

و بلغ الوليد عن رجل من اليهود من ساكني قريه ممّا يلي جسر بابل، يقال له:

زاره، يعمل أنواع من الشعبذه و السحر، يعرف بمطروى، فأحضر فأراه في المسجد ضربا من التخاييل، فأظهر له في الليل فيلا عظيما على فرس في صحن المسجد، ثم صار اليهودى ناقيه يمشى على جبل، ثم أراه صوره حمار دخل من فيه ثم خرج من دبره، ثم ضرب عنق رجل ففرّق بين جسده و رأسه، ثم أمر السيف عليه فقام الرجل، و كان جماعه من أهل الكوفه حضورا، منهم جنذب بن كعب الأزدي، فجعل يستعيد بالله من فعل الشيطان، و من عمل يبعد من الرحمن، و علم أنّ ذلك هو ضرب من التخيل و السحر، فاخترط سيفه فضرب به اليهودى ضربه أدار رأسه ناحيه من بدنه، و قال: «جاء الحقّ و زهق الباطل إنّ الباطل كان زهوقاً» (١)، فأنكر عليه الوليد ذلك و أراد أن يقيده به، فمنعه الأزدي فحبسه و أراد قتله غيله، و نظر السجّان إلى قيامه ليله إلى

ص: ٤٤٠

الصحيح، فقال له: انج نفسك. فقال جندب: تقتل بى. قال: ليس ذلك بكثير فى مرضاه الله و الدفع عن ولى من اولياء الله. فلما أصبح الوليد، دعا به و قد استعدّ لقتله، فأخبره السجّان بهربه، فضرب عنق السجّان، و صلبه بالكناس (١).

«و إنّ منهم من لم يسلم حتّى رضخت له على الإسلام الرضائح» جمع الرضيحة، و فى (الجمهره) يقال: رضخ فلان لفلان من ماله إذ: أعطاه قليلا من كثير. و الاسم الرضيحه يقال: أعطاه رضيحه من ماله و رضاخه (٢).

قال ابن أبى الحديد: قال الراوندى: «يعنى عمرو بن العاص» و ليس بصحيح لأنّ عمرا لم يسلم بعد الفتح، و أصحاب الرضائح كلّهم بعد الفتح صونعوا على الإسلام بغنائم، و إنّما يعنى به معاويه (٣).

قلت: و فى (الطبرى) فى غنائم حنين عن عبد الله بن أبى بكر قال: أعطى النبى صلّى الله عليه و آله و سلّم المؤلفه قلوبهم - و كانوا من أشرف الناس - يتألّفهم، فأعطى أبا سفيان مائه بعير، و أعطى ابنه معاويه مائه بعير - إلى أن قال: - قال أبو سعيد الخدرى: لَمَّا أعطى النبى صلّى الله عليه و آله و سلّم ما أعطى من تلك العطايا فى قريش و قبائل العرب، و لم يكن فى الأنصار منها شىء، و وجدوا فى أنفسهم حتى كثرت منهم القاله - إلى أن قال: - فقال لهم النبى صلّى الله عليه و آله و سلّم: وجدتم فى أنفسكم معشر الأنصار فى لعاعه من الدّنيا، تألّفت بها قوما ليسلموا، و كلتكم إلى إسلامكم، أ فلا ترضون يا معشر الأنصار أن يذهب الناس بالشاه و البعير، و ترجعوا برسول الله إلى رحالكم؟ فو الذى نفس محمّد بيده لو لا - الهجره لكنت امرأ من الأنصار، و لو سلك الناس شعبا و سلك الأنصار شعبا لسلكت شعب الأنصار، اللهم

ص: ٤٤١

١- ١) مروج الذهب ٣٤٤: ٢- ٣٤٨، و [١] النقل بتصرّف و تلخيص.

٢- ٢) جمهره اللغه ٥٨٧: ١، [٢] مادّه: (رضخ).

٣- ٣) شرح ابن أبى الحديد ٢٢٦: ١٧- ٢٢٧. [٣]

ارحم الأنصار و أبناء الأنصار و أبناء أبناء الأنصار. فبكى القوم حتى أخضلوا لحاهم و قالوا: رضينا برسول الله قسما و حظا (١).

«فلو لا ذلك ما أكثرت تأليبيكم» أى: تحريضيكم.

«و تأنيبيكم» أى: لومكم.

«و جمعكم و تحريضيكم» أى: حثكم.

«و لتركتمكم إذ أبيتم و ونيتم» أى: ضعفتكم، فى (صفين نصر): حرّض يزيد بن قيس الأرحبى الناس، فقال: إنّ هؤلاء القوم و الله ما ان يقاتلوا على إقامه دين رأونا ضيعناه، و لا- إحياء عدل رأونا أمتناه، و لن يقاتلونا إلاّ على إقامه الدنيا، ليكونوا جبابره ملوكا. فلو ظهروا عليكم- لا أراهم الله ظهورا- إذن ألزموكم مثل سعيد و الوليد و عبد الله بن عامر السفية، الذى يحدث أحدهم فى مجلسه بذيت و زيت، و يأخذ مال الله و يقول: هذا لى و لا- إثم علىّ فيه، كأنّما أعطى تراثه من أبيه، قاتلوا عباد الله القوم الظالمين، الحاكمين بغير ما أنزل الله، و لا- تأخذكم فى جهادكم لومه لا- إثم، إنهم إن يظهروا عليكم يفسدوا دينكم و دنياكم، و هم من قد عرفتم و جرّبتهم (٢).

«ألا ترون إلى أطرافكم قد انتقضت» فكان معاويه يبعث الجيوش إلى الأطراف و الثغور، فيقتل الناس و يغير عليهم.

«و إلى أمصاركم قد افتتحت» و منها مصر، و هى كانت قسمه مهمه من المملكه.

«و إلى ممالككم تزوى» أى: تجمع و تقبض.

«و إلى بلادكم تغزى» فأغزى جيوش معاويه اليمن و الحجاز و أكثر

ص: ٤٤٢

١- (١) تاريخ الطبرى ٩٣:٣-٩٤، سنه ٨. [١]

٢- (٢) وقعه صفين: ٢٤٧-٢٤٨. [٢]

«رحمكم الله إلى قتال عدوكم ولا تتأقلوا» قال ابن أبي الحديد: بالتشديد، أصله «تتأقلوا» (١).
قلت: إنما قال ذلك لأن في القرآن «اتَّقَلْتُمْ» (٢)، إلا أنه يجوز أن يكون بالتخفيف حذفت إحدى تاءيه تخفيفاً.
«إلى الأرض» قال تعالى: «يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمْ انْفِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ اتَّقَلْتُمْ إِلَى الْأَرْضِ» (٣).
«فتفروا بالخسف» أى: النقيصه.

«و تبهوا» أى: ترجعوا «بالذل» .

«و يكون نصيبكم الأَخس» أى: الدنىء، فى (صفين نصر): كتب عقبه بن مسعود عامله عليه السَّلام على الكوفه إلى سليمان بن صرد-و هو معه عليه السَّلام بصفين-: «أما بعد، فإنهم «إِنْ يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ يَرْجُمُوكُمْ أَوْ يُعِيدُوكُمْ فِي مِلَّتِهِمْ وَلَنْ تُفْلِحُوا إِذًا أَبَدًا» فعليكم بالجهاد و الصبر (٤).

«و إن» هكذا فى (المصريه) (٥)، و الصواب: «ان» كما فى (ابن أبى الحديد و ابن ميثم (٦) و الخطيه).
«أخا الحرب الأرق» أى: لم ينم بالليل.

«و من نام لم ينم عنه» يعنى إن نمت عن العدو فالعدو لا ينام عنك، لكن عرفت

ص: ٤٤٣

١- ١) شرح ابن أبى الحديد ٢٢٦: ١٧. [١]

٢- ٢) التوبه: ٣٨.

٣- ٣) التوبه: ٣٨. [٢]

٤- ٤) وقعه صفين: ٣١٣، و [٣] الآيه ٢٠ من سوره الكهف. [٤]

٥- ٥) نهج البلاغه ١٣٢: ٣.

٦- ٦) فى شرح ابن أبى الحديد ٢٢٥: ١٧، و [٥] شرح ابن ميثم ٢٠٢: ٥، و [٦] «إن» أيضاً.

أن (رسائل الكليني) رواه: (إن نام لم تنم عينه)، فجعله بياناً للأرق، وهو صفة الذئب، قالوا: ينام بإحدى مقلتيه و الأخرى يقظى.

قال حميد بن ثور:

و نمت كنوم الذئب فى ذى حفيظه أكلت طعاما دونه و هو جائع

ينام بإحدى مقلتيه و يتقى باخرى الأعداى فهو يقظان هاجع (١)

هذا و من كتبه عليه السّلام إلى معاويه-لما كتب معاويه إليه عليه السّلام يذكر اعتراضاته عليه السّلام على عثمان، و أنه قصر فى الله فيه:-بلغنى كتابك تذكر مشاغبتى، و تستقبح مؤازرتى، و تزعمنى متحيراً، و عن حق الله مقصيراً، فسبحان الله كيف تستجيز الغيبه و تستحسن العضيئه؟! إننى لم اشاغب إلا فى أمر بمعروف أو نهى عن منكر، و لم أضجر إلا على باغ مارق، أو ملحد منافق، و لم آخذ فى ذلك إلا بقول الله سبحانه: «لا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَ الْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَ رَسُولَهُ وَ لَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ» (٢). و أمّا التقصير فى حق الله، فمعاذ الله، و المقصير فى حق الله من عطّل الحقوق المؤكّده، و ركن إلى الأهواء المبتدعه، و أخلد إلى الضلاله المحيّره (٣).

٢٣

الخطبه (١٥٩)

و من خطبه له عليه السّلام:

وَ لَقَدْ أَحْسَنْتُ جَوَارِكُمْ - وَ أَحَطْتُ بِجُهْدِي مِنْ وَرَائِكُمْ - وَ أَعْتَقْتُكُمْ مِنْ رَبِّ الدُّلِّ وَ حَلَقِ الضَّيْمِ - شُكْرًا مِّنِّي لِلْبِرِّ الْقَلِيلِ - وَ إِطْرَاقًا عَمَّا أَدْرَكَهُ

ص: ٤٤٤

١- (١) أورد البيهقي الجاحظ فى كتاب الحيوان ٤٦٧:٤، و ٤٧٢. [١]

٢- (٢) المجادل: ٢٢. [٢]

٣- (٣) نقله ابن ميثم و عنه العلّامه المجلسى رحمه الله فى البحار ٥٤٠:٨، [٣] ط الكمباني.

الْبَصِيرُ- وَ شَهِدَهُ الْيَدُنُ مِنَ الْمُنْكَرِ الْكَثِيرِ أَقُولُ:الظاهر أنها إشارة إلى دفاعه عليه السّلام عن الناس أيام عثمان،و إذلال بني امية للناس،ففى (الطبرى)قال الواقدي:كتب الصحابه فى سنة(٣٤)بعضهم إلى بعض:إن كنتم تريدون الجهاد فعندنا الجهاد-إلى أن قال:-فاجتمع الناس و كلّموا عليا عليه السّلام فدخل على عثمان فقال:الناس ورائى و قد كلّمونى فيك-إلى أن قال:-ثم خرج على عليه السّلام من عنده و خرج عثمان على أثره فجلس على المنبر،فقال:أما بعد فإن لكل شىء آفه،و لكل أمر عاهه،و إن آفه هذه الامّه و عاهه هذه النعمه عيّابون طعانون،يرونكم ما تحبون و يسرون ما تكرهون، يقولون لكم و يقولون،أمثال النعام يتبعون أوّل ناعق،أحبّ مواردّها إليها البعيد،لا يشربون إلّا نغصا و لا يرون إلّا عكرا،لا يقوم لهم رائد،و قد أعيتهم الامور و تعدّرت عليهم المكاسب-إلى أن قال:-فقام مروان فقال:إن شئتم حكّنا بيننا و بينكم السيف (١).

و عن الواقدي أيضا:جاء على عليه السّلام إلى عثمان بعد انصراف المصريين فقال له:تكلم كلاما يسمعه الناس منك،و يشهدون عليه،و تشهد الله على ما فى قلبك من النزوع-إلى أن قال:-فقال عثمان لمروان:اخرج إلى الناس فكلّمهم،فانى أستحيى أن اكلّمهم.فخرج مروان إلى الناس فقال:ما شأنكم قد اجتمعتم كأنكم قد جئتم لنهب،جئتم تريدون أن تنزعوا ملكنا من أيدينا اخرجوا عنا؟ أما و الله لئن رتمونا ليمرن عليكم منّا أمر لا يسركم،و لا تحمدوا غبّ رأيكم.

ارجعوا فو الله ما نحن بمغلوبين على ما فى أيدينا.فرجع الناس و أتى بعضهم عليا عليه السّلام فأخبره،فدخل مغضبا على عثمان فقال له:أما رضيت من مروان و لا رضى منك إلّا بتحرفك عن دينك و عقلك،مثل جمل الطعينة يقاد حيث

ص:٤٤٥

(١- ١) تاريخ الطبرى ٣٣٦:٤-٣٣٩، سنة ٣٤. [١]

يسار به، والله ما مروان بذى رأى فى دينه، وإننى لأراه سيوردك ثم لا يصدرك، و ما أنا بعائد بعد مقامى هذا لمعاتبتك (١).

وفيه: أن عثمان صعد المنبر، فقام رجل و قال له: أقم كتاب الله- إلى أن قال:- فتحاتوا بالحصباء حتى ما ترى السماء، و سقط عثمان عن المنبر و حمل إلى داره مغشياً عليه، و دخل عليه على عليه السلام و بنو اميّه حوله، فأقبلت بمنطق واحد على على عليه السلام و قالوا له: أهلكتنا و صنعت هذا الصنيع به، أما و الله لئن بلغت الذى تريد لتمرن عليك الدنيا. فقام عليه السلام مغضبا (٢).

و يفهم من هذه الروايات درايات، و منها: أن اعتقاد كون أمر النبى صلى الله عليه و آله و سلم ملكا، لم ينحصر بيزيد بن معاويه الذى قال: لعبت هاشم بالملك فلا خير جاء و لا وحى نزل. و لا بالوليد بن يزيد الذى قال: تلعب بالخلافه هاشمى و لا بمعاويه بن أبى سفيان الذى تلهف للمغيره بعدم استطاعته بإزالته اسم أخى هاشم- أى: النبى صلى الله عليه و آله و سلم- عن المأذونات، بل الأصل فيهم عثمان، فيوم نال الأمر قال أبو سفيان بمشهده: يا بنى اميّه اجعلوا هذا الأمر كره بينكم فلا جنّه و لا نار- و قال أيضا أبو سفيان أيام عثمان- و قد مرّ بقبر حمزه و ضربه برجله:-

يا حمزه إن الأمر الذى اجتلدنا عليه بالسيف أمس، فى يد غلماننا اليوم يتلعبون به.

و يقول مروان- الذى كان سفير عثمان و بمنزله روحه بل فوقه، حيث رضى بقتله دون أن يصل أذى بمروان، و كان من الخبث فوق يزيد:- أ تريدون أن تنزعوا ملكنا من أيدينا؟ بل يظهر حال المؤسس له و لهم.

ص: ٤٤٦

١- ١) تاريخ الطبرى ٣٦٠:٤-٣٦٢، سنة ٣٥، و [١] نقله الشارح بتصريف و تلخيص.

٢- ٢) المصدر نفسه ٣٦٤:٤-٣٦٥، سنة ٣٥، و نقله الشارح بتلخيص.

«و لقد أحسنت جواركم» في (القاموس): الجوار: كسحاب الماء الكثير القعر، و بالكسر أن تعطى الرجل ذمه فيكون بها جارك فتجيره (١).

«و أحطت بجهدى من ورائكم» في (الصحاح)، قال الفراء: الجهد بالضم: الطاقه، و بالفتح: من قولك: اجهد جهدك. أى: ابلغ غايتك (٢).

«و أعتقتكم من ربق الذل» في (الصحاح) الربق: جبل فيه عدّه عرى، يشدّ به البهم، الواحده ربقه (٣).
«و حلق» جمع حلقه.

«الضيم» أى: الذلّ، قد كان الناس أيام عثمان أرقاء أذلاء، فى ربق ذلّ بنى اميّه و حلق ضيمهم، حسبما أخبر به النبى صلّى الله عليه و آله و سلّم فى قوله: إذا بلغ آل أبى العاص ثلاثين رجلا اتخذوا عباد الله خولا و دينه دغلا، و ماله خولا (٤). فأطلقهم أمير المؤمنين عليه السّلام فى أيامه و أعتقهم بطرد بنى أميه .

«شكرا منى للبرّ القليل» من لجأهم إليه عليه السّلام أيام عثمان، و اتفاهم على بيعته بعده .

«و إطراقا عمّا أدركه البصر» فى (الصحاح) قال يعقوب: أطرق الرجل إذا سكت فلم يتكلم، و أطرق أى: أرخى عينيه ينظر إلى الأرض (٥).

«و شهده البدن» من تركهم له عليه السّلام و خذلانهم إيّاه، مع كونه بمنزله نفس النبى صلّى الله عليه و آله و سلّم بنص القرآن علما و عملا و تعيين النبى صلّى الله عليه و آله و سلّم له عليه السّلام من يوم بعثته إلى وقت وفاته قولا و فعلا، يوم السقيفه و يوم الشورى.

ص: ٤٤٧

١-١ (١) القاموس المحيط ٣٩٤:١، [١] ماده: (جور).

٢-٢ (٢) الصحاح ٤٦٠:٢، [٢] ماده: (جهد).

٣-٣ (٣) المصدر نفسه ١٤٨٠:٢، [٣] ماده: (ربق).

٤-٤ (٤) مضت مداركه فى هذا الفصل.

٥-٥ (٥) الصحاح ١٥١٥:٤، [٤] ماده: (طرق).

و من كلام له عليه السلام بعد ما بويع له بالخلافه، و قد قال له قوم من الصحابه: لو عاقبت قوما ممن أجلب على عثمان. فقال عليه السلام:

يَا إِخْوَتَاهُ إِنِّي لَسْتُ أَجْهَلُ مَا تَعْلَمُونَ - وَ لَكِنْ كَيْفَ لِي بِقُوَّةِ وَ الْقَوْمِ الْمُجْلِبِينَ - عَلَى حَيْدٍ شَوْكِهِمْ يَمْلِكُونَنَا وَ لَا نَمْلِكُهُمْ - وَ هَا هُمْ هَؤُلَاءِ قَدْ ثَارَتْ مَعَهُمْ عِيْدَاؤُكُمْ - وَ التَّفْتُّ إِلَيْهِمْ أَعْرَابُكُمْ - وَ هُمْ خِلَالَكُمْ يَشُومُونَكُمْ مَا شَاءُوا - وَ هَلْ تَرُونَ مَوْضِعًا لِقُدْرِهِ عَلَى شَيْءٍ تُرِيدُونَهُ - وَ إِنَّ هَذَا الْأَمْرَ أَمْرٌ جَاهِلِيَّةٌ - وَ إِنَّ لِهَؤُلَاءِ الْقَوْمِ مَادَّةً - إِنَّ النَّاسَ مِنْ هَذَا الْأَمْرِ إِذَا حُرِّكَ عَلَى أُمُورٍ - فِرْقَةٌ تَرَى مَيَّا تَرُونَ وَ فِرْقَةٌ تَرَى مَيَّا لَا تَرُونَ - وَ فِرْقَةٌ لَا تَرَى هَيْدًا وَ لَا ذَاكَ - فَاصْبِرُوا حَتَّى يَهْدِيَ النَّاسُ وَ تَصْعَقَ الْقُلُوبُ مَوَاقِعَهَا - وَ تُوْخَذَ الْحُقُوقُ مَسِيْمَحَةً - فَاهْدُوا عَنِّي وَ انظُرُوا مَا ذَا يَأْتِيكُمْ بِهِ أَمْرِي - وَ لَا تَفْعَلُوا فَعْلَهُ تَضَعُ قُوَّةً وَ تُسْقِطُ مِنْهُ - وَ تُوْرثُ وَ هُنَا وَ ذَلَّةً وَ سَأْمِسُكَ الْأَمْرَ مَا اسْتَيْمَسَكَ - وَ إِذَا لَمْ أَجِدْ بُدًّا فَاجْرِ الدَّوَاءِ الْكُفَى أَقُولُ: كما نسبوا الخطبه (٣١) من الكتاب و هي: «أينها الناس قد أصبحنا في دهر عنود و زمن كنود...» إلى معاويه و هي من كلامه عليه السلام قطعاً- فقال المصنّف ثمّه: إنّ الجاحظ قال في (بيانه): هي بكلام على عليه السلام أشبهه، و بمذهبه في تصنيف الناس و بالإخبار عمّا هم عليه من القهر و الإذلال، و من التقية و الخوف أليق، و متى وجدنا معاويه في حال من الأحوال يسلك في كلامه مسلك الزهاد (١) - كذلك هذا الكلام نسبه إلى أمير المؤمنين عليه السلام، و هو

ص: ٤٤٨

بكلام معاوية أشبهه و بمذهبه فى انتهازه الفرصه من قتله عثمان، و لو كان مثل عمّار و عمرو بن الحمق أليق، و متى وجدنا أمير المؤمنين عليه السّلام فى حال من الأحوال يذمّ قتله عثمان؟ اللهمّ إلاّ قتلوه قتلوه و طلبوا دمه كطلحه و الزبير و عايشه.

و ممّا يوضّح كونه كلام معاوية ما قاله ابن عبد ربّيه فى (عقده): إنّ معاوية قدم المدينة بعد عام المجاعه فدخل دار عثمان، فصاحت عايشه ابنه عثمان و بكت و نادت أباه، فقال معاوية: يا ابنه أخى! إنّ الناس أعطونا طاعه و أعطيناهم أمانا، و أظهرنا لهم حلما تحته غضب، و أظهرنا لنا ذلّاً- تحته حقد، و مع كلّ إنسان سيفه و يرى موضوع أصحابه، فإنّ نكثنا بهم نكثوا بنا، و لا ندرى أعلينا تكون أم لنا، و إن تكونى ابنه عمّ الخليفه، خير من أن تكونى امرأه من عرض الناس (١).

و قد رواه الجاحظ فى (بيانه): عن عيسى بن يزيد عن أشياخه.

و كيف يمكن أن يكون هذا كلامه عليه السّلام و الدرايه بخلافه؟ فقد عرفت كلامه عليه السّلام فى عناوين هذا الفصل و فى مواضع اخر من النهج، و فى غير النهج، و كلام شيعته عليه السّلام فى قتله و قتلته، و كلّها بالضدّ لما هنا.

و كيف يمكن أن يكون هذا كلامه عليه السّلام، و قد ثبت بالتواتر أنّه عليه السّلام آوى قتلته، و كان يدافع عنهم لما كان معاوية يطلبهم؟ ثم من كان الطالب ذلك منه عليه السّلام أولياؤه، فكّلهم كانوا من قاتلى عثمان و خاذليه، أم أعداؤه فلم يباعدوه، بل هربوا منه، فإن كان طلب منه ذلك أحد فليكن طلحه الذى كان على باب عثمان لحصره حتى قتل، و منع من إدخال الماء عليه، و من دخول أحد عليه و منع الناس من دفنه، و أعدّ رجالا يرمون جنازته.

ص: ٤٤٩

و كيف يمكن أن يكون هذا كلامه؟ و من قتلته كان عمّار و محمّد بن أبي بكر و مالك الأشتر؟ و في (خلفاء ابن قتيبه) في عنوان قدوم أبي هريره و أبي الدرداء على معاويه، ذكروا أنّ أبا هريره و أبا الدرداء قدما على معاويه من حمص و هو بصفين، فوعظاه و قالوا له: علام تقاتل عليا و هو أولى بهذا الأمر منك في الفضل و السابقه، لأنّه رجل من المهاجرين الأوّلين السابقين، و أنت طليق و أبوك من الأجزاء؟ فقال: لست أزعم أنّي أولى بهذا الأمر من عليّ، و لكنّي اقاتله حتى يدفع إليّ قتله عثمان. فقالا: إذا دفعهم إليك ما ذا يكون؟ قال: أكون رجلا من المسلمين - إلى أن قال - فأتيا عليا عليه السّلام فقالا له: إنّ لك فضلا لا يدفع، و قد سرت مسير فتى إلى سفيه من السفهاء، و معاويه يسألك أن تدفع إلينا قتله عثمان، فإن فعلت ثم قاتلك كنّا معك. فقال لهما على عليه السّلام: أتعرفانهم؟ قالوا:

نعم. قال: فخذاهم. فأتيا محمّد بن أبي بكر و عمّار بن ياسر و الأشتر، فقالوا: أنتم من قتله عثمان و قد امرنا بأخذكم. فخرج إليهما أكثر من عشره آلاف رجل، فقالوا: نحن قتلنا عثمان. فقالا: نرى أمرا شديدا، البس علينا أمر الرجل.

فانصرفا إلى منزلهما بحمص، فلما قدما حمص لقيهما عبد الرحمن بن عثمان فسألهما عن مسيرهما، فقصّصا عليه القصّه، فقال: العجب منكما أنّكما من صحابه النبي صلّى الله عليه و آله و سلّم، أما و الله لئن كفتما أيديكما ما كفتما ألسنتكما، أتأيتان عليا و تطلبان إليه قتله عثمان؟ و قد علمتما أنّ المهاجرين و الأنصار لو حرموا دم عثمان نصره و بايعوا عليا على قتله فهل فعلوا؟ - إلى أن قال - ففشى قوله و قولهما، فهمّ معاويه بقتله، ثم راقب عشيرته (١).

ثم من يطلب منه عليه السّلام عقوبه المجلبين على عثمان، و لم يكن في

ص: ٤٥٠

أصحابه عليه السّلام من كان له هوى فى عثمان، ولم يكن يطلب يومئذ دم عثمان إلّا من كان عدوّاً له عليه السّلام، وهم بنو أميّة واتباعهم، وقد طلب ذلك منه مروان و الوليد بن عقبه و سعيد بن العاص فنهرهم؟ قال اليعقوبى فى (تاريخه): و بايع الناس عليّا عليه السّلام إلّا ثلاثه نفر من قريش:

مروان بن الحكم و سعيد بن العاص و الوليد بن عقبه -و كان لسان القوم- فقال: يا هذا إنّك قد وترتنا جميعاً- إلى أن قال:- فبايعنا على أن تضع عنّا ما اصبنا، و تعفى لنا عمّا فى أيدينا، و تقتل قتله صاحبنا. فغضب عليّ عليه السّلام و قال:

أمّا ما ذكرت من وترى إيّاكم، فالحقّ و تركم- إلى أن قال:- و أمّا قتلى قتله عثمان فلو لزمنى اليوم قتلهم، لزمنى قتالهم، و لكن لكم أن أحملكم على كتاب الله و سنّه نبيّه، فمن ضاق عليه الحق، فالباطل عليه أضيّق، و إن شتمت فالحقوا بملاحقكم (١).

و لم يرو ما نقل إلّا سيف الذى يقول الطبرى: «كتب إلى السّيرى عن شعيب عن سيف» (٢) و رواياته كلّها كذب و خلاف أهل السير. و من أكاذيبه أنّه قال: إنّ أبا ذر خرج بنفسه إلى الربذه (٣)، و إنّ عثمان نهاه عن ذلك، و قال له: إنّ خروجك إلى الربذه تعزّب بعد الهجره. و روى أنّ سعد بن عباده بايع أبا بكر (٤)، مع تواتر الأخبار بعدم بيعته.

و من خبثه أنّه يقلب الأشياء، مثل بدل كون (بيعه أبى بكر فلتته)، بأنّ عمل سعد كان فلتته قام دونها أبو بكر (٥).

ص: ٤٥١

١- (١) تاريخ اليعقوبى ١٧٨:٢-١٧٩. [١]

٢- (٢) تاريخ الطبرى ٢٨٤:٤-٢٨٥، سنه ٣٠.

٣- (٣) المصدر نفسه.

٤- (٤) تاريخ الطبرى ٢٢٣:٣، سنه ١١. [٢]

٥- (٥) تاريخ الطبرى ٢٦٣:٣-٢٦٤، سنه ١١.

و بدّل قصّه (نبح كلاب حوآب عايشه) بنبح كلاب حوآب أمّ زمّل التي كانت عند عائشه (١).

و من أكاذيبه: أنّ عثمان لمّا بايع أهل الشورى خرج و هو أشدّهم كآبه، فأتى منبر النبي فخطب الناس و قال: إنّكم في دار قلعه، و في بقيه اعمار... (٢) فإنّ السير رووا: أنّ عثمان لمّا بويع خرج إلى داره في غايه السرور، و بنو اميّه حوله، و قال أبو سفيان: لازلت أرجو لكم الخلفه يا بني اميه، اجعلوها كره بينكم، فإنّما هي الملك، فلا جنّه و لا نار. و لمّا أراد خطبته الاولى حصر و قال:

إنّ أبا بكر و عمر كانا يعدان للمنبر و أنا ما أعددت (٣).

و روى أنّ ابن الهرمزان قال: «إنّ عثمان لمّا ولى دعاني فأمكنني من عبيد الله بن عمر قاتل أبي فعفوت عنه» (٤)، مع أنّ أوّل طعن طعنوا به حتى أدّى إلى قتله تركه عبيد الله بلا قصاص (٥).

و روى أنّ الوليد بن عقبه ما شرب الخمر، و إنّما اتّهموه بذلك، و أنّ زهير بن جندب و مورع بن أبي مورع و شبيل بن أبي زينب نقبوا على رجل فقتلوه فقتلهم الوليد، فكان آباؤهم حاقدين على الوليد منذ قتل أبنائهم، و أشاعوا ذلك، و لم يكن على بيت الوليد باب فافتحموا عليه من المسجد، فدخلوا عليه و كان بين يدي الوليد تفاريق عنب، فاستحى أن يروه فأدخله تحت السرير (٦).

و أنّ عثمان أحدث القسامه ليصدّ الناس عن القتل، و أنّ الوليد أتى بساحر

ص: ٤٥٢

١- (١) المصدر نفسه ٣: ٢٦٣-٢٦٤، سنه ١١.

٢- (٢) المصدر نفسه ٤: ٢٤٣، سنه ٢٤.

٣- (٣) الإمامه و السياسه ١: ٢٧، تاريخ يعقوبى ١٦٢-٢: ١٦٣. [١]

٤- (٤) تاريخ الطبرى ٤: ٢٤٣-٢٤٤، سنه ٢٤. [٢]

٥- (٥) الشافى فى الإمامه ٤: ٣٠٣-٣٠٥، شرح ابن أبى الحديد ٣: ٥٩.

٦- (٦) تاريخ الطبرى ٤: ٢٧٣-٢٧٤، سنه ٣٠. [٣]

فأرسل إلى ابن مسعود يسأله عن حدّه، فما أمهله جندب، وجاء فقتله، فاجتمع ابن مسعود و الوليد على حبسه، و كتب الوليد فيه إلى عثمان، فتقدم عثمان إلى الناس ألاّ يعملوا بالظنون، و لا يقيموا الحدود دون السلطان، و أن يستحلفوا جندبا أنّه صادق في ما ظنّ من تعطيل الحدود، و يقرره و يطلقه، فغضب لجندب أصحابه، فخرجوا إلى المدينه فاستعفوه من الوليد، فقال لهم عثمان:

تعملون بالظنون و تخطئون في الإسلام، ارجعوا. فرجعوا فعملوا في عزل الوليد، فدخل أبو زينب و أبو مورد الأسدى عليه و هو نائم، فأخرجاه خاتمه و ذهباه إلى عثمان، فقالا: دخلنا عليه و هو يقىء الخمر. فطلبه عثمان فحلف الوليد أنّ الأمر ما كان كذا، فقال عثمان: نقيم الحدود و يبوء شاهد الزور بالنار (1).

فتراه وضع في مقابل كلّ شيء شيئا، لكنّه لم يدر كيف يصنع بصلاته الصبح و بقوله في الصلاه ازيدكم، فسكت.

و قد قال صاحب (الاستيعاب) مع نصبه: كان الأصمعي و أبو عبيده بن الكلبي و غيرهم يقولون: كان الوليد فاسقا شرّيب خمر، و أخبراه في شرب الخمر و منادمته أبا زيد الطائى مشهوره كثيره يسمح بنا ذكرها، و خبر صلاته بهم و هو سكران و قوله: أزيدكم؟ بعد أن صلّى الصبح أربعا مشهور من روايه الثقات، من نقل أهل الحديث و أهل الأخبار (2).

و لا- خلاف بين أهل العلم بتأويل القرآن، أنّ قوله تعالى: «إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ» نزل في الوليد (3)، و روايه الطبرى: -و أشار إلى روايته عن

ص: ٤٥٣

١- ١) المصدر نفسه ٢٧٥:٤-٢٧٦، سنة ٣٠، و النقل بتلخيص.

٢- ٢) الاستيعاب [١] بهامش الإصابه ٦٣٣:٣-٦٣٤. [٢]

٣- ٣) الاستيعاب [٣] بهامش الاصابه ٦٣٢:٣، و [٤] الآية ٩ من سورة الحجرات.

سيف المتقدمه-أنه تعصبت عليه قوم من أهل الكوفه لا تصح عند أهل الحديث، ولا لها عند أهل العلم أصل... (١).

و الأصل في قصه الساحر ما عرفته من (مروج المسعودي) (٢) في العنوان (٢٢) عند قوله عليه السلام: «و إنَّ منهم الذي شرب فيكم الحرام و جلد حدًا في الإسلام» (٣).

و قد وضع في مقابل خبر الإماميه: (أنَّ الناس ارتدوا بعد النبي صَلَّى الله عليه و آله و سلَّم إلاَّ ثلاثه أو أربعة) (٤)، و يصدقه قوله تعالى: «أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ» (٥) أنه ما تخلف عن بيعه أبي بكر إلاَّ مرتد (٦).

و قد وضع في مقابل ما رووه أنفسهم: أنَّ عمر لَمَّا وقف على باب بيت فاطمه عليها السَّلام و قال: «لتخرجن أو لاحرقنَّها على من فيها» (٧)، فخرجوا و بايعوا إلاَّ عليًا عليه السَّلام فإنه قال: حلفت ألاَّ أخرج و لا أضع ثوبي على عاتقي حتى أجمع القرآن، و أنه لَمَّا أحضروه للبيعه قهرا، لحق بقبر النبي صَلَّى الله عليه و آله و سلَّم و صاح: يا «ابنَ أُمِّ إِبْنِ الْقَوْمِ اسْتَضَعْفُونِي وَ كَادُوا يَقْتُلُونِي» (٨)- أنَّ عليًا لَمَّا سمع بجلوس أبي

ص: ٤٥٤

١- ١) المصدر نفسه ٣:٦٣٥. [١]

٢- ٢) مروج الذهب ٣:٣٤٨.

٣- ٣) نهج البلاغه ٣:١٣٢. [٢]

٤- ٤) انظر الكافي ٢:٢٤٤، و ٨:٢٤٥، [٣] اختيار معرفه الرجال للكشي ١:٢٦-٢٧، [٤] الاختصاص: ٦.

٥- ٥) آل عمران: ١٤٤. [٥]

٦- ٦) تاريخ الطبري ٣:٢٠٧، سنه ١١. [٦]

٧- ٧) انظر: الإمامه و السياسه ١:١٢، [٧] العقد الفريد ٥:١٣، مروج الذهب (من منشورات دار الهجره بقم) ٣:٧٧، الشافى فى الإمامه

١١٩:٤-١٢٠، الاحتجاج ١:٨٠، [٨] كشف المحجّه: ٦٧، روضه المناظر فى أخبار الأوائل و الأواخر: ١١٣.

٨- ٨) الإمامه و السياسه ١:١٢-١٣، [٩] العقد الفريد ٥:١٣-١٤، الاحتجاج ١:٨٠. [١٠]

بكر للبيعه، خرج عجلا بلا إزار و رداء كراهه أن يؤخر عنها (١).

و وضع في مقابل قوله عليه السلام في ابن عمر لما تخلف عن بيعته عليه السلام «إنه ضعيف» (٢)، أنه قال: إنه ثق (٣).

و وضع في مقابل ركوب عايشه البغل لمنع دفن الحسن عليه السلام (٤)، ركوب أم كلثوم البغل لمنع أبيها علي عن تعاقب ابن عمر (٥).

و روى في تسيير عثمان أهل الكوفة و أهل البصره إلى الشام أيضا غير ما ذكره باقي أهل السير، دفعا للطعن عن عثمان (٦).

و روى في مسير أهل البصره إلى ذى خشب أشياء مضحكه، و أنّ ابن سبأ قدم مصر و وضع لهم رجعه النبي، و أنّ عليا وصيه، و بتّ دعائه يكتبون إلى الأمصار بكتب في عيوب و لاتهم، فأرسل عثمان محمّد بن مسلمه إلى الكوفه و اسامه إلى البصره، و ابن عمر إلى الشام، و عمّارا إلى مصر، فرجع الجميع و قالوا: أمراؤهم يقسطون بينهم إلا عمّار، فكتب ابن أبي سرح: إنه استماله قوم بمصر، منهم ابن سبأ، و أنّ السبائيه توافوا بالمدينه فقالوا لرجلين: نريد أن نذكر لعثمان أشياء زرعتها في قلوب الناس، و نرجع إليهم و نقول: إننا قررنا بهما، فلم يخرج منها، و لم يتب. فنخرج فنخلعه أو نقتله. فخطب عثمان الناس و أخبرهم خبر القوم فقالوا جميعا: اقتلهم فإنّ النبي قال: من دعا إلى

ص: ٤٥٥

١- (١) تاريخ الطبرى ٣: ٢٠٧، سنه ١١. [١]

٢- (٢) الإمامه و السياسه ١: ٥٣-٥٤.

٣- (٣) تاريخ الطبرى ٤: ٤٤٧، سنه ٣٦.

٤- (٤) انظر: تاريخ اليعقوبى ٢: ٢٢٥، مقاتل الطالبين: ٤٩، الإرشاد ١٧: ٢-١٩، شرح ابن أبي الحديد ٤٩: ١٦-٥١، بحار الأنوار ١٥٦: ٤٤-١٥٧.

٥- (٥) تاريخ الطبرى ٤: ٤٤٦-٤٤٧، سنه ٣٦. [٢]

٦- (٦) المصدر نفسه ٤: ٣٢٦-٣٢٩، سنه ٣٣.

نفسه أو إلى أحد و على الناس إمام، فعليه لعنة الله فاقتلوه. و قال عمر: لا أحل لكم إلا ما قبلتموه و أنا شريككم (١)- إلى أن قال-
:و فى سنه (٣٥) خرج أهل مصر على أربعة امراء، و كانوا يشتهون عليًا، و خرج أهل الكوفة فى أربعة رفاق و عليهم زيد بن
صوحان و الأشر، و كانوا يشتهون الزبير، و خرج أهل البصره فى أربع رفاق و عليهم حكيم بن جبله العبدى و كانوا يشتهون
طلحه، فنزل أهل البصره ذا خشب، و أهل الكوفه الأعوص، و أهل مصر بذى المروه، فجاء جمع من المصريين عليًا و قد أرسل ابنه
الحسن إلى عثمان، و جاء البصريون طلحه و قد أرسل ابنه إلى عثمان، و قد جاء الكوفيون إلى الزبير و قد أرسل ابنه إلى
عثمان، فصاحوا بهم و أطردهم و قالوا: لقد علم المؤمنون أن جيش ذى مروه و ذى خشب و الأعوص ملعونون على لسان محمد،
فخرجوا و أروا الناس أنهم يرجعون فكروا مع عساكرهم، فقال لهم على: ما ردكم بعد ذهابكم؟ قالوا: أخذنا مع بريد كتابا
بقتلنا. فقال لهم: كيف علمتم يا أهل الكوفه و أهل البصره بما لقي أهل مصر؟ و خطب عثمان فقال: ادخلت فى الشورى عن غير
علم و لا- مسأله، ثم أجمع أهل الشورى عن ملأ- منهم، و من الناس على غير طلب منى و لا- محبه، فعملت فيهم ما يعرفون و لا
ينكرون، تابعا غير مستتبع، متبعا غير مبتدع، مقتديا غير متكلف، فلما انتهت الامور و انتكث الشرى بأهله، بدت ضغائن و أهواء على
غير اجرام و لا- تره فى ما مضى، إلا- امضاء الكتاب، فطلبوا أمرا و أعلنوا غيره بغير حجه و لا- عذر، فعاثوا على أشياء مما كانوا
يرضون، و أشياء عن ملأ- من أهل المدينه لا- يصلح غيرها، فصبرت لهم نفسى و كفتها عنهم منذ سنين و أنا أرى و
أسمع، فازدادوا على الله جراه، حتى أغاروا علينا فى جوار الرسول و حرمه و أرض الهجره، و ثابت

ص: ٤٥٦

إليهم الأعراب، فهم كالأحزاب أيام الأحزاب أو من غزانا باحد (١).

فإنه من ابن سبأ بمصر و ما فعل، و حيث إن بنى اميه كانوا يعبرون عن الشيعة-تهجينا لهم-بالسبايه أى: أتباع ابن سبأ القائل: بالهيه أمير المؤمنين عليه السلام، صنع هذا الواضع هذا الخبر هكذا، و لم يكن لابن سبأ اسم فى أيام عثمان فى كلام غيره.

ثم كيف كان هوى الكوفيين فى الزبير و رئيسهم الأشتر؟ و حاله معلوم و زيد ابن صوحان الذى قيل فيه: دينه دين علي؟ و كيف كان هوى أهل البصره فى طلحه و رئيسهم حكيم بن جبله الذى حارب طلحه قبل قدوم أمير المؤمنين عليه السلام البصره، حتى استشهد و جمع كانوا معه حالهم حاله؟ و الأصل فى وضعه: أن الزبير بايع أمير المؤمنين عليه السلام طمعا فى الكوفه، و بايعه طلحه طمعا فى البصره. و حديثه فى الأحوص و ذى خشب و ذى المروه من الكذب الركيك يكاد يحصل الغثيان منه.

و قد وضعه فى مقابل ما روى بطرق عن أمير المؤمنين عليه السلام فى أهل الجمل: و الله لقد علمت صاحبه اليهودج أن أهل الجمل ملعونون على لسان النبى الامى، «وَقَدْ خَابَ مَنْ افْتَرَى» (٢).

كما أن قوله: إنهم أرسلوا أبناءهم لمعاونه عثمان (٣). كذب محض، أما أمير المؤمنين عليه السلام فكان يمنع الحسين عليه السلام عن الحرب فى الجمل و صفين، لئلا ينقطع بهما نسل النبى صلى الله عليه و آله و سلم. و كيف لم ينقل أحد أنه عليه السلام أجاب معاويه عن نسبه قتل عثمان إليه، بأنه أرسل ابنه لمدده. و كيف يقول عمرو بن العاص

ص: ٤٥٧

١- (١) تاريخ الطبرى ٣٤٨:٤-٣٥٢، سنة ٣٥، و [١] النقل بتصرف و تلخيص.

٢- (٢) رواه فرات الكوفى فى تفسيره: ١٤١، [٢] فى تفسير الآيه ٤٠ من سوره الأعراف، و الآيه ٦١ من سوره طه. [٣]

٣- (٣) تاريخ الطبرى ٣٥٠:٤، سنة ٣٥.

للحسن عليه السّلام-وقد رآه يطوف بالبيت-:أو من الحق أن تطوف بالبيت كما يدور الجمل بالطحن،و عليك ثياب كغرقى البيض و أنت قاتل عثمان؟ و أمّا طلحه فكان محرّضا على عثمان إلى ساعه قتله،و منع من دفنه،فكيف يرسل ابنه و لم يكن ابنه مخالفا له،حتى يروح بنفسه؟فمع كونه من العبّاد حضر لمحاربه أمير المؤمنين عليه السّلام برا له بأبيه،حتى قال عليه السّلام:قتله برّه بأبيه.

نعم،ابن الزبير ذهب من قبل نفسه لمساعدته طمعا أن يحصل له سبب لادعاء الخلافه،وقد كان ادّعى أنّ عثمان أوصى إليه عند قتله.و بغضا لأن يصل الأمر لأمير المؤمنين عليه السّلام،إن قتل عثمان كما قال له ذلك معاويه.و أمّا إرسال أبيه له فلا،و كيف و هو قال:إنّه يود أن يقتل عثمان،و لو قتل ابنه قبله،و لم يكن تابع أبيه حتى يمنعه،بل كان أبوه تابعا له،فالزبير قبل نشوئه كان صالحا و معدودا فى عداد أهل البيت و الهاشميين و ما وضع له فى خطبته من إجماع أهل الشورى على بيعته أيضا خلافاً المقطوع،فطلحه لم يكن وقت بيعته حاضرا،و الزبير كان هواه فى أمير المؤمنين عليه السّلام،و محابّته عليه السّلام ذاك اليوم كيوم السقيفه ممّا ملأ الخافقين،حتى اكرهوه على البيعه،و قد كان عمر أعدّ الأمر لعثمان و وكلّ أبا طلحه مع خمسين لقتله عليه السّلام لو خالف.

و من العجب عدم حياته فى قوله له:«إنّهم أجمعوا عليه كالأحزاب و يوم احد»(١).فمؤسس الأحزاب كان حزبه بنو اميّه،و يوم احد يوم فرار عثمان.

و روى سيف أيضا:أنّ سعدا ممّن استقتل لعثمان(٢).مع أنّه كان باتفاق السير ممّن يطعن فى عثمان إلى أن قتل.

و وضع لمغيره بن الأحنس المناق الذى مرّ كلام أمير المؤمنين عليه السّلام فيه:

ص:٤٥٨

١-١) تاريخ الطبرى ٣٥٢:٤، سنه ٣٥.

٢-٢) تاريخ الطبرى سنه ٣٥، ٣٥٣:٤.

رؤيا في كون قاتله من أهل النار (١).

و وضع للزبير: أنه لما سمع بقتل عثمان قال في قتلته: «وَ حِيلَ بَيْنَهُمْ وَ بَيْنَ مَا يَشْتَهُونَ» (٢). مع أن الزبير قال ذلك في عثمان لما منع الماء، ولا مناسبة لأن يقوله في قتلته حين قتله لأنهم كانوا غالبين.

و وضع لطلحة: أنه لما سمع بقتل عثمان قال في قتلته: تبا لهم «فَلَا يَشَاءُ تَطِيعُونَ تَوْصِيَةَ وَ لَا إِلَى أَهْلِهِمْ يَرْجِعُونَ» (٣). مع أنه أعد رجلا يرمون جنازته و يقولون: نعثل نعثل، ولا يخلونه يدفنونه في مقابر المسلمين، مع أنه لا مناسبة لما قال أيضا.

و روى: أن عائشه خرجت ممتلئه غيظا على أهل مصر لما جاءوا إلى عثمان (٤). مع أنها في طريق الحج لما رأت ابن عباس صار أميرا على الموسم، قالت له: اعطيت لسانا و إياك أن تدفع عنه (٥).

و روى: أن مروان طلب من عائشه الدفاع عن عثمان فقالت: أخاف أن يفعل بي كما فعل بام حبيبه لما أرادت الدفاع عنه (٦). مع أن عائشه قالت لمروان:

و ددت أن صاحبك في غرائي فألقيه في البحر.

و روى: أنه جعل الزبير وصيه، و إنما كان ابنه يدعيها (٧)، مع أن عثمان لما اشتد به الحصار نادى اسقونا الماء و أطعمونا مما رزقكم الله. فناده

ص: ٤٥٩

١- (١) تاريخ الطبري ٤: ٣٩٠، سنة ٣٥.

٢- (٢) تاريخ الطبري ٤: ٣٩٢، سنة ٥، [١] ٣ و الآية ٥٤ من سورة سبأ. [٢]

٣- (٣) تاريخ الطبري ٤: ٣٩٢، سنة ٣٥، و [٣] الآية ٥٠ من سورة يس. [٤]

٤- (٤) تاريخ الطبري ٤: ٣٨٧، سنة ٣٥. [٥]

٥- (٥) تاريخ الطبري ٤: ٤٠٧، سنة ٣٥. [٦]

٦- (٦) تاريخ الطبري ٤: ٣٨٧، سنة ٣٥.

٧- (٧) تاريخ الطبري ٤: ٣٨٩، سنة ٣٥.

الزبير: يا نعتل، والله لا تذوقه.

و روى - وهو من المضحك الركيك-: أن الناس لما قتلوا عثمان جاء المصريون إلى عليّ، والكوفيون إلى الزبير، والبصريون إلى طلحة، لبيعتهم وهم يأبون وينشدون أرجازا (١)، مع أن طلحة و الزبير حرّضا على قتل عثمان لينالوا الخلافة، وهو عليه السّلام يكرّر الشكاية من غضبهم حقّه.

و روى: أن طلحة و الزبير بايعاه مكرهين (٢). مع أنّهما كانا مقرّين بأنّهما بايعاه طوعا، وإنّما كانا مدعين أنّهما خافا على أنفسهما لو لم يبايعاه، فقال عليه السّلام: «أقرّ بالبيعه و ادّعى الوليجه» (٣). و إنّما وضع ذلك ليصحّ بيعه أبي بكر.

و روى: أن طلحة و الزبير اصطلحا مع عثمان بن حنيف على أن يرسلوا كعب بن سور إلى المدينة، هل بايعا طوعا أو مكرها؟ فلم يجبه أحد خوفا من سهل بن حنيف عامل عليّ عليه السّلام سوى اسامه، فقال: بايعاه كارهين. فضربوه حتى أطلقه جمع (٤). وضع ذلك في مقابل أن طلحة و الزبير ضربا عثمان بن حنيف، و نتفا لحيته و أرادا قتله، و لم يقتلوه خوفا على مخلفيهما من أخيه سهل بن حنيف (٥).

و روى: أن طلحة و الزبير ما غدرا بعثمان بن حنيف، بل هو غدر بهما (٦)،

ص: ٤٦٠

١-١) تاريخ الطبرى ٤:٣٤٩، سنة ٣٥.

٢-٢) تاريخ الطبرى ٤:٤٣٠، سنة ٣٥.

٣-٣) قال فى نهج البلاغه: و [١] من كلام له عليه السّلام يعنى به الزبير فى حال اقتضت ذلك: يزعم أنّه قد بايع بيده و لم يبايع بقلبه، فقد أقرّ بالبيعه، و ادّعى الوليجه. انظر نهج البلاغه ١:٣٨، الخطبه ٨. [٢]

٤-٤) تاريخ الطبرى ٤:٤٦٧-٤:٤٦٨، سنة ٣٦. [٣]

٥-٥) شرح ابن أبى الحديد ٩:٣٢٠-٩:٣٢١.

٦-٦) تاريخ الطبرى ٤:٤٦٣، سنة ٣٦.

على خلاف جميع السير، إلى غير ذلك من أكاذيبه.

و من أكاذيبه العجيبه ما قاله: أنّ عليّاً لمّا أراد الجمل خطب، فقال: لا يرتحلنّ أحد أعان على عثمان بشيء في شيء من أمور الناس. فاجتمع علماء، و عدى بن حاتم و سالم بن ثعلبه، و شريح بن أوفى، و الأشر- ممّن سار إلى عثمان- فقال الأشر: إن يصطلح طلحه و الزبير و على نغل دماننا، فهلمّوا فلنتوائب على على عليه السّلام فنلحقه بعثمان- و تكلم كلّ منهم بشيء من قبيل الأشر- و تكلم ابن السوداء فقال: إنّ عزّكم في خلطه الناس فصانعوهم، و إذا التقى الناس غدا فانشبوا القتال، و لا تفرغوهم للنظر و يشغل الله عليّاً و طلحه و الزبير و من رأى رأيهم عمّا تكرهون (1).

و إنّ طلحه و الزبير و عليّاً لم يريدوا القتال، و إنّما هؤلاء انشبوا القتال، فقال طلحه و الزبير لمّا رأيا ذلك: علمنا أنّ عليّاً غير منته حتّى نسفك الدماء. و قال عليّ لمّا رأى ذلك: علمت أنّ طلحه و الزبير غير منتهيين حتّى يسفكا الدماء و إن رأى كلّ منهم ألاّ يبدأ بالقتال. و إنّهم قالوا لعائشه: أدركى الناس، فأبوا إلاّ القتال. فبرزت من البيوت فسمعت ضجّه فقالت: «المهزوم من كانت منه الضجّه» فما مجيئها إلاّ الهزيمة فمضى الزبير في وجهه و جاء طلحه سهم غرب (2).

و روى: أنّ عليّاً سئل عن حالهم إن ابتلوا بالقتل؟ قال: أرجو أن لا يقتل أحد منّا و منهم نقى قلبه لله إلاّ أدخله الله الجنّه (3).

و روى: أنّ عليّاً و عائشه قال كلّ منهما: وددت أنّي متّ قبل الجمل

ص: ٤٦١

١- (١) تاريخ الطبرى ٤٩٣:٤-٤٩٤، سنه ٣٦، و [١] النقل بتلخيص.

٢- (٢) تاريخ الطبرى ٥٠٧:٤-٥٠٨، سنه ٣٦. [٢]

٣- (٣) تاريخ الطبرى ٥٣٧:٤، سنه ٣٦. [٣]

و روى: أنّ عليا أمر لرجل قال لعائشه: «توبى فقد خطيت» بضرب مائه مجردا (٢).

و كذا أمر بضرب آخر قال لها: «جزيت الأم عقوقا» أيضا بالضرب مائه مجردا (٣).

و روى: أنّ النبي صَلَّى الله عليه و آله و سلم سَيرَ الحكم بن أبي العاص من مكّة إلى الطائف، و هو أيضا رده (٤) و ما استحيى أن يقول خلاف المتواتر، و لم يكفه جعل امامه، فإنّه لما اعترضوا عليه في رده، قال: إنّ النبيّ أجازني في رده.

و لقد أغرب في وضع خبر في مقابل قصه عمرو بن العاص في قتل عثمان، فروى الواقدي: أنّ عمرا لما عزله عثمان عن مصر و استعمل ابن أبي سرح، يأتي عليا عليه السلام مرّه فيؤلّبه على عثمان، و يأتي الزبير مرّه فيؤلّبه على عثمان، و يأتي طلحة مرّه فيؤلّبه على عثمان، و يعترض الحاجّ فيخبرهم بما أحدث عثمان، فلما كان حصر عثمان الحصر الأول خرج من المدينة حتّى انتهى إلى أرض له بفلسطين يقال له السبع، فنزل في قصر له يقال له العجلان و هو يقول: العجب ما يأتينا عن ابن عقّان خبر. فبينما هو جالس في قصره ذلك و معه ابناه محمّد و عبد الله و سلامه بن روح الجذامي إذ مرّ بهم راكب فناده عمرو:

من أين قدم الرجل؟ فقال: من المدينة. فقال: ما فعل الرجل -يعني عثمان- قال:

تركته محصورا شديد الحصار. قال عمرو: أنا أبو عبد الله قد يضطر العير و المكواه في النار. فلم يبرح مجلسه ذلك حتّى مرّ به راكب آخر، فناده عمرو:

ص: ٤٦٢

١- (١) تاريخ الطبري ٤: ٥٣٧، سنة ٣٦. [١]

٢- (٢) تاريخ الامم و الملوك للطبري ٣: ٥٨، دار الكتب العلميه، بيروت.

٣- (٣) المصدر نفسه ٣: ٥٨.

٤- (٤) تاريخ الطبري ٤: ٣٤٧، سنة ٣٥. [٢]

ما فعل الرجل؟ قال: قتل. قال: أنا أبو عبد الله إذا حككت قرحه نكأتها. إن كنت احرض عليه حتى إنى لاحرض عليه الراعى فى غنمه فى رأس الجبل. فقال له سلامه بن روح: يا معشر قريش كان بينكم وبين العرب باب فكسرتموه، فما حملكم على ذلك؟ فقال: أردنا أن نخرج الحق من خاصره الباطل، وأن يكون الناس فى الحق شرعا سواء (١).

فقال سيف: قالوا: لَمَّا احيط بعثمان، خرج عمرو بن العاص من المدينه نحو الشام، وقال: و الله يا أهل المدينه ما يقيم بها أحد فيدركه قتل هذا الرجل إلا ضربه الله بذل، و من لم يستطع نصره فليهرب. فسار مع ابنه و خرج بعده حسان، فبينما عمرو جالس بعجلان و معه ابنه إذ مرّ بهم راكب، قال له: من أين قدمت؟ قال: من المدينه. قال: ما اسمك؟ قال حصيره. قال عمرو: حصر الرجل فما الخبر؟ قال: تركته محصورا. ثم مكثوا أياما فمرّ بهم راكب، فقال:

ما اسمك؟ قال: حرب. قال عمرو: يكون حرب، فما الخبر؟ قال: قتل عثمان و بويع لعلى. قال عمرو: أنا أبو عبد الله يكون حرب من حك فيها قرحه نكأها... (٢) وضع فى مقابل ذاك هذا.

ثم إنّه بدل على وضع خبر العنوان خصوصا، سوى ما قلنا من وضع أخباره عموما صدره و ذيله، ففى صدر الخبر: اجتمع إلى على - بعد ما دخل - طلحه و الزبير فى عدّه من الصحابه فقالوا: يا على إننا قد اشترطنا إقامة الحدود، و إن هؤلاء القوم قد اشتركوا فى دم الرجل، و أحلّوا بأنفسهم (٣).

ص: ٤٤٣

١- ١) تاريخ الطبرى ٣٥٦: ٤-٣٥٧، سنه ٣٥. [١]

٢- ٢) تاريخ الطبرى ٣٥٧: ٤، سنه ٣٥. [٢]

٣- ٣) تاريخ الطبرى ٤٣٧: ٤، سنه ٣٥. [٣]

و فى ذيله: واشتد على قريش و حال بينهم و بين الخروج على حالها، و إنما هيجه على ذلك هرب بنى اميه، و تفرق القوم و بعضهم يقول: و الله لئن ازداد الأمر لا قدرنا على انتصار من هؤلاء الأشرار لترك هذا إلى ما قال على أمثل و بعضهم يقول: نقضى الذى علينا و لا- نؤخره، و الله إن عليا لمستغن برأيه و أمره عتيا، و لا- نراه إلا- سيكون على قريش أشد من غيره. فذكر ذلك لعلي، فقام و ذكر فضلهم و حاجته إليهم، و نظره لهم و قيامه دونهم، و أنه ليس لعلي، فقام و ذكر فضلهم و حاجته إليهم، و نظره لهم و قيامه دونهم، و أنه ليس له من سلطانهم إلا ذلك و الأجر من الله، و نادى: برئت الذمه من عبد لم يرجع إلى مواليه، فتذامرت السبائيه و الأعراب، و قالوا: لنا غدا مثلها (١).

فكل منهما واضح الجعل، أما صدره فبيعه عليه السلام إنما كانت بتداك الناس عليه حتى كاد يقتل بعضهم بعضا، و طلحه و الزبير قال، أولا: إنهما بايعا إكراها، فمن بايع مكرها كيف يشترط شيئا؟ و هما كانا مدعين أنهما بايعا خوفا، و المبايع خوفا أيضا لا يمكنه، ثم دخالتهم فى دمه كانت أمرا معلوما، و كيف لا، و قتل مروان لطلحه إنما كان بتأر عثمان، فكيف يعقل اشتراطهما؟ ثم أمير المؤمنين عليه السلام كان قبل خلافته يجرى الحد الذى يجب إجراؤه، كما حد الوليد أخا عثمان لشربه، و أراد قود عبید الله بن عمر بهرمزان لمّا امتنع عثمان من إجراء الحدّ عليه و القصاص منه، حتى فرّ منه و خرج من المدينة إلى كوفان، فلم يكن محتاجا إلى اشتراط. فيدل تركه عليه السلام القصاص من قتله عثمان، كونه مباح الدم عنده، و إنما قال الوليد بن عقبه من قبله و قبل مروان و سعيد له بعد: نبايعك على أن تقتل قتله عثمان. فانتهره و قال له: لزمنى ذلك لفعلته أولا. و أمّا ذيله فمن قريش التى يقول عليه السلام: ليس له من سلطانهم إلا ذلك. و إنما كان عليه السلام يقول: أجمعوا على حربى كإجماعهم على حرب

ص: ٤٤٤

النبي صَلَّى اللهُ عليه وآله وسلم. والخبيث سمع من بنى امية سبائيه فانهم كانوا يعبرون عن شيعته عليه السلام بالسبائيه تهجينا لهم، بانهم مثل ابن سبا في الغلو فيه والقول بالالهيه له، لا ان فرقه سبائيه كانت موجوده.

و بالجمله، هذا الخبر كباقي أخبار سيف، التي ينقلها الطبري عن السدي عن شعيب عنه، كذب و افتعال، إلا أن المصنف عفا الله عنه، كان مغرماً على جمع كلام فصيح منسوب إليه عليه السلام، مع أنه ليس بتلك الفصاحة مع أن خطبه نسبها إلى عثمان التي نقلناها عنه أفصح، فالرجل كان أديباً تاريخياً شاعراً و كان خبيثاً داهياً، فكان يقلب كل شيء و يموهه بكلمات أدبيته، و يضع له أراجيز حتى يلبس الحق بالباطل، لكن الباطل زهوق، فكل أهل السير من الواقدي و المدائني و صاحب (المغازي) و غيرهم - و كلهم من رجالهم - أظهروا كذبه، و الله يفضح الكاذب فقال: «إن طلحه كان من المدافعين عن عثمان» (1)، و قال:

«لما أصاب طلحه سهم قال: اللهم خذ مني لعثمان حتى ترضى» (2) إلى غير ذلك من تناقضاته.

و كيف غرّ المصنف به؟ و قد نقل في باب كتبه في التاسع كتابه عليه السلام إلى معاويه: و أمياً ما سألت من دفع قتله عثمان إليك، فإني نظرت في هذا الأمر و ضربت أنفه و عينه، فلم أر دفعه إليه، و لا إلى غيرك، و لعمري لئن لم تنزع عن غيئك و شقاقك لتعرفتهم عن قليل يطلبونك... (3).

و حيث إن العنوان مفتعل و ليس من كلامه عليه السلام قطعاً، لم نتعرض لشرح فقراته و لكن (سأستمسك) في (المصريه) (4) محرف (و سأمسك) بشهاده (ابن

ص: ٤٦٥

١-١) تاريخ الطبري ٤:٤٥١، و ٤:٤٦٢، سنة ٣٦.

٢-٢) المصدر نفسه ٤:٥٢٧، سنة ٣٦.

٣-٣) نهج البلاغه ٣:١١ [١] الكتاب ٩.

٤-٤) في نهج البلاغه ٢:٩٩ «و سأمسك» أيضاً.

أبي الحديد و ابن ميثم (١) و الخطيبه).

هذا و فى آخر خبر (الطبرى): «فاهدءوا عنى و انظروا ما ذا يأتىكم ثم عودوا» (٢)، و الظاهر أن الرضى رضى الله عنه أخذ قوله «و لا تفعلوا فعله...»، من موضع آخر مناسب كما هو دأبه، فيجمع ما روى عنه عليه السلام فى موضعين و معناهما واحد.

هذا و فى (المصريه) التحريف فى موضعين، أحدهما: فى قوله: «و إن هذا الأمر» (٣) و ثانيهما: فى قوله: «و لا ذاك» (٤) ففى (ابن أبى الحديد و ابن ميثم (٥) و الخطيبه): «إن هذا الامر» بدون واو و فيها «و لا هذا».

٢٥

الكتاب (٥٨)

و من كتاب له عليه السلام كتبه إلى أهل الأمصار يقتصّ فيه ما جرى بينه و بين أهل صفين:

وَ كَأَنَّ يَدَيْ أَمْرِنَا أَنَا التَّقِينَا وَ الْقَوْمُ مِنْ أَهْلِ الشَّامِ؟ - وَ الظَّاهِرُ أَنَّ رَبَّنَا وَحْدَهُ وَ نَبِيَّنَا وَحْدَهُ - وَ دَعَوْتَنَا فِي الْإِسْلَامِ وَحْدَهُ - لَا نَسْتَرِيدُهُمْ فِي الْإِيمَانِ بِاللَّهِ وَ التَّصَدِيقِ بِرَسُولِهِ - ص وَ لَا يَسْتَرِيدُونَنَا - الْأَمْرُ وَحْدَهُ إِلَّا مَا اخْتَلَفْنَا فِيهِ مِنْ دَمِ عُثْمَانَ؟ - وَ نَحْنُ مِنْهُ بَرَاءٌ - فَقُلْنَا تَعَالَوْا نُدَاوِ مَا لَا يُدْرِكُ الْيَوْمَ - يَاطْفَاءِ النَّائِرَةِ وَ تَسْكِينِ الْعَامَةِ - حَتَّى يَشْتَدَّ الْأَمْرُ

ص: ٤٦٦

١- ١) شرح ابن أبى الحديد ٢٩١: ٩، [١] شرح ابن ميثم ٣٢١: ٣. [٢]

٢- ٢) تاريخ الامم و الملوك ٧٠٢: ٢، [٣] دار الكتب العلميه بيروت.

٣- ٣) نهج البلاغه ٩٨: ٢. [٤]

٤- ٤) نهج البلاغه ٩٩: ٢. [٥]

٥- ٥) كذا شرح ابن أبى الحديد ٢٩١: ٩، و [٦] لكن فى شرح ابن ميثم ٣٢٠: ٣ «و إن هذا الأمر» أيضا، مع الواو و «و لا ذاك» كما فى النهج.

وَيَسْتَجْمِعُ - فَنَقُوى عَلَى وَضَعِ الْحَقِّ فِي مَوَاضِعِهِ - فَقَالُوا بَيْلُ نُدَاوِيهَ بِالْمُكَابَرَةِ - فَأَبَوْا حَتَّى جَنَحَتِ الْحَرْبُ وَرَكَدَتْ - وَوَقَدَتْ نِيرَانَهَا وَحَمِشَتْ - فَلَمَّا ضَرَّسْتَنَا وَإِيَّاهُمْ - وَوَضَعَتْ مَخَالِبَهَا فِيْنَا وَفِيهِمْ - أَجَابُوا عِنْدَ ذَلِكَ إِلَى الَّذِي دَعَوْنَاهُمْ إِلَيْهِ - فَأَجَبْنَاهُمْ إِلَى مَا دَعَوْا وَسَارَعْنَاهُمْ إِلَى مَا طَلَبُوا - حَتَّى اسْتَبَانَتْ عَلَيْهِمُ الْحُجَّةُ - وَانْقَطَعَتْ مِنْهُمْ الْمَعِيدَةُ - فَمَنْ تَمَّ عَلَى ذَلِكَ مِنْهُمْ - فَهُوَ الَّذِي أَنْقَذَهُ اللَّهُ مِنَ الْهَلَكَةِ - وَمَنْ لَعَجَّ وَتَمَادَى فَهُوَ الرَّاكِسُ - الَّذِي رَانَ اللَّهُ عَلَى قَلْبِهِ - وَصَارَتْ دَائِرَةُ السُّوءِ عَلَى رَأْسِهِ أَقُولُ: لَمْ أَقِفْ عَلَى سِنْدٍ لَهُ، وَلَا يَبْعَدُ كَوْنَهُ مِثْلَ سَابِقِهِ مِنْ رَوَايَاتِ سَيْفِ الْمَوْضُوعِ، وَالطَّبْرِي وَ إِنْ لَمْ يَنْقُلْهُ لَكِنْ لَا يَبْعَدُ أَخَذَ الْمُصَنِّفُ لَهُ مِنْ أَسْلِ كِتَابِ سَيْفٍ، وَإِلَّا فَكَيْفَ يَقُولُ عَلَيْهِ السَّلَامُ: الْأَمْرُ وَاحِدٌ إِلَّا مَا اخْتَلَفْنَا فِيهِ مِنْ دَمِ عَثْمَانَ، وَنَحْنُ مِنْهُ بِرَأْيٍ؟ فَإِنْ الْمُرَادُ بِقَوْلِهِ (وَنَحْنُ) هُوَ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَ أَهْلُ الْحِجَازِ وَ أَهْلُ الْعِرَاقِ، فِي مِقَابِلِ أَهْلِ الشَّامِ، مَعَ أَنَّ مِنَ الْمَقْطُوعِ أَنَّهُ كَانَ فِي أَصْحَابِهِ الْمَجْلِبُونَ عَلَى عَثْمَانَ وَ الْمُبَاشِرُونَ لِقَتْلِهِ، وَ أَنَّمَا الْاِخْتِلَافُ بَيْنَهُمْ أَنَّ أَصْحَابَهُ الْمَجْلِبُونَ عَلَى عَثْمَانَ وَ الْمُبَاشِرُونَ لِقَتْلِهِ، وَ أَنَّمَا الْاِخْتِلَافُ بَيْنَهُمْ أَنَّ أَصْحَابَهُ كَانُوا يَقُولُونَ مِثْلَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ إِنْ عَثْمَانَ كَانَ حَلَالِ الدَّمِ، لَا يَسْتَحِقُّ قَاتِلَهُ قِصَاصًا، وَ أَهْلُ الشَّامِ كَانُوا يَقُولُونَ: كَانَ عَثْمَانَ خَلِيفَةً حَقًّا، يَجِبُ قِتَالُ قَاتِلِهِ وَ قِتَالُ الْمُحَامِلِينَ عَنْهُمْ، وَ إِنْ لَمْ يَكُونُوا مِنَ الْقَاتِلِينَ، كَأَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَ أَهْلِ بَيْتِهِ.

فَفِي (صَفِينِ نَصْرٍ): قَالَ زَيْدُ بْنُ وَهْبٍ الْجَهَنِيُّ: إِنَّ عَمَّارًا نَادَى يَوْمَئِذٍ: أَيُّنَ مِنْ يَتَّبِعُنِي رِضْوَانُ رَبِّهِ، وَ لَا يُؤْبِ إِلَى مَالٍ وَ لَا وَلَدٍ؟ فَأَتَتْهُ عِصَابُهُ، فَقَالَ:

اقْصِدُوا بِنَا نَحْوَهُ هَؤُلَاءِ الْقَوْمِ الَّذِينَ يَبْغُونَ دَمَ عَثْمَانَ، وَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُ قَتَلَ مَظْلُومًا، وَ اللَّهُ إِنْ كَانَ إِلَّا ظَالِمًا لِنَفْسِهِ، الْحَاكِمُ بَغِيرَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ (١).

ص: ٤٤٧

و روى عن عبد الرحمن بن جندب عن أبيه، قال: قام عمار بصفين فقال:

امضوا عباد الله إلى قوم يطلبون في ما يزعمون بدم الظالم لنفسه، الحاكم على عباد الله بغير ما في كتاب الله، إنما قتله الصالحون المنكرون للعدوان، الآمرون بالإحسان، فقال هؤلاء الذين لا يباليون إذا سلمت لهم دنياهم لو درس هذا الدين: لم قتلتموه؟ فقلنا: لأحدثه. فقالوا: إنه ما أحدث شيئا، وذلك لأنه مكّنهم من الدنيا، فهم يأكلونها و يرعونها، ولا يباليون لو انهدت عليهم الجبال، و الله ما أظنهم يطلبون دمه، إنهم ليعلمون إنه لظالم، و لكن القوم ذاقوا الدنيا فاستحبوها و استمروها، و علموا لو أن الحقّ لزمهم، لحال بينهم و بين ما يرعون فيه منها، و لم يكن للقوم سابقه في الإسلام يستحقون بها الطاعة و الولاية، فخدعوا أتباعهم بأن قالوا: قتل إمامنا مظلوما، ليكونوا بذلك جباره و ملوكا (١).

و عن الإفريقي بن أنعم- في حديث جمع ذى الكلاع بين عمار و عمرو بن العاص، لحديث سمعه ذو الكلاع من عمرو في أيام عمر، ان النبي صلى الله عليه و آله و سلم قال:

عمار تقتله الفئة الباغية (٢).

قال عمرو لعمار: فما ترى في قتل عثمان؟ قال: ففتح لكم باب كل سوء. قال عمرو: فعلى قتله؟ قال عمار: بل الله ربّ على قتله، و على معه. قال عمرو: فلم قتلتموه؟ قال عمار: أراد أن يغير ديننا فقتلناه (٣).

و روى في حديث مشى القراء بين معاوية و بين أمير المؤمنين عليه السلام، أنّ القراء قالوا له عليه السلام: إنّ معاوية يقول لك: إن كنت صادقا في أنك لم تأمر بقتل

ص: ٤٤٨

١- ١) وقعه صفين: ٣١٩. [١]

٢- ٢) وقعه صفين: ٣٣٢-٣٣٥، و [٢] النقل بتصرف و تلخيص.

٣- ٣) وقعه صفين: ٣٣٨-٣٣٩. [٣]

عثمان، و لم تماليء على قتله، فادفع إلينا قتلته أو أمكنا منهم؟ فقال على عليه السلام:

القوم تأولوا عليه القرآن، و وقعت الفرقة و قتلوه في سلطانه، و ليس على ضربهم قود (١).

و روى في حديث بعث معاويه حبيب بن مسلمه و شرحبيل بن السمط إلى أمير المؤمنين عليه السلام أنهما قالا: لعلي عليه السلام: أ تشهد أن عثمان قتل مظلوما؟ فقال لهما: إنني لا أقول ذلك. قالا: فمن لم يشهد أن عثمان قتل مظلوما فنحن منه برآء. ثم قاما و انصرفا، فقال على عليه السلام: إنك «لا- تُسْمِعُ الْمَوْتَى وَ لا- تُسْمِعُ الصُّمَّ الدُّعَاءَ إِذَا وُلُّوا مُدْبِرِينَ وَ مَا أَنْتَ بِهَادِ الْعُمَى عَن ضَلَالَتِهِمْ إِنْ تُسْمِعُ إِلَّا مَنْ يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا فَهُمْ مُسْلِمُونَ» (٢).

و روى في حديث بعث معاويه أبا إمامه الباهلي و أبا الدرداء إليه عليه السلام- لَمَّا كَانَا قَالَا لِمَعَاوِيَةَ: عَلَامَ تَقَاتِلَ عَلَيْنَا؟ فَوَاللَّهِ لَهْوُ أَقْدَمِ مِنْكَ إِسْلَامًا وَ أَقْرَبَ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ وَ سَلَّمَ وَ أَحَقَّ بِالْأَمْرِ. وَ قَالَ لَهُمَا مَعَاوِيَةُ: عَلَى دَمِ عَثْمَانَ وَ إِيَوَائِهِ قَتَلْتَهُ، فَإِنْ يَقْدِنِي مِنْ قَتَلْتَهُ أَكُنْ أَوَّلَ مَنْ يَبَايِعُهُ مِنْ أَهْلِ الشَّامِ. فَقَدَمَا عَلَيْهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَ أَبْلَغَاهُ كَلَامَ مَعَاوِيَةَ: -أَنَّ عَلِيًّا عَلَيْهِ السَّلَامُ قَالَ لَهُمَا: هُمُ الَّذِينَ تَرَوْنَ. فَخَرَجَ عَشْرُونَ أَلْفًا أَوْ أَكْثَرَ مَسْرِبِينَ فِي الْحَدِيدِ، لَا يَرَى مِنْهُمْ إِلَّا الْحَدَقَ، فَقَالُوا: كَلَّنَا قَتَلَهُ فَإِنْ شَاءُوا فَلِيروموا ذلك منا (٣).

و روى في حديث بعث معاويه أبا مسلم الخولاني بكتاب إليه عليه السلام: فقال أبو مسلم لعلي عليه السلام: إنك قد قمت بأمر وليته، و الله ما احب أنه لغيرك إن أعطيت الحق من نفسك، إن عثمان قتل مسلما محروما مظلوما، فادفع إلينا قتلته و أنت

ص: ٤٦٩

١-١ (١) وقعه صفين: ١٨٨-١٨٩. [١]

٢-٢ (٢) وقعه صفين: ٢٠٠-٢٠٢، و [٢] النقل بتلخيص، و الآيات ٥٢-٥٣ من سورة الروم. [٣]

٣-٣ (٣) وقعه صفين: ١٩٠. [٤]

أميرنا، فإن خالفك من الناس أحد كانت أيدينا لك ناصره، و ألسنتنا لك شاهده، و كنت ذا عذر و حجّه.

فقال له على عليه السّلام: اغد عليّ غدا فخذ جواب كتابك. فانصرف ثم رجع من غد ليأخذ جواب كتابه، فوجد الناس قد بلغهم الذي جاء فيه قبل، فلبست الشيعة أسلحتها، ثم غدوا فملئوا المسجد فنادوا: كلنا قتله عثمان. و أكثروا من النداء بذلك، فقال أبو مسلم لعليّ عليه السّلام: لقد رأيت قوما مالك معهم أمر. قال: و ما ذاك؟ قال: بلغ القوم أنّك تريد أن تدفع إلينا قتله عثمان، فضجّوا و اجتمعوا و لبسوا السلاح و زعموا أنّهم كلهم قتله عثمان. فقال على عليه السّلام: و الله ما أردت أن أدفعهم إليك طرفه عين قط، لقد ضربت هذا الأمر أنفه و عينه، فما رأيتته ينبغي لي أن أدفعهم إليك و لا إلى غيرك.

فخرج أبو مسلم و هو يقول: الآن طاب الضراب (١).

و روى في حديث الفتى الشامى الذى حمل على هاشم المرقال و أصحابه القراء و جعل يلعن و يشتم: أنّ هاشما قال له: اتق الله فإنّك راجع إلى ربّيك فسائلك عن هذا الموقف و ما أردت به، فقال: اقاتلكم لأنّ صاحبكم قتل خليفتنا، و أنتم وازرتموه على قتله. فقال له هاشم: و ما أنت و ابن عفان، إنّما قتله أصحاب محمّد صلّى الله عليه و آله و سلّم و قراء الناس، حين أحدث أحداثا و خالف حكم الكتاب؟ و أصحاب محمّد صلّى الله عليه و آله و سلّم هم أصحاب الدين و أولى بالنظر فى امور المسلمين (٢).

و روى فى أراجيز الشاميّين:

ان عليا قتل ابن عفان خليفه الله على تبيان

ص: ٤٧٠

١- ١) وقعه صفين: ٨٥-٨٦. [١]

٢- ٢) وقعه صفين: ٣٥٤-٣٥٥. [٢]

ردوا علينا شيخنا كما كان (١)

و في أراجيز العراقيين رجز بعضهم:

أبت سيوف مذحج و همدان بأن نرد نعثلا كما كان

خلقا جديدا بعد خلق الرحمن (٢)

و رجز بعضهم:

نحن قتلنا صاحب المراق و قائد البغاه و الشقاق

عثمان يوم الدار و الإحراق (٣)

و رجز بعضهم:

نحن قتلنا نعثلا بالسيره إذ صدّ عن أعلامنا المنيره

يحكم بالجور على الشعيره نحن قتلنا قبله المغيره (٤)

و المراد بالمغيره ابن عمّ عثمان، الذي كسر أسنان النبي صلّى الله عليه و آله و سلّم يوم احد و شجّ رأسه، و لما انهزم الكفار في الأَحزاب كان المغيره نائما فأيقظته الشمس - و كان النبي صلّى الله عليه و آله و سلّم أهدر دمه - فاستجار بعثمان، فشفع له عثمان، فأمهله بشرط ألا يرى بعد ثلاثه، فبقى بعدها، فبعث النبي صلّى الله عليه و آله و سلّم فقتله.

و روى: أنّ رجلا من أهل الشام صاح:

ردّوا علينا شيخنا ثم بجل و لا تكونوا جزرا من الأسل

فأجابه رجل من العراق:

كيف نردّ نعثلا و قد قحل نحن ضربنا رأسه حتى انجفل

ص: ٤٧١

١-١ (١) وقعه صفين: ٢٢٨. [١]

٢-٢ (٢) وقعه صفين: ٢٢٨. [٢]

٣-٣ (٣) وقعه صفين: ٣٨٣، و [٣] القائل: همام بن الأعفل الثقفي.

٤-٤ (٤) وقعه صفين: ٣٨٣، و [٤] القائل: محمّد بن أبي سبره بن أبي زهير القرشي.

لَمَّا حَكَمَ حُكْمَ الطَّوَاغِيتِ الْأُولَى وَ جَارَ فِي الْحُكْمِ وَ جَارَ فِي الْعَمَلِ (١)

و روى فى حديث التحكيم: أنّ حمرة بن مالك خطيب الشام قام بين الصّفين، فقال: انشدكم الله يا أهل العراق ألا أخبرتمونا لم فارقتمونا؟ قالوا:

لأنّ الله عزّ و جلّ أحلّ البراءة ممّن حكم بغير ما أنزل الله، فتولّيتم الحاكم بغير ما أنزل الله، و قد أمر الله بعداوتة و حرّمتم دمه و قد أمر الله بسفكه، فعاديناكم لأنكم حرّمتم ما أحلّ الله و حلّلتم ما حرم الله، و عطّلتم أحكام الله و اتبعتم هواكم بغير هدى من الله.

فقال حمرة: قتلتم خليفتنا و نحن غيب عنه، بعد أن استتبتموه فتاب، فعجلتم عليه فقتلتموه، فنذكركم الله لَمَّا أنصفتم الغائب المتهم لكم، فإنّ قتله لو كان عن ملاءمة من الناس و مشوره كما كانت إمرته، لم يحل لنا الطلب بدمه، و قد رضينا أن تعرضوا ذنوبه على كتاب الله أولها و آخرها، فإن أحلّ الكتاب دمه برئنا منه و ممّن تولّاه و من يطلب بدمه، و كنتم اجرتهم فى أوّل يوم و آخره. و إن كان كتاب الله يمنع دمه و يحرمه تبتم إلى الله ربكم، و أعطيتم الحق من أنفسكم فى سفك دم بغير حلّه، بعقل أو قود أو براءة ممّن فعل ذلك و هو ظالم، و نحن قوم نقرأ القرآن و ليس يخفى علينا منه شيء، فأفهمونا الأمر الذى استحللتم عليه دماءنا- إلى أن قال:- فقالوا له: قد قبلنا من عثمان حين دعى إلى الله و التوبه من بغيه و ظلمه، و قد كان منّا عنه كف حين أعطانا أنّه تائب، حتى جرى علينا حكمه بعد تعريفه ذنوبه، فلمّا لم يتم التوبه و خالف بفعله عن توبته، قلنا: اعتزلنا نولّ أمر المسلمين رجلا يكفيك و يكفيننا، فإنّه لا يحل لنا أن نولّى أمرهم رجلا تتهمه فى دماءنا و أموالنا. فأبى ذلك و أصرّ،

ص: ٤٧٢

فلما ان رأينا ذلك قتلناه (١).

و بالجمله،فرض صحّحه قوله (و نحن منه برآء)، يستلزم أن يكون قاتل عثمان الجن أو الملائكة.

ثمّ يظهر ممّا مرّ أنّ طريقه عامّه الأعصار المتأخره عن عصر أمير المؤمنين عليه السّلام، في قولهم بأبي بكر و عمر و عثمان و به عليه السّلام،خلاف إجماع الامّه في عصره عليه السّلام، لأنّ جمهور أهل السنّه كانوا يقولون بأبي بكر و عمر و به عليه السّلام، و الامويه و من كان هواه هواهم، كأهل الشام عموما و معدود من ساير البلاد خصوصا، كانوا يقولون بأبي بكر و عمر و عثمان دونه عليه السّلام.

و أما الجمع بينه عليه السّلام و بين عثمان فكان كالجمع بين الضدّين. و لما حملت الامويه في مدّه سلطنتهم القول بعثمان على رقاب الناس بالسيف، حتى صار دينا عند متأخريهم وضعوا الجمع تصحيحا لمذهبهم.

و أما قوله : (لا- نستزيدهم في الإيمان بالله و التصديق برسوله) فإنّ أوّل بجعله مربوطا بقوله: (و الظاهر أنّ ربّنا واحد، و نبينا واحد، و دعوتنا في الإسلام واحده)، بمعنى أنّ الظاهر أنّنا لا- نستزيدهم لأنّهم يقولون: أشهد أنّ لا إله إلاّ الله كما نقول، و يقولون: أشهد أنّ محمّدا رسول الله كما نقول، و إلاّ فعدم استزاده الإيمان و التصديق مذهب أبي حنيفه، ففي (تاريخ بغداد): قال شريك:

كفر أبو حنيفه بآيتين من كتاب الله تعالى «و يُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَ يُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَ ذَلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ» (٢)، و «لِيُزِدُوا إِيمَانًا مَعَ إِيمَانِهِمْ» (٣)، و زعم أبو حنيفه أنّ الإيمان لا يزيد و لا ينقص. و زعم أنّ الصلاه ليست من دين الله (٤).

ص: ٤٧٣

١- ١) وقعه صفين: ٥١٤-٥١٦. [١]

٢- ٢) البيهقي: ٥. [٢]

٣- ٣) الفتح: ٤. [٣]

٤- ٤) تاريخ بغداد ٣٧٦: ١٣. [٤]

و عن الفزاري، قال أبو حنيفة: إيمان آدم و إيمان إبليس واحد، قال إبليس:

«رَبِّ بِمَا أَعُوَيْتَنِي» (١) و قال: «رَبِّ فَأَنْظِرْنِي إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ» (٢)، و قال آدم: «رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنْفُسَنَا» (٣).

و عن القاسم بن عثمان: مرَّ أبو حنيفة بسكران يبول قائماً، فقال له أبو حنيفة: لو بلت جالساً. فنظر السكران في وجهه و قال: ألا تمرّ يا مرجيء؟ فقال أبو حنيفة: هذا جزائي منك صيرت إيمانك كإيمان جبرئيل (٤).

مع أنّ معاوية و أصحابه لم يكونوا من الإسلام في شيء، فروى (صفيين نصر): عن شيخ من بكر بن وائل: كنّا مع عليّ عليه السّلام بصفّين - إلى أن قال - فقال عليه السّلام: و الذي فلق الحبه، و برأ النسمة، ما أسلموا و لكن استسلموا، و أسروا الكفر حتّى وجدوا عليه أعواناً، رجعوا إلى عداوتهم منّا إلاّ أنّهم لم يدعوا الصلاه (٥).

و عن أبي إسحاق الشيباني، قال: قرأت كتاب الصلح عند سعيد بن أبي بردة، في صحيفه صفراء عليها خاتمان، خاتم من أسفلها و خاتم من أعلاها، في خاتم على عليه السّلام - محمّد رسول الله - و في خاتم معاوية - محمّد رسول الله - فقيل لعليّ عليه السّلام حين أراد أن يكتب الكتاب بينه و بين معاوية و أهل الشام: أتقرّ أنّهم مؤمنون مسلمون؟ فقال: ما أقرّ لمعاوية و لا لأصحابه أنّهم مؤمنون و لا مسلمون، و لكن يكتب معاوية ما شاء و يسمّى نفسه و أصحابه ما شاء (٦).

ص: ٤٧٤

١ - ١) الحجر: ٣٩. [١]

٢ - ٢) الحجر: ٣٦. [٢]

٣ - ٣) تاريخ بغداد ٣: ٣٣٧، ١٣، و [٣] الآية ٢٣ من سورة الاعراف. [٤]

٤ - ٤) المصدر نفسه. [٥]

٥ - ٥) وقعه صفّين: ٢١٥. [٦]

٦ - ٦) وقعه صفّين: ٥٠٩ - ٥١٠. [٧]

و عن الأصمغ قال: جاء رجل إلى علي عليه السّلام فقال: هؤلاء القوم الذين نقاتلهم، الدعوه واحده، و الرسول واحده، و الصلاه واحده، و الحج واحده، فبم نسميهم؟ قال عليه السّلام: بما سّماهم الله في كتابه. قال: ما كلّ في الكتاب أعلمه. قال: أما سمعت الله عزّ وجلّ قال: «تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ» ... «وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَقْتَلَ الَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمْ الْبَيِّنَاتُ وَلَكِنْ اخْتَلَفُوا فَمِنْهُمْ مَنْ آمَنَ وَمِنْهُمْ مَنْ كَفَرَ» (١) فَلَمَّا وَقَعَ الاختلاف كُنّا نحن أولى بالله و بالكتاب و بالنبي و بالحق؟ فنحن الذين آمنوا و هم الذين كفروا، و شاء الله قتالهم فقاتلناهم هدى بمشيئه الله ربّنا، و إرادته (٢).

و عن أسماء بن الحكم الفزاري قال: كُنّا مع عليّ عليه السّلام بصفين تحت رايه عمّار ارتفاع الضحى و استظللنا ببرد أحمر، إذ أقبل رجل يستقرىء الصف حتّى انتهى إلينا، فقال: أيكم عمّار؟ فقال عمّار: أنا. قال: أبو اليقظان؟ قال: نعم. قال:

إِنَّ لِي إِلَيْكَ حَاجَةٌ فَأَنْطِقْ بِهَا سِرًّا أَوْ عَلَانِيَةً؟ قال: اختر لنفسك أيّ ذلك شئت.

قال: لا بل علانيه. قال: فانطق. قال: إنّي خرجت من أهلي مستبصرًا في الحق الذي نحن عليه، لا أشك في ضلاله هؤلاء القوم، و أنّهم على الباطل، و لم أزل على ذلك مستبصرًا، حتى كان ليلتي هذه، فتقدّم منادينا فشهد ألاّ إله إلاّ الله، و أن محمّدًا رسول الله، و نادى بالصلاه فنادى مناديهم بمثل ذلك، ثمّ أقيمت الصلاه فصلينا صلاه واحده، و دعونا دعوه واحده، و تلونا كتابا واحدا، فأدركني الشك، فبتّ بلبله لا يعلمها إلاّ الله حتى أصبحت فأتيت أمير المؤمنين عليه السّلام فذكرت ذلك له، فقال: هل لقيت عمّارًا؟ قلت لا. قال: فالقه فانظر ما يقول لك فاتبعه فجتتك لذلك. فقال له عمّار: هل تعرف صاحب الرايه

ص: ٤٧٥

١- ١) البقره: ٢٥٣. [١]

٢- ٢) وقعه صفين: ٣٢٢-٣٢٣. [٢]

السوداء؟-لمقابلتي-فإنها رايه عمرو بن العاص،قاتلتها مع النبي صَلَّى الله عليه و آله و سلّم ثلاث مرّات و هذه الرابعه،ما هي بخيرهنّ و لا أبرهنّ،بل هي شرهنّ و أفجرهنّ.

أشهدت بدرا و احدا و حنيئا،أو شهدها أب لك فيخبرك عنها؟قال:لا.قال:فإنّ مراكزنا على مراكز رايات النبي صَلَّى الله عليه و آله و سلّم يوم بدر و يوم احد و يوم حنين.و إنّ هؤلاء على مراكز رايات المشركين من الأحزاب،هل ترى هذا العسكر و من فيه؟فو الله لو ددت أنّ جميع من أقبل مع معاويه كانوا خلقا واحدا فقطعته و ذبحته... (١).

و روى:أنّ عمّارا خرج في اليوم الثالث من أيام صفين و جعل يقول:يا أهل الإسلام أ تريدون أن تنظروا إلى من عادى الله و رسوله؟و جاهدهما و بغى على المسلمين و ظاهر المشركين فلما أراد الله أن يظهر دينه و ينصر رسوله أتى النبي صَلَّى الله عليه و آله و سلّم فأسلم،و هو و الله في ما يرى راهب غير راغب،و قبض الله رسوله و إنّنا و الله لنعرفه بعداوه المسلم و موده المجرم؟ألا و إنّ معاويه فالعنوه -لعنه الله و قاتلوه فإنّه ممّا يطفىء نور الله و يظهر أعداء الله (٢).

و روى عن منذر الثوري قال:قال عمار:و الله ما أسلم القوم و لكن استسلموا،و أسروا الكفر حتّى وجدوا علينا أعوانا (٣).

و روى المسعودي تأسفه على عدم قدرته على محو اسم النبي صَلَّى الله عليه و آله و سلّم و عدم سكون غليله بما فعل بعترته،مع وصوله السلطنه بواسطته (٤).

و كما عرفت أنّ قوله (و نحن منه برآء)-لكونه خلاف الواقع-دالّ على وضع العنوان كذلك على ما رتب عليه من قوله : (فقلنا تعالوا نداو ما لا يدرك

ص: ٤٧٦

١-١ (١) وقعه صفين: ٣٢١. [١]

٢-٢ (٢) وقعه صفين: ٢١٤. [٢]

٣-٣ (٣) وقعه صفين: ٢١٦. [٣]

٤-٤ (٤) لا وجود له في مروج الذهب للمسعودي و لا التنبيه و الاشراف للمسعودي.

اليوم ياطفء النائره و تسكين العاقه،حتى يشتد الأمر و يستجمع فنقوى على وضع الحق مواضعه) ،فأى وقت قال عليه السلام: أمهلونى حتى يستحكم أمرى فأطلب القصاص من قتله عثمان، و قتله عثمان خواصه عليه السلام.

و قوله: (فقالوا بل نداويه بالمكابره فأبوا) ،مختل فإتما بالمناسب أن يقال:

(فأبوا و قالوا: بل نداويه بالمكابره).

كما أن قوله : (حتى جنحت الحرب و ركدت و وقدت نيرانها و حمشت) ليست ألفاظه بتلك السلاسه و(جنح) يستعمل للميل إلى المحبوب كما فى قوله تعالى: «وَإِنْ جَنَحُوا لِلسَّلْمِ فَاجْنَحْ لَهَا» (١)، و لم يعلم استعماله للميل إلى المكروه كما فيه، و إنما يصح أن يقال: (جنح البعير) إذا انكسرت جوانحه و أضلعه من الحمل، و لا مناسبة لذلك المعنى هنا.

و أما قوله (فلما ضرستنا و إياهم و وضعت مخالبتها فينا و فيهم أجابوا عند ذلك إلى الذى دعوناهم إليه) فأى حكيم يتكلم كذلك؟ فكلمه (لما) تفيد العلية، فهل إجابته معاويه- إن فرضت إجابته- كانت لتضريس الحرب لأمر المؤمنين عليه السلام؟ و إنما كانت لانضمامه حتى أراد الفرار، مع أن تسميته إجابته غلط واضح، و إنما كانت دعوتهم إلى القرآن حيله ليوقعوا بها الاختلاف بين أصحابه عليه السلام، ففى (صفين نصر): «أن علياً عليه السلام لما خطب و قال: «و أنا غاد عليهم احاكمهم إلى الله عز و جل»، بلغ ذلك معاويه فدعا عمرو بن العاص، فقال: يا عمرو إنما هى الليلة حتى يغدو علينا على بالفيصل، فما ترى؟ قال:

أرى أن رجالك لا يقومون لرجالهم، و لست مثله، هو يقاتلك على أمر، و أنت تقاتله على غيره، أنت تريد البقاء و هو يريد الفناء، و أهل العراق يخافون منك إن ظفرت بهم، و أهل الشام لا يخافون علينا إن ظفر بهم، و لكن الق إليهم أمرا إن

ص: ٤٧٧

قبلوه اختلفوا، وإن ردّوه اختلفوا، ادعهم إلى كتاب الله حكما فيما بينك وبينهم، فإنك بالغ به حاجتك في القوم، فإنني لم أزل
أؤخر هذا الأمر لحاجتك إليه.

فعرف ذلك معاويه، فقال: صدقت (١).

وفيه: قال تميم بن حذيم: لَمَّا أصبحنا من ليله الهرير نظرنا فإذا أشباه الرايات أمام صف أهل الشام وسط الفيلق من حيال موقف
معاويه، فلَمَّا إن أسفرنا، فإذا هي المصاحف قد ربطت على أطراف الرماح، وهي عظام مصاحف العسكر، وقد شدوا ثلاثه رماح
جميعا وقد ربطوا عليها مصحف المسجد الأعظم، يمسكه عشرة رهط.

وقال أبو جعفر و أبو الطفيل: استقبلوا عليًا بمائه مصحف، ووضعوا في كل مجنبه مائتي مصحف، وكان جميعها خمسمائه
مصحف. قال أبو جعفر:

ثم قام الطفيل بن أدهم حيال علي عليه السلام، وقام أبو شريح الجذامي حيال الميمنه، وقام ورقاء المعمر حيال الميسره، ثم
نادوا: يا معشر العرب الله الله في نسائكم و بناتكم، فمن للروم و الأتراك و أهل فارس غدا إذا فنيتم؟ الله الله في دينكم، هذا كتاب
الله بيننا و بينكم. فقال علي عليه السلام: اللهم إنك تعلم أنهم ما الكتاب يريدون، فاحكم بيننا و بينهم إنك أنت الحق
المبين. فاختلف أصحاب علي عليه السلام في الرأي، طائفه قالت: القتال. و طائفه قالت: لا يحل لنا الحرب، و قد دعينا إلى حكم
الكتاب. فعند ذلك بطلت الحروب و وضعت أوزارها (٢).

كما أن قوله: (فأجبناهم إلى ما دعوا و سارعناهم إلى ما طلبوا)، افتراء محض، فقد عرفت أنه عليه السلام قال: «اللهم أنك تعلم
أنهم ما الكتاب يريدون، فاحكم بيننا و بينهم إنك أنت الحق المبين». فكيف يصح هذا الكلام؟ و قال عليه السلام

ص: ٤٧٨

١- ١) وقعه صفين: ٤٧٦-٤٧٧. [١]

٢- ٢) وقعه صفين: ٤٧٨-٤٧٩. [٢]

لَمَّا أَرَادَ الْمَسِيرَ إِلَيْهِمْ: سَيَرُوا إِلَى بَقِيَّةِ الْأَحْزَابِ، سَيَرُوا إِلَى أَعْدَاءِ السُّنَنِ وَالْقُرْآنِ.

و كيف سارع عليه السَّلام إلى ما طلبوا و أجابهم إلى ما دعوا، أو يكون سارع أصحابه المستقيمون؟ و إنما سارع الذين صاروا خوارج و الأشعث.

و في (صفيين نصر) و غيره من السير: لَمَّا رَفَعَ أَهْلَ الشَّامِ الْمُصَاحِفَ عَلَى الرَّمَاحِ يَدْعُونَ إِلَى حُكْمِ الْقُرْآنِ، قَالَ عَلِيُّ عَلَيْهِ السَّلَامُ: عِبَادَ اللَّهِ أَنَا أَحَقُّ مِنْ أَجَابِ إِلَى كِتَابِ اللَّهِ، وَ لَكِنَّ مَعَاوِيَةَ وَ عَمْرُو بْنَ الْعَاصِ وَ ابْنَ أَبِي مَعِيْطٍ، وَ حَبِيبَ بْنَ مَسْلَمَةَ، وَ ابْنَ أَبِي سَرْحٍ، لَيْسُوا بِأَصْحَابِ دِينٍ وَ لَا قُرْآنٍ، إِنِّي أَعْرِفُ بِهِمْ مِنْكُمْ، صَحْبَتُهُمْ أَطْفَالًا وَ صَحْبَتُهُمْ رِجَالًا، فَكَانُوا شَرَّ أَطْفَالٍ وَ شَرَّ رِجَالٍ، إِنَّهَا كَلِمَةٌ حَقٌّ يَرَادُ بِهَا بَاطِلٌ، إِنَّهُمْ وَ اللَّهُ مَا رَفَعُوها لِأَنَّهُمْ يَعْرِفُونَهَا وَ لَا يَعْمَلُونَ بِهَا، وَ مَا رَفَعُوها لَكُمْ إِلَّا خُدَيْعَةً وَ مَكِيدَةً، أَعْيِرُونِي سِوَا عِدْكُمْ وَ جَمَاعَتِكُمْ سَاعَةً وَاحِدَةً، فَقَدْ بَلَغَ الْحَقُّ مَقْطَعَهُ وَ لَمْ يَبْقَ إِلَّا أَنْ يَقْطَعَ دَابِرَ الَّذِينَ ظَلَمُوا.

فجاءه زهاء عشرين ألفاً مقنَّعين في الحديد، شاكي السلاح سيوفهم على عواتقهم، و قد اسودت جباههم من السجود، يتقدّمهم مسعر بن فدكي و زيد بن حصين، و عصابه من القرّاء الذين صاروا خوارج من بعد، فنادوه باسمه - لا يامرّه المؤمنين -: يا عليّ أجب القوم إلى كتاب الله إذ دعيت إليه، و إلّا - قتلناك كما قتلنا ابن عفّان، فو الله لنفعلنّها إن لم تجبهم. فقال عليه السَّلام لهم: ويحكم أنّا أوّل من دعا إلى كتاب الله، و أوّل من أجاب إليه، و ليس يحلّ لي و لا يسعني في ديني أن ادعى إلى كتاب الله فلا أقبله، إنّما اقاتلهم ليدينوا بحكم القرآن، فإنّهم قد عصوا الله في أمرهم و نقضوا عهده، و نبذوا كتابه، و لكنّي قد أعلمتكم أنّهم قد كادوكم، و أنّهم ليس العمل بالقرآن يريدون. قالوا: فابعث إلى الأشر ليأتينك.

و قد كان أشرف على عسكر معاويه بالفتح (١).

و كذلك قوله: (حتى استبانت عليهم الحجّه و انقطعت منهم المعذره) بلا محصل، فإنّ معاويه و أصحابه إنّما كانت الحجّه عليهم مستبينه من أوّل الأمر، و إنّما الخوارج استبانت عليهم الحجّه، بأنّ دعوه معاويه إلى القرآن كانت مكيده.

و كذلك قوله: (فمن تم على ذلك منهم فهو الذى أنقذه الله من الهلكه، و من لجج و تمادى فهو الراكس الذى ران الله على قلبه، و صارت دائره السوء على رأسه) بلا- مفاد، فإنّ معاويه و أصحابه لم يرضوا بحكم القرآن حتى يتموا عليه أو لا يتموا، و إنّما الخوارج أمضوا أوّلا عهد التحكيم، ثم لم يتموا عليه، و قالوا: أنّه كفر.

و بالجمله هذا كسابقه افتراء عليه عليه السّلام.

٢٦

الخطبه (٢٢٨)

و من كلام له عليه السّلام:

لِلّهِ بَلَاءٌ فَلَا يَنْفُلِينَ فَلَقَدْ قَوْمَ الْأَوْدِ وَ دَاوَى الْعَهْدِ - وَ أَقَامَ السُّنَّةَ وَ خَلَفَ الْفِتْنَةَ - ذَهَبَ نَقِيَّ النَّوْبِ قَلِيلَ الْعَيْبِ - أَصَابَ خَيْرَهَا وَ سَبَقَ شَرَّهَا - أَدَى إِلَى اللَّهِ طَاعَتَهُ وَ اتَّقَاهُ بِحَقِّهِ - رَحَلَ وَ تَرَكَهُمْ فِي طُرُقٍ مُتَشَعِّبَةٍ - لَا يَهْتَدِي بِهَا الضَّالُّ وَ لَا يَسْتَيْقِنُ الْمُهْتَدِي أَقُولُ: قال ابن أبي الحديد: المراد بفلان عمر، حدّثنى فخار بن معد الموسوي: أنّ فى النسخه التى بخط المصنّف تحت (فلان): عمر. و سألت

ص: ٤٨٠

١ - ١) وقعه صفين: ٤٨٩، [١] تاريخ الطبرى ٤٨: ٤٩-٥، سنة ٣٧، و [٢] شرح ابن أبي الحديد ٢١٦: ٢-٢١٧، و [٣] النقل بتصرف و تلخيص.

النقيب فقال: هو عمر. فقلت: أيشنى عليه أمير المؤمنين عليه السّلام؟ فقال: نعم، أما الإماميه فيقولون: إنّ ذلك من التقية و استصلاح أصحابه. و أمّا صالحيه الزيديه فيقولون: إنّه أثنى عليه. و أمّا جاروديتهم فيقولون: إنّه كلام قاله فى أمر عثمان، أخرجه مخرج الدم و التنقص لأعماله، كما يمدح الآن الأمير الميّت فى أيام الأمير الحى بعده، فيكون ذلك تعريضا به (١).

و قال الراوندى: المراد به بعض أصحابه عليه السّلام. و هو بعيد، على أنّ الطبرى صرّح أو كاد أن يصرّح، بأن المراد بهذا الكلام عمر، فقال: لَمّا مات عمر قالت ابنة أبى خيثمه: وا عمراه، أقام الأود و أبرأ العمدة، أمات الفتن و أحيا السنن، خرج نقى الثوب بريئا من العيب (٢).

و روى صالح بن كيسان عن المغيرة، قال: لَمّا دفن عمر أتيت عليّا و أنا أحبّ أن أسمع منه فى عمر شيئا، فخرج ينفض رأسه و لحيته و قد اغتسل و هو ملتحف بثوب، لا يشك أنّ الأمر يصير إليه، فقال: رحم الله ابن الخطاب، لقد صدقت ابنة أبى خيثمه: ذهب بخيرها و نجا من شرّها. أما و الله ما قالت و لكن قولت (٣).

أقول: إنّما الكلام فى أصل الخبر و تحقق نسبه العنوان إليه عليه السّلام، و الظاهر أنّه كسابقه، و إنما الرضى عفا الله عنه إذا رأى كلاما فصيحاً منسوباً إليه عليه السّلام يقبله بدون تدبّر فى معناه، و لو مع وجود شواهد على خلافه، كما أنّه فى (مجازاته النبويّة) نسب إلى النبىّ صلّى الله عليه و آله و سلّم حديث من رأى الأذان فى النوم (٤)، مع أنّه فى متواتر أخبار الإماميه إنزال جبرئيل عليه السّلام

ص: ٤٨١

١- ١) شرح ابن أبى الحديد ٣: ١٢-٥. [١]

٢- ٢) المصدر نفسه. [٢]

٣- ٣) تاريخ الطبرى ٤: ٢١٨، سنة ٢٣، [٣] شرح ابن أبى الحديد ٥: ١٢. [٤]

٤- ٤) المجازات النبويّة للشريف الرضى: ٣٩٣ ح ٣١٠، مؤسسه الحلبي، القاهرة.

الأذان من الله تعالى عليه صلى الله عليه وآله وسلم (١).

و أمّا ما نقله عن (الطبرى) فمع أنّ روايه المخالف لنفسه غير مقبوله، لا- يفهم منه سوى أنّه عليه السّلام صدق من قول ابنه أبى خيثمه جمله (ذهب بخيرها و نجا من شرّها)، حتى إنّ عليه السّلام قال: ما قالته و لكن قولته. يعنى ما قالته من نفسها، و لكن حملت على قوله، و ليس تحته شىء، لأن معناه أنّ فى الخلافه و السلطنه خيرا و شرّاً، و لكنّ عمر ذهب بخيرها و نجا من شرّها بحبسه مثل طلحه و الزبير عن الخروج عن المدينه، حتّى إلى الجهاد لئلا يخرجوا عليه، و أحدث شورى موجه لنقض الامور عليه عليه السّلام و ليس قوله عليه السّلام: (ذهب بخيرها و نجا من شرّها) إلاّ نظير قوله عليه السّلام فيه و فى صاحبه فى الشقشقيه: لشد ما تشطر أضرعياها.

و أمّا باقى العنوان فإنّما افتراء تعمّدا- و الافتراء عليه عليه السّلام كالنّبى عليه السّلام كثير فالخصم يضع لنفسه على حسب هواه- و إمّا توهمها من قوله عليه السّلام: لقد صدقت ابنه أبى خيثمه، أنّه راجع إلى جميع ما قالته، مع أنّه عليه السّلام قيّده فى قولها: ذهب بخيرها و نجا من شرّها. مع أنّ ما فى (الطبرى) تحريف، فعن ابن عساكر قال عليه السّلام: (أصدقت) لا (لقد صدقت) (٢).

و ممّا ذكرنا يظهر لك ما فى قول ابن أبى الحديد، على أنّ الطبرى صرّح أو كاد أن يصرّح بأنّ المراد بهذا الكلام عمر، فإنّ الطبرى إنّما روى و وصف بنت أبى خيثمه بما روى، و أنّ المغيره كان يعلم أنّ عليّاً عليه السّلام يكتنم ما فى قلبه على عمر كصاحبه، فأراد المغيره أن يستخرج ما فى قلبه ذاك الوقت فأجابه عليه السّلام

ص: ٤٨٢

١- ١) انظر الكافى ٣: ٣٠٢، ح ١، ٢، [١] من لا يحضره الفقيه ١: ١٨٣ ح ٨٦٥، تهذيب الأحكام ٢: ٢٧٧ ح ١٠٩٩.
٢- ٢) نص ما أورده ابن عساكر: لله نادبه عمر عاتكه و هى تقول وا عمراه، مات و الله قليل العيب أمات العوج و أبرأ العمدة، وا عمراه ذهب و الله بحظها و نجا من شرّها وا عمراه ذهب و الله بالسنينه و أبقي الفتنة، راجع صوره المخطوطه ١٣: ١٨٩ (تاريخ ابن عساكر. [٢] دار البشائر).

بحكمته بدم و شكوى فى صورته الشاء.

و بالجمله، جمىع ما رووه من هذا الخبر، أو ما كان من قبيله خلاف الدرابه، و الأخبار المتواتره و السىر المحفوفه بالقرائن و الشواهد، و كىف يصح العنوان و قد كتب معاويه إله علىه السّلام: ثم كرهت خلفه عمر و حسدته، و استطلت مدّته و سررت بقتله، و أظهرت الشماته بمصابه، حتى إنك حاولت قتل ولده...

و كىف و قد روى المسعودى و نصر بن مزاحم و غيرهما حتى الطبرى - و ان كفّ عن نقل تفصيله لعدم احتمال العامه له عنده- : أن محمّد بن أبى بكر لما كتب إله معاويه كتابا- و فيه بعد ذكر النبى صلّى الله عليه و آله و سلّم- : فكان أوّل من أجاب و أناب و صدّق و وافق و أسلم و سلّم، أخوه و ابن عمّه على بن أبى طالب، فصدّقه بالغيب المكتوم، و آثره على كلّ حميم، فوقاه كلّ هول، و واساه بنفسه فى كلّ خوف، فحارب حربيه و سالم سلمه، فلم يبرح مبتدلا لنفسه فى ساعات الأزل و مقامات الروع، حتى برز سابقا لا- نظير له فى جهاده، و لا- مقارب له فى فعله، و قد رأيتك تساميه، و أنت أنت و هو هو، المبرز السابق فى كلّ خير، أوّل الناس إسلاما، و أصدق الناس نيه، و أطيب الناس ذرّيه، و أفضل الناس زوجه، و خير الناس ابن عمّ، و أنت اللعين بن اللعين، ثم لم تزل أنت و أبوك تبغيان الغوائل لدين الله، و تجهدان على إطفاء نور الله، و تجمعان على ذلك الجموع، و تبدلان فيه المال، و تحالفان فيه القبائل، على ذلك مات أبوك، و على ذلك خلفته، و الشاهد عليك بذلك من يأوى و يلجأ إلهك من بقيه الأحزاب و رءوس النفاق و الشقاق للرسول صلّى الله عليه و آله و سلّم، و الشاهد لعلّى عليه السّلام مع فضله المبين و سبقه القديم، أنصاره الذين ذكروا بفضلهم فى القرآن، فأثنى الله عليهم من المهاجرين و الأنصار، فهم معه عصائب و كتائب، حوله يجاهدون بأسياهم، و يهريقون دماءهم دونه، يرون الفضل فى أتباعه و الشقاء فى خلافه، فكىف

-يا لك الويل-تعديل نفسك بعليّ؟ و هو وارث رسول الله و وصيه، و أبو ولده، و أولى الناس له اتّباعا، و آخرهم به عهدا، يخبره بسرّه، و يشركه فى أمره، و أنت عدوّه و ابن عدوّه، فتمتّع ما استطعت بباطلك، و ليمدد لك ابن العاص فى غوايتك.

أجابه معاويه: ذكرت حقّ ابن أبى طالب و قديم سوابقه، و قرابته من نبيّ الله، و نصرته له، و مواساته إياه فى كلّ خوف و هول، و احتجاجك علىّ فقد كنّا -و أبوك معنا- فى حياه نبيّنا، نرى حقّ ابن أبى طالب لازما لنا، و فضله مبرزا علينا، فلمّا اختار الله لنبيّه ما عنده، و أتمّ له ما وعده، و أظهر دعوته، و أفلج حجته، قبضه الله إليه، فكان أبوك و فاروقه أوّل من ابتزّه و خالفه على ذلك، اتّفقا و اتسقا، ثم دعواهم إلى أنفسهم، فأبطأ عنهما و تلكأ عليهما، فهما به الهموم و أرادا به العظيم، فبايع و سلم لهما، لا يشركانه فى أمرهما و لا- يطلعانه على سرّهما، حتى قبضا و انقضى أمرهما- إلى أن قال:- فخذ حذرک يا بن أبى بكر فسترى و بال أمرک، و قس شبرک بفترک، تقصر من أن تساوى أو توازى من تزن الجبال حلمه، لا تلين على قصر قناته و لا يدرك ذو مدى أناته، أبوك مهّد مهاده و بنى ملكه و شاده، فإن يكن ما نحن فيه صوابا فأبوك أوّله، و إن يكن جورا، فأبوك أسّه و نحن شركاؤه، و بهديه أخذنا، و بفعله اقتدينا، فعب أباک ما بدا لك أو دع (١).

و كيف يشنى عليهما؟ و قد قال ابن قتيبه و غيره: إنّ عليّا عليه السّلام أتى به إلى به إلى أبى بكر و هو يقول: أنا عبد الله و أخو رسوله. فقيل له: بايع. فقال: أنا أحقّ بهذا الأمر منكم، لا ابايعكم و أنتم أولى بالبيعه لى، أخذتم هذا الأمر من الأنصار،

ص: ٤٨٤

١- (١) وقعه صفين: ١١٨، [١] تاريخ الطبرى ٥٥٧: ٤، سنة ٣٦، مروج الذهب ٢٠: ٣-٢٢، [٢] شرح ابن أبى الحديد ١٨٨: ٣- ١٩٠. [٣]

و احتججتم عليه بالقرابه من النبي، و تأخذونه منّا أهل البيت غضبا، أستمتم زعمتم للأنصار أنكم أولى بهذا الأمر لَمَا كان مُحَمَّد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ وَ سَلَّمَ منكم؟ فأعطوكم المقاده و سَلَّموا إليكم الاماره، فإذن أحتج عليكم بمثل ما احتججتم على الأنصار، نحن أولى برسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ وَ سَلَّمَ حَيًّا وَ مَيِّتًا، إن كنتم تؤمنون، و إلا فبوءوا بالظلم و أنتم تعلمون. فقال له عمر: إنك لست متروكا حتى تباع. فقال له عليّ عليه السّلام: احلب حلبا لك شطره و شد له اليوم يردده عليك غدا- إلى أن قال:-

قال عليّ عليه السّلام: الله الله يا معشر المهاجرين لا تخرجوا سلطان مُحَمَّد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ وَ سَلَّمَ في العرب من داره و قعر بيته، إلى دوركم و قعور بيوتكم، و تدفعون أهله عن مقامه في الناس و حقّه، فو الله يا معشر المهاجرين لنحن أحقّ الناس به، لأننا أهل البيت، و نحن أحقّ بهذا الأمر. ما كان فينا القارئ لكتاب الله، الفقيه في دين الله، العالم بسنن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ وَ سَلَّمَ، المتطلع لأمر الرعيه، الدافع عنهم الامور السيئه، القاسم بينهم بالسويّه، و الله إنّه لفينا، فلا- تتبعوا الهوى فتضلّوا عن سبيل الله، فتردادوا من الحقّ بعدا.

فقال بشير بن سعد الأنصاري: لو كان هذا الكلام سمعته الأنصار منك يا عليّ قبل بيعتها لأبى بكر ما اختلفت عليك.

فقال عليّ عليه السّلام: أفكنت أدع رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ وَ سَلَّمَ في بيته لم أدفنه، و أخرج انازع الناس بسلطانه (1)؟ و في (خلفاء ابن قتيبه) أيضا: و خرج عليّ كرم الله وجهه يحمل فاطمه بنت النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ وَ سَلَّمَ على دابّه ليلا- في مجالس الأنصار، تسألهم النصره فيقولون: يا بنت رسول الله قد مضت بيعتنا لهذا الرجل، و لو أنّ زوجك و ابن عمك سبق إلينا قبل أبي بكر ما عدلنا به. فقالت فاطمه: ما صنع أبو الحسن عليه السّلام إلا ما كان

ص: ٤٨٥

ينبغي له، ولقد صنعوا ما الله حسيبهم و طالبهم (١).

وفيه: تفقّد أبو بكر قوما تخلفوا عن بيعته عند عليّ عليه السّلام، فبعث إليهم عمر، فجاء فناداهم وهم في دار عليّ عليه السّلام فأبوا أن يخرجوا، فدعا بالخطب وقال:

والذي نفس عمر بيده لتخرجنّ أو لأحرقنّها علي من فيها. فقبل له: إنّ فيها فاطمه. فقال: وإن-إلى أن قال:- ثم قام فمشى معه جماعه حتى أتوا بيت فاطمه، فدفقوا الباب فلمّا سمعت أصواتهم نادى بأعلى صوتها: يا أبا يا رسول الله، ما ذا لقينا بعدك من ابن الخطاب، وابن أبي قحافه؟ فلمّا سمع القوم صوتها وبكاءها انصرفوا باكين، وكادت قلوبهم تتصدّع وأكبادهم تتفطر، وبقي عمر معه قوم، فأخرجوا عليّ فمضوا به إلى أبي بكر، فقالوا له: بايع. فقال: إن أنا لم أفعل؟ قالوا: إذن والله الذي لا إله إلا هو، نضرب عنقك. قال: إذن تقتلون عبد الله وأخا رسوله. فقال عمر: أمّا عبد الله فنعم، وأمّا أخا رسوله فلا. وأبو بكر ساكت لا يتكلّم، فقال له عمر: ألا تأمر فيه بأمرك؟ فقال: لا أكرهه على شيء ما كانت فاطمه إلى جنبه. فلحق عليّ عليه السّلام بقبر النبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم، يصيح ويبيكى وينادى:

يا «ابن أمّ إنّ القوم استضعفوني وكادوا يقتلونني» (٢)- إلى أن قال بعد ذكر ورودهما على فاطمه عليها السّلام وتحويلها وجهها إلى الحائط، وعدم ردّها عليهما جواب سلامهما، ثم تقريرهما بقول النبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم فيها: (رضا فاطمه رضاه و سخطها سخطه)- فقالت لهما فاطمه: فإنّي اشهد الله وملائكته، أنّكما أسخطتماني وما أرضيتماني، ولئن لقيت النبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم، لأشكونكما إليه- إلى أن قال:- فقالت فاطمه لأبي بكر لما خرج من عندها: والله لأدعون الله عليك في كلّ صلاة أصليها- إلى أن قال:- فقال المغيرة لأبي بكر وعمر: الرأي أن تلقوا

ص: ٤٨٤

١- (١) الإمامه و السياسة ١: ١٢. [١]

٢- (٢) طه: ٩٤. [٢]

العباس، فتجعلوا له في هذا الأمر نصيبا يكون له و لعقبه، و تكون لكما الحجة على عليّ و بنى هاشم إذا كان العباس معكم (١).

و فيه: (في عنوان مرض أبي بكر و استخلافه)، قال أبو بكر: و الله ما آسى إلا على ثلاث فعلت ليتنى كنت تركتهن - إلى أن قال - وليتنى تركت بيت عليّ و إن كان اغلق على الحرب - إلى أن قال - قال أبو بكر لعمر: خذ هذا الكتاب و اخرج به إلى الناس، و أخبرهم أنه عهدى، و سلهم عن طاعتهم. فخرج بالكتاب و أعلمهم فقالوا: سمعنا و طاعه. فقال له رجل: ما في الكتاب؟ قال: لا أدرى، و لكنتي أول من سمع و أطاع. قال: لكنتي و الله أدرى ما فيه، أمرته عام أول و أمرت العام (٢).

و فيه: - (في عنوان توليه عمر الشورى) - قال عمر: سأستخلف النفر الذين توفى النبيّ و هو عنهم راض. فأرسل إليهم فجمعهم - إلى أن قال - ثم قال: إن استقام أمر خمسه منكم و خالف واحد فاضربوا عنقه، و إن استقام أربعة و اختلف اثنان فاضربوا أعناقهما، و إن استقام ثلاثة و اختلف ثلاثة فاحتكموا إلى ابني عبد الله فلائتي الثلاثة قضى فالخليفة منهم، فإن أبي الثلاثة الآخر من ذلك فاضربوا أعناقهم. فقالوا: قل فينا مقالا نستدل فيها برأيك، و نقتدى به.

فقال: و الله ما يمنعني أن أستخلفك يا سعد إلا شدتك و غلظتك، مع أنك رجل حرب، و ما يمنعني منك يا عبد الرحمن إلا أنك فرعون هذه الأمة، و ما يمنعني منك يا زبير إلا - أنك مؤمن الرضا كافر الغضب، و ما يمنعني من طلحة - و كان غائبًا - إلا نخوته و كبره و لو وليها وضع خاتمه في اصبع امرأته، و ما يمنعني منك يا عثمان إلا عصبيتك و حبك قومك، و ما يمنعني منك يا عليّ إلا حرصك

ص: ٤٨٧

١ - ١) الإمامه و السياسة ١: ١٢ - ١٥، و [١] النقل بتلخيص.

٢ - ٢) المصدر نفسه ١: ١٨ - ٢٠، و [٢] النقل بتلخيص.

عليها، وانك أحرى القوم، ان وليتها تقيم على الحق المبين و الصراط المستقيم -إلى أن قال-: ثم التفت إلى عليّ عليه السّلام فقال: لعل هؤلاء القوم يعرفون لك حقك و قرابتك و شرفك من النّبى، و ما آتاك الله من العلم و الفقه و السدين فيستخلفونك، فإن وليت هذا الأمر فاتق الله يا عليّ فيه، و لا تحمل أحدا من بنى هاشم على رقاب الناس -ثم اتلفت إلى عثمان فقال: يا عثمان لعل هؤلاء القوم يعرفون لك صهرك من النّبى و سنك و شرفك و سابقتك فيستخلفونك، فإن وليت هذا الأمر فلا تحمل أحدا من بنى اميّه على رقاب الناس -إلى أن قال-:

فأخذ عبد الرحمن بيد عثمان فقال له: عليك عهد الله و ميثاقه لئن بايعتك لتقيمّن كتاب الله و سنّه رسوله و سنّه صاحبك. و شرط عمر أن لا تحمل أحدا من بنى اميّه على رقاب الناس، فقال عثمان: نعم -ثم أخذ بيد عليّ عليه السّلام فقال له: اباعك على شرط الأ- تحمل أحدا من بنى هاشم على رقاب الناس. فقال عليّ عليه السّلام عند ذلك: ما لك و لهذا، إذا جعلتها فى عنقى إن عليّ الاجتهاد لامّه محمّد حيث علمت القوّه و الأمانه استعنت بها فى بنى هاشم كان أو غيرهم -قال عبد الرحمن: لا و الله حتّى تعطينى هذا الشرط، قال عليّ عليه السّلام: «و الله لا أعطيكه أبدا»، فتركه فقاموا من عنده فخرج عبد الرحمن إلى المسجد فجمع الناس، ثم قال:

اننى نظرت فى أمر الناس، فلم أراهم يعدلون بعثمان، فلا تجعل يا عليّ سيلا على نفسك، فإنّه السيف لا غير -ثم أخذ بيد عثمان فبايعه (١).

فترى ان عمر أخذ البيعه من أمير المؤمنين عليه السّلام لأبى بكر بالسيف، و ان عمر دبّر أيضا لعثمان أن يؤخذ له من أمير المؤمنين عليه السّلام البيعه بالسيف، فكيف يعقل ان يمدحه عليه السّلام؟ و لو فرض ألا يكون عليه السّلام منصوبا من قبل الله و قبل رسوله، و كيف يعقل ذلك، و قد عرف عليه السّلام ان عمر تعمّد صرف الأمر

ص: ٤٨٨

عنه؟ ففى (العقد الفريد) فى الشورى، قال على عليه السلام للعباس: عدلت عَنَّا، قال:

و ما أعلمك؟ قال قرن عمر بى عثمان، ثم قال: إن رضى رجلان رجلا و رجلان رجلا، فكونوا مع الذين فىهم عبد الرحمن، فلو كان الآخران معى ما نفعانى بعد كون عبد الرحمن مع عثمان (١).

ثم إذا كان فى كل من السّيته عيب مانع من تعيينه، فكيف جعل الأمر بينهم، ثم إذا كانوا أهلا للخلافه و مات النبى راضيا عنهم، كما زعم، و ان ناقض بعد و قال لطلحه مات النبى غاضبا عليك للكلمه التى قلتها فى نكاح نساءه بعده، كيف يأمر بقتلهم؟ ثم إن كان النبى صلى الله عليه و آله و سلم عنهم راضيا بالفرض، فما كان عن عمر نفسه راضيا حين موته بالحثم، حيث منعه من وصيته و نسبه إلى الهجر، حتى غضب النبى صلى الله عليه و آله و سلم و أمره مع من معه بالخروج عنه.

ثم من كذبه و نفاقه يقول لأمير المؤمنين عليه السلام أنك أحرصهم عليها، مع أنه كان يعلمه بخلافه، و مع كونها حقّه تركها لما طلب منه العمل بسنّه الشيخين، و شرط عمر كما تركها يوم السقيفه لئلا يضمحل الإسلام.

ثم إذا كان اعترف بأنه أولاهم أن يقيم الناس على الحقّ المبين و الصراط المستقيم، لم لم يعينه؟ و قد قال تعالى: «أَفَمَنْ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ أَحَقُّ أَنْ يُتَّبَعَ أَمْ مَنْ لَا يَهْدِي إِلَّا أَنْ يُهْدَىٰ فَمَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ» (٢)، و قد قال له ابنه عبد الله: إذا كان على هكذا فلم لا تعينه؟ فقال له: أنه لا يقدر أن يراه قائما بالأمر لا فى حياته و لا بعد وفاته.

ثم قوله لعثمان: يعرفون لك صهرك و سنك و شرفك و سابقتك، فأبو

ص: ٤٨٩

[١ - ١] العقد الفريد ٢٩: ٥. [١]

[٢ - ٢] يونس: ٣٥. [٢]

سفيان أيضا كان صهره صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، و كان أسنَّ من عثمان و أشرف، فأنه كان شيخ بنى امية على الإطلاق، و أما سابقته فلم نعرف له منها غير فراره الطويل العريض يوم احد، و فى باقى المواطن، و دفاعه عن أعداء الله و أعداء رسوله، كالمغيره بن أبى العاص و ابن أبى سرح. نعم، نعرف لعثمان لاحقته أيام خلافته.

ثم انَّ قوله لأمير المؤمنين عليه السَّلام: لعلمهم يعرفون لك حَقَّك و قرابتك و شرافتك من الرسول، كيف كانوا يعرفون له حَقَّه؟ و هو أول من أضعف مقامه و هتأ تزلزل أمره و به اقتدوا، كما اعترف به معاويه.

ثم انَّ قوله له عليه السَّلام: (و ما آتاك الله من العلم و الفقه و الدين)، كيف سوى مع ذلك بينه و بين عثمان؟ و قد قال تعالى: «هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ» (١) و قال جل ثناؤه: «أَفَمَنْ كَانَ مُؤْمِنًا كَمَنْ كَانَ فَاسِقًا» (٢).

و كيف يقول لعثمان: (فلا- تحمل أحدا من بنى امية على رقاب الناس)؟ مع انه كان يعلم ان ترك عثمان ذلك من المحالات العاديّه، فهل قوله ذلك إلا نفاق منه و علم ذلك عثمان، فقبل و ما عمل.

و كيف يقول لأمير المؤمنين عليه السَّلام: لا- تحمل أحدا من بنى هاشم على رقاب الناس؟ كما يقول لعثمان لا تحمل أحدا من بنى امية على رقاب الناس، و بنو هاشم أهل بيت النبى صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ و دينهم دينه، و بنو امية أعداء الله و أعداء رسوله.

و كيف يسوى بينه عليه السَّلام و بين عثمان؟ و يقول لكل منهما: (اتق الله) و أمير المؤمنين عليه السَّلام يطلب منه أخوه صاعا من بر بيت المال زائدا على حَقَّه اضطرارا، لجوع أطفاله، فيحمى له حديده و يدينها من جسمه ليعتبر بها،

ص: ٤٩٠

[١-١] الزمر: ٩. [١]

[٢-٢] السجده: ١٨. [٢]

و عثمان يعطى خمس جميع إفريقيا لمروان الذى كان أخبث من يزيد بن معاوية، و لما سمع أمير المؤمنين عليه السلام بأن رجلا من فتيه البصره دعا عامله عثمان بن حنيف إلى ضيافته فأجابه، كتب إليه ينكر عليه ذلك، بأن ذاك الإطعام لم يكن لله، لأنه دعا الغنى و جفا العائل، فلا ينبغي لعامله إجابهته، و عثمان رأى أنّ أخاه لامه الوليد بن عقبه، صلى الصبح أربعاً بالناس فى سكره، و غنى فى صلاته، و تكلم فى سجوده فقال: أزيدكم على الأربع! و لم ينكر عليه ذلك. فهل منشأ تلك المنكرات إلا عمر؟ فكيف يعقل ثناؤه عليه السلام عليه؟! إن هو إلا افتراء محض.

و رووا عنه عليه السلام أخبارا اخر فى ثنائه عليه افتراء و بهتاناً، مثل ما رواه ابن قتيبه، عن ابن عباس قال: وضع عمر على سريره فتكثفه الناس يدعون و يصلون، قبل أن يرفع فلم ير عنى إلا رجل قد أخذ بمنكبي من ورائى، فالتفت فإذا على يترحم على عمر، و قال: و الله ما خلفت أحدا أحبّ أن ألقى الله بمثل عمله منك يا عمر، و ايم الله ان كنت لأرجو أن يجعلك الله مع صاحبك، و ذاك ائى سمعت النبى يقول: ذهبت أنا و أبو بكر و عمر، و كنت أنا و أبو بكر و عمر، و ائى كنت لأظن أن يجعلك الله معهما (١).

و عن على قال: كنت جالسا عند النبى فأقبل أبو بكر و عمر فقال: هذان سيدا كهول أهل الجنّه من الأولين و الآخرين، إلا النبيين و المرسلين، و لا تخبرهما يا على (٢).

فانّ الخبر الأوّل وضعوا صدره، فى مقابل خبر رواه (فضائل أحمد بن حنبل) عن أبى ذر قال: قال النبى صلى الله عليه و آله و سلم: ليتتهين بنو وليعه أو لأبعثن إليهم رجلا

ص: ٤٩١

١-١ (١) الإمامه و السياسه ١: ١-٢. [١]

٢-٢ (٢) المصدر نفسه ١: ١. [٢]

كنفسى، يمضى فيهم أمرى، يقتل المقاتله، و يسبى الذريه، فما راعنى إلا- برّد كف عمر من خلفى فقال: من تراه يعنى؟ فقلت: ما يعنىك و إنما يعنى عليا عليه السلام (١).

و أخذ ذيله من قوله: (و الله ما خلّفت أحدا أحبّ أن ألقى الله بمثل عمله منك يا عمر) من قوله عليه السلام لَمَّا سَجَى عمر: «ما أحد أحبّ أن ألقى الله بصحيفته من هذا المسجى» يعنى لينخاصم معه عند ربّه. فغيّره بما فعل.

و لا ننكر أن يقول عليه السلام لعمر: و ايم الله إن كنت لأرجو أن يجعلك الله مع صاحبيك، أى: أبى بكر و أبى عبيده، فإن الثلاثه كانوا أصل السقيفه- و زيد ذاك الكلام الركيك: (و ذاك انى كنت سمعت النبى يقول: ذهبت أنا و أبو بكر و عمر و كنت أنا و أبو بكر و عمر... تليسا).

و الخبر الثانى وضعوه فى مقابل ما تواتر عن النبى صلى الله عليه و آله و سلم فى الحسنين عليهما السلام أنّهما سيّدا شباب أهل الجنّه. و من المضحك أنّهم غيروا ما ورد أنّ أمير المؤمنين عليه السلام لَمَّا توفى ارتجت الكوفه كالمدينه يوم قبض النبى صلى الله عليه و آله و سلم، و جاء رجل باكيا و هو مسرع مسترجع و قال: «رحمك الله يا أبا الحسن، كنت أول القوم إسلاما...» بألفاظه فى أبى بكر، فقالوا كما فى (العقد):

لَمَّا قبض أبو بكر و سَجَى بثوب ارتجت المدينه كيوم قبض النبى صلى الله عليه و آله و سلم، و جاء علىّ باكيا مسرعا مسترجعا حتّى وقف بالباب، و هو يقول: رحمك الله يا أبا بكر كنت أول القوم إسلاما... (٢).

و من فقراته: (كنت كالجبل لا تحركه العواصف) (٣).

ص: ٤٩٢

١- ١) فضائل الصحابه لأحمد بن حنبل ٢: ٥٧١ رقم ٩٦٦، [١] مؤسسه الرساله، بيروت، ١٩٨٣، و أورده الهيثمى فى مجمع الزوائد ٧: ١١٠.

٢- ٢) العقد الفريد ١٨: ١٨-٥-١٩. [٢]

٣- ٣) المصدر نفسه.

و لا أدري أين كان هذا الوقار منه، هل فى يوم خير أو فى باقى مشاهدته.

و بالجمله، لا نعلم من الرجل إلا أنه لم يكن يشهد الحرب، أو يشهد فيفّر حتّى قال النبىّ صلّى الله عليه و آله و سلّم لَمَّا فَرَّ هو و صاحبه يوم خيبر: «لا عطين الرايه غدا رجلا يحبّ الله و رسوله و يحبّه الله و رسوله كرارا غير فرار»، بمعنى أنّ الرجلين بالعكس لا يحبّان الله و رسوله و لا يحبّانها فرارين غير كرارين.

و من فقراته: (لم يكن لأحد عندك مطمع و لا هوى) (١).

فنسألهم لم يكن لأحد عنده مطمع، حتى لخالد بن الوليد الذى قتل مالك بن نويرة مسلما وزنا بامرأته، حتى أنكر عمر عليه عدم إنكاره على خالد.

و القول بكون الثلاثة غاصبين عند أمير المؤمنين عليه السّلام و أهل بيته و شيعته من البديهيّات، و الأخبار فيه من المتواترات، فكيف يصح ما قالوا؟.

و قد نقل ابن أبى الحديد عند شرح قوله عليه السّلام: (و قد قال لى قائل: أنّك يا بن أبى طالب على هذا الأمر لحريص):

عن يحيى بن سعيد الحنبلى المعروف بابن عالىّه، و أحد الشهود المعدلين ببغداد قال: كنت حاضرا عند الفخر إسماعيل بن على الحنبلى الفقيه مقدم الحنابلة ببغداد فى الفقه و الخلاف، إذ دخل شخص من الحنابلة قد كان له دين على بعض أهل الكوفة، فأنحدر إليه يطالبه به و اتفق أن حضرت زيارة الغدير فجعل الفخر يسأله: ما فعلت؟ ما رايت؟ هل وصل مالك إليك؟ و هل بقى منه بقيه؟ و هو يجاوبه حتّى قال الرجل: يا سيدى لو شاهدت يوم الزياره يوم الغدير، و ما يجرى عند قبر على بن أبى طالب من الفضائح و الأقوال الشنيعه و سبّ الصحابه جهارا بأصوات مرتفعه من غير مراقب و لا خيفه! فقال الفخر:

أى ذنب لهم، و الله ما جرّأهم على ذلك و لا فتح لهم هذا الباب إلا صاحب ذاك

ص: ٤٩٣

القبر. فقال الرجل: و من صاحبه؟ قال: عليّ بن أبي طالب. قال: يا سيدي هو الذي سنّ لهم ذلك و علّمهم إياه؟ قال: نعم و الله. قال: يا سيدي فإن كان محققاً فما لنا نتولّى فلانا و فلانا، و ان كان مبطلاً فما لنا نتولّاه؟ فقام الفخر و قال:

لعنني الله إن كنت أعرف جواب هذه المسألة (١).

و روى الخطيب عن سويد بن غفله، قال: مررت بنفر من الشيعة يتناولون أبا بكر و عمر بغير ما هما له أهل، فدخلت على عليّ عليه السلام و قلت له ذلك، و قلت له:

و لو لا أنّهم يرون أنّك تضمّر لهما على مثل ما أعلنوا ما اجترءوا على ذلك. فقال:

أعوذ بالله أن أضمر لهما إلاّ الحسن الجميل.

و صدق سويد في قوله: لو لا أنّهم يرون أنّه عليه السّلام يضمّر لهما على مثل ما أعلنوا ما اجترءوا. و صدق عليه السّلام في عدم إضمّاره غير الحسن الجميل، فانه عليه السّلام كان لا يضمّر غير الحقّ لأحد، و الحقّ حسن جميل، و لم يفصح عليه السّلام لأنّ عامّة الناس كانوا غير عارفين به عليه السلام، و انما كان العارف منهم معدودين.

وضعوا ما مر من العنوان و غيره في قبال ما جرى من الحقّ على لسانهم، فروى أحمد بن أبي طاهر صاحب (تاريخ بغداد) عن ابن عباس، قال: دخلت على عمر في أوّل خلافته، و قد ألقى له صاع من تمر على خصفه، فدعاني إلى الأكل، فأكلت تمره واحده، و أقبل يأكل حتى أتى عليه، ثم شرب من جر كان عنده، و استلقى على مرفقه له، ثم قال: من أين جئت؟ قلت: من المسجد. قال:

كيف خلفت ابن عمّيك؟ - فظننته يعني عبد الله بن جعفر - فقلت: خلفته يلعب مع أترابه. قال: لم أعن ذلك، إنّما عنيت عظيمكم أهل البيت. قلت: خلفته يمتح بالغرب على نخيّلات من فلان، و هو يقرأ القرآن. قال: يا عبد الله عليك دماء البدن ان كتمتنيها هل بقي في نفسه شيء من أمر الخلافه؟ قلت: نعم. قال:

ص: ٤٩٤

[١- ١] شرح ابن أبي الحديد ٣٠٧: ٩-٣٠٨. [١]

أيزعم أنّ النبيّ نصّ عليه؟ قلت: نعم، وأزيدك: سألت أبي عمّا يدّعيه، فقال:

صدق. فقال: لقد كان من النبيّ في أمره ذرو من القول لا يثبت حجّه، ولا يقطع عذرا، ولقد كان يربع في أمره وقتا ما، ولقد أراد في مرضه أن يصرّح باسمه، فمنعت من ذلك إشفاقا وحيطة على الإسلام، لا ورب هذه البتّه لا تجتمع عليه قريش أبدا، ولو وليها لانتقضت عليه العرب من أقطارها، فعلم النبيّ أنّي علمت ما في نفسه، فأمسك وأبى الله إلّا إمضاء ما حتم (١).

وروى أبو بكر الأنباري في (أماله): أنّ عليا عليه السّلام جلس إلى عمر في المسجد، وعنده ناس فلما قام عرض واحد بذكره و نسبه إلى العجب و التيه، فقال عمر: حق لمثله أن يتيه، والله لو لا سيفه لما قام عمود الإسلام، وهو بعد أفضى الامّه و ذو سابقتها و ذو شرفها. فقال له ذلك القائل: فما منعكم عنه؟ قال: كرهناه على حدائث السنّ و حبه بنى عبد المطلب (٢)، إلى غير ذلك ممّا لو أردنا استقصاءها لطال الكلام.

ثمّ ما وضعوا له على لسان غيره عليه السّلام أكثر و أكثر، وقد نقل ابن أبي الحديد الأشهر منها، من كتاب مسلم و البخاري عن عايشه قالت: إنّ النبيّ قال: كان في الامم محدّثون فإن تكن في امتي فعمر (٣).

و عن سعد بن أبي وقاص قال: استاذن عمر على النبيّ صلّى الله عليه و آله و سلّم و عنده نساء من قريش، يكلمنّه عاليه أصواتهن، فلمّا دخل ابترن الحجاب، فدخل و النبيّ يضحك، فقال: عجبت من هؤلاء اللاتي كنّ عندي، فلمّا سمعن صوتك ابترن الحجاب، فقال عمر: أنت أحقّ أن يهبنك - ثم قال لهنّ: أي عدوات أنفسهن

ص: ٤٩٥

١-١) نقله عنه ابن أبي الحديد في شرح نهج البلاغه ٢٠:١٢-٢١. [١]

٢-٢) نقله عنه ابن أبي الحديد في شرح نهج البلاغه ٨٢:١٢. [٢]

٣-٣) شرح ابن أبي الحديد ١٧٧:١٢. [٣]

أ تهبننى و لا تهبنى النبى؟ قلن: نعم أنت أغلظ و أفضّ-فقال النبى: و الذى نفسى بيده ما لقيك الشيطان قط سالكا فجا إلا سلك فجا غير فجعك (١).

و من غير الكتابين خبرا(أنّ السكينة لتنطق على لسان عمر)و خبرا(أنّ الله ضرب بالحقّ على لسان عمر و قلبه)و خبرا(أنّ بين عينى عمر ملكا يسدّده و يوفّقه)و خبرا(لو لم ابعث فيكم لبعث عمر)و خبرا(لو كان بعدى نبى لكان عمر)و خبرا(لو نزل إلى الأرض عذاب لَمّا نجا إلا عمر)و خبرا(ما أبطأ عنى جبرئيل إلا ظننت أنّه بعث إلى عمر)و خبرا(سراج أهل الجنّه عمر)و خبرا(إنّ شاعرا أنشد النبى شعرا،فدخل عمر فأشار النبى إلى الشاعر أن اسكت،فلَمّا خرج عمر قال له:عد فعاد،فدخل عمر فأشار النبى إليه بالسكوت مرّه ثانيه، فلَمّا خرج عمر سأل الشاعر النبى عن الرجل،فقال:هذا عمر بن الخطاب،و هو رجل لا- يحب الباطل)و خبرا(أنّ النبى قال:وزنت بأمتى فرجحت،و وزن أبو بكر بها فرجح،و وزن عمر بها فرجح ثم رجح) (٢).

قال ابن أبى الحديد-بعد نقلها-:رووا فى فضل عمر حديثا كثيرا غير هذا، لكننا ذكرنا الأشهر،و طعن أعداؤه فى هذه الأحاديث فقالوا:لو كان محدثا لَمّا اختار معاويه الفاسق لولايه الشام،و لكان الله تعالى قد ألهمه و حدّثه بما يواقع معاويه من القبائح و المنكرات و البغى،و التغلب على الخلافه و الاستيثار بمال الفىء و غير ذلك (٣).

قلت:و ان كان الخبر.(كان عمر محدثا)-بلفظ اسم الفاعل من الأفعال-فصحيح،فقد أحدث تحريم المتعتين،و العول،و التعصيب،و التراويح،و غير

ص: ٤٩٤

١- ١) المصدر نفسه ١٧٧:١٢-١٧٨. [١]

٢- ٢) شرح ابن أبى الحديد ١٧٨:١٢. [٢]

٣- ٣) المصدر نفسه ١٧٩:١٢. [٣]

ذلك ممّا أبدعه فى الدين.

قال ابن أبى الحديد: قالوا: وكيف لا يزال الشيطان يسلك فجّا غير فجّه و قد فرّ مرارا من الزحف فى احد و حنين و خبير، و الفرار من الزحف من عمل الشيطان؟ (١) قلت: يمكن تصحيح الخبر بأن إن لقيه سالكا فجّا يطمئن بأنّه يعمل عمله فيسلك فجّا آخر لأنّه كفاه ذلك الفج.

قال ابن أبى الحديد، قالوا: وكيف يدعى له أنّ السكينة تنطق على لسانه، أ ترى كانت السكينة تلاج النبى صلّى الله عليه و آله و سلّم يوم الحديبيه حتى أغضبه (٢).

قلت: و بسكينته التى تنطق على لسانه منع النبى صلّى الله عليه و آله و سلّم من الوصيه، و قال: إنّ الرجل ليهجّر.

قال ابن أبى الحديد: قالوا: و لو كان ينطق على لسانه ملك أو بين عينيه ملك يسدده و يوفقه، أو ضرب الله بالحقّ على لسانه و قلبه، لكان نظيرا للنبى صلّى الله عليه و آله و سلّم، بل أفضل منه، لأنّ النبى صلّى الله عليه و آله و سلّم كان يؤدى عن ملك، و عمر كان ملك ينطق على لسانه، و زيد ملكا آخر بين عينيه يسدده و يوفقه، و قد كان حكم فى أشياء فيخطئ فيها حتى يفهمه إياها على عليه السلام و معاذ بن جبل و غيرهما، حتى قال: (لو لا علىّ لهلك عمر) (و لو لا معاذ لهلك عمر). و كان يشكل عليه الحكم فيقول لابن عباس: غص يا غواص فيفرج عنه. فأين كان الملك السمدّ له، و أين الحق الذى ضرب به على لسان عمر؟ و معلوم أنّ النبى صلّى الله عليه و آله و سلّم كان ينتظر نزول الوحي، و عمر على مقتضى هذه الأخبار، لا حاجه به إلى نزول ملك عليه، لأنّ الملكين معه فى كلّ وقت، و قد عززا بثالث و هى السكينة،

ص: ٤٩٧

١-١) شرح ابن أبى الحديد ١٧٩: ١٢. [١]

٢-٢) المصدر نفسه. [٢]

فهو إذن أفضل من النبي صَلَّى اللهُ عليه وآله و سلم.

وقالوا: والحديث الذى مضمونه: (لو لم ابعث فيكم لبعث عمر)، يستلزم أن يكون النبي عذابا على عمر لأنه لو لم يبعث لبعث، فالتنزيل له عن هذه الرتبة التى ليس وراءها رتبة، ينبغى ألا يكون فى الأرض أحد أبغض إليه منه.

و أما كونه سراج أهل الجنه، فيقتضى أنه لو لا عمر لكانت الجنه مظلمه لا سراج فيها.

قالوا: وكيف يجوز أن يقال: (لو نزل العذاب لم ينج منه إلا عمر)؟ والله تعالى يقول: «و ما كان الله ليُعذِّبَهُمْ وَ أَنْتَ فِيهِمْ» (١).

قالوا: وكيف يجوز أن يقال إن النبي صَلَّى اللهُ عليه وآله و سلم كان يسمع الباطل و يحبه و يشهده، و عمر لا يسمع الباطل و لا يشهده و لا يحبه؟ أليس هذا تنزيها لعمر عما لم ينزه عنه النبي صَلَّى اللهُ عليه وآله و سلم؟ قالوا: من العجب أن يكون النبي صَلَّى اللهُ عليه وآله و سلم أرجح من الامه يسيرا و كذلك أبو بكر، و يكون عمر أرجح منهما كثيرا (٢).

ثم أجاب ابن أبى الحديد عن تلك الطعون بمغالطات و تأويلات، كما أنه نقل مطاعنه التى ذكرها الإماميه، و نقل رد المرتضى على قاضى القضاة فى دفاعه عنها، و أجاب عنها بمغالطات، و أغرب حيث قال: -و اعلم أن من تصدى للعب و جده، و من قصر همته على الطعن على الناس انفتحت له أبواب كبيره، و السعيد من أنصف و رفض الهوى و تزود التقوى (٣).

قلت: فإذا كان الأمر كما ذكر، فليكن الطعن على إلهيه الأوثان و على نبوه

ص: ٤٩٨

١- ١) الأنفال: ٣٣. [١]

٢- ٢) شرح ابن أبى الحديد ١٧٩: ١٢-١٨٠. [٢]

٣- ٣) شرح ابن أبى الحديد ١٨٠: ١٢-١٨٢. [٣]

مسيلمه، خلاف التقوى، إلا- أن المكابر لا- علاج له، وإلا- فمن أراد إحراق أهل بيت نبيّه الذين شهد كتاب الله بعصمتهم و طهارتهم، و منع نبيّه صلى الله عليه و آله و سلم عن وصيته و نسه إلى الهجر، و أمر بقتل من كان بمنزله نفس النبي صلى الله عليه و آله و سلم بنص القرآن، و تخلف عن جيش لعن النبي صلى الله عليه و آله و سلم المتخلف عنه، و آذى من كان أذاه أذى الله و أذى رسوله- و كل ذلك من المقطوع الذي يقرّ الخصم به- كيف يعقل أن يكون محققاً؟ اللهم إلا- أن يقولوا: أن دين محمد صلى الله عليه و آله و سلم كان باطلاً، و إنما كان دين عمر حقاً، و هو لازم قولهم.

و لقد حاجّ المأمون فقهاءهم في أحاديثهم المفتعله، و قد نقل ذلك محمد بن بابويه في (عيونه)، و ابن عبد ربّه في (عقده) بزياده و نقصان قال: و اللفظ للأول، أمر المأمون يحيى بن أكثم بجمع أربعين رجلاً من أهل الكلام و الحديث من أهل السنه، فجمع فقال لهم المأمون: إنما جمعتمكم لأحتج بكم عند الله، فاتقوا الله و انظروا لأنفسكم و إمامكم، لا يمنعكم جلالتي و مكاني من قول الحقّ حيث كان، و ردّ الباطل على من أتى به، فناظروني بجميع عقولكم.

إنّي رجل أزعم أن عليّاً عليه السّلام خير البشر بعد النبي صلى الله عليه و آله و سلم، فإن كنت مصيباً فصوّبوني، و إن كنت مخطئاً فردّوا عليّ، و إن شئتُم سألتكم، و إن شئتُم سألتموني. فقال له الذين يقولون بالحديث: بل نسألك، فقال قائل منهم: إننا نزعم أن خير النّاس بعد النبي أبو بكر و عمر، من قبل أن الروايه المجمع عليها جاءت عن النبي أنّه قال: اقتدوا بالذين من بعدى أبو بكر و عمر، و علمنا أنّه لم يأمر إلاّ بالافتداء بخير النّاس.

فقال المأمون: الروايات كثيره، و لا بد أن يكون كلّها حقاً، أو كلّها باطلاً، أو بعضها حقاً و بعضها باطلاً. فلو كانت كلّها حقاً كانت كلّها باطلاً، من قبل أن بعضها ينقض بعضها. و لو كان كلّها باطلاً، كان في بطلانها بطلان الدين

و دروس الشريعة، فلما بطل الوجهان ثبت الثالث بالاضطرار، وهو أن بعضها حقّ و بعضها باطل، فإذا كان كذلك فلا بد من دليل على ما يحقّ منها ليعتقد و ينفى خلافه.

و روايتك هذه من الأخبار التي أدلتها باطله في أنفسها، و ذلك أنّ النبيّ صلّى الله عليه و آله و سلّم أحكم الحكماء، و أولى الناس بالصدق، و أبعد الناس من الأمر بالمحال، و حمل الناس على التدين بالخلاف-إلى أن قال:- فإن كان أبو بكر و عمر مختلفين فكيف يجوز الاقتداء بهما؟ و هذا تكليف ما لا يطاق، لأنك إذا اقتديت بواحد فقد خالفت الآخر.

و الدليل على اختلافهما: أنّ أبا بكر سبى أهل الردة و ردّهم عمر أحراراً، و أشار عمر على أبي بكر بعزل خالد و قتله بمالك بن نويرة، فأبى أبو بكر عليه، و حرم عمر المتعتين و لم يفعل ذلك أبو بكر-إلى أن قال:-

فقال آخر: إنّ النبيّ قال: (لو كنت متّخذاً خليلاً لا اتخذت أبا بكر خليلاً).

فقال المأمون: هذا مستحيل من قبل أنّ رواياتكم ان النبيّ صلّى الله عليه و آله و سلّم لما آخى بين أصحابه آخى علينا عليه السّلام و قال له: (ما أخرتك إلا لنفسى).

فقال الآخر: إنّ عليّاً قال على المنبر: (خير هذه الامّة بعد نبيّها أبو بكر و عمر).

قال المأمون: هذا مستحيل من قبل أنّ النبيّ صلّى الله عليه و آله و سلّم لو علم أنّهما أفضل، ما ولى عليهما مرّه عمرو بن العاص و مرّه اسامه بن زيد. و ممّا يكذب هذه الروايه قول عليّ عليه السّلام لما قبض النبيّ صلّى الله عليه و آله و سلّم: أنا أولى بمجلسه منى بقميصي، و لكنني أشفقت أن يرجع الناس كفّاراً.

فقال آخر: فإنّ أبا بكر أغلق بابه و قال: (هل من مستقيل فأقبله)؟ فقال عليّ:

(قدّمك النبيّ فمن ذا يؤخرك).

فقال المأمون: هذا باطل من قبل أن عليًا عليه السلام قعد عن بيعه أبي بكر. ورويتم حتى قبضت فاطمه عليها السلام، و أنها أوصت أن تدفن ليلاً لثلاً يشهدا جنازتها.

و أيضاً: إن كان النبي صلى الله عليه وآله وسلم استخلفه فكيف كان له أن يستقيل، وكيف يقول للأنصار: قد رضيت لكم أحد هذين الرجلين أبا عبيده و عمر؟ فقال آخر: إن عمرو بن العاص قال: يا نبي الله من أحب النساء إليك من النساء؟ قال عايشه، فقال: من من الرجال؟ فقال: أبوها.

فقال: هذا باطل من قبل أنكم رويتم أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم كان بين يديه طائر مشوى فقال: اللهم ائتنى بأحب خلقك إليك، فكان علي عليه السلام.

فقال آخر: فإن عليًا عليه السلام قال: من فضّلني على أبي بكر و عمر جلدته حدّ المفترى.

فقال المأمون: كيف يجوز أن يقول علي عليه السلام: أجدد الحد على من لا- يجب حدّ عليه، فيكون متعدداً لحدود الله عاملاً بخلاف أمره؟ و ليس تفضيل من فضله عليهما فريه، و قد رويتم عن إمامكم أنه قال: ولتتكم و لست بخيركم.

فقال آخر: إن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: أبو بكر و عمر سيّدا كهول أهل الجنّة.

قال المأمون: هذا الحديث محال، لأنّه لا يكون في الجنّة كهول.

فقال آخر: جاء أن النبي قال: لو لم ابعث فيكم لبعث عمر.

فقال المأمون: هذا محال لأن الله تعالى يقول: «إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَى نُوحٍ وَ النَّبِيِّينَ مِنْ بَعْدِهِ» (١)- و قال:- «وَ إِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ وَ مِنْكَ وَ مِنْ نُوحٍ وَ إِبْرَاهِيمَ وَ مُوسَى وَ عِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ» (٢) فهل يجوز أن يكون من لم يؤخذ ميثاقه مبعوثاً و من اخذ مؤخراً؟

ص: ٥٠١

١-١ (١) النساء: ١٦٣. [١]

٢-٢ (٢) الأحزاب: ٧. [٢]

قال آخر: إنَّ النبيَّ نظر إلى عمر يوم عرفه فتبسم فقال: إنَّ الله باهى بعباده عامّه و بعمر خاصّه.

فقال المؤمنون: هذا مستحيل من قبل أنّ الله لم يكن ليباهى بعمر و يدع نبيّه.

فقال آخر: قال النبيّ: لو نزل العذاب ما نجا إلاّ عمر.

فقال المؤمنون: هذا خلاف الكتاب لأن الله تعالى يقول: «وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ» (١).

فقال آخر: فقد شهد النبيّ لعمر بالجنّه في عشره من أصحابه.

فقال المؤمنون: لو كان هذا كما زعمتم لكان عمر لا يقول لحذيفه: نشدتك الله أمن المنافقين أنا؟ فان كان النبيّ صلّى الله عليه و آله و سلّم قد قال له إنك من أهل الجنّه و لم يصدقه حتّى زكاه حذيفه، فصدّق حذيفه و لم يصدّق النبيّ صلّى الله عليه و آله و سلّم فهو على غير الإسلام، و ان كان قد صدّق النبيّ صلّى الله عليه و آله و سلّم فلم سأل حذيفه؟ قال الآخر: قال النبيّ صلّى الله عليه و آله و سلّم: وضعت في كفه الميزان و وضعت امتي في كفه اخرى فرجحت بهم، ثم وضع مكاني أبو بكر فرجح بهم، ثم عمر فرجح بهم ثم رفع الميزان.

فقال المؤمنون: إن كانت أجسامهما فمحال أن ترجح بأجسام الامّه، و إن كانت أعمالهما فلم تكن بعد فكيف يرجح بما ليس - إلخ (٢).

ثمّ أنّهم كما رووا عنه عليه السّلام الثناء عليه، ورووا عن ابن عباس أيضا الثناء عليه، فقال ابن قتيبه في (خلفائه) - بعد ذكر طعن أبي لؤلؤ لعمر - قال عمر لابن عباس: لو أنّ لي ما طلعت عليه الشمس و ما غربت لافتديت به من هول

ص: ٥٠٢

[١ - ١] الأنفال: ٣٣. [١]

[٢ - ٢] عيون الأخبار للصدوق ١٨٣: ٢-١٨٨، و [٢] عنه البحار ١٨٩: ٤٩-١٩٥، [٣] العقد الفريد ٣٤٩: ٥-٣٥٩، و النقل بتصرّف و تلخيص.

المطلع، فقال له ابن عباس: فإن يك ذاك فجزأك الله عَنَّا خيراً، أليس قد دعا النبي أن يعزَّ الله بك الدين و المسلمون محتسبون بمكته، فليِّمًا أسلمت كان إسلامك عزًّا أعزَّ الله به الإسلام و ظهر النبي و أصحابه، ثم هاجرت إلى المدينة فكانت هجرتك فتحاً، ثم لم تغب عن مشهد شهده النبي من قتال، و مات و هو عنك راضٍ، ثم ارتد النَّاس بعد النبي صَلَّى اللهُ عليه و آله و سلَّم عن الإسلام فوازرت الخليفة على منهاج النبي، و ضربتم من أدبر بمن أقبل حتَّى دخل النَّاس في الإسلام طوعاً و كرهاً، ثم قبض الخليفة و هو عنك راضٍ، ثم وَّليت بخير ما يلي أحد من النَّاس، مصر بك الأمصار و جبي بك الأموال و نفى بك العدو، و أدخل الله على أهل كل بيت من المسلمين توسعه في أرزاقهم، ثم ختم الله لك بالشهادة فهنيئاً لك فصَّبَّ الله الثناء عليك صبًّا- فقال له عمر: أ تشهد لي بهذا يا عبد الله عند الله يوم القيامة؟ قال: نعم، فقال عمر: اللهم لك الحمد (١).

و لا- نقول إنَّه حتماً موضوع مثل ما رووه عن أمير المؤمنين عليه السَّلام فيه، فإنَّ ابن عبَّاس لم يكن معصوماً و كان يستعمل السياسة، و قد كان أشار على أمير المؤمنين عليه السَّلام أن يبقى معاويه على الشام، و يولِّى طلحة البصره و الزبير الكوفه حتى يستقر أمر خلافته، فأنكره عليه السَّلام، و خدع أبا موسى بوضع كتاب على لسانه عليه السَّلام إليه بإبقائه على الإمارة. ففي (جمل المفيد): أنَّه عليه السَّلام كتب إلى أبي موسى مع ابن عبَّاس كتاباً غلظ فيه، قال ابن عبَّاس: فقلت في نفسي: أقدم على رجل و هو أمير بمثل هذا الكتاب، ألا ينظر في كتابي هذا، و نظرت أن أشقَّ كتاب أمير المؤمنين عليه السَّلام و كتبت من عندي كتاباً عنه عليه السَّلام لأبى موسى: (أما بعد فقد عرفت موَدَّتكَ إيَّانا أهل البيت و انقطاعك إلينا، و أنما نرغب إليك لَمَّا نعرف من حسن رأيك فينا، فإذا أتاك كتابي هذا فبايع لنا النَّاس) فدفع إليه

ص: ٥٠٣

الكتاب، فلما قرأه قال لى: أنت الأمير، قلت: بل أنت، فدعا الناس إلى بيعه على عليه السلام فلما بايع الناس قمت و سعدت المنبر فرام إنزالى - إلخ (١).

و ابن عباس هو الذى كان يحاج عمر و يفحمه فى كون الأمر لأمر المؤمنين عليه السلام و غاصبته فكيف يشنى عليه لو لا استعماله السياسه.

و من محاجاته معه ما فى (الطبرى) و غيره، عن ابن عمر قال: كنت عند أبى يوما فجرى ذكر الشعر فقال: من أشعر العرب؟ فقالوا فلان و فلان، فطلع ابن عباس فقال عمر: قد جاء الخبير، من أشعر الناس يا عبد الله؟ قال: زهير بن أبى سلمى. قال: فأنشدنى له ممّا تستجيده. فقال: إنّه مدح قوما من غطفان يقال لهم بنو سنان، فقال فيهم:

لو كان يقعد فوق الشمس من كرم قوم بأولهم أو آخرهم فعدوا

قوم سنان أبوهم حين تنسبهم طابوا و طاب من الأولاد ما ولدوا

إنس إذا أمنوا جن إذا فرعوا مزراون بها ليل إذا جهدوا

محسدون على ما كان من نعم لا ينزع الله عنهم ما له حسدوا

فقال عمر: قاتله الله لقد أحسن، و لا- أرى هذا البيت يصلح إلا- لهذا البيت من هاشم لقرابتهم من رسول الله. فقال له ابن عباس: وفكك الله فلم تزل موقفا، قال: يا بن عباس أ تدرى ما منع الناس منكم؟ قال: لا. قال: لكنى أدرى. قال: ما هو؟ قال: كرهت قريش أن تجمع لكم النبوه و الخلافه فتجحفوا الناس جحفا، فنظرت قريش لأنفسها فاختارت و وفقت فأصابت. فقال ابن عباس: أ يميظ الخليفه عنى غضبه فيسمع. قال: قل ما تشاء. قال: أما قولك (إن قريشا كرهت) فإن الله تعالى قال لقوم: «ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَرِهُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأَحْبَطَ أَعْمَالَهُمْ» (٢).

ص: ٥٠٤

[١- ١] الجمل للمفيد: ٢٦٥. [١]

[٢- ٢] محمّد: ٩. [٢]

و أمّا قولك: إنّنا نجحف بالخلافه، فلو جحفنا بالخلافه جحفنا بالقرايه، و لكننا قوم أخلاقنا مشتقه من خلق رسول الله صلّى الله عليه و آله و سلّم، الذي قال تعالى فيه:

«وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ» (١)، و قال له: «وَ اخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ» (٢).

و أمّا قولك إنّ قريشا اختارت فإنّ الله تعالى يقول: «وَ رَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَ يَخْتَارُ مَا كَانَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ» (٣)، و قد علمت أنّ الله اختار من خلقه لذلك من اختار، فلو نظرت قريش من حيث نظر الله لها لوفقت و أصابت.

فقال عمر: على رسلك يا بن عباس أبت قلوبكم يا بنى هاشم إلّا غشا لقريش لا يزول، و حقدًا عليها لا يحول.

فقال ابن عباس له: مهلا لا تنسب قلوب بنى هاشم إلى الغشّ فإنّ قلوبهم من قلب رسول الله الذي طهره و زكاه، و هم أهل البيت الذين قال تعالى فيهم:

«إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَ يُطَهِّرَ كُمْ تَطْهِيرًا» (٤).

و أمّا قولك (حقدًا) فكيف لا يحقد من غصب شيئه و يراه فى يد غيره؟ فقال عمر: أمّا أنت يا عبد الله فقد بلغنى عنك كلام أكره أن اخبرك به فتزول منزلتك عندى.

قال: و ما هو أخبرنى به؟ فإن يك باطلا فمثلى أماط الباطل عن نفسه، و إن يك حقًا فإن منزلتى عندك لا تزول به.

قال: بلغنى أنّك لا تزال تقول: اخذ هذا الأمر منّا حسدا و ظلما.

قال: أمّا قولك حسدا فقد حسد إبليس آدم فأخرجه من الجنّه، فنحن بنو

ص: ٥٠٥

١-١ (١) القلم: ٤. [١]

٢-٢ (٢) الشعراء: ٢١٥. [٢]

٣-٣ (٣) القصص: ٦٨. [٣]

٤-٤ (٤) الأحزاب: ٣٣. [٤]

آدم المحسودون، وأما قولك ظلما فإن الخليفة يعلم صاحب الحق من هو.

فقال عمر: قم الآن فارجع إلى منزلك.

فقام، فلما ولي هتف به عمر: أيها المنصرف إنني -على ما كان منك- لراع حَقِّك.

فالتفت ابن عباس فقال: إن لي عليك و على كل المسلمين حقا برسول الله صلى الله عليه و آله و سلم، فمن حفظه فحق نفسه حفظ، و من أضاعه فحق نفسه أضاع (١).

ثم مضى، فقال عمر لجلسائه: واهي لابن عباس ما رأيته لاحي أحدا قط إلا خصمه (٢).

فكيف يثنى عليه هذا الثناء مع وضوح عدم واقعيه تلك الفقرات، أما كون إسلامه عزا للإسلام فهل كان ذا شجاعه أو عشيره؟ إنما كانت شجاعته على الاسراء لا في الحروب كما قال: اسد علي و في الحروب نعامه.

و لم لم يذهب إلى مكة، لَمَّا أراد النبي صلى الله عليه و آله و سلم أن يرسله قبل الشجره، مع عدم قتله أحدا من قريش أو غيرهم؟ فاعتذر بخوفه و عدم عشيره له تمنعه كما تكون بنو اميه لعثمان، و إنما كان عز الإسلام أولا -بأمر المؤمنين عليه السلام، فمر كتاب محمد بن أبي بكر إلى معاويه و أثر علي عليه السلام النبي صلى الله عليه و آله و سلم على كل حميم و وقاه كل هول، و واساه بنفسه في كل حرب، فحارب حربه و سالم سلمه، فلم يزل مبتذلا لنفسه ساعات الازل و مقامات الروع. و مع أن قريشا كانوا ينظرون إليه نظر الثور إلى الجازر، أخذ عليه السلام سورة (براءه) من أبي بكر، و ذهب بها إلى مكة وحده، و بلغ آياتها، و كانت قريش معه عليه السلام كما قال القائل:

(لو يشربون دمي لم يرو شاربهم). ثم بعده حمزه أسد الله و أسد رسوله، الذي

ص: ٥٠٦

١- (١) تاريخ الطبري ٢٢٢: ٤-٢٢٤، سنة ٢٣، [١] شرح ابن أبي الحديد ٥٢: ١٢-٥٤. [٢]

٢- (٢) شرح ابن أبي الحديد ٥٥: ١٢. [٣]

كان له تلك الشجاعه المعروفه و تلك العزّه الهاشميّه، حتّى كان يقدر على ضرب أبي جهل الذى كان أكبر جبارى قريش.

فإن قالوا إسلامه كان سببا لنجاه المسلمين من شرّه فلعل.

فقالوا: أصحّ ما روى فى إسلامه روايه أنس عنه، قال: خرجت متقلّما سيفى فلقيت رجلا من بنى زهره، فقال: أين تعمد؟ قلت: أقتل محمّدا، قال: وكيف تأمن فى بنى هاشم و بنى زهره؟ فقلت: ما أراك إلاّ صبوت، قال: أ فلا أدلك على العجب، إنّ اختك و زوجها قد صبوا، فمشى عمر فدخل عليهما و عندهما رجل من الصحابه يقال له خباب بن الارت، فلمّا سمع حس عمر توارى، فقال عمر:

ما هذه الهينمه التى سمعتها عندكم؟ و كانوا يقرءون (طه) على خباب، فقالوا:

ما عندنا شىء إنّما هو حديث كُنّا نتحدّثه بيننا، قال: فلعلكم قد صبوتما، فقال له ختنه: «أ رأيت يا عمر إن كان الحق فى غير دينك». فوثب على ختنه فوطأه و طأ شديدا، فجاءت اخته فدفعته عن زوجها، فنفحها بيده فأدمى وجهها، فجاهرته فقالت: ان الحقّ فى غير دينك...

ثمّ إنّ من المضحك قوله: (فكانت هجرتك فتحا)، فهل كانت المدينه حربا حتّى تكون هجرته فتحا. كما أن قوله: (لم تغب عن مشهد)، أى فائده فيه؟ إذ كان لم يظهر فيها أثرا سوى الفرار و توليه الدبر.

كما أنّ قوله: (مات النبى صلّى الله عليه و آله و سلّم و هو عنك راض) كيف يصح؟ و قد اعترض عمر على النبى صلّى الله عليه و آله و سلّم فى الحديبيه، و فى مرض موته حتّى أغضبه فأخرجه من عنده، و بعد خروجه مات النبى صلّى الله عليه و آله و سلّم.

كما أنّ قوله: (فوازرت الخليفه على منهاج الرسول) كيف يصح؟ و عمر كان معتقدا أنّ الخليفه خالف الرسول فى قضيه خالد بن الوليد مع مالك بن نويره، و أما قبض الخليفه راضيا عنه فلا ننكره، و كيف لا يكون راضيا عنه

و قد جعله خليفه و شكره فرده عليه جزاء فعله.

كما أن قوله: (و مَصْرُ بَكِ الْأَمْصَارِ)، أى أثر فيه؟ و كان الأكاسره و القياصره أكثر آثارا منه فى ذلك.

و قوله: (ثم ختم الله لك بالشهادة)، فيه أن الشهاده المحققه القتل فى غزوات النبی صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ آله وَ سَلَّمَ و قوله: (صَبَّ اللهُ عَلَيْكَ الثَّنَاءَ صَبًّا) فيه أنه فرع ما عرفت أصله.

كما أن قول عمر: (و تشهد لى بهذا عند الله يا عبد الله) فيه دلالة على أنه كان شاكًا فى نفسه، ثم هل يحتاج الله إلى شاهد و هو حاكم شاهد؟ و اذا كانت شهاده الاتباع نافعه لم يهلك أحد من الجبابره.

و من المضحك أن ابن أبى الحديد نقل خبرا: ان ابن عباس قال: قلت لعمر «كنت تقضى بالكتاب و تقسم بالسويّه» (١)، فأعجبه قولى، فاستوى جالسا، فقال: أ تشهد لى بهذا يا بن عباس؟ فكفعت -أى: جبت- فضرب على بين كتفى و قال: اشهد.

فالرجل لم يكن عارفا بالكتاب حتى يقض به، و قد ردت عليه امرأه فى أنفها فطس، لمّا حظر على الناس الزيادة على مهر السنّه، بكون حكمه مخالف الكتاب فقال تعالى: «وَ آتَيْتُمُ إِجْرَهُنَّ فِنْطَارًا فَلَا تَأْخُذُوا مِنْهُ شَيْئًا» (٢)، فقال عمر: ألا تعجبون من امرأه أصابت و إمام أخطأ.

و من أين قسم بالسويّه؟ و من مطاعنه عدم تقسيمه بالسويّه، قبح الله دينا كلّه كذب و افتراء و تناقض و تخليط، و خلاف مقتضى العقول، و ضد كلام الله تعالى و نص الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ آله وَ سَلَّمَ.

ثم كيف يقول أمير المؤمنين عليه السلام لابن عباس: اشهد له بما قلت له، ثم

ص: ٥٠٨

١- ١) شرح نهج البلاغه لابن أبى الحديد ٥٣: ٨ باب ٧٠. [١]

٢- ٢) النساء: ٢٠. [٢]

يقول عليه السّلام فى أوّل خلافته: غصبونا سلطان نبينا فصارت الإمرة لغيرنا، وصرنا سوقه يطمع فينا الضعيف، و يتعزز علينا الدليل، فبكت الأعين منا لذلك، و خشت الصدور و جزعت النفوس.

و قد كان ينبغى عند سماع هذا الكلام منه عليه السّلام، ان يشق الجيوب و يلطم الخدود لما جرى عليهم، فهل ماتت فاطمه التى كانت بضعه من الرسول صلى الله عليه و آله و سلم كمدا إلا من عمر؟ و هل قتل أمير المؤمنين عليه السّلام الذى هو بمنزله نفس الرسول، و الحسنان اللذان ابنا الرسول، و شهد القرآن بعصمه جميعهم و طهارتهم من كل رجس، إلا من عمل عمر؟

٢٧

الحكمه (٤٦٧)

و قال عليه السّلام فى كلام له:

و وَلِيَهُمْ وَالٍ فَأَقَامَ وَ اسْتَقَامَ حَتَّى ضَرَبَ الدِّينَ بِجِرَانِهِ قَوْلَ الْمُصَنَّفِ :

«و قال عليه السّلام فى كلام له عليه السّلام» قال ابن أبى الحديد: هذا الكلام من خطبه له عليه السّلام طويله، يذكر فيها قربه من النبى صلى الله عليه و آله و سلم و اختصاصه عليه السّلام به صلى الله عليه و آله و سلم، و إفضائه صلى الله عليه و آله و سلم بأسراره إليه عليه السّلام، حتى قال عليه السّلام فيها: «فاختار المسلمون بأرائهم رجلا منهم، فقارب و سدّد حسب استطاعته على ضعف وجد كانا فيه، ثم وليهم بعده وال فأقام و استقام، حتى ضرب الدين بجرانه على عسف و عجر فيه كانا فيه، ثم استخلفوا ثالثا لم يكن يملك فى أمر نفسه شيئا غلب عليه أهله، فقادوه إلى اهوائهم كما تقود الوليده البعير المخطوم، فلم يزل الأمر بينه و بين الناس يبعد تاره و يقرب اخرى، حتى نزوا عليه فقتلوه ثم جاءونى

ص: ٥٠٩

مدب الدبا يريدون بيعتى» و تمام الخطبه معروف (١).

«فاقام و استقام» أى: لم يكن عمر مثل عثمان لم يكن يملك أمر نفسه، و كان عمر بالصدّ، كان مستبدا.

«على عسف و عجرفيه كانا فيه» كقوله عليه السّلام فى الشقشقيه: «حوزه خشناء يغلظ كلمها و يخشن مسّها و يكشر العشار فيها، فصاحبها كراكب الصعبه، ان أشفق لها خرم و ان أسلس لها تقحم (٢).

و العسف: الأخذ على غير طريق و العجرفيه الخرق، «حتى ضرب الدين بجرانه» أى: الفتوحات الواقعه فى أيامه، فى فارس و الروم فإن السلطه سبب لاستحكام الأمر.

و جران البعير و الفرس مقدم عنقهما.

ص: ٥١٠

١-١) شرح ابن أبى الحديد ٢٠:٢١٨. [١]

٢-٢) نهج البلاغه الخطبه ٣، ٢٨:١. [٢]

الفصل الثلاثون: في بيعته عليه السلام

اشاره

ص: ٥١١

و من خطبه له عليه السلام:

فَتِدَاكُوا عَلَيَّ تَدَاكَّ الْإِبِلِ الْهِيمِ يَوْمَ وُرُودِهَا - قَدْ أَرَسَ لَهَا رَاعِيهَا وَ حُلِعَتْ مَثَانِيهَا - حَتَّى ظَنَنْتُ أَنَّهُمْ قَاتِلِي أَوْ بَعْضُهُمْ قَاتِلُ بَعْضٍ لَدَيَّ - وَقَدْ قَلْبْتُ هَذَا الْأَمْرَ بَطْنُهُ وَ ظَهْرُهُ فَمَا وَجِدْتَنِي يَسِيرًا عِنِّي إِلَّا قِتَالُهُمْ - أَوِ الْجُحُودُ بِمَا جَاءَ بِهِ؟ مُحَمَّدٌ ص؟ - فَكَانَتْ مُعَالَجَةُ الْقِتَالِ أَهْوَنَ عَلَيَّ مِنْ مُعَالَجَةِ الْعِقَابِ - وَ مَوَاتُ الدُّنْيَا أَهْوَنَ عَلَيَّ مِنْ مَوَاتِ الْآخِرَةِ وَ الْخُطْبَةُ (٢٢٩) وَ مِنْ كَلَامِ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ فِي وَصْفِ بَيْعَتِهِ بِالْخِلَافَةِ، وَ قَدْ تَقَدَّمَ مِثْلُهُ بِالْفَاظِ مُخْتَلَفًا:

وَ بَسَّطْتُمْ يَدِي فَكَفَفْتُمَهَا وَ مَدَدْتُمُوهَا فَفَبَضُّتُمَهَا - ثُمَّ تَدَاكَكْتُمْ عَلَيَّ تَدَاكَّ الْإِبِلِ الْهِيمِ - عَلَيَّ حِيَاضَتُهَا يَوْمَ وُرُودِهَا - حَتَّى انْقَطَعَتِ النَّعْلُ - وَ سَقَطَ

الرِّدَاءُ وَوُطِئَ الضَّعِيفُ - وَبَلَغَ مِنْ سُرُورِ النَّاسِ بِنَيْعَتِهِمْ إِيَّايَ - أَنْ ابْتَهَجَ بِهَا الصَّغِيرُ وَهَدَجَ إِلَيْهَا الْكَبِيرُ - وَتَحَامَلَ نَحْوَهَا الْعَلِيلُ وَحَسَرَتْ إِلَيْهَا الْكَعَابُ أَقول: قال ابن أبي الحديد ٢ ابن أبي الحديد - شرح نهج البلاغه - ج ٤ ص ٨ تا ١٠ بعد الأول: ذكر أبو مخنف في كتاب (الجمل ١ أبو مخنف - الجمل -):

أَنَّ الْأَنْصَارَ وَالْمُهَاجِرِينَ اجْتَمَعُوا فِي مَسْجِدِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ لِيَنْظُرُوا مِنْ يَوْلُونَهُ أَمْرَهُمْ حَتَّى غَضَّ الْمَسْجِدَ بِأَهْلِهِ، فَاتَّفَقَ رَأْيُ عِمَارٍ وَأَبِي الْهَيْثَمِ بْنِ التَّهْيَانِ وَرِفَاعَةَ بْنِ رَافِعٍ وَمَالِكَ بْنِ عَجْلَانَ وَأَبِي أَيُّوبَ عَلَى إِقْعَادِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ السَّلَامُ فِي الْخِلَافَةِ، وَكَانَ أَشَدَّهُمْ تَهَالُكَا عَلَيْهِ عِمَارٌ فَقَالَ لَهُمْ: «أَيُّهَا الْأَنْصَارُ! قَدْ سَارَ فِيكُمْ عِثْمَانُ بِالْأَمْسِ بِمَا رَأَيْتُمُوهُ، وَأَنْتُمْ عَلَى شَرَفٍ مِنَ الْوُقُوعِ فِي مِثْلِهِ إِنْ لَمْ تَنْظُرُوا لِأَنْفُسِكُمْ، وَإِنِّي عَلَيَّا عَلَيْهِ السَّلَامُ أَوْلَى النَّاسِ بِهَذَا الْأَمْرِ لِفَضْلِهِ وَسَابِقَتِهِ» فَقَالُوا حِينَئِذٍ بِأَجْمَعِهِمْ لِبَقِيَّةِ النَّاسِ مِنَ الْأَنْصَارِ وَالْمُهَاجِرِينَ: «أَيُّهَا النَّاسُ! إِنَّا لَنْ نَأْذِيَكُمْ خَيْرًا وَأَنْفُسَنَا إِنْ شَاءَ اللَّهُ، وَإِنِّي عَلَيَّا عَلَيْهِ السَّلَامُ مِنْ قَدْ عَلِمْتُمْ، وَمَا نَعْرِفُ مَكَانَ أَحَدٍ أَحْمَلُ لِهَذَا الْأَمْرِ مِنْهُ، وَلَا أَوْلَى بِهِ». فَقَالَ النَّاسُ بِأَجْمَعِهِمْ: قَدْ رَضِينَا وَهُوَ عِنْدَنَا عَلَى مَا ذَكَرْتُمْ وَأَفْضَلُ وَقَامُوا كُلَّهُمْ فَأَتَوْا عَلَيَّا عَلَيْهِ السَّلَامُ فَاسْتَخْرَجُوهُ مِنْ دَارِهِ وَسَأَلُوهُ بَسَطَ يَدَهُ فَقَبَضُوهَا، فَتَدَاكَوْا عَلَيْهِ تَدَاكَ الْإِبِلِ الْهَيْمِ عَلَى وَرُودِهَا حَتَّى كَادَ بَعْضُهُمْ يَقْتُلُ بَعْضًا، فَلَمَّا رَأَى مَا رَأَى سَأَلَهُمْ أَنْ تَكُونَ بَيْعَتُهُ فِي الْمَسْجِدِ ظَاهِرَةً لِلنَّاسِ، وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: إِنْ كَرِهْنِي رَجُلٌ وَاحِدٌ لَمْ أُدْخَلْ فِي هَذَا الْأَمْرِ.

فنهض الناس معه حتى دخل المسجد، فكان أول من بايعه طلحة، فقال قبيصة بن ذؤيب الأسدي: تخوفت ألا يتم أمره لأن أول يد بايعته شلاء، ثم بايعه الزبير و بايعه المسلمون بالمدينة، إلا محمّد بن مسلمة و عبد الله بن عمر و اسامه بن زيد و سعد بن أبي وقاص و كعب بن مالك و حسان بن ثابت و عبد

اللّه بن سلام، فأمر بإحضار عبد الله بن عمر فقال له: بايع. قال: لا ابايع حتى يبايع جميع الناس. فقال له على عليه السّلام: فأعطني حميلاً أن لا تبرح. قال: لا اعطيك.

فقال الأشر له عليه السّلام: إن هذا قد أمن سوطك و سيفك، فدعني أضرب عنقه.

فقال عليه السّلام: لست اريد ذلك منه على كرهه، خلوا سبيله، لقد كان صغيراً و هو سيئ الخلق، و هو فى كبره أسوأ خلقاً. ثم اتى بسعد بن أبى وقاص، فقال له عليه السّلام: بايع، فقال له: خلنى فاذا لم يبق غيرى بايعتك، فو الله لا يأتيك من قبلى أمر تكرهه أبداً. فقال عليه السّلام: صدق، خلوا سبيله. ثم بعث إلى محمّد بن مسلمه، فلما أتاه قال له: بايع. قال: إن النّبي أمرنى اذا اختلف الناس و صاروا هكذا - و شبك بين أصابعه - أن أخرج بسيفى فأضرب عرض أحد، فإذا تقطع اتيت منزلى فكنت فيه، لا أبرحه حتى تأتيني يد خاطفه أو متيه قاضيه. فقال عليه السّلام له:

فانطلق اذن فكن كما امرت به. ثم بعث إلى اسامه بن زيد، فلما جاء قال له: بايع.

فقال له: إنى مولاك و لا خلاف منى عليك، و ستأتيك بيعتى إذا سكن الناس.

فأمره بالانصراف، و لم يبعث إلى أحد غيرهم.

و قيل له: ألا- تبعث إلى حسان بن ثابت و كعب بن مالك و عبد الله بن سلام؟ فقال عليه السّلام: لا حاجة لنا فى من لا حاجة له فينا.

ثم قال ابن أبى الحديد: فأمر أصحابنا- أى المعتزله- فإنهم يذكرون فى كتبهم أنّ هؤلاء الرهط إنّما اعتذروا بما اعتذروا به لما ندبهم إلى الشخوص معه فى حرب الجمل، و إنّهم لم يتخلفوا عن البيعه، و إنّما تخلفوا عن الحرب (١).

ثم نقل ابن أبى الحديد خبراً شاهداً لقولهم (٢).

قلت: و روى ذلك (جمل ٢ الشيخ المفيد- الجمل- ص ٨٩ تا ٩٦ المفيد) عن (جمل ١ أبو مخنف- الجمل- أبى مخنف) و عن غيره. و فى آخر خبره: أنّه عليه السّلام قال لسعد و ابن عمر و اسامه: أ لستم على بيعتى؟ قالوا:

ص: ٥١٥

١-١) شرح ابن أبى الحديد ٨: ٤-١٠. [١]

٢-٢) المصدر نفسه ١٠: ٤.

بلى. قال: انصرفوا فسيغنى الله عنكم (١).

و قال ابن أبى الحديد أيضا: و روى أبو مخنف عن ابن عباس، قال: لَمَّا دخل عليّ المسجد و جاء الناس ليبايعوه، خفت أن يتكلّم بعض أهل الشنآن لعلّى عليه السّلام ممّن قتل أباه أو أخاه، أو ذا قرابته فى حياه النّبى صلّى الله عليه و آله و سلّم، فيزهد على عليه السّلام فى الأمر و يتركه. فكنّت أرصد ذلك و أتخوفه، فلم يتكلّم أحد حتّى بايعه الناس كلهم راضين مسلمين غير مكرهين (٢).

قول المصنّف فى الأوّل: «و من خطبه له عليه السّلام» هكذا فى (المصريه) (٣)، و الصواب: (و من كلام له عليه السّلام) كما فى (ابن أبى الحديد و ابن ميثم) (٤) و (الخطيه).

ثم إنّ ابن أبى الحديد زاد: (فى ذكر البيعه) (٥). قوله فى الثانى: «و من كلام له عليه السّلام فى وصف بيعته عليه السّلام بالخلافه» هكذا فى (المصريه و ابن أبى الحديد) (٦)، و لكن ليس فى (ابن ميثم) كلمه (بالخلافه) (٧).

«و قد تقدم مثله بألفاظ مختلفه» و مراده فى الخطبه (٥٤) كما مرّ هنا، و فى الخطبه (١٣٣) كما يأتى فى الآتى.

ثمّ الأصل فى الأوّل روايه أبى مخنف عن زيد بن صوحان، قال: شهدت عليّا عليه السّلام بذى قار و هو معتمّ بعمامه سوداء، فقال فى خطبه: الحمد لله على كلّ أمر و حال فى الغدوّ و الآصال- إلى أن قال- ثم استخلف الناس عثمان فنال

ص: ٥١٦

١- ١) الجمل للمفيد: ٨٩-٩٦. [١]

٢- ٢) شرح ابن أبى الحديد ١٠: ٤. [٢]

٣- ٣) نهج البلاغه ٩٩: ١.

٤- ٤) شرح ابن أبى الحديد ٦: ٤، شرح ابن ميثم ١٤٣: ٢. [٣]

٥- ٥) شرح ابن أبى الحديد ٦: ٤. [٤]

٦- ٦) نهج البلاغه ٢٤٩: ٢، [٥] شرح ابن أبى الحديد ٣: ١٣. [٦]

٧- ٧) فى شرح ابن ميثم المطبوع ٩٩: ٤ «بالخلافه» أيضا.

منكم و نلتم منه،حتى إذا كان من أمره ما كان أ تيمونى لتبايعونى،فقلت:لا- حاجه لى فى ذلك،و دخلت منزلى فاستخرجتمونى،فقبضت يدى فبسطتموها،و تداكتم علىّ حتى ظننت أنّكم قاتلى،و أنّ بعضكم قاتل بعض، فبايعتمونى و أنا غير مسرور بذلك و لا جذل-إلخ-و رواه(الإرشاد) (١).

و الأصل فى الثانى: ما رواه الكلينى فى(رسائله)فى ما كتب عليه السّلام بعد النهروان،لَمَّا سألوه عن قوله عليه السّلام فى الثلاثه ليقراً على الناس-إلى أن قال:-

فلَمَّا قتلتموه أ تيمونى لتبايعونى فأبيت عليكم و أبيت علىّ،فقبضت يدى فبسطتموها،و بسطتها فمددتموها.

ثم تداكتم علىّ تداكّ الإبل الهيم على حياضها يوم ورودها،حتى ظننت أنّكم قاتلى،و أنّ بعضكم قاتل بعض،حتى انقطعت النعل و سقطت الرداء،و وطىء الضعيف،و بلغ من سرور الناس بيعتهم أن حمل اليها الصغير و هدج إليها الكبير،و تحام اليها العليل و حسرت إليها الكعاب.

و رواه ابن قتيبه فى(خلفائه)،و إبراهيم الثقفى فى(غاراته)،و ابن رستم الطبرى فى(مسترشده)باختلاف يسير (٢).

قوله عليه السّلام فى الأوّل: «تداكوا علىّ»،و فى الثانى: «ثمّ تداكتم علىّ» الدك:

الدق.

«تداك الإبل الهيم يوم ورودها» فى الأوّل.و «تداك الإبل الهيم على حياضها يوم ورودها» فى الثانى،الأصل فيه قوله تعالى: «فشاربُونَ شُرْبَ الْهِيمِ» (٣)أى:الإبل العطاش.

قوله عليه السّلام فى الأوّل:

ص: ٥١٧

١- ١) الإرشاد ٢٤٤-١: ٢٤٥، [١]الاحتجاج ١: ١٦١، [٢]العقد الفريد ٤: ١٦٢ و ٥: ٦٧، [٣]شرح ابن أبى الحديد ٣٠٩: ١. [٤]

٢- ٢) الإمامه و السياسه لابن قتيبه ١: ١٥٦،و الغارات للثقفى ١: ٣١٠،المسترشد: ١٠٠ طبع الحيدريه، [٥]النجف.

٣- ٣) الواقعه: ٥٥. [٦]

«قد أرسلها راعيها» زياده كما بعده في بيان تداك الإبل الهيم .

«و خلعت مثنائها» المراد بالمثنائي هنا- وهي جمع المثناء بالكسر:-

العقالات .

«حتّى ظننت أنّهم قاتلى أو بعضهم قاتل بعض لدى» من شده ازدحامهم للتسابق على البيعه معى .

«و قد قلبت هذا الأمر بطنه و ظهره» زاد ابن ميثم و ابن أبى الحديد:(حتى منعنى النوم) (١)، و نسختهما الصحيحه، فتركه فى (المصريه) (٢) نقص .

«فما وجدتنى يسعنى إلاّ قتالهم أو الجحود بما جئنى» هكذا فى (المصريه) (٣)، و الصواب:(جاء) كما فى (ابن أبى الحديد و ابن ميثم) (٤).

«به محمّد صلّى الله عليه و آله و سلّم» هكذا فى (المصريه) (٥)، و لكن فى (ابن أبى الحديد و ابن ميثم) (٦) و (الخطيه): صلّى الله عليه و آله و سلّم .

«فكانت معالجه القتال» أى: مزاولته.

«أهون علىّ من معالجه القتال» أى: مزاولته.

«أهون علىّ من معالجه العقاب» فيمكن الغلبه فى القتال، و لا يمكن الغلبه على عقاب الله تعالى .

«و موتات الدّنيا أهون علىّ من موتات الآخره» الموتات بالضم: جمع الموته بالضم و هى: الصرع و الغشوه.

و فى (صفيين نصر): خرج رجل من أهل الشام ينادى بين الصفيين: يا أبا الحسن ابرز لى. فخرج على عليه السّلام إليه فقال له الرجل: إن لك قدما فى الإسلام و هجره، فهل لك فى أمر أعرضه عليك يكون فيه حقن هذه الدماء و تأخير هذه

ص: ٥١٨

١- ١) كذا فى شرح ابن أبى الحديد ٤:٦، و [١] ليست هذه الفقره فى شرح ابن ميثم ٢:١٤٣. [٢]

٢- ٢) نهج البلاغه ١:٩٩. [٣]

٣- ٣) نهج البلاغه ١:٩٩. [٤]

٤- ٤) كذا فى شرح ابن أبى الحديد ٤:٦، و [٥] لكن فى شرح ابن ميثم ٢:١٤٤ » [٦] جاءنى» أيضا.

٥- ٥) نهج البلاغه ١:٩٩. [٧]

٦- ٦) كذا فى شرح ابن ميثم ٢:١٤٤، و [٨] لكن فى شرح ابن أبى الحديد ٤:٦ أيضا. [٩]

الحروب، حتى ترى من رأيك فترجع إلى عراقك و نرجع إلى شامنا؟ فقال عليه السلام له: «لقد عرفت أنه إنما عرضت هذا نصيحة و شفقه، و لقد أهمني هذا الأمر و أسهرني، و ضربت أنفه و عينه فلم أجد إلا القتال أو الكفر بما انزل على محمد صلى الله عليه و آله و سلم، أن الله تعالى لم يرض من أوليائه أن يعصى في الأرض و هم سكوت مدعنون، لا يأمرن بالمعروف و لا ينهون عن المنكر، فوجدت القتال أهون علي من معالجه الأغلال في جنهم». فرجع الشامي و هو يسترجع (١).

قوله عليه السلام في الثاني: «حتى انقطعت» هكذا في (المصريه) (٢)، و الصواب:

(انقطع) كما في (ابن أبي الحديد و ابن ميثم) (٣)، و إن كان (انقطعت) أيضا صحيحا لكون النعل مؤنثا.

«النعل و سقطت» هكذا في (المصريه) (٤)، و الصواب: (و سقط) كما في (ابن أبي الحديد و ابن ميثم) (٥) أيضا.

«الرداء و وطىء الضعيف» في (صفيين نصر) - بعد ذكر شرح خفاف بن عبد الله لمعاوية قتل عثمان - فقال له معاوية: ثم مه؟ قال: ثم تهافت الناس على علي عليه السلام بالبيعه، تهافت الفراش حتى ضلت النعل و سقط الرداء و وطىء الشيخ (٦).

«و بلغ من سرور الناس ببيعتهم إياي أن ابتهج» أي: سر.

«بها الصغير و هدج» الهدج: مشى الشيخ في ارتعاش، قال: (و هدجانا

ص: ٥١٩

١- ١) وقعه صفين لنصر بن مزاحم: ٤٧٤-٤٧٥. [١]

٢- ٢) نهج البلاغه ٢: ٢٤٩. [٢]

٣- ٣) في شرح ابن أبي الحديد ٣: ١٣: «انقطعت» في المتن و «انقطع» في الشرح، و لكن في شرح ابن ميثم ٩٩: ٤ «انقطعت» أيضا.

٤- ٤) في نهج البلاغه ٢: ٢٤٩ [٣] سقط «أيضا».

٥- ٥) في شرح ابن ميثم ٩٩: ٤، و شرح ابن أبي الحديد ٣: ١٣ [٤] سقط «أيضا».

٦- ٦) وقعه صفين لنصر بن مزاحم: ٦٥. [٥]

لم يكن من مشيتي) (١).

«إليها الكبير و تحامل» أي: حمل نفسه على المشى.

«نحوها» أي: جانبها.

«العليل و حسرت» أي: كشفت.

«إليها» هكذا في (المصريه) (٢)، و يصدقه (ابن أبي الحديد) (٣)، و لكن في (ابن ميثم) (٤): «عن ساقها».

«الكعاب» بالفتح، قال الجوهري: و هي الجارية حين يبدو ثديها للنهود كالكالب (٥).

و الكل الثلاثة و الأربعة بيان لوصف شدّه شوق الناس إلى بيعته عليه السلام.

٢

من الخطبه (١٣٧)

منها:

فَأَقْبَلْتُمْ إِلَىٰ إِقْبَالِ الْعُودِ الْمَطَافِيلِ عَلَىٰ أَوْلَادِهَا - تَقُولُونَ الْبَيْعَةَ الْبَيْعَةَ - قَبِضْتُ يَدِي فَبَسَطْتُهَا - وَ نَازَعْتُكُمْ يَدِي فَجَدَبْتُهَا - اللَّهُمَّ
إِنَّهُمَا قَطَعَانِي وَ ظَلَمَانِي - وَ نَكَّنَا بَيْعَتِي وَ أَلْبَا النَّاسَ عَلَيَّ - فَاحْلُلْ مَا عَقَدَا وَ لَا تُحَكِّمَ لَهُمَا مَا أَبْرَمَا - وَ أَرِهْمَا الْمَسَاءَةَ فِيمَا أَمَلَا وَ
عَمَلَا - وَ لَقَدْ اسْتَبَبَّهُمَا قَبْلَ الْقِتَالِ - وَ اسْتَأْنَيْتُ بِهِمَا أَمَامَ الْوِقَاعِ - فَغَمَطَا النَّعْمَةَ وَ رَدَّا الْعَافِيَةَ

ص: ٥٢٠

١-١) لسان العرب ١٥:٤٨ [١] ماده (هدج).

٢-٢) نهج البلاغه ٢:٢٥٠. [٢]

٣-٣) شرح ابن أبي الحديد ٣:١٣.

٤-٤) في شرح ابن ميثم ٤:٩٩ «إليها» أيضا.

٥-٥) الصحاح ١:٢١٣، [٣] ماده: (كعب).

قول المصنف «منها» هكذا في جميع النسخ (١)، والظاهر أن المصنف توهم أنه قال في أول عنوانه: (و من خطبه له عليه السلام) مع أنه قال: (و من كلام له عليه السلام).

قوله عليه السلام «فأقبلتم إليّ إقبال العوذ المطافيل على أولادها» نظير قوله عليه السلام في سابقه: (فتداكوا عليّ تداك الإبل الهيم يوم ورودها، قد أرسلها راعيها و خلعت مثنائها) (٢)، شبه ثمه شوق الناس في بيعته بإبل عطاش مخلاه السرب، مطلقه العنان يوم سقيها، كيف ترد الماء، و شبهه هنا بإبل معها أطفالها و هي قريبة العهد بالنتاج، كيف تقبل على ولدها.

و قال ابن أبي الحديد: (العوذ): إذا ولدت عن قريب و (المطافيل): التي زال عنها اسم العياذ و معها طفلها، و قد تسمى المطافيل عوذا إلى أن يبعد العهد بالنتاج مجازاً، و على هذا قال عليه السلام: (العوذ المطافيل) و إلا فلاسمان لا يجتمعان حقيقه (٣).

قلت: ما ذكره غلط، كيف لا يجتمع الاسمان (العوذ) و (المطافيل) و قد قال في (الجمهره): و العوذ المطافيل من الإبل الحديثات العهد بالنتاج التي معها أولادها، و الظباء المطافيل التي معها أولادها و هي قريبة عهد بالنتاج (٤).

و كيف لا يجتمعان و قد أكثر الشعراء من الجمع بينهما، قال الأعشى:

الواهب المائه الهجان و عبدها عوذا تزجى خلفها أطفالها (٥)

و قال الأخطل يصف سحابا:

ص: ٥٢١

١ - ١) نهج البلاغه ٢: ٢٨، و [١] لكن في شرح ابن ميثم ٣: ١٦٦، و [٢] شرح ابن أبي الحديد ٩: ٣٨: [٣] منه.

٢ - ٢) نهج البلاغه ١: ٩٩، الخطبه ٥٤. [٤]

٣ - ٣) شرح ابن أبي الحديد ٩: ٣٨. [٥]

٤ - ٤) جمهره اللغه ٢: ٩٢٠، [٦] ماده: (طفل).

٥ - ٥) جمهره اللغه: و [٧] قال في هامشه: البيت للأعشى في ديوانه: ٢٩، و قد استشهد به سيويه ١: ٩٤ [٨] على عطف «عبدها» على «المائه» و هو مضاف إلى غير الألف و اللام.

إذا زعزعته الريح جرّ ذبوله كما رجّعت عوذ ثقّال تطفّل (١)

و قال أبو ذؤيب في وصف تكلم امرأه:

و إنّ حديثاً منك لو تبدلينه جنى النحل في ألبان عوذ مطافل

مطافيل أبكار حديث نتاجها تشاب بماء مثل ماء المفاصل (٢)

و الأصل في وهمه قول (الصحيح) في (عوذ): العوذ: الحديثات النتاج من الطباء و الإبل و الخيل، واحدتها عائد، مثل حائل و حول، تقول: هي عائد بينه العوذ، و ذلك إذا ولدت عشره أيام أو خمسه عشر يوماً، ثم هي مطفل بعد... (٣).

فإن حمل على أنّ مراده أنّ المطفل أعم، و إلاّ فهو غلط منه، و كيف لا، و قد قال نفسه في (طفل): و الطفل: الطبي معها طفلها و هي قريبه عهد بالنتاج، و كذلك الناق، و الجمع مطافل و مطافيل. ثم استشهد بيبي أبي ذؤيب المتقدمين (٤).

«تقولون البيعه البيعه» أي: ليس لنا همّ إلاّ بيعتكم و لا نرضى إلاّ بيعتكم .

«قبضت يدي» هكذا في (المصريه) (٥)، و الصواب: (كفّي) كما في (ابن أبي الحديد و ابن ميثم) (٦) و (الخطيه).

«فبسطتموها» روى (مقاتل أبي الفرج) بأسانيد في جعل المأمون الرضا عليه السّلام وليّ عهده: أنّ المأمون أمر ابنه العباس فبايعه أول الناس، فرفع الرضا عليه السّلام يده فتلقى بظهرها وجه نفسه و بطنها وجوههم، فقال له المأمون:

ص: ٥٢٢

١- ١) لسان العرب ١٧٥: ٨، [١] مادة: (طفل).

٢- ٢) أوردهما الجوهري في الصحاح ١٧٥١: ٥، [٢] مادة: (طفل).

٣- ٣) الصحاح ٥٦٧: ٢، [٣] مادة: (عوذ).

٤- ٤) الصحاح ١٧٥١: ٥، [٤] مادة: (طفل).

٥- ٥) نهج البلاغه ٢٨: ٢. [٥]

٦- ٦) كذا في شرح ابن أبي الحديد ٣٨: ٩، و لكن في شرح ابن ميثم ١٦٦: ٣ «يدي» أيضاً.

ابسط يدك للبيعه. فقال عليه السلام: إنَّ النبيَّ صَلَّى اللهُ عليه وآله و سلم هكذا كان يبيع. فبايعه الناس... (١).

«و نازعتكم يدي فجذبتموها» هكذا في (المصريه) (٢)، و الصواب:

(فجاذبتموها) كما في (ابن أبي الحديد و ابن ميثم) (٣) و (الخطبه).

في (خلفاء القتيبي): قال أبو ثور: كنت فيمن حاصر عثمان، فكنت آخذ سلاحي و أضعه و عليّ عليه السلام ينظر إليّ، لا يأمرني و لا ينهاني، فلمّا كانت البيعه له خرجت في أثره و الناس حوله يبايعونه، فدخل حايطا من حيطان بني مازن فألجئوه إلى نخله و حايلا بيني و بينه، فنظرت إليهم و قد أخذت أيدي الناس ذراعه يختلف أيديهم عليّ يده... (٤).

ثم قوله عليه السّلام هنا: «قبضت كفي...» كقوله عليه السّلام في سابقه: «و بسطتم يدي فكففتها...» (٥) دال على قول الاماميه: إنّ الإمامه بالنص من النبيّ صَلَّى اللهُ عليه وآله و سلم، لا- بيعه الناس «و إنّ الإمام كالكعبه يؤتى و لا يأتي» (٦)، فلم يكن هو عليه السّلام و لا المعصومون من عترته يكثرثون بيعه الناس لهم، و إنّما كانوا يدعون الناس أحيانا إلى أنفسهم إتماما للحجّه، فهو عليه السّلام بعد قتل عثمان يمدّ الناس يده لأن يبايعوه فيقبضها،- كما أنّه عليه السلام يوم الشورى يعرض ابن عوف عليه البيعه بشرط العمل بسنّه الشيخين، فيطوى الكشح عنها، دلالة على بطلان أمرهم- و كان الحسين عليه السّلام يقول لمن تبعه: قد رفعت بيعتي عن أعناقكم. و كان الرضا عليه السلام لم يقبل ولايه عهد المأمون حتى أكرهه.

ففي (مقاتل أبي الفرج): أنّ المأمون قال للفضل بن سهل و أخيه: إنّي

ص: ٥٢٣

١-١ (١) مقاتل الطالبيين: ٣٧٦. [١]

٢-٢ (٢) نهج البلاغه ٢: ٢٨.

٣-٣ (٣) كذا في شرح ابن أبي الحديد ٩: ٣٨، و لكن في شرح ابن ميثم ٣: ١٦٦ «فجذبتموها» أيضا.

٤-٤ (٤) الإمامه و السياسه لابن قتيبه ١: ٤٦-٤٧. [٢]

٥-٥ (٥) نهج البلاغه ٢: ٢٤٩، الخطبه ٢٢٩. [٣]

٦-٦ (٦) كفايه الأثر في النصّ على الأئمّه الاثنى عشر: ٢٤٨. [٤]

عاهدت الله إن ظفرت بالمخلوع أن اخرجها إلى أفضل آل أبي طالب، و ما أعلم أحدا أفضل من هذا الرجل، فأرسلهما إليه عليه السلام في ذلك فأبى، فأحضره المأمون و قال له كالمتهدد: إن عمر جعل الشورى في سته أحدهم جدك، و قال:

من خالف فاضربوا عنقه، و لا بد من قبول ذلك... (١).

و في (الطبرى): أن الرضا عليه السلام أخبر المأمون بخلع أهل بغداد له، و بيعتهم لعمه ابن شكله—و إن كان الفضل ستر ذلك عنه—و قال عليه السلام: لأن الناس ينقمون منك مكانه، و مكان أخيه منك، و مكان بيعتك لى من بعدك (٢).

و في (صفين نصر): أن عليا عليه السلام كتب إلى معاوية: و اعلم أن هذا الأمر لو كان إلى الناس أو بأيديهم لحسدونا و لامتنوا به علينا، و لكنته قضاء ممن امتن به علينا على لسان نبيه الصادق المصدق، لا أفلح من شك بعد العرفان و البيئه، اللهم احكم بيننا و بين عدونا (٣).

«اللهم إنهما» أى: طلحه و الزبير.

«قطعانى و ظلمانى و نكثا بيعتى و ألبا» أى: حرّضا.

«الناس علىّ فاحلل ما عقدا و لا تحكم لهما ما أبرما» أى: أحكما .

«و أرها المساءه فيما أملا و عملا» روى أبو مخنف فى (جملة): أنه لما رجعت رسل على عليه السلام من عند طلحه و الزبير و عايشه يؤذنونه بالحرب، قام فقال: اللهم إن طلحه نكث بيعتى، و ألب على عثمان حتى قتله، ثم عضهنى و رمانى، اللهم فلا تمهله. اللهم إن الزبير قطع رحمى و نكث بيعتى و ظاهر علىّ عدوى، فاكفنيه اليوم بما شئت (٤).

ص: ٥٢٤

١-١) مقاتل الطالبين: ٣٧٥.

٢-٢) تاريخ الطبرى ٥٥٥: ٨، سنة ٢٠١. [١]

٣-٣) وقعه صفين لنصر بن مزاحم: ١٠٩-١١٠. [٢]

٤-٤) نقله عنه ابن أبى الحديد فى شرح نهج البلاغه ٣٠٥: ١-٣٠٦. [٣]

و روى المدائني عن عبد الله بن جناده، قال: قدمت من الحجاز اريد العراق في أول إماره على عليه السّلام، فمررت بمكّه فاعتمرت، ثم قدمت المدينه فدخلت مسجد النبي إذ نودي الصلاه جامعه، فاجتمع الناس و خرج على عليه السّلام متقلدا سيفه، فشخصت الأبصار نحوه، فحمد الله و صلّى على رسوله، ثم قال:

أمّا بعد، فإنّ الله تعالى لما قبض نبيه صلّى الله عليه و آله و سلّم، قلنا: نحن أهله و ورثته و عترته و أولياؤه دون الناس، لا ينازعنا سلطانه أحد، و لا يطمع في حقنا طامع، إذ انبرى لنا قومنا فغضبونا سلطان نبينا صلّى الله عليه و آله و سلّم، فصارت الإمرة لغيرنا و صرنا سوقه، يطمع فينا الضعيف، و يتعزّز علينا الذليل، فبكت الأعين منّا لذلك، و خشنت الصدور و جزعت النفوس.

و ايم الله لو لا- مخافه فرقه المسلمين، و أن يعود الكفر و يبور الدين، لكننا على غير ما كنّا لهم، فولى الأمر و لاه لم يألوا الناس خيرا، ثم استخرجتموني من بيتي فبايعتموني على شأن منّي لأمركم، و فراسه تصدقني ما في قلوب كثير منكم، و بايعني هذان الرجلان في أول من بايع- تعلمون ذلك- و قد نكثا و غدرا و نهضا إلى البصره بعائشه، ليفرقا جماعتكم و يلقيا بأسكم بينكم، اللهم فخذهما بما عملا- أخذه رايه، و لا- تنعش لهما صرعه و لا تقلّهما عثره و لا تمهلها فوفا، فإنهما يطلبان حقّا تركاه، و دما سفكاه، اللهم إنني اقتضيك وعدك، فإنّك قلت و قولك الحق: «**ثُمَّ بُعِيَ عَلَيْهِ لِيُنْصِرَنَّهُ اللَّهُ**» (١)، اللهم فأنجز لي موعدي، و لا تكلني إلى نفسي إنك على كلّ شيء قدير (٢).

قال ابن أبي الحديد: دعاؤه عليه السّلام على طلحه و الزبير بإراء تهما المساءه، استجيب الآ- أنه مساءه الدّنيا لا الآخره، فإنّ الله وعدهما على لسان نبيّه بالجنّه

ص: ٥٢٥

[١- ١] الحج: ٦٠. [١]

[٢- ٢] نقله عنه ابن أبي الحديد في شرح نهج البلاغه ٣٠٧: ١- ٣٠٨. [٢]

بالتوبه التي نقلت عنهما، و لولاها لكانا من الهالكين (١).

قلت: أمّا قوله (إنّ الله وعدهما على لسان نبيّه بالجَنّه) فسبحانك هذا بهتان عظيم، إن كان خبرهم في العشره المبشّره حقًا، كان الإسلام باطلاً فمن العشره طلحه و الزبير و ابن عوف و عثمان، و كل من الأولين يشهد على الأخير بالنفاق و الكفر، و الأخير يشهد على كلّ من الأولين كذلك، كما إنّ طلحه و الزبير قتلا آلافا من المسلمين بغير حق، و أفسدا في الأرض فسادا أثره باق إلى آخر الدهر، و قاتلا- من هو نفس النبيّ صلّى الله عليه و آله و سلّم بصريح التنزيل، و لم يندما عن فعلهما حتّى قتلا و إنّما ترك الزبير قتاله عليه السّلام، و لو كان تاب للحقّ به عليه السّلام، كما تاب الحرّ الرياحي من قتاله مع الحسين عليه السّلام، كما إنّ طلحه إنّما نقل عنه أنّه لمّا أصابه السهم قال: «اللهمّ خذ منّي لعثمان» (٢)، فإنّ صحّ النقل فقد تاب عن قتله عثمان، لا عن قتاله أمير المؤمنين .

«و لقد استبتهما» من ثاب يثوب، أي: طلب منهما الرجوع، و يروى (و لقد استبتهما) (٣).

«قبل القتال و استأنيت» أي: ترفقت و انتظرت.

«بهما أمام الوقاع» أي: الحرب.

«فغمطا» بالكسر و الفتح، أي: حقرا.

«النعمة و ردّ العافيه» في (المروج): بعث على عليه السّلام من يناشدهم الله في الدماء، فأبوا إلاّ الحرب، فبعث رجلا من أصحابه يقال له مسلم، معه مصحف يدعوهم إلى الله فرموه بسهم فقتلوه، فحمل إليه عليه السّلام. و قالت أمّ مسلم:

يا ربّ إنّ مسلما أتاهم يتلو كتاب الله لا يخشاهم

ص: ٥٢٤

١- ١) شرح ابن أبي الحديد [١]

٢- ٢) طبقات ابن سعد ٢٢٢:٣-٢٢٣، [٢] تاريخ المدينة المنوّره ١١٦٩:٤-١١٧٠.

٣- ٣) نهج البلاغه ٢٨:٢. [٣]

فخَضَّبوا من دمه لحاهم و أمه قائمه تراهم (١)

و حمل عليه السَّلام و حمل معه الناس، فما كان القوم إلا «كَرَمادٍ اشْتَدَّتْ بِهِ الرِّيحُ فِي يَوْمٍ عاصِفٍ» (٢).

و كما استثابهما في البصره قبل القتال، استثابهما قبل الخروج من المدينه، فرووا—و قد نقله ابن أبي الحديد عند قوله عليه السَّلام (يزعم انه قد بايع بيده) (٣)—: «أَنَّ معاويه كتب إلى الزبير: «إِنِّي قد بايعت لك أهل الشام فأجابوا، فدونك الكوفه و البصره لا- يسبقك إليهما ابن أبي طالب، و قد بايعت لطلحه من بعدك، فادعوا الناس إلى الطلب بدم عثمان». فأقرأ الزبير الكتاب طلحه فأجمعا على نقض البيعه، فدخلوا عليه عليه السَّلام فاستأذناه في العمره، فقال: ما العمره تريدان! فحلفا ما يريدان غيرها. فقال لهما: إنما تريدان الغدره و نكث البيعه، فحلفا لا- يريدان النكث. فقال لهما: فأعيدا البيعه ثانيه. فأعادها بأشد ما يكون من الأيمان و الموثيق، فاذن لهما فلما خرجا قال عليه السَّلام: و الله لا ترونها إلا في فته يقتتلان فيها. فقالوا: فمر بردهما عليك. فقال عليه السَّلام: «لِيَقْضِيَ اللهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا» (٤) أما و الله لقد علمت أنهما سيقتلان أنفسهما أخبث مقتل، و يأتيان من وردا عليه بأشأم يوم، و لقد أتيا نى بوجهي فاجرين و رجعا بوجهي غادرين ناكثين، و الله لا- يلقياني بعد اليوم إلا- في كتيبه خشناء، يقتلان فيها نفسهما، فبعدا لهما و سحقا (٥).

ص: ٥٢٧

١-١) مروج الذهب للمسعودي ٣٧٠:٢، [١] أنساب الأشراف للبلاذري ٢٤١:٢. [٢]

٢-٢) مروج الذهب للمسعودي ٣٧٥:٢، و [٣] الآية ١٨ من سوره إبراهيم. [٤]

٣-٣) نهج البلاغه ٣٨:١، الخطبه ٨. [٥]

٤-٤) الأنفال: ٤٢. [٦]

٥-٥) شرح ابن أبي الحديد ٢٣١:١-٢٣٣، و [٧] النقل بتلخيص.

و من كتاب له عليه السلام إليه أيضا:

أَمَا بَعْدُ فَقَدْ أَتَيْتَنِي مِنْكَ مَوْعِظَةٌ مَوْصَلَةٌ وَرِسَالَةٌ مُحَبَّرَةٌ - نَمَّقَتْهَا بَضَائِكُكَ وَ أَمَّضَتْهَا بِسُوءِ رَأْيِكَ - وَ كِتَابٌ أَمْرِي لَيْسَ لَهُ بَصِيرَةٌ يَهْدِيهِ - وَ لَا قَائِدٌ يُرْشِدُهُ قَدْ دَعَاهُ الْهَوَى فَأَجَابَهُ - وَ قَادَهُ الضَّلَالُ فَاتَّبَعَهُ - فَهَجَرَ لِأَعْيُنِهَا وَ ضَلَّ خَابِطًا مِنْهُ لِأَنَّهَا بَيْعَةٌ وَاحِدَةٌ لَا يُشْنَى فِيهَا النَّظْرُ - وَ لَا يُسْتَأْنَفُ فِيهَا الْخِيَارُ - الْخَارِجُ مِنْهَا طَاعِنٌ وَ الْمُرَوِّى فِيهَا مُدَاهِنٌ أَقُولُ: قَالَ ابْنُ أَبِي الْحَدِيدِ ابْنُ أَبِي الْحَدِيدِ - شَرَحَ نَهْجَ الْبَلَاغَةِ - ج ١٤ ص ٤٢ و ٤٣: هَذَا الْكِتَابُ كَتَبَهُ عَلِيُّ عَلَيْهِ السَّلَامُ جَوَابًا عَنِ كِتَابِ كَتَبَهُ مَعَاوِيَةَ إِلَيْهِ فِي أَثْنَاءِ حَرْبِ صَفِينِ، بَلْ فِي أَوَاخِرِهَا - وَ كِتَابٌ مَعَاوِيَةَ: أَمَا بَعْدُ، فَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى يَقُولُ فِي مُحْكَمِ كِتَابِهِ: «وَ لَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَ إِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَ لَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ» (١) وَ أَنِي أَحْذَرُكَ اللَّهُ أَنْ تَحْبِطَ عَمَلُكَ وَ سَابَقَتَكَ بِشِقِّ عَصَا هَذِهِ الْأُمَّةِ وَ تَفْرِيقِ جَمَاعَتِهَا، فَاتَّقِ اللَّهَ وَ اذْكُرْ مَوْقِفَ الْقِيَامَةِ، وَ اقْلَعْ عَمَّا أُسْرِفْتَ فِيهِ مِنَ الْخَوْضِ فِي دِمَاءِ الْمُسْلِمِينَ، وَ إِنِّي سَمِعْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ وَ سَلَّمَ يَقُولُ: (لَوْ تَمَالَأَ أَهْلُ صَنْعَاءَ وَ عَمَانَ عَلَى قَتْلِ رَجُلٍ وَاحِدٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ لِأَكْبَهُمُ اللَّهُ عَلَى مَنَاخِرِهِمْ فِي النَّارِ)، فَكَيْفَ يَكُونُ حَالُ مَنْ قَتَلَ أَعْلَامَ الْمُسْلِمِينَ وَ سَادَاتِ الْمُهَاجِرِينَ، بَلْ مَا طَحَنَتْ رِحَاءَ حَرْبِهِ مِنْ أَهْلِ الْقُرْآنِ، مِنْ شَيْخٍ كَبِيرٍ وَ شَابٍ غَرِيرٍ، كُلَّهُمْ بِاللَّهِ مُؤْمِنٌ وَ لَهُ مَخْلُصٌ وَ بَرَسُولُهُ مَقَرَّرٌ عَارِفٌ، فَإِنَّ كُنْتَ أَبَا حَسَنِ أُنْمَا تَحَارَبَ عَلَى الْإِمْرَةِ وَ الْخِلَافَةِ، فَلَعَمْرِي لَوْ

ص: ٥٢٨

صحت خلافتك لكنت قريبا من ان تعذر في حرب المسلمين، و لكنّها ما صحت لك و أنّي بصحتّها، و أهل الشام لم يدخلوا فيها و لم يرتضوا بها، و خف الله و سطواته و اتق بأسه و نكاله، و اغمد سيفك عن الناس، فقد و الله أكلتهم الحرب فلم يبق منهم إلا كالشم في قراره الغدير.

فكتب عليه السّلام اليه: أما بعد- إلى قوله: و ضل خابطا. فأما أمرك لي بالتقوى فأرجو أن أكون من أهلها، و أستعيز بالله أن أكون من الذين إذا مروا بها أخذتهم العزّة بالإثم، و أما تحذيرك إياي أن يحبط عملي و سابقتي في الإسلام، فلعمري لو كنت الباغي عليك لكان لك أن تحذرنى ذلك، و لكنني وجدت الله تعالى يقول: «فَقَاتِلُوا الَّذِينَ تَبَغُّوا حَتَّى تَفِيءَ إِلَى أَمْرِ اللَّهِ» (١)، فنظرنا إلى الفئة الباغيه فوجدناها الفئة التي أنت فيها، لأن بيعتي بالمدينه لزممتك و أنت بالشام، كما لزممتك بيعه عثمان بالمدينه و أنت أمير لعمر بالشام.

و أمّا شق عصا هذه الامّه فأنا أحقّ أن أنهاك عنه، فأما تخويفك لي من قتل أهل البغي، فإنّ رسول الله صلّى الله عليه و آله و سلّم أمرني بقتلهم و قتلهم- و قال لأصحابه: «ان فيكم من يقاتل على تأويل القرآن كما قاتلت على تنزيله» - و أشار إليّ - و أنا أولى من أتبع أمره. و أما قولك: إن بيعتي لم تصحّ لأن أهل الشام لم يدخلوا فيها، كيف؟! و أنّما هي بيعه واحده تلزم الحاضر و الغائب، لا- يستثنى فيها النظر و لا- يستأنف فيها الخيار، الخارج منها طاعن، و المرؤى مدهن، فاربع على ظلعك، و انزع سربال غيّك، و اترك ما لا جدوى له عليك، فليس لك عندي إلاّ السيف، حتّى تفيء إلى أمر الله صاغرا، و تدخل في البيعه راغما (٢).

و قال ابن ميثم ابن ميثم- شرح نهج البلاغه- ج ٤ ص ٣٥٥ و ٣٥٦: كتابه عليه السّلام جواب كتاب معاويه إليه (و أنّما كان أهل

ص: ٥٢٩

١- (١) الحجرات: ٩. [١]

٢- (٢) شرح ابن أبي الحديد ٤٢: ١٤-٤٣. [٢]

الحجاز الحكام على الناس حين كان الحق فيهم، فلما تركوه صار أهل الشام الحكام، وليس حجتك عليهم كحجتك على أهل البصره، ولا حجتك على طلحه و الزبير، لأن أهل البصره بايعوك و لم يبايعك أهل الشام، و ان طلحه و الزبير بايعاك و لم يبايعك، و أميا فضلك في الإسلام، و قرابتك من الرسول صلى الله عليه و آله و سلم، و موضعك من بنى هاشم، فلست أدفعه) فكتب على عليه السلام جوابه:

أما بعد فإنه أتاني كتابك كتاب امرئ - إلى قوله «خابطاً» ثم بعده - زعمت أنه إنما أفسد على بيعتك خطيئتي في عثمان، و لعمرى ما كنت إلا رجلاً من المهاجرين، أو ردت كما أوردوا و أصدرت كما أصدروا، و ما كان الله ليجمعهم على ضلال و لا يضر بهم بعمى، و أميا ما زعمت أن أهل الشام الحكام على أهل الحجاز، فهات رجلين من قريش الشام يقبلان في الشورى أو تحل لهم الخلافه، فإن زعمت ذلك كذبك المهاجرون و الأنصار، و إلا فأنا آتيك بهما من قريش الحجاز، و أميا ما ميّزت بين أهل الشام و أهل البصره و بينك و بين طلحه و الزبير، فلعمري ما الأمر في ذلك إلا واحد - ثم بعده - لأنها بيعه عامه - إلى آخره - ثم - و أما فضلى في الإسلام و قرابتي من الرسول صلى الله عليه و آله و سلم و شرفى فى بنى هاشم، فلو استطعت دفعه لفعلت (1).

قال ابن ميثم: و أما قوله عليه السلام (فقد أتتني - إلى - بسوء رأيك)، فهو صدر كتاب آخر فى جواب معاويه بعد الكتاب الذى ذكرناه، و ذلك أن معاويه لما وصل إليه هذا الكتاب منه عليه السلام، كتب إليه ثانياً: (أما بعد فاتق الله يا على و دع الحسد، فإنه طالما لم ينتفع به أهله، و لا تفسد سابقتك بشره من حديثك، فإن الأعمال بخواتيمها، و لا تلحدن بباطل فى حق من لا حق لك فى حقه، فإنك إن تفعل لا تضلل إلا نفسك، و لا تمحق إلا عملك، و لعمرى إن ما مضى لك من

ص: ٥٣٠

السوابق الحسنه لحقيقه أن تردّك و تردعك عمّا اجترأت عليه من سفك الدماء، و إجلاء أهل الحقّ عن الحل و الحرم، فاقراً سورة الفلق و تعوّد بالله من شرّ ما خلق و من شر نفسك الحاسد إذا حسد، قفل اللهم بقلبك و أخذ بناصيتك و عجل توفيقك، فأنى أسعد الناس بذلك. فكتب عليه السلام إليه:

أما بعد فقد أتني منك موعظه موصله-إلى-بسوء رأيك-ثم بعده- و كتاب ليس ببعيد الشبه منك، حملك على الوثوب على ما ليس لك فيه حق، و لو لا-علمي بك، و ما قد سبق من رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم فيك، ممّا لا-مردّ له دون إنفاذه، لو عظمتك، و لكن عظتي لا-تنفع من حقّت عليه كلمه العذاب، و لم يخف العقاب، و لم يبرح لله وقارا، و لم يخش له حذارا، فشأنك و ما أنت عليه من الضلاله و الحيره و الجهاله، تجد الله في ذلك لك بالمرصاد من دنياك المنقطعه و تمنيك الأباطيل، و قد علمت ما قال النبي صلى الله عليه و آله و سلم فيك و في أمك و أبيك (١).

قال ابن ميثم: و المصنّف أضافه إلى هذا الكتاب، كما هو عادته في عدم مراعاة أمثال ذلك (٢).

قلت: لم يذكر أحدهما مستندا، لكن ما ذكره ابن ميثم-من كون قوله عليه السلام: (كتاب امرئ ليس له بصر يهديه) إلى آخر العنوان، أوّل جوابه عليه السلام عن كتاب ذكره ابن ميثم-صحيح فذكره (كامل المبرد-كامل-المبرد) و (خلفاء ابن قتيبه-الإمامه و السياسه-ج ١ ص ١٠١ و ١٠٢ ابن قتيبه) و (عقد ابن عبد ربه-العقد الفريد-ج ٥ ص ٨١ ابن عبد ربه) و (صفين نصر بن مزاحم-وقعه صفين-نصر) (٣).

و أما كون قوله عليه السلام: فقد أتني منك موعظه موصله-إلى-: (و أمضيتها بسوء رأيك) جوابا عن كتاب ذكره أيضا فلم أتحققه.

ص: ٥٣١

١-١) شرح ابن ميثم ٣٥٥:٤-٣٥٦.

٢-٢) المصدر نفسه ٣٥٦:٤.

٣-٣) الإمامه و السياسه ١٠١:١-١٠٢، العقد الفريد ٨١:٥. [١]

و في (صفين نصر) ذكر كتاب معاوية: (و دع الحسد...) (١)، لكن لم يذكر جوابه.

قوله عليه السلام: «أما بعد فقد أتتني منك موعظه موصله» أي: مرّقه أكثر فيها من الوصله، و موعظته الموصله له عليه السلام مثل ما عرفت في كتابه إليه عليه السلام: أما بعد فاتق الله يا عليّ -إلخ- في ما نقله ابن ميثم (٢) و يقول تعالى: «و لَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ» (٣) فيما مرّ عن ابن أبي الحديد (٤).

«و رساله محبره» أي: منقشه.

«نمقتها» أي: نقشتها.

«بضلالك و أمضيتها بسوء رأيك» كقوله (و اقرأ سورة الفلق و تعوذ بالله من شرّ ما خلق).

و نظير كلامه عليه السلام قول أبي دلامه:

كتبوا إليّ صحيفه مطبوعه جعلوا عليها طينه كالعقرب

فعلمت أنّ الشّر عند فكاكها ففككتها عن مثل ريح الجورب

و إذا شبيهه بالأفاعى رقت يوعدننى بتلمظ و تناوب

و ممّا يناسب قوله عليه السلام (موعظه و موصله)، ما في (السير) أن المهدي لما تقامد الخلافه بعد أبيه، وفد عبيد الله بن الحسن الهاشمي عليه معزياً و مهنتاً، فتكلّم بكلام أعده و قال: سلوا أبا عبيد الله وزير المهدي عمّا تكلمت، فسئل أبو عبد الله عنه فقال: لم يعد الهاشمي بكلامه أن أخذ مواعظ الحسن البصري و رسائل غيلان، فلقح بينهما كلاماً. فأخبر عبيد الله بما قال أبو عبيد

ص: ٥٣٢

١-١) وقعه صفين: ١١٠.

٢-٢) شرح ابن ميثم ٤: ٣٦٦.

٣-٣) الزمر: ٦٥. [١]

٤-٤) شرح ابن أبي الحديد ١٤: ٤٢. [٢]

اللّه فيه، فقال: لله أبوه، فوالله ما أخطأ حرفاً ولا تجاوزت ما قال.

هذا، وفي (المعجم): لَمَّا ورد عضد الدولة بغداد في سنة (٣٦٧)، نقم على الصابي أشياء من مكتوباته عن الخليفة و عن بختيار عزّ الدولة فحبسه، فسئل فيه و عرف بفضلله و قيل له: مثل مولانا لا ينقم على مثله ما كان منه، فإنّه كان في خدمه قوم لا يمكنه إلاّ المبالغه في نصيحتهم، و لو أمره مولانا بمثل ذلك إذا استخدمه ما أمكنه المخالفه. فقال عضد الدولة: قد سوغته نفسه فإن عمل كتابا في ماثرنا و تاريخنا أطلقته، فشرع في محبسه بكتاب (التاجي في أخباره) و قيل: إنّ بعض أصدقائه دخل عليه في الحبس و هو في تبييض و تسويد في هذا الكتاب، فسأله عمّا يعمل، فقال: أباطيل اتمّقها و أكاذيب ألقّقها، فأنهى الرجل ذلك إلى عضد الدولة، فأمر بإلقائه تحت أرجل الفيله، فأكبّ عبد العزيز بن يوسف و نصر بن هارون على الأرض يقبلانه و يشفعون إليه في أمره حتى أمر باستحيائه و أخذ أمواله (١).

و قالوا: كتب عبد الحميد لمروان الحمار كتابا إلى أبي مسلم الخراساني، حمل على جمل لعظمه و كثرته و تهويلا على أبي مسلم، و قال: ان قرأه خاليا نحب قلبه، و ان قرأه في ملاء خذلوا.

فلَمَّا وصل الكتاب إلى أبي مسلم أحرقه و لم يقرأه، و كتب على قطعه بياض إلى مروان:

محا السيف أسطار البلاغه و انتحت إليك ليوث الغاب من كلّ جانب

فإن تقدموا نعمل سيوفا شحيذه يهون عليها العتب من كلّ عاتب

«و كتاب» هكذا في (المصريه) (٢)، مثله (ابن أبي الحديد) (٣)، و لكن في

ص: ٥٣٣

١- ١) معجم الأدباء ٢: ٢١-٢٢. [١]

٢- ٢) نهج البلاغه ٩: ٣.

٣- ٣) شرح ابن أبي الحديد ٤١: ١٤. [٢]

(ابن ميثم) (١): (كتاب).

«امرىء ليس له بصر يهديه» «لَهُمْ أَعْيُنٌ لَا يُبْصِرُونَ بِهَا» (٢).

«و لا قائد يرشده» «وَمَنْ يُضِلُّ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ وَلِيًّا مُرْشِدًا» (٣).

«قد دعاه الهوى فأجابه» «أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ» (٤).

«وقاده الضلال فاتبعه» «وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدًى مِنَ اللَّهِ» (٥).

«فهجر» أى: هذى من (هجر المريض)، و الكلام مهجور، قيل: و منه قوله تعالى حكاية عن رسوله صلى الله عليه و آله و سلم: «إِنَّ قَوْمِي اتَّخَذُوا هَذَا الْقُرْآنَ مَهْجُورًا» (٦).

«لا عطا» فى (الصباح)، اللغظ بالتحريك: الصوت و الجلبة (٧).

«و ضل خابطا» من (خبط البعير الأرض بيده) ضربها، و منه (خبط عشواء) و هى الناقه التى فى بصرها ضعف تخبط إذا مشت لا تتوقى شيئا.

قول المصنف «منه» هكذا فى (المصريه) (٨)، و الصواب: (و من هذا الكتاب) كما فى (ابن أبى الحديد و ابن ميثم) (٩).

و قوله عليه السلام: «لأنها بيعه واحده لا يثنى» من ثناه تثنيه، أى: جعله اثنين.

«فيها النظر و لا يستأنف» أى: لا يجدد.

«فيها الخيار» أى: الاختيار.

ص: ٥٣٤

١- ١) فى شرح ابن ميثم ٣٥٤: ٤ «و [١] كتاب» أيضا.

٢- ٢) الأعراف: ١٧٩. [٢]

٣- ٣) الكهف: ١٧. [٣]

٤- ٤) الجاثية: ٢٣. [٤]

٥- ٥) القصص: ٥٠. [٥]

٦- ٦) الفرقان: ٣٠. [٦]

٧- ٧) الصباح ١١٥٧: ٣، [٧] مادة: (لغظ).

٨- ٨) نهج البلاغه ٣: ٩.

٩-٩) شرح ابن أبي الحديد ١٤:٤٤، [٨] شرح ابن ميثم ٣:٣٥٤. [٩]

«والمروى فيها» في (الصحيح): رويت في الأمر إذا نظرت فيه و فكرت يهمز و لا يهمز (١).

«مداهن» أى: مصانع.

في (عيون ابن بابويه)، عن الحاكم البيهقي، عن محمّد الصولي، عن أحمد بن محمّد بن إسحاق، عن أبيه قال: لما بويع الرضا عليه السلام بالعهد، اجتمع الناس إليه يهنئونه فأوماً إليهم فأنصتوا، ثم قال عليه السلام - بعد ان استمع كلامهم -: الحمد لله الفعّال لما يشاء لا - معقّب لحكمه، و لا - راّد لقضائه، يعلم خائنه الأعين و ما تخفى الصدور، و صلّى الله على محمّد و آله في الأوّلين و الآخريين، و على آله الطيبين الطاهرين، إنّ أمير المؤمنين عضده الله بالسداد و وفقه للرّشاد، عرف من حقنا ما جهله غيره، فوصل أرحاماً قطعت، و آمن نفوساً فرعت، بل أحيها و قد تلفت، و أغناها إذ افتقرت، مبتغياً رضى ربّ العالمين، لا يريد جزاء إلاّ من عنده، و سيجزى الله الشاكرين و لا يضيع أجر المحسنين، و أنّه جعل إلىّ عهده، و الإمرة الكبرى إن بقيت بعده، فمن حل عقده أمر الله تعالى بشدّها، و فصم عروه أحبّ الله إثباتها، فقد أباح حريمه و أحلّ محرمه، إذ كان بذلك زارياً (٢) على الإمام، منتهكاً حرمه الإسلام، بذلك جرى السالف فصبر منه على الفلتات و لم يتعرّض بعدها على العزمات، خوفاً على شتات الدين و اضطراب جبل المسلمين، و لقرب أمر الجاهليّة و رصد المنافقين فرصه تنتهز و بائقة تتبدر، و ما أدري ما يفعل بى و لا بكم، إن الحكم إلاّ لله يقص الحق و هو خير الفاصلين (٣).

ص: ٥٣٥

١- ١) الصحيح ٢٣٦٤: ٦، [١] مادة: (روى).

٢- ٢) زارياً أى: عاتباً ساخطاً غير راض. الصحيح ٢٣٦٨: ٦، مادة: (زرى).

٣- ٣) عيون أخبار الرضا عليه السلام ١٤٤-٢: ١٤٥ ح ١٧، و [٢] عنه البحار ١٤١: ٤٩. [٣]

و من كلام له عليه السلام يعنى به الزبير فى حال اقتضت ذلك:

يَزْعُمُ أَنَّهُ قَدْ بَايَعَ بِيَدِهِ وَ لَمْ يُبَايِعْ بِقَلْبِهِ - فَقَدْ أَقْرَبَ بِالْبَيْعَةِ وَ ادَّعَى الْوَلِيَجَهَ - فَلْيَأْتِ عَلَيْهَا بِأَمْرٍ يُعْرَفُ - وَ إِلَّا فَلَيْدُخُلُ فِيمَا خَرَجَ مِنْهُ
أقول: الذى وقت عليه كون العنوان كلام الحسن عليه السلام ابنه عليه السلام، ففى (جمل ٣ الشيخ المفيد - الجمل - ص ٣٢٢ تا ٣٢٧ المفيد): لَمَّا تَقَرَّرَ فِي الْجَمَلِ أَمْرُ الْكُتَّابِ فِي الْفَرِيقَيْنِ، وَ قَامَ ابْنُ الزَّبِيرِ خَطِيْبًا فِي ذَمِّ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَ تَهْمَتَهُ بِقَتْلِ
عَثْمَانَ، وَ بَلَغَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ ذَلِكَ، قَالَ لِلْحَسَنِ ابْنِهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ: قُمْ يَا بَنِي فَاطِمَةَ، فَقَامَ فَحَمَدَ اللَّهُ وَ أَثْنَى عَلَيْهِ، وَ قَالَ: أَيُّهَا النَّاسُ! قَدْ
بَلَّغْتُنَا مَقَالَ ابْنِ الزَّبِيرِ، وَ قَدْ كَانَ أَبُوهُ وَ اللَّهُ يَتَجَنَّى عَلَى عَثْمَانَ الذَّنُوبِ، وَ قَدْ ضَيَّقَ عَلَيْهِ الْبِلَادَ حَتَّى قَتَلَ، وَ إِنْ طَلَحَهُ رَاكِزَ رَايَتَهُ عَلَى
بَيْتِ مَالِهِ وَ هُوَ حَيٌّ.

و أمّا قوله: إِنَّ عَلِيًّا ابْتَرَتِ النَّاسَ أَمْرَهُمْ، فَإِنْ أَعْظَمَ حَجَّتَهُ لِأَبِيهِ زَعَمَ أَنَّهُ بَايَعَهُ بِيَدِهِ وَ لَمْ يَبَايِعْهُ بِقَلْبِهِ، فَقَدْ أَقْرَبَ بِالْبَيْعَةِ وَ ادَّعَى
الْوَلِيَجَهَ، فَلْيَأْتِ عَلَى مَا ادَّعَاهُ بَبْرَهَانَ وَ أَنَّى لَهُ ذَلِكَ (١)؟ وَ قَالَ ابْنُ أَبِي الْحَدِيدِ عِنْدَ قَوْلِهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ (فَتَدَاكُوا عَلِيًّا): قَالَ الزَّبِيرِيُّونَ
عَبْدَ اللَّهِ بْنِ مِصْعَبٍ، وَ الزَّبِيرِ بْنِ بَكَارٍ وَ مَنْ وَافَقَهُمْ مِنْ تَيْمِ بْنِ مَرَّةٍ عَصِيْبِيهِ لَطْلَحَهُ:

إِنَّهُمَا بَايَعَا مَكْرَهَيْنِ، وَ إِنَّ الزَّبِيرِ كَانَ يَقُولُ: بَايَعْتُ وَ اللَّجَّ - أَيُّ: سَيْفِ الْأَشْتَرِ - فِي قَفِّي - أَيُّ: عُنُقِي (٢).

قلت: كون بيعه الزبير و السيف فى عنقه، رواه السيف الوضاع، و إن صاحب السيف كان حكيم بن جبلة لا - الأشر، ففى روايه
له: جاء حكيم بن

ص: ٥٣٦

[١ - ١] الجمل للمفيد: ٣٢٧-٣٢٢. [١]

[٢ - ٢] شرح ابن أبي الحديد ٧: ٤. [٢]

جبله بالزبير حتى بايع، فكان الزبير يقول جاءني لص من لصوص عبد القيس و اللج على عنقي -و إنما قال سيف الوضاع: إن بيعه طلحه كانت إجبار الأشر، ففي رواية أخرى له: فبعث البصريون إلى الزبير بصريا -و كان رسولهم حكيم بن جبله العبدى فى نفر فجاءوا به يحدونه بالسيف، و إلى طلحه كوفيا الأشر فى نفر فجاءوا به يحدونه بالسيف -و فى رواية أخرى له:

(ذهب الأشر فجاء بطلحه يتله تلا عنيفا) -و بالجمله، حيث إن سيفا الوضاع ادعى افتراء أن الكوفيين لم يريدوا غير بيعه الزبير، و البصريين غير بيعه طلحه و لم يحصل مرادهم، بل مراد المصريين الذين أرادوا بيعه على عليه السلام اضطر إلى ان يجعل مكره الزبير بصريا حكيمًا و مكره طلحه كوفيا الأشر.

و أما الزبيريون فقالوا بعدم بيعه الزبير أصلا و أنه أراد قتله عليه السلام.

ففى (الطبرى): عن الزبير بن بكار، عن عمه مصعب، عن أبيه عبد الله بن مصعب، عن موسى بن عقبه، عن أبي حبيبه مولى الزبير قال: لمّا بايع الناس عليّا عليه السلام جاء إلى الزبير فاستأذن، فأعلمت الزبير فسل سيف و وضعه تحت فراشه ثم قال: ايذن له. فأذنت له فدخل، فسلم على الزبير و هو واقف بنجوه ثم خرج، فقال الزبير: قم فى مقامه هل ترى من السيف شيئا؟ فقامت فى مقامه فرأيت ذباب السيف فأخبرته فقال: ذاك أعجل الرجل. فلما خرج على سألته الناس فقال: وجدت أبر ابن اخت. فظنّ الناس خيرا. فقال على: إنّه بايعه (١).

و المكابر المعاند لا علاج له، و لو كان عليه السلام أكرههما أو لم يبايعه الزبير، كيف يخطب الناس فى مقام بعد مقام بأن بيعتى كانت إجبار من الناس لى، أفلم يكن أحد يقوم و يقول له: أنت أكرهت طلحه و الزبير. و كيف و مخالفوه كانوا مقرّين بذلك، فكتب معاويه إليه عليه السلام: إنّ طلحه و الزبير بايعاك و أنا ما

ص: ٥٣٧

(١ - ١) تاريخ الطبرى ٤: ٤٣١ - ٤: ٤٣٢، سنة ٣٥. [١]

بايعتكم. و كتب سعد إلى معاوية: و لو كان طلحه و الزبير لزمنا بيعتهما لكان خيرا لهما، إلى غير ذلك مما لو أردنا استقصاءه لطال، و غايه ما يمكن الزبيريون أن يدعوه للزبير كما في العنوان، و ادعاه أولا ابنه أنه بايع بيده فقط، و جوابه ما قاله عليه السلام هو و ابنه. فلو كان مثله مسموعا لزم إمكان نقض جميع العقود و العهود.

٥

الحكمه (٢٠٢)

وَ قَالَ ع وَ قَدْ قَالَ لَهُ؟ طَلْحَةُ؟ وَ؟ الزُّبَيْرُ؟ - نُبَايِعُكَ عَلِيَّ أَنَا شُرَكَاءُكَ فِي هَذَا الْأَمْرِ - لَا وَ لَكِنَّا كَمَا شَرِيكًا فِي الْقُوَّةِ وَ الْإِسْتِعَانَةِ - وَ عَوْنًا عَلَى الْعَجْرِ وَ الْأَوْدِ أَقُول: هذا مربوط بما مرّ في أوّل هذا الفصل من كلامه عليه السلام في وصف بيعته، و الأصل فيه كما عرفت ما كتبه للناس لما سألوه عن الثلاثه، و فيه بروايه (رسائل الكليني): فبايعتكم على كتاب الله تعالى و سنّه نبيّه صلّى الله عليه و آله و سلّم، و دعوت الناس إلى بيعتي فمن بايعني طائعا قبلت منه، و من أبى تركته، فكان أوّل من بايعني طلحه و الزبير فقالا: نبايعك على أنا شركاؤك في الأمر، فقلت:

لا- و لكنكما شركائي و عوناي في العجز، فبايعاني على هذا الأمر، و لو أبيا لم اكرههما كما لم اكره غيرهما. و كان طلحه يرجو اليمن و الزبير العراق، فلما علما أنني غير موليّهما استأذناني للعمره يريدان الغدره.

و في (خلفاء ابن قتيبه - الإمامه و السياسه - عنوان (اختلاف طلحه و الزبير على عليّ كرم الله وجهه) ج ١ ص ٥١ ابن قتيبه) - في عنوان (اختلاف طلحه و الزبير على عليّ كرم الله وجهه) -: ذكروا ان الزبير و طلحه أتيا عليّا بعد فراغ البيعه فقالا له: هل تدري على ما بايعناك؟ قال: نعم، على السمع و الطاعة و على ما بايعتم عليه أبا بكر و عمر و عثمان، فقالا: لا، و لكننا بايعناك على أنا شريكاك في الأمر. قال

ص: ٥٣٨

علِّي عليه السَّلام: لا و لكنكما شريكان في القوّه و الاستقامه و العون على العجز و الأود، و كان الزبير لا يشكّ في ولايه العراق و طلحه في اليمن، فلمّا استبان لهما أنّ عليّاً عليه السَّلام غير موليّهما شيئاً أظهرّا الشكاه، فتكلّم الزبير في ملأ من قريش فقال: هذا جزاؤنا من عليّ، قمنا له في أمر عثمان حتّى أثبتنا عليه الذنب و سببنا له القتل، و هو جالس في بيته و كفى الأمر، فلمّا نال بنا ما أراد جعل دوننا غيرنا- و قال: ما اللوم إلّا- لنا، كنّا ثلاثه من أهل الشورى كرهه أحدنا و بايعناه، فأعطيناه ما في أيدينا و منعنا ما في يده، فأصبحنا أخطأنا ما رجونا (١).

و في (نقض الاسكافي لعثمانيه الجاحظ) روى: أنّ طلحه و الزبير قالوا له عليه السَّلام وقت البيعه: نبايعك على أنّا شركاءك في هذا الأمر. فقال لهما: لا، و لكنكما شريكاى في الفىء، لا أستأثر عليكما و لا على عبد حبشى مجدع بدرهم فما دون، لا أنا و لا ولدائى هذان، فإن أبيتم إلّا لفظ الشركه فأنتم عونان لى عند العجز و الفاقه، لا عند القوّه و الاستقامه.

قال الاسكافي: فاشترطا ما لا يجوز في عقد الإمامه، و شرط عليه السَّلام لهما ما يجب في الدين و الشريعه.

و قد روى أيضا: أنّ الزبير قال في ملأ- من قريش: هذا جزاؤنا من عليّ، قمنا له في أمر عثمان حتّى أثبتنا عليه الذنب و سببنا له القتل، و هو جالس في بيته و كفى الأمر، فلمّا نال بنا ما أراد جعل دوننا غيرنا. و قال طلحه: كنّا ثلاثه من أهل الشورى، كرهه أحدنا و بايعناه، فأعطيناه ما في أيدينا، و منعنا ما في يده، فأصبحنا قد أخطأنا اليوم ما رجوناه أمس، و لا نرجو غدا ما أخطأنا اليوم (٢).

ص: ٥٣٩

١- ١) الإمامه و السياسه ٥١: ١. [١]

٢- ٢) نقله عنه ابن أبى الحديد في شرح نهج البلاغه ١١: ١٦. [٢]

و في (تاريخ يعقوبى يعقوبى - تاريخ يعقوبى - ج ٢ ص ١٧٩ و ١٨٠): أتى عليًا عليه السّلام طلحه و الزبير فقالا - له: قد نالتنا جفوه بعد النبيّ صلّى الله عليه و آله و سلّم فأشركنا في أمرك، فقال: أنتما شريكاي في القوّه و الاستقامه و عوناي على العجز و الأود (١).

قوله عليه السّلام «لا»، أى: لم تكن بيعتكما إياى على كونكما شريكى فى أمر الخلافه.

«و لكنكما شريكان فى القوّه و الاستعانه» هكذا فى جميع النسخ (٢)، و (الاستعانه) تصحيف من المصنّف، و الصواب: (و الاستقامه)، كما عرفته من نقل (خلفاء ابن قتيبه) و (نقض الاسكافى) و (تاريخ يعقوبى) (٣)، و لأنّ فى مقابله (الأود)، و مقابل (الأود) الاستقامه لا (الاستعانه) فإنّه مقابل (الاستغناء).

و قال ابن أبى الحديد: الاستعانه هنا الفوز و الظفر، كانوا يقولون للقامر يفوز قدحه (قد جرى ابناعيان) و هما خيطان يخطان فى الأرض يزجر بهما الطير، و استعان الإنسان إذا قال وقت الظفر و الغلبه هذه الكلمه (٤).

قلت: ما قاله غلط فى غلط، فانه استند إلى قول (الصحاح): (ابناعيان خيطان يخطان فى الأرض يزجر بهما الطير، و إذا علم ان القامر يفوز قدحه قيل جرى ابناعيان) (٥).

فالاستعانه لو فرض وجوده فى كلامه، هل هى إلا بمعنى الاستعانه فى قوله تعالى: «وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ» (٦)، لا بمعنى مصطلح عند القامرين فى

ص: ٥٤٠

[١- ١] تاريخ يعقوبى ١٧٩:٢-١٨٠. [١]

[٢- ٢] نهج البلاغه ٣:١٩٨، [٢] شرح ابن ميثم ٥:٣٤٦، [٣] شرح ابن أبى الحديد ١٩:٢٢. [٤]

[٣- ٣] مضت آنفا مداركه.

[٤- ٤] شرح ابن أبى الحديد ١٩:٢٢. [٥]

[٥- ٥] الصحاح ٦:٢١٧٢، [٦] ماده: (عين).

[٦- ٦] الفاتحه: ٥. [٧]

الجاهلية، مع أنّ (الصحاح) إنّما قال: (و إذا علم القامر يفوز قدحه قيل جرى ابناعيان)، لا كما قال ابن أبي الحديد: استعان الإنسان، إذا قال وقت الظفر و الغلبه هذه الكلمه. مع أنه أئى ربط للاستعانه بمثل (ابناعيان) و الاستعانه من العون، و ابناعيان من العين و بينهما بون، ذكر (الصحاح) و (القاموس) الأوّل فى الأوّل (١) و الثانى فى الثانى (٢)، و قد عرفت كلام (الصحاح)، و فى (القاموس):

ابناعيان- ككتاب- طائران أو خطان يخطهما العائف فى الأرض، ثم يقول ابناعيان أسرعا البيان و إذا علم... (٣)، مع أنّك قد عرفت أنّ أصل الاستعانه تصحيف من المصنّف.

«و عونان على العجز و الأود» بالتحريك مصدر أود الشئ بالكسر أى:

اعوج.

ثم الظاهر أنّ طلحه و الزبير لما رأيا أنّ عمر كان شريك أبى بكر فى خلافته، و بنى اميّه لا سيما مروان كانوا شركاء عثمان فى خلافته، طمعا منه عليه السلام ذلك.

٦

الخطبه (٢٠٥)

و من كلام له ع كلم به؟ طلحه؟ و الزبير؟- بعد بيعته بالخلافه و قد عتبا عليه من ترك مشورتهم، و الاستعانه فى الأمور بهما:

لَقَدْ نَقَمْتُمَا يَسِيرًا وَ أَرْجَأْتُمَا كَثِيرًا- أَلَا تُخْبِرَانِي أَيُّ شَيْءٍ لَكُمْ فِيهِ حَقٌّ دَفَعْتُمَا عَنْهُ- وَ أَيُّ قِسْمٍ اسْتَأْثَرْتُمْ عَلَيْنَا بِهِ- أَمْ أَيُّ حَقٍّ رَفَعَهُ إِلَيْنِي أَحَدٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ- ضَعُفْتُ عَنْهُ أَمْ جَهَلْتُهُ أَمْ أَخْطَأْتُ بَابَهُ-.

ص: ٥٤١

١- (١) الصحاح ٢١٦٩:٦، ماده: (عون)، القاموس المحيط ٤:٢٥٠ ماده: (عون).

٢- (٢) الصحاح ٢١٧٢:٦، ماده: (عين)، القاموس المحيط ٤:٢٥٢، [١] ماده: (عين).

٣- (٣) القاموس المحيط ٤:٢٥٢، [٢] ماده: (عين).

وَاللَّهُ مِمَّا كَانَتْ لِي فِي الْخِلَافَةِ رَغْبَةٌ - وَلَا فِي الْوِلَايَةِ إِزْبَةٌ - وَ لَكِنَّكُمْ دَعَوْتُمُونِي إِلَيْهَا وَ حَمَلْتُمُونِي عَلَيْهَا - فَلَمَّا أَفْضَتْ إِلَيَّ نَظَرْتُ إِلَى كِتَابِ اللَّهِ وَ مَا وَضَعَ لَنَا - وَ أَمَرْنَا بِالْحُكْمِ بِهِ فَاتَّبَعْتُهُ - وَ مَا اسْتَيْتَنَ؟ النَّبِيُّ ص؟ فَاقْتَدَيْتُهُ - فَلَمْ أَحْتِجْ فِي ذَلِكَ إِلَى رَأْيِكُمْ وَ لَا رَأْيِ غَيْرِكُمْ - وَ لَا وَقَعَ حُكْمُ جَهْلَتُهُ فَاسْتَشِيرَكُمَا وَ إِخْوَانِي الْمُسْلِمِينَ - وَ لَوْ كَانَ ذَلِكَ لَمْ أَرْغَبْ عَنْكُمَا وَ لَا عَنْ غَيْرِكُمْ - .

وَ أَمَّا مِمَّا ذَكَرْتُمَا مِنْ أَمْرِ الْمَأْسُومِ - فَإِنَّ ذَلِكَ أَمْرٌ لَمْ أَحْكَمْ أَنَا فِيهِ بِرَأْيِي - وَ لَا - وَلَيْتَهُ هَوَى مِنِّي - يَلِّ وَ حَدَّثْتُ أَنَا وَ أَنْتُمَا مَا جَاءَ بِهِ؟ رَسُولُ اللَّهِ ص؟ قَدْ فَرَّغَ مِنْهُ - فَلَمْ أَحْتِجْ إِلَيْكُمَا فِيمَا قَدْ فَرَّغَ اللَّهُ مِنْ قَسِيمِهِ - وَ أَمْضَى فِيهِ حُكْمَهُ - فَلَيْسَ لَكُمْ وَ اللَّهُ عِنْدِي وَ لَا لِعَيْرِكُمْ فِي هَذَا عُتْبَى - .

أَخَذَ اللَّهُ بِقُلُوبِنَا وَ قُلُوبِكُمْ إِلَى الْحَقِّ - وَ أَلْهَمَنَا وَ إِيَّاكُمْ الصَّبْرَ ثُمَّ قَالَ ع رَحِمَ اللَّهُ أَمْرًا رَأَى حَقًّا فَأَعَانَ عَلَيْهِ - أَوْ رَأَى جَوْرًا فَرَدَّهُ - وَ كَانَ عَوْنًا بِالْحَقِّ عَلَى صَاحِبِهِ أَقُولُ: رَوَاهُ أَبُو جَعْفَرِ الْإِسْكَافِيِّ فِي (نَقْضِ الْعِثْمَانِيَةِ أَبُو جَعْفَرِ الْإِسْكَافِيِّ - نَقْضِ الْعِثْمَانِيَةِ -) فَقَالَ - بَعْدَ ذِكْرِ قِصَّةِ بَيْعَتِهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ - : ثُمَّ بَعَثَ عَلِيَّ عَلَيْهِ السَّلَامُ بِعَمَّارِ بْنِ يَاسِرٍ وَ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ حَنْبَلٍ إِلَى طَلْحَةَ وَ الزُّبَيْرِ وَ هُمَا فِي نَاحِيَةِ الْمَسْجِدِ، فَأَتِيَاهُمَا فَدَعَاوَهُمَا فَمَا حَتَّى جَلَسَا إِلَى عَلِيٍّ عَلَيْهِ السَّلَامُ فَقَالَ لَهُمَا: نَشَدْتُمَا اللَّهَ هَلْ جِئْتُمَانِي طَائِعِينَ لِلْبَيْعَةِ، وَ دَعَوْتُمَانِي إِلَيْهَا وَ أَنَا كَارِهِ لَهَا؟ قَالَا: نَعَمْ، فَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: غَيْرِ مُجْبِرِينَ وَ لَا - مَقْسُورِينَ فَأَسْلَمْتَا لِي بِيَعْتِكُمَا وَ أُعْطَيْتُمَانِي عَهْدَ كَمَا؟ قَالَا: نَعَمْ، قَالَ: فَمَا دَعَا كَمَا بَعْدَ إِلَى مَا أَرَى؟ قَالَا: أُعْطِينَاكَ بِيَعْتِنَا عَلَى أَنْ لَا تَقْتَضِيَ الْأُمُورَ وَ لَا

تقطعها دوننا، و تستشيرنا فى كل أمر و لا تستبد بذلك علينا، و لنا من الفضل على غيرنا ما قد علمت، و أنت تقسم و تقطع الأمر و تمضى الحكم بغير مشاورتنا و لا- علمنا. فقال على عليه السلام: لقد نعمتما يسيرا و أرجأتما كثيرا، فاستغفرا الله يغفر لكما، ألا تخبراننى أذفعتكما عن حق واجب لكما فظلمتكما إياه؟ قال: معاذ الله. قال: فهل استأثرت من هذا المال لنفسى بشىء؟ قال: معاذ الله. قال: أ فوقع حكم أو حق لأحد من المسلمين فجهلته أو ضعفت عنه؟ قال:

معاذ الله. قال: فما الذى كرهتما من أمرى حتى رأيتما خلافى؟ قال: خلافك عمر بن الخطاب فى القسم، إنك جعلت حقا فى القسم كحق غيرنا، و سويت بيننا و بين من لا- يماثلنا فيما أفاء الله تعالى بأسيافنا و رماحنا، و أوجفنا عليه بخيلنا، و ظهرت عليه دعوتنا، و أخذناه قسرا عمّن لا يرى الإسلام إلّا كرها. فقال عليه السلام:

أما ما ذكرتموه من الاستشارة بكما فو الله ما كانت لى فى الولايه رغبه، و لكنكم دعوتمنى إليها و حملتمونى عليها، فخفت أن أردكم فتختلف الامه، فلما أفضت إلى نظرت فى كتاب الله و سنّه رسوله، فأمضيت ما دلانى عليه و أتبعته، و لم احتج إلى رأيكما فيه و لا رأى غيركما، و لو وقع حكم ليس فى كتاب الله بيانه و لا فى السنّه برهانه، و احتيج إلى المشاوره فيه تشاورتكما.

و أما القسم و الاسوه فإن ذلك أمر لم أحكم فيه بادية بدء، قد وجدت أنا و أنتما رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم يحكم بذلك، و كتاب الله ناطق به، و هو الكتاب الذى لا يأتيه الباطل بين يديه و لا من خلفه تنزيل من حكيم حميد.

و أمّا قولكما: جعلت فينا و ما أفاءته سيوفنا و رماحنا سواء بيننا و بين غيرنا، فقد يما سبق إلى الإسلام قوم و نصره بأسيافهم و رماحهم، فلا فضّلهم رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم فى القسمة و لا آثرهم بالسبق، و الله سبحانه موف السابق و المجاهد يوم القيامه أعمالهم، و ليس لكما و الله عندى و لا لغيركما إلّا

هذا، أخذ الله بقلوبنا وقلوبكم إلى الحقّ وألهمنا وإياكم الصبر- ثم قال-: رحم الله امرأ رأى حقاً فأعان عليه، ورأى جوراً فردّه و كان عوناً للحقّ على من خالفه.

و رواه ابن عقده الحافظ بأسانيده، كما نقله محمّد بن الحسن الطوسى فى أواخر (أماليه الشيخ الطوسى-الأمالى-ج ٢ ص ٣٣٧ تا ٣٤١) (١).

قوله عليه السّلام : «لقد نعمتما» أى: أنكرتما وعتبتما.

«يسيرا و أرجأتما» أى: أخرتما.

«كثيراً» نعمهما اليسير ما عرفت من طلبهما شيئاً ليس لهما فيه حق، و إرجأؤهما الكثير ترك طاعتهما الإمام الواجب الإطاعة.

قال ابن أبى الحديد: روى الجاحظ أن طلحة و الزبير أرسلا إلى علىّ عليه السّلام قبل خروجهما محمّد بن طلحة و قالاه له: لا تقل له يا أمير المؤمنين، و لكن قل له يا أبا الحسن، لقد فال فيك رأينا و خاب ظنّنا، أصلحنا لك الأمر و وطننا ليك الإمرة، و أجلبنا على عثمان حتى قتل، فلمّا طلبك النّاس لأمرهم أسرعنا إليك و بايعناك، و قدنا إليك أعناق العرب، و وطىء المهاجرون و الأنصار أعقابنا فى بيعتك، حتّى إذا ملكت عنانك، استبددت برأيك عنّا و رفضتنا رفض التريكة، و أذلتنا إذلاله الإماء، و ملكت أمرك الأشر و حكيم بن جبلة و غيرهما من الأعراب و نزاع الأمصار، فكنا فى ما رجونا منك و أمّنا من ناحيتك كما قال الأوّل:

فكنت كمهريق الذى فى سقائه لرقراق آل فوق راييه صلد

فلما أبلغه محمّد بن طلحة ذلك قال علىّ عليه السّلام له: قل لهما فما الذى يرضيكما؟ فذهب و جاء فقال: إنهما يقولون وّل أحدنا البصره و الآخر الكوفه.

ص: ٥٤٤

فقال: لاها الله إذن يحلم الاديم و يستسرى الفساد، و تنتقض على البلاد من أقطارها، و الله إني لا آمنهما و هما عندي بالمدينه، فكيف آمنهما و قد وليتهما العراقيين؟ اذهب إليهما و قل لهما: أيها الشيخان احذرا من الله و نبيه على امته، و لا تبغيا المسلمين غائله و كيدا، و قد سمعنا قول الله تعالى: «تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا وَ الْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ» (١). فقام و لم يعد إليه و تأخرا عنه عليه السلام أياما، ثم جاءه فاستأذناه للخروج إلى مكه للعمره، فأذن لهما بعد أن أحلفهما ألا ينقضا بيعه، و لا يغدرا به، و لا يشقّا عصا المسلمين، و لا يوقعا الفرقة بينهم، و أن يعودوا بعد العمره إلى بيوتهما بالمدينه، فحلفا على ذلك كله ثم خرجا ففعلا ما فعلا (٢).

و روى أنّهما لما خرجا قال علي عليه السلام: و الله ما يريدان العمره و إنّما يريدان الغدره، «فَمَنْ نَكَثَ فَإِنَّمَا يَنْكُثُ عَلَى نَفْسِهِ وَ مَنْ أَوْفَى بِمَا عَاهَدَ عَلَيْهِ اللَّهُ فَسَيُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا» (٣).

و في (خلفاء ابن قتيبه): كان الزبير لا يشك في ولايه العراق، و طلحه في اليمن، فلما استبان لهما أنّ عليا عليه السلام غير موليهما شيئا أظهر الشكاه، فتكلم الزبير في ملأ من قريش فقال: هذا جزاؤنا من علي قمنا له في أمر عثمان، حتى أثبتنا عليه الذنب، و سبنا له القتل، و هو جالس في بيته و كفى الأمر، فلتمّا نال بنا ما أراد جعل دوننا فوقنا. و قال طلحه: ما اللوم إلّا لنا، كُنّا ثلاثه من أهل الشورى كرهه أحدنا و بايعناه و أعطيناه ما في أيدينا و منعنا ما في يده (٤).

«ألا تخبراني أي شيء لكما فيه حقّ دفعتمكما عنه و أيّ» هكذا في

ص: ٥٤٥

١-١ (١) القصص: ٨٣. [١]

٢-٢ (٢) شرح ابن أبي الحديد ١١: ١٦. [٢]

٣-٣ (٣) شرح ابن أبي الحديد ١١: ١٧، و الآية ١٠ [٣] من سوره الفتح.

٤-٤ (٤) الإمامه و السياسه ١: ٥١. [٤]

(المصريه) (١)، و لكن في (ابن ميثم) (٢): (أو أَى)، و في (ابن أبي الحديد) (٣): (أم أَى).

«قسم» أَى: تقسيم.

«استأثرت» أَى: استبددت.

«عليكما به» كما كان عثمان يستأثر نفسه و أقاربه على الناس.

«أم أَى حق رفعه إلى أحد من المسلمين ضعفت عنه أم جهلته أم أخطأت بابه» كما في المتقدمين عليه فقالوا: أمر عمر برجم حامل، فقال له معاذ: إن يكن لك عليها سبيل فلا سبيل لك على بطنها. فرجع عن حكمه و قال: لو لا معاذ لهلك عمر (٤).

و أمر أيضا برجم مجنونه فقال له علي عليه السلام: إن القلم مرفوع عن المجنون حتى يفيق (٥). فقال: «لو لا علي لهلك عمر» (٦).

«و الله ما كانت لي في الخلافة رغبة» فهو عليه السلام كان إماما بتعيين النبي صلى الله عليه و آله و سلم له من قبل الله تعالى، و ليست الخلافة و السلطنه جزء للإمامه كالنبوه و إن كانت حقها.

«و لا في الولاية» على الناس.

«إربه» أَى: حاجه.

«و لكنكم دعوتموني إليها و حملتموني عليها فلما أفضت» أَى: الخلافة.

«إلى نظرت إلى كتاب الله و ما وضع لنا و أمرنا بالحكم به فاتبعته و ما استن»

ص: ٥٤٦

١- ١) نهج البلاغه ٢: ٢١٠. [١]

٢- ٢) في شرح ابن ميثم ٩: ٤، و [٢] أَى» أيضا.

٣- ٣) شرح ابن أبي الحديد ٧: ١١. [٣]

٤- ٤) ذكره العلامة الأميني رحمه الله مع مصادره في الغدير ١٣٢: ٦ [٤] فراجع.

٥- ٥) مسند أحمد ١: ١٤٠ و ١٥٤، [٥] فضائل الصحابه ٧١٩: ٢، [٦] المناقب للخوارزمي: ٨٠.

٦- ٦) هذه الكلمه قالها عمر بن الخطاب في موارد شتى، انظر في تبين مواضعها ملحقات إحقاق الحق ١٨٢: ٨-١٩٢.

هكذا في (المصريه) (١)، و الصواب: (و ما استسن) كما في (ابن أبي الحديد و ابن ميثم) (٢) و (الخطيه).

«النبى صلى الله عليه و آله و سلم فاقتديته» و هكذا كان مذهبه عليه السلام فى عدم حجيه غير كتاب الله تعالى و سنه نبيه صلى الله عليه و آله و سلم.

«فلم احتج فى ذلك إلى رأيكما و لا رأى غيركما» لأن كل شىء مذكور فى كتاب الله و سنه نبيه، و إن كان باقى الصحابه لم يعرفوا ذلك.

«و لا وقع حكم جهلته فاستشيركما و إخوانى المسلمين» كما كان من تقدم عليه كذلك فقالوا: جاءت امرأه إلى عمر فقالت: إن زوجى يصوم النهار و يقوم الليل، و إنى أكره أن أشكوه و هو يعمل بطاعه الله. فقال لها عمر: نعم الزوج زوجك. فجعلت تكرر إليه القول و هو يكرر عليها الجواب. فقال كعب بن سور لعمر: إنهما تشكو زوجها فى مباحده إياها عن فراشه. ففطن عمر حينئذ و قال له: قد وليتكم الحكم بينهما. فقال كعب لعمر: إن الله أحلّ لزوجها من النساء مثنى و ثلاث و رباع، فله ثلاثه أيام و لياليهنّ يعبد فيها ربّه، و لها يوم و ليله.

فقال له عمر: و الله ما أعلم من أى أمر بك أعجب، أمن فهمك أمرهما، أم من حكمك بينهما، اذهب قد وليتكم قضاء البصره (٣).

«و لو كان ذلك» على طريق الفرض.

«لم أرغب عنكما و لا عن غيركما» و إلا فكان وقوع ذلك منه عليه السلام محالاً .

«و أما ما ذكرتما من أمر الاسوه» أى: المساواه بين الناس فى قسمه الغنيمه.

«فإن ذلك أمر لم أحكم أنا فيه برأى و لا وليته هوى منى، بل وجدت أنا و أنت

ص: ٥٤٧

١- ١) نهج البلاغه ٢١٠: ٢. [١]

٢- ٢) فى شرح ابن أبى الحديد ٧: ١١ و [٢] شرح ابن ميثم ٩: ٤ «[٣] استنّ» أيضا.

٣- ٣) شرح ابن أبى الحديد ٤٦: ١٢-٤٧. [٤]

ما جاء به رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ قد فرغ منه، فلم احتج إليكما فيما قد فرغ الله من قسمه و أمضى فيه حكمه» و هذا دليل على كون التفضيل الذي أحدثه عمر بدعه منكره، فقد عرفت من روايه الإسكافي (١) أنه عليه السلام قال لهما: ما الذي كرهتما من أمرى حتى رأيتما خلافي؟ قالوا: خلافتك عمر في القسم أنك جعلت حقنا في القسم كحق غيرنا. فقال عليه السلام لهما: إن كتاب الله و سنه نبيه على التسويه فكيف يمكن إعمال الرأى فى قباليهما.

و كما رضى عليه السلام بترك حقه لما قال له ابن عوف: ابايعك على أن تعمل بسنّه الرجلين، دلالة على بطلان سنتهما، كذلك رضى بتزلزل أمره بخروج طلحه و الزبير عليه فيتعقبه قيام معاويه، دون إجابتها إلى التفضيل، دلالة على كون فعل عمر مخالفا لصريح القرآن و السنّه .

«فليس لكما و الله عندى و لا لغيركما فى هذا» أى: أمر الأسوه.

«عتبى» أى: حقّ. عودا إلى مقصد كما و ما يرضيكما، لكونها خلاف الشريعة.

«أخذ الله بقلوبنا و قلوبكم إلى الحقّ» حتى لا نستدعى الباطل.

«و ألهمنا و إياكم الصبر» على العمل بالحقّ .

«ثم قال:- رحم الله امرأ» هكذا فى (المصريه) (٢)، و الصواب: (رجلا) كما فى (ابن أبى الحديد و ابن ميثم) (٣) و (الخطيه).

«رأى حقا فأعان عليه» «و تَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَ التَّقْوَى وَ لا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَ العُدْوَانِ» (٤).

ص: ٥٤٨

١- ١) مضت آنفا.

٢- ٢) نهج البلاغه ٢: ٢١١. [١]

٣- ٣) كذا فى شرح ابن أبى الحديد ٨: ١١، و [٢] لكن فى شرح ابن ميثم ١٠: ٤ [٣] امرأ» أيضا.

٤- ٤) المائدة: ٢. [٤]

«أو رأى جوراً فردّه» فهو الواجب على كلّ مسلم.

«و كان عوناً بالحقّ على صاحبه» هكذا فى النسخ (١)، و الأصحّ ما فى روايه الإسكافى (٢): (و كان عوناً للحقّ على من خالفه).

٧

الخطبه (١٣٦)

و من كلام له عليه السّلام:

لَمْ تَكُنْ بِيَعْتِكُمْ إِيَّائِي فَلْتَهُ - وَ لَيْسَ أَمْرِي وَ أَمْرُكُمْ وَاحِدًا - إِنِّي أُرِيدُكُمْ لِلَّهِ وَ أَنْتُمْ تُرِيدُونَنِي لِأَنْفُسِكُمْ - أَيُّهَا النَّاسُ أَعِينُونِي عَلَى أَنْفُسِكُمْ - وَ أَيُّمُ اللَّهِ لَأُنْصِبَ فَنَّ الْمَظْلُومِ مِنَ ظَالِمِهِ وَ لَأَقُودَنَّ الظَّالِمَ بِخِزَامَتِهِ - حَتَّى أُرِدَّهُ مِنْهُلَ الْحَقِّ وَ إِنْ كَانَ كَارِهًا أَقُولُ: الْأَصْلُ فِي هَذَا الْكَلَامِ مَا رَوَاهُ (الإرشاد الشيخ المفيد-الإرشاد-ج ١ ص ٢٤٣ و ٢٤٤): عن الشعبي عنه عليه السّلام حين تخلف ابن عمر و سعد و أسامه و حسان و محمّد بن مسلمه عن بيعته، فقال الشعبي: لما توقف هؤلاء عن بيعته، حمد الله و أثنى عليه ثم قال: أَيُّهَا النَّاسُ! إِنَّكُمْ بَايَعْتُمُونِي عَلَى مَا بُويعَ عَلَيْهِ مِنْ كَانَ مِنْ قَبْلِي، وَ إِنَّمَا الْخِيَارُ لِلنَّاسِ (٣) قَبْلَ أَنْ يَبَايَعُوا، فَإِذَا بَايَعُوا فَلَا خِيَارَ لَهُمْ، وَ إِنَّ عَلَى الْإِمَامِ الْأَسْتِقَامَةِ وَ عَلَى الرَّعِيَةِ التَّسْلِيمِ، وَ هَذِهِ بَيْعَةٌ عَامَّةٌ مِنْ رَغْبٍ عَنْهَا رَغْبٌ عَنْ دِينِ الْإِسْلَامِ وَ اتَّبَعٌ غَيْرَ سَبِيلِ أَهْلِهِ، وَ لَمْ تَكُنْ بِيَعْتِكُمْ إِيَّائِي فَلْتَهُ، وَ لَيْسَ أَمْرِي وَ أَمْرُكُمْ وَاحِدًا، وَ إِنِّي أُرِيدُكُمْ لِلَّهِ وَ أَنْتُمْ تُرِيدُونَنِي لِأَنْفُسِكُمْ، وَ أَيُّمُ اللَّهِ لَأُنْصِبَنَّ لِلْخَصْمِ

ص: ٥٤٩

١- ١) نهج البلاغه ٢: ٢١١، [١] شرح ابن أبي الحديد ٨: ١١، [٢] شرح ابن ميثم ١٠: ٤.

٢- ٢) مضت آنفاً.

٣- ٣) قال العلامة المجلسي رحمه الله في البحار ٣٣: ٣٢ [٣] ما لفظه: «إِنَّمَا الْخِيَارُ» أَي: بِرِزْمِكُمْ وَ عَلَى مَا تَدْعُونَ مِنْ ابْتِنَاءِ الْأَمْرِ عَلَى الْبَيْعَةِ.

و لأنصفن للمظلوم، و قد بلغنى عن سعد و ابن مسلمه و اسامه و عبد الله و حسن امور كرهتها، و الحق بينى و بينهم (١).

و ما رواه الدينورى مرفوعا قال: لما قتل عثمان بقى الناس ثلاثة أيام بلا إمام، و كان الذى يصلى بالناس الغافقى، ثم بايع الناس عليا عليه السلام فقال: أيها الناس! بايعتموني على ما بويح عليه من كان قبلى، و إنما الخيار قبل أن تقع البيعه، فإذا وقعت فلا خيار، و إنما على الاستقامة و على الرعيه التسليم، و إن هذه بيعه عامه من ردها رغب عن دين الإسلام و إنها لم تكن فلتة (٢).

«لم تكن بيعتكم إياى فلتة» كما كانت بيعه أبى بكر، كما صرح به عمر.

ففى (تاريخ اليعقوبى): استأذن قوم من قريش عمر فى الخروج للجهاد فقال: قد تقدم لكم مع النبى صلى الله عليه و آله و سلم أنى آخذ بحلقيم قريش على أفواه هذه الحره، لا يخرجوا فيسللوا بالناس يمينا و شمالا. فقال له عبد الرحمن بن عوف: و لم تمنعنا من الجهاد؟ فقال: لأن أسكت عنك فلا اجيبك خير لك من أن اجيبك.

ثم اندفع يحدث عن أبى بكر، حتى قال: كانت بيعه أبى بكر فلتة و فى الله شرها، فمن عاد لمثلها فاقتلوه (٣).

و فى (الطبرى): عن ابن عباس قال: حججنا مع عمر و إنى لفى منزلى بمنى إذ جاءنى عبد الرحمن بن عوف فقال: شهدت اليوم عمر و قام إليه رجل فقال: إنى سمعت فلانا يقول: لو قد مات عمر لبايعت فلانا- فقال عمر: إنى لقائم العشيء فى الناس احذرهم هؤلاء الرهط الذين يريدون أن يغتصبوا الناس أمرهم. فقلت له: إن الموسم يجمع رعاى الناس و غوغاءهم، و هم الذين يقربون من مجلسك و يغلبون عليه، و أخاف أن تقول مقاله لا يعونها و لا

ص: ٥٥٠

١- ١) الإرشاد ٢٤٣: ١- ٢٤٤، [١] بحار الأنوار ٣٣: ٣٢. [٢]

٢- ٢) الأخبار الطوال: ١٤٠. [٣]

٣- ٣) تاريخ اليعقوبى ١٥٧: ٢- ١٥٨. [٤]

يحفظونها فيطيروا، و لكن امهل حتى تقدم المدينة و تخلص بأصحاب النبي صلى الله عليه و آله و سلم فتقول فيعوا مقاتلك. فقال: و الله لأقومن بها أوّل مقام أقومه بالمدينة.

قال ابن عباس: فلما قدمنا المدينة و جاء يوم الجمعة، هجرت للحديث الذي حدثني عبد الرحمن -إلى أن قال- فقال عمر على المنبر: بلغني أن قائلًا -منكم يقول: لو قد مات عمر بايعت فلانًا، فلا- يغرّ امرأ أن يقول إن بيعه أبي بكر كانت فلتته، فقد كانت كذلك، غير أن الله وقي شرّها، و ليس فيكم من يقطع إليه الأعناق مثل أبي بكر. و أنّه كان من خبره حين توفي النبي أنّ عليًا و الزبير و من معهما تخلّفوا عنّا في بيت فاطمه، و تخلّف عنّا الأنصار بأسرها... (١).

و قال الجاحظ: إنّ الرجل الذي قال: (لو مات عمر لبايعت فلانًا) كان عمّار بن ياسر فإنّه قال: لو قد مات عمر لبايعت عليًا عليه السلام (٢).

و روى ابن الهيثم بن عدى في كتابه -كما نقل الفضل بن شاذان في (إيضاحه) و المرتضى في (شافيه)- و الهيثم من مصنفيهم كما ذكره المسعودي في أوّل (مروجه) (٣) -عن عبد الله بن عباس الهمداني، عن سعيد بن جبير عن ابن عمر- في خبر قال: أشهد أنّي كنت عند أبي يوما و قد أمرني أن أحبس الناس عنه، فاستأذن عليه عبد الرحمن بن أبي بكر فقال أبي: دويبه سوء و لهو خير من أبيه. فأوحشني ذلك منه فقلت: يا أبا عبد الرحمن خير من أبيه؟ فقال: و من ليس بخير من أبيه لا أم لك! ائذن له. فدخل فكلمه في الحطيئه -و قد كان عمر حبسه في شعر قاله- فقال له عمر إنّ في الحطيئه أودا فدعني أقومه بطول حبسه، فألح عبد الرحمن عليه و أبي هو، فخرج عبد الرحمن فأقبل

ص: ٥٥١

١- (١) تاريخ الطبري ٢٠٣: ٣-٢٠٥، سنة ١١، و [١] النقل بتلخيص.

٢- (٢) شرح ابن أبي الحديد ٢٥: ٢. [٢]

٣- (٣) مروج الذهب ٧١: ١. [٣]

علّى أبى وقال: أ فى غفله أنت إلى يومك هذا عمّا كان من تقدم احيمق بنى تيم علّى و ظلمه لى؟ فقلت: لا- علم لى بذلك، قال: فما عسيت يا بنى أن تعلم؟ فقلت له:

والله أحب إلى الناس من ضياء أبصارهم، قال: إنّ ذلك لكذلك على رغم أبيك، قلت: أ فلا تجلى عن فعله بموقف فى الناس تبين ذلك لهم؟ قال: فكيف لى بذلك مع ما ذكرت إذا يرضخ رأس أبيك بالجدل. قال: ثمّ تجاسر و الله فما دارت الجمعه حتى قام خطيبا فقال: أيها الناس إنّ بيعه أبى بكر كانت فلتته، وقى الله شرّها، فمن دعاكم إلى مثلها فاقتلوه (١).

و عن مجالد بن سعيد قال: غدوت يوما إلى الشعبى إذ أقبل رجل من الأزد فجلس إلينا، فأخذ الأزدي فى ذكر أبى بكر و عمر، فضحك الشعبى و قال:

لقد كان فى صدر عمر ضبّ (٢) على أبى بكر- إلى أن قال بعد ذكر استغراب الأزدي لذلك- فقال الشعبى له: فكيف تصنع بالفلته التى وقى الله شرّها، أ ترى عدوّا يقول فى عدوّ يريد ان يهدم ما بنى لنفسه فى الناس، أكثر من قول عمر فى أبى بكر؟ فقال الأزدي: سبحان الله! أنت تقول ذلك؟ فقال: أنا أقوله قاله عمر على رؤس الأشهاد، فلم أدعه... (٣).

و المفهوم من سوق الكلام و مقتضى المقام، أنّ عمر كان ينكر أن يعقد إمامه ببيعه الناس، كما صنعت لأبى بكر و اعتقاده أنّ الامامه أنّما يجب أن تكون إمّا بنص مفصل كما نصّ أبو بكر عليه، أو مجمل كما صنع هو لعثمان.

و أمّا من دعا الناس إلى بيعته- كما أرادت قريش طلحه و الزبير و غيرهما فى أيامه أن يخرجوا من المدينه باسم الجهاد، و كما خرج طلحه و الزبير فى أيام أمير المؤمنين عليه السلام باسم العمره إلى مكه، و يدعو الناس إلى

ص: ٥٥٢

١- ١) الإيضاح: ١٣٥-١٣٨، الشافى ١٢٦-٤-١٢٩، الصراط المستقيم ٣: ٣٠٢، و [١] النقل بتصرف و تلخيص.

٢- ٢) الضبّ: الحقد، نقول: أضبّ فلان على غلّ فى قلبه، أى أضمره. الصحاح ١: ١٦٧، [٢] ماده: (ضيب).

٣- ٣) الإيضاح: ١٣٩-١٤٠، الشافى ١٢٦-٤-١٢٩، و النقل بتصرف.

بيعتهم كأبي بكر، ويدل على ذلك قول ابن عوف له في روايه يعقوبى (١): لم تمنعنا من الجهاد؟ و جواب عمر له: لا اجيبك خير لك، و كما أراد عمّار فى روايه الطبرى (٢) دعوه الناس بعد موت عمر إلى أمير المؤمنين، لعدم جرأته على ذلك فى أيام عمر-فهو عند عمر أمر منكر ذو مفساد كثيره، و إنّما كانت بيعه الناس لأبى بكر كذلك فلتته و تصادفا و اتفاقا سلموا من عواقبها بأمور:

الأول: اجتماع الأنصار-لما رأوا طمع قريش فى الإمارة عليهم بمنعهم نبيهم صلى الله عليه و آله و سلم عن الوصية، و تخلفهم عن جيش أكد النبي صلى الله عليه و آله و سلم بتجهيزه حتى لعن المتخلف عنه-فقالوا:لما رأوا ذلك، إنّ النبي صلى الله عليه و آله و سلم لبث بضع عشره سنه فى قريش بمكّه فما آمن به أكثرهم، و من آمن به منهم ما قدروا أن يمنعوه عن أعدائه، و أنّما استقامت العرب له طوعا و كرها بنصر الأنصار له، فهم أولى بسلطانه من قريش الطامعين.

و الثانى: أنّ سعد بن عباده رئيسهم كان مريضا، فقال لابنه قيس: إننى لا أقدر لشكواى أن أسمع القوم كلهم كلامى، فكان يتكلم سعد و يحفظ ابنه قوله و يسمعه الناس (٣)، و لذا قال سعد لعمر-لما قال اقتلوا سعدا-:أما و الله لو أن لى بكم قوه أقوى على النهوض لسمعت منى فى أقطارها و سككها زئيرا يحجر ك و أصحابك، و إذن لألحقنك و الله بقوم كنت فيهم تابعا غير متبوع (٤).

و الثالث: أنّ بشير بن سعد الخزرجى ابن عمّ سعد بن عباده حسده أن يصير أميرا، فبادر إلى بيعه أبى بكر قبل الجميع حتى قبل عمر، فقال له الحباب بن المنذر:عققت عقاق أنفست على ابن عمك الإمارة (٥).

ص: ٥٥٣

١-١ (١) تاريخ يعقوبى ١٥٧:٢-١٥٨. [١]

٢-٢ (٢) تاريخ الطبرى ٢٠٥:٣، سنه ١١.

٣-٣ (٣) تاريخ الطبرى ٢١٨:٣، سنه ١١، [٢] شرح ابن أبى الحديد ٥:٦. [٣]

٤-٤ (٤) تاريخ الطبرى ٢٢١:٣، سنه ١١. [٤]

٥-٥ (٥) تاريخ الطبرى ٢٢١:٣، سنه ١١، [٥]الإمامه و السياسه ٩:١. [٦]

و الرابع: أن الأوس كانوا منافسين للخزرج في الجاهليّة و الإسلام، فاعتنموا الفرصه لَمّا رأوا عمل بشير ابن عم سعد معه، فقال اسيد بن حضير رئيس الأوس لهم: و الله لئن وليتها الخزرج عليكم مرّه لا زالت لهم عليكم بذلك الفضيله، و لا جعلوا لكم معهم فيها نصيبا أبدا، فقوموا فبايعوا أبا بكر فقاموا إليه فبايعوه، فانكسر على سعد و الخزرج ما كانوا أجمعوا من أمرهم (١).

و الخامس: أن أمير المؤمنين عليه السّلام و بنى هاشم كانوا مشتغلين بتجهيز النّبىّ صلّى الله عليه و آله و سلّم، و لم يحضر أحد منهم السقيفه، و لو حضروا كيف يعقل أن يحاجّ أبو بكر مع الأنصار و يقول لهم فى مقابل نصرتهم له: إنّ النّبىّ صلّى الله عليه و آله و سلّم لمّا بعث عظم على العرب أن يتركوا دين آبائهم فخصّ الله المهاجرين الأوّلين من قومه بتصديقه، و المواساه له، و الصبر معه على شدّه أذى قومه و تكذيبهم له؟ و كيف يمكن لعمر أن يقول لهم: و الله لا ترضى العرب أن يؤمروكم و نبيها من غيركم، و لكن العرب لا- تمتنع أن تولّى أمرها من كانت النبوّه فيهم، و من ذا ينازعنا سلطان محمّد و إمارته و نحن أولياؤه و عشيرته إلّا مدل بباطل (٢).

فلَمّا أخرجوا أمير المؤمنين عليه السّلام بعد قهرا إلى بيعتهم قال عليه السّلام لهم: لا ابايعكم و أنتم أولى بالبيعه لى، أخذتم هذا الأمر من الأنصار و احتججتم عليهم بالقرايه من النّبىّ صلّى الله عليه و آله و سلّم، و تأخذوه منّا أهل البيت غصبا، ألستم زعمتم للأنصار أنكم أولى بهذا الأمر منهم، لَمّا كان محمّد صلّى الله عليه و آله و سلّم منكم؟ فأعطوكم المقاده و سلّموا إليكم الإمارة، فإذا نحن أحتجّ عليكم بمثل ما احتججتم على الأنصار، نحن أولى برسول الله صلّى الله عليه و آله و سلّم حيا و ميّتا، فأنصفونا إن كنتم تؤمنون، و إلّا فبوءوا بالظلم و أنتم تعلمون. و حتّى إنّ بشير بن سعد الذى كان أوّل من

ص: ٥٥٤

١- (١) المصدر نفسه ٢٢١:٣-٢٢٢، سنة ١١.

٢- (٢) الإمامه و السياسه ٧:١-٨. [١]

بايع أبا بكر، حتى قبل عمر، لما سمعه عليه السلام قال لأبي بكر و عمر نحن أحق بهذا الأمر لأننا أهل البيت- إلى آخر ما مر- قال له عليه السلام: لو كان هذا الكلام سمعته الأنصار منك يا عليّ قبل بيعتها لأبي بكر، ما اختلفت عليك، فقال عليه السلام له: أ فكنت أدع الرسول صلى الله عليه وآله وسلم في بيته لم أدفنه و أخرج انازع بسلطانه.

و كذلك لما كان عليه السلام يخرج بفاطمه ليلا- إتماما للحجّه لسؤال الأنصار النصره، كانوا يقولون لها: يا بنت رسول الله! قد مضت بيعتنا لهذا الرجل، و لو أنّ زوجك و ابن عمك سبق قبل أبي بكر ما عدلنا عنه، فتقول عليها السلام لهم: ما صنع أبو الحسن إلا ما كان ينبغي له، و لقد صنعوا ما الله حسيبهم (١).

و لما دعا عمر بالحطب و قال: و الذي نفس عمر بيده لتخرجنّ أو لأحرقنها على من فيها، و قفت فاطمه عليها السلام على بابها و قالت: لا عهد لي بقوم حضروا أسوأ محضر منكم، تركتم النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم جنازه بين أيدينا و قطعتم أمركم بينكم (٢).

و السادس: أن أمير المؤمنين عليه السلام كان و تر قريش، فلم يرضوا أن ينتقل الأمر إليه عليه السلام، و لم يكن فيهم أنفسهم من يتصديه بشخصه لكون أكثرهم من الطلقاء و المؤلفه، و كون إسلام أبي بكر أقدم من إسلام عمر، و كونه ذا سياسه زائده مع طبيعه لينه، و صيروره مصاحبه للنبيّ صلى الله عليه وآله وسلم في الغار سببا لاشتهاره و مستمسكا للتلييس به على العاقه، و كون بنته عايشه- التي لم تكن في السياسه و الجلازه دون أبيها- في بيت النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم، و بواسطتها زيد على مصاحبه غاره أمر النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم له بالصلاه في مرض موته، و بهما تمسك عمر في تقديمه. و قد وصف عمر بغض قريش له عليه السلام كبغض الثور لجازره، فقال يوما لابن عباس: أنتم أهل النبيّ و بنو عمه فما

ص: ٥٥٥

١- ١) المصدر نفسه ١: ١٢. [١]

٢- ٢) المصدر نفسه. [٢]

تقول منع قومكم عنكم؟ قال: لا- أدرى و الله ما أضمرنا لهم إلا- خيرا، قال: اللهم غفرا ان قومكم كرهوا أن يجمعوا لكم النبوه و الخلافه، فتذهبوا فى السماء شمخا و بذخا، و لعلكم تقولون إن أبا بكر كان أول من أخرجكم، أما إنه لم يقصد ذلك و لكن حضر أمر لم يكن بحضرتة أحزم مما فعل، و لو لا- رأى أبى بكر فى لجعل لكم من الأمر نصيبا، و لو فعل ما هناك مع قومكم أنتم ينظرون إليكم نظر الثور إلى جازره.

و السابع: أن قريشا كانوا أهل دنيا، و كانوا يريدون الإمارة و السلطنة، و كانوا علموا أنه إن تصدى أمير المؤمنين عليه السلام للأمر لم يجعله إلا- فى المعصومين من عترته، فجعلوه فى أبى بكر و هو نظيرهم ليرده إليهم، و ليكون لهم به سبب يدعونه، فقال أمير المؤمنين عليه السلام فى كتاب كتبه ليقرا على الناس لما سألوه عن الثلاثه- و قد رواه ابن قتيبه و الثقفى و غيرهما:-

و جعلنى عمر سادس ستّه فما كانوا لولايه أحد منهم بأكره منهم لولائتى، لأنهم كانوا يسمعوننى و أنا احاج أبا بكر و أقول: يا معشر قريش أنا أحقّ بهذا الأمر منكم ما كان منّا من يقرأ القرآن و يعرف السنّه، فخشوا إن وليت عليهم ألا يكون لهم فى هذا الأمر نصيب، فتابعوا إجماع رجل واحد حتّى صرفوا الأمر منى لعثمان، فأخرجونى منها رجاء أن يتداولوها حين يسوا أن ينالوها، ثم قالوا لى: هلم فبايع و إلا جاهدناك. فبايعت مستكرها و صبرت محتسبا... (1).

و روى عن جندب خبرا طويلا و أنه عليه السلام قال لجندب- لما قال له عليه السلام: ادع الناس إلى نفسك- لا يجيبنى من المائه واحد، سأخبرك أن الناس إنما ينظرون إلى قريش فيقولون هم قوم محمد و قبيلته، و أما قريش فى ما بينها

ص: ٥٥٦

فيقولون إن آل محمّد يرون لهم على الناس بنبوّته فضلا، يرون أنّهم أولياء هذا الأمر دون قريش و دون غيرهم من الناس، وأنهم إن ولّوه لم يخرج السلطان منهم إلى أحد أبدا، و متى كان في غيرهم تداولته قريش بينها، لا والله لا يدفع الناس هذا الأمر إلينا طائعين أبدا... (١).

و الثامن: أن معين أبي بكر كان مثل عمر تلك الحوزه الخشناء، التي يغلظ كلمها، و يخشن مسّها، و لولاه لّمّا تم الأمر له، و قد صرّح النظام بأن عمر هو الذي جعل أبا بكر خليفه. فتاره كان عمر يخاصم الحباب بن المنذر بأنّه من ينازعنا سلطان محمّد و نحن عشيرته، و اخرى يقول: اقتلوا سعدا قتله الله.

و يقوم على رأسه و يقول: لقد هممت أن أطأك حتى ينذر عصوك، و اخرى يقول في الزبير لّمّا خرج بالسيف من عند بنى هاشم: عليكم بالرجل فخذوه.

فوثبوا عليه و أخذوا السيف منه، و انطلقوا به فبايع. و يدعو بالحطب على باب أهل البيت و يقول: و الذي نفس عمر بيده لتخرجن أو لأحرقنّها، فقيل له إنّ فيها فاطمه. فقال: و إن، فخرج الهاشميون غيره عليه السّلام فبايعوا. و اخرى يقول لأبي بكر مره بعد مره: ألا تأخذ هذا المتخلف عنك بالبيعه - يعنى أمير المؤمنين عليه السّلام - فيرسل أبو بكر قنفذا بأنّ خليفه النبيّ يدعوك فيقول عليه السّلام:

سريعا كذب على النبيّ صلّى الله عليه و آله و سلّم، فيجىء عمر بنفسه مع جماعه إلى الباب. و مع أنّ فاطمه عليها السّلام تصيح: يا أبة يا رسول الله ما ذا لقينا بعدك من ابن الخطاب و ابن أبي قحافه - فانصرف عدّه منهم لأنّ قلوبهم كادت تتصدّع و أكبادهم تتفطر من بكاء فاطمه عليها السّلام و كلامها - لم يكثرث عمر بذلك و بقى مع عدّه حتّى أخرج أمير المؤمنين عليه السّلام و مضى به إلى أبي بكر و يقول له عليه السّلام: إن لم تباع و الله الذي لا إله إلاّ - هو نضرب عنقك، و كان عليه السّلام يصيح مخاطبا للنبيّ صلّى الله عليه و آله و سلّم: يا

ص: ٥٥٧

«ابن أمّ إنّ القوم استضعفوني و كادوا يقتلونني» (١) فلم يخله حتى أخذ منه البيعه.

و اخرى يقول للعباس-لما قال هو و أبو بكر له بإشاره المغيره عليهما، أن يجعللا له سهما في الأمر فيضعف على لكون العباس عم النبي-إى و الله، و اخرى إنّنا لم نأتكم حاحه منّا إليكم، و لكننا كرهنا أن يكون الطعن منكم فى ما اجتمع عليه العامه،فيتفاهم الخطب بكم و بهم فانظروا لأنفسكم.

و أيضا لما قدم خالد بن سعيد بن العاص من اليمن بعد النبي صلى الله عليه و آله و سلم، و قد كان صلى الله عليه و آله و سلم و لآه-المدينه لم يبايع-كما فى (سقيفه الجوهري)-أبا بكر أيا ما، ثم أتى بنى هاشم و قال: أنتم الظهر و البطن، و الشعار دون الدثار و العصا دون اللحا-إلى أن قال: فولاه أبو بكر الجند الذى استنفرهم إلى الشام، فقال عمر لأبى بكر: أتولى خالددا و قد حبست عليك بيعته. و قال لبنى هاشم ما قال، ما أرى أن توليه و ما آمن خلفه، فولى أبو بكر أبا عبيده و يزيد بن أبى سفيان و شرحبيل بن حسنه و انصرف عن خالد (٢).

ثم ما ذكرنا من ميل قريش إلى أبى بكر رغبه عن أمير المؤمنين عليه السلام، و قيام عمر بتلك الامور لإتمام بيعه أبى بكر، هو معنى قول عمر فى خطبته فى الفلته: (و ليس منكم من تقطع إليه الأعناق مثل أبى بكر)، إلا- أنك عرفت الحقيقه، و أنّ قطع الأعناق إلى أبى بكر لبيعته، كان على أنحاء منها: تسابق عمر و أبى عبيده للبيعه لتواطئهما معه بردها اليهما، و منها سبقه بشير بن سعد حسدا لابن عمه سعد بن عباده أن ينال الإمارة ثم جميع الأوس حسدا أن ينالها خزرجى، ثم بيعه باقى طوائف قريش من مخزوم و زهره و اميه و غيرهم طمعا أن ينالوها بواسطته، و ثم بيعه بنى هاشم بإحراق البيت و ضرب

ص: ٥٥٨

١- (١) الأعراف: ١٥٠. [١]

٢- (٢) شرح ابن أبى الحديد ٥٨: ٢-٥٩، [٢] السقيفه للجوهري: ٥٢-٥٣. [٣]

الأعناق لو لم يبايعوا و باقى الناس بالإكراه.

فرووا عن البراء بن عازب فى خبر-قال: و إذا قائل يقول: القوم فى سقيفه بنى ساعده، و إذا قائل آخر يقول: قد بوىع أبو بكر. فلم ألث و إذ أنا بأبى بكر قد أقبل و معه عمر و أبو عبيده و جماعه من أصحاب السقيفه، و هم محتجزون بالأزر الصناعيه لا يمرّون بأحد إلاّ خبطوه، و قدموه فمدوا يده فمسحوها على يد أبى بكر يبايعه شاء ذلك أو أنكر... (١).

ثم بيعه أمير المؤمنين لم تكن محتاجه إلى قطع الأعناق إليه، بل كانت الأعناق تتقطع دونها، فتداكوا عليه تداك الإبل الهيم يوم ورودها، قد أرسلها راعيها و خلعت مثنائها، و أقبلوا إليه إقبال العوذ المطافيل على ولدها، حتى كاد أن يقتل بعضهم بعضا، و حتى شق عطفاه و حتى وطىء الحسنان عليهما السلام- و كان يقبض يده فيسوطها، و يكفها فيجاذبها بدون غرض نفسانى، بل و كان يقبض يده فيسوطها، و يكفها يجاذبها بدون غرض نفسانى، بل لكونه أقرب الناس إلى النبىّ صلى الله عليه و آله و سلّم حيا و ميتا، و أعلم الناس بكتابه و سنته، و سوابقه التى لم يشاركه فيها أحد.

ثم إنّ عمر و إن قال فى خطبته: «فمن عاد إلى مثل بيعه أبى بكر فاقتلوه» (٢)، و أراد بذلك أن تبقى الخلافه فيهم و لا تنتقل إلى أمير المؤمنين عليه السلام، فيتداولونها بينهم من يد إلى يد ككره اللعب- فقد عرفت أنّه خطب بما خطب لما سمع ان عمّارا قال أنه يبايع عليا عليه السلام إن مات عمر- إلاّ ان الناس لما رأوا أن من عينه عمر فى شوره و هو عثمان، سار فيهم بما سار، خافوا أن يسير باقى أهل شوره حقيقه (طلحه و الزبير و سعد) بما عاملهم به عثمان، فبادروا إلى أمير المؤمنين عليه السلام بتلك الكيفيه، و قد كان عمّار قال لهم:

رأيتم سيره عثمان بالأمس، فإن لم تنظروا لأنفسكم تقعون فى مثله، فخاب

ص: ٥٥٩

١-١) شرح ابن أبى الحديد ١: ٢١٩. [١]

٢-٢) الإيضاح: ١٣٥-١٣٨، الشافى ٤: ١٢٦-١٢٩.

أمل عمر و بطل ما دبّر في مده، لكن آل الأمر إلى انقطاعه بقيام طلحه و الزبير، لكونهما من شوري عمر، ثم قيام معاويه لكونه والى عمر- و لقد كان عمر يتأوه شديدا حيث يفكر و يدبّر ألا يدع يرجع الأمر إليه عليه السّلام يوما، فيحصل له بسط يد فيوضح الأمر للناس، و يحصل له شيعه فرأى أن ذلك لا- يحصل له بتمامه، فكان يتمنى تاره حياه أبى عبيده الذى كان أبو بكر يقول للناس:

«بايعوا عمر أو أبا عبيده» و هما يقولان: «كيف نقدمك»، و اخرى حياه سالم مولى أبى حذيفه، و هو من أعوانه و أعوان صاحبه يوم السقيفه.

ثم إنّ من المضحك أن سيف بن عمر- الذى طريق الطبرى الغالبى إليه (السرى عن شعيب عنه) و طريقه النادر (عبيد الله عن عمر عنه)- أنكر المتواتر من عدم بيعه سعد بن عباده مع أبى بكر فقال ببيعه، و أنّ الفلته تأمل سعد أولا- فقال: لمّا قام الحجاب و انتضى سيفه، حامله عمر فضرب يده فندر السيف فأخذه، و وثبوا على سعد و تتابع القوم على البيعه، و بايع سعد و كانت فلتة كفلتات الجاهليه، قام أبو بكر دونها (١).

و كيف أراد سيف ستر كون بيعه أبى بكر فلتته و قد ضرب بها المثل؟ ففى (أدباء الحموى): انفلت ليله فى مجلس الصاحب بن عباد صوت من بعض الحاضرين، و الصاحب فى الجدل فقال: كانت بيعه أبى بكر فخذوا فى ما أنتم فيه (٢).

قوله عليه السّلام فى روايه (أخبار طوال) أبى حنيفه الدينورى و (إرشاد) المفيد: و إنّ هذه بيعه عامّه من ردّها- أو (من رغب عنها)- رغب عن دين الإسلام (٣).

ص: ٥٦٠

١-١ (١) تاريخ الطبرى ٢٢٣:٣، سنه ١١. [١]

٢-٢ (٢) معجم الأدباء ٢١٧:٦. [٢]

٣-٣ (٣) الأخبار الطوال: ١٤٠، [٣] الإرشاد ٢٤٣:١. [٤]

قال عليه السّلام ذلك لأنّها كانت بمنزله بيعه الأنصار للنبيّ صلّى الله عليه وآله و سلّم ليله العقبه، و بيعه المؤمنين له صلّى الله عليه وآله و سلّم تحت الشجره.

و قال اليعقوبى: لمّا بايعوا عليّاً عليه السّلام قام عقبه بن عمرو فقال: من له يوم كبيعه الرضوان و الإمام الهدى الذى لا يخاف جوره، و العالم الذى لا يخاف جهله (١).

هذا و فى (تذكره) سبط ابن الجوزى: ذكر صاحب كتاب (عقلاء المجانين)، عن أبى هذيل العلاف قال: سافرت مع المأمون إلى الرقه فبينما أنا أسير فى الفرات إذ مررنا بدير فيه مجنون يتكلّم بالحكمه- إلى أن قال:- قال أبو الهذيل قال ذاك المجنون لى: أخبرنى عن النبيّ صلّى الله عليه وآله و سلّم هل أوصى؟ قلت: لا.

قال: فكيف ولى أبو بكر مجلسه من غير وصيّه؟ فقلت: اختاره المهاجرون و الأنصار و رضى به النّاس، فقال: كيف اختاره المهاجرون و قد قال الزبير لا ابايع إلاّ عليّاً و كذا العباس، و كيف اختاره الأنصار و قد قالوا: منّا أمير و منكم أمير و ولوا سعد بن عباده- و قال عمر اقتلوا سعدا قتله الله- و كيف تقول رضى به النّاس و قد قال سلمان الفارسى (كرديد نكرديد)، فوجئت عنقه، و قال أبو سفيان لعليّ عليه السّلام: مد يدك ابايعك، و ان شئت ملأتها خيلا و رجالا، ثمّ قعد بنو هاشم عن بيعه أبى بكر سته أشهر، فأين الإجماع؟! و لما قتل عثمان جاء المسلمون و الصحابه ارسالا إلى عليّ ليبايعوه، فلم يفعل حتى قالوا: و الله لئن لم تفعل لنلحقنك بعثمان، فأخبرنى أيما أكد من ضرب سعدا و وجاء عنق سلمان كمن جاء النّاس إليه يكرهونه على البيعه معه؟! قال أبو الهذيل فلم أحر جوابا و سقط فى يدي، فحدثت المأمون حديثه فاستطرفه و بقى زمانا يستعيده منى (٢).

ص: ٥٦١

١- ١) تاريخ اليعقوبى ٢: ١٧٩. [١]

٢- ٢) تذكره الخواصّ: ٦٠-٦٢، و [٢] نقله الشارح بتصرّف.

«و ليس أمرى و أمركم واحدا إني اريدكم لله» فى (تاريخ اليعقوبى): لَمَّا بُويعَ عَلِيٌّ عَلَيْهِ السَّلَامُ قام صعصعه بن صوحان فقال له عليه السَّلَامُ: و الله لقد زينت الخلافه و ما زانتك، و رفعتها و ما رفعتك، و لهى إليك أحوج منك إليها.

و قام خزيمه بن ثابت ذو الشهادتين فقال له عليه السَّلَامُ: ما أصبنا لأمرنا هذا غيرك، و لا كان المنقلب إلا إليك، و لئن صدقنا أنفسنا فيك لأنت أقدم الناس ايمانا، و أعلم الناس بالله و أولى المؤمنين بالرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ وَ سَلَّمَ، لك ما لهم و ليس لهم ما لك.

و قام ثابت بن قيس خطيب الأنصار فقال له عليه السَّلَامُ: و الله لئن كانوا تقدموك فى الولاية فما تقدموك فى الدين، و لقد كانوا و كنت لا يخفى موضعك و لا يجهل مكانك، يحتاجون إليك فيما لا يعلمون و ما احتجت إلى أحد مع علمك.

و قام الأشتر فقال: أيها الناس! هذا وصي الأوصياء، و وارث علم الأنبياء، العظيم البلاء، الحسن العناء، الذى شهد له كتاب الله بالإيمان، و رسوله بجنته الرضوان، من كملت فيه الفضائل، و لم يشك فى سابقته و علمه و فضله الأواخر و الأوائل (١).

«و أنتم تريدونى» هكذا فى (المصريه) (٢)، و الصواب: (تريدونى) كما فى (ابن أبى الحديد و ابن ميثم (٣) و الخطيه).

«لأنفسكم» قال عمّار للناس قبل بيعتهم له عليه السَّلَامُ: أيها الناس رأيتم سيره عثمان بالأمس، فان لم تنظروا لأنفسكم تقعون فى مثله .

«أيها الناس أعيونى على أنفسكم، و ايم الله لأنصفن المظلوم من ظالمه»

ص: ٥٦٢

١- ١) تاريخ اليعقوبى ٢: ١٧٩. [١]

٢- ٢) نهج البلاغه ٢: ٢٦.

٣- ٣) كذا فى شرح ابن أبى الحديد ٩: ٣١، و [٢] لكن فى شرح ابن ميثم ٣: ١٦٤ «[٣] تريدونى» أيضا.

هكذا في (المصريه) (١)، و الصواب: زياده كلمه (من ظالمه) و كونها حاشيه خلطت بالمتن، لعدم وجودها في (ابن أبي الحديد و ابن ميثم و الخطبه) (٢).

«و لأقودن الظالم بخزامة» الخزامة: حلقة من شعر تجعل في وتره أنف البعير يشد بها الزمام، قال الجوهري: و يقال لكل مثقوب مخزوم، و الطير كلها مخزومه لأن وترات انوفها مثقوبه (٣).

«حتى اوردته منهل» المنهل: موضع الورد على الماء.

«الحق و إن كان كارها» في (تاريخ يعقوبي): بايع الناس عليا عليه السلام إلا ثلاثة من قريش، مروان بن الحكم و سعيد بن العاص و الوليد بن عقبه - و كان لسانهم - فقال: يا هذا إنك و ترتنا جميعا، أما أنا فقتلت أبي يوم بدر صبرا، و أما سعيد فقتلت أباه يوم بدر حربا، و أما مروان فشتت أباه و عبت على عثمان حين ضمّه إليه، فبايعنا على أن تضع عنّا ما أصبنا، و تعفى لنا عمّا في أيدينا و تقتل قتله صاحبنا. فغضب عليّ عليه السلام و قال: أما ما ذكرت من و ترى إياكم فالحقّ و تركم، و أما قتلى قتله عثمان، فلو لزمني اليوم قتلهم لزمني غدا قتالهم، و أما وضعي عنكم ما أصبتم، فليس لي أن أضع حقّ الله، و أما إعفائي عمّا في أيديكم فما كان لله و للمسلمين فالعدل يسعكم (٤).



الخطبه (٩٢)

و من خطبه له عليه السلام لما اريد على البيعه بعد قتل عثمان:

دَعُونِي وَ التَّمِسُوا غَيْرِي - فَإِنَّا مُسْتَقْبِلُونَ أَمْرًا - لَهُ وَجُوهٌ وَ أَلْوَانٌ - لَا تَقُومُ لَهُ

ص: ٥٦٣

١- ١) نهج البلاغه ٢: ٢٦. [١]

٢- ٢) كلمه «من ظالمه» ليست في شرح ابن أبي الحديد ٩: ٣١، و [٢] لكن كانت في شرح ابن ميثم ٣: ١٦٤. [٣]

٣- ٣) الصحاح ٥: ١٩١١، [٤] ماده: (خزم).

٤- ٤) تاريخ يعقوبي ٢: ١٧٨-١٧٩. [٥]

الْقُلُوبُ - وَلَا تَثَبْتُ عَلَيْهِ الْعُقُولُ - وَإِنَّ الْأَفَاقَ قَدْ أَغَامَتْ - وَالْمَحَجَّةَ قَدْ تَنَكَّرَتْ - وَاعْلَمُوا إِنَّ أُجِبْتُمْ - رَكِبْتُ بِكُمْ مَا أَعْلَمُ - وَ لَمْ أُضِغْ إِلَى قَوْلِ الْقَائِلِ وَ عَثَبِ الْعَاتِبِ - وَإِنْ تَرَكَتُمُونِي فَأَنَا كَأَحَدِكُمْ - وَ لَعَلِّي أَسْمَعُكُمْ وَ أَطُوعُكُمْ - لِمَنْ وَلِيْتُمُوهُ أَمْرُكُمْ - وَ أَنَا لَكُمْ وَزِيرًا - خَيْرٌ لَكُمْ مِنِّي أَمِيرًا أَقُولُ: الأصل في العنوان روايه سيف الذي قد عرفت في (٢٤) من فصل عثمان، ان رواياته كذب و افتعال، إِمَّا كَلًّا وَ إِمَّا جِزَاءً، وَ أَنَّهُ يَدْخُلُ فِي كُلِّ شَيْءٍ شَيْئًا وَ يَضَعُ فِي مَقَابِلِ أَمْرٍ أَمْرًا.

و مما يوضح تصرفه في هذا الخبر إدخاله فيه إكراه طلحه و الزبير على بيعته عليه السلام، مع وضوح أنه عليه السلام لم يكن يجبر أحدا. و أيضا إدخاله فيه أن أهل البصره أرادوا جعل الأمر لطلحه، و أن أهل الكوفه أرادوا جعل الأمر للزبير، و لم يرد الأمر له عليه السلام غير أهل مصر، و هو أيضا واضح البطلان، فأهل البصره جاءوا كأهل الكوفه جاءوا كلهم كانوا شيعته عليه السلام، كيف لا؟ و رئيس البصريين حكيم بن جبله العبدى و رئيس الكوفيين الأشتر النخعى.

و هذه روايه سيف في (الطبرى الطبرى - تاريخ الطبرى - ج ٤ ص ٤٣٤ سنة ٣٥) كتب إلى السرى، عن شعيب عن سيف، عن محمد و طلحه قالا: قالوا - أى أهل الكوفه و البصره و مصر الذين شهدوا قتل عثمان - لأهل المدينه: أجلناكم يومين، فو الله لئن لم تفرغوا لنقتلن غدا علينا عليه السلام و طلحه و الزبير و اناسا كثيرا، فغشى الناس علينا فقالوا: نبايعك فقد ترى ما نزل بالإسلام و ما ابتلينا به من ذوى القربى، فقال عليّ: «دعوني و التمسوا غيرى فإننا مستقبلون أمرا له و جوه و له ألوان، لا تقوم له القلوب، و لا تثبت عليه العقول» فقالوا: ننشدك الله ألا ترى ما نرى، ألا ترى الإسلام، ألا ترى الفتنه، ألا تخاف الله؟ فقال: «قد أجبتكم لما أرى، و اعلموا إن أجبتكم ركب

بكم ما أعلم، وإن تركتموني فأنا كأحدكم إلا أنني أسمعكم و أطوعكم لمن وليتموه أمركم».

ثم افترقوا على ذلك و اتعدوا الغد، و تشاور الناس في ما بينهم و قالوا:

إن دخل طلحه و الزبير فقد استقامت، فبعث البصريون إلى الزبير بصريا و قالوا: احذر لا تحابه- و كان رسولهم حكيم بن جبله العبدى- فجاءوا به يحدونه بالسيف- و إلى طلحه كوفيا و قالوا له: احذر لا تحابه، فبعثوا الأشر في نفر فجاءوا به يحدونه، و أهل الكوفه و أهل البصره شامتون بصاحبهم، و أهل مصر فرحون بما اجتمع عليه أهل المدينه، و قد خشع أهل الكوفه و أهل البصره أن صاروا أتباعا لأهل مصر و حشوه فيهم- إلى أن قال:- و جاء القوم بطلحه فقالوا: بايع، فقال: إنني إنما بايع كرها. فبايع- إلى أن قال- ثم جىء بالزبير فقال مثل ذلك و بايع، و فى الزبير اختلاف- يعنى هل بايع أو لا (١)؟ و أخذ قوله: «و أنا لكم وزيرا» من خبر آخر.

و العجب من المصنّف كيف يأخذ من رواياته و يرى اشتمالها على مقطوع الكذب، ألم ينقل كلامه عليه السّلام فى ١٤-٢ فى كتابه عليه السّلام إلى طلحه و الزبير:

«أتى لم أرد الناس حتى أرا دونى، و لم ابايعهم حتى بايعونى، و إنكما ممن أرا دنى و بايعنى»؟ إلى غير ذلك ممّا نقل.

قول المصنّف :

«و من خطبه له عليه السّلام» هكذا فى (المصريه) (٢)، و الصواب: (و من كلام له عليه السّلام) كما فى (ابن أبى الحديد و ابن ميثم) (٣) و (الخطيه)، و لأنه واضح أنّ كلامه عليه السّلام لم يكن خطبه، بل على فرض صحّحه نسبه يكون جوابا منه عليه السّلام

ص: ٥٦٥

١- (١) تاريخ الطبرى ٤: ٤٣٤، سنة ٣٥. [١]

٢- (٢) نهج البلاغه ١: ١٨٢. [٢]

٣- (٣) كذا فى شرح ابن أبى الحديد ٧: ٣٣، و لكن فى شرح ابن ميثم ٢: ٣٨٥، و [٣] من خطبه له» أيضا.

لهم لَمَّا قالوا له: نبايعك.

«لَمَّا أريد على البيعه بعد قتل عثمان» هكذا في (المصريه) (١)، و يصدقه (ابن ميثم و الخطيه) (٢) و لكن في (ابن أبي الحديد) (٣) بدله: (لَمَّا أرادَه النَّاسُ على البيعه)، و قال: و في بعض النسخ (لَمَّا أداره النَّاسُ على البيعه) (٤).

«رضى الله عنه» هكذا في (المصريه) (٥)، و هو زائد لعدم وجوده في (ابن ميثم) (٦) و (الخطيه)، و كذا (ابن أبي الحديد) (٧) على ما عرفت نقله، و أيضا واضح أنَّ المصنّف لا يقول ذلك، كما أنَّ في (المصريه) في المتن: (إن أجبتمكم) (٨)، و الأصل (أنّي إن أجبتمكم) كما في (ابن أبي الحديد و ابن ميثم) (٩) و (الخطيه).

ثمّ قد عرفت عدم تحقّق العنوان في كلامه عليه السّلام، فلا نحتاج إلى شرحه أو تأويله، و لكن قال ابن أبي الحديد: يحمل أصحابنا كلامه عليه السّلام على ظاهره و يقولون إنّه لم يكن منصوصا عليه، و إن كان أولى النَّاس بها، لأنّه لو كان منصوصا عليه لَمَّا جاز أن يقول: «دعوني و التمسوا غيري»، و لا أن يقول:

«و لعلّي أسمعكم و أطوعكم لمن وليتموه أمركم» و لا أن يقول: «و أنا لكم وزيراً خيراً منّي لكم أميراً» و تحمله الإماميه على وجه آخر فيقولون: إنّ الذين أرادوه على البيعه هم كانوا عاقدين بيعه الخلفاء من قبل، و كان عثمان منعهم

ص: ٥٦٦

١-١ (١) نهج البلاغه ١:١٨٢. [١]

٢-٢ (٢) شرح ابن ميثم ٢:٣٨٥.

٣-٣ (٣) شرح ابن أبي الحديد ٧:٣٣. [٢]

٤-٤ (٤) المصدر نفسه. [٣]

٥-٥ (٥) نهج البلاغه ١:١٨٢. [٤]

٦-٦ (٦) شرح ابن ميثم ٢:٣٨٥.

٧-٧ (٧) في شرح ابن أبي الحديد ٧:٣٣ «رضى الله عنه» أيضا.

٨-٨ (٨) نهج البلاغه ١:١٨٢. [٥]

٩-٩ (٩) كذا في شرح ابن أبي الحديد ٧:٣٣، و [٦] لكن في شرح ابن ميثم ٢:٣٨٥ [٧] إن أجبتمكم أيضا.

أو منع كثيرا منهم عن حقه من العطاء، لأن بنى امية استأصلوا الأنام في أيام عثمان، فلما قتل قالوا لعلي عليه السلام نيايعدك على أن تسير فينا بسيره أبي بكر و عمر، فاستعفاهم و سألهم أن يطلبوا غيره ممن يسير بسيرتهما، و قال عليه السلام للناس كلاما تحته رمز و هو قوله عليه السلام : «إننا مستقبلون أمرا له و جوه و ألوان، لا- تقوم له القلوب، و لا- تثبت عليه العقول، و إن الآفاق قد أغامت و المحجّه قد تنكرت» قالوا: هذا كلام له باطن و غور عميق، معناه الإخبار عن غيب يعلمه هو و يجهلون هم، و هو الإنذار بحرب المسلمين بعضهم لبعض، و اختلاف الكلمه و ظهور الفتنة.

و معنى قوله عليه السلام «الآفاق قد أغامت و المحجّه قد تنكرت»: أنّ الشبهه استولت على العقول و القلوب، و جهل أكثر الناس محجّه الحق أين هي، فأنا لكم و زيرا عن الرسول صلى الله عليه و آله و سلم، أفتى فيكم بشريعته و أحكامه، خير لكم منى أميرا محجورا عليه، مدبرا بتدبيركم، فإنى أعلم أنه لا- قدره لى أن أسير فيكم بسيره الرسول صلى الله عليه و آله و سلم فى أصحابه، مستقلا بالتدبير لفساد أحوالكم و تعذر صلاحكم.

و معنى قوله عليه السلام: «له و جوه و ألوان» أنه موضع شبهه و تأويل، فمن قائل يقول: (أصاب على) و آخر يقول: (أخطأ).

و كذلك القول فى تصويب محاربيه من الجمل و صفين و النهروان، و تخطئتهم فإن المذاهب فيه و فيهم تشعبت و تفرقت جدا. قال: و حمل بعضهم كلامه عليه السلام على محمل آخر، فقال: هذا كلام مستريب شاك من أصحابه، يقول لهم: «دعونى و التمسوا غيرى» على طريق الضجر منهم، و التبرم بهم، و التسخط لأفعالهم، لأنهم كانوا عدولا عنه من قبل و اختاروا عليه، فلما طلبوه بعد أجابهم جواب المتسخط العاتب.

و حملہ بعضہم علی محمل آخر فقالوا: إنه أخرجه مخرج التهكم و السخریه ای: «أنا لكم وزيرا خير لكم منى أميرا» فى ما تعتقدونه، كما قال سبحانه: «ذُقْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ» (١) أى: تزعم ذلك لنفسك و تعتقده. و ما ذكروه من المحامل ليس بعيد لو كان الدليل عليه دل (٢).

قلت: قد عرفت عدم معلومیة كونه كلامه عليه السلام و على فرض كونه كلامه عليه السلام فنقول: أما ما نقله عن أصحابه أنه لو كان منصوصا عليه لَمَا جاز أن يقول: (دعوني و التمسوا غيرى و لعلی أسمعكم و أطوعكم لمن وليتموه أمرکم، و أنا لكم وزيرا خير لكم منى أميرا) فهل الإمامه هى السلطنة و الرياسه، فالإمام كالنبي صلى الله عليه و آله و سلم سواء كان له بسط يد أم لا، و السلطنة و إن كانت حقهما إلا أن تلك السلطنة أيضا من الله، و هم يريدون أن يجعلوه سلطانا من قبلهم و يبيعتهم، و لم يكونوا يعتقدوا أن طاعته عليه السلام طاعه الله، و معصيته معصيه الله كالنبي صلى الله عليه و آله و سلم فلم يكن واجبا عليه عليه السلام قبول رياستهم، فأى مانع أن يقول دعونى و التمسوا غيرى لإمامتكم المصنوعه، و أما طاعته لمن ولوه فلو جوب التقيته.

و أقيا كون كونه وزيرا لهم خيرا لهم من إمارته، لأن إمارته كانوا يخرجون عليه فيكفروا، فإن طلحه و الزبير صارا بسبب إمارته عليه السلام فى غايه الخزى و الشقاوه، مع أن تكلم الإنسان فى مثله على عقيدته خصمه، فقالوا: إن طائفه بجيله فى صفين قالوا لأبى شداد قيس بن مكشوح: خذ رايئنا. فقال:

غيرى خير لكم منى، قالوا: ما نريد غيرك. قال: فو الله لئن أعطيتمونيها لا أنتهى بكم دون صاحب الترس المذهب - يعنى معاويه فكان على رأسه رجل معه ترس مذهب يستره من الشمس -.

ص: ٥٤٨

١- (١) الدخان: ٤٩. [١]

٢- (٢) شرح ابن أبى الحديد ٣٣: ٧-٣٥. [٢]

و أما ما نقل عن الإماميه من المحامل، و قال ليست بيعيده لو دلّ عليها دليل، فيدلّ على المحمل الأوّل من عدم قبوله عليه السّلام العمل بسيره أبي بكر و عمر:

إنّه لما قال له ابن عوف يوم الدار: ابايعك على أن تعمل بستّهما أنكر عليه، و قال: لا أعمل إلا بكتاب الله تعالى و سنّه نبيّه صلّى الله عليه و آله و سلّم، و لمّا بايعه عليه السّلام أصحابه بيعه ثانيه بعد التحكيم، أراد رجل خثعمي بيعته على شرط ذلك فأنكر عليه أيضا، و كونه عليه السّلام وزيراً عن الرسول صلّى الله عليه و آله و سلّم أمر معلوم بالضروره، لا ينكره أحد حتّى أنّ معاويه كان مقرّاً به، كما في كتابه إلى محمّد بن أبي بكر، و تواتر به الخبر في حديث المنزله (1).

و يدلّ على الثانی: أنّ تسخّطه عليه السّلام على الناس و عتابه لهم في عدولهم عنه أمر مقطوع من الواضحات، و قد كان يصرّح به في أيام الثلاثه في غير مقام و يخطب به في أيامه مقاما بعد مقام، بل كان عليه السّلام قلما يرقى المنبر إلا و يشكو من مظلوميته.

و يدلّ على الثالث: أنّ كونه عليه السّلام رائئ نفسه بمنزله النبيّ صلّى الله عليه و آله و سلّم أيضا أمر معلوم، فكان عليه السّلام يقول: «و أنا من رسول الله كالصنو من الصنو و الذراع من العضد» (2)، و كان يقول: «إنا صنائع الله و الناس صنائع لنا» (3) و كيف لا- يقول عليه السّلام ذلك و القرآن في قوله تعالى: «وَ أَنْفُسَنَا وَ أَنْفُسِكُمْ» (4) و «إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَ رَسُولُهُ وَ الَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَ يُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَ هُمْ رَاكِعُونَ» (5) يشهد له بذلك؟! و كان عليه السّلام لا يرى الإمامه لغيره و غير المعصومين من عترته، و لذا

ص: ٥٦٩

١- ١) انظر في مصادر هذا الحديث إحقاق الحقّ ٧: ٤٢٨، [١] بحار الأنوار ٣٧: ٢٥٤، الباب ٥٣، [٢] الغدير ١٩٩: ٣-٢٠١. [٣]

٢- ٢) نهج البلاغه ٣: ٨١، [٤] الكتاب ٤٥.

٣- ٣) نهج البلاغه ٣: ٣٦، [٥] الكتاب ٢٨.

٤- ٤) آل عمران: ٦١. [٦]

٥- ٥) المائدة: ٥٥. [٧]

أجمعت قريش-على طوائفها-إجماع رجل واحد على صرف الأمر عنه يوم السقيفه و يوم الدار،ليكون لكلّ منهم نصيب من الأمر-و كانوا يريدون أنّ يجعلوه كواحد من عرض النَّاس،خواصهم عنادا و حسدا و عامتهم قلّه معرفه،فكان حدّ معرفتهم أنّ أهل الشام لما رفعوا المصاحف،بأنّا حكمنا القرآن لم يعرفوا أنّه عليه السّلام مع سوابقه تلك في الإسلام و التقى أحقّ بالخلافه من معاويه مع سوابقه تلك في الكفر و الفجور،ثم كَفَره عليه السّلام جمع منهم بمعاهدته في ذلك مع شرطه.

ثمّ إنّ ابن أبي الحديد قال:نذكر ها هنا قصّه بيعته عليه السّلام عن كتاب(نقض عثمانيه)أبي جعفر الاسكافي قال:لما أجمعت الصحابه في مسجد النبيّ صَلَّى الله عليه و آله و سلّم بعد قتل عثمان للنظر في أمر الإمامه،أشار أبو الهيثم بن التيهان و رفاعه بن رافع و مالك بن العجلان و أبو أيوب الأنصاري و عمّار بن ياسر بعليّ عليه السّلام، و ذكروا فضله و سابقته و جهاده و قرابته،فأجابهم النَّاس إليه،فقام كلّ واحد منهم خطيبا يذكر فضل عليّ عليه السّلام،فمنهم من فضّله على أهل عصره خاصّه، و منهم من فضّله على المسلمين كافه،ثم بويع و صعد المنبر في اليوم الثاني من يوم البيعه و هو يوم السبت لاحدى عشره ليله بقيت من ذى الحجه.فحمد الله و أثنى عليه و ذكر محمّدا فصلّى عليه،ثم ذكر نعمه الله على أهل الإسلام،ثم ذكر الدنيا فرّدهم فيها و ذكر الآخره فرغّبهم إليها ثم قال:-:أما بعد فإنّه لما قبض رسول الله استخلف النَّاس أبا بكر،ثم استخلف أبو بكر عمر فعمل بطريقه ثم جعلها شورى بين سته،فأفضى الأمر منهم إلى عثمان فعمل ما أنكرتم و عرفتم،ثم حصر و قتل،ثم جئتموني فطلبتم إليّ و إنّما أنا رجل منكم لى ما لكم و عليّ ما عليكم،و قد فتح الله الباب بينكم و بين أهل القبله و أقبلت الفتن كقطع الليل المظلم،و لا يحمل هذا الأمر إلّا أهل الصبر و النصر و العلم

بمواقع الأسم، وإني حاملكم على منهج نبيكم صلى الله عليه وآله وسلم و منفذ فيكم ما أمرت به، إن استقمتم لى و بالله المستعان ألا إن موضعى من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بعد وفاته كموضوعى منه أيام حياته، فامضوا لَمَا تومرون وقفوا عند ما تنهون عنه، ولا تعجلوا فى أمر حتى نبيته لكم، فإن لنا عن كل أمر تنكرونه عذرا، ألا و إن الله عالم من فوق سمائه و عرشه أنى كنت كارها للولايه على امه محمد صلى الله عليه وآله وسلم، حتى اجتمع رأيكم على ذلك لأنى سمعته صلى الله عليه وآله وسلم يقول: أيما والٍ ولى الأمر من بعدى اقيم على حد الصراط و نشرت الملائكه صحيفته، فإن كان عادلا أنجاه الله بعدله، و إن كان جائرا انتفض به الصراط تترايل مفاصله، ثم يهوى إلى النار فيكون أول ما يتقيها به أنفه و حر وجهه، و لكنى لَمَا اجتمع رأيكم لم يسعنى ترككم- ثم التفت عليه السّلام يمينا و شمالا فقال:- ألا لا يقولن رجل منكم غدا: قد غمرتهم الدنيا فاتخذوا العقار و فجروا الأنهار، و ركبوا الخيول الفارهه و اتخذوا الوصائف الروقه، فصار ذلك عليهم عارا و شنارا، إذا ما منعهم ما كانوا يخوضون فيه، و أصرتهم إلى حقوقهم التى كانوا يعلمون، فينقمون ذلك و يستنكرون و يقولون: حر منا ابن أبى طالب حقوقنا، ألا و أيما رجل من المهاجرين و الأنصار من أصحاب الرسول صلى الله عليه وآله وسلم يرى أن الفضل له على من سواه لصحبته، فإن الفضل التبر غدا عند الله و ثوابه و أجره على الله، و أيما رجل استجاب لله و للرسول فصدق ملتنا و دخل فى ديننا و استقبل قبلتنا، فقد استوجب حقوق الإسلام و حدوده، فأنتم عباد الله، و المال مال الله، يقسم بينكم بالسويّه لا فضل فيه لأحد على أحد، و للمتقين غدا عند الله أحسن الجزاء و أفضل الثواب، لم يجعل الله الدنيا للمتقين أجرا و ثوبا و ما عند الله خير للأبرار...

(١).

ص: ٥٧١

قلت: ورواه ابن عقده الحافظ، كما نقله محمّد بن الحسن الطوسي في أواخر (أماليه) (١).

هذا، وفي قوله عليه السّلام فيه: وسمعت النّبىّ صلّى الله عليه وآله وسلّم يقول: «أيما وال...» تعريض بهلاك المتقدمين عليه، أمّا كون عثمان جائراً فواضح، كونه معدن كلّ خطيئه، وأمّا عمر فمعلوم أنّه جار في تفضيل العربي على العجمي والصحابي على التابعي.

ففي ذيل هذا الخبر: أنّه عليه السّلام قال لطلحه والزبير: «ما الذي كرهتما من أمرى؟» قالوا: خلافتك عمر في القسم، فقال عليه السّلام لهما: «قد وجدت أنا وأنتما رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم يحكم بذلك وكتاب الله ناطق به». وأمّا أبو بكر فواضح جوره في قضيه مالك بن نويرة، وتعطيله حدود الله تعالى في حق خالد بن الوليد كما اعترف به عمر «إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرٍ لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ» (٢) ولو لم يكن لشيخهم إلا تفويض خلافة النّبىّ صلّى الله عليه وآله وسلّم إلى أعداء النّبىّ صلّى الله عليه وآله وسلّم لكفاهم هلاكه.

٩

الكتاب (٧٥)

و من كتاب له عليه السّلام إلى معاوية في أول ما بويع له ذكره الواقدي في كتاب (الجمال):

مِنْ عَبْدِ اللَّهِ؟ عَلِيٌّ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ؟ - إِلَى؟ مُعَاوِيَةَ بْنِ أَبِي سُفْيَانَ؟ - أَمَّا بَعْدُ فَقَدْ عَلِمْتَ إِغْدَارِي فِيكُمْ - وَ إِعْرَاضِي عَنْكُمْ - حَتَّى كَانَ مَيًّا لَا بِيَدٍ مِنْهُ وَلَا دَفْعَ لَهُ - وَالْحَدِيثُ طَوِيلٌ وَالْكَلَامُ كَثِيرٌ - وَقَدْ أَذْبَرَ مَا أَذْبَرَ - وَأَقْبَلَ مَا أَقْبَلَ - فَبَايَعَ مَنْ قَبْلَكَ - وَأَقْبَلَ إِلَيَّ فِي وَفْدٍ مِنْ أَصْحَابِكَ

ص: ٥٧٢

١- ١) الأمالى للطوسى ٣٣٦: ٢- ٣٤٢.

٢- ٢) ق: ٣٧.

«و من كتاب له عليه السّلام إلى معاويه» هكذا في (المصريه) (١) وفيها سقط، و الأصل: (و من كتاب له عليه السّلام إلى معاويه من المدينه) كما في (ابن أبي الحديد و ابن ميثم) (٢) و (الخطيه).

«في أوّل ما بويح له» هكذا في (المصريه) (٣)، و فيها أيضا سقط و الأصل:

«في أوّل ما بويح به بالخلافه» كما في (ابن أبي الحديد و ابن ميثم) (٤) و (الخطيه) أيضا.

«ذكره» و في نسخه (ابن ميثم) (٥): (و ذكره).

«الواقدي» محمّد بن عمر بن واقد.

«في كتاب (الجمل)» و له كتب كثيره.

قوله عليه السّلام : «أمّا بعد فقد علمت إعداري فيكم و إعراضى عنكم، حتّى كان ما لا بد منه و لا دفع له» قال ابن أبي الحديد: كتابه عليه السّلام لمعاويه و لكن مخاطبته لبني اميه جميعا، و المعنى علمت كوني ذا عذر لو لمتكم و ذممتكم في أيام عثمان، و مع ذلك أعرضت عن إساءتكم إلى حتّى كان ما لا بد منه من قتل عثمان (٦).

قلت: في (الطبري) كتب أهل المدينه إلى عثمان يدعونه إلى التوبه، و يقسمون له لا يمسون عنه أبدا حتى يقتلوه، أو يعطيهم ما يلزمه من حق الله فلمّا خاف القتل شاور نصحاءه و أهل بيته، فأشاروا عليه أن يرسل إلى عليّ عليه السّلام ليردّهم عنه حتى يأتيه إمداد، فقال لهم عثمان: إنهم لن يقبلوا التعليل

ص: ٥٧٣

١- ١) نهج البلاغه ٣: ١٤٩.

٢- ٢) كذا في شرح ابن أبي الحديد ١٨: ٦٨، و [١] لكن ليست في شرح ابن ميثم ٥: ٢٣٢ [٢] عبارته «من المدينه».

٣- ٣) نهج البلاغه ٣: ١٤٩. [٣]

٤- ٤) كذا في شرح ابن أبي الحديد ١٨: ٦٨، و [٤] لكن ليست كلمه «بالخلافه» في شرح ابن ميثم ٥: ٢٣٢ [٥] عبارته «من المدينه».

٥- ٥) في شرح ابن ميثم ٥: ٢٣٢ [٦] ذكره أيضا.

٦- ٦) شرح ابن أبي الحديد ١٨: ٦٨. [٧]

و قد كان منى فى قدمتهم الاولى ما كان. فقال مروان: مقاربتهم حتى تقوى أمثل من مكاثرتهم على القرب، فطاولهم ما طاولوك، فإنهم بغوا عليك، فلا عهد لهم. فأرسل إلى على عليه السلام و قال له: يا أبا الحسن قد كان من الناس ما رأيت، و كان منى ما قد علمت، و لست آمنهم فاردهم عنى، فإن لهم أن اعطيهم الحق من نفسى و من غيرى. فقال له على عليه السلام: قد كنت أعطيتهم فى قدمتهم الاولى عهدا من الله لترجعن عن جميع ما نعموا فرددتهم عنك، ثم لم تف لهم بشيء فلا تغزنى هذه المره- إلى أن قال:- فقال له عثمان: أجلينى فى ما بالمدينه ثلاثه أيام. فخرج على عليه السلام إلى الناس فأخبرهم بذلك، فكفوا عنه و رجعوا، فجعل يتأهب للقتال، و قد كان اتخذ جندا عظيما من رقيق الخمس، فلما مضت الايام الثلاثه و هو على حاله لم يغير شيئا، و لم يعزل عاملا ثار به الناس و خرجوا إلى المصريين بذى خشب فأخبروهم فقدموا المدينه- إلى أن قال:- و جاء محمّد بن أبى بكر و جماعه حتى انتهى إلى عثمان، و أخذ بلحيته و قال له: ما أغنى عنك معاويه، ما أغنى عنك ابن عامر، ما أغنت عنك كتبك. فقام رجل من القوم بمشقص حتى وجأبه فى رأسه ثم تغادوا عليه حتى قتلوه (١).

«و الحديث طويل و الكلام كثير» أى: فى قتل عثمان و معاملته مع الناس حتى اضطروا إلى قتله.

«و قد أدبر ما أدبر و أقبل ما أقبل» هكذا فى (المصريه) (٢)، و صدقها ابن أبى الحديد ففسّره بأنه أدبر ذلك الزمان و أقبل زمان آخر (٣)، و نقله (ابن ميثم): (و قد أدبر من أدبر و أقبل من أقبل) و فسّره بأنه يمكن أن يكون المراد خروج طلحه و الزبير، و أن يكون المعنى صار ذا إدبار (من أدبر عنى)

ص: ٥٧٤

١- ١) تاريخ الطبرى ٤: ٣٦٩-٣٧٢، سنه ٣٥، و [١] نقله الشارح بتصرّف و تلخيص.

٢- ٢) نهج البلاغه ٣: ١٤٩. [٢]

٣- ٣) شرح ابن أبى الحديد ١٨: ٦٨. [٣]

و ذا إقبال (من أقبل عليّ) (١).

و الظاهر أنّ صحيحه ما في (ابن ميثم) (٢) لكون نسخه بخط مصنفه .

«فبايع من قبلك و أقبل إليّ في وفد من أصحابك» قال ابن أبي الحديد: لكن معاوية لم يبايع و لا قدم، و كيف يبايع و عينه طامحه إلى الملك و الرياسة منذ أمره عمر على الشام؟ و كان عالي الهمة تواقا إلى معالي الامور... (٣).

قلت: و كان عليه أن يقول و أمره عمر ليستطيع بذلك أن يقوم في قبال أمير المؤمنين عليه السّلام إن وصل الأمر إليه يوما، و أن يستأصل أهل بيت النبي صلّى الله عليه و آله و سلّم، فكان يصفه بأنّه فتى قريش و ابن كريمها الذي لا ينام إلا على الرضا، و أنّه يضحك عند الغضب، و أنّه يتناول ما فوقه من تحته، و أنّه أدهى من كلّ كسرى و قيصر، يصفه الناس بالدهاء، و قد شكره أبو سفيان في توليته، و لم يكتف بتأميره بل أكمل له الأمر بتدييره الشورى لعثمان.

و من المضحك أنّه بشوراه جعل طلحة و الزبير و سعدا و ابن عوف مستعدين للخلاف عليه عليه السّلام، بجعلهم نظيره في الشورى، فقام عليه الأولان و تخلف عنه الثالث، و لو كان الرابع حيا لتخلف عنه أيضا، و مع ذلك يقول لهم:

إن اختلفتم في أمر الشورى غلبكم معاوية.

روى معمر بن سليمان عن أبيه عن سعيد بن المسيب عن ابن عباس قال: سمعت عمر يقول لأهل الشورى: إنكم إن تعاونتم و توازرتم و تناصحتم أكلتموها و أولادكم، و إن تحاسدتم و تقاعدتم و تقاطعتم و تدابرتم و تباغضتم غلبكم على هذا الأمر معاوية - و كان معاوية حينئذ أمير الشام (٤).

ص: ٥٧٥

١- ١) شرح ابن ميثم ٥-٢٣٣. [١]

٢- ٢) شرح ابن ميثم ٥-٢٣٣. [٢]

٣- ٣) شرح ابن أبي الحديد ٦٨:١٨-٦٩. [٣]

٤- ٤) شرح ابن أبي الحديد ١:١٨٧. [٤]

و كلامه هذا أيضا كان محرّكا آخر لمعاويه، و كان عمر يعلم أنّه كان موافقه أمير المؤمنين عليه السّلام الذي كان لا يرعى غير الله معهم محالاً، كما أنّه يعلم أنّ الجماعه الذين جعلهم في مقابله عليه السّلام - و حرّضهم عليه عليه السّلام بكون خلافه النبيّ صلّى الله عليه و آله و سلّم طعمه لهم، و لأعقابهم - و إن كان بينهم اختلاف، إلّا أنّهم متفقون على خلافه عليه السّلام، فهل كان فعله و قوله إلّا نصبا لمعاويه.

و أما قول ابن أبي الحديد (١) : و كان معاويه عالى الهمة، تواقا إلى معالى الامور، فالأمر كما ذكر، فمن علو همته حربته، كانت محاربتة كأبيه مع النبيّ صلّى الله عليه و آله و سلّم إلى آخر أيامه، و ما أسلم و لكن استسلم اضطرارا، و أسرّ كفره حتّى وجد أعوانا ممّا مهد له صديقيهم و فاروقهم و ذو نوريهم، فأخذوا من النبيّ صلّى الله عليه و آله و سلّم ثأر من قتل منهم بيد و احد.

١٠

الحكمه (١٧)

و قال عليه السّلام فى الذين اعتزلوا القتال معه:

خَذَلُوا الْحَقَّ وَ لَمْ يَنْصُرُوا الْبَاطِلَ قول المصنف : « و قال عليه السّلام فى الذين اعتزلوا القتال معه » قال ابن أبي الحديد: هم ابن عمر و سعد بن أبى وقاص و سعيد بن زيد و اسامه بن زيد و محمّد بن مسلمه و أنس بن مالك و جمع آخر، و قال أبو الحسين من شيوخ المعتزله فى كتاب (غرره): إنّّه عليه السّلام لمّا دعاهم إلى القتال معه، و اعتذروا بما اعتذروا به قال لهم: أ تنكرون هذه البيعه؟ قالوا: لا، لكنّا لا نقاتل فقال: «إذا بايعتم فقد قاتلتم» قال: فسلموا من الذم (٢).

قلت: مع أنّ أصل بيعتهم غير معلومه و الروايات فيها مختلفه، روايته

ص: ٥٧٦

١- ١) مضى آنفا.

٢- ٢) شرح ابن أبي الحديد ١١٥: ١٨. [١]

روايه باطله فكيف يعقل أن يقول عليه السّلام لهم: «إذا بايعتم فقد قاتلتم»؟ بدون عذر صحيح و هم الذين ذكر الله تعالى عذرهم في الجهاد في قوله: «لَيْسَ عَلَى الضُّعْفَاءِ وَ لَا عَلَى الْمَرْضَى وَ لَا عَلَى الَّذِينَ لَا يَجِدُونَ مَا يُنْفِقُونَ حَرْجٌ إِذَا نَصَحُوا لِلَّهِ وَ رَسُولِهِ مَا عَلَى الْمُحْسِنِينَ مِنْ سَبِيلٍ وَ اللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ وَ لَا- عَلَى الَّذِينَ إِذَا مَا أَتَوْكَ لِتَحْمِلَهُمْ قُلْتَ لَا أَجِدُ مَا أَحْمِلُكُمْ عَلَيْهِ تَوَلَّوْا وَ أَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ حَزَنًا أَلَّا يَجِدُوا مَا يُنْفِقُونَ» (١)، و اولئك كان لهم معاذير كاذبه فهم مصاديق قوله تعالى: «وَ جَاءَ الْمُعَذِّرُونَ مِنَ الْأَعْرَابِ لِيُؤْذَنَ لَهُمْ وَ قَعَدَ الَّذِينَ كَذَبُوا اللَّهَ وَ رَسُولَهُ سَيُصِيبُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ» (٢).

و كيف يصح ما روى؟ و من بايعه عليه السّلام كان الواجب عليه إطاعته، حتّى عند العامّة في جميع اموره و أوامره، و كيف سلموا من الدم و قد خذلوا الحق؟ و يكفيهم ذلك خزيا.

و قلنا: إنّ الروايات في أصل بيعتهم مختلفه، و الأصح روايات العدم لكثرتها و شهرتها، بل ليس بالبيعه إلّا- خبر واحد قابل للتأويل. فروى الطبرى:

أنهم جاءوا بسعد فقال عليّ عليه السّلام: بايع، قال: لا ابايع حتّى يبايع النّاس و الله ما عليك منى بأس، قال: خلوا سبيله، و جاءوا بآبن عمر فقال: بايع، قال: لا ابايع حتّى يبايع النّاس، قال: إننى بحميل. قال: لا أرى حميلا، قال الأشر: خل عنى أضرب عنقه. قال عليّ عليه السّلام: دعوه أنا حميله إنّه ما علمت لسيئ الخلق صغيرا و كبيرا (٣).

و روى أبو مخنف في (جملة) في خبر: أنّ المسلمين بايعوا عليّا عليه السّلام إلّا محمّد بن مسلمه و عبد الله بن عمر و اسامه بن زيد و سعد و كعب بن مالك

ص: ٥٧٧

[١- ١] (١) التوبه: ٩١-٩٢. [١]

[٢- ٢] (٢) التوبه: ٩٠. [٢]

[٣- ٣] (٣) تاريخ الطبرى ٤: ٤٢٨، سنه ٣٥. [٣]

و حسن بن ثابت و عبد الله بن سلام، فأمر بإحضار ابن عمر فقال له: بايع، فقال: لا ابايع حتى يبايع جميع الناس - إلى أن قال: - فلما انصرف قال عليه السلام: لقد كان صغيرا و هو سيئ الخلق و هو فى كبره أسوأ خلقا، ثم أتى بسعد فقال له:

بايع، فقال له: خلنى فإذا لم يبق غيرى بايعتك، فو الله لا يأتىك من قبلى أمر تكرهه أبدا، فقال: صدق خلوا سبيله.

ثم بعث إلى محمد بن مسلمه فلما أتاه قال له: بايع، قال: إن النبى أمرنى إذا اختلف الناس و صاروا هكذا - و شبك بين أصابعه - أن أضرب بسيفى فأضرب به عرض (أحد) فإذا انقطع أتيت منزلى لا أبرحه. فقال عليه السلام له: فانطلق إذن فكن كما امرت. ثم بعث إلى اسامه فلما جاء قال له: بايع، فقال: إنى مولاك و لا خلاف منى عليك و ستأتىك بيعتى إذا سكن الناس. فأمره عليه السلام بالانصراف و لم يبعث إلى أحد غيرهم، فقليل له ألا تبعث إلى حسن بن ثابت و كعب بن مالك و عبد الله بن سلام فقال عليه السلام: لا حاجه لنا فى من لا حاجه له فىنا.

و روى أيضا أنه عليه السلام لما تكلم ابن عمر فى البيعه فامتنع عليه، أتاه فى اليوم الثانى فقال له: إنى لك ناصح إن بيعتك لم يرض بها كلهم فلو نظرت لدينك و رددت الأمر شورى بين المسلمين. فقال عليه السلام له: ويحك و هل كان ما كان عن طلب منى، ألم يبلغك صنعهم بى، قم عنى يا أحمق ما أنت و هذا الكلام...

و روى (الإرشاد) عن الشعبى قال: لما اعتزل سعد و من معه و توقفوا عن بيعته عليه السلام قال عليه السلام فى جملة كلام له: «و هذه بيعه عامه من رغب عنها رغب عن دين الإسلام، و اتبع غير سبيل أهله - إلى أن قال: -

و قد بلغنى عن سعد و ابن مسلمه و أسامه و عبد الله و حسن امور

و روى المسعودى فى (مروجه): أنّ سعدا و اسامه و ابن عمر و محمّد بن مسلمه ممّن قعد عن علىّ عليه السّلام، و أبوا أن يبايعوه هم و غيرهم ممّن ذكرنا من القعداء عن بيعته و ذلك أنّهم قالوا: إنّها فتنه، و منهم من قال لعلىّ عليه السّلام: أعطنا سيوفنا نقاتل بها معك فإذا ضربنا بها المؤمنين لم تعمل فيهم و نبت عن أجسامهم، فإذا ضربنا بها الكافرين سرت فى أبدانهم. فأعرض عنهم علىّ عليه السّلام و قال: «و لو علم الله فيهم خيرا لأسمعهم و لو أسمعهم لتولّوا و هم مُعرضون» (٢).

و فى (خلفاء ابن قتيبه): ذكروا أنّ عمّار قام إلى علىّ عليه السّلام فقال: ائذن لنا آت ابن عمر لعلّه يخف معنا فى هذا الأمر. فقال عليه السّلام: نعم. فأتاه و قال له: قد بايع علينا المهاجرون و الأنصار و من إن فضّ لناه عليك لم يسخطك، و إن فضّ لناك عليه لم يرضك، و قد أنكرت السيف فى أهل الصلاة، و قد علمت أنّ علىّ القاتل القتل و علىّ المحصن الرجم.

فقال له ابن عمر: إنّ أبى جمع أهل الشورى فكان أحقّهم بها علىّ، غير أنّه جاء أمر فيه السيف و لا أعرفه، لكن ما أحبّ أنّ لى الدنيا و ما عليها و أنّى أضمرت عداوه علىّ. فانصرف عنه و أخبر عليّا عليه السّلام بقوله، فقال له: لو أتيت محمّد بن مسلمه. فأتاه فقال له محمّد بن مسلمه: لو لا ما فى يدي من النبىّ لبايعت عليّا، و لكن كان منه أمر ذهب فيه الرأى فقال له عمّار: كيف؟ قال: قال النبىّ إذا رأيت المسلمين يقتتلون- أو إذا رأيت أهل الصلاة- فقال عمار: فإن كان قال لك (إذا رأيت المسلمين) فوالله لا ترى مسلمين يقتتلان بسيفهما أبدا، و إن كان قال (أهل الصلاة)، فمن سمع هذا معك إنّما أنت أحد الشاهدين،

ص: ٥٧٩

١- ١) الإرشاد ٢٤٤: ١-٢٤٣، [١] بحار الأنوار ٣٣: ٣٢. [٢]

٢- ٢) الأنفال: ٢٣، [٣] مروج الذهب ٢٤: ٣-٢٥. [٤]

أفتريد من النبي صَلَّى اللهُ عليه وآله وسلم قولاً بعد يوم حجّه الوداع: «دماؤكم و أموالكم عليكم حرام إلا بحدث»؟ فنقول أنت يا محمد بن مسلمه لا تقا تل المحدثين. فقال له:

حسبك.

ثم أتى سعدا فكلمه فأظهر الكلام القبيح. فانصرف إليه عليه السّلام فقال له عليّ عليه السّلام: دع هؤلاء الرهط، أمّا ابن عمر فضعيف، و أمّا سعد فحسود، و أمّا محمد بن مسلمه فذنبى إليه أنى قتلت أخاه يوم خيبر (١).

و فى (أخبار الطوال) للدينورى- بعد ذكر بيعه الناس له:- ثمّ إنّ عليّا عليه السّلام نادى فى الناس بالتأهب للمسير إلى العراق، فدخل عليه سعد و ابن عمر و محمد بن مسلمه فقال لهم: قد بلغنى عنكم هنات كرهتها لكم. فقال سعد: قد كان ما بلغك فأعطني سيفاً يعرف المسلم من الكافر- إلى أن قال:-

فقال الأشتر له عليه السّلام: إنّنا و إن لم نكن من المهاجرين و الأنصار فإنّا من التابعين بإحسان، و إنّ القوم و إن كانوا أولى بما سبقونا إليه فليسوا بأولى ممّا شركناهم فيه و هذه بيعه عامّه، الخارج منها طاعن مستعتب، فعظ هؤلاء الذين يريدون التخلف عنك باللسان فإن أبوا فأدّبهم بالحبس. فقال عليّ عليه السّلام:

بل أدعهم و رأيهم الذى هم عليه (٢).

و فى (الاستيعاب): قيل لنافع: ما بال ابن عمر بايع معاويه و لم يبايع عليّاً؟ فقال: كان ابن عمر لا يعطى يدا فى فرقه و لا يمنعها من جماعه، و لم يبايع معاويه حتّى اجتمعوا عليه (٣).

قلت: قبح الله ديننا يستلزم كون عدو النبي صَلَّى اللهُ عليه وآله وسلم أولى بالولاية من

ص: ٥٨٠

١-١ (١) الإمامه و السياسه ٥٣:١-٥٤. [١]

٢-٢ (٢) أخبار الطوال: ١٤٠-١٤٣، و [٢] النقل بتصريف و تلخيص.

٣-٣ (٣) ابن عبد البر: الاستيعاب فى معرفه الأصحاب ١:٢٦٢ [٣] فى ترجمه معاويه بن أبى سفيان، دائره المعارف، حيدر آباد ١٣١٨ للهجره.

ولى النبى صلى الله عليه وآله وسلم بل نفسه.

وفى (نقض عثمانىة) الإسكافى: لم يميز ابن عمر بين إمام الرشيد و إمام الغنى، فإنه امتنع من بيعه على عليه السلام، وطرق على الحجاج بابة ليلا- ليبيع لعبد الملك كيلا- بيت تلك الليلة بلا إمام، زعم لأنه روى عن النبى صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال: «من مات و لا- إمام له مات ميتة جاهليته» و حتى بلغ من احتقار الحجاج له و استزداله حاله أن أخرج رجله من الفراش و قال: اصفق بيدك عليها (١).

فهذه روايات تسع دالة صريحة على عدم بيعتهم. و روى أبو مخنف - كما فى (جمل المفيد)- أنه عليه السلام لما هم بالمشير إلى البصرة، بلغه عن سعد و ابن مسلمة و اسامه و ابن عمر ثقلمهم عنه، فبعث إليهم فلما حضروا قال لهم:

قد بلغنى عنكم هنات كرهتها لكم، و أنا لا اكرهكم على المشير معى. أستم على بيعتى؟ قالوا: بلى، قال: فما الذى يقعدكم عن صحبتى؟ فقال له سعد: إنى أكره الخروج فى هذه الحرب فاصيب مؤمنا، فإن أعطيتنى سيفا يعرف المؤمن من الكافر قاتلت معك. و قال له اسامه: أنت أعز الخلق على و لكنى عاهدت الله ألا- اقاتل أهل (لا- إله إلا- الله)- و ذكر فى قتله رجلا- شهد بالوحدانية و ظن أنه قالها تعوذا فى عهد النبى صلى الله عليه وآله وسلم و إنكار النبى صلى الله عليه وآله وسلم عليه ذلك- و قال عبد الله بن عمر: لست أعرف فى هذه الحرب بشيء أسألك ألا تحملنى على ما لا أعرف. فقال عليه السلام لهم: ليس كل مفتون يعاتب. أستم على بيعتى؟ قالوا: بلى، قال: فانصرفوا فسيغنى الله (٢).

و لم نقف فى بيعتهم على غير هذا الخبر، مع أن أبا مخنف الذى رواه روى ضده، مع أنه يمكن حمل قوله: (أستم على بيعتى)، على أن المراد عدم

ص: ٥٨١

١ - ١) الإسكافى: نقض عثمانىة، [١] ملحق بكتاب عثمانىة للجاحظ، ٣٠١ تحقيق عبد السلام هارون، [٢] دار الكتاب العربى بمصر، ١٩٥٥ م.

٢ - ٢) الجمل للمفيد: ٩٥-٩٦. [٣]

الإخلاق في بيعتي، فإنهم وإن قعدوا عن مشاهدته، إلا أنهم لم يخلوا في خلافته كطلحه و الزبير و مروان و سعيد بن العاص و الوليد بن عقبه.

و أما روايه أبي الحسن المعتزلى في (غرره) المرفوعه، فهى عين هذا الخبر بدليل أن ابن أبى الحديد نقلها عنه في شرح قوله عليه السلام: (فتداكوا علي)، هكذا قال علي عليه السلام لهم: ما كل مفتون يعاتب، أ عندكم شك في بيعتي؟ قالوا: لا، قال فإذا بايعتم فقد قاتلتم (1). إلا أنه لما أراد تنزيه سعد أحد عشرتهم المبشره، و أحد سته شورا هم و ابن فاروقهم، نقل كلامه عليه السلام عند نفسه بالمعنى فبدل قوله عليه السلام: (انصرفوا فسيغنى الله عنكم) بقوله: (فإذا بايعتم فقد قاتلتم)، لكنه كما ترى و هل يصلح العطار ما أفسد الدهر؟! قوله عليه السلام «خذلوا الحق و لم ينصروا الباطل» في (الطبرى): قال عبد خير الخيوانى لأبى موسى: هل كان هذا الرجلان- يعنى طلحه و الزبير- ممن بايع عليا؟ قال: نعم، قال: هل أحدث حدثا يحل به نقض بيعته؟ قال: لا أدري، قال: لا دريت فإننا تاركوك حتى تدرى، هل تعلم يا أبا موسى أحدا خارجا من هذه التى تزعم أنها فتنه؟ إنما بقى أربع قرون علي عليه السلام بظهر الكوفه، و طلحه و الزبير بالبصره، و معاويه بالشام و فرقه اخرى بالحجاز، لا- يجبى بها فىء و لا- يقاتل بها عدو. فقال له أبو موسى: أولئك خير الناس و هى فتنه، فقال له عبد خير: يا أبا موسى غلب عليك غشك (2).

11

الحكمه (٢٦٢)

وَقِيلَ إِنَّ؟ الْحَارِثَ بْنَ حَوْطٍ؟ أَتَاهُ فَقَالَ لَهُ- أَ تَرَانِي أَظُنُّ؟ أَصْحَابَ الْجَمَلِ؟ كَانُوا عَلَيَّ ضَالَّةً

ص: ٥٨٢

١- ١) شرح ابن أبى الحديد ١٠: ٤. [١]

٢- ٢) تاريخ الطبرى ٤: ٤٨٥-٤٨٦، سنة ٣٦. [٢]

فَقَالَ ع يَا؟ حَارِثُ؟ إِنَّكَ نَظَرْتَ تَحْتِكَ وَ لَمْ تَنْظُرْ فَوْقَكَ فَحِزَّتْ - إِنَّكَ لَمْ تَعْرِفِ الْحَقَّ فَتَعْرِفَ مَنْ أَتَاهُ- وَ لَمْ تَعْرِفِ الْبَاطِلَ فَتَعْرِفَ مَنْ أَتَاهُ- فَقَالَ؟ الْحَارِثُ؟- فَإِنِّي أَعْتَرِلُ مَعَ سَيِّدِ بْنِ مَالِكٍ؟ وَ؟ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ؟- فَقَالَ ع إِنَّ؟ سَيِّدًا؟ وَ؟ عَبْدَ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ؟ لَمْ يَنْصُرَا الْحَقَّ- وَ لَمْ يَخْذُلَا الْبَاطِلَ أَقُول: رواه الجاحظ في (بيانه الجاحظ-البيان و التبيين -) و يعقوبى فى (تاريخه يعقوبى - تاريخ يعقوبى - ج ٢ ص ٢١٠) فى الأول:

نهض الحرث بن حوط الليثى إلى على عليه السلام و هو على المنبر فقال: أ تظن أنا نظن أن طلحه و الزبير كانا على ضلال؟ قال: يا حار إنه ملبوس عليك، إن الحق لا يعرف بالرجال، فاعرف الحق تعرف أهله (١)- و مثله الثانى و زاد:- و اعرف الباطل تعرف من أتاه (٢). و رواه إبراهيم الثقفى كما يأتى كاملا مع اختلاف.

قول المصنف :

«و قيل ان الحارث بن حوت» هكذا فى (المصريه) (٣)، و الصواب: (حوط) كما فى (ابن أبى الحديد و ابن ميثم) (٤) و (الخطيه) و كما عرفت من (مستنده). ثم ان ابن أبى الحديد قال: (حوط) بالحاء المهمله و يقال: ان الموجود فى خط الرضى بالمعجمه (٥).

قلت: لم يعلم كون خط الرضى بالمعجمه و إلا لذكره ابن ميثم، لكون نسخته بخط مصنفه.

و كيف كان فقال (الجمهره) فى المهمله: إنهم سموا به و لم يذكر فى

ص: ٥٨٣

١- ١) البيان و التبيين. [١]

٢- ٢) تاريخ يعقوبى ٢: ٢١٠. [٢]

٣- ٣) نهج البلاغه ٣: ٢١٦. [٣]

٤- ٤) كذا فى شرح ابن أبى الحديد ١٩: ١٤٧ و [٤] لكن فى شرح ابن ميثم ٥: ٣٧٧ «[٥] حوت» أيضا.

٥- ٥) شرح ابن أبى الحديد ١٩: ١٤٨. [٤]

المعجمه (١)، كما أن (القاموس) ذكر في المهمله جمعا مسمين به (٢) - وإن لم يذكر هذا - ولم يذكر في المعجمه.

«أناه فقال أترانى أظن أصحاب الجمل كانوا على ضلاله» نظير الحارث بن حوط الليثى هذا اربد الفزارى، ففى (صفيين نصر) وغيره، لما خطب على عليه السلام الناس و أمرهم بالمسير الى صفيين و قال لهم: سيروا إلى أعداء السنن و القرآن، سيروا إلى بقيه الأحزاب و قتله المهاجرين و الأنصار، قام رجل من بنى فزاره يقال له أربد فقال له: أ تريد أن تسير بنا إلى إخواننا من أهل الشام فنقتلهم لك كما سرت بنا إلى إخواننا من أهل البصره فقتلناهم؟ كلا و الله إذن لا نفع لك. فقام الأشر فقال: من لهذا؟ و هرب الفزارى و اشتد الناس على أثره فلحقوه فى مكان من السوق تباع فيه البراذين فوطئوه بأرجلهم و ضربوه بأيديهم و نعال سيوفهم حتى قتل، فقال عليه السلام: قتيل عميه ديته من بيت المال (٣).

فقال عليه السلام «يا حارث» هكذا فى (المصريه) (٤)، و الصواب (يا حار) بالترخيم كما فى (ابن أبى الحديد و ابن ميثم) (٥) و (الخطيه) و كما فى (مستنده).

«إنك نظرت تحتك و لم تنظر فوقك فحرت» أى: صرت حيرانا من (حار يحار).

«إنك لم تعرف الحق فتعرف من أتاه» هكذا فى (المصريه) (٦) و الصواب:

ص: ٥٨٤

-
- ١- ١) جمهره اللغه ٥٥٢:١- حوط.
 - ٢- ٢) القاموس المحيط ٣٥٦:٢، ماده: (حوط).
 - ٣- ٣) وقعه صفيين: ٩٤-٩٥، [١] شرح ابن أبى الحديد ٢٧٩:١. [٢]
 - ٤- ٤) نهج البلاغه ٢١٦:٣.
 - ٥- ٥) كذا فى شرح ابن أبى الحديد ١٤٧:١٩ و [٣] لكن فى شرح ابن ميثم ٣٧٧:٥ «[٤] يا حارث» أيضا.
 - ٦- ٦) نهج البلاغه ٢١٦:٣. [٥]

(فتعرف أهله) كما في (ابن أبي الحديد و ابن ميثم (1) و الخطيبه و مستنده).

«و لم تعرف الباطل فتعرف من أتاه» هكذا في (المصريه و ابن أبي الحديد) (2)، و لكن في (ابن ميثم) (3) أيضا: (فتعرف أهله)، و نسبت ما في المتن إلى نسخه.

و كيف كان فهو كلام في غايه النفاسه نظير قوله عليه السّلام: «لا تنظروا إلى من قال و انظروا إلى ما قال» (4)، فإنّ الناس الذين ليس لهم معرفه كامله يجعلون الرجال ميزان الحقّ و الباطل، و الواجب العكس، فقال تعالى لنبّيه صلّى الله عليه و آله و سلّم: «لَئِنْ أَشْرَكَتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ» (5) و قد قال تعالى فيه صلّى الله عليه و آله و سلّم:

«و لَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ الْأَقَاوِيلِ لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ» (6).

فالحارث رأى أنّ عايشه يقال لها أمّ المؤمنين أخذنا من قوله تعالى في حرمه نكاح أزواج نبيّه «و أزواجه أمّهاتهم» (7) إلاّ أنّه لم يلاحظ قوله تعالى: «يا نساء النّبّيّ من يأت منكنّ بفاحشه مبيّنه يضاعف لها العذاب ضِعْفَيْنِ وَ كَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا» (8) «و قَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَ لَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَى» (9).

كما أنّه رأى أنّ طلحه و الزبير من المهاجرين، و من سته الشورى، و لم

ص: ٥٨٥

١- ١) كذا في شرح ابن أبي الحديد ١٩:١٤٧ و [١] لكن في شرح ابن ميثم ٥:٣٧٧ [٢] من أتاه» أيضا.

٢- ٢) نهج البلاغه ٣:٢١٦، [٣] شرح ابن أبي الحديد ١٩:١٤٧. [٤]

٣- ٣) في شرح ابن ميثم ٥:٣٧٧ [٥] من أتاه» أيضا.

٤- ٤) غرر الحكم و درر الكلم بشرح الخوانسارى ٦:٢٦٦ ح ١٠١٨٩.

٥- ٥) الزمر: ٦٥. [٦]

٦- ٦) الحاقه: ٤٤-٤٦. [٧]

٧- ٧) الأحزاب: ٦. [٨]

٨- ٨) الأحزاب: ٣٠. [٩]

٩- ٩) الأحزاب: ٣٣. [١٠]

يلاحظ أنّهما نكثا و أفسدا في الأرض و قتلا آلافا من المسلمين بغير حقّ، و قد قال تعالى: «فَمَنْ نَكَثَ فَإِنَّمَا يَنْكُثُ عَلَى نَفْسِهِ» (١) و «الَّذِينَ يَنْقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَ يَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَ يُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ أُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ» (٢) «أَمْ نَجْعَلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَ عَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَالْمُفْسِدِينَ فِي الْأَرْضِ أَمْ نَجْعَلُ الْمُتَّقِينَ كَالْفُجَّارِ» (٣).

و الحارث و نظراؤه- في نظرهم إلى جانب دون جانب- مصاديق قول الشاعر:

حفظت شيئا و غابت عنك أشياء

قول المصنف «فقال الحارث فإني اعتزل مع سعيد» هكذا في (المصريه) (٤) و الصواب: (سعد)، فإنّ المراد سعد بن أبي وقاص المعروف.

«بن مالك و عبد الله بن عمر فقال عليه السلام إنّ سعيدا» الكلام فيه كالأول.

«و عبد الله بن عمر» هكذا في (المصريه) (٥) و (بن عمر) زائده لعدم وجوده في (ابن أبي الحديد و ابن ميثم) (٦) و لعدم الاحتياج إليه بعد ذكره في كلام الخصم كما في (سعد).

«لم ينصرا الحق» و هو هو عليه السلام، ففي متواتر الخبر و ظاهر العيان و الأثر كونه عليه السلام مع الحقّ و كون الحقّ معه عليه السلام (٧) من أوله إلى آخره «وَ سَلَامٌ عَلَيْهِ»

ص: ٥٨٦

[١- ١] الفتح: ١٠. [١]

[٢- ٢] البقرة: ٢٧. [٢]

[٣- ٣] ص: ٢٨.

[٤- ٤] نهج البلاغه ٣: ٢١٦. [٣]

[٥- ٥] المصدر نفسه.

[٦- ٦] في شرح ابن أبي الحديد ١٩: ١٤٧ و شرح ابن ميثم ٥: ٣٧٧ «[٤] ابن عمر» أيضا.

[٧- ٧] هذا من الأحاديث المتواتره من طرق الخاصه و العامه. جمله من رواته من أعلام العامه في كتاب الغدير ٣: ١٧٦- ١٨٠، و كتاب التاج الجامع للاصول كتاب الفضائل في فضل عليّ بن أبي طالب، و إحقاق الحقّ ١: ٥٨ و ٧: ٤٧٠، و [٥] كذا في بحار الأنوار باب أنّه من الحقّ و الحقّ معه ٣٨: ٢٦.

«يَوْمَ وُلِدَ وَ يَوْمَ يَمُوتُ وَ يَوْمَ يُبْعَثُ حَيًّا» (١).

«و لم يخذلا الباطل» و هو أعداؤه عليه السّلام من الناكثين و القاسطين و المارقين، فإنّهما و إن لم يعاوناهم لم يعادياهم فلم يحصل منهما خذلان كامل.

إلاّ ان الثقفى رواه- كما فى (أمالى الشيخ)- بلفظ آخر فروى عن أبى الوليد الضبى، عن أبى بكر الهذلى قال: دخل الحرث بن حوط الليثى على أمير المؤمنين عليه السّلام و قال له عليه السّلام: ما أرى طلحه و الزبير و عايشه أضحووا إلاّ على حقّ فقال عليه السّلام: «يا حارث إنك إن نظرت تحتك و لم تنظر فوقك جزت عن الحقّ. إنّ الحقّ و الباطل لا يعرفان بالناس، و لكن اعرف الحقّ باتّباع من اتّبعه و الباطل باجتناّب من اجتنبه» قال: فهلا أكون كعبد الله بن عمر و سعد بن مالك؟ فقال عليه السّلام: إنّ عبد الله و سعدا خذلا الحقّ و لم ينصرا الباطل متى كانا إمامين فى الخير فيتبعان (٢)؟ هذا و أما سعد فقد مر عنه عليه السّلام فيه أنّه لم يبايعه لكونه حسودا، و روى سليم بن قيس فى كتابه: أنّ سعدا إمام المذبذبين (٣).

و فى (مروج المسعودى): لمّا حجّ معاوية طاف بالبيت و معه سعد، فلمّا فرغ انصرف إلى دار الندوة و أجلس سعدا معه على السرير، ثم وقع فى سبّ علىّ عليه السّلام فزحف سعد و قال لمعاوية: أجلستنى معك ثم شرعت فى سبّ علىّ، و الله لئن يكون فىّ خصله واحده من خصال كانت لعلىّ عليه السّلام أحبّ إلىّ من أن يكون لى ما طلعت عليه الشمس، و الله لأن يكون النبىّ صلى الله عليه و آله و سلّم قال لى ما قال له يوم خيبر: «الأعطين الرايه غدا رجلا- يحبه الله و رسوله و يحبّ الله و رسوله ليس بفرّار يفتح الله على يديه» أحبّ إلىّ من أن يكون لى ما طلعت عليه

ص: ٥٨٧

[١-١] (١) مريم: ١٥. [١]

[٢-٢] (٢) الأمالى للشيخ الطوسى ١: ١٣٣-١٣٤، [٢] بحار الأنوار ١٠٥: ٢٢. [٣]

[٣-٣] (٣) كتاب سليم بن قيس الهلالي العامرى، ١٥٢، طبع النجف الأشرف.

الشمس. و الله لأن يكون النبي صَلَّى الله عليه وآله وسلم قال لي ما قال له في غزوه تبوك: «ألا ترضى أن تكون مني بمنزله هارون من موسى إلا أنه لا نبي بعدي» أحب إلي من أن يكون لي ما طلعت عليه الشمس، وإيم الله لا دخلت لك دارا ما بقيت. و نهض.

و وجدت في كتاب علي بن محمد بن سليمان النوفلي، في الأخبار عن ابن عايشه وغيره: أن سعدا لما قال هذه المقالة لمعاوية و نهض ليقوم شرط له معاوية و قال له: اقعد حتى تسمع جواب ما قلت، فما كنت عندى قط الأم منك الآن، فهلا نصرت علينا؟ و لم قعدت عن بيعته؟ فأني لو سمعت من النبي فيه مثل الذي سمعت فيه لكنت خادما لعلي ما عشت.

فقال سعد: و الله إنني لأحق بموضعك منك.

فقال معاوية: يا أبا عليك بنو عذره— و كان سعد فيما يقال لرجل من بني عذره.

و في ذلك يقول السيد الحميري:

سائل قريشا بها إن كنت ذا عمه من كان أثبتها في الدين أو تادا

إن يصدقوك فلم يعدوا أبا حسن إن أنت لم تلق للأبرار حسادا

إن أنت لم تلق تيميا أبا صلف و من عدى لحق الله جحادا

أو من بني عامر أو من بني أسد رهط العبيد ذوى جهد و أوغادا

و رهط سعد و سعد كان قد علموا عن مستقيم صراط الله صدادا

قوم تداعوا زنيما ثم سادهم لولا خمول بني زهر لما سادا (١)

و أما ابن عمر ففي (الطبري): أن عمر لما تمنى حين وفاته حياه أبي عبيده و سالم مولى أبي حذيفه حتى يستخلفهما، قيل له: فابنك؟ قال: كيف

ص: ٥٨٨

استخلف رجلا عجز عن طلاق امرأته (١)؟ و في (مسترشد الطبري) الإمامي مخاطبا للعامة: و من فقهاءكم و رواه أخباركم ابن عمر الذي قعد عن بيعه علي عليه السلام ثم مضى إلى الحجاج فطره ليلا فقال: هات يدك لا بايعك لأمر المؤمنين عبد الملك فإني سمعت النبي يقول:

«من مات و ليس عليه إمام فميته جاهليه» حتى أنكرها عليه الحجاج مع كفره و عتوه (٢).

و مرّ عن الإسكافي: أنه بلغ من احتقار الحجاج له أن أخرج رجله من الفراش، و قال اصفق بيدك عليها.

١٢

الحكمه (١٤)

و قال عليه السلام:

مَا كُلُّ مَفْتُونٍ يُعَاتَبُ أَقُولُ: قد عرفت في العنوان التاسع من روايه أبي مخنف التي نقلها (جمل الشيخ المفيد- الجمل- المفيد): أنه عليه السلام قال- لسعد و ابن عمر و اسامه و محيّد بن مسلمه لما اعتذروا عن تخلفهم عنه-: «ما كل مفتون يعاتب أستم على بيعتي؟» قالوا:

بلى. قال: «فانصرفوا فسيغنى الله عنكم». و قلنا ثمه أنّ تبديل أبي الحسين المعتزلي ذيل الخبر: (فانصرفوا فسيغنى الله عنكم) بقوله: (فاذا بايعتم فقد قاتلتم)، من تصرفاته في الخبر دفعا للطعن عن سعد و ابن عمر، مع أنّك قد عرفت أنّ عدم بيعتهم متواتره، و أنّ الخبر شاذ و لو لم نطرحه لا بد من تأويله بكون المراد بكونهم على بيعته عليه السلام عدم إخلالهم بخلافته عليه السلام.

ثم إنّ المراد بقوله عليه السلام: (ما كل مفتون يعاتب)، أنّ المفتون إنّما يعاتب

ص: ٥٨٩

١-١) تاريخ الطبري ٢٢٧:٤-٢٢٨، سنة ٢٣. [١]

٢-٢) ابن رستم الطبري: المسترشد: ١٦ ط الحيدريه، [٢] النجف.

إذا كانت الفتنه عن التباس الأمر عليه، فيعتاب و يقال له: ويحك الأمر حقيقته كذا و كذا، وإما إذا كانت عن تلبس على نفسه لمرض في قلبه، فلا- يعاتب لأن العتاب لا يفيد و مثلهم المغيره فيأتي أنه عليه السّلام قال: «المغيره عمدا لبس على نفسه ليجعل الشبهات عاذرا لسقطاته».

و مر أنه عليه السّلام قال لعمار-لما ذهب إلى ابن عمر و ابن مسلمه و سعد و حاجهم و أفحهم و انصرف إليه عليه السّلام:-دع هؤلاء الرهط، أما ابن عمر فضعيف، و أما سعد فحسود، و ذنبي إلى محمّد بن مسلمه أتى قتلت أخاه يوم خيبر.

و مرّ في الحادى عشر: أنّ سعدا لما ذكر لمعاويه أنّ النبيّ صلّى الله عليه و آله و سلّم قال فيه عليه السّلام يوم خيبر: «لأعطين الرايه غدا رجلا- يحبّ الله و رسوله و يحبّه الله و رسوله». و يوم تبوك: «أنت منى بمنزله هارون من موسى إلاّ أنّه لا نبيّ بعدى» قال له معاويه: ما كنت قط عندى أأم منك الآن لعدم بيعتك معه مع ذلك.

و فى (خلفاء ابن قتيبه): أنّ معاويه لما كتب إلى سعد: (قد نصر عثمان طلحه و الزبير و هما شريكاك فى الأمر و الشورى) كتب إليه سعد: أنّ أهل الشورى ليس منهم أحد أحقّ بها من صاحبه، غير أنّ عليّا كان له من السابقه ما لم يكن فينا، و شاركنا فى محاسننا و لم نشاركه فى محاسنه، و كان أحقنا كلّنا بالخلافه، و لكن مقادير الله التى صرفتها عنه حيث شاء لعلمه و قدره، و قد علمنا أنّه أحقّ بها منّا و لكن لم يكن بدّ من الكلام فى ذلك و التشاجر... (١).

هكذا يقول سعد فى حقّه و لا يبايعه، فأى عتاب يفيد.

ص: ٥٩٠

و أما قوله: (و لكن مقادير الله التي صرفتها عنه) فيقال له: كل شيء يقع في الدنيا بمقادير الله، و لكن الذي صرفتها عنه عليه السلام تدابير المنافقين لا مقادير الله.

١٣

الحكمه (٤٠٥)

وَ قَالَ ع؟ لِعَمَّارِ بْنِ يَاسِرٍ؟- وَ قَدْ سَمِعَهُ يُرَاجِعُ الْمَغِيرَةَ بِنَ شُعْبَةَ؟ كَلَامًا- دَعَاهُ يَا عَمَّارُ؟- فَإِنَّهُ لَنْ يَأْخُذَ مِنَ الدِّينِ إِلَّا مَا قَارَبَهُ مِنَ الدُّنْيَا- وَ عَلَى عَمْدٍ لَبَسَ عَلَى نَفْسِهِ- لِيَجْعَلَ الشُّبُهَاتِ عَازِرًا لِنَيْتِ قَطَاتِهِ وَ قَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ لِعَمَّارِ بْنِ يَاسِرٍ وَ قَدْ سَمِعَهُ يَرَاغِبُ الْمَغِيرَةَ بِنَ شُعْبَةَ كَلَامًا:

أقول: رواه (أمالى الشيخ المفيد-أمالى-ص ٢١٧ المفيد) و (خلفاء ابن قتيبه-الإمامه و السياسه-ج ١ ص ٥٠ ابن قتيبه)، ففى الأول: مسندا عن مالك بن أنس عن عمه أبى سهل عن أبيه قال: إنى لواقف مع المغيره عند نهوض على عليه السلام من المدينه إلى البصره إذ أقبل عمّار فقال له: هل لك فى الله عزّ و جلّ يا مغيره، فقال: و أين هو لى يا عمّار؟ قال: تدخل فى هذه الدعوه فتلحق بمن سبقك و تسود من خلفك.

فقال له المغيره: أو خير من ذلك؟ قال عمّار: و ما هو؟ قال: ندخل بيوتنا و نعلق علينا أبوابنا حتى يضىء لنا الأمر، فنخرج و نحن مبصرون، و لا تكون كقاطع السلسله أراد الضحكك فوقع فى الغنم. فقال له عمّار: هيهات هيهات أجهل بعد علم و أعمى بعد علم و أعمى بعد استبصار و اسمع لقولى، فوالله لن ترانى إلا فى الرعيل الأول، فطلع عليهما أمير المؤمنين عليه السلام فقال: يا أبا اليقظان ما يقول لك الأعمور، فإنه و الله دائما يلبس الحقّ بالباطل و يمّوه فيه، و لن يتعلّق من الدين إلا بما يوافق الدنيا، ويحك يا مغيره إنّها دعوه تسوق من يدخل فيها إلى الجنّه.

ص: ٥٩١

فقال له المغيرة: صدقت يا أمير المؤمنين إن لم أكن معك فلن أكون عليك (١).

و في الثاني: دخل المغيرة على علي عليه السلام فقال عليه السلام له: هل لك يا مغيرة في الله؟ قال: فأين هو يا أمير المؤمنين؟ قال: تأخذ سيفك فتدخل معنا في هذا الأمر فتدرك من سبقك و تسبق من معك، فأني أرى امورا لا بد للسيوف أن تشحذ لها و تقطف الرءوس بها. فقال المغيرة: إنني و الله ما رأيت عثمان مصيبا و لا قتله صوابا، و إنني لمظلمه تتلوها ظلمات، فأريد إن أذنت لي أن أضع و أنا في بيتي، حتى تنجلي الظلمه و يطلع قمرها فنسرى مبصرين نقفو آثار المهتدين و نتقى سبيل الجائرين.

فقال عليه السلام له: لقد أذنت لك فكن من أمرك على ما بدا لك.

فقام عمير فقال له: معاذ الله يا مغيرة تقعد أعمى بعد أن كنت بصيرا، يغلبك من غلبته و يسبقك من سبقته، انظر ما ترى و ما تفعل، فأما أنا فلا أكون إلا في الرعي الأول.

فقال له المغيرة: يا أبا اليقظان إياك أن تكون كقاطع السلسله فرّ من الضحاء فوقع في الرمضاء.

فقال علي عليه السلام لعمير: دعه فإنه لم يأخذ من الآخرة إلا ما خالطته الدنيا، أما و الله يا مغيرة إنني المشوبه تؤدي من قام فيها إلى الجنة و لما اختار بعدها، فإذا غششتنا فم في بيتك.

فقال المغيرة: أنت و الله يا أمير المؤمنين أعلم مني و لئن لا اقاتل معك لا اعين عليك، فإن يكن ما فعلت صوابا فأياه أردت، و إن خطأ فمنه نجوت، و لي ذنوب كثيره لا قبل لي بها إلا الاستغفار منها (٢).

ص: ٥٩٢

١-١ (١) الأمالى للمفيد: ٢١٧.

١-٢ (٢) الإمامه و السياسه ٥٠: ١. [١]

قول المصنف: «و قال عليه السّلام لعمار بن ياسر و قد سمعه يراجع المغيره بن شعبه كلاما» قد عرفت من الروايتين أنّ مراجعه عمّار للمغيره كلاما إنّما كانت في دعوه عمّار للمغيره إلى بيعه أمير المؤمنين عليه السّلام و مساعدته على أعدائه، وإنّ المغيره ما قبل ذلك، و قال لعمار: مثلك في نصرتك له كمن فر من الضحاء فوقع في الرمضاء، بمعنى أنك فررت من ضغطه أيام عثمان فتقع بمساعدته عليه السّلام في ضغوطات معاويه التي هي أكثر.

قوله عليه السّلام: «دعه يا عمّار فإنّه لم يأخذ من الدين إلا ما قاربه من الدّنيا» هكذا في (المصريه) (١) و لكن في (ابن أبي الحديد و ابن ميثم) (٢): (إلا ما قاربه الدّنيا) و حينئذ فالمراد لم يأخذ من الدّين إلا ما قاربه الدّنيا إليه، و أما دين لم تقاربه الدّنيا إليه، فلا يكثرث المغيره به. و يمكن أن يكون (قاربه) فيهما مصحف (قاربه) ففي (الخطيه): «قاربه الدّنيا».

و صدق عليه السّلام حتى أنّ أصل إسلام المغيره إنّما كان كذلك.

ففي (الآغانى) - و نقله ابن أبي الحديد أيضا -: أنّ المغيره كان يحدّث حديث إسلامه قال: خرجت مع قوم من بنى مالك - و نحن على دين الجاهليه - إلى المقوقس ملك مصر فدخلنا إلى الاسكندريه و أهدينا للملك هدايا كانت معنا - و كنت أهون أصحابي على الملك - فقبض هدايا القوم و أمر لهم بجوائز، و فضّل بعضهم على بعض و قصر بي فأعطاني شيئا قليلا لا ذكر له. و خرجنا فأقبلت بنو مالك يشترون هدايا لأهلهم و هم مسرورون، و لم يعرض عليّ أحد منهم مواساه، فلمّا خرجوا حملوا معهم خمرا فكانوا يشربون منها فأشرب معهم، و نفسى تأبى أن تدعنى معهم و قلت: ينصرفون إلى الطائف و يخبرون قومي بازدراء الملك إياي، فأجمعت على قتلهم، فقلت إنّي أجد صداعا

ص: ٥٩٣

١- (١) نهج البلاغه ٣: ٢٥٠. [١]

٢- (٢) في شرح ابن أبي الحديد ٨: ٢٠ و [٢] شرح ابن ميثم ٥: ٤٤٠ [٣] إلا ما قاربه من الدّنيا» أيضا.

فوضعوا شرابهم و دعوني، فقلت: رأسي يصدع و لكن اجلسوا فأسقيكم فلم ينكروا من أمرى شيئا، فجلست أسقيهم فلما دبت فيهم اشتهاوا الشرب فجعلت أصرف لهم الكأس و انتزع الكأس فأهدتهم الخمر حتى ناموا ما يعقلون، فوثب إليهم فقتلتهم جميعا و أخذت جميع ما كان معهم و قدمت بالمدينة فوجدت النبي في المسجد و عنده أبو بكر و كان عارفا بي، فلما رأني قال: ابن أخي عروه، قلت: نعم، قد جئت أشهد أن لا إله إلا الله و أن محمدا رسوله، فقال أبو بكر: أمن مصر أقبلت؟ قلت: نعم، قال: فما فعل المالكيون الذين كانوا معك؟ قلت: كان بيني و بينهم بعض ما يكون بين العرب و نحن على دين الشرك فقتلتهم و أخذت أسلابهم، و جئت بها إلى النبي ليخمسها فإنها غنيمه من المشركين، فقال النبي صلى الله عليه و آله و سلم: أما إسلامك فقبلته و لا تأخذ من أموالهم شيئا و لا نخمسها، لأن هذا غدر و الغدر لا خير فيه، فأخذني ما قرب و ما بعد، فقلت: أنما قتلتهم و أنا على دين قومي ثم أسلمت حين دخلت إليك الساعة، فقال: الإسلام يجب ما قبله- و كان قتل منهم ثلاثة عشر رجلا و احتوى على ما معهم- فبلغ ذلك ثقيفا بالطائف فتداعوا للقتال ثم اصطلحوا على أن حمل عمه عروه بن مسعود ثلاث عشرة دية (١).

و قال ابن أبي الحديد: و لما جاء عروه بن مسعود إلى النبي صلى الله عليه و آله و سلم عام الحديبيه، نظر إلى المغيرة قائما على رأس النبي صلى الله عليه و آله و سلم متقلدا سيفا، فقال: من هذا؟ فقيل له: ابن أخيك المغيرة. قال: و أنت ها هنا يا غدر، و الله إني إلى الآن ما غسلت سؤأتك (٢).

و قال أيضا: قال أصحابنا البغداديون: من كان إسلامه على هذا الوجه، و كانت خاتمته ما قد تواتر به الخبر من سبه على المنابر- إلى أن مات-

ص: ٥٩٤

١- (١) الأغاني ٨٠: ١٦-٨٢، [١] شرح ابن أبي الحديد ٩: ٢٠-١٠، و [٢] النقل بتصرف و تلخيص.

٢- (٢) شرح ابن أبي الحديد ٨: ٢٠. [٣]

عليًا عليه السّلام، وكان المتوسط من عمره الفسق وإعطاءه البطن والفرج سؤلهما ومملاهما الفاسقين، كيف نتولاه ولا نكشف فسقه وأى عذر لنا فى الإمساك عنه (١).

قلت: لم ينحصر كشف فسقه بل نفاقه بمعتزله بغداده، بل كشف ذلك قبلهم عبد الرحمن بن عوف أحد عشرتهم وستهم و عثمان بن عفان أحد عشرتهم وستهم وإمامهم الثالث و ذو نوريهم.

أما الأوّل ففى الجوهري فى (سقيفته) وعوانه فى (شوراه): أنّه لمّا بايع ابن عوف عثمان قال المغيرة لعثمان: أما والله لو بويع غيرك لمّا بايعناه. فقال له ابن عوف: كذبت والله لو بويع غيره لبايعته، وما أنت وذاك يا بن الدباغ؟ لو وليها غيره لقلت له مثل ما قلت الآن تقرّبا إليه وطمعا فى الدّنيا (٢).

و أمّا الثانى ففى (الطبرى): أنّ النّاس لمّا استسفروا عليا عليه السّلام بينهم وبين عثمان، دخل على عثمان و قال له: ممّا أنكر النّاس عليك توليتك الفسقه كابن عامر و الوليد بن عقبه. فقال له عثمان: انشدك الله يا على هل تعلم أنّ المغيرة بن شعبه ليس هناك؟ قال: نعم، قال: فتعلم أنّ عمر ولّاه؟ قال: نعم، قال: فلم تلومنى إن وليت ابن عامر فى رحمه... (٣).

و ان كان فاروقهم أنكر نفاقه حيث جعله من المهاجرين لمّا دافع عنه فى زناه، و مانع الشاهد الرابع من أداء شهادته حتى لا يرجم.

ففى (الأغانى) لأبى الفرج - بعد ذكر أداء أبى بكره و نافع و شبل بن معيد شهادتهم فى رؤيتهم زنا المغيرة، كالميل فى المكحلة - فأمر عمر أن ينحوا و لا يجالسهم أحد من أهل المدينة، و انتظر قدوم زياد فلمّا رآه مقبلا قال: إنى

ص: ٥٩٥

١- ١) المصدر نفسه ١٠: ٢٠. [١]

٢- ٢) شرح ابن أبى الحديد ٥٣: ٩. [٢]

٣- ٣) تاريخ الطبرى ٣٣٨: ٤، سنة ٣٤. [٣]

لأرى رجلا لن يخزى الله على لسانه رجلا من المهاجرين (١).

و فى حديث ابن شبة عن السرى، عن عبد الكريم بن رشيد عن أبى عثمان قال: لَمَّا جاء الثالث فشهد بزنا المغيره، كان عمر كأنما نثر الرماد على وجهه، فلَمَّا جاء زياد جاء شاب يخطر بيديه، فرفع عمر رأسه إليه و قال له: ما عندك أنت يا سلح العقاب- و صاح أبو عثمان صيحه تحكى صيحه عمر- قال عبد الكريم: لقد كدت أن يغشى على لصيحته- فقال زياد لعمر: أما أن أحق ما حق القوم فليس عندى، و لكنى رأيت مجلسا قبيحا و سمعت نفسا حثيثا و ابتهارا، و رأيت متبطنها، فقال عمر أ رأيت يداخل و يخرج كالميل فى المكحله؟ قال: لا (٢).

و فى كثير من الروايات: قال زياد: رأيت رافعا برجليها و رأيت خصيه مترددين بين فخذيهما و سمعت خفرا شديدا و نفسا عاليا، فقال عمر: أ رأيت يداخله و يخرج كالميل فى المكحله؟ قال: لا. فقال عمر: الله أكبر قم يا مغيره إليهم فاضربهم. فاضربهم- فقال أبو بكره بعد أن ضرب: أشهد أن المغيره فعل كذا و كذا، فهم عمر بضربه. فقال له على عليه السلام: إن ضربته رجمت صاحبك.

و حج عمر بعد ذلك مره فوافق الرقطاء التى رمى بها المغيره بالموسم فرآه- و كان المغيره يومئذ بالموسم- فقال عمر للمغيره: أ تعرف هذه؟ قال:

نعم، هذه ام كلثوم بنت على، فقال له: ويحك أ تتجاهل على؟ و الله ما أظن أبا بكره كذب عليك، و ما رأيتك إلا خفت أن ارمى بحجاره من السماء- و كان على بعد ذلك يقول: إن ظفرت بالمغيره لأتبعته أحجاره (٣).

و فى (نقض الاسكافى): كان المغيره يسب علينا عليه السلام على منبر الكوفه

ص: ٥٩٦

١- ١) الأغانى ٩٥: ١٦-٩٧، و [١] النقل بتلخيص.

٢- ٢) المصدر نفسه ٩٧: ١٦-٩٨. [٢]

٣- ٣) المصدر نفسه. [٣]

لأنه بلغه أيام عمر أن عليًا قال: لئن رأيت المغيرة لأرجمنه بأحجاره (١).

و في (مفاخرات الزبير بن بكار): اجتمع عمرو بن العاص و الوليد بن عقبه و عتبه بن أبي سفيان و المغيرة بن شعبه عند معاوية - و قد كان بلغهم عن الحسن بن علي عليه السلام قوارص - فقالوا لمعاوية: إن الحسن قد أحيا أباه ابعث إليه فليحضر لنسبه و نسب أباه و نوبخه و نخبره أن أباه قتل عثمان - إلى أن قال - فتكلم المغيرة فشم عليا عليه السلام و قال: و الله ما أعيبه في قضيه يخون و لا - في حكم يميل و لكنه قتل عثمان - فقال له الحسن عليه السلام: و أما أنت يا مغيرة فلم تكن بخليق أن تقع في مثل هذا، و إنما مثلك مثل البعوضه إذ قالت للنخلة استمسكي فإني طائره عنك، فقالت النخلة و هل علمت بك واقفه علي فأعلم بك طائره عنى؟ و الله ما نشعر بعداوتك إيانا و لا اغتمنا إذ علمنا بها و لا يشق علينا كلامك، و إن حد الله في الزنا لثابت عليك، و لقد درأ عمر عنك حقًا اللهم سائله عنه، و لقد سألت النبي صلى الله عليه و آله و سلم هل ينظر الرجل إلى المرأه يريد أن يتزوجها؟ فقال: لا بأس بذلك يا مغيرة ما لم ينو الزنا، لعلمه بأنك زان... (٢).

و لم يكتف عمر بمنع زياد عن شهادته حتى لا - يرجم، بل رفع درجته، فإنه و إن عزله عن البصره لكون زناه فيها، إلا أنه وآله الكوفه التي كانت أهم، حتى صار مثلاً - بين الناس (غضب الله عليك كما غضب أمير المؤمنين على المغيرة عزله عن البصره و وآله الكوفه).

إلا أن عمر كان معذورا في ذلك، فعل ذلك به شكرا له لحمله له و لصاحبه على طلب الخلافه و مساعدته لهما في ذلك.

فروى الجوهري في (سقيفته): أن المغيرة مرّ بأبي بكر و عمر و هما جالسان على باب النبي صلى الله عليه و آله و سلم حين قبض فقال لهما: ما يقعد كما؟ قالوا: نتظر هذا

ص: ٥٩٧

١- ١) أورده ابن أبي الحديد في نهج البلاغه ٢: ٦٩.

٢- ٢) شرح ابن أبي الحديد ٢٨٥: ٦- ٢٩٤، و [١] النقل بتصرف و تلخيص.

الرجل يخرج فبنايعه-يعنيان عليًا عليه السّلام-فقال لهما المغيره: أ تريدون أن تنظروا خيل الحلبه من أهل هذا البيت و سعوها في قريش تتسع،فقاما إلى سقيفه بنى ساعده (١).

و لكن في أخبارنا أنّ إبليس تمثل بصورة المغيره يوم السقيفه و قال:

أيها النَّاس لا تجعلوها كسرانيه و لا قيصرانيه و سعوها تتسع و لا تردوها في بنى هاشم (٢).

و في (خلفاء ابن قتيبه)-بعد ذكر امتناع أمير المؤمنين عليه السّلام عن بيعه أبي بكر و لحوقه بقبر النبيّ صلّى الله عليه و آله و سلّم و خطابه للنبي: يا «ابنُ أُمِّ إِنَّ الْقَوْمَ اسْتَضَّ عَفُونِي وَ كَادُوا يَقْتُلُونَنِي» (٣)، و قول فاطمه عليها السّلام لأبي بكر: «و الله لا دعون الله عليك في كلّ صلاه أصليها». و قولها له و لعمر-بعد تقريرهما بأنّ سخطها من سخط الله-: «أشهد الله و ملائكته أنّكما أسخطتماني و لأشكونكما إليه إذا لقيته»-فقال المغيره لأبي بكر: أرى أن تلقوا العباس فتجعلوا له في هذا الأمر نصيبا يكون له و لعقبه، و تكون لكما الحجّه على علي ا و بنى هاشم إذا كان العباس معكم (٤).

و فعل ذلك به لاحتياجه بنفسه إليه بعد، و ليبقى بعده و يساعد و لاه الأمر بعده على استيصال أهل بيت النبيّ صلّى الله عليه و آله و سلّم.

ففي (الطبري): لَمَّا وُلِّي معاويه المغيره الكوفه سنه (٤١) قال له: أردت إيذاءك بأشياء كثيره و أنا تاركها اعتمادا على بصرك بما يرضيني و يسعد سلطاني، و يصلح به رعيتي، و لست تاركا إيذاءك بخصله، لا تتحمّ عن شتم

ص: ٥٩٨

١- ١) شرح ابن أبي الحديد ٤٣:٦، [١]السقيفه و فدك: ٦٨. [٢]

٢- ٢) الجوهري: السقيفه و فدك: ٦٨ [٣] مكتبه نينوى، طهران، و أورده المجلسي في بحاره ٢٠٥:٢٨. [٤]

٣- ٣) الأعراف: ١٥٠. [٥]

٤- ٤) الإمامه و السياسه ١٢:١-١٥، و [٦]النقل بتصرّف و تلخيص.

علّي و ذمه، و العيب على أصحابه و الإقصاء لهم، و ترك الاستماع منهم و عن الترحم على عثمان و إطراء شيعته و الإدناء لهم و الاستماع منهم. فقال له المغيرة: قد جربت و جربت، و عملت قبلك لغيرك فلا يذمم بي دفع و لا رفع و لا وضع... (١).

و من اطمينان المغيرة بعمر لمّا قال في الموسم للمغيرة- و كان رأى ثمه تلك المرأة: أ تعرفها؟ استهزأ به المغيرة و قال: له: هي امرأتك- كما مر، و عمر و إن قال له: ما رأيتك إلا- خفت أن ارمى بحجاره من السماء، إلا أنّه كان جواباً ظاهرياً، مع أنّه كان إقراراً من عمر بإبطاله الحدّ في حقّه و إلا لم خاف (٢).

ثم إنّ المغيرة اجترأ ان يقول لعمر: هي امرأتك لكونها بنته عليه السّلام، لعلمه بعداوته معه و أنّه نكحها إذلالاً له عليه السّلام، و لو كان المغيرة تسمى امرأه اخرى لعمر و لو كانت في غايه الدناءه ما احتمل عمر ذلك له مع منزلته تلك عنده.

و من اطمينانه بعمر لمّا لم يأت زياد بلفظ الميل في المكحله و إن أتى بمعناه، قال المغيرة لزياد حين أراد اداء شهادته: و الله لو كنت بين بطني و بطنها ما رأيت أين سلك ذكرى منها (٣).

و من اطمينانه بعمر أنّه لمّا دعا بالشهود فتقدم أبو بكره فقال له عمر:

أ رأيت بين فخذيها؟ فقال أبو بكره: نعم، و الله لكأني أنظر تشريم جدرى بفخذيها، فقال له المغيرة: لقد ألفت النظر- أ ليس كلّ ذلك إقراراً من المغيرة في حضور عمر؟! و قد أراد المغيرة في قوله لزياد: «لو كنت بين بطني و بطنها ما رأيت أين سلك ذكرى منها» إفهام زياد أنّ الاستشهاد مجرد صورته، و عمر

ص: ٥٩٩

١- (١) الطبري، تاريخ الامم و الملوك ٣: ٢١٨ [١] دار الكتب العلميه، بيروت في حوادث، سنه ٤٥١ و ذكره ابن الاثير في الكامل ٣: ٤٧٢ [٢] دار صادر.

٢- (٢) الأغاني ١٦: ٩٩. [٣]

٣- (٣) الأغاني ١٦: ٩٨. [٤]

معه فلا يؤدى زياد شهادته (١).

و من اطمينانه بعمر أنه لَمَّا شخص من البصره إلى عمر رأى: فى طريقه جاريه فأعجبه فخطبها إلى أبيها، فقال له: أنت على هذه الحال-يعنى يذهبون بك لإجراء الحدّ عليك و يرجموك-فقال لأبيها: ما عليك أن أعف، فهو الذى نريد، وإن اقتل ترثنى. فزوجه و قدم بها على عمر فقال له: إنك لفارغ القلب طويل الشبق (٢).

و كيف لا يكون فارغ القلب و كان مطمئنا به؟ و لَمَّا ضرب الثلاثة الحدّ قال لهم المغيره: الله أكبر الحمد لله الذى أخزاكم.

و عمر و إن كان قال له: اسكت أخزى الله مكانا و اراك، إلا أنه قال ذلك لثلاً يفتضح بدفاعه عنه، مع أنّ الظاهر أنه دعا على مكان وقع العمل من المغيره، لعدم كونه مكانا يواريه حتى يروه و يحصل له كلفه.

و ممّا يدلّ على إعماله الغرض فى أمره أنه ضرب أبا بكره ضربا شديدا فوق الحدّ، حتى أمرت أمه بشاه فذبحت و جعلت جلدها على ظهره (٣).

هذا و قد قال حسان فى هجو المغيره فى عمله هذا:

لو أنّ اللوم ينسب كان عبدا قبيح الوجه أعور من ثقيف

تركت الدين و الإسلام لَمَّا بدت لك غدوه ذات النصف (٤)

و كيف لا- يدافع عمر عنه و هو سمى عمر أمير المؤمنين؟ فقال الزبير بن بكار: لَمَّا ولى عمر قال: كان أبو بكر يقال له خليفه النبي، فكيف يقال لى خليفه خليفه النبي بطول هذا؟ فقال له المغيره: أنت أميرنا و نحن المؤمنون (٥).

ص: ٦٠٠

١- ١) الأغاني ٩٦:١٦-٩٨، و [١] النقل بتلخيص.

٢- ٢) الأغاني ١٠٠:١٦. [٢]

٣- ٣) الأغاني ٩٨:١٦-٩٩. [٣]

٤- ٤) الأغاني ١٠٠:١٦. [٤]

٥- ٥) لم يشر الزبير بن بكار الى هذا الموضوع فى أخبار الموفقيات بل اكتفى بمخاطبه المغيره بن شعبه لعمر بلقب أمير المؤمنين راجع صفحه ٦٢٠ رقم (٤٠٣) و يذكر ابن هلال العسكرى فى الأوائل: ١٠٣ أن عمرو بن العاص هو أول من سمى عمر بأمير المؤمنين.

و أقول: صدق المغيرة في كونه، أمير المؤمنين مثله ممن لم يؤمن إلاّ - بهواه، فالمغيرة هو الذي قال يوما في مجلس معاوية لإرضائه: إن النبي لم ينكح عليا ابنته حبا له، ولكنه أراد أن يكافىء بذلك إحسان أبي طالب إليه.

و هو الذي لما بويع معاوية، أقام خطباء يسبّون أمير المؤمنين عليه السلام لإرضاء معاوية قبل أن يأمر معاوية.

و هو الذي حرّض معاوية على إلحاق زياد به و مفسده في الإسلام لا تخفى، كما أنّه هو الذي حرّضه على جعله يزيد ولي عهده لئلا يعزله، لكبر سنّه، فأذى ذلك إلى قتل الحسين عليه السلام و أهل بيته و سبى حريمه.

ثمّ إنّ ابن أبي الحديد إنّما قال: و أى عذر لنا في الإمساك عنه (١)؟ كما مر، لأنّ كثيرا من علمائهم أمسكوا عنه لرعايه فاروقهم، فهذا ابن عبد البرطوى الكشح في عنوانه له عن كيفية إسلامه، و عن ذكر شناعه و اقتصر على كونه من دهاه العرب، و أنّه أشار على أمير المؤمنين عليه السلام بإبقاء معاوية على الشام و توليه طلحه و الزبير البصره و الكوفه، ليستقر أمر سلطنته فلم يقبل منه (٢).

و أشدّ منه ما عليه حشويتهم و أصحاب حديثهم، ينسبون إلى أنبياء الله الامور العظام من القتل و الزنا، فإذا تكلم واحد في معاوية و عمرو بن العاص و المغيرة و أضرابهم من المنافقين و الجبابره و قتله أولاد الانبياء، قالوا: مبدع بسبّ الصحابه و يشتم السلف - قبحهم الله و أخزاهم -.

و نقل ابن أبي الحديد عن أبي المعالى الجوينى، منهم: تحريم التعرّض لذكر الصحابه و إنّ ما ينقله الشيعة من المشاجره لم تثبت، و أنّهم كانوا كبنى

ص: ٦٠١

١- ١) شرح ابن أبي الحديد ١٠: ٢٠٠. [١]

٢- ٢) الاستيعاب بهامش الإصابه ٣٨٨: ٣- ٣٩١.

أمّ واحده و لم يتكدر باطن أحد منهم على صاحبه و لا وقع بينهم اختلاف (١).

و المكابر المنكر للبدييات لا يحتاج إلى جواب، و لكنه نقل جوابهم عن النقيب في كلام طويل (٢).

هذا و من مصاديق قوله عليه السّلام في المغيره: (لم يأخذ من الدين إلا ما قاربته الدّنيا) ما رواه (الأغانى) أيضا: أنه كان بين المغيره و مصقله بن هبيرة الشيباني تنازع فضرع له المغيره و تواضع في كلامه حتّى طمع فيه مصقله، فاستعلى عليه و شتمه و قذفه، و قال له: و الله إننى لأعرف شهبى في حمزه ابنك فقدمه إلى شريح— هو القاضى يومئذ— فأقام عليه البيّنه فضربه الحدّ، فألى مصقله ألا يقيم ببلده فيها المغيره ما دام حيا، و خرج إلى بنى شيبان فنزل فيهم إلى أن مات المغيره، ثم دخل الكوفه فتلّقاه قومه و سلّموا عليه، فما فرغ عن التسليم حتّى سألهم عن مقابر ثقيف فأرشدوه إليها، فجعل قوم من مواليه يلتقطون له الحجارة فقال: ما هذا؟ قالوا: ظننا أنك تريد أن ترجم قبره، فقال: ألقوا ما فى أيديكم. فألقوه، و انطلق حتّى وقف على قبره ثم قال: و الله لقد كنت ما علمت نافعا لصديقك ضارا لعدوك، و ما مثلك إلا كما قال مهلهل فى أخيه كليب:

إنّ تحت الأحجار حزما و عزما و خصيما ألدّ ذا معلاق

حيه فى الوجار أربد لا ينفع منه السليم نفث الراق (٣)

«و على عمد لبس» بالتخفيف و التشديد.

«على نفسه ليجعل الشبهات عاذرا لسقطاته» فتخلف عن أمير المؤمنين عليه السّلام لأنّه كان يعلم أن معاويه لا يطيعه، و أنّ طلحه و الزبير يخرجان

ص: ٦٠٢

١- ١) شرح ابن أبى الحديد ١٠: ٢٠-١٢، و [١] النقل بتلخيص.

٢- ٢) المصدر نفسه ١٢: ٢٠. [٢]

٣- ٣) الأغانى ٩٢: ١٦. [٣]

عليه عليه السلام، و لم يساعد طلحه و الزبير لعلمه بعجزهما عنه عليه السلام، و لم يساعد معاويه حتى وقع التحكيم و رأى اختلاف أهل العراق عليه عليه السلام، و اتفاق أهل الشام على معاويه و أطمأن بذلك فلحق به.

و في (غارات الثقفى): ذكر المغيرة عند علي عليه السلام و جدّه مع معاويه فقال عليه السلام: و ما المغيرة إنّما كان إسلامه لفجره و غدره بنفر من قومه فهرب و أتى النبي صلى الله عليه و آله و سلم كالعائد بالإسلام، و الله ما رأى عليه أحد منذ ادّعى الإسلام خضوعاً و لا - خشوعاً، ألا و إنّ أمه كانت من ثقيف فراعنه قبل يوم القيامة، يجانبون الحقّ، و يوقدون الحرب، و يوازون الظالمين (١).

و في (جمل المفيد): الأحنف لمّا بعث إلى أمير المؤمنين عليه السلام في الجمل أنّي مقيم على طاعتك في قومي، فإن شئت أتيتك و مائتين من أهل بيتي، و إن شئت جلست عنك أربعة آلاف سيف من بني سعد، قال رجل له عليه السلام: من هذا؟ قال: أدهى العرب و خيرهم لقومه. فقال: كذلك هو و إنّني لا مثل بينه و بين المغيرة، لزم الطائف فأقام بها ينتظر علي من يستقيم الأمر، فقال الرجل: إنّني لأحسب أنّ الأحنف لأسرع إلى ما يحب من المغيرة، فقال عليه السلام: أجل ما يبالي المغيرة أى لواء رفع، لواء ضلاله أو هدى (٢).

هذا و في (تاريخ الطبرى): أنّ المغيرة كان يدّعى أنّه أحدث الناس عهداً بالنبي صلى الله عليه و آله و سلم و يقول للناس: إنّني أخذت خاتمي فألقيته في القبر و قلت: إنّ خاتمي سقط مني و إنّما طرحته عمداً لأمسّ النبي لأكون آخر الناس عهداً به، فدخل نفر من العراق على علي عليه السلام زمان عمر أو عثمان و قالوا: جئنا نسألك عن أمر نحبّ أن نخبرنا به. فقال عليه السلام: أظن أنّ المغيرة يحدّثكم، أنّه أحدث الناس عهداً

ص: ٦٠٣

١- (١) الغارات ٥١٧: ٢. [١]

٢- (٢) الجمل للمفيد: ٢٩٥-٢٩٦. [٢]

بالنبي صلى الله عليه وآله وسلم. قالوا: أجل عن ذا جئناك نسألك. قال: كذب (١).

و في (ذيله): لَمَا ألقى المغيرة خاتمه في القبر نزل على عليه السلام، و قد رأى موقعه فتناوله فدفعه إليه، و قال له: لا يتحدث الناس أنك نزلت في القبر و لا تحدّث أنّ خاتمك في قبره (٢).

و فيه قال قيصه بن جابر الأسدي: لو أنّ المغيرة جعل في مدينه لا يخرج من أبوابها كلّها إلاّ بالغدر لخرج منها (٣).

و في (المعارف): أوّل من رشا في الإسلام المغيرة، قال: ربّما عرق الدرهم في يدي أرفعه ليرفأ ليسهل إذني على عمر (٤).

و في (الكامل) ولى عمر جبير بن مطعم الكوفه و قال له: لا تذكره لأحد فسمع المغيرة أنّ عمر خلا بجبير فأرسل امرأته إلى امرأه جبير لتعرض عليها طعام السفر ففعلت، فقالت: نعم ما حييتني به. فلمّا علم المغيرة جاء إلى عمر و قال له: بارك الله لك في من ولىت، فعزله عمر و ولى المغيرة (٥).

ص: ٦٠٤

١-١ (١) تاريخ الطبري ٢١٤:٣، سنه ١١. [١]

١-٢ (٢) ذيل تاريخ الطبري ٥١٣:١١.

٣-٣ (٣) تاريخ الطبري ٣٣٧:٥، سنه ٦٠. [٢]

٤-٤ (٤) ابن قتيبه: المعارف: ٥٨٨ [٣] دار المعارف [٤] مصر.

٥-٥ (٥) ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ٢٠:٣ [٥] دار صادر.

تتمه الفصل الثامن و العشرون-في كلامه عليه السلام الجامع لمصالح الدين و الدنيا ١

العنوان ٤ من الكتاب ٢٧:«...فاخفض لهم جناحك، و ألن لهم جانبك...» ١

العنوان ٥ من الكتاب ٧٢:«...أما بعد فأئك لست بسابق أجلك...» ٢٨

العنوان ٦ من الكتاب ٧٦:«...سع الناس بوجهك و مجلسك و حكمك...» ٢٩

العنوان ٧ من الكتاب ٦٩:«...و تمسك بحبل القرآن و استنصحه...» ٣١

العنوان ٨ من الخطبه ٢٢:«أما بعد،فإنّ الأمر ينزل من السماء إلى الأرض...» ٥٢

الفصل التاسع و العشرون-في ما يتعلّق بعثمان و عمر ١٣٧

العنوان ١ من الخطبه ٧٥:«...أو لم يمه علمها بي عن قرفي!...» ١٣٩

العنوان ٢ من الخطبه ٧٧:«إنّ بنى اميه ليفوقونى تراث محمّد صلّى الله عليه و آله و سلّم تفويقا...» ١٥٢

العنوان ٣ من الخطبه ١٥:«...و الله لو وجدته قد تزوج به النساء...» ١٥٨

العنوان ٤ من الخطبه ٤٣:«إنّ استعدادى لحرب أهل الشام و جرير عندهم...» ١٦٤

العنوان ٥ من الخطبه ٣٠:«...لو أمرت به لكنت قاتلا...» ١٨٥

العنوان ٦ من الكتاب ٣٨:«...من عبد الله على أمير المؤمنين،إلى القوم...» ٢١٠

العنوان ٧ من الخطبه ١٦٤:«إنّ الناس ورائى و قد استفسرونى بينك و بينهم...» ٢١٦

العنوان ٨ من الخطبه ١٥٢:«و قد طلع طالع،لمع لامع،و لاح لائح...» ٢٤١

العنوان ٩ من الخطبه ٢٤:«...يا بن عباس،ما يريد عثمان إلا أن يجعلنى جملا...» ٢٥٢

العنوان ١٠ من الخطبه ١٣٥:«...يا بن اللعين الأبترو،و الشجره التى لا أصل...» ٢٦٠

تعريف مركز

بسم الله الرحمن الرحيم
هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ
الزمر: ٩

عنوان المكتب المركزى

أصفهان، شارع عبد الرزاق، سوق حاج محمد جعفر آواده اى، زقاق الشهيد محمد حسن التوكلى، الرقم ١٢٩، الطبقة الأولى.

عنوان الموقع : : www.ghbook.ir

البريد الالكترونى : Info@ghbook.ir

هاتف المكتب المركزى ٠٣١٣٤٤٩٠١٢٥

هاتف المكتب فى طهران ٠٢١ - ٨٨٣١٨٧٢٢

قسم البيع ٠٩١٣٢٠٠٠١٠٩ شؤون المستخدمين ٠٩١٣٢٠٠٠١٠٩.

مركز
للبحوث والتحريات الكمبيوترية
اصبحان
الغمامة



للحصول على المكتبات الخاصة الاخرى
ارجعوا الى عنوان المركز من فضلكم
www.Ghaemiyeh.com

www.Ghaemiyeh.net

www.Ghaemiyeh.org

www.Ghaemiyeh.ir

و للايحاء من فضلكم

٠٩١٣ ٢٠٠٠ ١٥٩

